

893.7 M281

O
1

Columbia University
in the City of New York
Library



BOUGHT FROM

THE

Alexander I. Cotheal Fund
for the
Increase of the Library
1896

(فهرست)

الجزء الاول من كتاب الخطط للعلامة المقرئ

صحيفة	صحيفة
٩٢ ذكر مقاييس النيل وزيادته	٠٢ خطبة الكتاب
٩٨ ذكر الجسر الذي كان يعبر عليه في النيل	٠٤ ذكر الرؤس الثمانية
٩٩ ذكر ما قيل في ماء النيل من مدح وذم	٠٦ فصل أول من رتب خطط مصر وآثارها الخ
١٠٤ ذكر عجائب النيل	٠٧ ذكر طرف من هيئة الافلاك
١٠٨ ذكر طرف من مقدمة المعرفة بنحال النيل في كل سنة	١٢ ذكر صورة الارض وموضع الاقاليم منها
١١٠ ذكر عيد الشهيد	٢١ ذكر محل مصر من الارض وموضعها من الاقسام السبعة
١١٢ ذكر الخلابان التي شقت من النيل	٢٢ ذكر حدود مصر وجهاتها
٠٠٠ خليج سخا	٢٤ ذكر بحر القلزم
١١٣ خليج سردوس	٢٦ ذكر البحر الرومي
٠٠٠ خليج الاسكندرية	٢٨ ذكر اشتقاق مصر ومعناها وتعداد اسمائها
١١٤ خليج الفيوم والمنهى	٣٥ ذكر طرف من فضائل مصر
٠٠٠ خليج القاهرة	٤٨ ذكر العجائب التي كانت بمصر من الطلسمات والبرابي ونحو ذلك
١١٥ بحر ابي المنجا	٦٤ ذكر الدفائن والكنوز التي يسميها أهل مصر المطالب
٠٠٠ الخليج الناصري	٦٦ ذكر هلاك أموال أهل مصر
٠٠٠ ذكر ما كانت عليه أرض مصر في الزمن الاول	٦٧ ذكر اخلاق أهل مصر وطبائعهم وأمزجهم
١١٦ ذكر أعمال الديار المصرية وكورها	٨٠ ذكر شيء من فضائل النيل
١١٩ ذكر ما كان يعمل في أراضي مصر من حفر الترع وعمارة الجسور ونحو ذلك من أجل ضبط ماء النيل وتصريفه في أوقاته	٨١ ذكر مخرج النيل وانبعائه
١٢٠ ذكر مقدار خراج مصر الزمن في	٨٧ فصل في الرد على من اعتقد أن النيل من سيل يفيض

صحيفة	الاول	صحيفة
٢٠٢ ذكر الرصد	١٢٢ ذكر ماعمله المسلمون عند فتح مصر في الحراج وما كان من أمر مصر في ذلك مع القبط	١٢٧ ذكر انتفاض القبط وما كان من الاحداث في ذلك
٢٠٦ ذكر مدائن أرض مصر	١٢٨ ذكر نزول العرب بريف مصر واتخاذهم الزرع معاشا وما كان في نزولهم من الاحداث	١٣١ ذكر قبالات أراضي مصر بعد ما فشا الاسلام في القبط ونزول العرب في القرى وما كان من ذلك الى الروك الاخير الناصري
٢٠٨ ذكر مدينة أمسوس وعجائبها وملوكها	١٤١ ذكر الروك الاخير الناصري	١٤٧ ذكر الديوان
٢١٦ ذكر مدينة منف وملوكها	١٥٠ ذكر ديوان انعمياكر والجيش	١٥٤ ذكر القطاعات والاقطاعات
٢٣٢ ذكر مدينة الاسكندرية	١٥٨ ذكر ديوان الحراج والاموال	١٥٩ ذكر خراج مصر في الاسلام
٢٤٢ ذكر الاسكندر	١٦٢ ذكر اصناف أراضي مصر واقسام زراعتها	١٦٦ ذكر اقسام مال مصر
٢٤٥ ذكر تاريخ الاسكندر		١٧٩ ذكر الاهرام
٢٤٧ ذكر الفرق بين الاسكندر وذى القرنين وانهما رجلا		١٩٧ ذكر الصنم الذى يقال له أبو الهول
٢٤٨ ذكر من ولي الملك بالاسكندرية بعد الاسكندر		١٩٨ ذكر الجبال
٢٥١ ذكر منارة الاسكندرية		١٩٩ ذكر الجبل المقطم
٢٥٥ ذكر الملعب الذى كان بالاسكندرية وغيره من العجائب		٢٠١ الجبل الاحمر
٢٥٧ ذكر عمود السوارى		٢٠٠ جبل يشكر
٢٦١ ذكر طرف مما قيل في الاسكندرية		
٢٦٣ ذكر فتح الاسكندرية		
٢٦٩ ذكر ما كان من فعل المسلمين بالاسكندرية وانتفاض الروم		
٢٧٣ ذكر بحيرة الاسكندرية		
٢٧٤ ذكر خليج الاسكندرية		
٢٧٨ ذكر حمل حوادث الاسكندرية		
٢٨٣ ذكر مدينة أثريب		
٢٨٤ ذكر مدينة تينيس		
٢٩٤ ذكر مدينة صا		
٢٩٥ رمل الغرابي		
٢٩٦ ذكر مدينة بليس		

صحيفة	صحيفة
٣٣٣ ذكر منية الناسك	٢٩٧ ذكر بلاد الورداء
٠٠٠ ذكر الجزيرة	٢٩٨ ذكر مدينة ايلة
٣٣٤ ذكر سجن يوسف عليه السلام	٣٠١ ذكر مدينة مدين
٣٣٥ ذكر قرية ترسا	٣٠٤ بقية خبر مدينة مدين
٠٠٠ ذكر منية اندونة	٠٠٠ ذكر مدينة فاران
٣٣٦ ذكر وسيم	٣٠٥ ذكر أرض الجفار
٠٠٠ ذكر منية عقبة	٠٠٠ ذكر صعيد مصر
٣٣٧ ذكر حلوان	٣٠٧ ذكر الجنادل ولع من أخبار أرض
٣٣٨ عبد العزيز بن مروان	الثوبة
٣٤٠ ذكر مدينة العريش	٣٠٩ ذكر تشعب النيل من بلاد علوة
٣٤١ ذكر مدينة الفرما	ومن يسكن عليه من الامم
٣٤٣ ذكر مدينة القلزم	٣١٣ ذكر البجة ويقال انهم من البربر
٣٤٤ التيه	٣١٩ ذكر مدينة اسوان
٠٠٠ ذكر مدينة دمياط	٣٢١ ذكر بلاق
٣٤٤ ذكر شطا	٣٢٢ ذكر حائط العجوز
٣٦٦ ذكر الطريق فيما بين مدينة مصر	٠٠٠ ذكر البقط
ودمشق	٣٢٧ ذكر صحراء عذاب
٣٦٧ ذكر مدينة حطين	٣٢٨ ذكر مدينة الاقصر
٠٠٠ ذكر مدينة الرقة	٠٠٠ ذكر البلينا
٣٦٨ ذكر عين شمس	٣٢٩ ذكر سمهود
٣٧٣ المنصورة	٠٠٠ ذكر ارجنوس
٣٧٤ العباسية	٠٠٠ ذكر أبويط
٠٠٠ ذكر مدينة قفط بصعيد مصر	٠٠٠ ذكر ملوى
٣٧٧ ذكر مدينة دندرة	٠٠٠ ذكر مدينة انصنا
٠٠٠ ذكر الواحات الداخلة	٣٣٠ ذكر القيس
٣٧٩ ذكر مدينة سنترية	٣٣١ ذكر دروط بلهاسة
٣٨٠ ذكر الواحات الخارجة	٠٠٠ ذكر سكر
٣٨١ ذكر مدينة قوص	٠٠٠ ذكر منية الخصيب

صحيفة	صحيفة
٣٩٨ يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن	٣٨٢ ذكر مدينة اسنا
ابراهيم عليهم السلام	٠٠٠ ذكر مدينة ادفو
٣٩٩ ذكر ما قيل في القيوم وخارجاتها	٠٠٠ اهناس
وضايعها	٠٠٠ ذكر مدينة البهنسا
٤٠٢ ذكر فتح القيوم ومبلغ خراجها	٣٨٥ ذكر مدينة الاشمونين
وما فيها من المرافق	٣٨٦ ذكر مدينة اخميم
٤٠٣ مدينة التحريرية	٣٨٧ ذكر مدينة العقاب
	٣٩٩ ذكر مدينة القيوم

(تمت فهرست الجزء الاول من المخطوط المقرئيه)



Maqrūzī, al -

Kitāb al - Maṭā'ith wal - Khtibār bidhikr
al - Khitāt wal - āthār [A treasure on the to -
pography of Egypt, and especially of the City of Cairo]

2nd ed.

Cairo 1324 A. H.

1896

كِتَابُ الْخَطِّ الْمَقْتَرِينِ

— المصممة —

بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطوط والآثار يختص
ذلك باخبار أقليم مصر والنيل وذكر القاهرة
وما يتعلق بها وبأقاليمها (تأليف) سيدنا
الشيخ الامام علامة الأنام تقي الدين
أحمد بن علي بن عبد القادر بن
محمد المعروف بالمقرئ
رحمه الله ونفع
بعلومه آمين

I

— الجزء الأول —

(مبيعه بمكتبة ملتزمه)

(حضرة الفاضل الشيخ احمد علي المليجي الكسبي الشهير)

« بمصر قريباً من الجامع الازهر المنير »

(طبع بمطبعة النيل بمصر سنة ١٣٢٤ هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي عرّف وفهم • وعلم الانسان ما لم يكن يعلم • وأسبغ على عباده نعمًا باطنة وظاهرة • ووالى عليهم من مزيد الآئمة منا متظافرة متواترة • وبهم في أرضه حينًا يتقلبون واستخلفهم في ماله فهم به يتمتعون • وهدى قوما الى اقتناص شوارد المعارف والعلوم • وشوقهم للتفنن في مسarach التدبر والركض بمبادئ الفهوم • وأرشد قوما الى الانقطاع من دون الخلق اليه • ووقفهم للاعتماد في كل أمر عليه • وصرف آخرين عن كل مكرمة وفضيلة • وقبض لهم قراء قادوهم الى كل ذميمة من الاخلاق ورذيلة • وطبّع على قلوب آخرين فلا يكادون يفقهون قولًا • وتبطنهم عن سبل الخيرات فما استطاعوا قوّة ولا حولا ثم حكم على الكل بالفناء • وفقلم جميعا من دار التمحيص والابتلاء • الى برزخ اليبود والبلاء وسيحشرهم أجمعين الى دار الجزاء • ليوفى كل عامل منهم عمله • ويسأله عما أعطاه وخوّله وعن موقفه بين يديه سبحانه وما أعدّ له • لايسئل عما يفعل وهم يسئلون • أحمده سبحانه حمد من علم أنه اله لا يعبد الاياه • ولا خالق للخلق سواه • حمدا يقتضى المزيد من النعماء ويوالى المنن بتجدّد الآلاء • وصلى الله على سيدنا محمد عبده ورسوله • ونبهه وخليله • سيد البشر • وأفضل من مضى وغبر • الجامع لمحاسن الاخلاق والسير • والمستحق لاسم الكمال على الاطلاق من البشر • الذي كان نبيا وآدم بين الماء والطين • ورقم اسمه من الازل في عليين • ثم تنقل من الاصلاب الفاخرة الزكية • الى الارحام الطاهرة المرضية حتى بعثه الله عز وجل الى الخلائق أجمعين • وختم به الأنبياء والمرسلين • وأعطاه مالم يعط أحدا من العالمين • وعلى آله وصحابه والتابعين • وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين (وبعد) فان علم التاريخ من أجل العلوم قدرا • وأشرفها عند العقلاء مكانة وخطرا • لما يحويه من المواعظ والانذار • بالرجل الى الآخرة عن هذه الدار • والاطلاع على مكارم الاخلاق ليقتنى بها • واستعلام مذامّ الفعل ليرغب عنها أو لو النهى • لاجرم ان كانت الانفس الفاضلة به راقية • والهمم العالية اليه مائلة وله عاشقه • وقد صنّف فيه الأئمة كثيرا • وضمن الاجلة كتبهم منه شيئا كثيرا • وكانت مصر هي مسقط راسي • وملعب أترابي وجمع ناسي • ومفتي عشيرتي وحامتي • وموطن خاصتي وعامتي • وجوؤجوى الذى ربي جناحي في وكره •

وعش مأربى فلا تهوى النفس غير ذكره • لا زلت منذ شذوت العلم • وآتاني ربي الفطانة
والفهم • أربغ في معرفة أخبارها • وأحبّ الاشراف على الاغتراف من آبارها • وأهوى
مسألة الركبان عن سكان ديارها • فقيدت بخطي في الاعوام الكثيرة وجمعت من ذلك فوائد
قل ما يجمعها كتاب • أو يحويها لغزتها وغراتها اهاب • الا أنها ليست بمرتبة على مثال • ولا
مهدية بطريقة مانسج على منوال • فأردت أن ألخص منها أنباء ما بديار مصر من الآثار
الباقية • عن الامم الماضية والقرون الحالية • وما بقي بفسطاط مصر من المعاهد غير ما كاد
يفنيه البلى والقدم • ولم يبق الا أن يمحو رسمها الفناء والعدم • وأذكر ما بمدينة القاهرة
من آثار القصور الزاهرة • وما اشتملت عليه من الخطط والاصقاع • وحوته من المباني
البديعة الاوضاع • مع التعريف بحال من أسس ذلك من أعيان الامائل • والتنبؤ به بذكر
الذي شاهدها من سراة الاعاظم والافاضل • وأثر خلال ذلك نكتاً لطيفة • وحكماً بدیعة
شريفه • من غير اطالة ولا اكثار • ولا اجحاف محل بالفرض ولا اختصار • بل وسط
بين الطرفين • وطريق بين بين • فهذا سميته (كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط
والآثار) واني لارجو أن يحظى ان شاء الله تعالى عند الملوك • ولا ينبو عنه طباع العامي
والصعلوك • ويحله العالم المنتهى • ويعجب به الطالب المبتدى • وترضاه خلائق العابد الناسك
ولا يجمعه سمع الخليع الفاتك • ويتخذ اهل البطالة والرفاهية سمرا • ويعدّه أولو الراى
والتدبير موعظة وعبرا • يستدلون به على عظيم قدرة الله تعالى في تبديل الابدال • ويعرفون
به عجائب صنع ربنا سبحانه من تنقل الامور الى حال بعد حال • فان كنت أحسنت فيما جمعت
وأصبت في الذي صنعت ووضعت • فذلك من عيم من الله تعالى وجزيل فضله • وعظيم
أنعمه عليّ وجليل طوله • وان أنا أسأت فيما فعلت • وأخطأت اذ وضعت • فما أجدر الانسان
بالاساءة والعيوب • اذا لم يعصمه ويحفظه علام الغيوب

وما أبرئ نفسي اني بشر * أسهو وأخطي * ما لم يحمى قدر

ولا ترى عذرا اولى بذى زلل * من أن يقول مقراً اني بشر

فليسبل الناظر في هذا التأليف على مؤلفه ذيل ستره ان مرت به هفوه • وليغض
تجاوزا وصفحا ان وقف منه على كبوة أو نبوه • فأى جواد وان عنق ما يكبو • وأى
عضب مهند لا يكل ولا ينبو • لاسيما والخطر بالافكار مشغول • والعزم لالتواء الامور
وتسرها فاتر محلول • والذهن من خطوب هذا الزمن القطوب كليل • والقلب لتوالى
الحزن وتواتر الاحزن لليل

يعاندني دهرى كأني عدوه * وفي كل يوم بالسكرية يلقياني

فان رمت شيئاً جاءني منه ضده * وان راق لي يوماً تكدر في الثاني

SMC 2304/09

APR 2 1909

اللهم غفرا ما هذا من التبرم بالقضاء ولا التضجر بالمقدور . بل أنه سقيم ونفثة
 مصدور . يستروح ان أبدى التوجع والاین . ويجد خفا من ثقله اذا باح بالشكوى والحنين
 ولو نظروا بين الجوانح والحشا * وأامن كتاب الحب في كبدى سطرأ
 ولو جربوا ما قد لقيت من الهوى * اذا عذروني أو جعلت لهم عذرا
 والله أسأل أن يحلّي هذا الكتاب بالقبول عند الجلة والعلماء . كما أعوذ به من
 تطرّق أيدي الحساد اليه والجهلاء . وأن يهديني فيه وفيما سواه من الاقوال والافعال
 الى سواء السبيل . انه حسبنا ونعم الوكيل . وفيه جلت قدرته لي سلو من كل حادث .
 وعليه عز وجل أتوكل في جميع الحوادث . لاله الا هو ولا معبود سواه

ذكر الرأس الثمانية

اعلم أن عادة القدماء من المعلمين قد جرت أن يأتوا بالرؤس الثمانية قبل افتتاح كل
 كتاب وهي الغرض والعنوان والمنفعة والمرتبة وصحة الكتاب ومن أى صناعة هو وم
 فيه من اجزاء وأى أنحاء العالم المستعملة فيه فنقول (أما الغرض) في هذا التأليف فانه جمع
 ما تفرق من أخبار أرض مصر وأحوال سكانها كي ياتم من مجموعها معرفة جل أخبار
 أقليم مصر وهي التي اذا حصلت في ذهن انسان اقتدر على أن يخبر في كل وقت بما كان
 في أرض مصر من الآثار الباقية والبايدة ويقص أحوال من ابتدأها ومن حلها وكيف
 كانت مصائر أمورهم وما يتصل بذلك على سبيل الاتباع لها بحسب ما يحصل به الفائدة
 الكلية بذلك الاثر (وأما عنوان هذا الكتاب) أعني الذي وسعته به فاني لما فحست عن أخبار
 مصر وجدتها مختلطة متفرقة فلم يتيها لي اذ جمعها أن أجمل وضعها مرتبا على السنين لعدم
 ضبط وقت كل حادثة لاسيا في العصر الخالية ولا أن أضنها على أسماء الناس لعل أخر
 تظهر عند تصفح هذا التأليف فلهذا فرقها في ذكر الخطط والآثار فاحتوي كل فصل منها
 على ما يلايه ويشاكله وصار بهذا الاعتبار قد جمع ما تفرق وتبدد من أخبار مصر ولم
 أتحاس من تكرار الخبر اذا احتجت اليه بطريقة يستحسنها الاريب ولا يستهجنها الفطن
 الاديب كي يستغنى مطالع كل فصل بما فيه عما في غيره من الفصول فلهذا سميته (كتاب
 المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) * (وأما منفعة هذا الكتاب) فان الامر فيها يبين
 من الغرض في وضعه ومن عنوانه أعني أن منفعة هي أن يشرف المرء في زمن قصير على ما كان
 في أرض مصر من الحوادث والتغيرات في الازمنة المتطاولة والاعوام الكثيرة فتهدب بتدبر
 ذلك نفسه وترتاض أخلاقه فيحب الخير ويفعله ويكره الشر وتجنبه ويعرف فناء الدنيا
 فيحفظي بالاعراض عنها والاقبال على ما يبقى (وأما مرتبة هذا الكتاب) فانه من جملة أحد قسمي
 العلم اللذين هما العقلي والنقلي فينبغي أن يتفرغ لمطالعة وتدبر مواعظه بعد اتقان ما يجب معرفته

من العلوم الثقلية والعقلية فانه يحصل بتدبره لمن أزال الله أكنة قلبه وغشاوة بصره نتيجة العلم بما صار اليه أبناء جنسه بعد التحويل في الاموال والجنود من الفناء والبيود فاذا مرتبته بعد معرفة أقسام العلوم العقلية والثقلية ليعرف منه كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبل (وأما واضع هذا الكتاب ومرتبته) فاسمه أحمد بن علي بن عبد القادر ابن محمد ويعرف بالمقرئ رحمه الله تعالى ولد بالقاهرة المعزية من ديار مصر بعد سنة ستين وسبعمائة من سني الهجرة الحمديدية ورتبته من العلوم ما يدل عليه هذا الكتاب وغيره مما جمعه وألفه (وأما من أى علم هذا الكتاب) فانه من علم الاخبار وبها عرفت شرائع الله تعالى التي شرعها وحفظت سنن أنبيائه ورسله ودون هداهم الذي يقتدى به من وفقه الله تعالى الى عبادته وهداه الى طاعته وحفظه من مخالفته وبها نقلت أخبار من مضى من الملوك والفراعنة وكيف حل بهم سخط الله تعالى لما أتوا ما نهوا عنه وبها اقتدر الخليفة من أبناء البشر على معرفة مادونوه من العلوم والصنائع وتأني لهم علم ماغاب عنهم من الاقطار الشاسعة والامصار النائية وغير ذلك مما لا ينكر فضله ولكل أمة من أمم العرب والعجم على تباين آرائهم واختلاف عقائدهم أخبار عندهم معروفة مشهورة ذائعة بينهم ولكل عصر من الامصار المعمورة حوادث قد مرت به يعرفها علماء ذلك العصر في كل عصر ولو استقصيت ما صنف علماء العرب والعجم في ذلك لتجاوز حد الكثرة وعجزت القدرة البشرية عن حصره (وأما أجزاء هذا الكتاب فانها سبعة) أولها يشتمل على جمل من أخبار أرض مصر وأحوال نيلها وخراجها وجبالها * وثانيها يشتمل على كثير من مدنها وأجناس أهلها * وثالثها يشتمل على أخبار فسطاط مصر ومن ملكها * ورابعها يشتمل على أخبار القاهرة وخلاتها وما كان لهم من الآثار * وخامسها يشتمل على ذكر ما أدركت عليه القاهرة وظواهرها من الاحوال * وسادسها يشتمل على ذكر قلعة الجبل وملوكها * وسابعها يشتمل على ذكر الاسباب التي نشأ عنها خراب أقليم مصر * وقد تضمن كل جزء من هذه الاجزاء السبعة عدة أقسام (وأما أى أنحاء التعاليم التي قصدت في هذا الكتاب) فاني سلكت فيه ثلاثة أنحاء . وهي النقل من الكتب المصنفة في العلوم . والرواية عن أدركت من شيخة العلم ووجهة الناس . والمشاهدة لما عاينته ورأيت * فأما النقل من دواوين العلماء التي صنفوها في أنواع العلوم فأني أعزو كل نقل الى الكتاب الذي نقلته منه لأخلص من عهدته وأبرأ من جريرته فكثيراً ممن ضمنى واياهم العصر واشتمل علينا مصر صار لقلعة اثرافه على العلوم وقصور باعه في معرفة علوم التاريخ وجهل مقالات الناس بهجم بالانكار على ما لا يعرفه ولو أنصف لعلم أن العجز من قبله وليس ما تضمنه هذا الكتاب من العلم الذي يقطع عليه ولا يحتاج في الشريعة اليه

وحسب العالم أن يعلم ما قيل في ذلك ويقف عليه * وأما الرواية عن أدركت من الجلة
والمشايخ فإني في الغالب والاكثر أصرح باسم من حدثني إلا أن لا يحتاج الى تعيينه أو
أكون قد أنسيته وقل ما يتفق مثل ذلك * وأما ما شاهدته فإني أرجو أن أكون والله الحمد
غير متهم ولا ظنين * وقد قلت في هذه الرؤس الثمانية ما فيه قنع وكفاية ولم يبق إلا أن أشعر
فيما قصدت وعزمي أن أجعل الكلام في كل خط من الاخطاط وفي كل أثر من الآثار على
حدة ليكون العلم بما يشتمل عليه من الاخبار أجمع وأكثر فائدة وأسهل تناولاً والله يهدي
من يشاء الى صراط مستقيم وفوق كل ذي علم عليم

(فصل) أول من رتب خطط مصر وآثارها وذكر أسبابها في ديوان جمعه أبو
عمر محمد بن يوسف الكندي ثم كتب بعده القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي
كتابه المنعوت بالمختار في ذكر الخطط والآثار ومات في سنة سبع وخمسين وأربعمائة
قبل سني الشدة فذكر أكثر ما ذكره ولم يبق إلا يجمع وموضع بلقع بما حل بمصر
من سني الشدة المستنصرية من سنة سبع وخمسين الى سنة أربع وستين وأربعمائة من
الغلاء والوباء ثلث أهلها وخربت ديارها وتغيرت أحوالها واستولى الخراب على عمل
فوق من الطرفين بجاني القسطاط الغربي والشرقي فأما الغربي فمن قنطرة بني وائل
حيث الوراقات الآن قريباً من باب القنطرة خارج مدينة مصر الى الشرف المعروف
الآن بالرصد وأنت مار الى القرافة الكبرى وأما الشرقي فمن طرف بركة الحبش التي
تلى القرافة نحو جامع أحمد بن طولون ثم دخل أمير الجيوش بدر الجمالي مصر
في سنة ست وستين وأربعمائة وهذه المواضع خاوية على عروشها خالية من سكانها
وأبنسها قد أبادهم الوباء والتباب وشتمهم الموت والخراب ولم يبق بمصر الا بقايا من الناس
كانهم أموات قد اصفرت وجوههم وتغيرت سحنهم من غلاء الاسعار وكثرة الخوف
من العسكرية وفساد طوائف العبيد والملححة ولم يجد من يزرع الاراضي هذا والطرق
قد انقطعت بحراً وبراً الا بالبخفارة وكلفة كثيرة وصارت القاهرة أيضاً ياباً دائرة قابح
للناس من العسكرية والملححة والارمن وكل من وصلت قدرته الى عمارة أن يعمر
ما شاء في القاهرة مما خلا من دور انفسطاط يموت أهلها فأخذ الناس في هدم المساكن ونحوها
بمصر وعمروا بها في القاهرة وكان هذا أول وقت اختط الناس فيه بالقاهرة ثم كان المنبه
بعد القضاعي على الخطط والتعريف بها تلميذه أبو عبد الله محمد بن بركات النحوي في
تأليف لطيف نبه فيه الافضل أبا القاسم شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالي على مواضع
قد اغتصبت وتملكت بعد ما كانت أحباساً ثم كتب الشريف محمد بن أسعد الجواني
كتاب النقط بعجم ما أشكل من الخطط نبه فيه على معالم قد جهلت وآثار قد دثرت

وآخر من كتب في ذلك القاضي تاج الدين محمد بن عبد الوهاب بن المتوج كتاب إيعاظ المتأمل وإيقاظ المتغفل في الخطط بين فيه جملا من أحوال مصر وخططها الى أعوام بضع وعشرين وسبعائة قد دثرت بعده معظم ذلك في وباء سنة تسع واربعين وسبعائة ثم في وباء سنة احدى وستين ثم في غلاء سنة ست وسبعين وسبعائة وكتب القاضي محي الدين عبد الله بن عبد الظاهر كتاب الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة ففتح فيه بابا كانت الحاجة داعية اليه ثم زایدت العمارة من بعده في الايام الناصرية محمد بن قلاوون بالقاهرة وظواهرها الى أن كادت تضيق على أهلها حتي حل بها وباء سنة تسع واربعين وسنة احدى وستين ثم غلاء سنة ست وسبعين فخرت بها عدة أما كن فلما كانت الحوادث والمحن من سنة ست وثمانمائة شمل الخراب القاهرة ومصر وعامة الاقليم وسأورد من ذكر الخطط ما تصل اليه قدرقي ان شاء الله تعالى

ذكر طرف من هيئة الافلاك

اعلم أنه لما كانت مصر قطعة من الارض تعين قبل التعريف بموقعها من الارض وتبين موضع الارض من الفلك أن أذكر طرفا من هيئة الافلاك ثم اذكر صورة الارض وموضع الاقاليم منها وأذكر محل مصر من الارض وموضعها من الاقاليم وأذكر حدودها واشتقاقها وفوائدها وعجائبها وكنوزها وأخلاق أهلها وأذكر نيلها وخليجها وكورها ومبلغ خراجها وغير ذلك مما يتعلق بها قبل الشروع في ذكر خطط مصر والقاهرة فأقول علم النجوم ثلاثة أقسام الاول معرفة تركيب الافلاك وكمية الكواكب واقسام البروج وابعادها وعظمها وحركتها ويقال لهذا القسم علم الهيئة والقسم الثاني علم الزيج وعلم التقويم والقسم الثالث معرفة كيفية الاستدلال بدوران الفلك وطوالع البروج على الحوادث قبل كونها ويسمي هذا القسم علم الاحكام والغرض هنا ايراد نبذ من علم الهيئة تكون توطئة لما يأتي ذكره * اعلم ان الكواكب أجسام كريات والذي أدرك منها الحكماء بالرصد الف كوكب وتسعة وعشرون كوكبا وهي على قسمين سيارة وثابتة فالسيارة سبعة وهي زحل والمشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر وقد نظمت في بيت واحد وهو

زحل شرى مريخه من شمس * قتراهت بعطارد الاقمار

ويقال لهذه السبعة الخنس وقيل انها التي عناها الله تعالى بقوله فلا أقسم بالخنس الجوارى الكنس والتي عناها الله تعالى بقوله فالمدبرات أمرا وقيل لها الخنس لاستقامتها في سيرها ورجوعها وقيل لها الكنس لانها تجرى في البروج ثم تكنس أي تستتر كما يكنس الظبي وقيل الكنس والخنس منها خمسة وهي ماسوى الشمس والقمر سميت بذلك من الانخاس وهو الانقباض وفي الحديث الشيطان نوسوس للبعد فاذا ذكر الله

خنس أى انقبض ورجع فيكون الخنس على هذا في الكواكب بمعنى الرجوع وسميت
 بالكنس من قولهم كنس الظي اذا دخل الكناس وهو مقره فالكنس على هذا في
 الكواكب بمعنى احتفائها تحت ضوء الشمس ويقال لهذه الكواكب المتحيرة لانها ترجع
 أحيانا عن سمت مسيرها بالحركة الشرقية وتتبع الغربية في رأى العين فيكون هذا
 الارتداد لها شبه التحير وهذه الاسماء التي لهذه الكواكب يقال انها مشتقة من صفاتها
 فزحل مشتق من زحل فلان اذا أبطأ سمي بذلك لبطء سيره وقيل للزحل والزحل
 الحقد وهو بزعمهم يدل على ذلك ويقال انه المراد في قوله تعالى والسماء والطارق وما
 أدراك ما الطارق النجم الثاقب والمشتري سمي بذلك لحسنه كانه اشترى الحسن لنفسه وقيل
 لانه نجم الشراء والبيع ودليل الربح والخسارة في قولهم والمريخ مأخوذ من المرخ وهو شجر
 يحترق بعض أغصانه ببعض فيورى نارا سمي بذلك لاجرامه وقيل المريخ سهم لاريش له
 اذا رمى به لا يستوى في بمره وكذا المريخ فيه التواء كثير في سيره ودلالته بزعمهم تشبه
 ذلك والشمس لما كانت واسطة بين ثلاثة كواكب علوية لانهم من فوقها وثلاثة سفلية لانهم
 من تحتها سميت بذلك لان الواسطة التي في الخنقة تسمى شمسة والزهرة من الزاهر وهو
 الابيض النير من كل شيء وعطارد هو النافذ في كل الامور ولذلك يقال له ايضا الكاتب
 فانه كثير التصرف مع ما يقارنه ويلابسه من الكواكب والقمر مأخوذ من القمره وهي
 البياض والاقمر الابيض ويقال لزحل كيوان وللمشتري تبر والبرجيس أيضا وللمريخ بهرام
 وللشمس مهر وللزهرة أياهيد وسدحت أيضا ولعطارد هرمس والقمر ماه وقد جمعت في
 بيت واحد وهو هذا

لازلت تبقى وترقى للعلا أبدا * ما دام للسبعة الافلاك احكام

مهر وماء وكيوان وتبر معا * وهرمس وأياهيد وبهرام

ويقال لما عدا هذه الكواكب السبعة من بقية نجوم السماء الكواكب الثابتة سميت بذلك
 لثباتها في الفلك بموضع واحد وقيل لبطء حركتها فانها تقطع الفلك بزعمهم بعد كل ستة
 وثلاثين ألف سنة شمسية مرة واحدة * ولكل كوكب من الكواكب السبعة السيارة
 فلك من الافلاك يخصه والافلاك أجسام كريات مشفات بعضها في جوف بعض وهي
 تسعة أقربها اليها فلك القمر وبعده فلك عطارد ثم بعده فلك الزهرة وبعده فلك الشمس
 وفوقه فلك المريخ ثم فلك المشتري وفوقه فلك زحل ثم فلك الثوابت وفيه كل كوكب
 يرى في السماء سوى السبعة السيارة ومن فوق فلك الثوابت الفلك المحيط وهو الفلك
 التاسع ويسمي الاطلس وفلك الافلاك وفلك الكل وقد اختلف في الافلاك فليل هي
 السموات وقيل بل السموات غيرها وقيل بل هي كرية وقيل غير ذلك وقيل الفلك

الثامن هو الكرسي والفلك التاسع هو العرش وقيل غير ذلك وهذا الفلك التاسع دائم الدوران كالدولاب ويدور في كل أربعة وعشرين ساعة مستوية دورة واحدة ودورانه يكون أبداً من المشرق الى المغرب ويدور بدورانه جميع الافلاك الثمانية وما حوته من السكواكب دورانا حركته قسرية لادارة التاسع لها وعن حركة التاسع المذكور يكون الليل والنهار فالنهار مدة بقاء الشمس فوق أفق الارض والليل مدة غيوبة الشمس تحت أفق الارض وفلك السكواكب الثابتة مقسوم باثني عشر قسما كحجر البطيخة كل قسم منها يقال له برج وهي الحمل • والثور • والجوزاء • السرطان • الاسد • السنبلة • والميزان • والعقرب والقوس • والجدي • والدلو • والحوت • وكل برج من هذه البروج الاثني عشر ينقسم ثلاثين قسما يقال لكل قسم منها درجة وكل درجة من هذه الثلاثين مقسومة ستين قسما يقال لكل قسم منها دقيقة وكل دقيقة من هذه الستين مقسومة ستين قسما يقال لكل قسم منها ثانية وهكذا الى الثوالت والروابع والخوامس الى الثواني عشر وما فوقها من الاجزاء وكل ثلاثة بروج تسمى فصلا فالزمان على ذلك أربعة فصول وهي الربيع والصيف والخريف والشتاء * وجهات الاقطار أربعة الشرق والغرب والشمال والجنوب * والاركان أربعة النار • والهواء • الماء • والتراب * والطبائع أربعة الحرارة • البرودة • الرطوبة • واليبوسة • والاخلاط أربعة الصفراء • السوداء • والبلغم • والدم والرياح أربعة الصبا • والدفور والشمال • والجنوب * فالبروج منها ثلاثة ربيعية صاعدة في الشمال زائدة النهار على الليل وهي الحمل والثور والجوزاء وثلاثة خريفية هابطة في الشمال آخذة الليل من النهار وهي السرطان والاسد والسنبلة وثلاثة شتوية صاعدة في الجنوب زائدة الليل على النهار وهي الميزان والعقرب والقوس وثلاثة شتوية صاعدة في الجنوب آخذة النهار من الليل وهي الجدي والدلو والحوت * والفلك المحيط كما تقدم دائم الدوران كالدولاب يدور أبداً من المشرق الى المغرب فوق الارض ومن المغرب الى المشرق تحتها فيكون دائماً نصف الفلك وهو ستة بروج بمائة وثمانين درجة فوق الارض ونصفه الآخر وهو ستة بروج بمائة وثمانين درجة تحت الارض وكلما طلعت من أفق المشرق درجة من درجات الفلك التي عدتها ثلثمائة وستون درجة غرب نظيرها في أفق المغرب من البرج السابع فلا يزال دائماً ستة بروج طلوعها بالنهار وستة بروج طلوعها بالليل والافق عبارة عن الحد الفاصل من الارض بين المريئي والخفي من السماء والفلك يدور على قطبين شمالي وجنوبي كما يدور الحق على قطبي الجروطة ويقسم الفلك خط من دائرة تقسمه نصفين متساويين بعدهما من كلا القطبين سواء وتسمى هذه الدائرة دائرة معدل النهار فهي تقاطع فلك البروج ودائرة فلك البروج تقاطع دائرة معدل النهار ويميل نصفها الى الجانب الشمالي بقدر أربع وعشرين درجة تقريباً وهذا النصف

فيه قسمة البروج الستة الشمالية وهي من أول الحمل الى آخر السنبلة ويميل نصفها الثاني عنها الى الجنوب بمثل ذلك وفيه قسمة البروج الستة الجنوبية وهي من أول برج الميزان الى آخر برج الحوت وموضع تقاطع هاتين الدائرتين أعنى دائرة معدل النهار ودائرة فلك البروج من الجاسين هما نقطتا الاعتدالين أعنى رأس الحمل ورأس الميزان ومدار الشمس والقمر وسائر النجوم على محاذة دائرة فلك البروج دون دائرة معدل النهار وتمر الشمس على دائرة معدل النهار عند حلولها بنقطتي الاعتدالين فقط لانهما موضع تقاطع الدائرتين وهذا هو خط الاستواء الذى لا يختلف فيه الزمان بزيادة الليل على النهار ولا النهار على الليل لان ميل الشمس عنه الى كلا الجانبين الشمالى والجنوبى سواء فالشمس تدور الفلك وتقطع الاثنى عشر برجاً في مدة ثلثمائة وخمسة وستين يوماً وربع يوم بالتقريب وهذه هى مدة السنة الشمسية وتقيم في كل برج ثلاثين يوماً وكسراً من يوم وتكون أبداً بالنهار ظاهرة فوق الارض وبالليل بخلاف ذلك واذا حلت في البروج الستة الشمالية التي هى الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة فتنها تكون مرتفعة في الهواء قريبة من سمت رؤسنا وذلك زمن فصل الربيع وفصل الصيف واذا حلت في البروج الجنوبية وهى الميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت كان فصل الخريف وفصل الشتاء والمحطت الشمس وبعدت عن سمت الرأس وزعم وهب بن منبه أن أول ما خلق الله تعالى من الازمنة الاربعة الشتاء فجعله بارداً رطباً وخلق الربيع فجعله حاراً رطباً وخلق الصيف فجعله حاراً يابساً وخلق الخريف فجعله بارداً يابساً وأول الفصول عند أهل زماننا الربيع ويكون فصل الربيع عند ما تتقل الشمس من برج الحوت وقد اختلف القدماء فى البداية من الفصول فمنهم من اختار فصل الربيع وخيره أول السنة ومنهم من اختار تقديم الانقلاب الصيفى ومنهم من اختار تقديم الاعتدال الخريفى ومنهم من اختار تقديم الانقلاب الشتوى فاذا حلت أول جزء من برج الحمل استوى الليل والنهار واعتدل الزمان وانصرف الشتاء ودخل الربيع وطاب الهواء وهب النسيم وذاب الثلج وسالت الاودية ومدت الانهار فيما عدا مصر ونبت العشب وطال الزرع ونما الحشيش وتلاّأ الزهر وأورق الشجر وتفتح النور واخضر وجه الارض ونتجت البهائم ودرت الضروع وأخرجت الارض زخرفها وازينت وصارت كصية شابة قد تزينت للناظرين ولله در القائل وهو الحافظ جمال الدين يوسف بن أحمد العمرى رحمه الله تعالى

واستشقوا هوا الربيع فانه * نعم النسيم وعنده الطاف
يقضى الجسوم نسيمه وكأنه * روح حواها جوهر شفاف

وقال ابن قتيبة ومن ذلك الربيع يذهب الناس الى أنه الفصل الذى يتبع الشتاء ويأتى فيه الثور والورد ولا يعرفون الربيع غيره والعرب تختلف فى ذلك فمنهم من يجعل الربيع

الفصل الذى تدرك فيه الثمار وهو الخريف وفصل الشتاء بعده ثم فصل الصيف بعده
الشتاء وهو الوقت الذى تدعوه العامة الربيع ثم فصل القيظ وهو الذى تدعوه العامة
الصيف ومن العرب من يسمي الفصل الذى يعتدل وتدرك فيه الثمار وهو الخريف
الربيع الاول ويسمى الفصل الذى يتلوه الشتاء ويأتي فيه السكام والتور الربيع الثاني وكلهم
مجمعون على أن الربيع هو الخريف فاذا حلت الشمس آخر برج الجوزاء وأول برج
السرطان تنهى طول النهار وتقصر الليل وابتداء نقص النهار وزيادة الليل وانصرم فصل
الربيع ودخل فصل الصيف واشتد الحر وحى الهواء وهبت السائم ونقصت المياه الا بمصر
وبس العشب واستحكم الحب وأدرك حصاد الغلال ونضجت الثمار وسمنت البهائم واشتدت
قوة الابدان ودرت اخلاف النعم وصارت الارض كلها عروس فاذا بلغت آخر برج السنبلة
وأول برج الميزان تساوي الليل والنهار مرة ثانية وأخذ الليل في الزيادة والنهار في النقصان
وانصرم فصل الصيف ودخل فصل الخريف فبرد الهواء وهبت الرياح وتغير الزمان وحقت
الانهار وغارت العيون واصفر ورق الشجر وصرمت الثمار ودرست اليبادر واختزن الحب
واقفى العشب واغبر وجه الارض الا بمصر وهزلت البهائم وماتت الهوام وانحجرت
الحشرات وانصرف الطير والوحش يريد البلاد الدافئة وأخذ الناس يخزنون القوت للشتاء
وصارت الدنيا كأنها امرأة كهلة قد أدبرت وأخذ شبابه يولى والله در القائل وهو الامام
عز الدين أبو الحسن أحمد بن على بن معقل الازدى المهلبى الحمصى حيث يقول

لله فصل الخريف المستلذ به * برد الهواء لقد أبدى لنا عجا

أهدي الى الارض من أوراقه ذهباً * والارض من شأنها أن تهدي الذهباً

وقال أيضاً لله فصل الخريف فصلاً * رقت حواشيه فهو رائق

فالما يجرى من قلب سبال * والدمع يبدو بوجه عاشق

فبرد هذا ولون هذا * يلذه ذائق وواق

وقال أيضاً أتى فصل الخريف بكل طيب * وحسن معجب قلباً وعينا

أرانا الدوح مصفراً نضاراً * وصافى الماء مبيضاً لجينا

فأحسن كل احسان لنا * وأنعم كل انعام علينا

وقال آخر يذم الخريف

خذ في التدثر في الخريف فانه * مستوبل ونسيمه خطاف

يجرى مع الاجسام جرى حياتها * كصديقها ومن الصديق يخاف

وقال آخر يا عابثاً فصل الخريف وغائباً * عن فضله في ذمه لزمانه

لا شيء ألطف منه عندى موقماً * أبداً يعري الغصن من قصانه

وتراه يفرش تحته أثوابه * فاعجب لراقته وفرط خنانه
والذ ساعات الوصال اذا دنا * وقت الرحيل وحان حين أوانه

فاذا حلت الشمس آخر برج القوس وأول برج الجدى تناهي طول الليل وقصر
النهار وأخذ النهار في الزيادة والليل في التقصان وانصرم فصل الحريف وحل فصل الشتاء
واشتد البرد وخنش الهواء وتساقط ورق الشجر ومات أكثر النبات وغارت الحيوانات
في جوف الأرض وضعف قوى الابدان وعرى وجه الأرض من الزينة ونشأت القيوم
وكثرت الانداء وأظلم الجو وكالج وجه الأرض الا بمصر وامتنع الناس من التصرف وصارت
الدنيا كأنها عجوز هزلة قد دنا منها الموت فاذا بلغت آخر برج الحوت وأول برج الحمل عاد
الزمان كما كان عام أول وهذا دأبه ذلك تقدير العزيز العليم وتدير الخبير الحكيم لا اله
الا هو وقد شبه بطليموس فصل الربيع بزمان العفولية وفصل الصيف بالشباب والحريف
بالكهولة والشتاء بالشيخوخة . وعن حركة الشمس وتنقلها في البروج الاثني عشر المذكورة
تكون أزمان السنة وأوقات اليوم من الليل والنهار وساعاتها وعن حركة القمر في البروج
الاثني عشر تكون الشهور القمرية والسنة القمرية فالقمر يدور البروج الاثني عشر ويقطع
الفلك كله في مدة ثمانية وعشرين يوما وبعض يوم ويقع في كل برج يومين وثلاث يوم
بالتقريب ويقع في كل منزلة من منازل القمر الثمانية والعشرين منزلة يوما وليلة فيظهر عند
اهلاله من ناحية الغرب بعد غروب جرم الشمس ويزيد نوره في كل ليلة قدر نصف سبع
حتى يكمل نوره ويمتلئ في ليلة الرابع عشر من اهلاله ثم يأخذ من الليلة الخامسة عشر
في التقصان فينقص من نوره في كل ليلة نصف سبع كما بدا الى أن يحق نوره في آخر
الثمانية وعشرين يوما من اهلاله ويمر في هذه المدة منذ يفارق الشمس ويبعد في ناحية
الغرب ويستمر الى أن يجامعها ثمانية وعشرين منزلة وهي السرطان والبطين والثريا والدبران
والهقعة والهنة والذراع والنثرة والطرف والجمبة والزبرة والصرفة والعوا والسمك والغفر
والزبانا والاكيل والقلب والشولة والنعام والبلدة وسعد الذابج وسعد بلع وسعد السعود
وسعد الاخبية والفرع المقدم والفرع المؤخر وبطن الحوت * والحساب ذلك كتب موضوعة
وفيا ذكر كفاية والله يعلم وأتم لا تعلمون

ذكر صورة الأرض وموضع الاقاليم منها

ولما تقدم في الافلاك من القول ما يتبين به لمن ألهه الله تعالى كيف تكون الحركة التي بها
الليل والنهار وتركب الشهور والاعوام منهما جاز حينئذ الكلام على الأرض فأقول * الجهات
من حيث هي ست الشرق وهو حيث تطلع الشمس والقمر وسائر الكواكب في كل قطر
من الافق والغرب وهو حيث تغرب والشمال وهو حيث مدار الجدي والفرقدين

والجنوب وهو حيث مدار سهيل والفوق وهو مما يلي السماء وانتهت وهو مما يلي مركز الأرض * والأرض جسم مستدير كالكرة وقيل ليست بكرة الشكل وهي واقفة في الهواء بجميع حياها وبحارها وعامرها وغامرها والهواء محيط بها من جميع جهاتها كالمخ في جوف البيضة وبعدها من السماء متساو من جميع الجهات وأسفل الأرض ما تحقيقه هو عمق باطنها مما يلي مركزها من أى جانب كان ذهب الجمهور الى أن الأرض كائكة موضوعة في جوف الفلك كالمخ في البيضة وأنها في الوسط وبعدها في الفلك من جميع الجهات على التساوي وزعم هشام بن الحكم أن تحت الأرض جسما من شأنه الارتفاع وهو المانع للأرض من الانحدار وهو ليس محتاجا الى ما بعده لانه ليس يطلب الانحدار بل الارتفاع وقال ان الله تعالى وقفها بلا عمد وقال ريمقرطس انها تقوم على الماء وقد حصر الماء تحتها حتى لا يجد مخرجا فيضطر الى الانتقال وقال آخري واقفة على الوسط على مقدار واحد من كل جانب والفلك يجذبها من كل وجه فلذلك لا تميل الى ناحية من الفلك دون ناحية لان قوة الاجزاء متكافئة وذلك كحجر المغناطيس في جذب الحديد فان الفلك بالطبع مغناطيس الأرض فهو يجذبها فهي واقفة في الوسط وسبب وقوفها في الوسط سرعة تدبير الفلك ودفعه اياها من كل جهة الى الوسط كما اذا وضعت ترابا في قارورة وأدريتها بقوة فان التراب يقوم في الوسط وقال محمد بن أحمد الخوارزمي الأرض في وسط السماء والوسط هو السفلى بالحقيقة وهي مدورة مخرسة من جهة الجبال البارزة والوهاد الغائرة وذلك لا يخرجها عن الكرية اذا اعتبرت جملتها لان مقادير الجبال وان شمعحت يسيرة بالقياس الى كرة الأرض فان الكرة التي قطرها ذراع أو ذراعان مثلا اذا نأى منها شيء أو غار فيها لا يخرجها عن الكرية ولا هذه التضاريس لاحاطة الماء بها من جميع جوانبها وغمرها بحيث لا يظهر منها شيء فحينئذ تبطل الحكمة المؤدية المودعة في المعادن والنبات والحيوان فسبحان من لا يعلم أسرار حكمه الا هو * وأما سطحها الظاهر المماس للهواء من جميع الجهات فانه فوق والهواء فوق الأرض يحيط بها ويجذبها من سائر الجهات وفوق الهواء الافلاك المذكورة فيما تقدم واحدا فوق آخر الى الفلك التاسع الذي هو أعلى الافلاك ونهاية المخلوقات بأسرها وقد اختلف فيما وراء ذلك فقيل خلاء وقيل ملاء وقيل لا خلاء ولا ملاء وكل موضع يقف فيه الانسان من سطح الأرض فان رأسه أبدا يكون مما يلي السماء الى فوق ورجلاه أبدا تكون أسفل مما يلي مركز الأرض وهو دائما يرى من السماء نصفها ويستتر عنه النصف الآخر حذبة الأرض وكما انتقل من موضع الى آخر ظهر له من السماء بقدر ما خفي عنه . والأرض غامرة بالماء كغلبة طافية فوق الماء قد انحسر عنها نحو النصف وانغمز النصف الآخري في الأرض وصار المتكشف من الأرض نصفين كأنما قسم بخط مسامت لخط معدل النهار يمر تحت دائرته

وجميع البلاد التي على هذا الخط لاعرض لها البتة والقطبان غير مرتين فيها ويكونان هناك على دائرة الافق من الجانبين وكلما بعد موضع بلد عن هذا الخط الى ناحية الشمال قدر درجة ارتفع القطب الشمالي الذي هو الجدى على أهل ذلك البلد درجة وانخفض القطب الجنوبي الذي هو سهيل درجة وهكذا ما زاد ويكون الامر فيما بعد من البلاد الواقعة في ناحية الجنوب كذلك من ارتفاع القطب الجنوبي وانحطاط القطب الشمالي وبهذا عرف عرض البلدان وصار عرض البلد عبارة عن ميل دائرة معدل النهار عن سمت رؤس أهلها وارتفاع القطب عليهم وهو أيضا بعد ما بين سمت رؤس أهل ذلك البلد وسمت رؤس أهل بلد لاعرض له فأما ما انكشف من الارض مما يلي الجنوب من خط الاستواء فانه خراب والنصف الآخر الذي يلي الشمال من خط الاستواء فهو الربع العامر وهو المسكون من الارض وخط الاستواء لا وجود له في الخارج واما هو فرض بوهما أنه خط ابتداء من المشرق الى المغرب تحت مدار رأس الحمل وسمى بذلك من أجل أن النهار والليل هناك ابدًا سواء لا يزيد ولا ينقص أحدهما عن الآخر شيئاً البتة في سائر أوقات السنة كلها ونقطتنا هذا الخط ملازمان للافق أحدهما على مدار سهيل في ناحية الجنوب والاخرى مما يلي الجدى في ناحية الشمال * والعمارة من المشرق الى المغرب مائة وثمانون درجة من الجنوب الى الشمال من خط أريس الى بنات نعلش ثمان وأربعون درجة وهو مقدار ميل الشمس مرتين وخلف خط أريس وهو مقدار ستة عشر درجة وجملة المعمور الارض نحو من سبعين درجة لاعتدال مسير الشمس في هذا الوسط ومرورها على ما وراء الحمل والميزان مرتين في السنة وأما الشمال والجنوب فالشمس لا تحاذيهما الا مرة واحدة ولان اوج الشمس مرتين في جهة الشمال كانت العمارة فيه لا ارتفاعها وانقضاء ضرورتها غير ساكنة ولان حضيضها في الجنوب عدمت العمارة هناك * وقد اختلف الناس في مسافة الارض ف قيل مسافتها خمسمائة عام ثلث عمران وثلث خراب وثلث بحار وقيل المعمور من الارض مائة وعشرون سنة تسعون ليا جوج وما جوج واثنان عشر للسودان وثمانية للروم وثلاثة للعرب وسبعة لسائر الأمم وقيل الدنيا سبعة أجزاء ستة ليا جوج وما جوج وواحد لسائر الناس وقيل الارض خمسمائة عام البحار ثلثمائة ومائة خراب ومائة عمران وقيل الارض أربعة وعشرون ألف فرسخ للسودان اثنان عشر ألف وللروم ثمانية آلاف وللفارس ثلاثة آلاف وللعرب ألف * وعن وهب بن منبه ما للعمارة من الدنيا في الخراب الا كفسطاط في الصحراء وقال ازدشير بن تايك الارض أربعة أجزاء جزء منها للترك وجزء للعرب وجزء للفرس وجزء للسودان وقيل الاقاليم سبعة والاطراف أربعة والنواحي خمسة وأربعون والمدائن عشرة آلاف والرساتيق مائتا الف وستة وخمسون ألفا وقيل المدن والحصون أحد وعشرون ألفا وستمائة مدينة وحصن في الاقليم الاول

ثلاثة آلاف ومائة مدينة كبيرة وفي الثاني ألفان وسبع مائة وثلاثة عشر مدينة وقرية كبيرة وفي الثالث ثلاثة آلاف وتسع وسبعون مدينة وقرية وفي الرابع وهو بابل أثنان وتسعمائة وأربع وسبعون مدينة وفي الخامس ثلاثة آلاف مدينة وست مائة وفي السادس ثلاثة آلاف وأربعمائة وثمان مدن وفي السابع ثلاثة آلاف وثلاثمائة مدينة في الجزائر وقال الخوارزمي قطر الأرض سبعة آلاف فرسخ وهو نصف سدس الأرض والجبال والمنازل والبحار والباقي خراب يباب لا نبات فيه ولا حيوان وقيل المعمور من الأرض مثل طائر رأسه الصين والجنح الأيمن الهند والسند والجنح الأيسر الخزر وصدرة مكة والعراق والشام ومصر وذنبه الغرب • وقيل قطر الأرض سبعة آلاف وأربعمائة وأربعة عشر ميلا ودورها عشرون ألف ميل وأربعمائة ميل وذلك جميع ما أحاطت به من بر وبحر وقال أبو زيد أحمد بن سهل البلخي طول الأرض من أقصى المشرق الى أقصى المغرب نحو أربعمائة مرحلة وعرضها من حيث العمران الذي من جهة الشمال وهو مساكن يأجوج ومأجوج الى حيث العمران الذي من جهة الجنوب وهو مساكن السودان مائتان وعشرون مرحلة وما بين براري يأجوج ومأجوج الى البحر المحيط في الشمال وما بين براري السودان والبحر المحيط في الجنوب خراب ليس فيه عمارة ويقال ان مسافة ذلك خمسة آلاف فرسخ وهذه أقوال لا دليل على صدقها • والطريق في معرفة مساحة الأرض أنألو سرنا على خط نصف النهار من الجنوب الى الشمال بقدر ميل دائرة معدل انهار عن سمت رؤسنا الى الجنوب درجة من درج الفلك التي هي جزء من ثلاثمائة وستين جزءا وارتفع القطب علينا درجة نظير تلك الدرجة فانا نعلم أنا قد قطعنا من محيط جرم الأرض جزءا من ثلاثمائة وستين جزءا وهو نظير ذلك الجزء من الفلك فلو قسمنا من ابتداء مسيرنا الى انتهاء مكاتنا الذي وصلنا اليه حيث ارتفع القطب علينا درجة فانا نجد حقيقة الدرجة الواحدة من الفلك قد قطعت من الأرض ستة وخمسين ميلا وثلاثي ميل عنها خمسة وعشرون فرسخا فادا ضربنا حصة الدرجة الواحدة وهو ما ذكر من الاميال في ثلاثمائة وستين خرج من الضرب عشرون ألفا وأربعمائة ميل وذلك مساحة دور الأرض فاذا قسمنا هذه الاميال التي هي مساحة دور الأرض على ثلاثة وسبع خرج من القسمة ستة آلاف وأربعمائة وأربعون ميلا وهي مساحة قطر الأرض فلو ضربنا هذا القطر في مبالغ دور الأرض بلغت مساحة بسط الأرض بالتكثير مائة ألف ألف واثنين وثلاثين ألف ألف وستمائة ألف ميل بالتقريب فعلى هذا مساحة ربع الأرض المسكون بالتكثير ثلاثة وثلاثون ألف ألف ميل ومائة وخمسون ألف ميل وعرض المسكون من هذا الربع بقدر بعد مدار السرطان عن القطب وهو خمسة وخمسون جزءا وسدس جزء وهذا هو سدس الأرض

واتهاؤه الى جزيرة تولى في برطانية وهى آخر المعمور من الشمال وهو من الاميال ثلاثة
 آلاف وسبعمائة وأربعة وستون ميلا فاذا ضربنا هذا السدس الذى هو مساحة عرض
 الارض في النصف وهو مقدار الطول كان المعمور من الشمال قدر نصف سدس الارض
 وأما الطول فانه يقل لتضايق أقسام كرة الارض ومقداره مثل خمس الدور وهو بالتقريب
 أربعة آلاف وثمانون ميلا وفي الربع المسكون من الارض سبعة أبحر كبار وفي كل بحر منها عدة
 جزائر وفيه خمسة عشر بحيرة منها ملح وعذب وفيه مائتا جبل طوال ومائتا نهر وأربعون
 نهرا طوالا ويشتمل على سبعة أقاليم تحتوى على سبعة عشر ألف مدينة كبيرة * وقال في
 كتاب هروشيوس لما استقامت طاعة بوليس الملقب قيصر الملك في عامة الدنيا تخير أربعة
 من الفلاسفة سماهم فأمرهم أن يأخذوا له وصف حدود الدنيا وعدة بحارها وكورها أربعا
 فولى أحدهم أخذ وصف جزء المشرق وولى آخر أخذ وصف جزء المغرب وولى الثالث
 أخذ وصف جزء الشمال وولى الرابع أخذ وصف جزء الجنوب فتمت كتابة الجميع على
 أيديهم في نحو من ثلاثين سنة فكانت جملة البحار المماسة في الدنيا تسعة وعشرين بحرا
 قد سموها منها بحراء المشرق ثمانية وبحراء الغرب ثمانية وبحراء الشمال أحد عشر وبحراء الجنوب
 اثنان وعدة الجزائر المعروفة الامهات إحدى وسبعون جزيرة منها في المشرق ثمان وفي
 الغرب ست عشرة وفي جهة الشمال إحدى وثلاثون وفي جهة الجنوب ست عشرة وعدة الحيات
 الكبار المعروفة في جميع الدنيا ستة وثلاثون وهى أمهات الحيات وقد سموها فيما فسروه
 منها في جهة المشرق سبعة وفي جهة الغرب خمسة عشر وفي الشمال اثنا عشر وفي الجنوب
 اثنان والبلدان الكبار ثلاثة وستون منها في المشرق سبعة وفي المغرب خمسة وعشرون وفي
 الشمال تسعة عشر وفي الجنوب اثنا عشر وقد سموها والكور الكبار المعروفة تسع ومائتان
 منها في المشرق خمس وسبعون وفي المغرب ست وستون وفي الشمال ست وفي الجنوب اثنان
 وستون والانهار الكبار المعروفة في جميع الدنيا ستة وخمسون منها لجزء المشرق سبعة عشر
 وجزء الغرب ثلاثة عشر وجزء الشمال تسعة عشر وجزء الجنوب سبعة والأقاليم السبعة كل إقليم
 منها كانه بساط مقروش قد مد طولُه من المشرق الى الغرب وعرضه من الشمال الى الجنوب
 وهذه الأقاليم مختلفة الطول والعرض فالإقليم الاول منها يمر وسطه بالمواضع التي طول نهارها
 الاطول ثلاثة عشر ساعة والسابع منها يمر وسطه بالمواضع التي طول نهارها الاطول ست
 عشر ساعة لان ما حاذى حد الإقليم الاول الى نحو الجنوب يشتمل عليه البحر ولا عمارة
 فيه وما حاذى الإقليم السابع الى الشمال لا يعلم فيه عمارة فجعل طول الأقاليم السبعة من
 المشرق الى الغرب مسافة اثني عشرة ساعة من دور الفلك وصارت عروضها تتفاضل نصف
 ساعه من ساعات النهار الاطول فأطولها وأعرضها الاقليم الاول وطوله من المشرق الى

المغرب نحو ثلاثة آلاف فرسخ وعرضه من الشمال الى الجنوب مائة وخمسون فرسخاً وأقصرها طولاً وعرضاً الاقليم السابع وطوله من الشرق الى الغرب ألف وخمسمائة فرسخ وعرضه من الشمال الى الجنوب نحو من سبعين فرسخاً وبقية الاقاليم الخمسة فيما بين ذلك وهذه الاقاليم خطوط متوهمة لا وجود لها في الخارج وضعها القدماء الذين جالوا في الارض ليقفوا على حقيقة حدودها ويطبقوا مواضع البلدان منها ويعرفوا طرق مسالكها هذا حال الربع المسكون وأما الثلاثة الارباع الباقية فانها خراب فجأة الشمال واقعة تحت مدار الجدى قد أفرط هناك البرد وصارت ستة أشهر ليلاً مستمرا وهي مدة الشتاء عندهم لا يعرف فيها نهار ويظلم الهواء ظلمة شديدة وتجمد المياه لقوة البرد فلا يكون هناك نبات ولا حيوان ويقابل هذه الجهة الشمالية ناحية الجنوب حيث مدار سهيل فيكون النهار ستة أشهر بغير ليل وهي مدة الصيف عندهم فيحمر الهواء ويصير سموماً محرقاً يهلك بشدة حره الحيوان والنبات فلا يمكن سلوكه ولا السكنى فيه وأما ناحية الغرب فيمنع البحر المحيط من السلوك فيه لتلاطم أمواجه وشدة ظلماته وناحية الشرق تمنع من سلوك الجبال الشاخمة وصار الناس أجمعهم قد انحصرُوا في الربع المسكون من الارض ولا علم لاحد منهم بالارض أى بالثلاثة الارباع الباقية والارض كلها بجميع ما عليها من الجبال والبحار نسبتها الى الفلك كنقطة في دائرة وقد اعتبرت حدود الاقاليم السبعة بساعات النهار وذلك أن الشمس اذا حلت برأس الحمل تساوى طول النهار والليل في سائر الاقاليم كلها فاذا انتقلت في درجات برج الحمل والثور والجوزاء اختلفت ساعات نهار كل إقليم فاذا بلغت آخر الجوزاء وأول برج السرطان بلغ طول النهار في وسط الاقليم الاول ثلاث عشرة ساعة سواء وصارت في وسط الاقليم الثاني ثلاث عشرة ساعة ونصف وفي وسط الاقليم الثالث اربع عشرة ساعة وفي وسط الاقليم الرابع اربع عشرة ساعة ونصف وفي وسط الاقليم الخامس خمس عشرة ساعة وفي وسط الاقليم السادس خمس عشرة ساعة ونصف وفي وسط الاقليم السابع ست عشرة ساعة سواء وما زاد على ذلك الى عرض تسعين درجة يصير نهاراً كله * ومعنى طول البلد هو بعدها من أقصى العمارة في الغرب وعرضها هو بعدها عن خط الاستواء وخط الاستواء كما تقدم هو الموضع الذي يكون فيه الليل والنهار طول الزمان سواء فكل بلد على هذا الخط لا عرض له وكل بلد في أقصى الغرب لا طول له ومن أقصى الغرب الى أقصى الشرق مائة وثمانون درجة وكل بلد يكون طوله تسعين درجة فانه في وسط ما بين الشرق والغرب وكل بلد كان طوله أقل من تسعين درجة فانه أقرب الى الغرب وأبعد من الشرق وما كان طوله من البلاد أكثر من تسعين درجة فانه أبعد عن الغرب وأقرب الى الشرق * وقد ذكر القدماء أن العالم السفلي مقسوم سبعة أقسام كل قسم يقال له إقليم فاقليم

الهند لنحل وأقليم بابل للمشتري وأقليم الترك للمريخ وأقليم الروم للشمس وأقليم مصر لعطارد
 وأقليم الصين للقمر • وقال قوم الحمل والمشتري لبابل والجدي وعطارد للهند والاسد والمريخ
 للترك والميزان والشمس للروم ثم صارت السنة على اثني عشر برجاً فالحمل ومثلاه للمشرق
 والثور ومثلاه للجنوب والجوزاء ومثلاها للمغرب والسرطان ومثلاه للشمال قالوا وفي
 كل أقليم مدينتان عظيمتان يحسب بين كل كوكب الاقليم الشمس وأقليم القمر فانه ليس
 في كل اقليم منهما سوى مدينة واحدة عظيمة وجميع مدائن الاقليم السبعة وحصونها أحد
 وعشرون ألف مدينة وستمائة مدينة وحصن بقدر دقائق درج الفلك وقال هرمس اذا جعلت
 هذه الدقائق روابيع كانت أناس هذه الاقاليم واذا مات أحد ولد نظيره ويقال ان عدد مدن
 الاقليم الاول من مطلع الشمس وقراها ثلاثة آلاف ومائة مدينة وقرية كبيرة وأن في الثاني
 ألفان وسبعمائة وثلاث عشرة مدينة وقرية كبيرة وفي الثالث ثلاثة آلاف وتسع وسبعون
 وفي الرابع وهو بابل ألفان وتسعمائة وأربع وسبعون وفي الخامس ثلاثة آلاف وست
 مدن وفي السادس ثلاثة آلاف وأربعمائة وثمان مدن وفي السابع ثلاثة آلاف وثلاثمائة
 مدينة وقرية كبيرة في الجزائر • فالاقليم الاول يمر وسطه بالمواضع التي طول نهارها الاطول
 ثلاث عشرة ساعة ويرتفع القطب الشمالي فيها عن الافق ست عشرة درجة وثلاثا درجة وهو
 العرض وانتهاء عرض هذا الاقليم من حيث يكون طول النهار الاطول فيه ثلاث عشرة
 ساعة وربع ساعة وارتفاع القطب الشمالي وهو العرض عشرون درجة ونصف درجة وهو
 مسافة أربعمائة وأربعين ميلا وابتداءه من أقصى بلاد الصين فيمر فيها الى ما يلي الجنوب
 ويمر بسواحل الهند ثم ببلاد السند ويمر في البحر على جزيرة العرب وأرض اليمن ويقطع
 بحر القلزم فيمر ببلاد الحبشة ويقطع نيل مصر الى بلاد الحبشة ومدينة دنقة من أرض
 النوبة ويمر في أرض المغرب على جنوب بلاد البربر الى نحو البحر المحيط وفي هذا الاقليم عشرون
 جبلا فيها ما طوله من عشرين فرسخا الى ألف فرسخ وفيه ثلاثون نهرا طولا منها ما طوله
 ألف فرسخ الى عشرين فرسخا وفيه خمسون مدينة كبيرة وعامة أهل هذا الاقليم سود
 الالوان ولهذا الاقليم من البروج الحمل والقوس وله من الكواكب السيارة المشتري وهو
 مع فرط حرارته كثير المياه كثير المروج وزرع أهله الذرة والارز الا أن الاعتدال عندهم
 معدوم فلا يثمر عندهم كرم ولا خضرة والبقر عندهم كثير لكثرة المروج وفي مشرقه البحر
 الخارج وراء خط الاستواء بثلاث عشرة درجة وفي مغربه النيل وبحر العرب ومن هذا الاقليم
 يأتي نيل مصر وشرقهم معمور بالبحر الشرقي الذي هو بحر الهند واليمن • والاقليم الثاني حيث
 يكون طول النهار الاطول ثلاث عشرة ساعة ونصف ويرتفع القطب الشمالي فيه قدر أربعة
 وعشرين جزءاً وعشر جزء وعرضه من حد الاقليم الاول الى حيث يكون النهار الاطول

ثلاث عشرة ساعة ونصف وربع ساعة وارتفاع القطب الشمالى وهو العرض سبعة وعشرون درجة ونصف درجة ومساحة هذا الاقليم أربعمئة ميل ويبتدىء من بلاد الشرق مارا ببلاد الصين الى بلاد الهند والسند ثم يملتى البحر الاخضر وبحر البصرة ويقطع جزيرة العرب في أرض نجد وتهامة فيدخل في هذا الاقليم النجاة والبحران وهجر ومكة والمدينة والطائف وأرض الحجاز ويقطع بحر القلزم فيمر بصعيد مصر الاعلى ويقطع النيل فيصير فيه مدينة قوص واخميم واسنى وانصنا واسوان ويمر في أرض المغرب على وسط بلاد افريقية فيمر على بلاد البربر الى البحر في المغرب وفي هذا الاقليم سبعة عشر جبلا وسبعة عشر نهرا طوالا وأربعمئة وخمسون مدينة كبيرة وألوان أهل هذا الاقليم مابين السمرة والسواد وله من البروج الجدي ومن السيارة زحل ويسكن هذا الاقليم الرحالة ففي المغرب منهم حداله وصنهاجه ولتونه ومسوفه ويتصل بهم رحالة مصر من الواح وفي هذا الاقليم يكون يحل وفيه مكة والمدينة ومن السماوة من أهل العراق الى رحاله الترك * والاقليم الثالث وسطه حيث يكون طول النهار الاطول اربع عشرة ساعة وارتفاع القطب وهو العرض ثلاثون درجة ونصف وخمس درجة وعرض هذا الاقليم من حد الاقليم الثانى الى حيث يكون النهار الاطول اربع عشرة ساعة وربع ساعة وارتفاع القطب وهو العرض ثلاث وثلاثون درجة ومسافته ثلاثمئة وخمسون ميلا ويبتدىء من الشرق فيمر بشمال الصين وبلاد الهند وفيه مدينة الهندهار ثم بشمال السند وبلاد كابل وكرمان وسجستان الى سواحل بحر البصرة وفيه اصطخر وسابور وشيراز وسيراف ويمر بالاهاواز والعراق والبصرة وواسط وبغداد والسكوفة والانبار وهيت ويمر ببلاد الشام الى سامية وصور وعكا ودمشق وطبرية وقيسارية وبيت المقدس وعسقلان وغزة ومدين والقلزم ويقطع أسفل أرض مصر من شمال انصنا الى فسطاط مصر وسواحل البحر وفيه الفيوم والاسكندرية والعرا وتيس ودمياط ويمر ببلاد برقة الى افريقية فيدخل فيه القيروان وينتهى في البحر الى الغرب وبهذا الاقليم ثلاث وثلاثون جبلا كبارا واثنا عشر ونهر اطوالا ومئة وثمانية وعشرون مدينة وأهلهم سمر الألوان وله من البروج العقرب ومن السيارة الزهرة وفي هذا الاقليم العمائر المتواصلة من أوله الى آخره اه * والاقليم الرابع وسطه حيث يكون النهار الاطول اربع عشرة ساعة ونصف ساعة وارتفاع القطب الشمالى وهو العرض ست وثلاثون درجة وخمس درجة وحد هذا الاقليم من حد الاقليم الثالث الى حيث يكون النهار الاطول اربع عشرة ساعة ونصف وربع ساعة والعرض تسعا وعشرين درجة وثلاث درجة ومسافة هذا الاقليم ثلاثمئة ميل ويبتدىء من الشرق فيمر ببلاد البيت وخراسان وحججند وفرغانه وسمرقند وبخاري وهرام ومرو والرود وسرخس وطوس ونيسابور وجرجان وقومس وطبرستان

وقزوين والديلم والرى وأصفهان وهمدان ونها وند ودينور والموصل ونصيبين وآمدوراس
العين وشميساط والركة ويعر ببلاد الشام فيدخل فيه بالس ومسح وملطية وحلب وانطاكية
وطرابلس والصيصة وحماة وصيدا وطرسوس وعمورية واللاذقية ويقطع بحر الشام على
جزيرة قبرس ورودس ويعر ببلاد طنجة فينتهي الى بحر المغرب وفي هذا الاقليم خمسة وعشرون
جبلًا كبارا وخمسة وعشرون نهرا طوالا ومائتا مدينة وأثنى عشرة مدينة وألوان أهلها ما
بين السمرة والبياض وله من البروج الجوزاء ومن السيارة عطارد وفيه البحر الرومي من
مغربه الى القسطنطينية ومن هذا الاقليم ظهرت الانبياء والرسول صلوات الله عليهم
أجمعين ومنه انتشر الحكماء والعلماء فانه وسط الاقليم ثلاثة جنوبية وثلاثة شمالية وهو في
قسم الشمس وبعده في الفضيلة الاقليم الثالث والخامس فانهما على جنبيه وبقية الاقليم منحطة
أهلها ناقصون ومنحطون عن الفضيلة لسماجة صورهم وتوحش أخلاقهم كالزنج والحبشة
وأكثر أمم الاقليم الاول والثاني والسادس والسابع يأجوج ومأجوج والتغرغز والصقالبة
ونحوهم * والاقليم الخامس وسطه حيث يكون النهار الاطول خمس عشرة ساعة وارتفاع القطب
الشمالي وهو العرض احدى وأربعون درجة وثلاث درجة وابتدأؤه من نهاية عرض الاقليم
الرابع الى حيث يكون النهار الاطول خمس عشرة ساعة ونصف ساعة والعرض ثلاثا وأربعين
درجة ومسافته خمسون ومائتا ميل وبتسديء من المشرق الى بلاد يأجوج ومأجوج ويعر
بشمال خراسان وفيه خوارزم واسيدجباب واذريجان وبردعه وسجستان وأردن وخلاط
ويعر على بلاد الروم الى رومية الكبرى والاندلس حتى ينتهي الى البحر الذي في المغرب وفي
هذا الاقليم من الجبال الطوال ثلاثون جبلا ومن الانهار السكار خمسة عشر نهرا ومن
المدائن السكار مائتا مدينة وأكثر أهلها بيض الألوان وله من البروج الدلو ومن السيارة
القمر * والاقليم السادس وسطه حيث يكون النهار الاطول خمس عشرة ساعة ونصف ساعة
وارتفاع القطب الشمالي وهو العرض خمسا وأربعين درجة وخمسة درجة وابتدأؤه من حد
نهاية عرض الاقليم الخامس الى حيث يكون النهار الاطول خمس عشرة ساعة ونصف وربع
ساعة والعرض سبعا وأربعين درجة وربع درجة ومسافة هذا الاقليم مائتا ميل وعشرة أميال
وبتسديء من المشرق فيمر بمساكن الترك من أبحر خير والتغرغز الى بلاد الخزر من شمال
نجومهم على اللان والشرير وأرض برحان والقسطنطينية وشمال الاندلس الى البحر المحيط
الغربي وفي هذا الاقليم من الجبال الطوال اثنان وعشرون جبلا ومن الانهار الطوال اثنان
وثلاثون نهرا ومن المدن السكار تسعون مدينة وأكثر أهل هذا الاقليم ألوانهم ما بين الشقرة
والبياض وله من البروج السرطان ومن السيارة المربخ * والاقليم السابع وسطه حيث يكون
النهار الاطول ست عشرة ساعة سواء وارتفاع القطب الشمالي وهو العرض ثمانيا وأربعين درجة

وثاني درجة وابتداء هذا الاقليم من حد نهاية الاقليم السادس الى حيث يكون النهار الاطول ست عشرة ساعة وربع ساعة والعرض خمسين درجة ونصف درجة ومسافته مائة وخمسة وثمانون ميلا فتبين أن ما بين أول حد الاقليم الاول وآخر حد الاقليم السابع ثلاث ساعات ونصف وأن ارتفاع القطب الشمالي ثمانية وثلاثون درجة تكون من الاميال ألفين ومائة وأربعين ميلا ويبتدي الاقليم السابع من المشرق على بلاد يأجوج ومأجوج ويمر ببلاد الترك على سواحل بحر جرجان مما يلي الشمال ويقطع بحر الروم على بلاد جرجان والصقالة الى أن ينتهي الى البحر المحيط في المغرب وبهذا الاقليم عشرة جبال طولها وأربعون نهرا طوالا واثنان وعشرون مدينة كبيرة وأهلها شجر الالوان وله من البروج الميزان ومن السيارة الشمس وفي كل اقليم من هذه الاقليم السبعة أمم مختلفة الألسن والالوان وغير ذلك من الطبائع والاخلاق والآراء والديانات والمذاهب والمقائد والاعمال والصنائع والعادات والعبادات لا يشبه بعضهم بعضا وكذلك الحيوانات والمعادن والنبات مختلفة في الشكل والطعم واللون والريح بحسب اختلاف أهوية البلدان وتربة البقاع وعذوبة المياه وملوحتها على ما اقتضته طوابع كل بلد من البروج على أفقه وعمر الكواكب على مسامحة البقاع من الارض ومطارج شعاعاتها على المواضع كما هو مقرر في مواضعه من كتب الحكمة ليتدبر أولو النهي ويعتبر ذوو الحجة بتدبير الله في خلقه وتقديره لما يشاء وفعله لما يريد لا اله الا هو ومع ذلك فإن الربع المسكون من الارض على تفاوت أقطاره مقسوم بين سبع أمم كبار وهم الصين والهند والسودان والبربر والروم والترك والفرس فجنوب المشرق في يد الصين وشماله في يد الترك ووسط جنوب الارض في يد الهند وفي وسط شمال الارض الروم وفي جنوب مغرب الارض السودان وفي شمال مغرب الارض البربر وكانت الفرس في وسط هذه الممالك قد أحاطت بهم الأمم الست

ذكر محل مصر من الارض وموضعها من الاقسام السبعة

واذ يسر الله سبحانه بذكر محل أحوال الارض ومعرفة ما في كل اقليم من أقاليم الارض فلنذكر محل مصر من ذلك فنقول ديار مصر بعضها واقع في الاقليم الثاني وبعضها واقع في الاقليم الثالث فما كان منها في الصعيد الاعلى كقبوص واخميم واسني وأنصنا وأسوان فإن ذلك واقع في أقسام الاقليم الثاني وما كان من ديار مصر في جهة الشمال من أنصنا وهو الصعيد الادنى من سيوط الى فسطاط مصر والفيوم والقاهرة والاسكندرية والغرما وتيس ودمياط فإن ذلك من أقسام الاقليم الثالث وطول مدينة مصر الفسطاط والقاهرة وهو بعدها من أول العمارة في جهة المغرب خمس وخمسون درجة والعرض وهو البعد من خط الاستواء ثلاثون درجة وطول النهار الاطول أربع عشرة ساعة وغاية

ارتفاع الشمس في الفلك بها ثلاث وثمانون درجة وثلاث وربع درجة وفسطاط مصر مع القاهرة من مكة شرفها الله تعالى واقعان في الربع الجنوبي الشرقي والصعيد الاعلى اشد تشریفاً لبعده عن مدينة الفسطاط بأيام عديدة في جهة الجنوب فيكون على ذلك مقابلاً لمكة من غربها ومصر لا يتوصل اليها الا من مفازة ففي شرقها بحر القلزم من وراء الجبل الشرقي وفي غربها صحراء المغرب وفي جنوبها مفازة النوبة والحبشة وفي شمالها البحر الشامي والرمال التي فيما بين بحر الروم وبحر القلزم وبين مصر وبغداد على ما ذكره ابن جرداديه في كتاب المهالك والمسالك ألف وسبعمائة وعشرة أميال يكون خمسمائة وسبعين فرسخاً ومائة وبضعا وأربعين بريدًا وبين مصر والشام أعنى دمشق ثلاثمائة وخمسة وستون ميلاً تكون من الفراسخ مائة واحدى وعشرين فرسخاً وثاني فرسخ عنها ثلاثون بريدًا وكسر وقال ابن جرداديه أرض الحبشة والسودان مسيرة سبع سنين وأرض مصر جزء واحد من ستين جزءاً من أرض السودان وأرض السودان جزء واحد من الأرض كلها وفي كتاب هردوشيش بلد مصر الادنى شرقاً فلسطين وغربه أرض لبيسه وأرض مصر الاعلى تمتد الى ناحية الشرق وحدته في الشمال خليج العرب وفي الجنوب البحر المحيط وفي الغرب مصر الادنى وفي الشرق بحر القلزم وفيه من الاجناس ثمانية وعشرون جنساً

ذكر حدود مصر وجهاتها

اعلم أن التحديد هو صفة المحدود على ما هو عليه والحد هو نهاية الشيء والحدود تكثر وتقل بحسب المحدود والجهات التي تحد بها المساكن والباقاع أربع جهات وهي جهة الشمال التي هي اشارة الى موضع قطب الفلك الشمالي المعروف من كواكب الجدى والفرقدان ويقابل جهة الشمال الجهة الجنوبية والجنوب عبارة عن موضع قطب الفلك الجنوبي الذي يقرب منه سهيل وما يتبعه من كواكب السفينة والجهة الثالثة جهة المشرق وهو مشرق الشمس في الاعتدالين اللذين هما رأس الحمل أول فصل الربيع ورأس الميزان أول فصل الخريف والجهة الرابعة جهة المغرب وهو مغرب الشمس في الاعتدالين المذكورين فهذه الجهات الاربع ثابتة بثبوت الفلك غير متغيرة بتغير الاوقات وبها تحد الاراضي ونحوها من المساكن وبها يهتدي الناس في أسفارهم وبها يستخرجون سمت محاريهم فالمشرق والمغرب معروفان والشمال والجنوب جهتان مقاطعتان للجهتي المشرق والمغرب على تربييع الفلك فالخط المار بنقطتي الشمال والجنوب يسمى خط نصف النهار وهو مقاطع للخط المار بنقطتي المشرق والمغرب المسمي بخط الاستواء على زوايا قائمة وأبعاد ما بين هذين الخطين متساوية فالمستقبل للجنوب يكون أبداً مستديراً للشمال ويصير المغرب عن يمينه والمشرق عن يساره وهذه الجهات الاربع هي التي ينسب اليها ما يحد من البلاد والاراضي والدور الا أن أهل

مصر يستعملون في تحديدهم بدلا من الجهة الجنوبية لفظة القبلية فيقولون الحد القبلى ينتهي الى كذا ولا يقولون الحد الجنوبي وكذلك يقولون الحد البحرى ينتهي الى كذا ويريدون بالبحرى الحد الشمالى وقد يقع في هاتين الجهتين الغلط في بعض البلاد وذلك أن البلاد التي توافق عروضها عرض مكة اذا كانت أطوالها أقل من طول مكة فإن القبلة تكون في هذه البلاد نفس الشرق بخلاف التي توافق عروضها عرض مكة إلا أن أطوالها أطول من طول مكة فإن القبلة في هذه البلاد تكون نفس الغرب فمن حدد في شئ من هذه البلاد أرضاً أو مسكناً بحدود أربعة فإنه يصير حدان منها حداً واحداً وكذلك جهة البحر لما جملوها قبالة جهة القبلة وحددوا ما بينهما من الاراضى والدور بما يسامتها منه فانهم أيضا ربما غلطوا وذلك أن القبلة والبحر يكونان في بعض البلاد في جهة واحدة فاذا عرفت ذلك فاعلم أن أرض مصر لها حد يأخذ من بحر الروم من الاسكندرية وزعم قوم من برقة في البر حتى ينتهى الى ظهر الواحات ويمتد الى بلد النوبة ثم يعطف على حدود النوبة في حد أسوان على حد أرض السبخة في قبلى أسوان حتى ينتهى الى بحر القلزم ثم يمتد على بحر القلزم ويمجاوز القلزم الى طور سيناء ويمطف على تيه بني اسرائيل مارا الى بحر الروم في الجفار خلف العريش ورمح ويرجع الى الساحل مارا على بحر الروم الى الاسكندرية ويتصل بالحد الذى قدّمت ذكره من نواحي برقة وقال أبو الصلت أمية بن عبد العزيز في رسالته المصرية أرض مصر بأسرها واقعة في المعمورة في قسمي الاقليم الثانى والاقليم الثالث ومعظمها في الثالث وحكي المعتنون بأخبارها وتواريخها أن حدها في الطول من مدينة برقة التي في جنوب البحر الرومي الى ايلة من ساحل الخليج الخارج من بحر الحبشة والزنج والهند والصين ومسافة ذلك قريب من أربعين يوما وحدها في العرض من مدينة أسوان وما سامتها من الصعيد الاعلى المتاخم لارض النوبة الى رشيد وما حاذها من مساقط النيل في البحر الرومي ومسافة ذلك قريب من ثلاثين يوما ويكتنفها في العرض الى منتهى جبالان أحدهما في الضفة الشرقية من النيل وهو المقطم والآخر في الضفة الغربية منه والنيل متشرف فيما بينهما وهما جبالان أجردان غير شائخين بتقاربان جدا في وضعهما من لدن أسوان الى أن ينتهيا الى الفسطاط ثم يتسع ما بينهما وينفرج قليلا ويأخذ المقطم منهما مشرقا والآخر مغربا على وراب في مأخذيهما وتفرج في مسلكيهما فتتسع أرض مصر من الفسطاط الى ساحل البحر الرومي الذى عليه الفرما وتيس ودمياط ورشيد والاسكندرية فهناك تنقطع في عرضها الذى هو مسافة ما بين أوغها في الجنوب واوغها في الشمال واذا نظرنا بالطريق البرهانية في مقدار هذه المسافة من الاميال لم تبلغ ثلاثين ميلا بل تنقص عنها نقصا مالا قدر وذلك لان فضل ما بين عرض مدينة أسوان التي هي أوغها في الجنوب وعرض مدينة تيس التي

هي أوغلها في الشمال تسعة أجزاء ونحو سدس جزء وليس بين طولها فضل له قدر يعتد به وينوب ذلك نحو خمسمائة وعشرين ميلا بالقرب وذلك مسافة عشرين يوما أو قريب منها وفي هذه المدة من الزمان تقطع السفار ما بين البلدين بالسير المعتدل أو أكثر من ذلك لما في الطريق من التعويج وعدم الاستقامة وقال القضاعي الذي يقع عليه اسم مصر من العريش الى آخر لوبية ومراقبة وفي آخر أرض مراقبة تلقى أرض أنطابلس وهي برقة ومن العريش فصاعدا يكون ذلك مسيرة أربعين ليلة وهو ساحل كله على البحر الرومي وهو بحري أرض مصر وهو مهب الشمال منها الى القبة شيئا ما فاذا بلغت آخر أرض مراقبة عدت ذات الشمال واستقبلت الجنوب وتسير في الرمل وانت متوجه الى القبة يكون الرمل من مصبه عن يمينك الى أفريقية وعن يسارك من أرض مصر الى أرض الفيوم منها وأرض الواحات الأربعة فذلك غربي مصر وهو ما استقبلته منه ثم تعوج من آخر أرض الواحات وتستقبل المشرق سائرا الى النيل تسير ثمانى مراحل الى النيل ثم على النيل فصاعدا وهي آخر أرض الاسلام هناك ويلها بلاد النوبة ثم ينقطع النيل فتأخذ من أسوان في المشرق منكبا عن بلد أسوان الى عيذاب ساحل البحر الحجازي فن أسوان الى عيذاب خمس عشرة مرحلة وذلك كله قبلى أرض مصر ومهب الجنوب منها ثم ينقطع البحر الملح من عيذاب الى أرض الحجاز فينزل الحوراء أول أرض مصر وهي متصلة بأعراض مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا البحر المحدود هو بحر القلزم وهو داخل في أرض مصر بشرقه وغربه وبحره فالشرقي منه أرض الحوراء وطنسه والنبك وأرض مدين وأرض ايلة فصاعدا الى المقطم بمصر والغربي منه ساحل عيذاب الى بحر النعام الى المقطم والبحرى منه مدينة القلزم وجبل الطور ومن القلزم الى الفرما مسيرة يوم وليلة وهو الحاجز فبا بين البحرين بحر الحجاز وبحر الروم وهذا كله شرقي أرض مصر من الحوراء الى العريش وهو مهب الصبا منها فهذا المحدود من أرض مصر وما كان بعد هذا من الحد الغربي فن فتوح أهل مصر وثغورهم من البرقة الى الاندلس

ذكر بحر القلزم

القلزم الدواهي والمضايقة ومنه بحر القلزم لانه مضيق بين جبال ولما كانت أرض مصر منحصرة بين بحرين هما بحر القلزم من شرقها وبحر الروم من شمالها وكان بحر القلزم داخلا في أرض مصر كما تقدم صار من شرط هذا الكتاب التعريف به فنقول هذا البحر اتسعا عرِف في ناحية ديار مصر بالقلزم لانه كان بساحله الغربي في شرقي أرض مصر مدينة تسمى القلزم وقد خربت كما ستقف عليه ان شاء الله تعالى في موضعه من هذا الكتاب عند ذكرى قرى مصر ومدنها فسمى هذا البحر باسم تلك المدينة وقيل له بحر القلزم على

الاضافة ويقال له بالعبرانية ثم تسوب وهذا البحر اما هو خليج يخرج من البحر الكبير المحيط بالارض الذي يقال له بحر اقيانس ويعرف أيضا ببحر الظلمات لتكاثف البخار المتصاعد منه وضعف الشمس عن حله فيغاط وتشد الظلمة ويعظم موج هذا البحر وتكثر اهواله ولم يوقف من خبره الا على ما عرف من بعض سواحله وما قرب من جزأه وفي جانب هذا البحر الغربي الذي يخرج منه البحر الرومي الآتي ذكره ان شاء الله الجزائر الخالدات وهي فيما يقال ست جزائر يسكنها قوم متوحشون وفي جانب هذا البحر الشرقي مما يلي الصين ست جزائر أيضا تعرف بجزائر السبلى نزلها بعض العلويين في أول الاسلام خوفا على أنفسهم من القتل ويخرج من هذا المحيط ستة أبحر أعظمها اثنان وها الاثنان عنهما الله تعالى بقوله مرج البحرين يلتقيان وقوله وجعل بين البحرين حاجزا فأحدهما من جهة الشرق والآخر من جهة الغرب فالخارج من جهة الشرق يقال له البحر الصيني والبحر الهندي والبحر الفارسي والبحر الصيني والبحر الحبشي بحسب ما يمر عليه من البلدان وأما الخارج من الغرب فيقال له البحر الرومي فأما البحر الهندي الخارج من جهة الشرق فان مبدأ خروجه من مشرق الصين وراء خط الاستواء بثلاثة عشر درجة ويجري الى ناحية الغرب فيمر على بلاد الصين وبلاد الهند الى مدينة كنبانه والى التعير من بلاد كمران فاذا صار الى بلاد كمران ينقسم هناك قسمين أحدهما يسمى بحر فارس والآخر يسمى بحر اليمن فيخرج بحر اليمن من ركن جبل خارج في البحر يسمى هذا الركن رأس الجمجمة فيمتد من هناك الى مدينة طقار ويسير الى المسجر وساحل بلاد حضر موت الى عدن والى باب المندب وطول هذا البحر الهندي ثمانية آلاف ميل في عرض ألف وسبعمئة ميل عند بعض المواضع وربما ضاق عن هذا القدر من العرض فاذا انتهى الى باب المندب يخرج الى بحر القلزم والمندب جبل طوله اثنا عشر ميلا وسعة فوهته قدر ما يرى الرجل الآخ من البر تجاهه فاذا فارق باب المندب مر في جهة الشمال بساحل زبيد والحرون الى عثر وكانت عثر مقر الملك في القديم ويمر من هناك على حلى الى عسقان ونامار وهي فرضة المدينة النبوية على الحال بها أفضل الصلاة والسلام والتحية والاكرام ومنها على ما يقابل الجحفة حيث يسمى اليوم رابع الى الحوراء ومدين وايلة والطور وفاران ومدينة القلزم فاذا وصل الى القلزم انعطف من جهة الجنوب ومر الى القصير وهي فرضة قوص ومن القصير الى عيذاب وهي فرضة النخية ويمتد من عيذاب الى بلد الزيلع وهو ساحل بلاد الحبشة ويتصل ببربر وطول هذا البحر ألف وخسمائة ميل وعرضه من أربعمئة ميل الى مادونها وهو بحر كربه المنظر والرائحة وفي هذا البحر مصب دجلة والفرات وعلى أطرافه بلاد السند وبلاد اليمن كانها جزائر أحاط بها الماء من جهاتها الثلاث وهو نهر يردع مهران كردع البحر

الرومي لثيل مصر وفيه فيما بين مدينة القلزم ومدينة ايلة مكان يعرف بمدينة فاران وعندها جبل لا يكاد ينجو منه مركب لشدة اختلاف الريح وقوة عمرها من بين شعبي جبلين وهي بركة سعتها ستة أميال تعرف ببركة الغرندل يقال ان فرعون غرق فيها فاذا هبت ريح الجنوب لا يمكن سلوك هذه البركة ويقال أن الغرندل اسم صنم كان في القديم هناك قد وضع ليحبس من خرج من أرض مصر مغاضبا لأملاك أوفارا منه وأن موسى عليه السلام لما خرج يفي اسرائيل من مصر وسار بهم مشرقا أمره الله سبحانه وتعالى أن ينزل تجاه هذا الصنم فلما بلغ ذلك فرعون ظن أن الصنم قد حبس موسى ومن معه ومنهم من المسير كما يهدونه منه فخرج بجنوده في طلب موسى وقومه ليأخذهم زعمه فكان من غرقه ما قصه الله تعالى وسيرد خبر موسى عليه السلام عند ذكر كنيسة دموه من هذا الكتاب في ذكر كنائس اليهود وفي بحر القلزم هذا خمس عشرة جزيرة منها أربع عامرات وهي جزيرتاهلك وجزيرة سواكن وجزيرة التعمان وجزيرة السامري ويخرج من هذا البحر خليجان خليج لطيف ببلاد الهند المتصلة بالبحر الاعظم وخليج يحول بين بلاد السودان وبلاد اليمن عرض دقاغه نحو من فرسخين ويقرب هذا البحر من البحر الرومي في أعمال بلاد الشام وديار مصر حتي يكون بينهما نحو يوم

ذكر البحر الرومي

ولما كانت عدة بلاد من أرض مصر مطلة على البحر الرومي كمدينة الاسكندرية ودمياط وتيس وانفرماء والعريش وغير ذلك وكان حد أرض مصر ينتهي في الجهة الشمالية الى هذا البحر وهو نهاية مصب النيل حسن التعريف بشي من أخباره وقد تقدم أن مخرج البحر الرومي هذا من جهة الغرب وهو يخرج في الاقليم الرابع بين الاندلس والغرب سائرا الى القسطنطينية ويقال أن اسكندر الجبار حفره وأجراه من البحر المحيط الغربي وأن جزيرة الاندلس وبلاد البربر كانت أرضاً واحدة يسكنها البربر والاشبان فكان بعضهم يغير على بعض الي أن ملك اسكندر الجبار ابن سلقوس بن اعريقس بن دوان فرغ اليه الاشبان في أن يجعل بينهم وبين البربر خليجا من البحر يمكن به احتراز كل طائفة عن الاخرى فحفر زقاقا طوله ثمانية عشر ميلا في عرض اثني عشر ميلا وبني بجانبه سكرين وعقد بينهما قطرة يحاز عليها وجعل عندها حرسا يمنعون البربر من الجواز عليها الا باذن وكان قاموس البحر أعلى من أرض هذا الزقاق فطما الماء حتى غطي السكرين مع القطرة وساق بين يديه بلادا كثيرة وطنى على عدة بلاد ويقال أن المسافرين في هذا الزقاق بالبحر يخبرون أن المراكب في بعض الاوقات يتوقف سيرها مع وجود الريح فيجدون المانع لها كونها قد سلكت بين شرافات السور وبين حائطين ثم عظم هذا الزقاق في الطول والعرض

حتى صار بحرا عرضه ثمانية عشر ميلا ويذكرون أن البحر اذا جزر تروى القنطرة حينئذ وهذا الخبر أظنه غير صحيح فان أخبار هذا البحر وكونه بسواحل مصر لم يزل ذكره في الدهر الاول قبل اسكندر بزمان طويل فاما أن يكون ذلك قد كان في أول الدهر مما عمله بعض الاوائل واما أن يكون خبرا واهيا والا فزمان اسكندر حادث بعد كون هذا البحر والله أعلم * وهذا الزقاق صعب السلوك شديد الهول متلاطم الامواج واذا خرج البحر من هذا الزقاق مر مشرقا في بلاد البربر وشمال الغرب الاقصى الى وسط بلاد المغرب على افريقية وبرقة والاسكندرية وشمال التيه وأرض فلسطين والسواحل من بلاد الشام ثم يعطف من هناك الى العسلايا وانطاكية الى ظهر بلاد القسطنطينية حتى ينتهي الى البحر المحيط الذي خرج منه وطول هذا البحر خمسة آلاف ميل وقيل ستة آلاف ميل وعرضه من سبعمائة ميل الى ثلاثمائة ميل وفيه مائة وسبعون جزيرة عائرة فيها أم كثيرة معروفة الا أنه ليس من شرط هذا الكتاب منها صقلية وصورقة واقريطش وقبالة البحر الهندي من جهة المغرب بحر خارج من المحيط في مغرب بلاد الزنج ينتهي الى قريب من جبل القمر وفيه مصب النيل المار على بلاد الحبشة وفي أسفله جزائر الخالدات التي هي منتهى الطول في المغرب ويقابل البحر الشامي من ناحية المشرق بحر جرجان وقيل انه يتصل بالبحر المحيط من بين جبال شاذة وبحر الصقلب بحريخرج من جهة المغرب بين الاقليم السادس والاقليم السابع وهو متسع وفيه جزائر كثيرة ومنها جزيرة الاندلس الا أنها تتصل بالبر الكبير وهو جبل كالذراع يتصل بهذا البر عند بر سلونه ولهم بحر يعرف بأجوج ومأجوج غزير وفيه عجائب الا انه ليس من شرط هذا الكتاب ذكرها ويقال ان مسافة هذا البر الرومي نحو أربعة أشهر وقال أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني في كتاب تحديد نهايات الاماكن لتصحيح مسافات المساكن وقد كان حرض بعض ملوك الفرس في بعض استيلائهم على مصر على أن يحفروا ما بين البحرين القلزم والرومي ويرفعوا من بينهما البرزخ وكان أولهم شاسيس بن طراطس الملك ثم من بعده دارنوش الملك فلم يتمكن لهم ذلك لارتفاع ماء القلزم على أرض مصر فلما كانت دولة اليونانيين جاء بطليموس الثالث ففعل ذلك على يد أرسمدس بحيث يحصل الغرض بلا ضرر فلما كانت دولة الروم القياصرة طموه منعا لمن يصل اليهم من أعدائهم وذكر بعض أصحاب السير من الفلاسفة أن ما بين الاسكندرية وبلادها وبين القسطنطينية كان في قديم الزمان أرضا تبت الجليز وكانت مسكونة وخمة وكان أهلها من اليونانية وأن الاسكندر خرق اليها البحر فغلب على تلك الارض وكان بها فيما يزعمون الطائر الذي يقال له ققنس وهو طائر حسن الصوت واذا حان موته زاد حسن صوته قبل ذلك بسبعة أيام حتى لا يمكن أحد يسمع صوته لانه يغلب

على قلبه من حسن صوته ما عييت السامع وأنه يدركه قبل موته بأيام طرب عظيم وسرور
فلا يهدأ من الصياح وزعموا أن عامل الموسيقى من الفلاسفة أراد أن يسمع صوت ققنس
في تلك الحال فخفى أن هجم عليه أن يقتله حسن صوته فسد أذنيه سدا محكما ثم قرب إليه
فجعل يفتح من أذنيه شيئا بعد شيء حتى استكمل فتح الاذنين في ثلاثة أيام يريد أن يتوصل
الى سماعه رتبة بعد رتبة فلا يبعثه حسنه في أول مرة فيأتي عليه وزعموا أن ذلك الطائر
هلك ولم يبق منه ولا من فراخه شيء بسبب هجوم ماء البحر عليه وعلى رهطه بالليل في
الاوكر فلم يبق له بقية ويقال ان بعض الفلاسفة أراد ملك من الملوك قتله فأعطاه قدحا فيه
سم ليشربه فأعلمه بذلك فظهر منه مسرة وفرح فقال له ما هذا أيها الحكيم فقال هل أعجز
أن أكون مثل ققنس

ذكر اشتقاق مصر ومعناها وتعداد اسمائها

ويقال كان اسمها في الدهر الاول قبل الطوفان جزله ثم سميت مصر وقد اختلف أهل العلم في المعنى الذي من أجله سميت هذه الارض بمصر فقال قوم سميت بمصر بن مركايل بن دوايل بن عرياب بن آدم وهو مصر الاول وقيل بل سميت بمصر الثاني وهو مصرام بن ييراوش الجبار بن مصرم الاول وبه سعى مصر بن بنصر بن حام بعد الطوفان وقيل بل سميت بمصر الثالث وهو مصر بن بنصر بن حام بن نوح وهو اسم أعجمي لا ينصرف وقال آخرون هي اسم عربي مشتق فأما من ذهب الى أن مصر اسم أعجمي فانه استدلل بما رواه أهل العلم بالاخبار من نزول مصر بن بنصر بهذه الارض وقسمها بين أولاده فعرفت به اه وذكر الحسن بن أحمد الهمداني أن مصر بن حام وهو مصرم وقيل أن بنصر بن هرمس ابن هردوس جد الاسكندر قال ونكح لوما بن حام بنت شاويل بن يافث بن نوح فولدت له بوقير وقبط أبا القبط قبط مصر ومن ههنا أن مصر بن حام وانما هو مصر بن هرمس بن مردش بن يبطون بن روى بن ليطي بن يوتان وبه سميت مصر فهي معدونية وذكر أبو الحسن المسعودي في كتاب اخبار الزمان أن بني آدم لما تحاسدوا وبقي عليهم بنو قاييل بن آدم ركب بقراوس الخيار بن مصرم بن مركايل بن دوايل بن عرياب بن آدم عليه السلام في نيف وسبعين راكبا من بني عرياب جبابرة كلهم يطلبون موضعا من الارض يقطنون فيه فرارا من بني أبيهم فلم يزلوا يمشون حتى وصلوا الى النيل فأطالوا المشي عليه فلما رأوا سعة البلد فيه وحسنه أعجبهم وقالوا هذه بلد زرع وعمارة فأقطنوا فيه واستوطنوا وبنوا فيه الابنية المحكمات والصنائع العجيبة وبني نقراوس مصر وسماها باسم ابيه مصرم وكان نقراوس جبارا له قوة وكان مع ذلك عالما وله ائتمار الجن في هلاك بني ابيه ولم يزل مطاعا وقد كان وقع اليه من العلوم التي كان زواميل علمها لا دم عليه السلام ما قهر به الجبابرة الذين كانوا قبله

وملوكم ثم امر حين ملك ببناء مدينة في موضع خيمته فقطعوا له الصخور من الجبال
وأثاروا معادن الرصاص وبنوا مدينة سماها امسوس وأقاموا فيها أعلاما طول كل علم منها
مائة ذراع وزرعوا وعمروا الارض ثم امرهم ببناء المدائن والقرى وأسكن كل ناحية
من الارض من رأى ثم حفروا النيل حتى أجروا ماءه اليهم ولم يكن قبل ذلك معتدل
الجرى انما كان ينطبع ويتفرق في الارض حتى يتوجه الى النوبة فيندسوه وساقوا منه
انهارا الى مواضع كثيرة من مدينتهم التي بنوها وساقوا منه نهرا الى مدينتهم امسوس يجري
في وسطها ثم سميت مصر بعد الطوفان بمصر بن بنصر بن حام بن نوح وذلك أن قليمون
السكان خرج من مصر ولحق بنوح عليه السلام وآمن به هو وأهله وولده وتلاميذه
وركب معه في السفينة وزوج ابنته من بنصر بن حام بن نوح فلما خرج نوح من السفينة
وقسم الارض بين اولاده وكانت ابنته قليمون قد ولدت لبنصر ولدا سماه مصرايم فقال قليمون
لنوح ابني مي يابني الله ابني حتى أمضي به بلدى وأظهره على كنوزى وأوقفه على علومه
ورموزه فأنفذه معه في جماعة من أهل بيته وكان غلاما مرفها فلما قرب من مصر بني له
عريشا من أغصان الشجر وستره بحشيش الارض ثم بني له بعد ذلك في هذا الموضع مدينة
وسماها درسان أى باب الجنة فزرعوا وغرسوا الاشجار والاحنة من درسان الى البحر
فصارت هناك زروع واحنة وعمارة وكان الذى مع مصرايم جبارة فقطعوا الصخور وبنوا
العالم والمصانع وأقاموا في أرغد عيش ويقال ان اهل مصر أقاموا عليهم مصرايم بن بنصر
ملكا في ايام تالغ بن عامر بن شامخ بن أرخشد بن سام بن نوح فلك مصر وهى مدينة
منيرة على النيل وسماها باسمه ويقال ان مصرايم غرس الاشجار بيده وكانت ثمارها
عظيمة بحيث يشقى الا ترجة نصين فيحمل على البعير نصفها وكان القناء فى طول أربعة عشر
شبرا ويقال انه أول من صنع السفن بالنيل وان أول سفينة كانت ثمانية ذراع طولاً فى عرض
مائة ذراع ويقال أن مصرايم نكح امرأة من بني الكهنة فولدت له ولدا فسماه قبطيم ونكح
قبطيم بعد سبعين سنة من عمره امرأة فولدت له أربعة نفر قبطيم واشمون وأتريب وصا فسكنوا
وعمروا الارض وبورك لهم فيها وقيل أنه كان عدد من وصل معهم ثلاثين رجلا فبنوا
مدينة سموها نافة ومعنى نافة ثلاثون بلفظهم وهى منف وكشف اصحاب قليمون السكان
عن كنوز مصر وعلومهم وأثاروا المعادن وعلومهم علم الطبقات ووضعوا لهم علم الصنعة
وبنوا على غير البحر مدنا منها رقودة مكان الاسكندرية ولما حضر مصرايم الوفاة عهد الى
ابنه قبطيم وكان قد قسم ارض مصر بين بنيه فجعل لقبطيم من فقط الى اسوان ولا شمون
من اشمون الى منف ولا أتريب الحوف كله واصا من ناحية صا البحرية الى قرب برقة
وقال لاخته فاروق لك من برقة الى الغرب فهو صاحب افريقة واولاد الافارق وأمر كل

واحد من بني أن يبني لنفسه مدينة في موضعه وأمرهم عند موته أن يحفروا له في الأرض سربا وأن يفرشوه بالمرمر الأبيض ويجعلوا فيه جسده ويدفنوا معه جميع مافي خزائنه من الذهب والجوهر ووزبروا عليه اسماء الله تعالى المانعة من أخذه يحفروا له سربا طوله مائة وخمسون ذراعا وجعلوا في وسطه مجلسا مصفحا بصفايح الذهب وجعلوا اربعة ابواب على كل باب منها تمثال من ذهب عليه تاج مرصع بالجوهر وهو جالس على كرسي من ذهب قوائمه من زبرجد ووزبروا في صدر كل تمثال آيات مانعة وجعلوا جسده في جمد مرمر مصفح بالذهب ووزبروا على مجلسه مات مصرايم بن بنصر بن حام بن نوح بعد سبع مائة عام مضت من أيام الطوفان ولم يعبد الاصنام اذ لا هرم ولا سقام ولا حزن ولا اهتمام وحصنه باسماء الله العظام ولا يصل اليه الا ملك ولدت له سبعة ملوك تدين بدين الملك الديان ويؤمن بالمبعوث بالفرقان الداعي الى الايمان آخر الزمان وجعلوا معه في ذلك المجلس ألف قطعة من الزبرجد المحروط وألف تمثال من الجوهر النفيس وألف برنية مملوءة من الدر الفاخر والصدقة الالهية والعقائر والطلسمات العجيبة وسبائك الذهب وسقفوا ذلك بالصخور وهالوا فوقها الرمال بين جبلين وولى ابنه قطيم الملك قال أبو محمد عبد الملك بن هشام في كتاب التحالف أن عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود أخي عاد بن عامر بن شالخ بن أرفخشذ ابن سام بن نوح عليه السلام واسم عبد شمس هذا عامر وعرف بعبد شمس لانه أول من عبد الشمس وقيل له أيضا سبا لانه أول من سبا وهو سبا الا كبير ابو حير وكهلان ملك بمسد أيه يشجب بأرض اليمن جمع بني قحطان وبني هود عليه السلام وحثمهم على انفسو ثم سار بهم الى أرض بابل ففتحها وقتل من كان بها من الثوار حتى بلغ أرض ارمينية وملك أرض بني يافث بن نوح وأراد أن يعبر من هناك الى الشام وأرض الجزيرة فقيل له ليس لك مجاز غير الرجوع في طريقك فبني قنطرة على البحر وجاز عليها الى الشام فأخذ تلك الاراضي الى الدرب ولم يكن خلف الدرب اذ ذاك أحد ثم نهض يريد بلاد العرب فنزل على النيل وجمع اهل مشورته وقال لهم اني رأيت أن ابني مصرا الى حد بين هذين البحرين يعني بحر الروم وبحر القلزم فيكون فاصلا بين الشرق والغرب فقالوا نعم الراى أيها الملك فبني مدينة سماها مصر وولى عليها ابنه بابليون ومضى الى بني حام بن نوح وهم نزول في البراي الى يمنية ويعمونية القبط فالوقع بجميع تلك الطوائف وسبي ذرارهم كما فعل ببلاد الشرق فقيل له من أجل ذلك سبا ثم عاد الى مصر ومضى فيها الى الشام يريد الحجاز وأوصى ابنه بابليون عند رحيله اه

ألا قل لبابليون والقول حكمة * ملكك زمام الشرق والغرب فاجمل
 وخذ لبني حام من الامر وسطه * فان صدقوا يوما عن الحق فاقبل

وان جنحوا بالقول للرفق طاعة * يريدون وجه الحق والعدل فاعدل
ولا تظهرن الرأي في البأس يعبروا * عليك به واجعله ضربة فيصل
ولا تأخذن المال في غير حقه * وان جاء لاتدنيه نحوك وابذل
وداوى ذوى الاحقاد بالسيف انه * متى يلق منك العزم ذو الحقد يجمل
وجد لنزوي الاحساب ليئا وشدة * ولا تك حيارا عليهم واجمل
وكن لسؤال الناس غوثا ورحمة * ومن يك ذا عرف من الناس يسأل
واياك والسفر القريب فانه * سيفنى بما يوليه في كل منهل

ثم عاد الى اليمن وبني سد مأرب وهو سدفه سبعون نهرا ويصل اليه السيل من مسيرة
ثلاثة اشهر في مثلها ثم مات عن خمسمائة سنة وقام من بعده ابنه حمير بن سبا فقام بنو حام على
بابلين وأرادوا بخريب مصر فاستدعي أخاه حمير لبيجده عليهم فقدم عليه مصر ومضى الى
بلاد المغرب فأقام بها مائة عام بيني المدائن ويخذ المصانع فمات بابلين بن سبا بمصر وولى
بعده ابنه امرئ القيس بابلين ثم مات حمير بن سبا عن أربعمائة سنة وخمس وأربعين سنة
منها في الملك أربعمائة سنة وأقام من بعده ويل بن حمير ثم مات فقام من بعده ابنه سليمان
ابن وائل الذي يقال له مققع الحمد وقد افترق ملك حمير فخارب الثوار وسار الى الشام
فلقبته عمرو بن امرئ القيس بن بابلين بن سبا بالرملة وقد ملك بعدايبه وقدم له هدية
فأقره على مصر حتى قدم عليه ابراهيم الخليل عليه السلام ووجهه هاجر * وقال أبو القاسم
عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم في كتاب فتوح مصر وأخبارها عن عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما قال كان لنوح عليه السلام أربعة من الولد سام وحام وياث ويخظون وأن
نوحا رغب الى الله عز وجل وسأله أن يرزقه الاجابة في ولده وذريته حين تكاملوا بالثناء
والبركة فوعده ذلك فنادى نوح ولده وهم نيام عند السحر فنادى ساما فأجابه يسمى وصاح سام
في ولده فلم يجبه أحد منهم الا ابنه أرغشد فانطلق به معه حتى أتياه فوضع نوح يمينه على سام
وشماله على أرغشد بن سام وسأل الله عز وجل أن يبارك في سام أفضل البركة وأن يجعل الملك
والنبوة في ولد أرغشد ثم نادى حاما وتلفت يميننا وشمالا فلم يجبه ولم يقم اليه هو ولا أحد
من ولده فدعا الله عز وجل نوح أن يجعل ولده أذلاء وأن يجعلهم عبيدا لولد سام وكان مصر
ابن بنصر بن حام نائما الى جنب جده فلما سمع دعاء نوح على جده وولده قام يسعى الى نوح
وقال يا جدى قد أحببتك اذ لم يحبك جدى ولا أحد من ولده فاجعل لى دعوة من دعائك
ففرح نوح ووضع يده على رأسه وقال اللهم انه قد أجاب دعوتي فبارك فيه وفي ذريته وأسكنه
الارض المباركة التي هي أم البلاد وغوث العباد التي نهرا أفضل أنهار الدنيا واجمل فيها
أفضل البركات وسخر له ولولده الارض وذلاها لهم وقوهم عليها ثم دعا ابنه ياث فلم يجبه أحد

من ولده فدعا الله عليهم أن يجعلهم شرار الخلق وعاش سام مباركاً إلى أن مات وعاش ابنه أرخشد
ابن سام مباركاً حتى مات وكان الملك الذي يحبه الله والنبوة والبركة في ولد أرخشد بن سام وكان
أكبر ولد حام كنعان بن حام وهو الذي حمل به في الرجز في الفلك فدعا عليه نوح فخرج أسود وكان
في ولده الملك والجبروت والجفاء وهو أبو السودان والحش كلهم وابنه الثاني كوش بن حام
وهو أبو السند والهند وابنه الثالث قوط بن حام وهو أبو البربر وابنه الأصغر الرابع بنصر
ابن حام وهو أبو القبط كلهم فولد بنصر بن حام أربعة مصر بن بنصر وهو أكبرهم
والذي دعاه نوح بما دعاه وفارق بن بنصر وماح بن بنصر وقيل ولد مصر أربعة فقط بن
مصر وأشمن بن مصر وآتريب بن مصر وصابن مصر وعن أبي طيبة وعبد الله بن خالد
أول من سكن مصر بنصر بن حام بن نوح عليه السلام بعد أن أغرق الله تعالى قومه وأول
مدينة عمرت بمصر منف فسكنها بنصر بولده وهم ثلاثون نفساً منهم أربعة أولاد له قد
بلغوا وتزوجوا وهم مصر وفارق وياح وماح وكان مصر أكبرهم فبنوا مصر وكان
أقامتهم قبل ذلك بسفح المقطم وتقرؤا هناك منازل كثيرة وكان نوح عليه السلام قد
دعا لمصر أن يسكنه الله الأرض الطيبة المباركة التي هي أم البلاد وغوث العباد ونهرها أفضل
الأنهار ويجعل له فيها أفضل البركات ويستخر له الأرض ولولده ويذلها لهم ويقويهم عليها
فسأله عنها فوصفها له وأخبره بها قالوا وكان مصر بن بنصر مع نوح في السفينة لما دعاه
وكان بنصر بن حام قد كبر وضعف فساق ولده مصر وجميع أخوته إلى مصر فنزلوها
وبذلك سميت مصر فلما قرّر قرار بنصر وبنيه بمصر قال لمصر أخوته فارق وماح وياح بنو
بنصر قد علمنا أنك أكبرنا وأفضلنا وأن هذه الأرض التي أسكنك إياها جدك نوح ونحن
نضيق عليك أرضك وذلك حين كثر ولده وأولادهم ونحن نطلب اليك البركة التي جعلها
فيك جدنا نوح أن تبارك لنا في أرض نلحق بها ونسكنها وتكون لنا ولأولادنا فقال نعم
عليكم بأقرب البلاد إلى ولا تباعدوا مني فإن لي في بلادى مسيرة شهر من أربعة وجوه
أحوزها لنفسي فتكون لي ولولدى ولأولادهم فحاز مصر بن بنصر لنفسه ما بين الشجرتين
التي بالعريش إلى اسوان طولا ومن برقة إلى أيلة عرضاً وحاز فارقاً لنفسه ما بين برقة إلى
أفريقية وكان ولده الافارقة ولذلك سميت أفريقية وذلك مسيرة شهر وحاز ماح ما بين
الشجرتين من منتهي حد مصر إلى الجزيرة مسيرة شهر وهو أبو قبط الشام وحاز باح ما وراء
الجزيرة كلها ما بين البحر إلى الشرق مسيرة شهر وهو أبو قبط السراق ثم توفي بنصر بن حام
ودفن في موضع دير أبي هرميس غربي الأهرام فهي أول مقبرة قبر فيها بأرض مصر وكثر
أولاد مصر وكان الأكبر منهم فقط وآتريب وأشمن وصا والقبط من ولد مصر هذا ويقال
أن قبط أخو فقط وهو بلسانهم قبطيم وقبطيم ومصريهم قال ثم إن بنصر بن حام توفي واستخلف

ابنه مصر وحاز كل واحد من اخوة مصر قطعة من الارض لنفسه سوى ارض مصر التي حازها لنفسه ولولده فاما كثر ولد مصر وأولاد أولادهم قطع مصر لكل واحد من ولده قطعة يحوزها لنفسه ولولده وقسم لهم هذا النيل فقطع لابنه فقطع موضع فقط فسكنها وبه سميت فقط فقط وما فوقها الى اسوان وما دونها الى اشمون في الشرق والغرب وقطع لاشمن من اشمون فما دونها الى منف في الشرق والغرب فسكن اشمن اشمون فسميت به وقطع لآريب ما بين منف الى صا فسكن آريب فسميت به وقطع لصا ما بين صا الى البحر فسكن صا فسميت به فكانت مصر كلها على أربعة أجزاء جزأين بالصعيد وجزأين بأسفل الارض قال البكري ومصر مؤنثة قال تعالى أليس لي ملك مصر وقال ادخلوا مصر وقال عامر بن أبي السكتاني لمعاوية أما عمر وبن العاص فأقطعته مصر وأما قوله سبحانه اهبطوا مصر فإنه أراد مصرا من الامصار وقرأ سليم الاعمش اهبطوا مصر وقال هي مصر التي عليها سليم بن علي فلم يجرها وقال القاضي وكان بنصر بن حام قد كبر وضعف فساقه ولده مصر وجميع اخوته الى مصر فنزلوها وبذلك سميت مصر وهو اسم لا يصرف في المعرفة لانه اسم مذكر سميت به هذه المدينة فاجتمع فيها التأنيث والتعريف فنعاها الصرف ثم قيل لكل مدينة عظيمة يطرقها السفار مصر فاذا أريد مصر من الامصار صرف لزوال احدى العلتين وهي التعريف وأما قوله تعالى اخبارا عن موسى عليه السلام اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم فإنه مصروف في قراءة سائر القراء وفي قراءة الحسن والاعمش غير مصروف فمن صرفها فله وجهان أحدهما انه أراد اهبطوا مصرا من الامصار لانهم كانوا يومئذ في التيه والآخر أنه أراد مصر هذه بعينها وصرفها لانه جعل مصرا اسما للبلد وهو مذكر اسم سمي به مذكر فلم ينعه الصرف وأما من لم يصرفه فإنه أراد بمصر هذه المدينة وكذلك قوله تعالى اخبارا عن يوسف عليه السلام ادخلوا مصر ان شاء الله آمين وقول فرعون أليس لي ملك مصر انا يراد به مصر هذه فاما المصر في كلام العرب فهو الحديثين الارضين ويقال ان اهل هجر يقولون اشترت الدار بمصورها أي بمحدودها وقال الجاحظ في كتاب مدح مصر انما سميت مصر بمصر لمصر الناس اليها واجتماعهم بها كما سمي مصر الجوف مصيرا ومصر انا لمصر الطعام اليه قال وجمع المصر من البلدان أمصار وجمع مصر الطعام مصران وليس لمصر هذه جمع لانها واحدة قال وقال الا خطل هممت بالاسلام ثم توقفت عنه قيل ولم ذلك قال آتيت امرأة لي وانا جائع فقلت أطعمني شيئا فقالت يا جارية ضعي لابي مالاك مصيرا في النار ففعلت فاستعجلتها بالطعام فقالت يا جارية أين مصر أبي مالك قالت في النار قال فتطيرت وهممت بأن اسلم فتوقفت وقال الجوهري في كتاب الصحاح مصر هي المدينة المعروفة تذكر وتؤنث عن ابن السراج والمصر ان الكوفة والبصرة وقال (م - ه خطط)

ابن خالويه في كتاب ليس أحد فسر لنا لم سميت مصر مقدونية قديما الا في اللسان العبراني قال مقدونية مغيث وانما سميت مصر لما سكنها بنصر بن حام وتزعم الروم أن بلاد مقدونية جديما وقف على الكنيسة العظمى التي بالقسطنطينية ويسمون بلاد مقدونية الاوصفية وهي عندهم الاسكندرية وما يضاف اليها وهي مصر كلها بأسرها الا الصعيد الاعلى ويقال لمصر ام خنوز وتفسيره النعمة والمصر الفرق بين الشيتين قال الشاعر يصف الله تعالى

وجاعل الشمس مصرا لاحقائه * بين النهار وبين الليل قد فصلا

هذا البيت قائله عدى بن زيد العبادي ويروى لامية بن الصلب الثقفي وهو من أبيات أولها اسمع جدينا كما يوما تحذنه * عن ظهر غيب اذا ماسائل سالا كيف بدا ثم رب الله نعمته * فيها وعلمنا آياته الأولا كانت رياح وسيل ذو كرانية * وظلمة لم تدع فتقلا ولا خلا قامر الظلمة السوداء فانكشفت * وعزل الماء عما كان قد شغلا وبسط الارض بسطاً ثم قدرها * تحت السماء سوا ميل وما تقلا وجاعل الشمس مصرا لاحقائه * بين النهار وبين الليل قد فصلا وفي السماء مصابيح تضيء لنا * ما ان تكلفنا زيتا ولا فتلا قضى لسته أيام من خلقته * وكان آخر شيء صور الرجال فاخذ الله من طين فصوره * لما رأى أنه قد تم واعتدلا دعاه آدم صوتا فاستجاب له * فنفخ الروح في الجسم الذي جعلا ثمة اورثه الفردوس يسكنها * وزوجه صلعة من جنبه جملا لم ينه ربه عن غير واحدة * من شجر طيب ان شم او أكلا وكانت الحية الرقشاء اذ خلقت * كما ترى ناقة في الخلق أو جملا فلامها الله اذ أطفت حليفته * طول إلبالي ولم يجعل لها أجلا تمشي على بطنها في الارض ما عمرت * والترب تأكله حزنا وان سهلا

وقال الحافظ أبو الخطاب مجد الدين عمر بن دحية ومصر أخصب بلاد الله وسماها الله بمصر وهي هذه دون غيرها باجماع القراء على ترك صرفها وهي اسم لا ينصرف في معرفة لانه اسم مذكر سميت به هذه المدينة واجتمع فيه التأنيث والتعريف فنعاه الصرف وهي عندنا مشتقة من مصرت الشاة اذا اخذت من ضرعها اللبن فسميت مصر لسكثرة ما فيها من الخير مما ليس في غيرها فلا يلحوا ساكنها من خير يدر عليه منها كالشاة التي ينتقع بلبها وصوفها وولادتها وقال ابن الاعرابي المصر الوعاء ويقال للعباء المصير وجمعه مصران ومصارين وكذلك هي خزائن الارض قال أبو نضرة الغفاري من اصحاب رسول الله صلى

الله عليه وسلم مصر خزائن الارض كلها ألا ترى الى قول يوسف عليه السلام اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم فأغاثه الله بمصر يومئذ وخزائنها كل حاضر وباد ذكره الحوفي في تفسيره وقال البكري أم خنوز بفتح أوله وتشديد ثانيه وبالراء المهملة اسم لمصر وقال أروط بن شهبة قال ذبيان ذودوا عن دمائكم * ولا تكثرنوا كقوم أم خنوز يقول لا تكونوا أذلاء ينالكم من اراد ويأخذ منكم من حب كما يمتار مصر وهي أم خنوز قال كراع أم خنوز النعمة ولذلك سميت مصر أم خنوز لكثرة خيرها وقال علي بن حمزة سميت أم خنوز لانها يساق اليها القصار الاعمار ويقال لاصبع خنوز وخنوز بالراء والزاي وقال ابن قتبية في غرائب الحديث ومصر الحد واهل هجر يكتبون في شروطهم اشترى فلان الدار بمصورها كلها أي بمحدودها وقال عدى بن زيد

وجاعل الشمس مصرا لاختفاء به * بين انهار وبين الليل قد فصلا

أي حدا

ذكر طرف من فضائل مصر

ولمصر فضائل كثيرة منها أن الله عز وجل ذكرها في كتابه العزيز بضعا وعشرين مرة تارة بصريح الذكرو تارة إيماء * قال تعالى اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم قال أبو محمد عبد الحق بن عطية في تفسيره وجهور الناس يقرؤن مصرا بالتثنية وهو خط المصاحف الا ما حكى عن بعض مصاحف عثمان رضي الله عنه وقال مجاهد وغيره من صرفها أراد مصرا من الامصار غير معين واستدلوا بما اقتضاه القرآن من أمرهم بدخول القرية وبما تظاهرت به الرواية أنهم سكنوا الشام بعد التيه وقالت طائفة ممن صرفها أراد مصر فرعون بعينها واستدلوا بما في القرآن ان الله تعالى أورث بنى اسرائيل ديار فرعون وآثاره وأجازوا صرفها قال الاخفش لحقمتها وشبهها بهند ودعد وسيبويه لا يميز هذا وقال غير الاخفش أراد المكان فصرف وقرأ الحسن وابان بن ثعلب وغيرها اهبطوا مصر بترك الصرف وكذلك هي في مصحف أبي بن كعب وقال هي مصر فرعون قال الاعمش هي مصر التي عليها صالح بن علي وقال أشهب قال لي مالك هي عندى مصر قريتك مسكن فرعون قال تعالى ادخلوا مصر ان شاء الله آمين قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن فرقد الشيعي قال خرج يوسف عليه السلام يتلقى يعقوب عليه السلام وركب أهل مصر مع يوسف وكانوا يعظمونه فلما دنا أحدهما من صاحبه وكان يعقوب يمشي وهو يتوكأ على رجل من ولده يقال له يهوذا فظفر يعقوب الى الخليل والى الناس فقال يا يهوذا هذا فرعون مصر قال لا هذا ابنك فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه قال يعقوب عليه السلام عليك يا ذاهب الاحزان عني * هكذا قال يا ذاهب الاحزان عني وقال تعالى وأوحينا الى موسى وأخيه

أن تبوأ لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة قال الطبري عن ابن عباس
 وغيره كانت بنو إسرائيل تخاف فرعون فأمروا أن يجعلوا بيوتهم مساجد يصلون فيها قال
 قتادة ذلك حين منعهم فرعون الصلاة فأمروا أن يجعلوا مساجدهم في بيوتهم وأن يوجهوا
 نحو القبلة وعن مجاهد بيوتكم قبلة قال نحو الكعبة حين خاف موسى ومن معه من فرعون
 أن يصلوا في الكنائس الجامعة فأمروا أن يجعلوا في بيوتهم مساجد مستقبل الكعبة يصلون
 فيها سرا وعن مجاهد في قوله أن تبوأ لقومكما بمصر بيوتاً قال مصر الاسكندرية * وقال
 تعالى مخبراً عن فرعون انه قال أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا
 تبصرون قال ابن عبد الحكم وأبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس وغيرهما عن أبي
 زهم السماعي انه قال في قوله تعالى أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي قال
 ولم يكن يومئذ في الارض ملك أعظم من ملك مصر وكان جميع أهل الارضين يحتاجون
 الى مصر وأما الأنهار فكانت قناطر وجسورا بتقدير وتدير حتى أن الماء يجري من تحت
 منازلها وأقيمتها فيحبسونه كيف شاؤا فهذا ما ذكره الله سبحانه في مصر من أي الكتاب
 العزيز بصريح الذكر (وأما) ما وقعت اليها الاشارة فيه من الآيات فعدة * قال تعالى ولقد
 يوأننا بني إسرائيل مبوءاً صدق وقال تعالى وآتيناهم الى ربوة ذات قرار ومعين قال ابن عباس
 وسعيد بن المسيب ووهب بن منبه هي مصر وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه هي
 الاسكندرية وقال تعالى فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم وقال تعالى كم
 تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين قال ابن يونس في
 قول الله سبحانه فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم قال أبو زهم كانت
 الجنات بحافتي النيل من أوله الى آخره من الجانبين ما بين أسوان الى رشيد وسبعة خاليج
 خليج الاسكندرية وخليج سخا وخليج دمياط وخليج سردوس وخليج منف وخليج
 الفيوم وخليج المنهى متصل لا ينقطع منها شيء عن شيء وزروع ما بين الجبلين كله من أول
 مصر الى آخرها مما يبلغه الماء وكان جميع أرض مصر كلها تروى يومئذ من ستة عشر ذراعاً
 لما قد دبروا من قناطرها وجسورها قال والمقام الكريم المنابر كان بها ألف منبر وقال مجاهد
 وسعيد بن جبير المقام الكريم المنابر وقال قتادة ومقام كريم أي حسن ونعمة كانوا فيها فاكهين
 ناعمين قال أي والله أخرجه الله من جناته وعيونه وزروعه حتى ورطه في البحر وقال سعيد
 ابن كثير بن عفير كنا بقبة الهواء عند المأمون لما قدم مصر فقال لنا ما أدري ما أعجب
 فرعون من مصر حيث يقول أليس لي ملك مصر فقلت أقول يا أمير المؤمنين فقال قل
 يا سعيد فقلت ان الذي ترى بقية مدمر لان الله عز وجل يقول ودمرنا ما كان يصنع
 فرعون وقومه وما كانوا يعرشون قال صدقت ثم أمسك وقال تعالى ونريد أن نمن على الذين

استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون وقال تعالى مخبرا عن فرعون انه قال يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض وقال تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على نبي اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يمرشون وقال تعالى مخبرا عن قوم فرعون أنذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض يعني أرض مصر وقال تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام انه قال اجعلني على خزائن الارض اني خفيط علم روى ابن يونس عن أبي نضرة الغفاري رضي الله عنه قال مصر خزائن الارض كلها وساطانها سلطان الارض كلها ألا ترى الى قول يوسف عليه السلام للملك مصر اجعلني على خزائن الارض ففعل فاغيث بمصر وخزائنها يومئذ كل حاضر وباد من جميع الارض وقال تعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوأ منها حيث يشاء فكان ليوسف بسطاطانه بمصر جميع سلطان الارض كلها لحاجتهم اليه والى ماتحت يديه وقال تعالى مخبرا عن موسى عليه السلام انه قال ربنا انك آتيت فرعون وملائه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم وقال تعالى عسى ربكم أن يهلك عدوك ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون وقال تعالى وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه اني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الارض الفساد يعني أرض مصر وقال تعالى ان فرعون علا في الارض يعني أرض مصر وقال تعالى حكاية عن بعض اخوة يوسف عليه السلام فلن أبرح الارض يعني أرض مصر وقال تعالى ان تريد الا أن تكون جبارا في الارض يعني أرض مصر قال ابن عباس رضي الله عنهما سميت مصر بالارض كلها في عشرة مواضع من القرآن فهذا ما يحضرنى مما ذكرت فيه مصر من آي كتاب الله العزيز * وقد جاء في فضل مصر أحاديث روى عبد الله بن هبة عن أبيه عن عمرو بن العاص أنه قال حدثني عمر أمير المؤمنين رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا فتح الله عليكم بعدى مصر فاتخذوا فيها جندا كشيئا فذلك الجند خير أجناد الارض قال أبو بكر رضي الله عنه ولم ذلك يا رسول الله قال لانهم في رباط الى يوم القيامة وعن عمرو بن الحلق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تكون فتنة أسلم الناس فيها أو خير الناس فيها الجند العربي قال فلذلك قدمت عليكم مصر وعن تميم بن عامر الكلاعي قال أقبلت من الصائفة فلقيت أبا موسى الأشعري رضي الله عنه فقال لي من أين أنت فقلت من أهل مصر قال من الجند العربي فقلت نعم قال الجند الضعيف قال قلت أهو الضعيف قال نعم قال أما انه ما كادهم أحد الا كفاهم الله مؤنته اذهب الى معاذ بن جبل حتى يحدثك قال فذهبت الى معاذ بن جبل فقال لي ما قال لك الشيخ فاخبرته فقال لي وأي شيء تذهب به الى بلادك

أحسن من هذا الحديث أكتبت في أسفل ألواحك فلما رجعت الى معاذ أخبرني أن بذلك أخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن وهب من حديث صفوان بن عسال قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فتح الله بابا للتوبة في المغرب عرضه سبعون عاما لا يغلق حتى تطلع الشمس من نحوه وروى ابن طهية من حديث عمر بن العاص حدثني عمر أمير المؤمنين رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله عز وجل سيفتح عليكم بمصر فاستوصوا بقبطها خيرا فإن لهم منكم سهرا وذمة وروى ابن وهب قال أخبرني حرملة بن عمران النخعي عن عبد الرحمن بن شماس المهری قال سمعت أباذر رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انكم ستفتحون أرضا يذكر فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيرا فإن لهم ذمة ورحما فإذا رأيتم رجلا يقتلان في موضع لبنة فخرجوا منها قال فر بربيعة وعبد الرحمن ابني شرحبيل يتنازعا في موضع لبنة نخرج منها وفي رواية ستفتحون مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط فإذا فتحتوها فأحسنوا الى أهلها فإن لهم ذمة ورحما أو قال ذمة و سهرا الحديث ورواه مالك والليث وزاد فاستوصوا بالقبط خيرا أخرجه مسلم في الصحيح عن أبي الطاهر عن ابن وهب قال ابن شهاب وكان يقال أن أم اسماعيل منهم قال الليث بن سعد قلت لابن شهاب ما رحمهم قال أن أم اسماعيل بن ابراهيم صلوات الله عليهما منهم وقال محمد بن اسحاق قلت لازهرى ما الرحم التي ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت هاجر أم اسماعيل منهم وروى ابن طهية من حديث أبي سالم الحيشاني أن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبره أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انكم ستكونون أجنادا وإن خير أجنادكم أهل المغرب منكم فاتقوا الله في القبط لا تأكلوهم أكل الخضر وعن مسلم بن يسار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال استوصوا بالقبط خيرا فانكم ستجدونهم نعم الاعوان على قتال العدو وعن يزيد بن أبي حبيب أن أبا سلمة بن عبد الرحمن حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى عند وفاته أن تخرج اليهود من جزيرة العرب وقال الله في قبط مصر فانكم ستظهرون عليهم ويكونون لكم عدة وأعوانا في سبيل الله وروى ابن وهب عن موسى بن أيوب الغافقي عن رجل من الرند أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرض فأغمي عليه ثم أفاق فقال استوصوا بالادم الجعد ثم أغمى عليه الثانية ثم أفاق فقال مثل ذلك ثم أغمى عليه الثالثة فقال مثل ذلك فقال القوم لو سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأدم الجعد فافاق فسألوه فقال قبط مصر فانهم أخوال وأصهار وهم أعوانكم على عدوكم وأعوانكم على دينكم قالوا كيف يكونون أعوانا على ديننا يا رسول الله قال يكفونكم أعمالا لدنيا وتفرغون للعبادة فالراضي بما يؤتى اليهم كالفاعل بهم والكاره لما يؤتى اليهم من الظلم

كلمته عنهم وعن عمرو بن حريب وأبي عبد الرحمن الحلي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انكم ستقدمون على قوم جمع رؤسهم فاستوصوا بهم خيرا فانهم قوة لكم وبلاغ الى عدوكم باذن الله يعني قبط مصر وعن ابن لهيعة حدثني مولى عفرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله الله في أهل المدرة السوداء السحيم الجراد فان لهم نسبا وصهرا قال عمر مولى عفرة صهرهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تسرى فيهم ونسبهم أن أم اسماعيل عليه السلام منهم قال ابن وهب فاخبرني ابن لهيعة أن أم اسماعيل هاجر من أم العرب قرية كانت أمام القرما من مصر وقال مروان القصاص صاهر الى القبط من الانبياء ثلاثة ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام تسرى هاجر ويوسف تزوج بنت صاحب عين شمس ورسول الله صلى الله عليه وسلم تسرى مارية وقال يزيد بن ابي حبيب قرية هاجر باق التي عندها أم ذنين وقال هشام العرب تقول هاجر وآجر فيبدلون من الماء الالف كما قالوا هراق الماء وأراق الماء ونحوه وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال الامصار سبعة * فالمدينة مصر والشام مصر ومصر الجزيرة والبحرين والبصرة والكوفة وقال مكحول أول الارض خرابا أرمينية ثم مصر وقال عبد الله بن عمرو وقبلة مصر أكرم الاعاجم كلها وأسمهم يدا وأفضلهم عنصرا وأقربهم رحا بالعرب عامة وبقرش خاصة ومن أراد أن يذكر الفردوس أو ينظر الى مثلها في الدنيا فليتنظر الى أرض مصر حين يخضر زرعها وتنور ثمارها وقال كعب الاحبار من أراد أن ينظر الى شبه الجنة فليتنظر الى مصر اذا أخرفت وفي رواية اذا أزهرت (ومن فضائل مصر) أنه كان من أهلها السحرة وقد آمنوا جميعا في ساعة واحدة ولا يعلم جماعة اسلمت في ساعة واحدة أكثر من جماعة القبط وكانوا في قول يزيد بن أبي حبيب وغيره اثني عشر ساحرا رؤساء تحت يد كل ساحر منهم عشر وعريفا تحت يد كل عريف منهم ألف من السحرة فكان جميع السحرة مائتي ألف وأربعين الفا ومائتين واثنين وخمسين انسانا بالرؤساء والعرفاء فلما عاينوا ما عاينوا أيقنوا أن ذلك من السماء وأن السحر لا يقوم لامر الله نخر الرؤساء الاثنا عشر عند ذلك سجدا فاتبعهم العرفاء واتبع العرفاء من بقي وقالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون قال تبيع كانوا من أصحاب موسى عليه السلام ولم يفتن منهم احد مع من افتن من بني اسرائيل في عبادة العجل قال تبيع ما آمن جماعة قط في ساعة واحدة مثل جماعة القبط وقال كعب الاحبار مثل قبط مصر كالقيضة كلما قطعت نبتت حتى يخرب الله عز وجل بهم ويصنعهم جزائر الروم وقال عبد الله بن عمرو خلقت الدنيا على خمس صور على صورة الطير برأسه وصدره وجناحيه وذنبه فالرأس مكة والمدينة واليمن والصدر الشام ومصر والجناح الايمن العراق وخلف العراق امة يقال لها واق وخلف واق امة يقال لها واق واق وخلف ذلك من الامم ما لا يعلمه الا الله عز وجل والجناح الايسر السند وخلف

السند الهند وخلف الهند امة يقال لها ناسك وخلف ناسك امة يقال لها منسك وخلف ذلك من الامم مالا يعلمه الا الله عز وجل والذنب من ذات الحمام الى مغرب الشمس وشرفا في الطير الذنب وقال الجاحظ الامصار عشرة* الصناعة بالبصرة* والفصاحة بالكوفة* والتخنيث ببغداد* والى بالرى* والجميا بذيابور* والحسن بهرة* والطرمدة بسمرقند* والمروءة ببلخ والتجارة بمصر* والبخل بمرو الطرمدة كلام ليس له فعل وعن يحيى بن داخر الحافرى أنه سمع عمر بن العاص يقول في خطبته واعلموا انكم في رباط الى يوم القيامة لمكت الاعداء حولكم ولاشراف قلوبهم اليكم والى داركم معدن الزرع والمال والخير الواسع والبركة التامة وعن عبد الرحمن بن غنم الاشعري أنه قدم من الشام الى عبد الله بن عمرو ابن العاص فقال ما أقدمك الى بلادنا قال كنت تحدثني أن مصر أسرع الارض خرابا ثم أراك قد اتخذت منها وبنيت فيها القصور واطمأنت فيها قال ان مصر قد أوفت خرابها حطمت البخت نصر فلم يدع فيها الا السباع والضباع فهي اليوم أطيّب الارضين ترابا وأبعدها خرابا ولا يزال فيها بركة مادام في شئ من الارض بركة ويقال مصر متوسطة الدنيا قد سامت من حر الاقليم الاول والثاني ومن برد الاقليم السادس والسابع ووقعت في الاقليم الثالث فطاب هواها وضعف حرها وخفف بردها وسلم أهلها من مشاقى الاهواز* ومصايف عمان* وصواعق تهامة* ودمايل الجزيرة* وجرب اليمن* وطواعين الشام* وبرسام العراق* وعقارب عسكر مكرم* وطحال البحرين* وحى خيبر* وأمنوا من غارات الترك* وجيوش الروم* وهجوم العرب* ومكايد الديلم* وسرايا القرامطة* ونزف الانهار* وقطع الامطار وبها ثمانون كورة ما فيها كورة الاوبها طرائف وعجائب من أنواع البر والابنية والطعام والشراب والفاكهة وسائر ما تنتفع به الناس وتذخره الملوك يعرف بكل كورة وجهاتها وينسب كل لون الى كورة فصعيدها أرض حجازية حره حر العراق وبنيت النخل والاراك والقرظ والدوم والعشر وأسفل أرضها شامي يطر مطر الشام وبنيت نمار الشام من الكروم والزيتون واللوز والتين والجوز وسائر الفواكه والبقول والرياحين ويقع به الثلج والبرد* وكورة الاسكندرية ولوبية ومراقبة برارى وجمال وغياض تنبت الزيتون والاعشاب وهى بلاد ابل وماشية وعسل ولبن وفي كل كورة من كور مصر مدينة في كل مدينة منها آثار كريمة من الابنية والصخور والرخام والعجائب وفي نيلها السفن التي تحمل السفينة الواحدة منها ما يحمله خمسمائة بعير وكل قرية من قرى مصر تصلح أن تكون مدينة يؤيد ذلك قول الله سبحانه وتعالى وابعث في المسدائن حاشرين ويعمل بمصر معامل كالتنابير يعمل بها البيض بصنعة يوقد عليه فيحاكى نار الطبيعة في حضانة الدجاجة ليضها ويخرج من تلك المعامل الفرائيح وهى معظم دجاج مصر ولا يتم عمل هذا بغير مصر وقال عمر بن ميمون خرج موسى

عليه السلام بني اسرائيل فلما أصبح فرعون أمر بشاة فأثى بها فأمر بها أن تذبح ثم قال لا يفرغ من سلعها حتى يجتمع عندي خمسمائة ألف من القبط فاجتمعوا اليه فقال لهم فرعون ان هؤلاء لشر ذمة قليلون وكان أصحاب موسى عليه السلام ستمائة ألف وسبعين ألفاً ووصف بعضهم مصر فقال ثلاثة أشهر للؤلؤة بيضاء وثلاثة أشهر مسكة سوداء وثلاثة أشهر زمرذة خضراء وثلاثة أشهر سبيكة ذهب حمراء فأما اللؤلؤة البيضاء فان مصر في أشهر أيب ومصري وتوت يركبها الماء فترى الدنيا بيضاء وضياعها على روابي وتلال مثل الكواكب قد أحيطت بها المياه من كل وجه فلا سبيل الى قرية من قراها الا في الزوارق . وأما المسكة السوداء فان في أشهر بابه وهاتور وكيمك ينكشف الماء عن الارض فتصير أرضا سوداء وفي هذه الاشهر تقع الزراعات وأما الزمرذة الخضراء فان في أشهر طوبه وأمشير وبرمات يكثر نبات الارض وربيعة فتصير خضراء كأنها زمرذة . وأما السبيكة الحمراء فان في أشهر برمودة وبشنش وبؤنة يتورد العشب ويبلغ الزرع الحصاد فيكون كالسبيكة التي من الذهب منظرا ومنفعة * وسأل بعض الخلفاء الليث بن سعد عن الوقت الذي تطيب فيه مصر . فقال اذا غاض ماؤها وارتفع وبأها وجف ثراها وأمكن مرعاها * وقال آخر نيلها عجب * وأرضها ذهب * وخيرها جلب * وملكها سلب * ومالها رغب * وفي أهلها صخب وطاعتهم رهب * وسلامهم شعب * وحرهم حرب * وهى لمن غلب * وقال آخر مصر من سادات القرى ورؤساء المدن * وقال زيد بن أسلم في قوله تعالى فان لم يصبا وابل فطل هي مصر ان لم يصبا مطر أزكت وان أصابها مطر أضعفت قاله المسمودي في تاريخه ويقال لما خالق الله آدم عليه السلام مثل له الدنيا شرقها وغربها وسهامها وجبالها وأنهارها وبحارها وبناءها وخرابها ومن يسكنها من الأمم ومن يملكها من الملوك فلما رأى مصر أرضا سهلة ذات نهر جار مادته من الجنة تنحدر فيه البركة ورأى جبلا من جبالها مكسوا نورا لا يخلو من نظر الرب اليه بالرحمة في سفحه أشجار مشمرة وفروعها في الجنة تسقى بماء الرحمة فدعا آدم عليه السلام في النيل بالبركة ودعا في أرض مصر بالرحمة والبر والتقوى وبارك في نيلها وجبلها سبع مرات وقال يا أيها الجبل انرحوم سفحك جنة وتربتك مسكة يدفن فيها غراس الجنة أرض حافظة مطيعة رحيمة لا تخلت لك يا مصر بركة ولا زال بك حفظ ولا زال منك ملك وعزيا أرض مصر فيك الجبايا والكنوز ولك البر والثروة وسال نهرك عسلا كثر الله زرعك ودر ضرعك وزكى نباتك وعظمت بركتك وخضبت ولا زال فيك خير ما لم تجبرى وتكبرى أو تخونى فاذا فعت ذلك عداك شر ثم يغور خيرك فكان آدم أول من دعاها بالرحمة والخصب والرافة والبركة * وعن ابن عباس أن نوحا عليه السلام دعا لمصر بن بيسر بن حام فقال اللهم انه قد أجاب دعوتي فبارك فيه وفي ذريته وأسكنه

الارض المباركة التي هي أم البلاد وغوث العباد التي نهرها أفضل أنهار الدنيا واجعل فيها أفضل البركات وسخر له ولولده الارض وذلاها لهم وقوهم عليها * وقال كعب الاحبار لولا رغبتي في بيت المقدس لما سكنت الا مصر فقيل له لم فقال لانها بلد معافاة من العترة ومن أرادها بسوء أكبه الله على وجهه وهو بلد مبارك لاسله فيه وقال ابن وهب أخبرني يحيى ابن أيوب عن خالد بن يزيد عن ابن أبي هلال أن كعب الاحبار كان يقول اني لاحب مصر وأهلها لان مصر بلد معافاة وأهلها أصحاب عافية وهم بذلك مفارقون ويتال ان في بعض السكتب الالهية مصر خزائن الارض كلها فمن أرادها بسوء قصمه الله تعالى * وقال أحمد ابن العاص ولاية مصر جامعة تعدل الخلافة يعني اذا جمع الخراج مع الامارة * وقال أحمد ابن مديبر يحتاج مصر الى ثمانية وعشرين ألف ألف فدان وانما يعمر منها الف الف فدان وقد كشفت أرض مصر فوجدت غامرها أضعاف عامرها ولو اشتغل السلطان بعمارتها لو فت له بخراج الدنيا وقال بعضهم ان خراج العراق لم يكن قط أوفر منه في ايام عمر بن عبد العزيز فانه بلغ ائف ائف درهم وسبعة عشر الف الف درهم ولم تكن مصر قط أقل من خراجها في ايام عمرو بن العاص وأنه بلغ اثني عشر الف الف دينار وكانت الشامات باربعة عشر الف ائف سوى الثغور * ومن فضائل مصر أنه ولد بها من الانبياء موسى وهارون وبوشع عليهم السلام ويقال ان عيسى بن مريم صلوات الله عليه أخذ على سفح الجبل المقطم وهو سائر الى الشام فالتفت الى أمه وقال يا أماء هذه مقبرة أمة محمد صلى الله عليه وسلم ويذكر أنه ولد في قرية اهناس من نواحي صعيد مصر وانه كانت به نخلة يقال انها النخلة المذكورة في القرآن بقوله سبحانه وتعالى وهزى اليك بجذع النخلة وهذا القول وهم فانه لاختلاف بين علماء الاحبار من أهل الكتاب ومن يعتمد عليه من علماء المسلمين أن عيسى صلوات الله عليه ولد بقرية بيت لحم من بيت المقدس ودخل مصر من الانبياء ابراهيم خليل الرحمن وقد ذكر ذلك عند ذكر خليج القاهرة من هذا الكتاب ودخلها أيضا يعقوب وبوسف والاسباط وقد ذكر ذلك في خبر الفيوم ودخلها ارميا وكان من أهلها مؤمن آل فرعون الذي أثنى عليه الله جلّ جلاله في القرآن ويقال انه ابن فرعون لصلبه وأظنه أنه غير صحيح وكان منها جلساء فرعون الذين أبان الله فضيلة عقلمهم بحسن مشورتهم في امر موسى وهارون عليهما السلام لما استشارهم فرعون في امرها فقال تعالى قال للملأ حوله ان هذا ساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فنادا تأمرؤن قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم وأين هذا من قول أصحاب النمرود في ابراهيم صلوات الله عليه حيث أشاروا بقتله قال تعالى حكاية عنهم قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين * ومن أهل مصر امرأة فرعون التي مدحها الله

تعالى في كتابه العزيز بقوله وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين ومن اهلها ماشطة بذت فرعون وآمنت بموسى عليه السلام فسطها فرعون بامشاط الحديد كما يمشط السكبان وهي ثابتة على ايمانها بالله * وقال صاعد الاغوى في كتاب طبقات الامم ان جميع العلوم التي ظهرت قبل الطوفان انما صدرت عن هرمس الاول الساكن بصعيد مصر الاعلى وهو اول من تكلم في الجواهر العلوية والحركات النجومية وهو اول من ابني الهياكل ومجد الله فيها واول من نظر في علم الطب وألف لاهل زمانه قصائد موزونة في الاشياء الارضية والسموية وقالوا انه اول من أندر بالطوفان ورأى أن آفة سماوية تصيب الارض من الماء أو النار تخاف ذهاب العلم واندراس الصنائع فبني الاهرام والبرابي التي في صعيد مصر الاعلى وصور فيها جميع الصنائع والآلات ورسم فيها صفات العلوم حرصا على تحليدها لمن بعده وخيفة أن يذهب رسمها من العالم . وهرمس هذا هو ادريس عليه السلام وقال أبو محمد الحسن بن اسماعيل بن الفرات في أخبار مصر أن الخضر جاز البحر مع موسى عليه السلام وكان مقدما عنده وكان بمصر من الحكماء جماعة ممن عمرت الدنيا بكلامهم وحكمهم وتديرهم وكان من علومهم علم الطب وعلم النجوم وعلم المساحة وعلم الهندسة وعلم الكيمياء وعلم الطبليات ويقال كانت مصر في الزمن الاول يسير اليها طلاب العلوم لتزكو عقولهم وتوجد أذهانهم ويتميز عندهم الذكاء وتدق الفطنة * ومن فضائل مصر أنها تميز اهل الحرمين وتوسع عليهم ومصر فريضة الدنيا يحمل خيرها الى ما سواها فساحلها بمدينة القلزم يحمل منه الى الحرمين واليمن والهند والصين وعمان والسند والشجر وساحلها من جهة تنيس ودمياط والفرما فريضة بلاد الروم والافرنج وسواحل الشام والثغور الى حدود العراق وثغر اسكندرية فريضة افريطس وصقلية وبلاد المغرب ومن جهة الصعيد يحمل الى بلاد المغرب والنوبة والبحجة والحبشة والحجاز واليمن وبمصر عدة من الثغور المعدة للرباط في سبيل الله تعالى وهي البرلس ورشيد والاسكندرية وذات الحمام والبحيرة واختا ودمياط وشطا وتنيس والاشتموم والفرما والورادة والعريش وأسوان وقوص والواحات فيغزى من هذه الثغور الروم والفرنج والبربر والنوبة والحبشة والسودان وبمصر عدة مشاهد وكثير من المساجد وبها النيل والاهرام والبرابي والاديار والسكنايس وأهلها يستغنون بها عن كل بلد حتى أنه لو ضرب بينها وبين بلاد الدنيا بسور لاستغنى أهلها بما فيها عن جميع البلاد وبمصر دهن البلسان الذي عظمته منفعة وصارت ملوك الارض تطالبه من مصر وتعتني به وملوك النصرانية اتراحي على طابه والنصارى كافة تعتقد تعظيمه وترى أنه لا يتم تصدير نصراني الا بوضع شيء من دهن البلسان في ماء المعمودية عند تعظيمه فيها وبها السقنقور ومنافعه لا تنكرونها بالنس والعرس

ولهما في أكل الثعابين فضيلة لا تنكر فقد قيل لولا العرس والنس لما سكنت مصر من كثرة الثعابين وبها السمكة الرعادة ونفعها في البرء من الحمى اذا علقت على المحموم عجيب وبمصر حطب السنط ولا نظير له في معناه قلو وقد منه تحت قدر يوما كاملا لما بقي منه رماد وهو مع ذلك صلب الكسر سريع الاستعمال بطيء التحمود ويقال انه أبنوس غيرته بقعة مصر فصار أحمر وبها الافيون عصارة الحشخاش ولا يجهل منافعه الا جاهل وبها البنج وهو ثمر قدر اللوز الاخضر كان من محاسن مصر الا أنه انقطع قبل سنة سبعمائة من الهجرة وبها الاترج قال أبو داود صاحب السير في كتاب الزكاة شجيرة ثناء بمصر ثلاثة عشر شبرا ورأيت أترجة على بعير قطعتين وصيرت مثل عدلين قال المسعودي في التاريخ والاترج المدبور حمل من أرض الهند بعد الثلاثمائة من سني الهجرة وزرع بعمان ثم نقل منها الى البصرة والعراق والشام حتى كثر في دور الناس بطرسوس وغيرها من الثغور الشامية وفي انطاكية وسواحل الشام وفلسطين ومصر وما كان يعهد ولا يعرف فقدمت منه الاراهج الحمراء الطيبة والالوان الحسن الذي كان فيه بأرض الهند لعدم ذلك الهواء والتربة وخاصة البلد وفي مصر معدن الزمرد ومعدن النفط والشب والبرام ومقاطع الرخام ويقال كان بمصر من المعادن ثلاثون معدنا وأهل مصر يأكلون صيد بحر الروم وصيد بحر اليمن طريا لان بين البحرين مسافة ما بين مدينة القلزم والفرما وذلك يوم وليلة وهو الحاجر المذكور في القرآن قال تعالى (وجعل بين البحرين حاجزا) قيل هما بحر الروم وبحر القلزم وقال تعالى (مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان) قال بعض المفسرين البرزخ ما بين القلزم والفرما ومن محاسن مصر أنه يوجد بها في كل شهر من شهور السنة القبطية صنف من الماء كؤل والمشوم دون ماعداه من بقية الشهور فيقال رطب توت ورماني بابو وموز هاتور وسمك كيك وماء طوبه وخروف أمشير ولبن برمات وورد برمودة ونبق بشنس وتين بؤنه وعسل أيب وعنب مسرى * ومنها أن صيفها خريف لكثرة فواكهه وشتاءها ربيع لما يكون بمصر حينئذ من القلزم والكتان • ومن محاسنها أن الذي ينقطع من الفواكه في سائر البلدان أيام الشتاء يوجد حينئذ بمصر ومنها أن أهل مصر لا يحتاجون في حر الصيف الى استعمال الخيش والدخول في جوف الارض كما يعانيه أهل بغداد ولا يحتاجون في برد الشتاء الى لبس الفرو والاصطلاء بالنار الذي لا يستغنى عنه أهل الشام كما أنهم أيضا في الصيف غير محتاجين الى استعمال الثلج ويقال زبرجد مصر وقباطي مصر وحير مصر وثعابين مصر ومنافعها في الدرياق جميلة • ومن فضائل مصر أن الرخامة التي في الحجر من الكعبة من مصر بعث بها محمد بن طريف مولى العباس بن محمد في سنة احدى وأربعين ومائتين مع رخامة أخرى حضراء هدية للحجر فجعلت احدى الرخامتين على

سطح مدر الكعبة وهما من أحسن الرخام في المسجد خضرة وكان المتولى عليهما عبد الله بن محمد بن داود ذرعها ذراع وثلاث أصابع قاله الفاكهي في أخبار مكة * ومن فضائل مصر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تسرى من أهلها وولد له صلى الله عليه وسلم من نساء مصر ولم يولد له ولد من غير نساء العرب الا من نساء مصر * قال ابن عبد الحكم لما كانت سنة ست من مهاجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية بعث الى الملوكة قضى حاطب بن أبي بلتعة بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انتهى الى الاسكندرية وجد المقوقس في مجلس مشرف على البحر فركب البحر فلما حاذى مجلسه أشار بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصبعيه فلما رآه أمر بالكتاب فقبض وأمر به فأوصل اليه فلما قرأ الكتاب قال مأمعه ان كان نبيا أن يدعو عليّ فيسلط عليّ فقال له حاطب ما منع عيسى بن مريم أن يدعو علي من أبي عليه أن يفعل به ويفعل فوجم ساعة ثم استعاضها فاعادها عليه حاطب فسكت فقال له حاطب انه قد كان قبلك رجل زعم أنه الرب الاعلى فانتقم الله به ثم انتقم منه فاعتبر بغيرك ولا تعتبر بك وان لك دينان تدعه الا لما هو خير منه وهو الاسلام الكافي الله به فقد ماسواه وما بشاره موسى بعيسى الا بكشارة عيسى بمحمد وما دعائنا اياك الى القرآن الا كدعائك أهل التوراة الى الانجيل ولسنا نهلك عن دين المسيح ولكننا نأمرك به * ثم قرأ الكتاب فإذا فيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى أما بعد فاني أدعوك بدعاية الاسلام فأسلم تسلم يوثك الله أجرك مرتين ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) فلما قرأه أخذه فجعله في حق من عاج وختم عليه * وعن ايبان بن صالح قال أرسل المقوقس الى حاطب ليلة وليس عنده أحد الا الترجمان فقال له ألا تخبرني عن أمور أسألك عنها فاني أعلم أن صاحبك قد تخيرك حين بعثك قلت لا تسألني عن شيء الا صدقتك قال الى م يدعو محمد قل الى أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتخلع ما سواء ويأمر بالصلاة قال فكم تصلون قال خمس صلوات في اليوم والليلة وصيام شهر رمضان وحج البيت والوفاء بالعهد وينهى عن كل الميتة والدم قال من أتباعه قال الفتيان من قومه وغيرهم قال وهل يقبل قوله قال نعم قال صفه لي قال فوصفته بصفة من صفته ولم آت عليها قال قد بقيت أشياء لم أرك ذكرتها في عينيه حمرة قل ما تفارقه وبين كتفيه خاتم النبوة يركب الحمار ويلبس الشملة ويحترق بالثرات والسكسر لا يبالي من لاقى من عم ولا ابن عم قلت هذه صفته قال أعلم قد كنت أن نيا بقي وقد كنت أظن أن مخرجه الشام وهناك كانت تخرج الانبياء من

قبله فأراه قد خرج في أرض العرب في أرض جهد وبؤس والقبط لا تطاوعني في اتباعه ولا أحب أن تعلم بمحاورتي اياك وسيظهر على البلاد ويترك أصحابه من بعده بساحتنا هذه حتى يظهروا على ما ههنا وأنا لا أذكر للقبط من هذا حرفا فارجع الى صاحبك قال ثم دعا كاتباً يكتب بالعربية فكتبه محمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت وما تدعو اليه وقد علمت أن نبياً قد بقى وقد كنت أظن أن نبياً يخرج بالشام وقد أكرمت رسولك وبعثت اليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم وبكسوة وأهديت اليك بغلة لتركها والسلام) * وعن عبد الرحمن بن عبد القاري قال لما مضى حاطب بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل المقوقس السكتاب وأكرم حاطباً وأحسن نزله ثم شرحه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهدى له كسوة وبغلة بسرجهما وجاريتين احدهما أم ابراهيم ووهب الاخرى لجهم بن قيس العبدي فهي أم زكريا بن جهم الذي كان خليفة نمر بن العاص على مصر ويقال بل وهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لمحمد بن مسامة الانصاري ويقال بل لدحية بن خليفة السكلي وقيل بل لحسان بن ثابت * وعن يزيد بن أبي حبيب أن أناه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضمه الى صدره وقال هذا زمان يخرج فيه النبي الذي نحمد نعتة وصفته في كتاب الله تعالى وأنا لنجد صفته أنه لا يجمع بين أختين في ملك يمين ولا نكاح وأنه يقبل الهدية ولا يقبل الصدقة وأن جلساء المساكين وأن خاتم النبوة بين كتفيه ثم دعا رجلاً عاقلاً ثم لم يدع بمصر أحسن ولا أجل من مارية وأختها وهما من أهل جفن بفتح أوله وسكون ثانيه ثم نون بعده من كورة أنصنا فبعث بهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهدى له بغلة شهباء وحماراً أشهب وثياباً من قباطي مصر وعسلاً من عسل بنها وبعث اليه بمال صدقة ويقال ان المقوقس أهدى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع جوارى وقيل جاريتين وبغلة اسمها الدلدل وحماراً اسمه يعفور وقباًو ألف مثقال ذهباً وعشرين ثوباً من قباطي مصر وخصياً يسمى مايور ويقال انه ابن عم مارية وفرساً يقال لها السكرار وقدحاً من زجاج وعسلاً من عسل بنها فأعجب النبي صلى الله عليه وسلم ودعا فيه بالبركة وقال ضمن الحبيث بملكه ولا بقاء للملكه فان المقوقس قال خيراً وأكرم حاطب بن أبي بلتعة وقارب الامر ولم يسلم * وقال ابن سعد أخبرنا محمد بن عمر الواقدي أبو يعقوب ابن محمد بن أبي صعصعة عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة قال أهدى المقوقس صاحب الاسكندرية الى النبي صلى الله عليه وسلم في سنة سبع من الهجرة مارية وأختها سيرين وألف مثقال ذهباً وعشرين ثوباً وبغلته الدلدل وحماره عفيرا وخصياً يقال له مايور فعرض حاطب على مارية الاسلام فأسلمت هي وأختها ثم أسلم الخصى بعد وكان الذي بعته

المقوقس مع مارية اسمه ابن عبد الله القبطي مولى بى عفار قال ابن عبد الحكم وأمر
رسوله أن ينظر من جلسائه وينظر الى ظهره هل يرى شامة كبيرة ذات شعر ففعل ذلك
الرسول فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم اليه الاختين والدائتين والعسل
والثياب وأعلمه أن ذلك كله هدية فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدية وكان لايردها
من أحد من الناس قال فلما نظر الى مارية وأختها اعجبتهما وكره أن يجمع بينهما وكانت
احدهما تشبه الاخرى فقال اللهم اختر لنيك فاختر الله له مارية وذلك انه لما قال لهما
اشهدا أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله فبادرت مارية فشهدت وآمنت قبل أختها
ومكثت أختها ساعة ثم تشهدت وآمنت فوهب رسول الله صلى الله عليه وسلم أختها لمسلمة
ابن محمد الانصاري وقال بعضهم بل وهبها لدحيصة بن خليفة السكبي * وعن يزيد بن أبى
حبيب عن عبد الرحمن بن شامة المهري عن عبد الله بن عمر قال دخل رسول الله صلى
الله عليه وسلم على أم ابراهيم أم ولده القبطية فوجد عندها نسيبا لها كان قدم معها من مصر
وكان كثيرا ما يدخل عليها فوقع في نفسه شيء فرجع فلقية عمر بن الخطاب رضي الله عنه
فعرف ذلك في وجهه فسأله فآخبره فاخذ عمر السيف ثم دخل على مارية وقربها عندها
فأهوى اليه بالسيف فلما رأى ذلك كشف عن نفسه وكان محبوبا ليس بين رجلية شيء
فلما رآه عمر رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فآخبره فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان جبريل أتاني فاخبرني أن الله عز وجل قد برأها وقربها وأن في بطنها غلاما
منى وأنه أشبه الخلق بى وأمرنى أن أسميه ابراهيم وكناني بأبى ابراهيم * وقال الزهري
عن أنس لما ولدت أم ابراهيم ابراهيم كانه وقع في نفس النبي صلى الله عليه وسلم منه شيء
حتى جاءه جبريل فقال السلام عليك يا أبا ابراهيم ويقال ان المقوقس بعث معها نخعي كان
ياوى اليها وقيل ان المقوقس أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم جواري منهن أم ابراهيم
وواحدة وهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى جهم بن حذيفة وواحدة وهبها لحسان
ابن ثابت فولدت مارية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وابراهيم وكان أحب الناس اليه حتى
مات فوجد به وكان سنه يوم مات ستة عشر شهرا وكانت البغلة والحمار أحب دوابه اليه
وسمى البغلة الدلدل وسمى الحمار يعفوراً وأعجبه العسل فدعا في عسل بنها بالبركة وبقيت
تلك الثياب حتى كفن في بعضها صلى الله عليه وسلم وكان اسم أخت مارية قيصر وقيل بل
كان اسمها سيرين وقيل حنة * وكلم الحسن بن على معاوية بن أبى سفيان في أن يضع
الجزية عن جميع قرية أم ابراهيم لحرمتها ففعل ووضع الخراج عنهم فلم يكن على احد منهم
خراج وكان جميع أهل القرية من أهلها وأقربائها فانقطعوا * وروى عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنه قال لو بقى ابراهيم ما تركت قبطيا الا وضعت عنه الجزية وماتت

مارية في محرم سنة خمس عشرة بالمدينة وقال ابن وهب أخبرني يحيى بن أيوب وابن لهيعة عن عقيل عن الزهري عن يعقوب بن عبد الله بن المغيرة بن الاخفش عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال دخل ابليس العراق ففضى حاجته منها ثم دخل الشام فطردوه حتى دخل جبل شاق ثم دخل مصر فباض فيها وفرخ وبسط عبقرية حديث صحيح غريب وقد عاب بعضهم مصر فقل محاسنها مجلوبة اليها حتى العناصر الاربعة الماء وهو في النيل مجلوب من الجنوب والتراب مجلوب في حل الماء والا فهي رمل محض لا تنبت الزرع والنار لا يوجد بها شجرها والهواء لا يهب بها الا من أحد البحرين اما من الرومي واما من القلزم وقد زاد هذا في تحامله * وقال كعب الاحبار الجزيرة آمنة من الخراب حتى تحرب ارمينه ومصر آمنة من الخراب حتى تحرب الجزيرة والكوفة آمنة من الخراب حتى تكون الملحمة

ذكر العجائب التي كانت بمصر من الطلسمات والبرابي ونحو ذلك

ذكر في كتاب عجائب الحكايات وغرائب الماخرات أنه كان بمصر حجر من جمع كفيه عليه تقياً جميع ما في جوفه قال القاضي ذكر الجاحظ وغيره أن عجائب الدنيا ثلاثون أعجوبة منها بسائر الدنيا عشر أعجوبات وهي • مسجد دمشق • وكنيسة الرها • وقنطرة سنجر وقصر غمدان • وكنيسة رومية • وصنم الزيتون • واوان كسرى بالمدائن • وبيت الريح بتدمر • والخورنق • والسدير بالحيرة • والثلاثة الاحجار بيعلك وذكر أنهايت المشتري والزهره وانه كان لسكل كوكب من السبعة بيت فيها قهدمت (ومنها بمصر عنثرون أعجوبة) فن ذلك الهرمان وها أطول بناء وأعجبه ليس على وجه الدنيا بناء باليد حجر على حجر أطول منهما واذا رأيتما ظننت انهما جيلان موضوعان ولذلك قال بعض من رآهما ليس من شئ الا وأنا أرحمه من الدهر الا الهرمين فاني لأرحم الدهر منهما • ومن ذلك صنم الهرمين وهو يلهوية ويقال بليت ويقال انه طلسم للرمل لثلا يغلب على ابلز الحيزه • ومن ذلك بربا سمنود وهو من أعاجيبها وذكر عن أبي عمرو السكندی انه قال رأيت وقد خزن فيه بعض عمالها قرظاً فرأيت الجمل اذا دنا من بابه بحمله واراد ان يدخله سقط كل ديب في القرظ لم يدخل منه شئ الى البرابي ثم خرب عند الخمسين والثلاثمائة • ومن ذلك بربا اخميم عجب من العجائب بما فيه من الصور وأعاجيب وصور الملوك الذين يملكون مصر وكان ذو النون الاخميمي يقرأ البرابي فرأى فيها حكماً عظيمة فأفسد أكثرها • ومن ذلك بربا دندره وهو بربا عجيب فيه ثمانون ومائة كوة تدخل الشمس كل يوم من كوة منها ثم الثانية حتى تنتهي الى آخرها ثم تكرر راجعة الى موضع بدائها • ومن ذلك حائط العجوز من العريش الى اسوان يحيط بأرض مصر شرقاً وغرباً * ومن ذلك الاسكندرية وما فيها من العجائب فن عجائبها المنارة والسواري والملعب الذي كانوا يجتمعون فيه في يوم من السنة

ثم يرمون بكرة فلا تقع في حجر أحد الملوك مصر وحضر عيدا من أعيادهم عمرو بن
العاص فوقعت السكر في حجره فملك البلد بعد ذلك في الاسلام ثم يحضر هذا الملوك ألف
الف من الناس فلا يكون فيهم أحد الا وهو ينظر في وجه صاحبه ثم ان قريئ كتاب
سمعه جميعا أو لعب نوع من أنواع اللعب رأوه عن آخرهم لا يتناولون فيه بأكثر من
المراتب العلية والسفلية * ومن عجائبها المسلمان وهما جيلان قائمان على سرطانات نحاس في
اركانها كل ركن على سرطان فلو أراد مرید أن يدخل تحتها شيئا حتى يعبره من جانبه
الاخر لفعل * ومن عجائبها همودا الاعيا وهما عمودان ملقيان وراء كل عمود منهما جبل
حصبيا كصبر الجمار بنى يقبل المعنى التعب النصب بسبع حصيات حتى يلتقي على احدهما ثم
يرمي وراءه السبع ويقوم ولا يلتفت ويغضى لعلته فكأنما يحمل حملا لا يحس بشيء من تعب
ومن عجائبها القبة الخضراء وهي أعجب قبة منبسة نحاسا كأنه الذهب الابرز لا يبلية القدم
ولا يخلقه الدهر * ومن عجائبها منية عقبة وقصر فارس وكنيسة أسفل الارض ثم هي
مدينة على مدينة ليس على وجه الارض مدينة بهذه الصفة سواها ويقال انها ارم ذات
العماد سميت بذلك لان عمدها ورخامها من البدينجا والاصطيدس المخطط طولاً وعرضا *
ومن عجائب مصر أيضا الجبال التي هي بصعيدها على نيلها وهي ثلاثة أجبل فمنها جبل
الكهف ويقال الكف * ومنها العليامون * ومنها جبل زماجير الساحرة يقال ان فيه حلقة من
الجبل ظاهرة مشرفة على النيل لا يصل اليها احد يلوح فيها خط مخلوق باسمك اللهم * ومن
عجائبها شعب البوقيرات بناحية اشمون من ارض الصعيد وهو شعب في جبل فيه صدع تأتية
البوقيرات في يوم من السنة كان معروفا فتعرض انفسها على الصدع فكلما ادخل بوقير منها
منقاره في الصدع مضى لسبيله فلا يزال يفعل ذلك حتى يلتقي الصدع على بوقير منها فيحبسه
وتمضى كلها ولا يزال ذلك الذي يحبسه متعلقا حتى يتساقط ويتلاشى * ومن عجائبها عين شمس
وهي هيكल الشمس وبها العمودان اللذان لم ير أعجب منهما ولا من شأنهما طولهما في السماء
نحو من خمسين ذراعا وهما محمولان على وجه الارض وفيهما صورة انسان على دابة وعلى
رأسهما شبه الصومعيتين من نحاس فاذا جاء النيل قطر من رأسهما ماء وتستين وتراه منهما
واضحا ينبع حتى يجري في أسفلهما فينبت في أصلهما العوسج وغيره واذا حلت الشمس دقيقة
من الجدى وهو أقصر يوم في السنة انتهت الى الجنوبي منها فظلمت عليه على قمة رأسه وهي
منتهى الميلىن وخط الاستواء في الواسطة منهما ثم خطرت بينهما ذاهية وجانية سائر السنة
كذا يقول أهل العلم بذلك * ومن عجائبها منف وعجائبها وأصنامها وأبنيتها ودقائنها وكنوزها
وما يذكرونها أكثر من أن يحصى من آثار الملوك والحكام والانبياء لا يدفع ذلك * ومن عجائبها
الفرما وهي أكثر عجائبها وأكثر آثارها * ومن عجائبها الفيوم * ومن عجائبها نيلها. ومن عجائبها

الحجر المعروف بحجر الخلل يطفو على الخلل ويسبح فيه كأنه سمكة وكان يوجد بها حجر اذا أمسكه الانسان بكتلتا يديه تقايا كل شئ في بطنه وكان بها خرزة تجعلها المرأة على حقوها فلا تحبل وكان بها حجر يوضع على حرف التنوير فيساقط خبزه وكان يوجد بصميدها حجارة رخوة تسكر فتتقد كالمصابيح * ومن عجائبها حوض كان بدالات تدور من حجارة يركب فيها الواحد والاربعة ويحركون الماء بشئ فيمرون من جانب الى جانب لا يعلم من عمله فأخذ كافور الاخشيدي الى مصر فظفر اليه ثم أخرج من الماء فالتقى في البر وكان في اسفله كتابة لا يدري ماهي ثم بطل * ومن عجائبها أن بصميدها ضيقة تعرف بدشني فيها سنطة اذا تهددت بالقطع تدبل وتجتمع وتضمض فيقال لها قد عفونا عنك وتركتك فتراجع والمشهور وهو الموجود الآن سنطة في الصعيد اذا نزلت اليد عليها دبلت واذا رفعت عنها تراجعت وقد حملت الى مصر وشوهت وبها نوع من الخشب يرسب في الماء كالأبنوس وبها الخشب السنط الذي يوجد منه القدر الكثير في الزمن الطويل فلا يوجد له رماذ - وذكر ابن نصر المصري أنه كان على باب القصر الكبير الذي يقل له باب الريحان عند السكنيسة المعلقة صنم من نحاس على خلفة الجمل وعليه رجل راكب عليه عمامة منتكبة قوسا عسرية وفي رجليه نعلان كانت الروم والقبط وغيرهم اذا تظالموا بينهم واعتدى بعضهم على بعض تجاروا اليه حتى يقفوا بين يدي ذلك الجمل فيقول المظلوم للظالم أنصفني قبل أن يخرج هذا اراكب الجمل فيأخذ الحق لي منك شئت أم أبيت يعنون بالراكب النبي محمدا صلى الله عليه وسلم فلما قدم عمرو بن العاص غيت الروم ذلك الجمل لئلا يكون شاهدا عليهم قال ابن لهيعة بلغني أن تلك الصورة في ذلك الموضع قد أتى الآن عليها سنين لا يدري من عمالها * قال القاضي فهذه عشرون أعجوبة من جماتها ما يتضمن عدة عجائب فلو بسطت لجاء منها عدد كثير ويقال ليس من بلد فيه شئ غريب الا وفي مصر مثله أو شبيه به * ثم تفضل مصر على البلدان بعجائبها التي ليست في بلد سواها وفي كتاب تحفة الالباب انه كان بمصر بيت تحت الارض فيه رهبان من النصارى وفي البيت سرير صغير من خشب تحته صبي ميت ملفوف في نطع اديم مشدود بحبل وعلى السرير مثل الباطية فيها انبوب من نحاس فيه فتيل اذا اشتعل افتيل بالنار وصار سراجا خرج من ذلك الانبوب الزيت الصافي الحسن الفائق حتى تمتلي تلك الباطية وينطفئ السراج بكثرة الزيت فاذا انطفأ لم يخرج من الدهن شئ فاذا خرج الصبي الميت من تحت السرير لم يخرج من الزيت شئ والباطية يريقها الانسان فلا يرى تحتها شيئا ولا موضعا فيه ثقب وأولئك الرهبان يتعشون من ذلك الزيت يشتره الناس منهم فينتفعون به * وقال الاستاد ابراهيم بن وصيف شاه عديم الملك ابن قطر يم كان جبارا لا يطاق عظيم الخلق فأمر بقطع الصخور ليعمل مرما كما عمل الاولون وكان في وقته الملكان اللذان أهبطا

من السماء وكانا في بئر يقال له اقتاره وكان يعلمان اهل مصر السحر وكان يقال ان الملك
عديم بن البودشير استكثر من علمهما ثم انتقلا الى بابل واهل مصر من القبط يقولون
انهما شيطانان يقال لهما مهله وبها له وليس هما الملكين والملكان ببابل في بئر هناك ينشأها
السحرة الى أن تقوم الساعة ومن ذلك الوقت عبدت الاصنام وقال قوم كان الشيطان يظهر
وينصبا لهما وقال قوم أول من نصبها بدوره وأول صنم أقامه صنم الشمس وقال آخرون
بل الفرواد الاول أمر الملوك بنصبها وعبادتها وعديم أول من صلب وذلك أن امرأة زنت
برجل من اهل الصناعات وكان لها زوج من اصحاب الملك فأمر بصلبها على منارين وجعل
ظاهر كل واحد منهما الى ظهر الآخر وزبر على المنارين اسمهما وما فعلاه وتاريخ الوقت الذي
عمل ذلك بهما فيه فأنتهى الناس عن الزنا وبقي اربع مديان وأودعها صنوفا كثيرة من
عجائب الاعمال والظلمات وكثر فيها كنوزا كثيرة وعمل في الشرق منارا وأقام على رأسه
صنما موجهها الى الشرق مادّا يديه يمنع دواب البحر والرمال أن تتجاوز حده وزبر في صدره
تاريخ الوقت الذي نصبه فيه ويقال ان هذا المنار قائم الى وقتنا هذا ولولا هذا لغلط الماء
الملح من البحر الشرقي على ارض مصر وعمل على النيل قطرة في أول بلد النوبة ونصب
عليها اربعة اصنام موجهة الى اربع جهات الدنيا في يدى كل واحد من الاصنام حرتان
يضرب بهما اذا أت من تلك الجهة فلم تزل بحالها الى أن هدمها فرعون موسى عليه السلام
وعمل البربا على باب التوبة وهو هناك الى وقتنا هذا وعمل في احدى المديان الاربع التي
ذكرناها حوضا من صوان أسود مملوء ماء لا ينقص طول الدهر ولا يتغير مأواه لانه اجتلب
اليه من رطوبة الهواء وكان اهل تلك الناحية واهل تلك المدينة يشربون منه ولا ينقص مأواه
وعمل ذلك لبعدهم عن النيل وذكر بعض كنهة القبط أن ذلك الماء ثم لقربه من البحر
الملح فان الشمس ترفع بحرها بخر البحر فينحصر من ذلك البخار جزء بالهندسة او بالسحر
وتجمله بنحط ذلك في ذلك الموضع بالجواهر مثل الظل وتعد بالهواء فلا ينقص بذلك مأواه على
الدهر ولو شرب منه العالم وعمل قدحا لطيفا على مثل هذا العمل وأهداه حوميل الملك
الى اسكندر اليوناني وملكهم عديم مائة واربعين سنة ومات وهو ابن سبعمائة وثلاثين سنة
ودفن في احدى المدائن ذات العجائب وقيل في صحراء فقط * وذكر بعض القبط أن ناووس
عديم عمل في صحراء فقط على وجه الارض تحت قبسة عظيمة من زجاج اخضر برّاق
معمود على رأسها كرة من ذهب عاها طائر من ذهب موشع بجوهر منشور الجناحين يمنع
من الدخول الى القبة وكان قطرهما مائة ذراع في مثلها وجعل جسده في وسطها على سرير
من ذهب مشبك وهو مكشوف الوجه وعليه ثياب منسوجة بالذهب المفروز بالجواهر المنظوم
وطول القبة اربعون ذراعا وجعل في القبة مائة وسبعين مصحفا من مصاحف الحكمة وسبع

موائد بأوانها منها مائدة من در رماني احمر وأوانها منها ومائدة من ذهب قلموني وأوانها منها ومائدة من حجر الشمس المضيء بآتيها وهو الزبرجد الذي اذا نظرت اليه الالاعي سالت اعينها ومائدة من كبريت احمر مدبر بآتيها ومائدة من ملح ابيض مدبر يراق بآتيها ومائدة من زبيق معقود وجعل في القبة جواهر كثيرة وبرابي صنعة مدبرة وحوله سبعة اسياق وأتراس من حديد أبيض مدبر وتماثيل افراس من ذهب عليها سروج من ذهب وسبعة نوايت من دنابير عليها صورته وجعل معه من اصناف العقاقير والسمومات والادوية في برابي من حجارة وقد ذكر من رأى هذه القبة أنهم أقاموا أياما فما قدروا على الوصول اليها وأنهم اذا قصدوها وكانوا منها على ثمانية اذرع دارت القبة عن ايمانهم أو عن شمائلهم * ومن اعجب ما ذكره أنهم كانوا يحاذون أزاجها أزجا فلا يرون غير الصورة التي يرونها من الأزج الآخر على معنى واحد وذكروا انهم رأوا وجه الملك قدر ذراع ونصف بالكبير ولحيته كبيرة مكشوفة وقدروا طول بدنه عشرة اذرع وزيادة وذكر هؤلاء الذين رأوها أنهم خرجوا الحاجة فوجدوها اتفاقا وانهم سألو اهل فقط عنها فلم يجدوا احدا يعرفها سوى شيخ منهم وأوصى عديم الملك ابنه شداب بن عديم ان ينصب في كل حيز من أحياز ولايته منارا ويزر عليه اسمه فأنحدر الى الاشمونين وعمل مناراتها وزبر عليها اسمه وعمل بها ملاعب وعمل في محراثها منارا اقام عليه صنما برأسين على اسم كوكبين كانا مقترنين في الوقت الذي خرج فيه الى اتريب وبنى فيها قبة عظيمة مرتفعة على عمد وأساطين بعضها فوق بعض وعلى رأسها صنما صغيرا من ذهب وعمل هيكلًا للسكواكب ومضى الى حيز صافعمل فيه منارا على رأسه امرأة من اخلاط تورى الاقاليم ورجع وعمل شداب ابن عديم هيكل ارممت وأقام فيه اصناما باسماء السكواكب من جميع المعادن وزينه بأحسن الزينة ونقشه بالجواهر والزجاج الملون وكساء الوشي والديباج وعمل في المدائن الداخلة من انصنا هيكلًا وأقام فيه بآريب وهيكلًا شرقي الاسكندرية وأقام صنما من صوان اسود باسم زحل على عبدة النيل من الجانب الغربي وبنى في الجانب الشرقي مدائن في احداها صورة صنم قائم وله احليل اذا أباه المعقود والمسحور ومن لا ينتشر ذكره فسحبه بكلي يديه انتشر ذكره وقوى على الباء وفي احداها بقرة لها ضرعان كبيران اذا انعقد لبن امرأه أتنها ومسحتها بيديها فانه يدر لبنها وجمع التماسيح بطاسم عمله بناحية اسيوط فكانت تنصب من النيل الى اخميم انصبابا فيقتلها ويستعملها جلودا في السفن وغيرها * وعمل منقاسوس الملك بيتا تدور به تماثيل بجميع العلال وكتب على رأس كل تمثال ما يصلح من العلاج فانتفع الناس بها زمانا الى أن افسدها بعض الملوك وعمل صورة امرأة متبسمة لا يراها مهموم الازال همه ونسيه فكان الناس يتناوبونها ويطوفون حولها ثم عبدوها من جملة ما عبدوه

بعد ذلك * وعمل تمثالا من صفر مذهب بجناحين لا يمر به زان ولا زانية الا كشف عورته بيده وكان الناس يمتحنون به الزناة فامتنعوا من الزنا فرقا منه فلما ملك كلكن عشت حطية عنده رجلا من خدمه وخافت أن تمتحن بذلك الصنم فأخذت في ذكر الزواني مع الملك وأكثرت من سبهن وذمهن فذكر كلكن ذلك الصنم وما فيه من المنافع فقالت صدق الملك غير أن منقاس لم يصب في امره لانه اتعب نفسه وحكاه فيما جملة لاصلاح العامة دون نفسه وكان حكم هذا ان ينصب في دار الملك حيث يكون نساؤه وجواريه فان اقترفت احداهن ذنبا علم بها فيكون رادعا لهن متى عرض بقلوبهن شيء من الشهوة فقال كلكن صدقت وطن أن هذا منها نصح فأمر بنزع الصنم من موضعه ونقله الى داره فبطل عمله وعملت المرأة ما كانت همت به * وبني هيكلا على جبل القصير للسحرة فكانوا لا يعطون الرياح للمراكب المقامة الا بضربة يأخذونها منهم للملك * وبني مناسوس بن منقاس في صحراء الغرب مدينة بالقرب من مدينة السحرة تعرف بقنطرة ذات عجائب وجعل بوسطها قبة عابها كالسحابة تمطر شتاء وصيفا مطرا خفيفا وتحت القبة سطرحة فيها ماء أخضر يدأوى به من كل داء فيبريه وعمل في شرقها برجا لطيفا له اربعة ابواب لسكل باب عضداتان في كل عضادة صورة وجه يحاطب كل واحد منهما صاحبه بما يحدث في يومه فن دخل البرجا على غير طهارة نفخا في وجهه فأصابه رعدة قطيعة لاتفارقه حتى يموت وكانوا يقولون ان في وسطه مهبط النور في صورة العمود من اعتقه لم يحتجب عن نظره شيء من الروحانية وسمع كلامهم ورأى ما يعمون وعلى كل باب من أبواب هذه المدينة صورة راهب في يده مصحف فيه علم من العلوم فن أحب معرفة ذلك العلم اتي تلك الصورة فسحبا بيديه وأمرهما على صدره فثبت ذلك العلم في صدره ويقال ان هاتين المدينتين بنيتا على اسم هرمس وهو عطارد وأتهما مجاهلما (وحكي) عن رجل انه أتى عبد العزيز بن مروان وهو أمير مصر فعرفه أنه تاه في صحراء الشرق فوقع على مدينة خراب فيها شجرة تحمل كل صنف من الفاكهة وأنه اكل منها وتزود فقال له رجل من القبط هذه إحدى مدينتي هرمس وفيها كنوز كثيرة فوجه عبد العزيز معه جماعة معهم ماء وزاد فأقاموا يطوفون تلك الصحارى شهرا فلم يبقوا لها على أثر * وعملت أم ميلاطس الملك بركة عظيمة في صحراء الغرب وجعلت في وسطها عمودا طوله ثلاثون ذراعا وفي اعلاه قصعة من حجارة ينفور منها الماء فلا ينقص ابدا وجعلت حول البركة اصناما من حجارة ملونة على صور الحيوانات من الوحش والطير والبهائم فكان كل جنس يأتي الى صورته ويألفها فيؤخذ باليد ويتفجع به * وعملت لابنها منزها لانه كان يحب الصيد فجعلت فيه مجالس مركبة على اساطين من مرمر مصفح بالذهب مرصع بالجواهر والزجاج الملون وزخرفته بالتصاوير العجيبة والنقوش فكان الماء يطلع من

فوارات وينصب الى أنهار قد صفحت بالفضة تجرى الى حدائق فيها بديع الفروشات وقد أقيم حولها تماثيل تصغر بانواع اللغات وأرخت على المجلس ستورا من ديباج واختارت لابنها من حسان بنات عمه وبنات الملوك وزوجته وحوته الى هذه الجنة وبنات حول الجنة مجالس للوزراء والسكينة وأشرف اهل الصناعات فكانوا رفعون اليه جميع ما يعملونه فاذا فرغوا من أعمالهم حمل اليهم الطعام والشراب وكان ميلاطس تقلد الملك بعد ابيه مرقوه وهو صبي وكانت أمه مدبرة الملك وهي حازمة مجربة فأجرت الامور على ما كانت عليه في حياة ابيه وأحسنّت وعملت في الرعية ووضعت عنهم بعض الحراج وكانت ايامه سعيدة كلها في الخصب الكثير والسعة للناس والعدل وكان له يوم يخرج فيه الى الصيد ويرجع الى جنته فيأمر لكل من معه بالجوائز والاطعمة ويجلس للنظر يوما في مصالح الناس وقضاء حوائجهم ويخلو يوما بنفسائه وكان ملكه ثلاث عشرة سنة وجدر فاته * وعمل فرسون بن قيامون ابن اريب منارا على بحر القلزم وعلى رأسه مرآة تجذب بها المراكب الى شاطئ البحر فلا يمكنها أن تبرح الا أن تعبر فاذا عثرت سرت المرأة حتى تجوز المراكب وأقام فرسون مائتي سنة وستين سنة وعمل لنفسه ناووسا خائف الجبل الاسود الشرقي في وسطه قبة حولها اثنا عشر بيتا في كل بيت أعجوبة لا تشبه الاخرى وزبر عليها اسمه ومدة ملكه * وكان مرقونس الملك حكيما محبا للنجوم والعلوم والحكمة فعمل في ايامه درهما اذا ابتاع به صاحبه شيئا اشترط أن يزن له ما يبتاعه منه بوزن الدرهم ولا يطالب عليه زيادة فيغتر البائع بذلك ويقبل الشرط فاذا تم ذلك بينهما وقع في وزن الدرهم ارطال كثيرة تساوي عشرة أضعافه وكان اذا أحب أن يدخل في وزنه اضاف تلك الارطال دخل وقد وجد هذا الدرهم في كنوزهم ثم في خزائن بني أمية وكان الناس يتعجبون منه ووجدوا دراهم آخر قيل انها عملت في وقته ايضا فيكون الدرهم منها في ميزان الرجل فاذا اراد أن يبتاع حاجة أخذ ذلك الدرهم وقبله وقال اذكر العهد وابتاع به ما اراد فاذا اخذ السلعة ومضى الى بيته وجد الدرهم قد سبقه الى منزله ويجد البائع موضع ذلك الدرهم ورقة آس أو قرطاسا أو مثل ذلك بدور الدرهم وفي وقته عملت الآنية الزجاج التي توزن فاذا ملئت ماء أو غيرهم وزنت لم تزد عن وزنها الاول شيئا وعمل في وقته الآنية التي اذا جعل فيها الماء صار خمرًا في لونه ورائحته وفعله وقد وجد من هذه الآنية باطفيح في امارة هارون بن جاريه بن احمد بن طولون شربة جزع بعروة زرقاء بياض وكان الذي وجدها ابو الحسن الصائغ الحراساني هو ونفر معه فأكلوا على شاطئ النيل وشربوا بها الماء فوجدوه خمرًا سكرًا منه وقاموا ليرقصوا فوقت الشربة فانكسرت عدة قطع فاغتم الرجل وجاء بها الى هارون فاسف عاها وقال لو كانت صحيحة لاشتريتها ببعض ملكي * وأما الآنية النحاسية التي تجعل الماء خمرًا

فانها منسوبة الى قلوبطرة بنت بطليموس ملكة الاسكندرية فكثير وفي وقته عملت
الصور الحثمية من الضفادع والخنافس والذباب والعقارب وسائر الحشرات وكانت اذا
جعلت في موضع اجتمع اليها ذلك الجنس ولا يقدر على مفارقة تلك الصورة حتى يقتل
وكأنه يعمل اعماله كلها بصور درج الفلك واسماها وطوالها فيتم له من ذلك ما يريد *
وعمل في صحراء الغرب ملعبا من زجاج ملون في وسطه قبة من زجاج اخضر صافي اللون
فاذا طلعت عليها الشمس ألفت شعاعها على مواضع بعيدة وعمل في جوانبه الاربعة اربعة
محاسن عالية من زجاج كل مجلس لون ونقش عليها بغير لونها طلسمات عجيبة ونقوشات
غريبة وصورا بديعة كل ذلك من زجاج مطلق يشف وكان يقيم في هذا الملعب الايام وعمل
له ثلاثة أعياد في كل سنة فكان الناس يحججون اليه في كل عيد وذبجون له ويقومون فيه
سبعة أيام ولم يزل هذا الملعب تقصده الامم فانه لم يكن له نظير ولا عمل في العالم مثله الى
أن هدمه بعض الملوك ليعجزه عن عمل مثله * وكانت أم مرقونس ابنة ملك النوبة وكان
أبوها يعبد الكوكب الذي يقال له السها ويسميه الها سألت ابنها أن يعمل لها هيكلًا يفرد لها
به فعمله وصفحه بالذهب والفضة وأقام فيه صنما وأرخت عليه الستور الحرير فكانت تدخل
اليه بجواربها وحشمتها وتسجد له في كل يوم ثلاث مرات وعملت لكل شهر عيدا
تقرب له قرايين وتبخره ليله ونهاره ونصبت له كاهنا من النوبة يقوم به ويقرب له ويبخره
ولم تزل بابنها حتى سجد له ودعا الى عبادته فلما رأى الكاهن الامر في عبادة الكواكب
قد تم وأحكم من جهة الملك أحب أن يكون الكوكب السها مثلا في الارض على صورة
حيوان يتعبد له فاقام يعمل الحيلة في ذلك الى أن اتفق أن العقبان كثرت بمصر وأضررت
بالناس فاحضر الملك هذا الكاهن وسأله عن سبب كثرتها فقال ان اهلك أرسلها لتعمل لها
نظيرا ليسجد له فقال مرقونس ان كان يرضيه ذلك فانا فاعله فقال ان ذلك رضاه فأمر
بعمل عقاب طوله ذراعان في عرض ذراع من ذهب مسبوك وعمل عينيه من ياقوتتين
وعمل له وشاحين من لؤلؤ منظوم على أنابيب جوهر اخضر وفي منقار درة معلقة وسروله
بالدر الاحمر وأقامه على قاعدة من فضة منقوشة قد ركبت على قائمة زجاج أزرق وجعله في
ازج عن يمين الهيكل وأتى عليه ستور الحرير وجعل له دخنة من جميع الافاويه والعموغي
وقرب له تحيلا أسود وبكارة الفراريج وبأكورة الفواكه والرياحين فلما تمت له سبعة أيام
دعاهم الى السجود اليه فأجاباه الناس ولم يزل الكاهن يجهد نفسه في عبادة العقاب وعمل
له عيدا فلما تم لذلك أربعون يوما نطق الشيطان من جوفه * وكان أول ما دعاهم اليه
أن يبخر له في أنصاف الشهور بالندل ويرش الهيكل بالحر العتيقة التي تؤخذ من رؤس
الحوابي وعرفهم أنه قد أزال عنهم العقبان وضررها وكذلك يفعل في غيرها مما يخافون فسر

السكان بذلك وتوجه الى أم الملك يعرفها ذلك فسارت الى الهيكل وسمعت كلام العقاب
فسرها ذلك وأعظمته وبلغ الملك فركب الى الهيكل حتى خاطبه وأمره ونهاه فسجد له
وأقام له سدة وأمر أن يزین بأصناف الزينة وكان مرقونس يقوم بهذا الهيكل ويسجد
لنلك الصورة ويسألها عما يريد فتخبره * وعمل من السكيميا ما لم يعمل أحد من الملوك
فيقال انه دفن في صحراء الغرب خمسمائة دفين * ويقال انه عمل على باب مدينة صامودا
عليه صنم في صورة امرأة جالسة وفي يدها مرآة تنظر اليها وكان العليل يأتي الى هذه المرأة
وينظر فيها أو ينظر له أحد فيها فان كان يموت من علته تلك رأى ميتا وان كان يعيش رأى
حيا وينظر فيها أيضا للمسافر فان رأوه مقبلا بوجهه علموا أنه راجع وان رأوه موليا علموا
أنه يتماذي في سفره وان كان مريضا أو ميتا رأوه كذلك في المرأة * وعمل بالاسكندرية
صورة راهب جالس على قاعدة وعلى رأسه كالبرنس وفي يده كالعكاز فاذا مر به تاجر جعل
بين يديه شيئا من المال على قدر بضاعته فان تجاوزته ولو عن بعد من غير أن يضع بين يديه
المال لم يقدر على الجواز وثبت قائما مكانه فكان يجتمع من ذلك مال عظيم يفرق في الزمنى
والضعفا والفقرا * وعمل في زمنه كل أعجوبة ظريفة وأمر أن يزرر اسمه عليها وعلى كل
علم وكل طلسم وكل صنم * وعمل لنفسه ناووسا في داخل الارض عند جبل يقال له سداس
وعمل تحته ازجا يقال ان طوله مائة ذراع وارتفاعه ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا
وصفحه بالمرمر والزجاج الملون وسقفه بالحجارة وعمل فيها دائرة مساطب مبلطة بزجاج
على كل مسطبة أعجوبة وفي وسط الازج دكة من زجاج على كل ركن من أركانها صورة
تمتع الدنيا اليها وبين كل صورتين منارة عليها حجر مضى وفي وسط الدكة حوض من ذهب
فيه جسده بعد ما ضمه بالادوية الماسكة ونقل اليه ذخائره من الذهب والجواهر وغيره
وسد باب الازج بالصخور والرخاص وهيل عليها الرمال وكان ملكه ثلاثا وسبعين سنة
وعمره مائتين وأربعين سنة وكان جميلا ذا وفرة حسنة فتنسكت نساؤه ولزمن الهيكل من
بعده وملك بعده ابنه ايساد ثم صا بن ايساد وقيل صا بن مرقونس أخو ايساد فعمل امرأة
في مدينة منف ترى الاوقات التي تخصب فيها مصر وتجدب وبني بداخل الواحات مدينة
ونصب قرب البحر أعلاما كثيرة * وعمل خلف المقطم صنما يقال له صنم الحيلة فكان كل من
تعذر عليه أمر يأتيه ويبيخه فيتييسر ذلك الامر له وجعل بحافة البحر الملح منارا يعلم منه
أمر البحر وما يحدث فيه من أقصي ما يصل اليه البصر على مسيرة أيام وهو أول من اتخذها
ويقال انه بني أكثر مدينة منف وكل بنيان عظيم بالاسكندرية * ولما ملك بدارس بن صا
الاحياز كلها بعد ابيه وصفاه ملك مصر بني في غربي مدينة منف يبيتا عظيما لـلكوك
الزهرية وأقام فيه صنما عظيما من لازورد مذهب وتوجه بذهب يلوح بزرقة وسوره بسوارين

من زبرجد اخضر وكان الصنم في صورة امرأة لها ضفيران من ذهب اسود مدبر وفي رجلها خلخالان من حجر أحمر شفاف وتعلان من ذهب ويدها قضيب مرجان وهي تشير بسبابتها كأنها مسلمة على من في الهيكل وجعل يحداتها تمثال بقرة ذات قرنين وضرعين من نحاس أحمر مموه بذهب موشحة بحجر الالازورد ووجه البقرة تجاه وجه الزهرة وبينهما مطهرة من اخلاط الاجساد على عموم رخام مجزع وفي المطهرة ماء مدبر يستشفى به من كل داء وفرش الهيكل بحشيشة الزهرة يبدلون في كل سبعة أيام وجعل في الهيكل كراسي للكهنة قد صفت بالذهب والفضة وقرب لهذا الصنم ألف رأس من الضأن والمعز والوحش والطير وكان يحضر يوم الزهرة ويطوف به وفرش الهيكل وستره وجعل فيه تحت قبة صورة رجل راكب على فرس له جناحان ومعه حربة في سنانها رأس انسان معلق ولم يزل هذا الهيكل الى أن هدمه نجت نصر في أيام مالىق بن تدارس وكان موحدًا على دين قبطيم ومصر ايم خرج في جيش عظيم في البر والبحر فغزا البربر وأرض أفريقية وبلاد الاندلس وأرض الافرنج الى البحر وعمل في البحر اعلاما زبر عليها اسمه ومسيره ورجع فهابه ملوك الارض وكان في غربي مصر مدينة يقال لها قريمده بها قوم قدملکوا عليهم امرأة ساحرة ففزاها فلم ينل منهم قصدا ورجع فارادت ملكتهم افساد مصر فعملت من سحرها وأمرت فأتى في النيل ففاض الماء على المزارع حتى أفسدها وكثرت التماسيح والضفادع وفشت الامراض في الناس وانبث فيهم الثعابين والعقارب فاحضر مالىق السكينة والحكماء في دار حكمتهم وألزمهم بالنظر لذلك فظفروا في نجومهم فرأوا أن هذه الآفة أتتهم من ناحية الغرب وان امرأة عملته وألقته في النيل فعلموا حينئذ أنه من فعل تلك الساحرة واجتهدوا في دفع ذلك بما عندهم من العلم حتى انكشف عنهم الماء الفاسد وهلكت الدواب المضرة وجهزوا قائدا في جيش الى المدينة فلم يجدوا بها غير رجل واحد فاخذوا من الاموال والجواهر والاصنام ما لا يحصى فمن ذلك صورة كاهن من زبرجد اخضر على قائمة من حجر الاسباديم وصورة روحاني من ذهب رأسه من جوهر أحمر وله جناحان من دروي يده مصحف فيه كثير من علومهم في دفتين مرصعتين بجوهر ومطهرة من ياقوت أزرق على قاعدة زجاج أخضر فيها ماء لدفع الاسقام وفرس من فضة اذا عزم عليه بعزائم ودخن بدخنه وركبه أحد طاربه فاحضر ذلك وغيره من عجائب السحرة وأصنامهم والاموال والجواهر الى مصر ومعهم الرجل فسأله الملك عن أعجب أعمالهم قال قصدهم بعض ملوك البربر بجمع كثير وتخايل هائلة فاغلق أهل مدينتنا حصنهم ولجوا الى الاصنام فأثى السكاهن الى بركة عظيمة بعيدة القمر كانوا يشربون منها خلص على حافها وأحاط رؤساء السكينة بها وأخذ يزرم على الماء حتى فار وخرج من وسطه نار في وسطها وجه كدرة الشمس لها ضوء نخر الجماعة لها سجودا وتلك الصورة تعظم حتى صعدت

وخرقت القبة وسمع منها قد كفيتم شر عدوكم فقاموا واذا بعدوهم قد هلك وسائر من معه وذلك أن صورة الشمس التي ظهرت من الماء مرت فصاحت عليهم صيحة هلكوا بها* ولما ملك كلكن مصر بعد أبيه خريبا كان النمرود في وقته فاتصل بنمرود خبر حكمته وسهره فاستأزاه ووجه إليه أن يلقاه وكان النمرود يسكن سواد العراق وغلب على كثير من الأمم فقبل كلكن على أربعة أفراس تحملها لها أجنحة قد أحاطت به كالنار وحوله صور هائلة فدخل بها وهو متوشح بشعبان وعزم ببعضه وذلك التين فاغر فاه ومعه قضيب آس أخضر كلما حرك التين رأسه ضربه بالقضيب فلما رأى النمرود ذلك هاله واعترف له بجليل الحكم* وتقول القبط أن كلكن كان يرتفع فيجاس على الهرم الغربي في قبة تلوح على رأسه وكان أهل البلد إذا دهمهم أمر اجتمعوا حول الهرم ويقولون أنه ربما أقام على رأس الهرم أياما لا يأكل ولا يشرب ثم أنه استمر مدة حتى توهموا أنه هلك فطعم الملوك في مصر وقصدها ملك من المغرب يقال له سادوم في جيش عظيم إلى أن بلغ وادى هيب فأقبل كلكن وجلبهم من سحره بشئ كالغمام شديد الحرارة وهم تحته أياما لا يدرون أين يتوجهون ثم ارتفع وصار بمصر يعرفهم ما عمل وأمرهم فخرجوا فاذا بالقوم ودوابهم قد ماتوا فهابه جميع الكهنة وصوروه في سائر الهياكل وبني هيكلا لزحل من صوان أسود في ناحية الغرب وجعل له عيداً* (وفي أيام دارم بن الريان) وهو الفرعون الرابع الذي يقال له عند النبط دريموش ظهر معدن فضة على ثلاثة أيام من النيل فأناروا منه شئاً عظيماً وعمل صنما على اسم القمر لأن طابعه كان برج السرطان ونصبه على القصر الرخام الذي بناه أبوه في شرقي النيل ونصب حوله أصناما كلها من الفضة وألبسها الحرير الأحمر وعمل للصنم عيداً كلما دخل برج السرطان ولما ولي أكساييس الملك بعد أبيه معدان بن معاد يوس بن دارم بن دريموش وهو الفرعون السادس أقام أعلاما كثيرة حول منف وجعل عليها أساطين يمشي من بعضها إلى بعض وعمل برقودة وصا ومدائن الصعيد وأسفل الأرض أعلاما ومناثر لالوقود وطاسمات كثيرة وعمل كودة من فضة ونقش عليها صورة الكواكب ودهنها بالدهن الصيني وأقامها على منار في وسط منف وعمل في هيكل أبيه روحاني زحل من ذهب أسود مدبر وعمل في وقته ميزانا يعتبر به الناس كفتاه من ذهب وعلاقته من فضة وسلسله من ذهب فكان معلقا في هيكل الشمس وكتب على إحدى كفتيه حق والآخرى باطل وتحت فصوص قد نقش عليها أسماء الكواكب فيدخل الظالم والمظلوم يأخذ كل منهما فضا من تلك الفصوص ويسمى عليه ما يريد ويحمله أحد الفصين في كفة والآخر في كفة فتقل كفة الظالم وترتفع كفة المظلوم ومن أراد سفرا أخذ فصين وذكر على أحدهما اسم السفر وعلى الآخر الإقامة وجعل كل واحد في كفة فان ثقل جميعا ولم يرتفع أحدهما على الآخر لم يسافر وإن ارتفعا سافر وإن ارتفع

احدها آخر السفر ثم سافر وكذا من عليه دين ومن له غائب أو ينظر في صلاح أمره
وفساده * ويقال أن بخت نصر لما دخل الى مصر حمل هذا الميزان معه فما حمل الى بابل
وجعله في بيت من بيوت النار وعمل في ايامه تنورا أيضا يشوى فيه من غير نار ويطبخ
فيه بغير نار وسكننا تنصب فاذا رآها شيء من البهائم أقبل حتى يذبح نفسه بها وعمل ماء
يستحيل نارا وزجاجا يستحيل هواء وشيئا من التبرجيات والنواميس * (وأما البرابي)
فذكر ابن وصيف شاه أن سوريد الذي بنى الامرام هو الذي بنى البرابي كلها وعمل فيها
السكنوز وزبر عليها علوما ووكّل بها روحانية تحفظها ممن يقصدها وقال في كتاب الفهرست
وبعصر أبنية يقال لها البرابي من الحجارة العظيمة الكبيرة وهي على اشكال مختلفة وفيها مواضع
الصحن والسحق والحل والقد والتقطير تدل على انها عملت لصناعة السكيمات وفي هذه الابنية
نقوش وكتابات لا يدري ما هي وقد أصيبت تحت الارض فيها هذه العلوم مكتوبة في التوز
وهي صفائح الذهب والنحاس وفي الحجارة * وذكر الحسن بن أحمد الهمدان أن برابي مصر
تنسب الى براب بن الدرسميل بن نحويل بن خنوخ بن قار بن آدم عليه السلام * وذكر
أبو الرحمان محمد بن أحمد البروبي في كتاب الاشارات الباقية عن القرون الخالية أن كنيسة
في بعض قرى مصر قد شاهدها الموثوق بقولهم المأخوذ برأيهم المأمون من جهتهم الرواية
عنهم فيها سرداب ينزل اليه بنيف وعشرين مرقاة وفيه سرير تحته رجل وصبي مشدودين
في نطع وفوقه ثور رخام في جوفه باطية زجاج يدخلها قنينة من نحاس في جوفها قنينة
كتان توقد فيصب فيها زيت فلا يلبث الا أن تمتلئ الباطية الزجاج زيتا وتفيض الى الثور
الرخام فينفق على تلك الكنيسة وقناديلها * وذكر الجهماني أنه صار اليه من وثق به
ورفع الباطية عن الثور وأفرغ الزيت من الباطية والثور جميعا وأطفأ النار وأعادها جميعا
الا الزيت فإنه صب زيتا من عنده وأبدله قنينة أخرى وأشعلها فما لبث الزيت أن فاض الى
الباطية الزجاج ثم فاض الى الثور الرخام من غير مدد ولا عنصر * وذكر الجهماني أنه اذا
خرج الميت من تحت السرير انطفأت النار ولم يفيض الزيت * وذكر عن اهل القرية أن
المرأة المتوهمه في نفسها حملا تحمل ذلك الصبي وتضعه في حجرها فيتحرك ولدها في البطن
ان كان الحمل حقيقة أو تباؤس ان لم تحس بحركة * قال المؤلف رحمه الله أخبرني داود
ابن رزق الله بن عبد الله وكانت له سياحات كثيرة بأراضي مصر ومعرفة أحوالها أنه عبر
في مغارة كبيرة يقال لها مغارة شقلقيط بالوجه القبلي فاذا فيها كوم عظيم من سندروس وأنه
غطاه ومضى فاذا شيء كثير الى الغاية من السمك وجميعها ملفوفة بثياب كأنها قد كفت بعد
الموت وأنه أخذ منها سمكة وقتشها فاذا في فمها دينار عليه كتابة لا يحسن قراءتها وأنه صار
يأخذها بسمكة سمكة ويخرج من فم كل واحدة دينارا حتى اجتمع له من ذلك عدة دنانير

وأنه أخذ تلك الدنانير ورجع ليخرج حتى جاء الى السكوم السندروس واذا به ارتفع حتى سد عليه الموضع فعاد الى السمك وأعاد الدنانير الى مواضعها وخرج فاذا السندروس كان أولا بحيث يتجاوز به ويخرج فعاد وأخذ الدنانير ومشى يخرج بها فاذا السندروس ارتفع حتى سد عليه الموضع فعاد الى السمك وأعاد الدنانير الى موضعها وخرج فاذا السندروس على حاله كما كان أولا بحيث يتجاوز به ويخرج وأنه كرر أخذ الدنانير واعادتها مرارا والحال على ما ذكر حتى خشي الهلاك فتركها وخرج فلما كان مدة سكن موضعها فرأى حجرا في جدار وقد قور ووضع حجر آخر محاول الحجر الآخر حتى رفعه فاذا تحته ستة دنانير من تلك الدنانير التي وجدها في أفواه السمك فأخذ منها واحدا وترك البقية في موضعها وأعاد الحجر على الحجر وقدر الله بعد ذلك أنه ركب النيل ليعدى من البر الشرق الى البر الغربى قال فلما توسط البحر واذا بالاسماك تنب من الماء وتلقى أنفسها في المركب كدنا نفرق من كثرتها فصاح الركاب خوفا من الهلاك قال فتدكرت الدينار الذى مهي وأن هذا ربما كان بسببه فأخرجته من حبيى وألقيته في الماء فتوائبت الاسماك من المركب وألقت نفسها في الماء حتى لم يبق منها شيء * قلت وأخبرنى قديما بعض من لا أتهمه أنه ظفر بطلسم من هذا المعنى وأنه عنده وأراد أن يريى السمك يبيت من الماء فلم يقدر لى أن أرى ذلك قال ابن عبد الحسك لما أغرق الله آل فرعون بقيت مصر بعد غرقهم ليس فيها من أشرف أهلها أحد ولم يبق بها الا العبيد والاحراء والنساء فاتفق من بمصر من النساء أن يولين منهم أحدا وأجمع رأيهن أن يولين امرأة منهن يقال لها دلوكة بنت زبا وكان لها عقل ومعرفة وتجارب وكانت في شرف منهن وموضع وهى يومئذ بنت مائة وستين سنة فلما كوها تخافت أن يتناولها الملوك فجمعت نساء الاشراف وقالت لهن ان بلادنا لم يكن يطمع فيها أحد ولا يمد عينه اليها وقد هلك أكابرنا وأشرفنا وذهب السحرة الذين كنا نقوى بهم وقد رأيت أن أبني حصنا أحقق به جميع بلادنا فأضع عليه المحارس من كل ناحية فانا لا نأمن أن يطمع فينا الناس فبنت جدارا أحاطت به على جميع ارض مصر كلها المزارع والمدائن والقرى وجعلت دونه خليجا يجرى فيه الماء وأقامت القناطر والترع وجعلت فيه محارس ومساح على كل ثلاثة أميال محرس ومسلحة وفيما بين ذلك محارس صغار على كل ميل وجعلت في كل محرس رجالا وأجرت عليهم الارزاق وأمرتهم أن يجرسوا بالاجراس فاذا أتاهم آت يخافونه ضرب بعضهم الى بعض الاجراس فاتاهم الخبر من اى وجه كان في ساعة واحدة فنظروا في ذلك فتمت بذلك مصر ممن ارادها وفرغت من بنائه في ستة اشهر وهو الجدار الذى يقال له جدار العجوز بمصر وقد بقيت بالصعيد منه بقايا كثيرة قال المسعودى وقيل انما بنته خوفا على ولدها وكان كثير القنص تخافت عليه سبع البر والبحر

واغتيال من جاور ارضهم من الملوك والبدوادى خوطت الحائط من التماسيح وغيرها وقد قيل غير ما وصفنا فملكهم ثلاثين سنة فى قول قال المؤلف رحمه الله قد بقى من حائط المعجوز هذا فى بلاد الصعيد بقايا أخبرنى الشيخ المعمر محمد بن المسعودى أنه سار فى بلاد الصعيد على حائط المعجوز ومعه رفقة فاقتلع احدهم منها لبنة فاذا هى كبيرة جسدا تحالف المعهود الآن من اللبن فى المقدار فتناولها القوم واحدا بعد واحد يتأملونها وينامهم فى رؤيتها اذ سقطت الى الارض فانفلقت عن حبة قول فى غاية الكبر الذى يتعجب منه لعدم مثله فى زماننا فقشروا ما عليها فوجدوها سالمة من السوس والعيب كأنها قريبة عهد بمصادها لم يتغير فيها شيء البتة فاكلها الجماعة قطعة قطعة وكأنها انما خبئت لهم من الزمن القديم والاعصر الخالية انه لن تموت نفس حتى تستوفى رزقها * قال ابن عبد الحكم وكان ثم عجوز ساحرة يقال لها بدور وكانت السحرة تعظمها وتقدمها فى علمهم وسحرهم فبعثت اليها دلوكة ابنة زبا انا قد احتجنا الى سحر ك وفزعنا اليك ولا نأمن أن يطمع فينا الملوك فاعملى لنا شيئا تغلب به من حولنا فقد كان فرعون يحتاج اليك فكيف وقد ذهب أكبرنا يعنى فى الغرق مع فرعون موسى وبقي أقننا فعملت بربا من حجارة فى وسط مدينة منف وجعلت لها اربعة ابواب كل باب منها الى جهة القبلة والبحر والغرب والشرق وصورت فيه صور الخيل والبغال والحمير والسفن والرجال وقالت لهم قد عملت لكم عملا يهلك به كل من أرادكم من كل جهة تؤتون منها برا أو بحرا وهذا يغنيكم عن الحصن ويقطع عنكم مؤنة من أتاكم من كل جهة فانهم ان كانوا فى البر على خيل أو بغال أو ابل أو فى سفن أو رجالة تحركت هذه الصور من جهتهم التى يأتون منها فما فعلتم بالصور من شيء أصابهم ذلك فى انفسهم على ما تفعلون بهم فعما بلغ الملوك حولهم أن امرهم قد صار الى ولاية النساء طمعوا فيهم وتوجهوا اليهم فلما دنوا من عمل مصر تحركت تلك الصور التى فى البربا فطفقوا لايهيجون تلك الصور بشيء ولا يفعلون بها شيئا الا أصاب ذلك الجيش الذى كان اقبل اليهم مثله ان كان خيلا فما فعلوا بتلك الخيل المصورة فى البربا من قطع رؤسها أو سوقها أو فقه عيونها أو بقر بطونها أثر مثل ذلك بالخيال التى ارادتهم وان كانت سفنا أو رجالة فنزل ذلك وكانوا أعلم الناس بالسحر وأقواهم عليه وانتشر ذلك فتبادرهم الناس وكان نساء اهل مصر حين غرق فرعون وقومه ولم يبق الا العبيد والاجراء لم يصبرن عن الرجال فطفقت المرأة تعتق عبدها وتزوجه وتزوج الاخرى أجيرها وشرطن على الرجال أن لا يفعلوا شيئا الا بأذنهن فاجابوهن فى ذلك فكان أمر النساء على الرجال قال يزيد بن أبي حبيب ان نساء القبط على ذلك الى اليوم اتباعا لمن مضى منهم لا يبيع احد منهم ولا يشتري الا قال استأمر امرأتى فملكهم دلوكة بنت زبا عشرين سنة تدبر أمرهم بمصر حتى بلغ صبي من أبناء أكبرهم وأشرفهم يقال له دركون بن بلوطس فملكوه

عليهم فلم تزل مصر ممتعة بتدبير تلك العجوز نحوها من أربعائة سنة وكلما انهدم من ذلك البربا
الذى صور فيه الصور لم يقدر أحد على اصلاحه الا تلك العجوز وولدها وولد ولدها وكانوا
أهل بيت لا يعرف ذلك غيرهم فانقطع أهل ذلك البيت وانهدم من البربا موضع في زمان
لقاس بن مرنيوس فلم يقدر أحد على اصلاحه ومعرفة علمه وبقي على حاله وانقطع ما كان
يقهرون به الناس وبقوا كغيرهم الا أن الجمع كثير والمال عندهم فلما قدم بخت نصر بيت
المقدس وظهر على بني اسرائيل وسباهم وخرج بهم الى ارض بابل قصد مصر وخرب
مدائنهم وقرأها وسبي جميع أهلها ولم يترك بها شيئاً حتى بقيت مصر أربعين سنة خراباً ليس
فيها ساكن يجرى نيلها ويذهب لا ينتفع به ثم رد أهل مصر اليها بعد أربعين سنة فعمروها
ولم تزل مقهورة من يومئذ * وقال بعض الحكماء رأيت البرابي وأخذت أتأملها فوجدتها
مستحكمة على جميع أشكال الفلك والذى ظهر لي أنه لم يعملها حكيم واحد بل تولى عملها
قوم بعد قوم حتى تكاملت في دور كامل وهو ستة وثلاثون ألف سنة شمسية لأن مثل هذه
الاعمال لاتعمل الا بالارصاد ولا يتكامل رصد المجموع في اقل من هذه المدة المذكورة
وكانوا يحملون الكتاب حفراً ونقراً في الصخور ونقشاً في الحجارة وحلقة مركبة في البنيان
وربما كان الكتاب هو الحفر اذا كان متضمناً لامر جسيم أو عهداً لامر عظيم أو موعظة
يرتجى نفعها أو أحياء شرف يريدون تخليد ذكره وقد كتب غير المصريين كذلك كما كتبوا على قبة
غمدان وعلى باب القيروان وعلى باب سمرقند وعلى عمود مارب وعلى ركن المستقر وعلى
الاباقى المفرد وعلى باب الرها وكانوا يعمدون الى الاماكن الشريفة والمواضع المذكورة
فيضعون الخط في أبعد المواضع من الدثور وأمنعها من الدروس وأحذر أن يراها من مرها
ولا ينسى على طول الدهر * وقال المسعودى واتخذت دلوكة بمصر البرابي والصور وأحكمت
آلات السحر وجعلت في البرابي صور من يرد من كل ناحية ودوا بهم ابلا كانت أو خيلاً
وصورت فيها من يرد من البحر في المراكب من بحر الغرب والشام وجمعت في هذه البرابي
العظيمة المشيدة البنيان أسرار الطبيعة وخواص الاحجار والنباتات والحيوانات وجعلت ذلك
في اوقات فلكية واتصلها بالمؤثرات العلوية وكانوا اذا ورد اليهم جيش من نحو الحجاز
واليمن عورت تلك الصور التي في البربا من الابل وغيرها فيتعور ما في ذلك الجيش وينقطع
عنهم ناسه وحيوانه واذا كان الجيش من نحو الشام فعل في تلك الصور التي من تلك الجهة
التي أقبل منها جيش الشام ما فعل بما وصفنا فيحدث في ذلك الجيش من الآفات في ناسه
وحيوانه ما صنع في تلك الصور التي من تلك الجهة وكذلك من ورد من جيوش الغرب
ومن ورد في البحر من رومية والشام وغير ذلك من الممالك فهاهم الملوك والامم ومنعوا
ناحيتهم من عدوهم واتصل ملكهم بتدبير هذه العجوز واتقانا لزم أقطار المملكة وأحكامها

السياسية* (وقد تكلم من سلف وخلف في هذه الخواص وأسرار الطبيعة التي كانت ببلاد مصر وهذا الخبر من فعل المعجوز مستفيض لا يشكون فيه والبرابي يصغر من صعيدها وغيره باقية الى هذا الوقت وفيها انواع الصور مما اذا صورت في بعض الاشياء أحدثت أفعالا على حسب ما رسمت له وصنعت من اجله على حسب قولهم في الطبائع والله أعلم بكيفية ذلك (قال) وأخبرني غير واحد من بلاد اخميم من صعيد مصر عن أبي الفيض ذى النون بن ابراهيم المصري الاخميمي الزاهد وكان حكيما وكانت له طريقة يأتيها ونحلة يمضدها وكان ممن يقر على اخبار هذه البرابي وامتنحن كثيرا مما صور فيها ورسم عليها من الكتابة والصور قال رأيت في بعض البرابي كتابا تدبرته فاذا هو أحذر العبيد المعتقين والاحداث والجند المتعبدين والتبسط المستعربين ورأيت في بعضها كتابا تدبرته فاذا فيه يقدر المقدرو والقضاء يضحك وفي آخره كتابة تثبتها في ذلك العلم فوجدتها

تدبر بالنجوم ولست تدري * ورب التجم يفعل ما يريد

قال وكانت هذه الامة التي اتخذت هذه البرابي لهجة بالنظر في أحكام النجوم من المواطنين على معرفة أسرار الطبيعة وكان عندها مما دلت عليه أحكام النجوم أن طوفانا سيكون في الارض ولم يقطع على ذلك الطوفان ما هو أثار تأتي على الارض فتحرق ما عليها أو ماء يترقها أو سيف بيد أهلها تخافت دنور العلوم وقضاءها بقاء أهلها فالتخذت هذه البرابي ورسمت فيها علومها من الصور والتماثيل والكتابة وجعلت بنائها نوعين طينا وحجارة وفرزت ما بنى بالطين مما بنى بالحجارة وقالت ان كان هذا الطوفان نارا استحجر ما بنى بالطين وان كان الطوفان الوارد ماء أذهب ما بنى بالطين ويبقى ما بنى بالحجارة وان كان الطوفان سيفا بقي كل من النوعين مما هو من الطين وما هو من الحجر وهذا ما قيل والله أعلم أنه كان قبل الطوفان وان الطوفان الذي كانوا يرقبونه ولم يمينوه أثار هو أم ماء أم سيف كان سيفا أتى على جميع اهل مصر من أمة غشيتها وملك نزل عليها فأباد أهلها ومنهم من رأى أن ذلك الطوفان كان وباء عم أهلها ومصدق ذلك ما يوجد ببلاد تيس من التلال المتقدرة من الناس من صغير وكبير وذكر وأنني كالحبال العظام وهي المعروفة ببلاد تيس من ارض مصر بذات الكوم وما يوجد ببلاد مصر وصعيدها من الناس المنكسين بعضهم على بعض في الكهوف والغيان والتواويس ومواضع كثيرة من الارض لا يدري من اى الامم هم فلا التصارى تخبر عنهم أنهم من أسلافهم ولا اليهود تقول أنهم من اوائلهم ولا المسلمون يدرون من هؤلاء ولا تاريخ يبي عن حالهم وعليهم أنوابهم وكثيرا ما يوجد في تلك البرابي والحبال من حليتهم * والبرابي ببلاد مصر بنيان قائم عجيب كالبربا التي بأخميم والتي يسمنون وغير ذلك

ذكر الدفائن والكنوز التي تسميها أهل مصر المطالب

الاصل في جواز تتبع الدفائن ما رواه أبو عمرو بن عبد البر والبيهقي في الدلائل من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف من الطائف مر بقبر أبي رغال فقال هذا قبر أبي رغال وهو أبو ثقيف كان اذا هلك قوم صاح في الحرم فتمسه الله فلما خرج من الحرم رماء بقارعة وآية ذلك أنه دفن معه عمود من ذهب فابتدر المسلمون قبره فنبشوه واستخرجوا العمود منه ومن حديث عبد الله بن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين خرجنا معه الى الطائف فررنا بقبر فقال هذا قبر أبي رغال وكان بهذا الحرم يدفع عنه فلما خرج أصابته التهمة التي اصاب قومها بهذا المكان فدفن فيه وآية ذلك أنه دفن معه عصا من ذهب ان نبشتم عليه اصبتموه معه فابتدره الناس فأخرجوا العصا الذي كان معه * وبمصر كنوز يوسف عليه السلام وكنوز الملوك من قبله والملوك من بعده لانه كان يكثر ما يفضل عن النفقات والمؤون لنواب الدهر وهو قول الله عز وجل فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ويقال ان علم الكنوز في كنيسة القسطنطينية نقات اليها من طليطلة ويقال ان الروم لما خرجت من الشام ومصر اكنزت كثيرا من أموالها في مواضع أعدتها لذلك وكتبت كتبها بأعلام مواضعها وطرق الوصول اليها وأودعت هذه الكتب قسطنطينية ومنها يستفاد معرفة ذلك وقيل ان الروم لم تكتب وانما ظفرت بكتب معالم كنوز من ملك قبلها من اليونانيين والكلدانيين والقبط فلما خرجوا من مصر والشام حملوا تلك الكتب معهم وجعلوها في الكنيسة وقيل انه لا يعطى من ذلك احد حتى يخدم الكنيسة مدة فيدفع اليه ورقة تكون حظه قال المسعودي لمصر أخبار عجيبة من الدفائن والبنيان وما يوجد في الدفائن من ذخائر الملوك التي استودعها الارض وغيرهم من الامم ممن سكن تلك الارض وتدعى بالمطالب الى هذه الغاية وقد آتينا على جميع ذلك فيما سلف من كتبنا * (فن أخبارها) ما ذكره يحيى بن بكير قال كان عبد العزيز بن مروان عاملا على مصر لاختيه عبد الملك بن مروان فأتاه رجل متتبع فساله عن نصحه فقال بالقبة الفلانية كنز عظيم قال عبد العزيز وما مصداق ذلك قال هو أن يظهر لنا بلاط من المرمر والرخام عند يسير من الحفر ثم ينتهي بنا الحفر الى باب من الصفر تحته عمود من الذهب على أعلاه ديك عيناه ياقوتان تساويان ملك الدنيا وجناته مضر حان بالياقوت والزمر ذر رأسه على صفائح من الذهب على أعلى ذلك العمود فأمر له عبد العزيز بنفقة لاجرة من يحفر من الرجال في ذلك ويعمل فيه وكان هناك تل عظيم فاحتفروا حفيرة عظيمة في الارض والدلائل المقدم ذكرها من الرخام والمرمر تظهر فازداد عبد العزيز حرصا على ذلك وأوسع في النفقة واكثر من الرجال ثم انتهوا في حفرهم الى ظهور رأس الديك فبرق عند ظهوره

لعمان عظيم لما في عينيه من الياقوت ثم بان جناحاه ثم بانت قوائمه وظهر حول العمود عمود
من البنيان بأنواع الحجارة والرخام وقناطر مقنطرة وطاقات على أبواب معقودة ولاحت
منها تماثيل وصور اشخاص من أنواع الصور الذهب وأجربة من الاحجار قد أطبق عليها
أغصتها وسبكت فركب عبد العزيز بن مروان حتى أشرف على الموضع فظفر الى ما ظهر من ذلك
فأسرع بعضهم ووضع قدمه على درجة من نحاس يتهني الى ما هناك فلما استقرت قدماه
على المرقاة ظهر سيفان عاديان عن يمين الدرجة وشمالها فالتقيا على الرجل فلم يدرك حتى جزأه
قطعا وهوى جسمه سفلا فلما استقر جسمه على بعض الدرج اهتز العمود وصفر الديك صغيرا
عجيبا أسمع من كان بالبعد من هناك وحرك جناحيه وظهرت من تحته أصوات عجيبية قد
عملت بالسكواكب والحركات اذا مال وقع على بعض تلك الدرج شئ أو ماسها شئ انقلبت
فتهاوي من هناك من الرجال الى أسفل تلك الحفرة وكان فيها من يحفر ويعمل وينقل التراب
وينظر ويمول ويأمر وينهى نحو ألف رجل فهلسكوا جميعا فخرج عبد العزيز وقال هذا
ردم عجيب الامر ممنوع النيل نموذ بالله منه وأمر جماعة من الناس فطرحوا ما أخرج من
هناك من التراب على من هلك من الناس فكان الموضع قبرا لهم * قال المسعودي وقد كان
جماعة من أهل الدفائن والمطالب ومن قداعتي وأغري يحفر الحفائر وطلب السكنوز ودخائر
الملوك والامم السالفة المستودعة بطن الارض ببلاد مصر قد وقع اليهم كتاب ببعض الاقلام
السالفة فيه وصف موضع ببلاد مصر على أذرع يسيرة من بعض الاهرام بان فيه مطلبا
عجيبا فأخبروا الاخشيدي محمد بن طفج بذلك فأمرهم بحفره وأباحهم استعمال الحيلة في
اخراجها فحفروا حفرا عظيما الى أن انتهوا الى أزج وأقباء وحجارة مجوفة في صخرة منقورة
فيها تماثيل قائمة على أرجلها من الخشب قد طلى بالاطمية المانعة من سرعة البلاء وتفرق
الاجزاء والصور مختلفة فيها صور شيوخ وشبان ونساء وأطفال أعينهم من أنواع الجواهر
كالياقوت والزمرد والزبرجد والفيروز ومنها ما وجوها ذهب وفضة فكسر بعض تلك
التماثيل فوجدوا في أجوافها رمما بالية وأجساما قانية والى جانب كل تمثال منها نوع من
الابنسية كالبرابي وغيرها من المرمر والرخام وفيه من العلى الذي قد طلى منه ذلك
الميت الموضوع في التماثيل الخشب والطلاء دواء مسحوق واخلط بمعمولة لارائحة لها جعل
منه على النار شئ ففاح منه ريح طيبة مختلفة لا تعرف في نوع من انواع الطيب وقد جعل
كل تمثال من الخشب على صورة ما فيه من الناس على اختلاف اسنانهم ومقادير أعمارهم
وتباين صورهم وبازاء كل تمثال تمثال من الحجر المرمر أو من الرخام الاخضر على هيئة
الصنم على حسب عبادتهم للتماثيل والصور عليها أنواع من الكتابات لم يقف أحد على استخراجها
من أهل الملل وزعم قوم من أهل الدراية أن لذلك القلم منذ فقد من أرض مصر أربعة

آلاف سنة وفيما ذكرناه دلالة على أن هؤلاء ليسوا يهود ولا نصاري ولم يؤدهم الحفر
 الا لما ذكرناه من هذه التماثيل وكان ذلك في سنة ثمان وعشرين وثلثمائة وقد كان من
 سلف وخلف من ولاية مصر من أحمد بن طولون وغيره الى هذا الوقت وهو سنة ثنتين
 وثمانين وثلثمائة لهم أخبار عجيبة فيما استخرج في أيامهم من الدفائن والامول والجواهر
 وما أصيب في هذه المطالب من القبور وقد أتينا على ذكرها فيما تقدم من تصنيفنا * (وركب)
 أحمد بن طولون يوما الى الاهرام فأتاه الحجاب بقوم عليهم ثياب صوف ومعهم المساحي
 والمعاول فسألهم عن ما يعملون فقالوا نحن قوم نطلب المطالب فقال لهم لاتخرجوا بعدها
 الا بمشورتى أو رجل من قبلى وأخبروه أن في سمت الاهرام مطلبا قد عجزوا عنه فضم
 اليهم الرافقى وتقدم الى عامل الجيزة في اعانتهم بالرجال والتفقات وانصرف فأقاموا مدة
 يعملون حتى ظهر لهم فركب أحمد بن طولون اليهم وهم يحفرون فكشفوا عن حوض
 مملوء دنائير وعليه غطاء مكتوب عليه بالبربطية فأحضر من قرأه فإذا فيه انا فلان بن فلان
 الملك الذى ميز الذهب من غشه ودينسه فمن أراد أن يعلم فضل ملكى على ملكه فليتنظر
 الى فضل عيار دينارى على عيار ديناره فان مخلص الذهب من الغش مخلص في حياته وبعد
 وفاته فقال أحمد بن طولون الحمد لله ان ما نهتني عليه هذه الكتابة أحب الى من المال
 ثم أمر اسكل من القوم المطالبية بمائتي دينار منه ولكل من الصنائع بخمسة دنائير بعد
 توفية أجرة عمله وللرافقى بثلثمائة دينار ولتسيم الخادم بألف دينار وحمل باقي الدنائير فوجدوا
 أجود من كل عيار وشدد من حينئذ في العيار بمصر حتى صار عيار ديناره الذى عرف
 بالاحمدى أجود عيار وكان لا يطل الا به

❦ ذكر هلاك أموال أهل مصر ❦

قال الله عز وجل وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا فى الحياة
 الدنيا ربنا ليصلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى
 يروا العذاب الاليم قال قد أحيت دعوتكما هذا دعاء من موسى عليه السلام على فرعون
 وقومه من أهل مصر لكفرهم أن يهلك الله أموالهم قال الزجاج طمس الشيء اذا هابه
 عن صورته * عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما وعن محمد بن كعب القرظى أهما قالا
 صارت أموال أهل مصر ودراهمهم حجارة منقوشة كهيئة اصحابا وأثلاثا وأصافا فلم يبق معدن
 الاطمس الله عليه فلم ينتفع به احد بعدهم وقال قتادة بلغنا أن إموالهم وزروعهم صارت
 حجارة وقال مجاهد وعطية أهلكها الله تعالى حتى لا ترى يقال عين مطموسة أى ذاهبة
 وطمس الموضع اذا عفا ودرس وقال ابن زيد صارت دنائيرهم ودراهمهم وفرشهم وكل
 شيء لهم حجارة وقال محمد بن كعب وكان الرجل منهم يكون مع اهله وفرشه وقد صار

حجر بن قال وقد سألتني عمر بن عبد العزيز فذكرت ذلك فدعا بخريطة أصيبت بمصر فأخرج منها الفواكه والدرهم والدنانير وانها لحجارة وقال محمد بن شهاب الزهري دخلت على عمر ابن عبد العزيز فقال يا غلام انني بالخريطة خفاء بخريطة نثر ما فيها فاذا فيها دراهم ودنانير وتمر وجوز وعدس وفول فقال كل يا ابن شهاب فاهويت فاذا هو حجارة فقلت ما هذا يا أمير المؤمنين قال هذا مما أصاب عبد العزيز بن مروان في مصر اذ كان عليها واليا وهو مما طمس الله عليه من اموالهم وقال المضارب بن عبد الله الشامي أخبرني من رأي النخلة بمصر مصر وعرة وانها لحجر ولقد رأيت ناسا كثيرا قياما وقعودا في أعمالهم لو رأيتهم بها شككت فيهم قبل أن تدنو منهم أنهم أناس وانهم لحجارة ولقد رأيت الرجل من رقيقهم وانه لحارث على ثورين وانه وثوريه لحجارة ونقل وسمة بن موسى في قصص الانبياء أن فرعون لما هلك وقومه وآمنت بنو اسرائيل بما تلتته ندب موسى عليه السلام من نقبائه الاثني عشر تقيين احدهما كالب بن موقيا والآخر يوشع بن نون مع كل واحد من سبطه اثنا عشر الفا وأرسلهما الي مصر وقد خلت من حاميتها لفرقاهما مع فرعون فأخذوا ذخائر فرعون وكنوزه وعادوا الى موسى فذلك توريتهم أرض مصر يعني قول الله عز وجل عن قوم فرعون فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك وأورثناها قوما آخرين وقوله تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها يعني أرض مصر اورثناها بني اسرائيل لانهم هم المستضعفون الذين كانوا فيها بدليل قوله تعالى وزيد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض * قال جامعه ومؤلفه رحمه الله تعالى أخبرني داود بن رزق ابن عبيد الله وكانت له سياحات كثيرة بارض مصر أنه عبر الى واد بالقرب من القلعون بالوجه القبلي فرأى فيه مقاطات كثيرة ما بين بطيخ وقتاء وتفاع وكلها حجارة وكان قد أخبرني قديما بعض الاعيان أنه شاهد في سفره الى البلاد من أرض مصر بطيخا كثيرا كله حجارة وكذلك البطيخ من الصيف الذي يقال له العبدلي

❦ ذكر أخلاق اهل مصر وطبائعهم وأمزجتهم ❦

قال ابو الحسن علي بن رضوان الطيب مصر اسم فيما نقلت الرواة يدل على احد اولاد نوح النبي عليه السلام فانهم ذكروا أن مصر هذا نزل بهذه الارض فأُنسل فيها وعمرها فسميت باسمه والذي يدل عليه هذا الاسم اليوم هو الارض التي يفيض عاينها النيل ويحيط بها حدود اربعة وهي أن الشمس تشرق على اقصى العمارة بالشرق قبل أن تغيب عن آخر العمارة بالغرب بثلاث ساعات وثلاث ساعة فيجب من ذلك أن تكون هذه الارض في النصف الغربي من الربع العامر والنصف الغربي من الربع العامر علي ما قال

أبقراط وبطليموس أقل حرارة وأكثر رطوبة من النصف الشرقي لانه قسم كوكب القمر والنصف الشرقي في قسم كوكب الشمس وذلك أن الشمس تشرق على النصف الشرقي قبل شروقها على النصف الغربي والقمر يهل على النصف الغربي قبل النصف الشرقي وقد زعم قوم من القدماء أن أرض مصر في وسط الربع من المعمور من الأرض بالطبع فأما بالقياس فعلى ما ذكرنا من أنها في النصف الغربي والحد الثالث هو أن أول بعد هذه الأرض عن خط الاستواء في جهة الجنوب أسوان وبعدها عن خط الاستواء اثنا عشر ودرجة ونصف فالشمس تسامت رؤس أهلها مرتين في السنة عند كونها في آخر الجوزاء أو في أول السرطان وفي هذين الوقتين لا يكون للقائم بأسوان نصف النهار ظل أصلا فالحرارة واليبس والاحراق غالب على مزاجها لان الشمس تنشف رطوباتها ولذلك صارت ألوانهم سودا وشعورهم جمدة لاحتراق ارضهم والحد الرابع هو أن آخر بعد أرض مصر عن خط الاستواء في جهة الشمال طرف بحر الروم وعليه من أرض مصر بلدان كثيرة كالاسكندرية ورشيد ودمياط وتينس والفرما وبعدها دمياط عن خط الاستواء في الشمال أحد وثلاثون جزءا وثلاث وهذا البعد هو آخر الاقليم الثالث وأول الاقليم الرابع فالشمس لا تبعد عنهم كل البعد ولا تقرب منهم كل القرب فالغالب عليهم الاعتدال مع ميل يسير الى الحرارة فان الموضع المعتدل على الصحة من البلدان العامرة وهو أول وسط الاقليم الرابع وأيضا فمجاورة دمياط للبحر واحاطته بها تجعلها معتدلة بين الحر والبرد خارجة عن الاعتدال الى الرطوبة فيكون الغالب عليها المزاج الرطب الذي ليس بحار ولا بارد ولذلك صارت ألوانهم سمرا وأخلاقهم سهلة وشعورهم سبطة واذا كان أول مصر من جهة الجنوب الغالب عليه الاحتراق وآخرها من جهة الشمال الغالب عليها الاعتدال مع ميل يسير نحو الحرارة فما بين هذين الموضعين من أرض مصر الغالب عليه الحرارة وتكون قوة حرارته بقدر بعده من أسوان وقربه من بحر الروم ومن أجل هذا قال أبقراط وجالينوس ان المزاج الغالب على أرض مصر الحرارة قال وجيل نوقا في مشرق هذه الأرض يعوق عنها ريح الصبا فانه لم يوجد بفسطاط مصر صبا خالصة لكن متى هبت الصبا عندهم هبت نكبا بين المشرق والشمال أو المشرق والجنوب وهذه الرياح يابسة مانعة من العفن وقد عذمت أهل مصر هذه الفضيلة ومن أجل ذلك صارت المواضع التي تهب فيها ريح الصبا من أرض مصر أحسن حالا من غيرها كالاسكندرية وتينس ويعوق أيضا هذا الجليل اشراق الشمس على أرض مصر واذا كانت على الافق فيكون زمان لبث الشعاع على هذه الأرض أقل من الطبيعي ومثل هذه الحال سبب لركود الهواء وغلظه وأرض مصر أرض كثيرة الحيوان والنبات جدا لا تكاد تجد فيها موضعا خلوا من الحيوان والنبات وهي أرض متخلخلة فانك تراها عند انصراف النيل بمنزلة الحمأة فاذا حلت

الحرارة مافيهما من الرطوبة تشقت شقوقا عظاما والمواضع الكثيرة الحيوان والنبات أرض كثيرة العفونة وقد اجتمع على أرض مصر حرارة مزاجها وكثرة ما فيها من الحيوان والنبات فأوجب ذلك احتراقها وسواد طينها فصارت أرضا سوداء وما قرب منها من الجبل سبخ اما بورتقي أو ملح ويظهر من أرض مصر بالعشيات بخار أسود أو أغبر وخاصة في أيام الصيف وأرض مصر ذات أجزاء كثيرة ويختص كل جزء منها بشيء دون غيره وعلة ذلك ضيق عرضها واشتمال طولها على عرض الاقليم الثاني والثالث فان الصعيد فيه من التخل والسنط وآجام القصب والبردى ومواضع احراق الفحم وغير ذلك شيء كثير والفيوم فيه من الثقائع وآجام القصب ومواضع تعطين السكتان شيء كثير وأسفل أرض مصر فيه من النبات أنواع كثيرة كالقلقاس والموز وغير ذلك وبالجملة فكل بقعة من أرض مصر لها أشياء تختص بها وتفضل عن غيرها قال واليسل يرطب بيس الصيف والحريف فقد استبان أن المزاج الغالب على أرض مصر الحرارة والرطوبة الفضلية وانها ذات أجزاء كثيرة وأن هواءها وماءها رديان وقد بين الاوائل أن المواضع الكثيرة العفن يتحلل منها في الهواء فضول كثيرة لا تدسه يستقر على حال لاختلاف تصعدها وقد كان استبان أن هواء أرض مصر يسرع اليه التغير لان الشمس لا يثبت على أرض مصر شعاعها المدة الطبيعية فمن أجل هذين كثر اختلاف هواء أرض مصر فصار يوجد في اليوم الواحد على حالات مختلفة مرة حر ومرة برد ومرة يابس وأخرى رطب ومرة متحرك وأخرى ساكن ومرة الشمس صاحبة ومرة قد سترها الغيم وبالجملة هواء مصر كثير الاختلاف غير لازم لطريقة واحدة فيصير من أجل ذلك في الاوعية والعروق من أخلاط البدن لا يلزم حدا واحدا وأيضا فان ما يتحلل كل يوم من البخار الرطب بأرض مصر يعوقه اختلاف الهواء وقلة سمك الجبال وكثرة حرارة الارض عن الاجتماع في الجو فاذا برد الهواء يبرد الليل أنحدر هذا البخار على وجه الارض فيتولد عنه الضباب الذي يحدث عنه الطل والندا وربما تحلل هذا البخار بالتحلل الحقي فاذا يتحلل كل يوم ما كان اجتمع من البخار في اليوم الذي قبله فمن أجل هذا لا يجتمع الغيم المطر بأرض مصر الا في الندرة وظاهر أيضا أن أرض مصر يترطب هواؤها في كل يوم بما يترقي اليه من البخار الرطب وما يتحلل (وقد قال) بعض الناس ان الضباب يتكون من استحالة الهواء الى طبيعة الماء فاذا انضاف هذا الى ما قلناه كان أزيد في بيان سرعة تغير الهواء بأرض مصر وكثرة العفونة فيها وقد استبان أن أرض مصر كثيرة الاختلاف كثيرة الرطوبة الفضلية التي يسرع اليها العفن (والعلامة القصوى) في جميع ذلك هو أن أخص الاوقات بالحفاف في الارض كلها يكثر فيه بمصر الرطوبة لانها تترطب في الصيف والحريف بعد النيل وفيه وهذا بخلاف ما عليه البلدان الأخر * وقد علمنا بأقراط أن

رطوبة الصيف والخريف فضلية أعنى خارجة عن المجرى الطبيعي كرتوبة المطر الحادث في الصيف ومن أجل هذه قلنا ان رطوبة مصر فضلية وذلك أن الحرارة واليبس هو بالحقيقة مزاج مصر الطبيعي وانما عرض له ما أخرجه عن اليبس الى الرطوبة الفضلية بمد النيل في الصيف والخريف ولذلك كثرت العفونات بهذه الارض فهذا هو السبب الاعظم في أن صارت أرض مصر على ما هي عليه من سخافة الارض وكثرة العفن ورداءة الماء والهواء الا أن هذه الاشياء لا تحدث في ابدان المصريين استحالحة محسوسة اذا جرت على عادتها من أجل الف المصريين لهذه الحال ومشاكلة ابدانهم لها فان كل ما يتولد بأرض مصر من الحيوان والنبات مشابه لما عليه مصر في سخافة الابدان وضعف القوى وكثرة التغير وسرعة الوقوع في الامراض وقصر المدة كالخطة بمصر فانها وشبكة الزوال سريع اليها العفن في المدة اليسيرة ولا مطعن أن أبدان الناس وغيرهم تخالف ما عليه الخطة من سرعة الاستحالحة وكيف لا يكون الامر كذلك وأبدانهم مبنية من هذه الاشياء فحال ما يتولد بأرض مصر من النبات والحيوان في السخافة وكثرة الفضول والعفن وسرعة الوقوع في الامراض كحال سخافة أرضها وعفنها وفضولها وسرعة استحالتها لان النسبة واحدة ولذلك أمكن حياة الحيوان فيها ونبت النبات بها فان هذه الاشياء من حيث ناسبتها ولم تبعد من مشاكلها أمكن حياتها (فاما) الاشياء الغريبة فانها اذا دخلت الى مصر تغيرت في أول لقاءها لهذا الهواء حتى اذا استقرت وألفت الهواء واستمرت عليه صحت مشاكلة لأرض مصر * قال وأما جنس ما يؤكل ويشرب بأرض مصر فان الغلات سريعة التغير سخيفة متخلخلة تفسد في الزمان اليسير كالخطة والشعير والعدس والحبس والبقلاء والجلبان فان هذه تسوس في المدة القليلة ليس لشيء من الاغذية التي تعمل منها لذاذا ما نظيره في البلدان الأخر وذلك أن الحبز المعمول من الخطة بمصر متى لبث يوما واحدا يابسه لا يؤكل وان كل لم يوجد له لذاذا ولا تماسك ابعضه ببعض ولا يوجد فيه علوكة ولكنه يتكسر في الزمان اليسير وكذلك الدقيق وهذا خلاف أخبار البلدان الأخر وكذلك الحال في جميع غلات مصر وفواكهها وما يعمل فيها فانها وشبكة الزوال سريعة الاستحالحة والتغير فاما ما يحمل من هذه الى مصر فظاهر أن مزاجها يتبدل باختلاف الهواء عليها ويستحيل عما كانت عليه الى مشاكلة أرض مصر الا أن ما كان حديثا قريب العهد بالسفر فقد بقيت فيه من جودته بآياصالحة فهذا حال الغلات (وأما) الحيوان الذي يأكل الناس فالبلدى منه مزاجه مشاكل لمزاج الناس بهذه الاراضى في السخافة وسرعة الاستحالحة فهو على هذا ملائم لطبايعهم والمجلوب كالكباش البرقية فالسفر يحدث في ابدانها خلا ويساوأخلاطا لانها كل أخلاط المصريين ولهذا اذا دخلت مصر مرض اكثرها فاذا استقرت زمانا صالحا تبدل مزاجها ووافق مزاج المصريين (وأهل مصر) يشرب الجمهور منهم من ماء

النيل وقد قلنا في ماء النيل ما فيه كفاية وبعضهم يشرب مياه الآبار وهي قريبة من مشا كلتهم والمياه الخزونة فقل من يشربها بأرض مصر وأجود الاشربة عندهم الشمشى لان العسل الذى فيه يحفظ قوته ولا يدعه يتغير بسرعة والزمان الذى يعمل فيه خالص الحر فهو ينضجه والزبيب الذى يعمل منه مجلوب من بلاد أجود هواء (وأما الحر) فقل من يعصرها الا ويلقى معها عسلا وهي معصرة من كرومهم فتكون مشاكلة لهم ولهذا صاروا يختارون الشمسى عليها وما عدا الشمسى والحر من الشراب بأرض مصر فردي لاخبر فيه لسرعة استحالته من فساد مادته التبيد الترى والمطبوخ والمزر المعمول من الخطة* وأغذية أهل مصر مختلفة فان أهل الصعيد يقتنون كثيرا بتمر النخل والحلاوة المعمولة من قصب السكر ويحملونها الى الفسطاط وغيرها تباع هناك وتؤكل وأهل اسفل الارض يقتنون كثيرا بالقلقاس والجلبان ويحملون ذلك الى مدينة الفسطاط وغيرها فتباع هناك وتؤكل وكثير من أهل مصر يكثرون أكل السمك طريا ومالحا وكثيرا يكثرون أكل الالبان وما يعمل منها وعند فلاحهم نوع من الحبز يدعى كهكا يعمل من جريش الخطة ويخفف وهو أكثر أكلهم السنة كلها وبالجملة فكل قوم منهم قد ابتنت أبدانهم من أشياء بأعيانها وألفتها ونشأت عليها الا أن الغالب على أهل مصر الاغذية الرديئة وليست تغير مزاجهم ما دامت جارية على العادة وهذا أيضا مما يؤكدهم في السخافة وسرعة الوقوع في الامراض وأهل الريف أكثر حركة ورياضة من أهل المدن ولذلك هم أصح أبدانا لان الرياضة تصلب أعضاءهم وتقويها وأهل الصعيد أخلاطهم أرق وأكثر دخانية وتخلخلا وسخافة لشدة حرارة أرضهم من أسفل الارض وأهل أسفل الارض بمصر أكثر استقراغ فضولهم بالبراز والبول لفتور حرارة أرضهم واستعمالهم للأشياء الباردة والغليظة كالقلقاس (وأما) أخلاط المصريين فبعضها شبيه ببعض لان قوى النفس تابعة لمزاج البدن وأبدانهم سخيقة سريعة التغير قليلة الصبر والجلد وكذلك أخلاقهم يغلب عليها الاستحالة والتنقل من شئ الى شئ والدعة والجبن والقنوط والشح وقلة الصبر والرغبة في العلم وسرعة الخوف والحسد والهمة والكذب والسعي الى السلطان وذم الناس وبالجملة فيغلب عليهم الشرور الدنية التي تكون من دناءة الانفس وليس هذه الشرور عامة فيهم ولكنها موجودة في أكثرهم ومنهم من خصه الله بالفضل وحسن الخلق وبرأه من الشرور ومن أجل توليد أرض مصر الحين والشرور الدنيئة في النفس لم تسكنها الاسد واذا دخلت ذلت ولم تناسل وكلاهما أقل جراءة من كلاب غيرها من البلدان وكذلك سائر ما فيها أضعف من نظيره في البلدان الاخر ما خلا ما كان منها في طبيه ملاية لهذه الحال كالحمار والارنب * وقال ان جالينوس يرى أن فصل الربيع طبيعته الاعتدال ويناقض من ظن أنه حار رطب ومن شأن هذا الفصل أن تصح فيه الأبدان

ويجود هضمها وتنتشر الحرارة الغريزية فيه ويصفو الروح الحيواني لاعتدال الهواء وصفائه ومساواة ليله لنهاره وغلبة الدم والهواء المعتدل هو الذي لا يحس فيه ببرد ظاهر ولا حر ولا رطوبة ولا يابس ويكون في نفسه صافيا نقيا فيقوى فيه الروح الحيواني لهذا السبب وتصح الابدان ويكثر نشاط الحيوان وتنمو الاشياء وتزيد وتتوالد واذا طلبنا بأرض مصر مثل هذا الهواء لم نجد في وقت من السنة الا في أمشير وبرمات وبرموده وبشنس عند ما تكون الشمس في النصف الاخير من الدلو والحوت والحمل والثور فانما نجد بمصر في هذا الزمان أياما معتدلة نقية صافية لا يحس فيها بحر ظاهر ولا برد ولا رطوبة ولا يبوسة وتكون الشمس فيها نقية من الغيوم والهواء ساكنا لا يتحرك الا أن يكون ذلك في برمودة وبشنس فانه يحتاج الى أن تهب ريح الشمال ليعتدل ببردها حر الشمس وفي هذا الزمان تكثر حركة الحيوان وسفاده وتحسن أصواته وتورق الاشجار ويعقد الزهور وتقوى القوة المولدة ويغلب كيموس الدم وهذا الفصل في أرض مصر يتقدم زمانه الطبيعي بمقدار ما ينقص عن آخره وعلة ذلك قوة حرارة هذه الارض وقد يعرض في أول هذا الفصل أيام شديدة البرد وذلك في أمشير اذا هبت ريح الشمال وكانت الشمس غير نقية من الغيوم وعلة ذلك دخول فصل الربيع في فصل الشتاء فاذا هبت ريح الشمال برد بيردها الهواء فاعادته بعد الاعتدال الى البرد ولكثرة ما يصعد من الارض في هذا الزمان من البخار الرطب يرطب الهواء ويعود الى حاله في فصل الشتاء وربما برد الهواء من هبوب رياح آخر فان ريح الجنوب التي هي أشد الرياح حرارة اذا هبت في هذا الزمان اكتسبت برودة من الارض والماء اللذين قد بردها هواء الشتاء فاذا مرت بشئ برده ببرودتها العرضية حتى اذا دام هبوبها أياما كثيرة متوالية عادت الى حرارتها وأسخنت الهواء وأحدثت فيه يبسا والدليل على أن برد رياح الجنوب التي تعرفها المصريون بالريسي يتولد من برد مياه مصر وأرضها لا بشئ طبيعي لها أنه لا يجتمع في الجو في أيام هبوبها الضباب الذي يجتمع من تحليل الحرارة للبخار الرطب بالنهار وجمع البرودة له بالليل فحرارة ريح الجنوب تفرق البرودة عن جمعه وتبدده في الهواء واذا دام هبوب هذه الريح أسخنت الماء والارض وعادت الى طبيعتها في الحرارة واذا كان فصل الربيع يتقدم زمانه الطبيعي ويختلف هذا الاختلاف والهواء في الاصل بمصر يختلف بكثرة استحالته وما يرق اليه من البخار فما ظنك بغيره من الفصول ولذلك كثرت فيه الرياح وأخر الاطباء فيه سقي الادوية المسهلة الى أن يستقر أمره في شمس الحمل مع الثور ثم يدخل فصل الصيف في أخربشنس وبؤنة وأيبوب وبعض مسرى عند ما تكون الشمس في الجوزاء والسرطان والاسد وبعض السنبله فيشتد الحر واليبس في هذا الزمان وتجف الغلات وتنضج الثمار ويجتمع من أكلها في الابدان كيموسات

ردیئة واذا نزلت الشمس فی السرطان أخذ التیل فی الزیادة والقیض علی أرض مصر فیتغیر مزاج الصیف الطبیعی بکثرة ما یرتقی الی الهواء من بخار الماء ویوجد فی أول هذا الفصل عند ما تكون الشمس فی الجوزاء آیام یسا کل هواؤها هواء الربیع عند ما تكون الشمس مستورة بالغیوم أو تكون الریح الشمال هابة ولهذا یغلط کثیر من الاطباء ویسقی الادویة المسهلة فی هذا الزمان لظنه أن فصل الربیع لم ینخرج الا من کان منهم أحدق فهو ینتار ما کان من هذه الايام أسکن حرارة والا کثر لا یشعرون البتة بهذه الحال * وفی آخر الصیف ینکون فیض التیل فظاهر أن هذا الفصل یتقدم دخوله الزمان الطبیعی بقدر ما یتقدم آخره وانه کثیر الاضطراب بکثرة ما یرقی الیه من بخار الارض فلولا استمرار أبدانهم علی هذا الاختلاف ومشا کلامهم لهذه الحال لحدثت فیهم الامراض التی ذکر ابقرط أنها تحدث اذا کان الصیف رطباً * ثم یدخل فصل الخریف وطبیعته یابسة من النصف الاخیر من مسری ثم توت وبابة وبعض آیام هاتور وتكون الشمس فی آخر السنبلة والمیزان والمقرب فتکمل زیادة التیل فی أول هذا الفصل ویطلق علی الارضین فیطبق أرض مصر ویرتفع منه فی الجو بخار کثیر فینقل مزاج الخریف عن الییس الی الرطوبة حتی انه ربما وقع فیہ الامطار وکثرة الغیم فی الجو ویوجد فی هذا الفصل آیام شديدة الحر لانها علی الحقیقة ضعیفة فاذا نقی الجو من البخار الرطب عادت الی طبیعتها من الحرارة وفیه ایضا آیام شديدة الشبه بأیام الربیع تكون عند ما یساوی اللیل النهار ویرطب المساء ینس الهواء ویشتد فی هذا الفصل اضطراب الهواء بکثرة ما یرتقی الیه من البخار الرطب فیکون مرة حاراً وأخري بارداً ومرة یابساً وأكثر أوقاته یغلب علیه الرطوبة فلا یزال كذلك یتمزج حتی یغلب علیه رطوبة الماء فی آخر الامر ویصاد فی آیام الخریف من التیل أسماك کثیرة جداً یولد أکلیها فی الابدان أخلطاً لزجة وکثیراً ما یتسحیل الی الصفراء اذا صادفت فی البدن خلطاً صفراً ویا فمن أجل ذلك یضطرب ما فی الابدان من الروح حیوانی وتهيج الاخلط ویفسد الهضم فی البطون والاعویة والعروق ویتولد من ذلك کیموسات ردیئة کثیرة الاخلط بعضها مرة صفراء وبعضها مرة سوداء وبعضها یبلغ لزجاً وبعضها خلط خام وبعضها مرة محترقة وکثیر منها یتربک من هذه الاشیاء فتثیر الامراض حتی اذا انصرف التیل فی آخر الخریف وانکشفت الارض وبرد الهواء وکثرت الاسماك واحتقن البخار وکثر ما یرتفع به من الارض من العفونة واستحکم عند ذلك وجود العفن تزايدت الامراض ولولا ألف اهل مصر لهذه الاشیاء لکان ما یحدث فیهم من الامراض أكثر من ذلك ثم یدخل فصل الشتاء وطبیعته باردة رطبة من النصف الآخر من هاتور ثم کیهک وطوبة وذلك عند ما تكون الشمس فی القوس والجدی وبعض الدلو

(٢ - ١٠ خطط)

وذلك أقل من ثلاثة أشهر والعلّة في ذلك قوة حرارة أرض مصر وكون الابدان مضطربة وتكشف الارض في أول هذا الفصل وتحترق وتعفن بالجملة لسكثرة ما يلقى فيها من البزور ومافها من أذبال الحيوان وفضولها ولأنها سخيّة وهي كالحمأة في هذا الزمان فيتولد فيها من أنواع الفار والدود والنبات والعشب وغير ذلك ما لا يحصى كثرة ويحصل منها في الجو أبحرة كثيرة حتى يصير الضباب بالغدوات سائرا للابصار عن الألوان القريبة ويصاد أيضا من الاسماك المحبوسة في المياه المخزونة شيء كثير وقد داخلها العفن لقلّة حركتها فيولداً كلها في الابدان فضولا كثيرة لزجة شديدة الاستعداد للعفن فتقوي الامراض في أول هذا الفصل حتى اذا اشتد البرد وقوى الهضم في الابدان واستقر الهواء على شيء واحد وعادت الحرارة الفريزية الى داخل وتطبقت الارض بالنبات وسكنت عفوتها صحت عند ذلك الابدان وهذا يكون في آخر كهيك أو في طوبة فقد استبان أن الفصول بارض مصر كثيرة الاختلاف وأن أردأ أوقات السنة عندهم وأكثرها أمراضا هو آخر الخريف وأول الشتاء وذلك في شهر هاتور وكهيك فاذا اختلاف الفصول مشا كل لما عليه أرضهم من الرداء ففسرة الفصول اذا بالابدان في أرض مصر أقل منها في البلدان الأخر اذا اختلفت هذا الاختلاف واستبان أيضاً أن السبب الاول في ذلك هو مدة الليل في أيام الصيف وطبيعته الارض في أيام الخريف بخلاف ما عليه مياه الأنهار في العمارة كلها فانها انما تمتد في أخص الاوقات بالرطوبة وهو الشتاء والربيع * قال وقد استبان مما تقدم أن الرطوبة الفضائية بأرض مصر كثيرة وظاهر أن أمراضهم البلدية تكون من نوع هذه الرطوبة فاني أنا قلما رأيت أمراضهم البلدية تكون من نوع هذه كلها لايشوبها في أول أمرها الباعث والخطاطم والامراض كلها تحدث عندهم في الاوقات كلها كما قال أبقراط وأكثر أمراضهم هي الفضلية أعنى العفنة من أخلاط صفراوية وبلغمية على مايشاكل مزاج أرضهم وما ذكرناه فيما تقدم بوجب حدوث الامراض كثيرا الا أن مشاكلة هذه بعضها بعضا واتفاقها في سنة واحدة تمنع من أن تكون في انفسها مرضة متى لزمت العادة فأما اذا خرجت عن عاداتها فهي تحدث مرضا وخروجها عن عاداتها بمصر هو الذي أعده اختلافا مرضا لا الاختلاف الموجود فيها على الدائم والليل ليس يحدث في الابدان كل سنة مرضا ولكنه اذا أفرطت زيادته ودام مدة تزيد على العادة كان ذلك سببا لحدوث المرض الوافد فان قيل اذا كانت أبدان الناس بأرض مصر من السخافة على ما ذكرت فلعلها في مرض دائم فالجواب لسنا نبالي بهذا كيف كان لان المرض هو ما يضر بالفعل ضررا محسوسا من غير توسط فن أجل ذلك ليس أبدان المصريين في مرض دائم ولكنها كثيرة الاستعداد نحو الامراض قال أما أمراض مصر البلدية فقد ذكرنا من أمرها ما فيه كفاية وظهر أن أكثرها الامراض الفضلية التي يشوبها صفراء وخام على أن باقى

الامراض تحدث عندهم بسرعة وقرب وخاصة في آخر الخريف وأول الشتاء * وأما الامراض الوافدة ومعنى المرض الوافد هو ما يعم خلقا كثيرا في بلد واحد وزمان واحد ومنه نوع يقال له الموتان وهو الذي يكثر معه الموت وحدوث الامراض الوافدة تكون عن أسباب كثيرة يجتمع في أجناس أربعة وهي تغير كيفية الهواء وتغير كيفية الماء وتغير كيفية الاغذية وتغير كيفية الاحداث النفسانية فالهواء تغير كيفيته على ضربين أحدهما تغيره الذي جرت به العادة وهذا لا يحدث مرضا واقدا وليس تغيرا ممرضا والثاني التغير الخارج عن مجرى العادة وهذا هو الذي يحدث المرض الوافد وكذلك الحال في الاجناس الباقية وخروج تغير الهواء عن عادته يكون اما بأن يستخن أكثر أو يبرد أو يربط أو يحنف أو يخاطه حال عفنة والحالة العفنة اما أن تكون قريية أو بعيدة فان ابقراط وجالينوس يقولان انه ليس يمنع مانع من أن يحدث ببلد اليونانيين مرض واحد عن عفونة اجتمعت في بلاد الحبشة وترأقت الى الجو وانحدرت على اليونانيين فأحدثت فيهم المرض الوافد وقد يتغير أيضا مزاج الهواء عن العادة بأن يصل وقد كثير قد أنهك أبدانهم طول السفر وساءت أخلاطهم فيخالط الهواء منها شيء كثير ويقع الاعداء في الناس ويظهر المرض الوافد والماء أيضا قد يحدث المرض الوافد اما بأن يفرط مقداره في الزيادة أو النقصان أو يخاطه حال عفنة ويضطر الناس الى شربه ويعفن به أيضا الهواء المحيط بأبدانهم وهذه الحال تخاطه اما قريبا أو بعيدا بمنزلة ما يمر في جريانه بموضع جرب قد اجتمع فيه من حيف الموتي شيء كثير أو بمياه تقاطع عفنة فيحدرها معه ويخالط جسمه والاغذية تحدث المرض الوافد اما اذا لحقها البرقان وارتفعت أسعارها واضطر الناس الى أكلها واما اذا أكثر الناس منها في وقت واحد كالذي يكون في الاعياد فيكثر فيهم التخم ويمرضون مرضا متشابها واما من قبيل فساد مرعى الحيوان الذي يؤكل أو فساد الماء الذي يشرب والاحداث النفسانية تحدث المرض الوافد متى حدث في الناس خوف عام من بعض الملوك فيطول سيرهم وتفكرهم في الخلاص منه وفي وقوع البلاء فيسوء هضمهم وتتغير حرارتهم الغريزية وربما اضطروا الى حركة عنيفة في هذه الحال أو يتوقفوا قحط بعض السنين فيكثرثون الحركة والاجتهاد في ادخار الاشياء ويشدد غمهم بما سيحدث فجميع هذه الاشياء تحدث في أبدان الناس المرض الوافد متى كان المتعرض لها خلق كثير في بلد واحد ووقت واحد وظاهر أنه اذا كثرت في وقت واحد المرضى بمدينة واحدة ارتفع من أبدانهم بخار كثير فيتغير مزاج الهواء فاذا صادف بدنا مستعدا أمرضه وان كان صاحبه لم يتعرض لما يتعرض اليه الناس فالامراض الوافدة بمصر تحدث اما عن فساد لم تجربها العادة يعرض الهواء سواء كان مادة فساد من أرض مصر أو من البلاد التي تجاورها كالسودان والحجاز والشام وبرقة أو يعرض للتيل بأن تفرط

زيادته فتكثر زيادة الرطوبة والعفن أو تقل زيادته جدا فيجف الهواء عن مقدار العادة ويضطر الناس الى شرب مياه رديئة أو يخالطه عفونة تحدث عن جرب يكون بأرض مصر أو ببلاد السودان أو غيرها يموت فيها خلق كثير ويرتفع بخار حيفهم في الهواء فيعفنه ويتصل عفنه اليهم أو يسيل الماء ويحمل معه العفن أو يغلو السحر أو يلحق الغلات آفة أو يدخل على الكباش ونحوها مضرّة أو يلحق الناس خوف عام أو قنوط وكل واحد من هذه الاسباب يحدث في أرض مصر مرضا وافدا يكون قوته بمقدار قوة السبب المحدث له وان كان أكثر من سبب واحد كان ذلك المرض أشد وأقوى وأسرع في القتل * قال فزاج أرض مصر حار رطب بالرطوبة الفضلية وما قرب من الجنوب بارض مصر كان أسخن وأقل عفنا في ماء النيل مما كان منها في الشمال ولا سيما من كان في شمال القسطنطينية مثل أهل البشمور فان طباعهم أغلظ والبله عليهم أغلب وذلك أنهم يستعملون أغذية غليظة جدا ويشربون من الماء الرديء * وأما اسكندرية وتيس وأمثال هذه فقرها من البحر وسكون الحرارة والبرد عنهم وظهور الصبا فيهم مما يصلح أمرهم ويرق طباعهم ويرفع همهم ولا يعرض لهم ما يعرض لأهل البشمور من غلظ الطبع والجمادية واحاطة البحر بمدينة تيس توجب غلبة الرطوبة عليها وما يسر أخلاق أهلها قال انه لما كانت أرض مصر وجميع ما فيها سخيفة الاجسام سريعا اليها التغير والعفن وجب على الطبيب أن يختار من الاغذية والادوية ما كان قريب العهد حديثا لان قوته تعد باقية عليه لم تتغير كل التغير وان يجعل علاجه ملائما لما عليه الابدان بأرض مصر ويجتهد في أن يجعل ذلك الى الجهة المضادة أميل قليلا ويتجنب الادوية القوية الاسهال وكل ماله قوة مفرطة وان نكاهة هذه الابدان سريعة سيما وأبدان المصريين سريعة الوقوع في النكايات ويختار ما يكون من الادوية المسهلة وغيرها التي قوة حتى لا يكون على طبيعة المصريين منها كلفة ولا يلحق أبدانهم مضرّة ولا يقدم على الادوية الموجودة في كتب أطباء اليونانيين والفرس فان أكثرها عملت لابدان قوية البنية عظيمة الخلط وهذه الاشياء قاسما توجد بمصر فلذلك يجب على الطبيب أن يتوقف في اعطاء هذه الادوية للمرضى ويختار ألينها وينقص عن مقدار شرباتها ويبدل كثيرا منها بما يقوم مقامه ويكون ألين منه فيتخذ السكندجيين السكرى في مقام البسلي والجلاب بدلا من ماء العسل واعلم ان هواء مصر يعمل في المعجونات وسائر الادوية ضعفا في قوتها فأعمار الادوية المفردة والمركبة المعجون منها وغير المعجون بمصر أقصر من أعمارها في غير مصر فيحتاج الطبيب بمصر الى تقدير ذلك وتمييزه حتى لا يشتبه عليه شئ مما يحتاج اليه واذالم يكتف في تنقية البدن بالدواء المسهل دفعة واحدة فلا بأس بإعادته بعد أيام فان ذلك أحمد من ايراد الدواء الشديد القوة في دفعة واحدة قال ولكون أرض مصر تولد في الاجسام سخافة وسرعة قبول للمرض وجب أن تكون الابدان

على الهيئة الفاضلة بأرض مصر قليلة جداً فأما الابدان الباقية فكثيرة وأن تكون الصحة التامة عندهم على الامر الاكثر في القرينة من الهيئة الفاضلة والطريق الاولى التي تدبر بها الابدان ان في الهيئة الفاضلة يحتاج فيها بأرض مصر الى أن يدبر الهواء والغذاء والماء وسائر الاشياء تدبيراً يصير به في غاية الاعتدال ولان الهضم كثيراً ما يسوء بأرض مصر وكذلك الروح الحيواني فيجب صرف العناية الى مراعاة أمر القلب والدماغ والكبد والمعدة والعروق وسائر الاعضاء الباطنة في تجويد الهضم واصلاح أمر الروح الحيواني وتنظيف الاوساخ الاحمجة وقال في شرح كتاب الاربع لبطليموس وأما سائر أجزاء الربع الذي يميل الى وسط جميع الارض المسكونة أعني بلاد برقة وسواحل البحر من مربوط الى الاسكندرية ورشيد ودمياط وتينس والفرما وأسفل الارض بمصر ونواحي مدينة منف ومدينة القسطاظ وما يلي شرقي النيل من صعيد مصر والفيوم الى أعلى الصعيد مما في غرب النيل وأرض الواحات وأرض النوبة والبحجة والارض التي على البحر في شرقي بلاد النوبة والحبشة فان هذه البلاد موضوعة في الزاوية التي تؤثر في جميع الربع الموضوع فيما بين الدبور والجنوب وهي من جملة النصف الغربي من الربع المعمور والكواكب الخمسة المتحيرة تشترك في تدبيرها فصار أهلها محيين لله ويعظمون الجن ويحبون النوح ويدفنون موتاهم في الارض ويخفونهم ويستعملون سنناً مختلفة وعادات وآراء شتى لميلهم الى الاسرار التي تدعو كل طائفة منهم الى أمر من الامور الخفية فيعتقده ويوافقه جماعة ومن أجل هذه الاسرار كان المستخرج للعلوم الدقيقة كالفلك والنجوم وغيرها في الزمان الاول أهل مصر ومنهم تفرقت في العالم واذا ساسهم غيرهم كانوا اذلاء والغالب عليهم الجبن والاستحذاء في الكلام واذا ساسوا غيرهم كانت انفسهم طيبة وهمهم كثيرة ورجلهم يتخذون نساء كثيرة وكذلك نساؤهم يتخذن عدة رجال وهم منهمكون في الجماع ورجلهم كثير النسل ونساؤهم سريعات الحمل وكثير من ذكر انهم تكون انفسهم ضعيفة مؤنثة * وقال أبو الصلت وأما سكان أرض مصر فأخلاقهم من الناس مختلفو الاصناف والاجناس من قبط وروم وعرب واكراد وديلم وحباشان وغير ذلك من الاصناف الا أن جمهورهم قبط قالوا والسبب في اختلاطهم تداول المالكين لها والمتغلين عليها من العمالة واليونانيين والروم وغيرهم فلهذا اختلطت أنسابهم واقتصروا من التعريف بأنفسهم على الإشارة الى مواضعهم والاتئام الى مساقطهم فيها وحكي أنهم كانوا في الزمن السالف عباد أصنام ومدبري هياكل الى أن ظهر دين النصرانية وغلب على أرض مصر فتصنروا وبقوا على ذلك الى أن فتحها المسلمون فأسلم بعضهم وبقي بعضهم على دين النصرانية وأما أخلاقهم فالغالب عليها اتباع الشهوات والاهتمام في اللذات والاشتغال بالترهات والتصديق بالمحالات وضعف المرائر

والعزمات ولهم خبرة بالسكيد والمكر وفيهم بالفطرة قوة عليه وتلطف فيه وهداية اليه لما في اخلاقهم من الملق والبشاشة التي أربوا فيها على من تقدم وتأخروا وخصوا بالافراط فيها دون جميع الامم حتى صار أمرهم في ذلك مشهورا والمثل بهم مضروبا وفي خبثهم ومكرهم يقول أبو نواس

محضتكم يا أهل مصر نصيحتي * ألا فخذوا من ناصح بنصيب
وماكم أمير المؤمنين بحجة * أكل لحيات البلاد شروب
فان يك باق افك فرعون فيكم * فان عصا موسى بكف خنصيب

قال مؤانته رحمه الله تعالى وقد مر لي قديما أن منطقة الجوزاء تسامت رؤس أهل مصر فلذلك يتحدثون بالاشياء قبل كونها ويخبرون بما يكون وينذرون بالامور المستقبلية ولهم في هذا الباب أخبار مشهورة (قال) ابن الطوير وقد ذكر استيلاء الفرنج على مدينة صور فعاد الحفظ والحراسة على مدينة عسقلان فما زالت محمية بالابدال المجردة اليها من العساكر والاساطيل والدولة تضعف أولا فأولا باختلاف الآراء فتقلت على الاجناد وكبر أمرها عندهم واشتغلوا عنها فضايها الفرنج حتى أخذوها في سنة ثمان واربعين وخسمائة ولقد سمعت رجلا قبل ذلك بسنين يحدث بهذه الامور ويقول في سنة ثمان تؤخذ عسقلان بالامان * ومن هذا الباب واقعة الكنائس التي للنصارى وذلك أنه لما كان يوم الجمعة تاسع شهر ربيع الآخر سنة احدى وعشرين وسبعمائة والناس في صلاة الجمعة كانوا نودى في إقليم مصر كله من قوص الى الاسكندرية بهدم الكنائس فهدم في تلك الساعة بهذا المسافة الكبيرة عدد كثير من الكنائس كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب عند ذكر كنائس النصارى ومن هذا الباب واقعة الدمر وذلك أنه خرج الامير الدمر أمير جندار يريد الحج من القاهرة في سنة ثلاثين وسبعمائة وكانت فتنة بمكة قتل فيها الدمر يوم الجمعة رابع عشر ذى الحجة فاشيع في هذا اليوم بعينه في القاهرة ومصر وقلة الجبل بأن واقعة كانت بمكة قتل فيها الدمر فطار هذا الخبر في ريف مصر واشتهر فلم يكثر الملك الناصر محمد بن قلاوون بهذا الخبر فلما قدم المبشرون على العادة أخبروا بالواقعة وقتل الامير سيف الدين الدمر في ذلك اليوم الذي كانت الاشاعة فيه بالقاهرة قال جامع السيرة الناصرية كنت مع الامير علم الدين الخازن في القرية وقد خرج اليها كاشفا فلما صليت انا وهو صلاة الجمعة وعدنا الى البيت قدم بعض غلمان من القاهرة فأخبرنا أنه أشيع بأن فتنة كانت بمكة قتل فيها جماعة من الاجناد وقتل فيها الامير الدمر أمير جندار فقال له الامير علم الدين هل حضر أحد من الحجاز بهذا الخبر قال لا فقال ويحك الناس ماتوا من متى بمكة الا ثالث يوم بعد عيد النحر فكيف سمعتم هذا الخبر الذي لا يسمعه عاقل فقال قد استفيض ذلك وكان الامر كما أشيع (ووقع) الى في شهر

رمضان من شهور سنة احدى وتسعين وسبعائة أني مررت في الشارع بين القصرين بالقاهرة بعد العتمة فاذا العامة تتحدث بأن الملك الظاهر برقوق خرج من سجنه بالسرك واجتمع عليه الناس فضبطت ذلك فكان اليوم الذي خرج فيه من السجن وفي هذا الباب من هذا كثير * (ومن) اخلاق أهل مصر قلة الغيرة وكفاك ما قصه الله سبحانه وتعالى من خبر يوسف عليه السلام ومرادة امرأة العزيز له عن نفسه وشهادة شاهد من أهلها عليها بما بين لزوجها منها السوء فلم يعاقبها على ذلك بسوى قوله استغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين * وقال ابن عبد الحكم وكان نساء أهل مصر حين غرق من غرق منهم مع فرعون ولم يبق الا العبيد والاجراء لم يصبرن عن الرجال فطفقت المرأة تعتق عبدها وتزوجه وتزوجه الاخرى أجيرها وشرطن على الرجال أن لا يفعلوا شيئاً الا باذنهن فأجابوهن الى ذلك فكان امر النساء على الرجال فحدثني ابن طهية عن يزيد بن أبي حبيب أن نساء القبط على ذلك الى اليوم اتباعا لمن مضى منهم لا يبيع احدهم ولا يشتري الا قال أستأمر امرأتي وقال ان فرعون لما غرق ومعه أشراف مصر لم يبق من الرجال من يصلح للمملكة فعد الناس في مراتبهم بنت الملك ملكة وبنت الوزير وزيرة وبنت النوالى وبنت الحاكم على هذا الحكم وكذلك بنات القواد والاجناد فاستولت النساء على المملكة مدة سنين وتزوجن بالعبيد واشترطن عليهم أن الحكم والتصرف لهن فاستمر ذلك مدة من الزمان ولهذا صارت ألوان أهل مصر سمرا من أجل أنهم أولاد العبيد السود الذين نكحوا نساء القبط بعد الفرق واستولدوهن وأخبرني الامير الفاضل الثقة ناصر الدين محمد بن محمد ابن الغرابيلي السركي رحمه الله تعالى انه منذ سكن مصر يجد من نفسه رياضة في أخلاقه وترخصا لاهله ولينا ورقة طبع من قلة الغيرة وبما لم تزل نسمعه دائما بين الناس ان شرب ماء النيل ينسى الغريب وطنه * ومن أخلاق أهل مصر الاعراض عن النظر في العواقب فلا تجدهم يدخرون عندهم زادا كما هي عادة غيرهم من سكان البلدان بل يتناولون أغذية كل يوم من الاسواق بكرة وعشيا ومن أخلاقهم الانهماك في الشهوات والامعان في الملاذ وكثرة الاستهتار وعدم المبالاة قال لي شيخنا الاستاذ أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون رحمه الله تعالى أهل مصر كأنما فرغوا من الحساب وقد روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سأل كعب الاحبار عن طبائع البلدان وأخلاق سكانها فقال ان الله تعالى لما خلق الاشياء جعل كل شيء شئ فقال العقل انا لاحق بالشام فقالت الفتنة وانا معك وقال الخصب انا لاحق بمصر فقال الذل وانا معك وقال الشقاء انا لاحق بالبادية فقالت الصحة وانا معك * ويقال لما خلق الله الخلق خلق معهم عشرة أخلاق الايمان والحياء والتجدة والفتنة والكبر والتفاق والغنى والفقر والذل والشقاء فقال الايمان انا لاحق باليمن فقال الحياء وانا معك

وقالت النجدة أنا لاحقة بالشام فقالت الفتنة وأنا معك وقال الكبير أنا لاحق بالعراق فقال
 النفاق وأنا معك وقال الثقي أنا لاحق بمصر فقال الذل وأنا معك وقال الفقر أنا لاحق
 بالبادية فقال الشقاء وأنا معك وعن ابن عباس رضى الله عنهما المكر عشرة أجزاء تسعة منها
 في القبط وواحد في سائر الناس ويقال أربعة لا تعرف في أربعة السخاء في الروم والوفاء في
 الترك والشجاعة في القبط والعمر في الزنج * ووصف ابن العربية أهل مصر فقال عبيد بن
 غلب أ كيس الناس صغارا وأجهلهم كبارا (وقال المسعودي) لما فتح عمر بن الخطاب رضى
 الله عنه البلاد على المسلمين من العراق والشام ومصر وغير ذلك كتب الى حكيم من حكماء العصر
 انا لناس عرب قد فتح الله علينا البلاد ونريد أن نبوأ الأرض ونسكن البلاد والامصار فصف
 لي المدن وأهويتها ومساكنها وما تؤثره التربة والاهوية في سكانها فكتب اليه وأما أرض مصر
 فأرض قوراء غوراء ديار الفراعنة ومساكن الحيابرة ذمها أكثر من مدحها هوأؤها كدر
 وحرها زائد وشرها مائد تكدر الالوان والفظن وتركب الاحن وهي معدن الذهب والجوهر
 ومغارس الغلات غير أنها تسمن الابدان وتسود الانسا وتنفو فيها الاعمار وفي أهلها مكر
 ورياء وخبث ودهاء وخديعة وهي بلدة مكسب ليست بلدة مسكن لترادف فتحها واتصال
 شروورها وقال عمر بن شبه ذكر ابن عبيدة في كتاب أخبار البصرة عن كعب الاحبار خير
 نساء على وجه الارض نساء أهل البصرة الا ما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم من نساء قریش
 وشر نساء على وجه الارض نساء أهل مصر وقال عبد الله بن عمر ولما أهبط إبليس وضع
 قدمه بالبصرة وفرخ بمصر وقال كعب الاحبار ومصر أرض نجسة كالمراة العاذل يطهرها
 النيل كل عام * وقال معاوية بن أبي سفيان وجدت أهل مصر ثلاثة أصناف فثلث ناس وثلاث
 يشبه الناس وثلاث لا ناس فأما الثلث الذين هم الناس فالعرب والثلث الذين يشبهون الناس
 فالموالى والثلث الذين لا ناس المسألة يعنى القبط

❦ ذكر شئ من فضائل النيل ❦

أخرج مسلم من حديث أنس رضى الله عنه في حديث المعراج أن النبي صلى الله عليه
 وسلم قال ثم رفعت الى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها مثل آذان الفيلة قلت
 ماذا يا جبريل قال هذه سدرة المنتهى واذا أربعة انهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت
 ما هذا يا جبريل قال أما الباطنان فهريان في الجنة وأما الظاهران فالتيل والفرات وفي التوراة وخلق
 فردوسا في عدن وجعل الانسان فيه وأخرج منه نهران فقسمهما اربعة أجزاء جيحون
 المحيط بأرض حويلا وسيحون المحيط بأرض كوش وهو نيل مصر ودجلة الآخذ الى
 العراق والفرات * وروى ابن عبد الحكم عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال
 نيل مصر سيد الانهار سخر الله له كل نهر بين المشرق والمغرب فاذا أراد الله أن يجري

نيل مصر أمر كل نهر أن يمدد فتمده الانهار بمائها وفجر الله له الارض عيونا فأجرته الى ما أراد الله عز وجل فاذا انتهت جريته أوحى الى كل ماء أن يرجع الى غصره وعن يزيد ابن أبي حبيب أن معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه سأل كعب الاحبار هل تجدد لهذا النيل في كتاب الله خبرا قال أى والذي فلق البحر لموسى اني لاجده في كتاب الله ان الله يوحى اليه في كل عام مرتين يوحى اليه عند جريته ان الله يأمرك أن تجري فيجري ما كتب الله له ثم يوحى اليه بعد ذلك يا نيل عد حميدا وعن كعب الاحبار أنه قال أربعة انهار من الجنة وضعا الله في الدنيا النيل نهر العسل في الجنة والفرات نهر الحمر في الجنة وسيحان نهر الماء في الجنة وحيحان نهر اللبن في الجنة وقال المسعودى نهر النيل من سادات الانهار وأشرف البحار لانه يخرج من الجنة على ماورد به خبر الشريعة وقد قال ان النيل اذا زاد غاضت له الانهار والاعين والآبار واذا غاض زادت فزيادته من غيضا وغيضا من زيادتها وليس في أنهار الدنيا نهر يسمى بحرا غير نيل مصر لكبره واستبحاره * وقال ابن قتيبة في كتاب غريب الحديث وفي حديثه عليه السلام نهران مؤمنان ونهران كافران أما المؤمنان فالنيل والفرات وأما الكافران فدجلة ونهر بلخ إنما جعل النيل والفرات مؤمنين على التشبيه لأنهما يفيضان على الارض ويسقيان الحرت والشجر بلاتعب في ذلك ولا مؤنة وجعل دجلة ونهر بلخ كافرين لانهما لا يفيضان على الارض ولا يسقيان الا شيئا قليلا وذلك القليل بتعب ومؤنة فهذان في الخير والنفع كالؤمنين وهذان في قلة الخير والنفع كالكافرين

ذكر مخرج النيل وانبعاثه

اعلم ان البحر المحيط بالمعمور اذا خرج منه نهر الهند افرق قطعا كما تقدم وكان منه قطعة تسمى بحر الزنج وهي مما يلي بلاد اليمن وبحر بربر وفي هذه القطعة عدة جزائر منها جزيرة القمر بضم القاف واسكان الميم وراء مهمة ويقال لهذه الجزيرة أيضا جزيرة ملاي وطولها أربعة أشهر في عرض عشرين يوما الى أقل من ذلك وهذه الجزيرة تحاذي جزيرة سرنديب وفيها عدة بلاد كثيرة منها قرية واليا ينسب الطائر القمري ويقال ان بهذه الجزيرة خشب يخت من الخشبة ساق طوله ستون ذراعا يحذف على ظهره مائة وستون رجلا وان هذه الجزيرة ضاقت بأهلها فبنوا على الساحل محلات يسكنونها في سفح جبل يعرف بهم يقال له جبل القمر * واعلم ان الجبال كلها متشعبة من الجبل المستدير بغالب معمور الارض وهو المسمى بجبل قاف وهو أم الجبال كلها تتشعب منه فيتصل في موضع وينقطع في آخر وهو كالدائرة لا يعرف له أول اذ كان كالحلقة المستديرة لا يعرف طرفاها وان لم يكن استدارة كرية ولكنها استدارة احاطة وزعم قوم أن أمهات الجبال جبلان خرج أحدهما من البحر المحيط في المغرب آخذا جنوبا وخرج الآخر من البحر الرومي آخذا شمالا حتى تلاقيا عند

السد وسموا الجنوبي قاف وسموا الشمالي قاقونا والا ظهر أنه جبل واحد ومحيط بنال بسيط المعمور وأنه هو الذي يسمى بجبل قاف فيعرف بذلك في الجنوب ويعرف في الشمال بجبل قاقونا ومبدأ هذا الجبل المحيط من كتف السد أخذنا من وراء صنم الحط المشجوج الى شعبته الخارجة منه المعمول بها باب الصين أخذنا على غربي صين الصين ثم ينعطف على جنوبه مستقيماً في نهاية الشرق على جانب البحر المحيط مع الفرجة المنفرجة بينه وبين البحر الهندي الداخلة ثم ينقطع عند مخرج البحر الهندي المحيط مع خط الاستواء حيث الطول مائة وسبعون درجة ثم يتصل من شعبة البحر الهندي الملاقى لشعبة المحيط الخارجة الى بحر الظلمات من الشرق بجنوب كثير من وراء مخرج البحر الهندي في الجنوب وتبقى الظلمات من هاتين الشعبتين شعبة المحيط الجائبة على جنوب الظلمات شرقاً مغرباً ومخرج البحر الهندي الجائبة على الظلمات حتى تتلاقى الشعبتان عند مخرج هذا الجبل كتفصيل السراويل ثم ينفرج برأس البحرين شعبتان على مبدأ هذا الجبل ويبقى الجبل بينهما كأنه خارج من نفس الماء ومبدأ هذا الجبل هنا وراء قبة اربن عن شرقها وبعده منها خمس عشرة درجة ويقال لهذا الجبل في أوله المجرد ثم تمتد حتى تنتهي في القسم الغربي الى طوله الى خمس وستين درجة من أول المغرب وهناك يتشعب من الجبل المذكور جبل القمر وينصب منه النيل وبه أحجار برّاقة كالفضة تتلأأ تسمى ضحكة الباهت كل من نظرها ضحك والتصق بها حتى يموت ويسمي مغناطيس الناس ويتشعب منه شعب تسمى أسيفي أهلها كالوحوش ثم ينفرج منه فرجة ويمر منه شعب الى نهاية المغرب في البحر المحيط يسمى جبل وحشية به سباع لها قرون طوال لا نطاق وينعطف دون تلك الفرجة من جبل قاف شعاباً منها شعبتان الى خط الاستواء يكتفان مجرى النيل من الشرق والغرب فالشرقي يعرف بجبل قاقول وينقطع عند خط الاستواء والغربي يعرف بادمرية يجري عليه نيل السودان المسمى بحر الدمامد وينقطع تلقاء مجالات الحبشة ما بين مدينة سفرة وحيمي وراء هذه الشعبة يمتد منه شعبة هي الام من الموضع المعروف فيه الجبل بأسيفي المذكور الى خط الاستواء حيث الطول هناك عشرون درجة ويعرف هناك بجبل كرسقا به وبه وحوش ضارية ثم ينتهي الى البحر المحيط وينقطع دونه بفرجة وذلك وراء التكرور عند مدينة قلمتورا ووراء هذا الجبل السودان يقال لهم تتم بأكلون الناس ثم تتصل الام من ساحل البحر الشامي في شماله شرقي رومية الكبرى مسامتا للشعبة المسماة أدمدمه المنقطعة بين سمعرة وحيمي لا يكاد يخطوها حيث الطول خمس وثلاثون درجة ويقع منشأ اتصال هذه الام على عرض خمسين درجة وكذلك تقع شعبها الآخذة في الجنوب على عرض خمسين درجة عند آخرها ما بين سردانة وبلنسية وتنتهي وصلة هذه الام الى البحر المحيط في نهاية الشمال قبالة جزيرة بركانية

وتسقى سوسية داخل الجبل ثم تمد هذه الام بعد انقطاع لطيف وينعطف انعطاف خرجة البحر المحيط في المغرب على الصقلب المسماة ببحر الانفاسين ممتداً الى غاية المشرق ويسمى هناك بحيل قاقونا ويسبق وراءه البحر جامدا لشدة البرد ثم ينعطف من الشمال الى المشرق جنوبا بتقريب الى كتف السد الشمالي فيتلاقى هناك الطرفان بينهما في الفرجة المنفرجة سوى ذو القرنين بين الصدفين وفي جودة القمر ثلاثة أنهار أحدها في شرقها من تنظورا ومعلا وثانيها في غربها ينصب من جبل قدم آدم على مدينة سبا ويأخذ مارا على مدينة فردرا ويخبر هناك بحيرة في جنوبها مدينة كما حيث محل السودان الذين يأكلون الناس وثالثها في غربها أيضا ويخرج من الجبل المشبه ماء محدودب النيل يطوف بمدينة دها فتسقى مدينة دها في جزيرة بينهما يكون هو محيطا بها شرقا وجنوبا وغربا ويصير لذلك كالجزيرة ويتصل شمالها بالبحر الهندي وتقع مدينة قواره في غربيه حيث يصب في البحر الهندي * ومن جبل القمر يخرج نهر النيل وقد كان يتبدد على وجه الارض فلما قدم نقراوش الحدار بن مصرم الاول بن مركابيل بن دوابيل بن عرباب بن آدم عليه السلام الى أرض مصر ومعه عدة من بني عرباب واستوطنوها وبنوا بها مدينة أمسوس وغيرها من المدائن حفروا النيل حتى أجروا ماء اليهم ولم يكن قبل ذلك معتدل الجرى بل ينبطح ويتفرق في الارض حتى وجه الى النوبة الملك نقراوش فهندسوه وساقوا منه أنهارا الى مواضع كثيرة من مدنها التي بنوها وساقوا منه نهر الى مدينة أمسوس ثم لما خربت أرض مصر بالطوفان وكانت أيام البودشير بن قطب بن مصر بن بصر بن حام بن نوح عليه السلام عدل جاني النيل تعديلا ثانيا بعد ما أتلفه الطوفان * قال الأستاذ ابراهيم ابن وصيف شاه فملك البودشير وتجبى وهو أول من تكهن وعمل بالسحر واحتجب عن العيون وقد كانت أعماقه أشمن وأتريب وصا ملوكا على أحيازهم الا أنه قهرهم بجبروته وقوته فكان الذكر له كاتجبى أبوه على من قبله لانه كان أكبرهم وكذلك أغضوا عنه فيقال انه أرسل هرمس السكاهن المصري الى جبل القمر الذي يخرج النيل من تحته حتى عمل هناك التماثيل النحاس وعدل البطيخة التي ينصب فيها ماء النيل ويقال انه الذي عدل جاني النيل وقد كان يفيض وربما انقطع في مواضع وهذا القصر الذي فيه تماثيل النحاس يشتمل على خمس وثمانين صورة جعلها هرمس جامعة لما يخرج من ماء النيل بمعاقدومصاب مدورة وقنوات يجري فيها الماء وينصب بها اذا خرج من تحت جبل القمر حتى يدخل من تلك الصور ويخرج من حلوقها وجعل لها قياسا معلوما بمقاطع وأذرع مقدرة وجعل ما يخرج من هذه الصور من الماء ينصب الى الانهار ثم يصير منها الى بطيختين ويخرج منهما حتى ينتهي الى البطيخة الجامعة للماء الذي يخرج من تحت الجبل وعمل لتلك الصور مقادير

من الماء الذي يكون معه الصلاح بأرض مصر وينتفع به أهلها دون الفساد وذلك الانتهاء المصلح ثمانية عشر ذراعا بالذراع الذي مقداره اثنان وثلاثون أصبعا وما فضل عن ذلك عدل عن يمين تلك الصور وشمالها الى مسارب يخرج ويصب في رمال وغياض لا ينتفع بها من خلف خط الاستواء ولولا ذلك لغرق ماء النيل البلدان التي يمر عليها * قال وكان الوليد بن درمع العمليقي قد خرج في جيش كثيف ينتقل في البلدان ويقهر ملوكها ليسكن ما بوافقه منها فلما صار الى الشام انتهى اليه خبر مصر وعظم قدرها وان أمرها قد صار الى النساء وباد ملوكها فوجه غلاما له يقال له عون الى مصر وسار اليها بعده واستباح أهلها وأخذ الاموال وقتل جماعة من كهنتها ثم سنج له أن يخرج ليقف على مصب النيل فيعرف ما بحافتيه من الامم فأقام ثلاث سنين يستعد لخروجه وخرج في جيش عظيم فلم يمر بأمة الا أبادها ومر على أم السودان وجاوزهم ومر على أرض الذهب فرأى فيها قصبانا نابتة من ذهب ولم يزل يسير حتى بلغ البطيحة التي ينصب ماء النيل فيها من الانهار التي تخرج من تحت جبل القمر وسار حتى بلغ هيكल الشمس وتجاوزته حتى بلغ جبل القمر وهو جيل عال وانما سمي جبل القمر لان القمر لا يطلع عليه لانه خارج من تحت خط الاستواء ونظر الى النيل يخرج من تحته فيمر في طرايق وأنهار دقاق حتى ينتهي الى حظيرتين ثم يخرج منهما في نهرين حتى ينتهي الى حظيرة أخرى فاذا جاوز خط الاستواء مدته عين تخرج من ناحية نهر مكران بالهند وتلك العين أيضا تخرج من تحت جبل القمر الى ذلك الوجه ويقال ان نهر مكران مثل النيل يزيد وينقص وفيه التماسيح والاسماك التي مثل أسماك النيل ووجد الوليد بن دومع القصر الذي فيه التماثيل النحاس التي عملها هرمس الاول في وقت البودشير بن قطريم بن قبطيم بن مصرايم وقد ذكر قوم من أهل الار أن الانهار الاربعة تخرج من أصل واحد من قبة في أرض الذهب التي من وراء البحر المظلم وهي سيحون وجيحون والفرات والنيل وأن تلك الارض من أرض الجنة وأن تلك القبة من زبرجد وأنها قبل أن تسلك البحر المظلم أحلى من العسل وأطيب رائحة من الكافور ومن جاء بهذا رجل من ولد العيص بن اسحاق بن ابراهيم عليهما السلام وصل الى تلك القبة وقطع البحر المظلم وكان يقال له حابد وقال آخرون تنقسم هذه الانهار على اثنين وسبعين قسما حذاء اثنين وسبعين لسانا للام وقال آخرون هذه الانهار من ثلوج تشكاف وبذيها الحر فتسيل الى هذه الانهار وتسقى من عليها لما يريد الله عز وجل من تدبير خلقه قالوا ولما بلغ الوليد جيسل القمر رأى جبلا عاليا فعمل حيلة الى أن صعد اليه ليرى ما خافه فأشرف على البحر الاسود الزفتي المثلث ونظر الى النيل يجري عليه كالانهار الدقاق فأتته من ذلك البحر روايح منتنة هالك كثير من أصحابه من أجلها فأسرع النزول بعد أن كاد

يهلك * وذكر قوم أنهم لم يروا هناك شمساً ولا قرأ الا نوراً أحمر كنور الشمس عند غيابها وأما ما ذكر عن حديد وقطعه البحر المظلم ماشياً عليه لا يلصق بقدمه منه شيء وكان فيما يذكر نبياً وأوتي حكمة وأنه سأل الله تعالى أن يريه منتهى النيل فأعطاه قوة على ذلك فيقال انه أقام يمضى عليه ثلاثين سنة في عمران وعشرين سنة في خراب قالوا وأقام الوليد في غيبته أربعين سنة وعاد ودخل منف وأقام بمصر فاستعبد أهلها واستباح حريمهم وأموالهم وملكهم مائة وعشرين سنة فأبغضوه وسُموه الى أن ركب في بعض أيامه متصيداً فألقاه فرسه في وهدة فقتله واستراح الناس منه (وقال) قدامة بن جعفر في كتاب الخراج انبعث النيل من جبل القمر وراء خط الاستواء من عين تجرى منها عشرة أنهار كل خمسة منها تصب الى بطيحة ثم يخرج من كل بطيحة نهران وتجرى الانهار الاربعة الى بطيحة كبيرة في الاقليم الاول ومن هذه البطيحة يخرج نهر النيل وقال في كتاب نزهة المشتاق الى اختراق الآفاق ان هذه البحيرة تسمى بحيرة كورى منسوبة لطائفة من السودان يسكنون حولها متوحشين يأكلون من وقع الهم من الناس ومن هذه البحيرة يخرج لهم نهر غانة وبحر الحبشة فاذا خرج النيل منها يشق بلاد كورى وبلاديه وهم طائفة من السودان بين كاتم والثوبة فاذا بلغ دفلة مدينة النوبة عطف من غربها وانحدر الى الاقليم الثاني فيكون على شطيه عمارة النوبة وفيه هناك جزائر متسعة عامرة بالمدن والقرى ثم يشرق الى الجنادل * وقال المسعودي رحمه الله تعالى رأيت في كتاب جعفر النيل مصوراً ظاهراً من تحت جبل القمر ومنبعه ومبدأ ظهوره من أنقى عشرة عينا فتصب تلك المياه الى بحيرتين هنالك كالباطح ثم يجتمع الماء منهما جارياً فيمر برمال هناك وجبال ويخرق أرض السودان فيما يلي بلاد الزنج فيتشعب منه خليج يصب في بحر الزنج ويجرى على وجه الارض تسعمائة فرسخ وقيل ألف فرسخ في عامر وغامر من عمران وخراب حتى يأتى أسوان من صعيد مصر * وقال في كتاب هردسوس نهر النيل مخرجه من ريف بحر القلزم ثم يميل الى ناحية الغرب فيصير في وسطه جزيرة وآخر ذلك يميل الى ناحية الشمال فيسقى أرض مصر وقيل ان مخرجه من عين فيما يجاوز الحيل ثم يغيب في الرمال ثم يخرج غير بعيد فيصير له محبس عظيم ثم يسير البحر المحيط على قفار الحبشة ثم يميل على اليسار الى أرض مصر فيحق ما يظن بهذا النهر أنه عظيم اذ كان مجراه على ما حكيناه قال ونهر النيل وهو الذي يسمى باون مخرجه خفي ولسكن ظاهراً اقباله من أرض الحبشة ويصير له هناك محبس عظيم مجراه الى مائتا ميل وذكر مخرجه حتى ينتهى الى البحر قال وكثيراً ما يوجد في نهر النيل التماسيح واقبال النيل من أرض الحبشة ليس يختلف فيه أحد وعدة أمياله من مخرجه المعروف الى موقفه مائة ألف وتسعون ألفاً وتسعمائة وثلاثون ميلاً وماء النيل عكر مرمل

عذب وفي انتهى والتيل اذا وصل الى الجنادل كان عند انتهاء مراكب النوبة المجدارا
ومراكب الصعيد اقلاعا وهناك حجارة مضرسة لا مرور للمراكب عليها الا في ايام زيادة
التيل ثم يأخذ على الشمال فيكون على شرفه أسوان من الصعيد الاعلى ويمر بين جبلين
يكشفان أعمال مصر أحدهما شرقي والآخر غربي حتى يأتي مدينة فسطاط مصر فتكون في
بره الشرقي فاذا تجاوز فسطاط مصر بمسافة يوم صار فرقتين فرقة تمر حتى تصب في بحر
الروم عند دمياط وتسمى هذه الفرقة بحر الشرق والفرقة الاخرى هي عمود النيل ومعظمه
يقال لها بحر الغرب تمر حتى تصب في بحر الروم أيضا عند رشيد وكانت مدينة كبيرة في
قديم الزمان * ويقال ان مسافة النيل من منبعه الى أن يصب في البحر عند رشيد سبع مائة
وثمانية وأربعون فرسخا وأنه يجري في الخراب أربعة أشهر وفي بلاد السودان شهرين
وفي بلاد الاسلام مسافة شهر * وذهب بعضهم الى أن زيادة ماء النيل انما تكون بسبب
المد الذي يكون في البحر فاذا فاض ماؤه تراجع النيل وفاض على الاراضي ووضع في ذلك
كتابا حاصله ان حركة البحر التي يقال لها المد والجزر توجد في كل يوم وليلة مرتين وفي
كل شهر قمرى مرتين وفي كل سنة مرتين فالمد والجزر اليومي تابع لقرص القمر ويخرج
الشعاع عنه من جنوبي جرم الماء فاذا كان القمر وسط السماء كان البحر في غاية المد وكذا
اذا كان القمر في وتد الارض فاذا بزغ القمر طالما من الشرق أو غرب كان الجزر والمد
الشهري يكون عند استقبال القمر للشمس في نصف الشهر ويقال له الامتلاء أيضا عند
الاجتماع ويقال له السرار والجزر يكون أيضا في وقتين عند تربيع القمر للشمس في سابع
الشهر وفي ثاني عشره * والمد السنوي يكون أيضا في وقتين أحدهما عند حلول الشمس
آخر برج السنبلة والآخر عند حلول الشمس بآخر برج الحوت فان اتفق أن يكون ذلك
في وقت الامتلاء أو الاجتماع فانه حينئذ يجتمع الامتلاء الشهري والسنوي ويكون عند
ذلك البحر في غاية الفيض لا سيما ان وقع الاجتماع أو الامتلاء في وسط السماء ووقع مع
التيرين أو مع أحدهما أحد الكواكب السيارة فانه يعظم الفيض فان وقع كوكب فصاعدا
مع أحد التيرين تزايد عظم الفيض وكانت زيادة النيل تلك السنة عظيمة جدا وزاد أيضا
نهر مهران فان كان الاجتماع أو الامتلاء زائلا عن وسط السماء وليس مع احد التيرين
كوكب ون النيل ونهر مهران لا يبلغان غاية زيادتهما لعدم الانوار التي تثير المياه ويكون
بمصر في السنة الغلاء والجزر السنوي يكون عند حلول الشمس برأسي الجدى والسرطان
فأما المد اليومي الدافع من البحر المحيط فانه لا ينتهي في البحر الخارج من المحيط أكثر
من درجة واحدة فلكية ومساحتها من الارض نحو من ستين ميلا ثم ينصرف وانصرفه
هو الجزر وكذلك الاودية اذا كانت الارض وهذه والمد الشهري ينتهي الى أقاصي البحار

وهو يمكنها حتى لا تنصب في البحر المحيط وحيث ينتهي المد الشهري فهناك ينتهي ذلك البحر وطرفه وأما المد السنوي فانه يزيد في البحار الخارجة عن البحر المحيط زيادة بينة ومن هذه الزيادة تكون زيادة النيل وامتلاؤه وامتلاء نهر مهران والديتلو الذي ببلاد السند (قال) ولما جاء ارسطو الى مصر مع الاسكندر ورأى مصب النيل وعلم ان من المحال ان يكون النيل في اسوان واد من الاودية وكلما اسجل اتسع حتى ان عرضه في أسفل ديار مصر لينتهي الى مائة ميل عند غاية الفيض وله أفواه كثيرة شارعة في البحر تسع كل ما يهبط من الميزان في ذلك الصنع فرأى محالاً أن يكون الوادي بحيث يضيق أسفله عن حمل ما يأتي به أعلاه مع ضيق أعلاه وسعة أسفله فلما رأى ذلك قال ان رياحا تستقبل جرية الماء وتردعه فيفيض لذلك وقال الاسكندر ان من المحال ان يكون الريح يردع الماء السائل في الوادي حتى يفيض اكثر من مائة ميل ولو كانت الريح تفعل ذلك لكان الماء ينفلت من أسفل الوادي ويسيل الى البحر لان البحر لا يمكن الا أعلاه ولكن الرياح تقذف الرمل في أفواه تلك الشوارع التي تفضي الى البحر فيعثر بها شبه الردم فيفيض قال وأغفل ان الرمل جسم متداخل فالماء يخلله وينفذه سائلاً الى البحر مع أن الرمل لم يعتل اعتلاء يظهر للحس والماء سائل في كل حين على حلق تينس ودمايط وحلق رشيد وحلق الاسكندرية فقطنوا لاستحالة كونه سائلاً عن سيل حامل ونسبوا توقفه الى الريح والرمل وهم استقصوا الهواء واستقصوا الارض وأغفلوا الاستقصاء الثالث الذي هو الماء لانهم لم يعرفوا حركة البحر السنوية لانها لا تبلغ الغاية الا في ثلاثة أشهر فلا يظهر مقدار صعودها في كل يوم للحس ولذلك وضع أمير مصر المقياس بديار مصر * قال والمد كله واحد وهو أن القمر يقابل الماء كما تقابل الشمس لارض فنور القمر اذا قابل كرة الارض سخنها كما تسخن الشمس الهواء المحيط فيعثرى الهواء المحيط بالماء بعض تسخين يذيب الماء فيفيض وينمو بخاصته كالمرآة المحرقة الملتهبة للجو حتى تحرق القطنة الموضوعة بين المرآة والشمس فهذا مثاله في المقابلة ومثاله في المسرار كون الزجاجاة المملوءة ماء يلقي الشعاع الى حلقتها فتحترق القطنة أيضاً فالقمر جسم نوري باكتسابه ذلك من الشمس فاذا حال بين الشمس والارض خرج عن جانبي الماء شعاع نافذ يمر مع جنبى الماء فيسخن ما قابله فينمو الماء جسم شفاف عن جانبيه يخرج الشعاع كما يخرج عن جانبي الزجاجاة فيحدث لها نور يسخن الهواء الذي يحيط بالزجاجاة أو بالارض فيقترف الماء شبه تسخين ينمو به ويزيد وذلك قبالة القرص وقبالة مخرج الشعاع من قبالة وتد القمر فهذا هو المد دائماً ويستدير باستدارة الفلك وتدويره لفلك القمر وتدوير فلك القمر للقمر والمد الشهري هو أن يقابل القمر الشمس أو يستتر تحتها لانه ليس الا كون القمر قبالة الشمس لكونه في تربيع الشمس أضعف وفي

المقابلة أقوى وكذلك اذا قابلها على وسط كرة الارض بحيث تكون الحركة أشد والاكتفاف للماء والارض أعظم فذلك هو المد السنوى

فصل فى الرد على من اعتقد ان النيل من سيل يفيض

أما العامة فليس عندهم مايجب على وجه الارض انه سيل ومن تفتن الى عظمه واتساعه في أسفله وضيقه في أعلاه ولم ينظر الى ماء ولا أرض ولا هواء نسب ذلك الى الخيال المحض كما فعل صاحب كتاب المسالك والممالك الذى زعم أن الماء يسافر من كل أرض وموطن الى النيل تحت الارض فيمده لان النيل انما يفيض فى الحريف والعيون والآبار فى ذلك الوقت يقل ماؤها والنيل يكثر فراوأ كثرة وقلة فأضافوا أحدهما الى الآخر بالخيال ومما يدل على أنه ليس عن سيل يفيض أن السيل يكون فى غير وقت فيض البحر ولا يفيض النيل لسكون البحر فى الجزر فيصل السيل ويمر نحو البحر فلا يردعه رادع (ومنها) أن فيض النيل على تدرج مدة ثلاثة اشهر من حلول الشمس رأس السرطان الى حلولها بآخر برج السنبله والناس يحسبون به قبل فيضه بمدة شهرين ولعامل مصر فى وسط النيل مقياس موضوع وهو سارية فيها خطوط يسمونها اذرعاً يعلم بها مقدار صعوده فى كل يوم (ومنها) أن فيضه أبداً فى وقت واحد فلو كان بالسيل لاختلف بعض الاختلاف (ومنها) أنه قديم السيل فى غير هذا الوقت فلا يفيض (ومنها) أن الخدائق بمصر اذا رأوا الحر يزيد علموا أن النيل سيزيد لان شدة الحر تذيب الهواء فيذب الماء ولا يكون الا عن زيادة كوكب ودنو نور (ومنها) أن موضع مصبه من أسوان انما هو واد من الاودية وما أسجل اتسع حتى يكون عرض اتساعه نحواً من مائة ميل وأسوان هو منتهى بلوغ الردع فاظنك بسيل مسيره نصف شهر لان نسبة بين مصب أعلاه واسفله كيف كان يكون أعلاه لو كان امتلاء اسفله عن السيل (ومنها) أن أهل اسوان انما يرقبون بلوغ الردع اليهم مراقبة ويحافظون عليه بالنهار محافظة فاذا جن الليل أخذوا حقة خزف فوضعوا فيها مصباحاً ثم يضعونه على حجر معد عندهم لذلك وجعلوا يرقبونه فاذا اطفئ المصباح يطفئوا الماء عليه علموا أن الردع قد وصل غايته المعهودة عندهم بأخذه فى الجزر فيكتبوا بذلك الى أمير مصر يعلموه أن الردع قد وصل غايته المعهودة عندهم وأنهم قد أخذوا بقسطهم من الشرب فيخينئذ يأمر بكسر الاسداد التى على أفواه قرص المشارب فيفيض الماء على أرض مصر دفعة واحدة (ومنها) أن جميع تلك المشارب تسد عند ابتداء النيل بالخشب والتراب ليجتمع ما يسيل من الماء العذب فى النيل ويكثر ويم جميع أرضهم وينع بمجملته دخول الماء المالح عليه فلو كان سيلا ما احتاج الى ذلك ولفتمحت له أفواه قرص المشارب عند ابتداء ظهوره (ومنها) أن الخلدجان اذا سدت ولم يكن لها رادع من البحر كان السيل من جنبه الى البحر اذ أسفل النيل اوسع

وأخفض من أعلاه (ومنها) أن ماء البحر يصعد أكثر من عشرين ميلا في حلق رشيد وتيس ودهياط كما يفعل في سائر الاودية التي تدخل المد والجزر فلو كان النيل خاليا من الماء العذب وصل البحر من أسوان الى منتهى بلوغ الردع لان الماء يطلب بطبعه ما انخفض من الارض وأن يكون في صفحة كرة مستوية الخطوط الخارجة من النقطة الى المحيط متساوية (ومنها) انها اذا فتحت تلك الاسداد وكسرت الخليج وقاض النيل على بطائع أرض مصر شعر بذلك أهل اسوان لالحين وقالوا في هذه الساعة كسرت الخليج وقاض ماء النيل على أرض مصر لان ذلك يتبين لهم بتحول الماء دفعة فلو كان سيلا وهم على أعلى المصب لقالوا قد ارتفع المطر عن الارض التي يسيل منها السيل (ومنها) أن قسيمة الذي يمر ببلاد الحبشة المنبعث وياه من جبل القمر لا يفيض كمدة فيض النيل ثلاثة أشهر ولا يقيم على وجه الارض مدة مقامه لكنه اذا كثر فيه السيل غمر جوانبه على قدر انبساطها واذا نصبت مادته أردع عليه فلو كان فيض النيل عن السيل وهما من شعب واحد لكان شأنهما واحدا ولا نقول ان فيض النيل بسبب فيض البحر فقط اذ لولا كونه سيل ماء لما دخل ردع البحر اليه ولكان شاطئ ديار مصر كسائر السواحل المجاورة له ولولا السيل السائل فيه لرده البحر اذ عادة البحر ردم السواحل وانما دخل الشك على أهل مصر في أيام النيل لانهم لم يشاهدوا منشاؤه ولا عاينوا مبداءه من جبل القمر لانه في موضع لا ساكن عليه ولا يحققوا المد السنوي الرادع له فلم يتحققوا شيئا من أمره لانه بعيد من أذهان العامة أن يعلموا أن ماء البحر يعظم في أيام الصيف لان المعهود عندهم في البحر أن يعظم في أيام الشتاء وطمو البحر في الشتاء انما يكون عن الرياح الهابة عليه من أحد جانبيه فيفيض ويخرج الى الجانب الآخر الا ما كان من البحر المحيط فانه يتحرك أبدا من داخل البحر الى البر وهو أن المحيط يطلب بطبعه أن يكون على وجه الارض والارض ليست بسيطة فهي تمانعه بما فيها من التركيب فهو يطلب أبدا أن يعملوها ويركبها بيردها قال والسبب في عظم المد والجزر كثرة الاشعة فاذا زاحمت الشمس والقمر الكواكب السيارة عظم فيض البحر واذا عظم فيض البحر فاضت الانهار وكذلك اذا نهض القمر لمقابلة أحد السيارة ارتفع البخار وصعد الى كورة الزمهرير ونزل المطر فاذا فارق القمر الكواكب ارتفع المطر لكثرة التحليل كما يكون في نصف النهار عند توسط الشمس لرؤس الخلق وكما يكون عند حلول الكواكب الكبيرة على وسط خط أرين والله تعالى أعلم بالصواب (قال) مؤلفه رحمه الله تعالى الذي تحصل من هذا القول أن النيل يخرج من جبل القمر وان زيادته انما هي من فيض البحر عند المد فاما كون مخرجها من جبل القمر فسلم اذ لا نزاع في ذلك وأما كون زيادته لا تكون الا من ردع البحر له بما حصل فيه من المد فليس كذلك نعم توالي هبوب الرياح الشمالية على وفور الزيادة وردع

(م - ١٢ خطط)

البحر له اعانة على الزيادة ومن تأمل النيل علم أن سيلا سال فيه ولا بد فانه لا يزال أيام الشتاء وأوائل فصل الربيع ماؤه صافيا من السكرة فاذا فرغت أيام زيادته وكان في غاية نقصه تغير طعمه ومال لونه الى الخضرة وصار بحيث اذا وضع في اناء يرسب منه شبه أجزاء صغيرة من طحلب وسبب ذلك أن البطيخة التي في أعالي الجنوب تردها القيلة ونحوها من الوحوش حتى يتغير ماؤها فاذا كثرت أمطار الجنوب في فصل الصيف وعظمت السيول الهابطة في هذه البطيخة فاض منها ما تغير من الماء وجرى الى أرض مضر فيقال عند ذلك توحم النيل ولا يزال الماء كذلك حتى يعقبه ماء متغير ويزاد عكره بزيادة الماء فاذا وضع منه أيام الزيادة شي في اناء رسب بأسفله طين لم يهد فيه قبل أيام الزيادة وهذا الطين هو الذي تحمله السيول التي تنصب في النيل حتى تكون زيادته منها وفيه يكون الزرع بعد هبوط النيل والافاض مصر سبخة لا تنبت ولا ينبت منها الا ما مر عليه ماء النيل وركد منه هذا الطين وقوله ان السيل يكون في غير وقت فيض البحر ولا يفيض النيل لسكون البحر في الجزر فيصل السيل ويمر نحو البحر فلا يردعه رادع غير مسلم وأن العادة أن السيول التي عليها زيادة ماء النيل لا تكون الا عن غزارة الامطار ببلاد الجنوب وأمطار الجنوب لا تكون الا في أيام الصيف ولم يهد قط زيادة النيل في الشتاء وأول دليل على أن كون زيادته عن سيل يسيل فيه انما يزيد بتدرج على قدر ما يهبط فيه من السيول وانما استدلاله بصب النيل في أسوان واتساعه أسفل الأرض فانما ذلك لانه يصب من علو في منخرق بين جبلين يقال لهما الجنادل وينبطح في الأرض حتى يصب في البحر فاتساعه حيث لا يجد حاجزا يحجزه عن الانبساط وأما قوله ان الاسداد اذا كثرت فاض الماء على الأرض دفعة فليس كذلك بل يصير الماء عند كسر كل سد من الاسداد في خليج ثم يفتح ترع من الخليج الى الخليج الى بناء على جانبه من الاراضى حتى يروى من تلك الاراضى ما يروى سريعا ومنها ما يروى بعد أيام ومنها ما يروى لعلوه وأما قوله ان جميع تلك المشارب تستد عند ابتداء صعود النيل ليجتمع ما يسيل من الماء في النيل ويكثر فيعم جميع أرضهم ويمنع بجملته دخول الماء المالح عليه فقير مسلم أن تكون السداد كما ذكر بل أراضى مصر أقسام كثيرة منها عال لا يصل اليه الماء الا من زيادة كثيرة ومنها منخفض يروى من يسير الزيادة والاراضى متفاوتة في الارتفاع والانخفاض تفاوتوا كثيرا ولذلك احتيج في بلاد الصعيد الى حفر الترع وفي أسفل الأرض الى عمل الجسور حتى يجبس الماء ليروى أهل النواحي على قدر حاجتهم اليه عند الاحتياج والا فهو يزيد أولا في غير سقى الاراضى حتى اذا اجتمع من زيادته المقدار الذى هو كفاية الاراضى في وقت خلو الاراضى من الغلال وذلك غالبا في أثناء شهر مسرى فتح سد الخليج حتى يجري فيه الماء الى حدم معلوم ووقف حتى يروى ماتحت ذلك الحد الذى وقف عنده الماء من الأرض

ثم فتح ذلك الحد في يوم التيروز حتي يجرى الى حد آخر ويقف عنده حتي يروى ماتحت هذا الحد الثاني من الاراضي ثم يفتح هذا الحد في يوم عيد الصليب بعد النوروز بسبعة عشر يوما حتي يجرى الماء ويقف على حد ثالث حتي يروى ماتحت هذا الحد من الاراضي ثم يفتح هذا الحد فيجرى الماء وروى ما هناك من الاراضي ويصب في البحر المالح هذا هو الحال في سدود أراضي مصر وقوله ان ماء البحر يصعد أكثر من عشرين ميلا في حلق رشيد وتينيس ودمياط فلو كان خاليا من الماء المذب لوصل البحر من اسوان الى منتهى بلوغ الردع فتقول هذا قول من لم يعرف أرض مصر فان النيل عند مصبه بأعلى اسوان يكون أعلى منه عند كونه أسفل الأرض بقامات عديدة فاذا فاض ماء البحر حبسه أن يتدافع هو وماء النيل وربما غلب ماء البحر ماء النيل في أيام نقصان النيل حتي يملح ماء النيل فيما بين دمياط وفارس كور وأما في أيام زيادة النيل فاني شاهدت مصب النيل في البحر من دمياط وكل منهما يدافع الآخر فلا يطيقه حتى صارا متمايعين عبرة لمن اعتبر وقوله ان الاسداد اذا فتحت علم اهل اسوان بذلك في الحال غير مسلم بل لم نزل نشاهد النيل في الاعوام الكثيرة اذا فتح منه خليج أو انقطع مقطع فأغرق ماؤه أراضي كثيرة لا يظهر النقص فيه الا فيما قرب من ذلك الموضع وما برح المفرد يخرج من قوص ببشارة وفاء النيل وقد أوفي عندهم ستة عشر ذراعا فلا يوفي ذلك المقياس بمصر الا بعد ثلاثة أيام ونحوها وأما قوله ان ما كان من النيل يمر ببلاد الحبشة يخالفه فليس كذلك بل الزيادة في النيل أيام زيادته تكون ببلاد النوبة وما وراءها في الجنوب كما تكون في أرض مصر ولا فرق بينهما الا في شيئين أحدهما أنه في أرض مصر يجرى في حدود وهناك يتبدد على الاراضي والثاني أن زيادته تعتبر بالقياس في أرض مصر وهناك لا يمكن قياسه لتبدده ومن عرف أخبار مصر علم أن زيادة ماء النيل تكون عن أمطار الجنوب * ويقال ان النيل ينصب من عشرة أنهار من جبل القمر المتقدم ذكره كل خمسة أنهار من شعبة ثم تتبخر تلك الانهار العشرة في بحرين كل خمسة أنهار تتبخر بحيرة بذاتها ثم يخرج من البحيرة الشرقية بحر لطيف يأخذ شرقا على جبل قافولي ويمتد الى مدن هناك ثم يصب في البحر الهندي ويخرج من البحيرتين ستة انهار من كل بحيرة ثلاثة أنهار وتجتمع الانهار الستة في بحيرة متسعة تسمى البطيحة وفيها جبل يفرق الماء نصفين يخرج أحدهما من غرب البطيحة وهو نيل السودان ويصير نهرا يسمى بحر الدمام ويأخذ مغربا ما بين سمغرة وغانة على جنوبي سمغرة وشمالى غانة ثم ينطلق هناك منه فرقة ترجع جنوبا الى غانة ثم تمر على مدينة برنسه وتأخذ تحت جبل في جنوبها خارج خط الاستواء الى زفيلة ثم تتبخر في بحيرة هناك وتستمر الفرقة الثانية مغربة الى بلاد مالى والتكرور حتى تنصب في البحر اعيط شمالى مدينة قلمبو ويخرج النصف

الآخر متشاملا آخذا على الشمال الى شرقي مدينة حيا ثم يتشعب منه هناك شعبة تأخذ شرقا الى مدينة سحرت ثم ترجع جنوبا ثم تعطف شرقا بجنوب الى مدينة سحرتة ثم الى مدينة مرکه وينتهي الى خط الاستواء حيث الطول خمس وستون درجة ويتبحر هناك بحيرة ويسمي عمود النيل من قبالة تلك الشعبة شرقي مدينة شيمي متشاملا آخذا على أطراف بلاد الحبشة ثم يتشامل على بلاد السودان الى مدينة دقلة حتي يرمي على الجنادل الى اسوان وينحدر وهو يشق بلاد الصعيد الى مدينة فسطاط ومصر ويمر حتي يصب في البحر الشامي وقد استفيض ببلاد السودان أن النيل ينحدر من جبال سود بين على بعد كان عليها الغمام ثم يتفرق نهرين يصب أحدهما في البحر المحيط الى جهة بحر الظلمة الجنوبي والآخري متصل الى مصر حتي يصب في البحر الشامي ويقال انه في الجنوب يتفرق سبعة أنهار تدخل في صحراء منقطعة ثم تجتمع الانهار السبعة وتخرج من تلك الصحراء نهرا واحدا في بلاد السودان

ذكر مقياس النيل وزيادته

قال ابن عبد الحكم أول من قاس النيل بمصر يوسف عليه السلام وضع مقياسا بمنف ثم وضعت المعجوز دلوكة ابنة زبا وهي صاحبة حائط المعجوز مقياسا بانصنا وهو صغير الذرع ومقياسا باخيم ووضع عبد العزيز بن مروان مقياسا بمحلوان وهو صغير ووضع أسامة بن زيد التنوخي في خلافة الوليد مقياسا بالجزيرة وهو أكبرها قال يحيى بن بكير أدركت القياس يقيس في مقياس منف ويدخل بزيادته الى الفسطاط * وقال القاضي كان أول من قاس النيل بمصر يوسف عليه السلام وبني مقياسا بمنف وهو أول مقياس وضعه عليه السلام وقيل ان النيل كان يقاس بمصر بأرض علوة الى أن بني مقياس منف وان القبط كانت تقيس عايه الى أن بطل ومن بعده دلوكة المعجوز بنت مقياسا بانصنا وهو صغير الذرع وآخر باخيم وهي التي بنت الحائط المحيط بمصر وقيل انهم كانوا يقيسون الماء قبل أن يوضع المقياس بالرصاصة فلم يزل المقياس فيما مضى قبل الفتح بقيسارية الا كسبة ومعاله هناك الى أن ابني المسلمون بين الحصن والبحر أبينتهم الباقية الآن وكان للروم أيضا مقياس بالقصر خلف الباب مئة من دخل منه في داخل الزقاق أثره قائم الى اليوم وقد بنى عليه وحواليه * ثم بني عمرو بن العاص عند فتحه مصر مقياسا باسوان ثم بني بموضع يقال له دندرة ثم بني في أيام معاوية مقياسا بانصنا فلم يزل يقاس عليه الى أن بني عبد العزيز بن مروان مقياسا بمحلوان وكانت منزلته وكان هذا المقياس صغير الذرع فاما المقياس القديم الذي بني في الجزيرة فالذي وضعه أسامة بن زيد وقيل انه كسر فيه ألقي أوفية وهو الذي بني بيت المال بمصر ثم كتب أسامة بن زيد التنوخي عامل خراج مصر لسليمان بن عبد الملك ببطالانه فككتب اليه سليمان بأن يبني مقياسا في الجزيرة فبناه في سنة سبع وتسعين ثم بني المتوكل فيها مقياسا

في أول سنة سبع وأربعين ومائتين في ولاية يزيد بن عبد الله التركي على مصر وهو المقياس الكبير المعروف بالجديد وأمر بأن يعزل النصارى عن قياسه فجعل يزيد بن عبد الله التركي على المقياس أبا الرداد المعلم واسمه عبد الله بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي الرداد المؤذن كان يقول القمى أصله بالبصرة قدم مصر وحدث بها وجعل على قياس النيل وأجرى عليه سليمان بن وهب صاحب خراج مصر يومئذ سبعة دنائير في كل شهر فلم يزل المقياس من ذلك الوقت في يد أبي الرداد وولده الى اليوم وتوفي أبو الرداد سنة ست وستين ومائتين * ثم ركب احمد بن طولون سنة تسع وخمسين ومائتين ومعه أبو أيوب صاحب خراجه وبكار بن قتيبة القاضي فنظر الى المقياس وأمر بإصلاحه وقدر له ألف دينار فعمر وبني الحارث في الصناعة مقياسا واثره باق لا يعتمد عليه * وقال ابن عبد الحكم ولما فتح عمرو ابن العاص مصر أتى أهلها الى عمرو حين دخل بؤنة من أشهر العجم فقالوا له أيها الأمير ان لنيلنا هذا سنة لا يجرى الا بها فقال لهم وما ذاك قالوا انه اذا كان لثنتى عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر عمدنا الى جارية بكر من أبويها فارضينا أبويها وجعلنا عليها من الحلبي والنياب أفضل ما يكون ثم ألقيناها في النيل فقال لهم عمرو ان هذا لا يكون في الاسلام وان الاسلام يهدم ما كان قبله فأقاموا بؤنة وأيب ومسرى وهو لا يجرى قليلا ولا كثيرا حتي هوما بالجللاء فلما رأى عمرو ذلك كتب الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بذلك فكتب اليه عمر أن قد أصبت ان الاسلام يهدم ما كان قبله وقد بعثت اليك ببطاقة فألقها في داخل النيل اذا أتاك كتابي فلما قدم الكتاب الى عمرو فتح البطاقة فاذا فيها من عبد الله أمير المؤمنين الى نيل مصر أما بعد فان كنت تجرى من قبلك فلا تجر وان كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك فتسأل الله الواحد القهار أن يجريك فألقى عمرو البطاقة في النيل قبل يوم الصليب بيوم وقد تمأ أهل مصر للجللاء والخروج منها لانه لا يقوم بمصلحتهم فيها الا النيل وأصبحوا يوم الصليب وقد أجراه الله تعالى ستة عشر ذراعا في ليلة وقطع تلك السنة السوء عن أهل مصر * وذكر بعضهم أن جاحلا الصدفى هو الذى جاء ببطاقة عمر رضى الله عنه الى النيل حين توقف فجرى باذن الله تعالى وقال يزيد بن أبي حبيب ان موسى عليه السلام دعا على آل فرعون فحبس الله عنهم النيل حتى أرادوا الجللاء فطلبوا الى موسى أن يدعو الله فدعا الله رجاء أن يؤمنوا وذلك ليلة الصليب فأصبحوا وقد أجراه الله في تلك الساعة ستة عشر ذراعا فاستجاب الله بطوله لعمر بن الخطاب كما استجاب لبيده موسى عليه السلام قال القضاى ووجدت في رسالة منسوبة الى الحسن بن محمد بن عبد المنعم قال لما فتحت العرب مصر عرف عمر بن الخطاب رضى الله عنه ما يلقى أهلها من الغلاء عند وقوف النيل عن حده في مقياس لهم فضلا عن تقاصره وان فرط الاستشعار يدعوهم الى الاجتنكار وأن الاحتكار

يدعو الى تصاعد الاسعار بغير فحط فكتب عمر الى عمرو يسأله عن شرح الحال فاجابه
اني وجدت ما تروى به مصر حتي لا يتحط أهلها أربعة عشر ذراعا والحد الذي يروى منه
سائرهما حتي يفضل عن حاجتهم ويبقى عندهم قوت سنة أخرى ستة عشر ذراعا والنهاتين
الخوفتان في الزيادة والنقصان وهما الظما والاستبحار اثنا عشر ذراعا في النقصان وثمانية عشر
ذراعا في الزيادة هذا والبلد في ذلك الوقت محفور الانهار معقود الجسور عند ما تسلموه من
القبض وخيرة العمارة فيه فاستشار أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه عليا رضي الله عنه في
ذلك فأمره أن يكتب اليه أن يبنى مقياسا وأن ينقص ذراعين من اثني عشر ذراعا وأن يقر
ما بعدها على الاصل وأن ينقص من كل ذراع بعد الستة عشر ذراعا أصبعين ففعل ذلك وبناه
بحلولان فاجتمع له بذلك كل ما أراد من حل الارجاف وزوال مامنه كان يخاف بأن جعل
الاثني عشر ذراعا اربع عشرة لان كل ذراع أربع وعشرون أصبعا فجعلها ثمانيا وعشرين
من أولها الى الاثني عشر ذراعا يكون مبلغ الزيادة على الاثني عشر ثمانيا واربعين أصبعا وهي
الذراعان وجعل الاربع عشرة ست عشرة والست عشرة ثمان عشرة والثمان عشرة عشرة وعشرين*
(قال) القضاء وفي هذا الحساب نظر في وقتنا لزيادة فساد الانهار وانقراض الاحوال وشاهد
ذلك أن المقياس القديمة الصعيدية من أولها الى آخرها أربع وعشرون أصبعا كل ذراع
والمقياس الاسلامي على ما ذكر منها المقياس الذي بناه أسامة بن زيد التوخي بالجزيرة وهو
الذي هدمه الماء وبنى المأمون آخره بأسفل الارض بالبروذات وبنى المتوكل آخر بالجزيرة
وهو الذي يقاس عليه الماء الآن وقد تقدم ذكره* (قال) ابن عفير عن القبط المتقدمين اذا كان
الماء في اثني عشر يوما من مسرى اثني عشرة ذراعا فهي سنة ماء والا فلما ناقص واذا تم
ست عشرة ذراعا قبل النوروز فلما يتم فاعلم ذلك وقال أبو الصلت وأما النيل وينبوعه فهو
من وراء خط الاستواء من جبل هناك يعرف بجبل القمر فانه يبتدي في التزايد في شهر أبيب
والمصريون يقولون اذا دخل أبيب كان للماء ديب وعند ابتداءه في التزايد يتغير جميع
كيفيةاته ويفسد والسبب في ذلك مروره بنقائص مياه آجنة يخالطها فيجتلبها معه الى غير ذلك
مما يحتمله فاذا بلغ الماء خمسة عشر ذراعا وزاد من السادس عشر أصبعا واحدا كسر الخايخ
ولكسره يوم معدود ومقام مشهود ومجتمع خاص يحضره العام والخاص فاذا كسر فتحت الترع
وهي فوهات الخلدجان ففاض الماء وساح وغمر القيعان والبطاح وانضم الناس الى أعالي مساكنهم
من الضياع والمنازل وهي على آكام وربما لا ينتهي الماء اليها ولا يتسلط السيل عليها فتعود ارض مصر
بأسرها عند ذلك بحر اغمر لما بين جبلها ريثما يبلغ الحد المحدود في مشيئة الله عز وجل له
وأكثر ذلك بحوم حول ثمان عشرة ذراعا ثم يأخذ عائد في صبه الى مجرى النيل ومسره فينضب أولا
عما كان من الارض عاليا ويصير فيما كان منها متطامنا فيترك كل قرارة كالدرهم ويقادر كل

ملقة كالبرد المسهم وقال القاضي أبو الحسن علي بن محمد الماوردي في كتاب الاحكام السلطانية
وأما الذراع السوداء فهي أطول من ذراع الدور بأصبع وثاني اصبع وأول من وضعها أمير
المؤمنين هارون الرشيد قدرها بذراع خادم اسود كان على رأسه قائما وهي التي تتعامل الناس
بها في ذرع البز والتجارة والابنية وقياس نيل مصر * وأكثر ما وجد في القياس من النقصان
سنة سبع وتسعين ومائة وجد في القياس تسعة أذرع وأحد وعشرون أصبعا وأقل ما وجد
منه ستة خمس وستين ومائة فانه وجد فيه ذراع واحد وعشر أصابع وأكثر ما بلغ في الزيادة
سنة تسع وتسعين ومائة فانه بلغ ثمانية عشر ذراعا وتسعة عشر أصبعا وأقل ما كان في سنة
ست وخمسين وثمانمائة الهلالية فانه بلغ اثني عشر ذراعا وتسيع عشرة أصبعا وهي أيام كافور
الاخشيدي * والمقياس عمود رخام أبيض مشتم في موضع يحصر فيه الماء عند انسيابه اليه
وهذا العمود مفصل على اثنين وعشرين ذراعا كل ذراع مفصل على أربعة وعشرين قسما
متساوية تعرف بالأصابع ماعدا الاثني عشر ذراعا الاولى فانها مفصلة على ثمان وعشرين أصبعا
كل ذراع * وقال المسعودي قالت الهند زيادة النيل ونقصانه بالسيول ونحن نعرف ذلك
بتوالي الانواء وكثرة الامطار * وقالت الروم لم يزد قط ولم ينقص وانما زيادته ونقصانه من
عيون كثرت واتصلت * وقالت القبط زيادته ونقصانه من عيون في شاطئه يراها من سافر
ولحق بأعاليه وقيل لم يزد قط وانما زيادته بريح الشمال اذا كثرت واتصلت تحبس فيفيض على
وجه الارض وقال قوم سبب زيادته هبوب ريح تسمى ريح الملتن وذلك انها تحمل السحاب
الماطر من خلف خط الاستواء فيمطر ببلاد السودان والحبشة والثوبة فيأتي مدده الى
أرض مصر بزيادة النيل ومع ذلك فان البحر الملح يقف مأوفا على وجه النيل فيتوقف حتى
يروى البلاد وفي ذلك يقول

فاسمع فاسمع أعلى يدا * عندى وأسمى من يد المحسن

قالتين ذو فضل ولكنه * الشكر في ذلك للملتن

ويبتدى النيل بالنفس والزيادة بقية بؤنة وهو حزير ان وأيب وهو تموز ومسرى
وهو آب فاذا كان الماء زائدا زاد شهر توت كله وهو أيلول الى انقصائه فاذا انتهت الزيادة
الى الذراع الثامن عشر ففيه تمام الخراج وخصب الارض وهو ضار بالبهائم لعدم الرعي
والسكلا * وأتم الزيادات كلها العمامة النفع للبلد كله سبعة عشر ذراعا وفي ذلك كفايتها
وري جميع أرضها واذا زاد على ذلك وبلغ ثمانية عشر ذراعا وغلقها استبحر من أرض
مصر الربع وفي ذلك ضرر لبعض الضياع لما ذكرنا من الاستبحار واذا كانت الزيادة
على ثمانية عشر ذراعا كانت العاقبة في انصرافه حدوث وباء وأكثر الزيادات ثمان عشرة
ذراعا * وقد بلغ في خلافة عمر بن عبد العزيز اثني عشر ذراعا ومساحة الذراع الى أن يبلغ

اثنى عشرة ذراعا ثمان وعشرون أصبعا ومن اثنى عشرة ذراعا الى ما فوق ذلك يكون
الذراع أربعا وعشرين أصبعا وأقل ما يبقى في قاع المقياس من الماء ثلاثة أذرع وفي تلك
السنة يكون الماء قليلا والا ذرع التي يستقى عليها بمصر هي ذراعا تسميان منكرا ونكيرا
وهي الذراع الثالث عشر والذراع الرابع عشر فإذا انصرف الماء عن هذين الذراعين وزيادة
نصف ذراع من الخمس عشرة استسقى الناس بمصر فكان الضرر الشامل لكل البلدان وإذا
تم خمس عشرة ودخل في ست عشرة ذراعا كان فيه صلاح لبعض الناس ولا يستسقى فيه وكان
ذلك نقصا من خراج السلطان والنبيل يتخذ بمصر من ماء طوبة وهو كانون الثاني بعد
الغطاس وهو لعشرة تمضي من طوبة وأصفي ما يكون ماء النيل في ذلك الوقت وأهل مصر
يفتخرون بصفاء ماء النيل في هذا الوقت وفيه يخزن الماء أهل تنيس ودمياط وتونة وسائر
قرى البحيرة * وقد كانت مصر كلها تروي من ست عشرة ذراعا غامرها وعامرها لما
أحكموا من جسورها وبناء قناطرها وتنقية خلجانها وكان الماء إذا بلغ في زيادته تسع أذرع
دخل خليج المنهي وخليج الفيوم وخليج سردوس وخليج سخا * قال والمعمول عليه في
وقتنا هذا وهو سنة خمس وأربعين وثمناثة انه ان زاد على الستة عشرة ذراعا أو نقص عنها
نقص من خراج السلطان وقد تغير في زماننا هذا عامة ما تقدم ذكره لفساد حال الجسور
والترع والخلجان وقانونه اليوم انه يزيد في القبط اذا حلت الشمس برج السرطان والاسد
والسنبله حين تنقص عامة الانهار التي في المعمور ولذلك قيل ان الانهار تمدد بمائها عند
غيضها فتكون زيادته وتبتدى الزيادة من خامس بؤنة وتظهر في ثاني عشره وأول دفعه في
الثاني من أيب وتنتهى زيادته في ثامن بابه يأخذ في النقصان من العشرين منه فتكون مدة
زيادته من ابتدائها الى أن ينقص ثلاثة أشهر وخمسة وعشرين يوما وهي أيب ومسرى
وتوت وعشرون يوما من بابه ومدة مكثه بعد انتهاء زيادته اثنا عشر يوما ثم يأخذ في النقصان *
ومن العادة أن ينادي عليه دائما في اليوم السابع والعشرين من بؤنة بعد ما يؤخذ قاعه وهو
ما بقى من الماء القديم في ثالث عشر بؤنة ويفتح الخليج الكبير اذا أكمل الماء ستة عشر
ذراعا وأدركت الناس يقولون نعوذ بالله من أصبع من عشرين وكنا نعهد الماء اذا بلغ أصابع
من عشرين ذراعا فاض ماء النيل وغرق الضياع والبساتين وفارت البلايع وهانحن في زمن
متذ كانت الحوادث بعد سنة ست وثمانائة اذا بلغ الماء في سنة أصبعا من عشرين لا يعم الارض
كلها لما وقع فسد من الجسور وكان الى ما بعد الخمسمائة من الهجرة قانون النيل ستة عشر
ذراعا في مقياس الجزيرة وهي في الحقيقة ثمانية عشر ذراعا وكانوا يقولون اذا زاد على ذلك
ذراعا واحدة زاد خراج مصر مائة ألف دينار لما يروى من الاراضي المالية فان بلغ ثمانية عشر
ذراعا كانت الغاية القصوى فان الثمانية عشر ذراعا في مقياس الجزيرة اثنان وعشرون ذراعا

في الصعيد الاعلى فان زاد على الثمانية عشر ذراعا واحدا نقص من الخراج مائة ألف دينار لما يستبحر من الارض المنخفضة * قال ابن ميسر في حوادث سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة وفيها بلغت زيادة ماء النيل تسعة عشر ذراعا وأربعة أصابع وبلغ الماء الباب الجديد أول الشارع خارج القاهرة وكان الناس يتوجهون الى القاهرة من مصر من ناحية المقابر فلما بلغ الخليفة الحافظ لدين الله أبا الميمون عبد المجيد بن محمد أن الماء وصل الى الباب الجديد أظهر الحزن والانقطاع فدخل اليه بعض خواصه وسأله عن السبب فاخرج له كتابا فاذا فيه اذا وصل الماء الباب الجديد انتقل الامام عبد المجيد ثم قال هذا الكتاب الذي تعلم منه أحوالنا وأحوال دولتنا وما يأتي بعدها فرض الحافظ في آخر هذه السنة ومات في أول سنة أربع وأربعين وخمسمائة * وقال القاضي الفاضل في متجددات سنة ست وسبعين وخمسمائة وفي يوم الاثنين السادس والعشرين من شهر ربيع الاول وهو السادس عشر من مسرى وفي النيل على ستة عشر ذراعا وهو الوفاء ولا يعرف وفاؤه بهذا التاريخ في زمن متقدم وهذا أيضا مما تغير فيه قانون النيل في زماننا فانه صار يوفي في أوائل مسرى ولقد كان الوفاء في سنة اثنتي عشرة وثمانمائة في اليوم التاسع والعشرين من أيب قبل مسرى بيوم وهذا من أعجب ما يؤرخ في زيادات النيل واتفق أن في الحادي عشر من جمادى الاولى سنة تسع وسبعمائة وفي النيل وكان ذلك اليوم التاسع عشر من بابه بعد النوروز بتسعة وأربعين يوما قال وفي تاسع عشره يعني شوال سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة كسر بحراي المنجي وبأمر الملك العزيز عثمان كسره وزاد النيل فيه أصبعا وهي الاصبع الثامنة عشرة من ثمان عشرة ذراعا وهذا الحد يسمى عند أهل مصر اللجة الكبرى فالنظر كيف يسمى القاضي الفاضل هذا القدر اللجة الكبرى وانه والعياذ بالله لو بلغ ماء النيل في سنة هذا القدر فقط لحل بالبلاد غلاء يخاف منه أن يهلك فيه الناس وما ذاك الا لما أهمل من عمل الجسور ويحصل لاهل مصر بوفاء النيل ست عشرة ذراعا فرح عظيم فان ذلك كان قانون الري في القديم واستمر ذلك الى يومنا هذا ويتخذ ذلك اليوم عبداً يركب فيه السلطان بعساكره وينزل في المراكب لتخليق المقياس * وقد ذكرنا ما كان في الدولة الفاطمية من الاهتمام بفتح الخليج عند ذكر مناظر اللؤلؤة وقال بعض المفسرين رحمهم الله تعالى ان يوم الوفا هو اليوم الذي وعد فرعون موسى عليه السلام بالاجتماع في قوله تعالى (قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشركم الناس ضجى) وقد جرت العادة أن اجتمع الناس لتخليق يكون في هذا الوقت * ومن أحسن السياسات في أمر التداء على النيل ما حكاه الفقيه ابن زولاقي في سيرة العزيز لدين الله قال وفي هذا الشهر يعني شوال سنة اثنتين وستين وثلثمائة منع المعز لدين الله من التداء بزيادة النيل وأن لا يكتب بذلك الا اليه والى القائد جوهر فلما تم أباح التداء يعني لما تم ست عشرة ذراعا

وكسر الخليج فتأمل ما أبدع هذه السياسة فان الناس دائماً اذا توقف النيل في أيام زيادته أو زاد قليلاً يقلقون ويحدثون أنفسهم بعدم طلوع النيل فيقبضون أيديهم على الغلال ويمتنعون من بيعها ورجاء ارتفاع السعر ويجتهد من عنده مال في خزن الغلة اما لطلب السعر أو لطلب ادخار قوت عياله فيحدث بهذا الغلاء فان زاد الماء انحل السعر والا كان الجذب والتمحط ففي كتمان الزيادة عن العامة أعظم فائدة وأجل عائدة وقال المسيحي في تاريخ مصر وخرج أمر صاحب القصر الى ابن حيران بتحرير ما يستفتح به القياسون كلامهم اذا نادوا على النيل فقال نعم لا تمحى من خزائن الله لا تقنى زاد الله في النيل المبارك كذا ومن عادة نيل مصر اذا كان عند ابتداء زيادته اخضر مأوه فتقول عامة أهل مصر قد توحم النيل ويرون أن الشرب منه حينئذ مضر ويقال في سبب اخضراره أن الوحوش سيما الفيلة ترد البطيحات التي في أعالي النيل وتستمتع فيها مع كثرة عددها لشدة الحر هناك فيتغير ماء تلك البطيحات فاذا وقع المطر في الجهة الجنوبية في أوقاته عندهم تكاثرت السيول حينئذ في البطيحات تخرج ما كان فيها من الماء الذي قد تغير ومر الى مصر وجاء عقيبه الماء الجديد وهو الزيادة بمصر وحينئذ يكون الماء محمراً لما يخالطه من الطين الذي تأتي به السيول فاذا تناهت زيادته غشى أرض مصر فتصير القرى التي في الاقاليم فوق التلال والروابي وقد أحاط بها الماء فلا يتوصل اليها الا في المراكب أو من فوق الجسور الممتدة التي يصرف عليها اذا عملت كما ينبغي ربيع الخراج ليحفظ عند ذلك ماء النيل حتي ينتهي ري كل مكان الى الحد المحتاج اليه فاذا تكامل ري ناحية من النواحي قطع أهلها الجسور المحيطة بها من أمكنة معروفة عند خولة البلاد ومشايخها في أوقات محدودة لا تتقدم ولا تتأخر عن أوقاتها المعتادة على حسب ما يشهد به قوانين كل ناحية من النواحي فتروى كل جهة مما يليها مع ما يجتمع فيها من الماء المختص ولولا اتفاق ما هنالك من الجسور وحفر الترع والخلجان لقل الانتفاع بماء النيل كما قد جرى في زماننا هذا وقد حكى أنه كان يرصد لعمارة جسور أراضي مصر في كل سنة ثلث الخراج لعنايتهم في القديم بها من أجل أنه يترتب على عملها رى البلاد الذي به مصالح العباد وستقف ان شاء الله تعالى عن قريب على ما كان من أعمال القدماء ومن بعدهم في ذلك وكان للمقياس في الدولة الفاطمية رسوم لسكنس بحارى الماء خمسون ديناراً في كل سنة تطلق لابن أبي الرداد

ذكر الجسر الذي كان يعبر عليه في النيل

اعلم أنه كان في النيل جسر من سفن فيما بين القسطاط والجزيرة يعرف اليوم بالروضة وكان فيما بين الجزيرة والجزيرة أيضاً جسر في كل جسر منها ثلاثون سفينة

ذكر ما قيل في ماء النيل من مدح وذم

قال الرئيس أبو علي بن سينا عفا الله عنه وقوم يفرطون في مدح النيل افراطا شديدا ويجمعون محامده في أربعة بعد منبعه وطيب مسلكه وغمورته وأخذته الى الشمال عن الجنوب فآخذته الى الشمال عن الجنوب ملطف لما يجري فيه من المياه وأما غمورته فيشاركه فيها غيره قال فأفضل المياه مياه العيون ولا كل العيون ولكن مياه العيون الحرة الارض التي لا يغلب على تربتها شيء من الاحوال والكيفيات الغربية أو تكون حجرية فتكون أولى بأن لا تعفن عفونة الارضية لكن التي هي من طينة حرة خير من الحجرية ولا كل عين حرة بل التي هي مع ذلك جارية ولا كل جارية بل الجارية المكشوفة للشمس والرياح وان هذا مما يكسب الجارية فضيلة وأما الراكدة فربما اكتسبت بالكشف رداءة لا تكسبها بالغور والستر* واعلم أن المياه التي تكون طيبة المسيل خير من التي تجري على الاحجار فان الطين يبقى الماء ويأخذ منه الممزوجات الغربية ويروقه والحجارة لا تفعل ذلك لكنه يجب أن يكون طين مسيله حرا لاحماة ولا سبخة ولا غير ذلك فان اتفق ان كان هذا الماء غمرا شديدا الجرية يحيل لكثرة ما يخالطه الى طيبته فان كان يأخذ الى الشمس في جريانه فيجري الى المشرق وخصوصا الى الصيف منه فهو أفضل لاسيما اذا بعد جدا من ميدانه ثم ما يتوجه الى الشمال والمتوجه الى المغرب والجنوب رديء خصوصا عند هبوب ريح الجنوب والذي يخدر من مواضع عالية مع سائر الفضل أفضل وما كان بهذه الصفة كان عذبا يخيل أنه حلو ولا يحمّل الحمر اذا مزج به منه الا قليلا وكان خفيف الوزن سريع البرد والتسخين لتحملخله باردا في الشتاء حاراً في الصيف لا يغلب عليه طعم البتة ولا رائحة ويكون سريع الانحدار من الشراسيف سريرا لهري ماهرى فيه وطبخ ما يطبخ فيه قال الرئيس علاء الدين على ابن أبي الحرم بن نفيس في شرح القانون هذه المحامد التي ذكرها ليست علامات للحمد بل هي من الاشياء الموجبة لكونه محمودا وأحد هذه الاربعة بعد منبعه وقد بينا أن ذلك يوجب لطافة الماء بسبب كثرة حركته واعلم أن منبع النيل من جبل يقال له جبل القمر وهذا الجبل وراء خط الاستواء بأحدى عشرة درجة وثلاثين دقيقة فإزاء أعظم دائرة في الارض بناتمئة درجة وستين وابتداء هذا الجبل من السادسة والاربعين درجة وثلاثين دقيقة من أول العمارة من جهة المغرب وآخره عند آخر احدى وستين درجة وخمسين دقيقة فيكون امتداد هذا الجبل مقدار خمس عشر درجة وعشرين دقيقة بما به أعظم دائرة في الارض ثلثمائة وستون درجة ويخرج من هذا الجبل عشرة انهار من أعين فيه ترمي كل خمسة منها الى بحيرة عظيمة مدورة واحدى هاتين البحيرتين مركزها حيث البعد من ابتداء العمارة بالمغرب خمسون درجة والبعد من خط الاستواء في الجنوب سبع درج واحدى وثلاثون

دقيقة ومركز الثانية حيث البعد عن أول العمارة بالمغرب سبع وخمسون درجة وحيث البعد من خط الاستواء في الجنوب سبع درج واحد وثلاثون دقيقة وهاتان البحيرتان متساويتان وقطر كل واحدة منهما مقدار خمس درج ويخرج من كل واحدة من البحيرتين أربعة أنهار ترمي الى بحيرة صغيرة مدورة في الاقليم الاول بعد مركزها عن أول العمارة بالمغرب ثلاث وخمسون درجة وثلاثون دقيقة وعن خط الاستواء من الشمال درجتان من الاقليم الاول ومقدار قطرها درجتان ويصب كل واحد من الانهار الثمانية في بحيرة وفي هذه البحيرة نهر واحد وهو نيل مصر ويمر ببلاد النوبة نهر آخر ابتداءه من غير مركزها على خط الاستواء كبيرة مستديرة مقدار قطرها ثلاث درج وبعد مركزها من أول العمارة بالمغرب ثلاث وأربعون درجة ويلقى نهر هذه العين لنهر النيل حيث البعد من أول العمارة بالمغرب ثلاث وأربعون دقيقة واذا تعدى النيل مدينة مصر الى بلد يقال له شطوف يفرق هناك الى نهرين يريان الى البحر المالح أحدهما يعرف بحر رشيد ومنه يسكن خليج الاسكندرية وثانيهما يعرف بحر دمياط وهذا البحر اذا وصل الى المنصورة يفرغ منه نهر يعرف بحر اشمون يرمي الى بحيرة هناك وباقيته يرمي الى البحر المالح عند دمياط وزيادة النيل هي من امطار كثيرة ببلاد الحبشة والله أعلم (واعلم) أن الموزون من الدستورات المنتجة من حال الماء فان الاخف في أكثر الاحوال أفضل فهذا ما ذكره الرئيس ابن سيناء من صفات المياه الفاضلة واعتبر ما قاله تجدد ذلك قد اجتمع في ماء النيل * فأوله أن ماء النيل عين تمر على أراضي حرة ولا يقلب على تربه ما يمر به شيء من الاحوال والكيفيات الردية كمدان النفط والشب والاملاح والسكرات ونحوها بل يمر على الاراضي التي تنبت الذهب بدليل ما يظهر في الشطوط من قراضات الذهب وقد عانى جماعة تصويل الذهب من الرمل المأخوذ من شطوط النيل فربحوا منه مالا وفضيلة كون الذهب في الماء لا تنكر * الثاني أن النيل في جريانه أبدا مكشوف للشمس والرياح * الثالث أن طينه من طين مسيل مياه مجتمعة من أمطار تمر على أراضي حرة ويظهر لك ذلك من عطرية روائح الطين اذا نديته بماء * الرابع غمورة ماء النيل وشدة جريته التي تكاد تقصف العمدة اذا اعترضتها وتدفع الاثقال العظيمة اذا عارضتها * الخامس بعد مبدا خروجه من مصبه في البحر المالح وقد تقدم من طول مسافته مالا نجده في نهر غيره من أنهار المعمور * السادس انحداره من علو فان الجنوب مرتفع عن الشمال لاسيما اذا صار الى الجبال انحط من أعلى جبل مرتفع الى وادي مصر * وذكر ابن قتيبة في كتاب غريب الحديث من حديث جرير بن عبد الله البجلي حين سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن منزله ببلنسة فذكره الى أن قال وماؤنا يمتنع أن يجري من علو فقال النبي صلى الله عليه وسلم خير الماء السمن أي ما كان

ظاهراً على وجه الأرض والسّم الماء على وجه الأرض وكل شيء علا شيئاً فقد تسّمه مأخوذ من سنام البعير لعلوه وقال بعض المفسرين في قوله تعالى ومزاجه من تسنيم أى يمزج بما ينزل من علو * السابع أنه يمر من الجنوب الى الشمال فتستقبله ريح الشمال الطيبة دائماً * الثامن خفته في الوزن وقد اعتبر ذلك غير مرة مع غيره من المياه تخف عنها في الوزن * التاسع عذوبة طعمه وحسن أثره في هضم الغذاء واحذاره عن المعدة بحيث أنه يحدث بعد شربه جشاء وهذه صفات ان كنت ممن مارس العلم الطبيعى وعرف الطب فانه يعظم عندك قدر ماء النيل وتبين لك غزارة نفعه وكثرة محاسنه * ويقال ان ذا القرنين كتب كتاباً فيه ماشاهده من عجائب الدنيا فضمنه كل أعجوبة ثم قال في آخره وليس ذلك بعجب بل العجب نيل مصر وقال بعض الحكماء لولا ما جعل الله في نيل مصر من حكمة الزيادة في زمن الصيف على التدريج حتى يتكامل رى البلاد وهبوط المساء عنها عند بدء الزراعة لفسد أقليم مصر وتعذر سكنه لانه ليس فيه أمطار كافية ولا عيون جارية تم أرضه الا بعض أقليم الفيوم والله در القائل

واها لهذا النيل أي عجيبة * بكر بمثل حديثها لا يسمع
يلقى الترى في العام وهو مسلم * حتى اذا ما مل عاد يودع
مستقبل مثل الهلال فدهره * أبداً يزيد كما يريد ويرجع
وقال آخر

كان النيل ذو فمهم ولب * لما يبدو لعين الناس منه
فيأتي حين حاجتهم اليه * ويمضى حين يستعنون عنه
وقال تميم بن المصنم

يوم لنا بالنيل مختصر * واسكل يوم مسرة قصر
والسفن تجري كالخيول بنا * صعدا وجيش الماء متحدر
وكأنما أمواجه عكن * وكأنما داراته سرر
وقال أيضاً أما ترى الرعد بكى واشتكى * والبرق قد أومض واستضحكا
فاشرب على غيم بصنع الدجى * يضحك وجه الأرض لما بكى
وانظر ماء النيل في مده * كأنما صندل أو مستكا

وقال آخر والله مجرى النيل منه اذا الصبا * أرينا به من برها عسكريا بحرا
بشط بنهر السمهرية ديلا * وموج بنهر البيض هندية بتر
اذا مر حاكى الورد غضا وان صفا * حكي ماءه لو نال ولو بعده مرا
وقال أبو الحسن محمد بن الوزير في تدريج زيادة النيل وعظم منفعة

أرى أبدا كثيرا من قليل * وبدر في الحقيقة من هلال
فلا تعجب فكل خليج ماء * بمصر مسيب بخليج مال
زيادة أصبغ في كل يوم * زيادة أذرع في حسن حال
وقال الشهاب أحمد بن فضل الله العمري

بمصر فضل باهر * لعيشها الرغد النضر
في سفح روض يلتقي * ماء الحياة والخضر
وقال ابن قلاؤس

انظر الى الشمس فوق النيل غاربة * وانظر لما بعدها من حمرة الشفق
غابت وألقت شعاعا منه يخلفها * كأنما احترقت بالماء في الفرق
وللهلال فيها وافي لينفدها * في أثرها زورق قد صيغ من ورق
وقال بشر الملك ابن المنجم

يارب سامية في الجوقت بها * أمد طرفي في أرض من الافق
حيث الغشيمة في التمثيل معتزل * اذا رآها حيان مات للفرق
للشمس غاربة للغرب ذاهبة * بالنيل مصفرة من هجمة الفسق
وللهلال انعطاف كالسنان بدا * من سورة الطعن لامن دمة الشفق

قال القاضي الفاضل رحمة الله تعالى عليه وأما النيل فقد ملأ البقاع وانتقل من الاصبع الى
الذراع فكأنما غار على الارض فغطاها وأغار عليها فاستقمدها وما تخطاها فما يوجد بمصر
قاطع طريق سواد ولا مرغوب مرهوب الا اياه * ونيل مصر مخالف في جريه لغالب
الانهار فانه يجري من الجنوب الى الشمال وغيره ليس كذلك الانهران فانهما يجريان كما
يجري النيل وهما نهر مكران بالسند ونهر الاربط وهو الذي يعرف اليوم بنهر العاصي في
حماء أحد مدائن الشام * وقد غاب ماء النيل قوم قال ابو بكر بن وحشية في كتاب الفلاحة
النبطية وأما ماء النيل فمخرجه من جبال وراء بلاد السودان يقال لها جبال القمر
وحلاوته وزيدته يدلان على موقعه من الشمس أنها أحرقته لا كل الاحراق بل أسخنه
استخانا طويلا لنا لاتعجبه الحرارة ولا تقوى عليه بحيث تبدد أجزاءه الرطبة وتبقى أجزاءه
الراسخة بل يعتدل عليه فصار ماءه لذلك حلوا جدا وصار كثرة شربه يعفن البدن ويحدث
البثور والدمامل والقروح وصار أهل مصر الشاربون منه دمويين محتاجين الى استفراغ
الدم عن أبدانهم في كل مدة قصيرة فمن كان عالما منهم بالطبيعة فهو يحسن مداراة نفسه حتى
يدفع عن جسمه ضرر ماء النيل والا فهو يقع فيما ذكرنا من العفونات وانتشار البثر والدمامل
وذلك أن هذا الماء ناقص البرد عن سائر المياه قد صير له الطبخ قواما هو أنخن من قوام

الماء فصار اذا خالط الطعام في الابدان كثر فيها الفضول الردية العفنة فيحدث من ذلك ما ذكرناه ودواء أهل مصر الذي يدفع عنهم ضرر ماء النيل ادمان شرب ربوب الفسامة الحامضة القابضة وأخذ الادوية المستفرغة للفضول ولو زادت حرارة الشمس على ماء النيل وطال طبخها له لصار مالحا بمنزلة ماء البحار الراكدة التي لا حركة لها الا وقت جزر البحر وهبوب الرياح وهو أوفق للزروع والنبات من الحيوان وقال ابن رضوان والنيل يمر بأهم كثيرة من السودان ثم يصير الى ارض مصر وقد غسل ما في بلاد السودان من العفونات والاسواخ ويشق مارا بوسط أرض مصر من الجنوب الى الشمال الى أن يصب في بحر الروم ومبدأ زيادته في فصل الصيف وتنتهي زيادته في فصل الخريف ويرتق في الجو منه في أوقات مده رطوبات كثيرة بالتدخل الحفي فيرتب ذلك يمس الصيف والخريف واذا مد النهر قاض على أرض مصر فغسل ما فيها من الاسواخ نحو جيف الحيوانات وأزبالها وفضول الآجام والنبات ومياه النقاغ وأحدر جميع ذلك معه وخالطه من تراب هذه الارض وطينها مقدار كثير من أجل سخاقتها وباض فيه من السمك الذي تربى فيه وفي مياه النقاغ ومن قبل ذلك تراه في أول مدة يخضر لونه بكثرة ما يخالطه من مياه النقاغ العفنة التي قد اجتمع فيها العرمض والطلحوب واخضر لونها من عفنها ثم يتمكر حتى يصير آخر أمره مثل الحمأة واذا صفا اجتمع منه في الاناء طين كثير ورطوبة لزجة لها سهوكة ورائحة منكرة وهذا من أوكد الاشياء في ظهور رداء هذا الماء وعفنه وقد بين بقراط وجالينوس أن أسرع المياه الى العفن ما لطفته الشمس بمياه الامطار ومن شأن هذا الماء أن يصل الى أرض مصر وهو في الغاية من اللطافة من شدة حرارة بلاد السودان فاذا اختلط به عفونات أرض مصر زاد ذلك في استحالته ولذلك يتولد منه من أنواع السمك شيء كثير جدا فان فضول الحيوانات والنبات وعفونة هذا الماء وبيض السمك يصير جميعها موادا في تكوّن هذه الاسماك كما قال ارسططاليس في كتاب الحيوان وذلك شيء ظاهر للحس فان كل شيء يتعفن يتولد من عفونته الحيوان ولهذا صار ما يتولد من الدود والفأر والثعابين والعقارب والزناير والذباب وغيرها بأرض مصر كثيرا فقد استبان أن المزاج الغالب على أرض مصر الحرارة والرطوبة الفضلية وأنها ذات أجزاء كثيرة وأن هواءها وماءها رديان وربما انقطع النيل في آخر الربيع وأول الصيف من جهة القسطنطين فيعفن بكثرة ما يلقى فيه الى أن يبلغ عفنه الى أن يصير له رائحة منكرة محسوسة وظاهر أن هذا الماء اذا صار على هذه الحالة غير مزاج الناس تغيرا محسوسا وينبغي أن يستقى ماء النيل من الموضع الذي فيه جريه أشد والعفونة فيه أقل ويعنى كل اندان هذا الماء بحسب ما يوافق مزاجه أما المحرورون في أيام الصيف فبالطباشير والطين الارمنى والمغرة والتبق المروض والزعرور المروض والحل وأما المبردون في أيام الشتاء فباللوز المزل ودخل

نوى المشمش والصنوبر والشب وينبغي أن ينظف ما يروى ويشرب وان شئت أن تصفيه بأن
تجعله في آنية الخزف والفخار والجلود وما يوصل من ذلك بالرشح وان شئت طبخته بالنار
وجعلته في هواء الليل حتى يروق ثم نظفت منه ما يروق واستعملته* واذا ظهرت فيه كفيات
رديات فاطبخه بالنار ثم برده تحت السماء في برودة الليل وصفه بأخلاق الادوية التي ذكرتها
وأجود ما أخذ هذا الماء أن يصفى مرارا وذلك بأن يسخته أو يطبخه ثم يبرده في هواء الليل
ويقطف ما يروق منه فتصفيه أيضا ببعض الادوية ثم تأخذ ما يروق فتجعله في آنية تصل
في برد الليل وتأخذ بالرشح فتشربه واجعل آنية هذا الماء في الصيف الخزف والفخار
المعمولين في طوبة والظروف الحجرية والقرب ونحوها مما يبرد وفي الشتاء الآنية الزجاج
والمدهون وما يعمل في الصيف من الفخار والخزف ويكون موضعه في الصيف تحت الامراب
وفي مخاريق ريح الشمال وفي الشتاء بالمواضع الحارة ويبرد في الصيف بأن يخلط معه ماء الورد
ويؤخذ خرقة نظيفة ويشد فيها طاشير وبزر رجلة أو خشخاش أبيض أو طين أرمني أو مغرة
ويلقى فيه كيا يأخذ من ردها ولا يخالطه جسمها وتغسل طرفه في الصيف بالخزف المدقوق وبدقيق
الشعير والباقلاء والصندل وفي الشتاء بالاشنان والسعد ويخر بالمصطكي والعود وأردأ ما يكون
ماء النيل بمصر عند فيضه وعند وقوف حركته فعند ذلك ينبغي أن يطبخ ويبالغ في تصفيته
بقلوب نوى المشمش وسائر ما يقطع لزوجه وأجود ما يكون في طوبة عند تكامل البرد
ومن أجل هذا عرفت المصريون بالتجربة أن ماء طوبة أجود المياه حتى صار كثير منهم
يخزنه في القوارير الزجاج والصيني ويشربه السنة كلها ويزعم أنه لا يتغير وصاروا أيضا
لا يصفونه في هذا الزمان لظنهم أنه على غاية الخلاص وأما أنت فلا تسكن الى ذلك وصفه
على أي حالة كان فالماء المخزون لا بد أن يتغير فهذا ما عندي من ذم ماء النيل وحاصله
أن الماء تغير كيفيته بماء يمر عليه لا أن ذاته ردية فلا يهولك ما تسمع فما الامر الا ما قلت
لك واذا كان الضرر بحسب ما تغير من كيفيته لامن كيته فقد عرفت ما تعالجه به كي يزول
ما يخالطه من الكيفيات الردية والله الموفق بمنه وكرمه

ذكر عجائب النيل

ومن عجائب النيل فرس البحر قال عبد الله بن احمد بن سليم الاسواني في كتاب أخبار
التوبة ومسافة ما بين دققة الى أول بلد علوة أكثر مما بين دققة واسوان وفي ذلك من
القرى والضياع والجزائر والمواشي والنخل والشجر والمقل والزرع والسكرم أضعاف ما في
الجانب الذي يلي أرض الاسلام* وفي هذه الاماكن جزائر عظام مسيرة أيام فيها الحيات
والوحوش والسباع ومفاوز يخاف فيها العطش وماء النيل ينعتل من هذه التواحي الى
مطلع الشمس والى مغربها مسافة أيام حتى يصير الصعيد كالمتحدر وهي الناحية التي تبلغ

العطوف من النيل الى المعدن المعروف بالشتكة وهي بلد معروف يشتهر ومنه يخرج القمري
وفرس البحر يكثر في هذا الموضع * وحدثنى سيمون صاحب عهد علوة أنه أحصى في
جزيرة سبمين دابة منها وهي من دواب الشطوط في خلق الفرس في غلظ الجاموس قصيرة
القوائم لها خف وهي في ألوان الخيل بأعراف وأذان صفار كآذان الخيل وأعناقها كذلك
وأذناها مثل أذنان الجواميس ولها خرطوم عريض يظن الناظر اليها أن عليها مخلاة لها
صهيل وأنياب لا يقوم حذاءها تماسح وتعتز المرأب عند الغضب فتفرقها ورعها في البر
العشب وجلدها فيه متانة عظيمة يتخذ منه دبابيس انتهى * وهو كفرس البر الا انه أكبر
عرفاً وذنباً وأحسن لونا وحافره مشقوق كحافر البقر وجتته أكبر من الحمار بقليل وهو
يأكل التماسح أكلا ذريعا ويقوى عليه قوة ظاهرة وربما خرج من الماء ونزا على فرس
البر فيتولد بينهما فرس في غاية الحسن * واتفق أن بعض الناس نزل على طرف النيل ومعه
حجرة فخرج من الماء فرس أدهم عليه نقط بيض فنزا على الحجرة فحملت منه وولدت مهرا
عجيب الصورة فقطع في مهر آخر فجاء بالحجرة والمهر الى ذلك الموضع فخرج الفرس من
الماء وشم المهر ساعة ثم وثب الى الماء ومعه المهر فصار الرجل يتعهد ذلك المكان كثيرا فلم
يعد الفرس ولا المهر اليه * (قال المسعودي) وفي نيل مصر وأرضها عجائب كثيرة من
الحيوانات فمن ذلك السمك المعروف بالرعاد والواحدة نحو الذراع اذا وقعت في شبكة الصياد
ارتعدت يده وعضده فيعلم بوقوعها فيبادر الى أخذها واخراجها من شبكته ولو أمسكها
بخشب أو قصب فعلت ذلك وقد ذكرها جالينوس وانها ان جعلت على رأس من به صداع
شديد أو شقيقة وهي في الحياة هدا من ساعته قال ابن البيطار عن جالينوس هو الحيوان
البحري الذي يحدث الخدر وزعم قوم أنه اذا أدنى من رأس من يشكي الصداع سكن
صداعه وان أدنى من مقعدة من انقلبت مقعده أصلحها ولكن أنا جربت الامرين جميعا
فلم أجده يفعل ولا واحدا منهما ففكرت اني أدنيته من رأس المصدوع والحيوان ماهو حي
لاني ظننت أنه على هذه الحال يكون دواء يمكن أن يسكن الصداع بمنزلة الادوية فوجدته
ينفع مادام حيا قال ديسقوريدوس هو سمكة بحرية مخدرة اذا وضعت على الرأس الذي
عرض له الصداع المزمع سكن شدة وجهه واذا احتمله ذو المقعدة التي تبرز الى خارج
أصلحها وقال يونس الزيت الذي يطبخ فيه يسكن أوجاع المفاصل الحريفة اذا دهنت به
قال ابن البيطار رأيت بساحل مدينة مالقة من بلاد الاندلس سمكة عريضة لون ظاهرها
لون رعاد مصر سواء وباطنها أبيض وفعلها في تخدير ماسكها كفعل رعاد مصر أو أشد الا
انها لا تؤكل البتة وقال بعضهم اذا علقت المرأة شيئا من الرعاد عليها لم يطق زوجها البعد
عنها وكذلك ان علق منها الرجل عليه لم تكد المرأة ان تفارقه * والسقنقور وهو صنف

يتوالد من السمك والتمساح فلا يشاكل السمك لان له يدين ورجلين ولا يشاكل التمساح لان ذنبه أجرد أملس عريض غير مضرس وذنب التمساح سخيف مضرس ويتعالم بشحم السقنقورا للجماع ولا يكون بمكان الا في النيل وفي نهر مهران من أرض الهند ولقد بلغني أن أقواما شووها وأكلوا منها فأتوا كلهم في ساعة واحدة * والسقنقور قال ابن سينا هو ورن يصاد من نيل مصر يقولون انه من نسل التمساح وأجود ما يصطاد في الربيع وقال آخر انه فرخ التمساح فاذا خرج من البيض فما قصد الماء صار تمساحا وما قصد الرمل صار سقنقورا وقال ابن اليطار هو جنس من الجراد يجفف في الخريف اذا شرب منه وزن درهمين من الموضع الذي يلي كلاء بشراب انهض الجماع وهو شديد الشبه بالورن يوجد بالرمال التي تلي نيل مصر في نواحي صعيدها وهو مما يسمى في البر ويدخل في الماء يعني النيل ولهذا قيل له الورن المائي لشبهه به ولدخوله في الماء وهو يتولد من ذكر وأنثى ويوجد للذكر خصيتان كخصيتي الديك في خلقتهما وموضعهما وانه تبيض فوق العشرين بيضة وتدفنها في الرمل ولذلك ذكر من السقنقور احليلان وللأنثى فرجان والسقنقور يعرض الانسان ويطلب الماء فان وجده دخل فيه وان لم يجده بال وتمرغ في بوله واذا فعل ذلك مات العضوض لوقته وسلم السقنقور فان اتفق ان سبق العضوض الى الماء فدخله قبل دخول السقنقور الماء وتمرغه في بوله مات السقنقور لوقته وسلم العضوض والافضل الذكر منه والابلغ في نفع البهائم هو المخصوص بذلك دون الأنثى والمختار من أعضائه ماييلي أصل ذنبه ومحاذي سرتة والوقت الذي يصاد فيه الربيع فانه يكون فيه هائجا للسفاد فيكون في هذا الوقت أبلغ نفعا فاذا أخذ ذكي في يوم صيده فانه ان ترك حيا زال شحمه وهزل لحمه وضعف فعله ثم يقطع رأسه وطرّف ذنبه من غير استئصال ويشق جوفه طولا ويأقي ما فيه الا كلاء ويكسه فاذا انظف حشوي ملحا وخيط الشق وعلق من كوسا في ظل معتدل الهواء حتى يجف ويؤمن فساده ثم يرفع في اناء متخرقة للهواء كالسلاسل المصفورة من قضبان شجر الصفصاف والخصوص ونحوه الى وقت الحاجة ولحمه طريا حار رطب والمجفف أشد حرارة وأقل رطوبة ولا يوافق استعماله من مزاجه حار يابس وانما يوافق ذوى الامزجة الباردة الرطبة وخاصة لحمه وشحمه انهض شهوة الجماع ويهيج الشبق ويقوى الانعاظ وينفع أمراض العصب الباردة وخاصة ماييلي سرتة ومحاذي ذنبه وينفع مفردا ومركبا واستعماله مفردا أبلغ والمقدار منه بعد تجفيفه من مثقال الى ثلاثة مثاقيل بحسب السن والمزاج والبلد والوقت الحاضر يسحق ويذاب بشراب أو ماء العسل أو تقيح الزبيب أو يذر على صفرة بيض الدجاج التمرشت ويحشى وكذلك يفعل بلحمه اذا أخذ منه من درهم الى درهمين وذر على صفرة البيض بمفرده أو مع مثله بزر جرجير مسحوق ولا يوجد السقنقور

الا في بلاد الفيوم خاصة وأكثر صيده في الاربعينات اذا اشتد البرد وخرج من الماء الى البر فينثذ يصاد * وقال المسعودي والفرس الذي يكون في نيل مصر اذا خرج من الماء وانتهى وطؤه الى بعض المواضع من الارض علم أهل مصر أن النيل يزيد الى ذلك الموضع بعينه غير زائد عليه ولا مقصر عنه لا يتخلف ذلك عندهم لطول العادات والتجارب وفي ظهوره من الماء ضرر بأرباب الارض والغلات لرعيه الزرع وذلك أنه يظهر من الماء في الليل فينتهي الى موضع من الزرع ثم يولى عائداً الى الماء فيرعى في حال رجوعه من الموضع الذي انتهى اليه مسيره ولا يرعى من ذلك الذي قد رعاه شيئاً في مره واذا رعى ورد الماء وشرب ثم قذف ما في جوفه في مواضع شتى فينبت ذلك مرة ثانية واذا كثر ذلك من فعله واتصل ضرره بأرباب الضياع طرحوا له من الترمس في الموضع الذي يعرف خروجه منه مكاكي كثيرة مبدرا مبسوطة فيأكله ثم يعود الى الماء فاذا شرب منه ربا الترمس في جوفه وانتفخ فينشق جوفه منه ويموت ويطفو على الماء ويقذف به الى الساحل والموضع الذي يرى فيه لا يرى به تماسح وهو على صورة الفرس الا أن حوافره وذنبه بخلاف ذلك وجهته واسعة * وقال المسيحي ان الصنف المعروف بالبلطي من أصناف السمك أول ما عرف بنيل مصر في أيام الخليفة العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله ولم يكن يعرف قبله في النيل وظهر في أيامه أيضاً سمك يعرف باللبيس وانما سمي باللبيس لانه يشبه البوري الذي بالبحر الملح فالتبس به وغالب الظن أنها من أسماك البحر الملح دخلت في الحلو * ومن حيوان البحر التماسح قال ابن البيطار التماسح حيوان معروف يكون في الانهار الكبار وفي النيل كثيراً ويوجد في نهر مهران وقد يوجد في بلاد السودان وهو الورن النيسلي وقال ابن زهران كل حيوان يحرك فكاه الاسفل اذا أكل ما خلا التماسح فانه يحرك فكاه الاعلى دون الاسفل وشحم التماسح اذا عجن بالسمن وجعل فيه فتيلة وأسرج في نهر أو أجمة لم ينقض ضفادعها مادامت تقدر وان طيف بجملد تماسح حول قرية ثم علق على سطح دهليز لم يقع البرد في تلك القرية واذا عض التماسح انسانا فوضع على العضة شحم التماسح برا من ساعته وان لطخ بشحمه جهة كبش نطاح نقر كل كبش بناطحه وهرب منه ومرارته يكتحل بها للبياض في العين فيذهبه وكبدته ينجر بها المجنون فيبرأ وزيل التماسح يزيل البياض من العين الحديث والقديم وان قلعت عيناه وهو حي وعلقت على من به جذام أوقفه ولم يزد عليه شيء وان علق شيء من التي بالجانب الايمن على رجل زاد في جماعه وعينه النقي لمن يشككي عينه النقي وعينه اليسرى لمن يشككي عينه اليسرى وشحمه اذا أذيب بدهن ورد نفع من وجع الصلب والكلبتين وزاد في الباه واذا أخذ دم التماسح وخلط به هليلج وأملج وطلى به على الوضع أذهبه وغير لونه واذا طلى به على الجبهة والصدغين نفع من وجع الشقيقة واذا أكل لحمه أسفيد باجا سمن

البدن النحيف وشحمه اذا قطر بعد أن يذاب في الاذن الوجمة نفعها وان أد من تقطيره في الاذن نفع من الصمم واذا دهن به صاحب حمى الربيع سكنت عنه ولحمردى الكيموس وقال المسعودي وكذلك التماسح آفته من دويبة تكون في سواحل النيل وجزائره وهو أن التماسح لا دبر له وما يأكله يتكون في بطنه دودا فاذا أذاه ذلك خرج الى البر فاستلقى على قفاء فاغرافاه فينقض اليه طير الماء وقد اعتاد ذلك منه فيأكل ما يظهر من جوفه من ذلك الدود العظيم وتكون تلك الدويبة قد كملت في الرمل فتنب الى حلقه وتسير الى جوفه وتخرج فيحبط بنفسه الى الارض ويطلب قعر النيل حتى تأتي الدويبة على حشو جوفه ثم تحرق جوفه وتخرج وربما قتل نفسه قبل أن تخرج فتخرج بعد موته وهذه الدويبة تكون نحو الذراع على صورة ابن عرس ذات قوائم شتى ومخالب ويقال ان بحمال فسطاط مصر طلسم معمول بها وكان التماسح لا يستطيع القرب حوله بل كان اذا بلغ حدوده انقلب واستلقى على ظهره فيعذب به الصبيان الى أن يجاوز نهاية المدينة ثم يعود مستويا ويعود الى طياعه ثم ان هذا الطلسم كسر فبطل فعله ويقال ان التماسح يبض كبيض الاوز وربما تولد فيه جرادين صغار ثم تكبر حتى يبلغ طولها عشرة أذرع وتزداد طولاً كلما عمرت والتماسح يرتعش ستين مرة في حركة واحدة ومحل واحد وسنه اليسرى نافعة للنافض

ذكر طرف من مقدمة المعرفة بحال النيل في كل سنة

قال ابن رضوان في شرح الاربع وقد يحتاج أمر النيل الى شروط منها أن تكون الامطار متوالية في نواحي الجنوب قبل مدة وفي وقت مده ولذلك وجب أن يكون النيل متى كانت الزهرة وعطارد مقترنين في مدخل الصيف كثير الزيادة لرطوبة الهواء ومتى كان المربخ أو بعض المنازل في ناحية الجنوب في مدخل الربيع أو الصيف كان قليلا لقلّة الامطار في تلك الناحية ومنها أن تكون الرياح شمالية لتوقف جريه فأما الجنوبية فانها تسرع انحداره ولا تدعه يلبث فاذا علمت ما يكون في ناحية الجنوب من كثرة الامطار أو قلتها وفي ناحية مصر من هبوب الرياح في فصل الربيع والصيف فقد علمت حال النيل كيف يكون وتعلم من حاله ما يعرض بمصر من الخصب والجذب وقال أبو سامر بن يونس المنجم عن بطليموس اذا أردت أن تعلم مقدار النيل في الزيادة والتقصان فانظر حين تحل الشمس برج السرطان الى الزهرة وعطارد والقمر فان كانت أحوالها جيدة وهي برية من النحوس فالنيل يمتد وتبلغ الحاجة به وان كانت أحوالها بخلاف ذلك وهي ضعيفة فأنكس القول فان ضعف بعضها وصلح البعض توسط الحال في النيل والضابط أن قوة الثلاثة تدل على تمام النيل وضعفه على توسطه واتحاسها أو احتراقها أو وقوعها في بعدها الا بعد من الارض على التقص وانّه قليل جدا الا أن احتراق الزهرة في برج الاسد يستنزل الماء من الجنوب وقال

أبو معشر ينظر عند انتقال الشمس الى برج السرطان للزهرة وعطارد والقمر فان كانت في سيرها الاكبر فان زيادة النيل عظيمة وان كانت في سيرها الاوسط فاعرف كم أكثر مسيرها وكم أقله وانسبه بحسب ما تراه وان كانت بطيئة السير فزيادة النيل قليلة وان اختلف مسير هذه الثلاثة فكان بعضها في مسيره الاكبر وبعضها بطيء السير فقلب أقواها وامزج الدلالة وقل بحسب ذلك * وقالت القبط ينظر أول يوم من شهر برمودة ما الذي يوافقسه من أيام الشهر العربي فما كان من الايام فزد عليه خمسة وثمانين فما بلغ خذ سدسه فانه يكون عدد مبلغ النيل من الاذرع في تلك السنة قالوا ومن المعتبر أيضاً في أمر النيل أن تنظر اليوم الذي تفسر فيه النصارى اليعاقبة بمصر وما بقي من الشهر العربي فزد عليها أربعاً وثلاثين فما بلغ أسقطه اثني عشر فان بقي بعد ذلك الاسقاط من العدد زيادة على اثني عشر فهو زيادة النيل من الاذرع في تلك السنة مع الاثني عشر وان بقي اثني عشر فهي سنة رديئة قالوا واذا كان العاشر من الشهر العربي موافقاً لشهر أيب والقمر في برج العقرب فان كان مقارناً لقب العقرب كان النيل مقصراً والا فهو جيد قالوا وينظر أول يوم من بؤنة فان هبت الريح شمالاً في بكرة النهار كان النيل عالياً وان هبت وسط النهار فانه متوسط وان هبت آخر النهار كان نيلاً قاصراً وان لم تهب لم يطالع تلك السنة وقيل يعتبر هكذا أول خميس من بؤنة * ومن المعتبر الذي جربته أنا سنين وأخبرني بعض شيوخنا أنه جربه وأخبره به من جربه فصيح أن ينظر أول يوم من مسرى كم مبلغ النيل فزد عليه ثمانية اذرع فما بلغ فهو زيادة النيل في تلك السنة وما اشتهر عند أهل مصر وجربته أيضاً فصيح أن يؤخذ قبل عيد ميكايل بيوم في وقت الظهر من الطين الذي مر عليه ماء النيل قطعة زنتها ستة عشر درهماً سواء وترفع في اناء مغطى الى بكرة يوم عيد ميكايل وتوزن فما زاد على وزنها من الخرايب كان مبلغ النيل في تلك السنة بقدر عدد ذلك الخرايب لكل خروبة ذراع ومن ذلك أخذ شيء من دقيق القمح وعجنه بماء النيل في اناء فخار وقد عمل من طين مر عليه النيل وتركه مغطى طول ليلة عيد ميكايل فاذا وجد بكرة يوم العيد قد اختمر بنفسه كان النيل تاماً وافياً وان وجدته لم يختمر دل على قصور هذا النيل ثم ينظرون مع ذلك بكرة يوم عيد ميكايل الى الهواء فان هبت طيباً فهو نيل كبير وان هبت غير طيباً فهو نيل مقصر لاسيما ان هبت مريسياً فانه يكون نيلاً كافياً والشأن عندهم انما هو في دلالة العلامات الثلاث على شيء واحد فاما اذا اختلف فالحكم لا يكاد يصح * وقال أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني في كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية وذكر أصحاب التجارب أنه اذا تقدم فعمد الى لوح وزرع عليه من كل زرع ونبات حتى اذا كانت الليلة الخامسة والعشرون من شهر تموز أحد شهور الروم وهي آخر أيام الباحور ثم وضع اللوح بارزاً لطلوع الكواكب وغروبها

لا يحول بينه وبين السماء شيء فان كل مالا يزكو في تلك السنة من الزروع يصبح أصفر وما يصلح ريعه منها يبقى أخضر وكذلك كانت القبط تقفل ذلك وقد جربت أنا على ما أفادني به بعض الكتّاب انه اذا حصل مطر ولو قل في شهر بابة ينظر ماذلك اليوم من الشهر القبطي فانه يبلغ سعر الوببة القمح تلك السنة من الدراهم بعدد ما مضى من أيام شهر بابة وأول ما جربت هذا انه وقع مطر في بابة يوم الخميس الخامس عشر منها فبيعت الوببة تلك السنة بخمسة عشر درهما

ذكر عيد الشهيد

ومما كان يعمل بمصر عيد الشهيد وكان من أنزه فرج مصر وهو اليوم الثامن من بشنس أحد شهور القبط ويزعمون أن النيل بمصر لا يزيد في كل سنة حتى يلقي النصارى فيه تابوتا من خشب فيه أصبع من أصابع اسلافهم الموتى ويكون ذلك اليوم عيداً ترحل اليه النصارى من جميع القرى ويركبون فيه الخيل ويلعبون عليها ويخرج عامة أهل القاهرة ومصر على اختلاف طبقاتهم وينصبون الخيم على شطوط النيل وفي الجزائر ولا يبقى مفن ولا مغنسة ولا صاحب لهو ولا رب ملعوب ولا بنى ولا نخت ولا ماجن ولا خلبع ولا فاكث ولا فاسق الا ويخرج لهذا العيد فيجتمع عالم عظيم لا يحصىهم الا خالقهم وتصرف أموال لا تحصى ويبحار هناك بما لا يحتمل من المعاصى والفسوق وتشور فتن وتقتل أناس ويباع من الحجر خاصة في ذلك اليوم بما ينفى على مائة ألف درهم فضة عنها خمسة آلاف دينار ذهباً وباع نصراني في يوم واحد باثنى عشر ألف درهم فضة من الحجر وكان اجتماع الناس لعيد الشهيد دائماً بناحية شبرى من ضواحي القاهرة وكان اعتماد فلاحي شبرى دائماً في وفاة الخراج على ما ينعونه من الحجر في عيد الشهيد ولم يزل الحال على ما ذكر من الاجتماع كذلك الى أن كانت سنة اثنتين وسبع مائة والسلطان يومئذ بديار مصر الملك الناصر محمد بن قلاوون والقائم بتدبير الدولة الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير وهو يومئذ استادار السلطان والامير سيف الدين سلار نائب السلطنة بديار مصر فقام الامير بيبرس في ابطال ذلك قياماً عظيماً وكان اليه أمور ديار مصر هو والامير سلار والناصر تحت حجرهما لا يقدر على شيع بطنه الا من تحت أيديهما فتقدم أمر الامير بيبرس أن لا يرمي أصبع في النيل ولا يعمل له عيد وندب الحجاب ووالى القاهرة لمنع الناس من الاجتماع بشبرى على عادتهم وخرج البريد الى سائر أعمال مصر ومعهم الكتّاب الى الولاية باجهار النداء واعلانه في الاقاليم بأن لا يخرج أحد من النصارى ولا يحضر لعمل عيد الشهيد فشق ذلك على أقباط مصر كلهم من أظهر الاسلام منهم وزعم أنه مسلم ومن هو باق على نصرانيته ومشي بعضهم الى بعض وكان منهم رجل يعرف بالتاج بن سعيد الدولة يعانى الكتابة وهو يومئذ في خدمة الامير بيبرس وقد احتوى

على عقله واستولى على جميع اموره كما هي عادة ملوك مصر وأمراؤها من الاتراك في الانقياد
لكتبهم من القبط سواء منهم من أسر الكفرو من جهر به * وما زال الاقباط بالنجاح الى
أن تحدث مع مخدومه الامير بيبرس في ذلك وخيل له من تلف مال الخراج اذا بطل هذا
العيد فان أكثر خراج شبرى انما يحصل من ذلك وقال له متى لم يعمل العيد لم يطع النيل أبدا
ويخرب اقليم مصر لعدم طلوع النيل ونحو ذلك من هتف القول وتتميق المسكر فثبت الله الامير
بيبرس وقواه حتى أعرض عن جميع ما زخرفه من القول واستمر على منع عمل العيد وقال
للنجاح ان كان النيل لا يطلع الا بهذا الاصبع فلا يطلع وان كان الله سبحانه هو المتصرف
فيه فكذب النصارى فبطل العيد من تلك السنة ولم يزل منقطعا الى سنة ثمان وثلاثين
وسبعمائة وعمر الملك الناصر محمد بن قلاوون الجسر في بحر النيل ليرمي قوة التيار عن بر
القاهرة الى ناحية الجزيرة كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب فطلب الامير يلبغا ليجاوي والامير
الطنبغا الماردى من السلطان أن يخرجوا الى الصيد ويقبضوا مدة فلم تطب نفسه بذلك لشدة
غرامه بهما وتمتعه في محبتهم وأراد صرفهما عن السفر فقال لهما نحن نعيد عمل عيد الشهيد
فيكون تفرجكما عليه أنزه من خروجكما الى الصيد وكان قد قرب أوان وقت عيد الشهيد
فرضيا منه بذلك وأشيع في الاقليم اعادة عمل عيد الشهيد فلما كان اليوم الذي كانت العادة
بعمله فيه ركب الامراء النيل في الشخاير بغير حراريق واجتمع الناس من كل جهة وبرز
ارباب الغناء وأصحاب اللهو والحلاعة فركبوا النيل وتجاهروا بما كانت عادتهم المجاهرة به من
أنواع المنكرات وتوسع الامراء في تنوع الاطعمة والحلاوات وغيرها توسعا خرجوا فيه
عن الحد في الكثرة البالغة وعم الناس منهم ما لا يمكن وصفه لكثرة واستمروا على ذلك
ثلاثة أيام وكانت مدة انقطاع عمل عيد الشهيد منذ أبطله الامير بيبرس الى أن أعاده الملك
الناصر ستا وثلاثين سنة واستمر عمله في كل سنة بعد ذلك الى أن كانت سنة خمس وخمسين
وسبعمائة تحرك المسلمون على النصارى وعملت أوراق بما قد وقف من أراضي مصر على
كنائس النصارى ودياراتهم وألزم كتاب الامراء تحرير ذلك وحمل الاوراق الى ديوان
الاجباس فلما تحررت الاوراق اشتملت على خمسة وعشرين ألف فدان كلها موقوفة
على الديارات والكنائس فعرضت على أمراء الدولة القائمين بتسيير الدولة في أيام الملك
الصالح صالح بن محمد بن قلاوون وهم الامير شيخو العمرى والامير صرغتمش والامير
طاز فتقرر الحال على أن ينعم بذلك على الامراء زيادة على اقطاعهم وألزم النصارى بما
يلزمهم من الصغار وهدمت لهم عدة كنائس كما هو مذكور في موضعه من هذا الكتاب
عند ذكر الكنائس فلما كان العشر الاخير من شهر رجب من السنة المذكورة خرج
الحاجب والامير علاء الدين على بن الكوراني والى القاهرة الى ناحية شبرى الحيام من

ضواحي مصر فهدمت كنيسة النصارى وأخذ منها أصبع الشهيد في صندوق واحضر الى الملك الصالح وأحرق بين يديه في الميدان وذري رماده في البحر حتى لا يأخذه النصارى قبل عيد الشهيد من يومئذ الى هذا العهد ولله الحمد والمنة

(ذكر الخليجان التي شقت من النيل)

اعلم أن النيل اذا انتهت زيادته فتحت منه خليجان وترع تخرق الماء فيها يمينا وشمالا الى البلاد البعيدة عن مجري النيل واكثر الخليجان والترع والجسور والاخوار بالوجه البحري وأما الوجه القبلي وهو بلاد الصعيد فان ذلك قليل فيه وقد ذهبت معالمه ودرست رسومه من هنالك والمشهور من الخليجان خليج منبجا * وخليج منف وخليج المنهى وخليج اشموم طناح وخليج سردوس وخليج الاسكندرية وخليج دمياط وخليج القاهرة وبحر أبي المنبجا والخليج الناصري ظاهر القاهرة * قال ابن عبد الحكم عن أبي رهم السماعي قال كانت مصر ذات قناطر وجسور بتقدير وتدبير حتى ان الماء ليجري تحت منازلها وأقينتها فيحبسونه كيف شاؤا ويرسلونه كيف شاؤا فذلك قوله تعالى عما حكى عن قول فرعون أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي أفلا تبصرون ولم يكن يومئذ فى الارض ملك أعظم من ملك مصر وكانت الجنات بمحاقي النيل من أوله الى آخره فى الجانبين معا جميعا ما بين أسوان الى رشيد وسبع خليج خليج الاسكندرية وخليج سخا وخليج دمياط وخليج منف وخليج الفيوم وخليج المنهى وخليج سردوس جنات متصلة لا ينقطع منها شيء عن شيء والزرع ما بين الجبلين من أول مصر الى آخرها مما يبلغه الماء (وكان) جميع أرض مصر كلها تروى من ستة عشر ذراعا لما قدروا ودبروا من قناطرها وخليجها وجسورها فذلك قوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم قال والمقام الكريم المنابر كان بها ألف منبر (خليج سخا) وخليج سخا حفره ندارس بن صابن قبطم بن مصر ايم بن بيسر بن حام بن نوح وهو أحد ملوك القبط القدماء الذين ملكوا مصر فى الدهر الاول * قال ابن وصيف شاه ندارس الملك أول من ملك الاحياز كلها بعد أبيه صاوصفاله ملك مصر وكان ندارس محتسكا مجربا ذا أيد وقوة ومعرفة بالامور فأظهر العدل وأقام الهيأ كل وأهلها قياما حسنا ودبر جميع الاحياز ويقال انه الذى حفر خليج سخا وارتفع مال البلاد على يده مائة ألف ألف دينار وخمسين ألف ألف دينار وقصده بعض عمالة الشام نخرج اليه واستباحه ودخل فلسطين وقتل بها خلقا وسي بعض حكامها وأسكنهم مصر وهابته الملوك وعلى رأس ثلاثين من ملكه طمع السودان من الزنج والنوبة فى أرضه وعاثوا وأفسدوا فجمع الجيوش من أعمال مصر وأعد المراكب ووجه قائدا يقال له فلوطس فى ثلثمائة ألف وقائدا آخر فى مثلها ووجه فى النيل ثلثمائة سفينة فى كل سفينة كاهن يعمل أعجوبة من

العجائب ثم خرج في جيوش كثيرة فلقى جمع السودان وكانوا في زهاء ألف ألف فجزهم وقتل أكثرهم أبرح قتل وأسر منهم خلقا وتبعهم جيوشه حتى وصلوا الى أرض الفيلة من بلاد الزنج فأخذوا منها عدة ومن التمور والوحوش وساقوها الى مصر فذللها وعمل على حدود بلده منارا ووزر عليه مسيره وظفروه والوقت الذي سار فيه ومات بمصر فدفن في ناووس نقل اليه شيئا كثيرا من أصناف الكواكب ومن الذهب والجوهر والصفة والتماثيل ووزر عليه اسمه وتاريخ هلاكه وجعل عليه طلمات تمنع منه وعهد الى ابنه مالميق بن ندارس (خليج سردوس) حفره هامان قال ابن وصيف شاء طلما بن قومس الملك جلس على سرير الملك وحاز جميع ما كان في خزائهم وهو الذي تذكر القبط أنه فرعون موسى* فأما أهل الاثر فيزعمون أنه الوليد بن مصعب وأنه من العماقة وذكروا أن الفراعنة سبعة وكان طلما فيما حكى عنه قصيرا طويل اللحية أشهل العينين صغير العين اليسرى في جبينه شامة وكان أصغر وزعم قوم أنه من القبط ونسب أهل بيته مشهور عندهم وذكر آخرون أنه دخل منف على أنان عليها نظرون جاء لبيعه وكانوا قد اضطربوا في تولية الملك فرفضوا أن يملكوا عليهم أول من يطرأ من الناس فلما رأوه ملكوه عليهم ولما جلس في الملك بذل الاموال وقرب من أطاعه وقتل من خالفه فاعتدل أمره واستخلف هامان وكان يقرب منه في نسبه وأثار بعض الكنوز وصرفها في بناء المدائن والعمارات وحفر خلجانا كثيرة ويقال انه الذي حفر خليج سردوس وكان كلما عرجه الى قرية من قرى الخوف حمل اليه أهلها مالا حتى اجتمع من ذلك مال كثير فأمر برده على أهله* وقال ابن عبد الحكم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان فرعون استعمل هامان على حفر خليج سردوس فلما ابتداء حفره أتاه أهل كل قرية يسألونه أن يجري الخليج تحت قريتهم ويعطونه مالا قال وكان يذهب به الى هذه القرية من نحو الشرق ثم يردّه الى قرية من نحو دبر القبلة ثم يردّه الى قرية في الغرب ثم يردّه الى أهل قرية في القبلة ويأخذ من أهل كل قرية مالا حتى اجتمع له من ذلك مائة ألف دينار فأتى بذلك يحمله الى فرعون فسأله عن ذلك فأخبره بما فعل في حفره فقال له فرعون ويحك انه يذني للسيد أن يعطى على عبادته ويفيض عليهم ولا يرغب فيما بأيديهم رد على أهل كل قرية ما أخذت منهم فردّه كله على أهله قال فلا يعلم بمصر خليج أكثر انعطافا منه لما فعل هامان في حفره وكان هامان نبطيا (خليج الاسكندرية) قال ابن عبد الحكم ويقال ان الذي بني منارة الاسكندرية فليطرة الملكة وهي التي ساقّت خليجها حتى أدخلته الاسكندرية ولم يكن يدخلها الماء كان يعدل من قرية يقال لها كسا قبالة السكربون فخفرت حتى أدخلته الاسكندرية وهي التي بلط قاعته وقال السكندري ان الحارث بن مسكين قاضى مصر حفر خليج الاسكندرية وقال الاسعدي بن ممان

في كتاب قوانين الدواوين خليج الاسكندرية عليه عدة ترع وطوله من فم الخليج ثلاثون ألف قصبة وستائة قصبة وعرضه من قصبتين ونصف الى ثلاث قصبات ونصف ومقام الماء فيه بالنسبة الى النيل فان كان مقصرا قصرت مدة اقامته فيه وان كان عاليا أقام فيه مايزيده على شهرين * ورأيت جماعة من أهل الخبرة وذوى المعرفة يقولون انه اذا عملت من قبالة منية نتيج الى نتيج زلاقة استقر الماء فيه صيفا وشتاء ورأيت البحيرة جميعها وخوف ودميس والكفور الشاسعة وقد زرعت عليه القصب والقلقاس والنيلة وأنواع زراعة الصيفي وجرى مجرى بحر الشرق والحلة وتضاعفت عليه البلاد وعظم ارتفاعها واقامة هذه الزلاقة بمكة لوجود الحجارة في ربوة والطوب في البحيرة وانهم قدروا ما يحتاج اليه فوجدوه ينأهز عشرة آلاف دينار ويقال انه كان الماء فيه جاريا طول السنة وكان السمك فيه غاية من الكثرة بحيث تصيده الاطفال بالخرق فضمنه بعض الولاة بمال ومنع الناس من صيده فعدم منه السمك ولم ير بعد ذلك فيه سمكة فصار يخرج بالشباك (خليج الفيوم والمنهى) مما حفره نبي الله يوسف الصديق عليه السلام عند ما عمر الفيوم كما هو مذکور في خبر الفيوم من هذا الكتاب وهو مشتق من النيل لا ينقطع جريه أبدا واذا قابل النيل ناحية دورة سريام التي تعرف اليوم بدورة الشريف يعنى ابن يغلق النائب في الايام الظاهرية ببيرس تشعبت منه في غربيه شعبة تسمى المنهى تستقل نهرا يصل الى الفيوم وهو الآن عرف بحريوسف وهو نهر لا ينقطع جريانه في جميع السنة فيسقى الفيوم عامة سقيا دائما ثم يجز فضل مائه في بحيرة هناك ومن العجب أنه ينقطع ماؤه من فوهته ثم يكون له بلل دون المكان المندى ثم يجري جريا ضعيفا دون مكان البلل ثم يستقل نهرا جاريا لا يقطع الا بالسفن ويتشعب منه أنهار وينقسم قسمي يع الفيوم يسقى قراء ومزارعه وبساتينه وعامة أما كنهه والله أعلم (خليج القاهرة) هذا الخليج بظاهر القاهرة من جانبها الغربي فيما بينها وبين المقس عرف في أول الاسلام بخليج أمير المؤمنين وتسميه العامة اليوم الخليج الحاكمي وبخليج اللولة وهو خليج قديم أول من حفره طوطيس بن ماليا أحد ملوك مصر الذين سكنوا مدينة منف وهو الذى قدم ابراهيم الخليل صلوات الله عليه في ايامه الى مصر وأخذ منه امرأته سارة وأخدمها هاجر أم اسماعيل صلوات الله عليهما فلما أخرجها ابراهيم هى وابنها اسماعيل الى مكة بعثت الى طوطيس تعرفه انها بمكان جذب وتستغيثه فأمر بحفر هذا الخليج وبعث اليها فيه بالسفن تحمل الخنطة وغيرها الى جدة فأحيا بلد الحجاز ثم ان اندرومانوس الذى يعرف بابيليا أحد ملوك الروم بعد الاسكندر بن فلبيس المحدث جدد حفر هذا الخليج وسارت فيه السفن وذلك قبل الهجرة النبوية بنيف وأربعمائة سنة ثم أن عمرو بن العاص رضى الله عنه جدد حفره لما فتح مصر وأقام في حفره ستة أشهر وجرت فيه السفن

بجمل الميرة الى الحجاز فسمى خليج أمير المؤمنين يعنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فانه هو الذى أشار بحفره ولم يزل تجرى فيه السفن من فسطاط مصر الى مدينة القلزم التي كانت على حافة البحر الشرقي حيث الموضع الذى يعرف اليوم على البحر بالسويس وكان يصب ماء النيل في البحر من عند مدينة القلزم الى أن أمر الخليفة أبو جعفر المنصور بطمه في سنة خمس ومائة فلم يبق منه ما هو موجود الآن وسيأتي الكلام عليه مبسوطا ان شاء الله تعالى عند ذكر طواهر القاهرة من هذا الكتاب (بحر أبي المنجا) هذا الخليج تسميه العامة بحر أبي المنجا الذى حفره الافضل بن أمير الجيوش في سنة ست وخمسمائة وكان على حفره أبو المنجا بن شعيا اليهودي فعرف به وقد ذكر خبر هذا الخليج عند ذكر مناظر الخلفاء ومواضع نزههم من هذا الكتاب (الخليج الناصري) هذا الخليج في ظاهر المقدس حفره الناصر محمد بن قلاوون في سنة خمس وعشرين وسبعمائة وقد ذكر في موضعه من هذا الكتاب

ذكر ما كانت عليه أرض مصر في الزمن الاول

قال المسعودي وقد كانت أرض مصر على ما زعم أهل الخبرة والغبية بأخبار شأن العالم يركب أرضها ماء النيل وينبسط على بلاد الصعيد الى أسفل الارض وموضع الفسطاط في وقتنا هذا وكان بدء ذلك من موضع يعرف بالجنادل بين أسوان والتوبة الى أن عرض لذلك موانع من انتقال الماء وجريانه وما يتصل من التوبة بتياره من موضع الى موضع فنضب الماء عن بعض المواضع من بلاد مصر وسكن الناس بلاد مصر ولم يزل الماء ينضب عنها عن أرضها قليلا قليلا حتى امتلأت أرض مصر من المدن والعمائر وطرقوا للماء وحفروا له الخللجان وعقدوا في وجهه المسببات الى أن خفي ذلك على ساكنيها لان طول الزمان ذهب بمعرفة أول سكناهم كيف كان انتهى قلت ومما ذكر أرسططا ليس في كتاب الآثار الغلوية ان أرض مصر كان النيل ينبسط عليها فيطبقها كأنها بحر ولم يزل الماء ينضب عنها ويبيس ماعلا منها أولا فأولا ويسكن الى أن امتلأت بالمدن والقرى والناس ويقال ان الناس كانوا قبل سكني مدينة منف يكتنون بسفح الجبل المقطم في منازل كثيرة تقروها وهي المغائر التي في الجبل المقابل لمنف من قبلي المقطم في الجبل المتصل بدير القصير الذي يعرف بجدير البعل المطل على ناحية طرى ومن وقف عند اهرام نيا رأى المغائر في الشرق وبينهما النيل ومن صعد من طرى الى الجبل وسار فيه دخلها وهي مغائر متسعة وفيها مغائر تنفذ الى القلزم تسع المغارة منها أهل مدينة واذا دخلها أحد ولم يهتد على ما يدل على الخرج هلك في تحيره ويقال كانت مصر جرداء لانيات بها فاقطعها متوشلح بن أختوخ بن برد بن مهلايل بن قتيان بن أنوس بن تسبب بن آدم لطائفة من أولاده فلما نزلوها وجدوا نيلها

قد سد ما بين الجبلين فنضب الماء عن أرض زروعها فأخرجت الأرض بركاتها ثم بعد زمان أخذها عنقاص الاول بن عرياب بن آدم بالغلبة ونسل بها خلقا عظيما وجهاز لقتال أولاد برد سبعين ألف مقاتل وحفر من البحر الى الجبل نهرا عرضه أربعون قصبة ليمنع من يأتيه فأتاه بنو برد فلم يجدوا اليه سبيلا ففزعوا الى الله تعالى فبعث على أرض مصر نارا

﴿ ذكر أعمال الديار المصرية وكورها ﴾

أعلم ان أرض مصر كانت في الزمن الاول الغابر مائة وثلاثا وخمسين كورة في كل كورة مدينة وثلاثمائة وخمس وستون كورة فلما عمرت أرض مصر بعد نحت انصر صارت على خمس وثمانين كورة ثم تناقصت حتى جاء الاسلام وفيها أربعون عامرة بجميع قراها لاتنقص شيئا ثم استقرت أرض مصر كلها في الجملة على قسمين الوجه القبلي وهو ما كان في جهة الجنوب من مدينة مصر والوجه البحري وهو ما كان في شمال مدينة مصر * وقد قسمت الأرض جميعها قبليها وبحريها على ستة وعشرين عملا وهي الشرقية والمرتاحة والدقهلية والايوانية وشر دمياط الوجه البحري جزيرة قويسنا والغربية والسمنودية والدبحاوية والمنوفية والستراوية وفوه والمزاحميتين وجزيرة بني نصر والبحيرة واسكندرية وضواحيها وحوف دميسيس والوجه القبلي الجيزة والاطفيحية والبوصيرية والفيومية والهنساوية والاشمونين والمنفلوطية والاسيوطية والابخيمية والقوصية وهي أيضا ثلاثون كورة وهي كورة الفيوم وفيها مائة وست وخمسون قرية ويقال انها كانت ثمانمائة وستين قرية وكورة منف ووسيم خمس وخمسون قرية وكورة الشرقية وتعرف بالاطفيحية سبع عشرة وقرية وقرى أهناس ومنها قن ثمانى قرى وكورة تادلاص وبوصيرست قرى وكورة أهناس خمس وتسعون قرية سوى الكفور وكورة الهنسامائة وعشرون قرية وكورة الفشن سبع وثلاثون قرية وكورة طحا سبع وثلاثون قرية وحوز سنودة ثمان قرى وكورة الاشمونين مائة وثلاثون قرية وكورة أسفل انصنا إحدى عشرة قرية وكورة سيوط سبع وثلاثون قرية وكورة شطب ثمان قرى وكورة أعلى انصنا اثنا عشرة قرية وكورة قهقوه سبع وثلاثون قرية وكورة أخميم والدوير ثلاث وستون قرية وكورة السباة والواحات ثلاث وستون قرية سوى الكفور وكورة هو عشرون قرية وكورة فاو ثمان قرى وكورة قنا سبع قرى وكورة دندرة عشر قرى وكورة قفط ثنتان وعشرون قرية وكورة ~~ال~~لاقصر خمس قرى وكورة أسنا خمس قرى وكورة أرمنت سبع قرى وكورة أسوان سبع قرى لجميع قرى الصعيد ألف وثلاث وأربعون قرية سوى المنى والكفور في ثلاثين كورة * كورة أسفل الأرض الحوف الشرقي خمس وستون قرية كورة أثريب مائة وثمان قرى سوى المنى والكفور كورة بنو سبع وثمانون قرية سوى المنى والكفور كورة نما مائة وخمسون قرية

سوى المنى والكفور كورة بسطة تسع وثلاثون قرية كورة طرابسة ثمان وعشرون قرية
 منها السدير والهامة وفاقوس كورة هريط ثمان عشرة قرية سوى المنى والكفور كورة صا
 وابيل ست وأربعون قرية منها سنهور والفرما والعريش فجميع قرى الحوف الشرقي خمسمائة
 وتسع وعشرون قرية سوى المنى فى سبع كور بطن الريف كورتا دميس ومنوف مائة وأربع
 قرى سوى المنى والكفور كورة تاطورة منوف اثنتان وسبعون قرية سوى المنى والكفور
 كورة سخا مائة وخمس عشرة قرية كورة بيده والافراخون ثلاث وعشرون قرية سوى
 المنى والكفور كورة البشرود أربع وعشرون قرية كورة نفر اثنتا عشرة قرية سوى المنى
 كورة ببا وبوصير ثمان وثمانون قرية سوى المنى والكفور كورة سمودمائة وثمان وعشرون
 قرية سوى المنى والكفور كورة نوسا احدى وعشرون قرية سوى المنى كورة الاوسية
 أربعون قرية سوى المنى كورة التجوم أربعون قرية سوى المنى تنيس ودمياط ثلاث عشرة
 قرية سوى المنى وهى شى كثير * الاسكندرية الحوف الغربي كورة صا ثلاث وسبعون
 قرية سوى المنى والكفور كورة شباس اثنان وعشرون قرية سوى المنى والكفور كورة
 اليدقون ثلاث وأربعون قرية سوى المنى والكفور حيز اليدقون تسع وعشرون قرية
 سوى المنى والكفور الشراك والقرى كورة ترنوط ثمان قرى كورة خربتا اثنان وستون
 قرية سوى المنى والكفور كورة قرطسا اثنان وعشرون قرية سوى المنى والكفور كورتا
 مصيل والمليدس تسع وأربعون قرية سوى المنى كورتا احنور ورشيد سبع عشرة قرية
 البحيرا والخص بالاسكندرية والسكرومات والبعل ومربوط ومدينة الاسكندرية ولوية
 ومراقية مائة وأربع وعشرون قرية سوى المنى فالخوف الغربي أربع مائة وتسع وأربعون
 قرية سوى المنى فى ثلاث عشرة كورة قال المسيحي فى تاريخه تصير قرى مصر أسفل الارض
 الفأ وأربعمائة وتسعاً وثلاثين قرية ويكون جميع ذلك بالصعيد وأسفل الارض ألفين وثلاثمائة
 وخمساً وتسعين قرية * وقال القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاى أرض مصر قسمين
 فمن ذلك صعيدها وهو مايلي مهب الجنوب منها وأسفل أرضها وهو مايلي مهب الشمال منها
 فقسم الصعيد على ثمان وعشرين كورة فمن ذلك كورة الفيوم كلها وكورتا منف ووسيم
 وكورة الشرقية وكورتا دلاص وأبو صير وكورة اهناص وكورتا القشن والهنسا وكورة طحا
 وحيز سنوده وكورة بويط وكورتا الاشمونين وأسفل انصا وأعلاها وشطب قوص قام
 وكورة سيوط وكورة قهقوه وكورتا اخيم والدير وابشاية وكورة هو وأقنا وفاوودندرة
 وكورة فقط والاقصر وكورة اسنا وأرمنت وكورة اسوان فهذه كور الصعيد ومن ذلك
 كور أسفل الارض وهى خمس وعشرون كورة وفى نسخة ثلاث وثلاثون كورة وفى نسخة
 ثمان وثلاثون كورة فمن ذلك كور الحوف الشرقي كورتا اريب وعين شمس وكورتا بني

ونمى وكورتا بسطه وطرابية وكورة هريبط وكورة صا وابليل وكورة الفرما والعريش
والجفار ومن ذلك كور بطن الريف من أسفل الارض كورة ببا وريصير وكورتا سمند
وبوسا وكورتا الاوسية والنجوم وكورة دقهلة وكورتا تينس ودمياط ومنها كورة الجزيرة
من أسفل الارض وكورة دمسيس ومنوف وكورة طوه ومنوف وكورة سخا وييدة
والافراحون وكورة مقين وديصا وكورة البشرود * ومن ذلك كور الحواف الغربي كورة صا
وكورة شباس وكورة اليدقون وحيزها وكورة الخيس والشراك وكورة خربتا وكورة
قرطسا ومصيل والمليدس وكورتا اختا والبحيرة ورشيد وكورة الاسكندرية وكورة مريوط
وكورة لوييه ومراقية * ومن كور القبلة كرى الحجاز وهى كورة اله ور وفاران وكورة
راية والقلزم وكورة ايله وحيزها ومدین وحيزها والعونيد والخوراء وحيزها ثم كورة
بدا وشغب * وذكر من له معرفة بالخراج وأمر الديوان انه وقف على جريدة عتيقة بخط
ابن عيسى بقطر بن شغا السكاكيب القبطى المعروف بالبولس متولي خراج مصر للدولة
الاخشيدية يشتمل على ذكر كور مصر وقراها الى سنة خمس وأربعين وثلاثمائة ان قرى
مصر بالصعيدن وأسفل الارض ألفان وثلاثمائة وخمس وتسعون قرية منها بالصعيد تسعمائة
وست وخمسون قرية وبأسفل الارض ألف وأربعمائة وتسع وثلاثين قرية وهذا عددها
في الوقت الذي جردت فيه الجرايد المذكورة وقد تغيرت بعد ذلك بخراب ماخرب منها *
وقال ابن عبد الحكم عن الليث بن سعد رضى الله عنه لما ولي الوليد بن رفاعه مصر خرج
ليحصى عدة أهلها وينظر في تعديل الخراج عليهم فأقام في ذلك ستة أشهر بالصعيد حتى
بلغ اسوان ومعه جماعة من الكتاب والاعوان يكفونه ذلك بمجد وتشمير وثلاثة أشهر
بأسفل الارض وأحصوا من القرى أكثر من عشرة آلاف قرية فلم يحصر في أصغر
قرية منها أقل من خمسمائة جمجمة من الرجال الذين تفرض عليهم الجزية يكون جملة ذلك
خمس آلاف ألف رجل والذي استقر عليه الحال في دولة الناصر محمد بن قلاوون أن الوجه
القبلي ستة أعمال وهي من قوص وهو أجلها ومنه اسوان وغردق وقوله وعمل اخميم وعمل
سيوط وعمل منفلوط وعمل الاشمونين وبها الطحاوية وعمل الهنساوية الغربي وهو عبارة
عن قرى على غربي المنهى المار الى الفيوم وعمل الفيوم وعمل اطفيح وعمل الجيزة *
والوجه البحري ستة أعمال عمل البحيرا وهو متصل البر بالاسكندرية وبرقة وعمل الغربية
جزيرة واحدة يشتمل عليها ما بين البحرين وهما البحر المسار سكبها عند دمياط ويسمى
الشرقي والبحر الثاني مسكبها عند رشيد ويسمى الغربي والمنوية ومنها ابيار وجزيرة بني
نصر وعمل قليب وعمل الشرقية وعمل اسموم طناح ومنها الدقهلية والمرتاحية وهناك
بموقع نهر البرلس ونهر رشيد والمنصورة وفي هذا الوجه الاسكندرية ودمياط ولا عمل

لهما * وأما الواحات فنقطعة وراء الوجه القبلي مغاربة لم تعد في الولايات ولا في الاعمال ولا يحكم عليها والي السلطان وإنما يحكم عليها من قبل مقطعا والله تعالى أعلم
 * (ذكر ما كان يعمل في أراضي مصر من حفر الترع وعمارة الجسور ونحو ذلك من أجل ضبط ماء النيل وتصريفه في أوقاته) *

قال ابن عبد الحكم عن يزيد بن أبي حبيب وكانت فريضة مصر بحفر خليجها واقامة جسورها وبناء قناطرها وقطع جزائها مائة ألف وعشرين ألفاً معهم المساحي والطوريات والاداة يستقبون ذلك لا يدعونه شتاء ولا صيفا * وعن أبي قبيل قال زعم بعض مشايخ أهل مصر أن الذي كان يمل به بمصر على عهد ملوكها أنهم كانوا يقرون القرى في أيدي أهلها كل قرية بكرام معلوم لا ينقص عنهم الا في كل أربع سنين من أجل الظلمة وتنقل اليسار فاذا مضت أربع سنين نقض ذلك وعدل تعديلاً جديداً فيرفق بمن استحق الرفق ويزاد على من احتمل الزيادة ولا يحمل عليهم من ذلك ما يشق عليهم فاذا جبي الخراج وجمع كان للملك من ذلك الربع خالصاً لنفسه يصنع به ما يريد والربع الثاني لجسده ومن يتولى به على حربه وجباية خراجيه ودفع عدوه والربع الثالث في مصلحة الارض وما تحتاج اليه من جسورها وحفر - لمجها وبناء قناطرها والقوة للزراعين على زرعهم وعمارة أرضهم والربع الرابع يخرج . نه ربع ما يصيب كل قرية من خراجها فيدفن ذلك لثابتة تنزل أو جاتحة بأهل القرية فكانوا على ذلك والذي يدفن في كل قرية من خراجها هي كنوز فرعون التي يتحدث الناس بها أنها ستظهر فيطلبها الذين يتبعون الكنوز * وذكر أن بعض فراغة مضر جبي خراج مصر اثنين وسبعين ألف ألف دينار وأن من عمارته أنه أرسل وية قحح الى أسفل الارض والى الصعيد في وقت تنظيف الارض والترع من العمارة فلم يوجد لها أرض فارغة تزرع فيها وذكر أنه كان عند تنهى العمارة يرسل بأربع ويات برسيم الى الصعيد الى أسفل الارض والى أي كورة فإن وجد لها موضعاً خالياً فزرعت فيه ضرب عنق . احب الكورة وكانت مصر يومئذ عمارتها متصلة أربعين فرسخاً في مثلها والفرسخ ثلاثة أميال والبريد أربعة فراسخ فتكون عشرة برد في مثلها ولم تزل الفراغة تسلك هذا الملك الى أيام فرعون موسى فانه عمرها عدلاً وسماحة وتتابع الظلمة ثلاث سنين في أيامه نرك لاهل مصر خراج ثلاث سنين وأنفق على نفسه وعساكره من خزائنه ولما كان في السنة الرابعة أضعف الخراج واستمر فاعتاض ما أنفق * وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى عمرو بن العاص رضي الله عنه ان اسئل المقوقس عن مصر من أين تأتي عمارتها وخزاينها فسأله عمرو فقال له المقوقس عمارتها وخزاينها من وجوه خمسة أن يستخرج خراجها في ابان واحد عند فراغ أهلها من زروعهم ويرفع خراجها في ابان

واحد عند فراغ أهلها من عصر كروهم ويحفر في كل سنة خلجانها وتسد ترعها وجسورها ولا يقبل مطل أهلها يريد البني فاذا فعل هذا فيها عمرت وان عمل فيها بخلافه خربت * وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال لما استبطأ عمر بن الخطاب رضى الله عنه عمرو بن العاص رضى الله عنه في الخراج كتب اليه أن ابعت الي رجلا من أهل مصر فبعثت اليه رجلا قديما من القبطه فاستخبره عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن مصر وخراجها قبل الاسلام فقال يا أمير المؤمنين كان لا يؤخذ منها شيء الا بعد عمارتها وعاملها لا ينظر الى العمارة وانما يأخذ ماظهر له كأنه لا يريد بها الا لعمام واحد فعرف عمر رضى الله عنه ما قال وقبل من عمرو ما كان يعتذر به * وقال عمرو بن العاص رضى الله عنه للمقوقس أنت وليت مصر فم تكون عمارتها فقال بخصال أن تحفروا خلجانها وتسد جسورها وترعها ولا يؤخذ خراجها الا من غلتها ولا يقبل مطل أهلها ويوفي لهم بالشروط ويدير الارزاق على العمال لئلا يرتشوا ويرتفع عن أهلها المعاون والهدايا ليكون قوة لهم فبذلك تعمرو ويرجى خراجها * ويقال ان ملوك مصر من القبط كانوا يقسمون الخراج أربعة أقسام قسم لحاصة الملك وقسم لارزاق الجند وقسم لمصالح الارض وقسم يدخر لحادثة يحدث فينفق فيها * ولما ولي عبيدالله بن الحبيب خراج مصر هشام بن عبد الملك خرج بنفسه فمسح أرض مصر كلها عامرها واوغمرها بما ركبها النيل فوجد فيها مائة ألف ألف فدان والباقي استبحر وتلف واعتبر مدة الحرث فوجدها ستين يوما والحرث يحتر خمسين فدانا وكانت محتاجة الى أربع مائة ألف وثمانين ألف حرث

ذكر مقدار خراج مصر في الزمن الاول

قال ابن وصيف شاه وكان متفانس قسم خراج البلاد أربعا فربع للملك خاصة يعمل فيه ما يريد وربيع ينفق في مصالح الارض وما يحتاج اليه من عمل الجسور وحفر الخلل وتقوية أهلها على العمارة وربيع يدفن لحادثة تحدث أو نازلة تنزل وربيع للجند وكان خراج البلد ذلك الوقت مائة ألف ألف وثلاثة آلاف ألف دينار وقسمها على مائة وثلاث كور بعدة الآلاف ويقال ان كل دينار عشرة مثاقيل من مثاقيلنا الاسلامية وهي اليوم خمس وثمانون كورة أسفل الارض خمس وأربعون كورة والصعيد أربعون كورة وفي كل كورة كاهن يديرها وصاحب حرب وارفع مال البلد على يد ندارس بن صا مائة ألف ألف دينار وخمسين ألف ألف دينار وفي أيام كلكن بن خربتيا بن ماليق بن ندارس مائة ألف ألف دينار وبضعة عشر ألف ألف دينار ولما زالت دولة القبط الاولى من مصر وملكها العمالقة احتل أمرها وكان فرعون الاول يجيها تسعين ألف ألف دينار يخرج من ذلك عشرة آلاف ألف دينار لمصالح البلد وعشرة آلاف ألف دينار لمصالح الناس من أولاد الملوك وأهل التعفف وعشرة آلاف ألف دينار لاولياء الامر والجند والكتاب وعشرة آلاف ألف دينار

لمصالح فرعون ويكتزون لفرعون خمسين ألف ألف دينار* وبلغ خراج مصر في أيام
الريان بن الوليد وهو فرعون يوسف عليه السلام سبعة وتسعين ألف ألف دينار فاحب
أن يثمه مائة ألف ألف دينار فامر بوجوه العمارات واصلاح جسور البلد والزيادة في
استنباط الارض حتى بلغ ذلك وزاد عليه* وقال ابن دحية وجيبت مصر في أيام القراعنة
فبلغت تسعين ألف ألف دينار بالدينار الفرعوني وهو ثلاثة مثاقيل من مثقالنا المعروف
الآن بمصر الذي هو أربعة وعشرون قيراطا كل قيراط ثلاث حبات من قمح فيكون
بحساب ذلك مائتي ألف ألف وسبعين ألف ألف دينار مصرية وذكر الشريف الحراني
أنه وجد في بعض البرابي بالصعيد مكتوبا باللغة الصعيدية مما نقل بالعربية مبلغ ما كان يستخرج
لفرعون يوسف عليه السلام وهو الريان بن الوليد من أموال مصر بحق الخراج مما يوجه
الخراج وسائر وجوه الجبايات لسنة واحدة على العدل والانصاف والرسوم الجارية من غير
تأول ولا اصطهاد ولا مشاحة على عظيم فضل كان في يد المؤدي لرسمه وبعد وضع ما يجب
وضعه لحوادث الزمان نظرا للمسلمين وتقوية لحاظم من العين أربعة وعشرون ألف ألف
دينار وأربعمائة ألف دينار وذكر ما فيه كما في خبر الحسن بن علي الاسدي* وقال الحسن
ابن علي الاسدي أخبرني أبي قال وجدت في كتاب قبطي باللغة الصعيدية مما نقل الى اللغة
العربية أن مبلغ ما كان يستخرج لفرعون مصر بحق الخراج الذي يوجد وسائر وجوه
الجبايات لسنة كاملة على العدل والانصاف والرسوم الجارية من غير اصطهاد ولا مناقشة على
عظيم فضل كان في يد المؤدي لرسمه وبعد وضع ما يجب وضعه لحوادث الزمان رفقا بالمعاملين
وتقوية لهم من العين أربعة وعشرين ألف ألف دينار وأربعمائة ألف دينار من جهات
مصر وذلك ما يصرف في عمارة البلاد لحفر الخللج واتقان الجسور وسد الترع واصلاح
السبل والساسة ثم في تقوية من يحتاج التقوية من غير رجوع عليه بهالاقامة العوامل والتوسعة
في البدار وغير ذلك وثمان الآلات وأجرة من يستعان به من الاجراء لحمل الاصناف
وسائر نفقات تطريق أراضيهم من العين ثمانمائة ألف دينار ولما يصرف في أرزاق الاولياء
الموسومين بالسلاح وحملته والغلمان وأشياءهم مع ألف كاتب موسومين بالدواوين سوى
أتباعهم من الخزان ومن يجري مجراهم وعدتهم مائة ألف وأحد عشر ألف رجل من
العين ثمانية آلاف ألف دينار ولما يصرف في الارامل والايتام فرضا لهم من بيت المال
وان كانوا غير محتاجين اليه حتى لا تخلو آماهم من يرصل اليهم من العين أربعمائة ألف
دينار ولما يصرف في كهنة برايهيم وأئمتهم وسائر بيوت صلواتهم من العين مائة ألف دينار
ولما يصرف في الصدقات وينادي في الناس برئت الذمة من رجل كشف وجهه لفاقة
فليحضر فلا يرد عند ذلك أحد والامناء جلوس فاذا روى رجل لم تجر عادته بذلك أفرد

بعد قبض ما يقبضه حتى اذا فرق المال واجتمع من هذه الطائفة عدة دخل أمناء فرعون اليه وهنؤه بتفرقة المال ودعوا له بالبقاء والسلامة وأنهموا حال الطائفة المذكورة فيأمر بتغيير شعنها بالحمام واللباس ويمد الاسمطة ويأكلون ويشربون ثم يستعلم من كل واحد سبب فاقتة فان كان من آفة الزمان رد عليه مثل ما كان وأكثر وان كان عن سوء رأى وضعف تدبير ضمه الى من يشرف عليه ويقوم بالامر الذي يصاح له من العين مائتا ألف دينار فذلك جملة مائتين وفصل في هذه الجهات المذكورة من العين تسعة آلاف ألف وثمانمائة ألف دينار ويحصل بعد ذلك ما يتسلمه فرعون في بيوت أمواله عدة لنواب الدهر وحادثات الزمان من العين أربعة عشر ألف ألف دينار وستمائة ألف دينار وقيل لبعضهم متى عقدت مصر تسعين ألف ألف دينار قال في الوقت الذي أرسل فرعون بوبية قمح الى أسفل الارض والى الصعيد فلم يجد لها موضعا تبذر فيه لشغل جميع البلاد بالعمارة * (ذكر ما عمله المسلمون عند فتح مصر في الخراج وما كان من أمر مصر في ذلك مع القبط) *

قال زهير بن معاوية حدثنا سهيل عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم منعت العراق درهمها وقفيزها ومنعت الشام مدها ودينارها ومنعت مصر أردبها وعدتم من حيث بدأتم قال أبو عبيد قد أخبر صلى الله عليه وسلم بما لم يكن وهو في علم الله كائن فخرج لفظه على لفظ الماضي لانه ماض في علم الله وفي اعلامه بهذا قبل وقوعه ما دل على اثبات نبوته ودل على رضا من عمر رضى الله عنه ما وظفه على الكفرة من الخراج في الامصار * وفي تفسير المنع وجهان * أحدهما انه علم أنهم سيسلمون ويسقط عنهم ماوظف عليهم فصاروا مانعين بإسلامهم ماوظف عليهم يدل عليه قوله وعدتم من حيث بدأتم * وقيل معناه أنهم يرجعون عن الطاعة والاول أحسن * وقال ابن عبد الحكم عن عبد الله بن لهيعة لما فتح عمرو بن العاص مصر صولح على جميع من فيها من الرجال من القبط ممن راهق الحلم الى ما فوق ذلك ليس فيهم امرأة ولا صبي ولا شيخ على دينارين دينارين فأحصوا ذلك فبلغت عدتهم ثمانية آلاف الف وعن هشام بن أبي رقية اللخمي أن عمرو بن العاص لما فتح مصر قال لقبط مصر ان من كتمني كنزا عنده فقدرت عليه قتلتته وان قبطيا من أرض الصعيد يقال له بطرس ذكر لعمر بن الخطاب أن عنده كنز فأرسل اليه فسأله فأنكر وجحد فحبسه في السجن وعمرو يسأل عنه هل تسمعونونه يسأل عن أحد فقالوا لا انما سمعناه يسأل عن راهب في الطور فأرسل عمرو الى بطرس فنزع خاتمه ثم كتب الى ذلك الراهب ان ابعت الى بما عندك وختمه بخاتمه فجاء الرسول بقلعة شامية مختومة بالرخاص ففتحها عمرو فوجد فيها صحيفة مكتوب فيها ما لکم تحت الفسقية الكبيرة فأرسل عمرو الى الفسقية فحبس عنها الماء ثم قلع البلاط الذي تحتها فوجد فيها اثنين وخمسين أردبا ذهبيا مصريا

مضروبة فضرب عمرو رأسه عند باب المسجد فأخرج القبط كمئوزهم شققا أن يبغي على أحد منهم فيقتل كما قتل بطرس * وعن يزيد بن أبي حبيب أن عمرو بن العاص استحل مل قبطي من قبط مصر لانه استقر عنده أنه يظهر الروم على عورات المسلمين ويكتب اليهم بذلك فاستخرج منه بضعا وخمسين أردبا دنانير قال ابن عبد الحكم وكان عمرو بن العاص رضي الله عنه يبعث الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه الجزية بعد حبس ما كان يحتاج اليه وكانت فريضة مصر لحفر خراجها وأقامة جسورها وبناء قناطرها وقطع جزائها مائة ألف وعشرين ألفا معهم الطور والمساحي والاداة يعقبون ذلك لا يدعون ذلك صيفا ولا شتاء ثم كتب اليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان تحتم في رقاب أهل الذمة بالرصاص ويظهروا مناطقهم ويجزوا نواصيهم ويركبوا على الاكف عرضا ولا يضربوا الجزية الا على من جرت عليه الموسى ولا يضربوا على النساء ولا على الولدان ولا تدعهم يتشبهون بالمسلمين في ملبوسهم * وعن يزيد بن أسلم أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب الى أمراء الاجناد أن لا يضربوا الجزية الا على من جرت عليه الموسى وجزيتهم أربعون درهما على أهل الورق وأربعة دنانير على أهل الذهب وعليهم من أرزاق المسامين من الخطة والزيت مدان من حنطة وثلاثة أقساط من زيت في كل شهر لكل انسان من أهل الشام والجزيرة وودك وعسل لأدري كم هو ومن كان من أهل مصر فأردب في كل شهر لكل انسان ولا أدري كم الودك والعسل وعائهم من البز السكسوة التي يكسوها أمير المؤمنين الناس ويضيقون من نزل بهم من أهل الاسلام ثلاثة أيام وعلى أهل العراق خمسة عشر صاعا لكل انسان ولا أدري كم لهم من الودك وكان لا يضرب الجزية على النساء والصبيان وكان يحتم في أعناق رجال أهل الجزيرة وكانت وبة عمر في ولاية عمرو بن العاص ستة أمداد قال وكان عمرو بن العاص لما استوثق له الامر له أقر قبطها على جباية الروم فكانت جبايتهم بالتمديد اذا عمرت القرية وكثر أهلها زيد عليهم وأن قل أهلها وخربت نقصوا فيجتمع عرافو كل قرية وأمراؤها ورؤساء أهلها فيتناظرون في العمارة والخراب حتى اذا أقرؤا من القسم بالزيادة انصرفوا بتلك القسمة الى الكور ثم اجتمعوا هم ورؤساء القرى فوزعوا ذلك على احتمال القرى وسعة المزارع ثم يجتمع كل قرية بقسمهم فيجمعون قسمهم وخراج كل قرية وما فيها من الارض العامرة فيبتدئون ويخرجون من الارض فدادين لسكنائسهم وحمايتهم ومعدياتهم من جملة الارض ثم يخرج منها عدد الضيافة للمسلمين ونزول السلطان فاذا فرغوا نظروا لما في كل قرية من الصناعات والاحجاء فقسموها عليهم بقدر احتمالهم فان كانت فيهم جالية قسموا عليها بقدر احتمالها وقلما كانت تكون الا للرجل الشاب أو المتزوج ثم ينظرون ما بقي من الخراج فيقسمونه بينهم على عدد الارض ثم يقسمون ذلك بين من يريد الزرع منهم على قدر طاقتهم

فان عجز أحد منهم وشكا ضعفا عن زرع أرضه وزعوا ما عجز عنه على ذوى الاحتمال وان كان منهم من يريد الزيادة أعطى ما عجز عنه أهل الضعف فان تشاحوا قسموا ذلك على عدتهم وكانت قسمتهم على قراريط الدنانير أربعة وعشرين قيراطا يسمون القيراط على ذلك ولذلك روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انكم ستفتحون أراضي كرفها القيراط فاستوصوا بأهلها خيرا وجعل لكل فدان عليهم نصف أردب قح وويثين من شعير الا القرظ فلم يكن عليه ضريبة والوثبة ستة أمداد وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يأخذ ممن صالحه من المعاهدين ماسمى على نفسه لا يوضع من ذلك شيئا ولا يزيد عليه ومن نزل منهم على الجزية ولم يسم شيئا يؤديه نظر عمر في أمره فاذا احتاجوا خفف عنهم وان استغنوا زاد عليهم بقدر استغنائهم * وقال هشام بن أبي رقية اللخمي قدم صاحب أختا على عمرو بن العاص رضى الله عنه فقال له أخبرنا ما على أحدنا من الجزية فنصير لها فقال عمرو وهو يشير الى ركن كنيسة لو أعطيتني من الارض الى السقف ما أخبرتك ما عليك انما أتم خزائننا ان كثر علينا كثرنا عليكم وان خفف عنا خففنا عنكم ومن ذهب الى هذا الحديث ذهب الى أن مصر فتحت عنوة * وعن يزيد بن أبي حبيب قال قال عمر بن عبد العزيز أيما ذمي أسلم فان اسلامه يحرز له نفسه وماله وما كان من أرض فاتها من في الله على المسلمين وأيما قوم صالحوا على جزية يعطونها فن أـلم منهم كانت داره وأرضه لبقيتهم * وقال الليث كذب الى يحيى بن سعيد أن مابع القبط في جزيتهم وما يؤخذون به من الحق الذي عليهم من عبد أو وليدة أو بعير أو بقرة أو دابة فان ذلك جائز عليهم فن ابتاعه منهم فهو غير مردود عليهم ان أيسروا وما أكرؤا من أرضهم فجائز كراؤه الا أن يكون يضر بالجزية التي عليهم ففعل الارض أن ترد عليهم ان أضرت بجزيتهم وان كان فضلا بعد الجزية فانا نرى كراءها جائزا لمن يكرأها منهم قال يحيى فنحن نقول الجزية جزيتان جزية على رؤس الرجال وجزية جملة تكون على أهل القرية يؤخذ بها أهل القرية فن هلك من أهل القرية التي عليهم جزية سماة على القرية ليست على رؤس الرجال فانا نرى أن من هلك من أهل القرية ممن لا ولده ولا وارث ان أرضه ترجع الى قريته في جملة ما عليهم من الجزية ومن هلك من جزيته على رؤس الرجال ولم يدع وارثا فان أرضه للمسلمين وقال الليث عن عمر بن عبد العزيز الجزية على الرؤس وليست على الارضين يريد أهل الذمة * وكتب عمر بن عبد العزيز الى حيان بن شريح أن يجعل جزية موتى القبط على أحيائهم وهذا يدل على أن عمر كان يرى أن أرض مصر فتحت عنوة وان الجزية انما هي على القرى فمن مات من أهل القرى كانت تلك الجزية ثابتة عليهم وان موت من مات منهم لا يضع عنهم من الجزية شيئا قال ويحتمل أن تكون مصر فتحت بصلح فذلك الصلح ثابت على من بقى

منهم وأن موت من مات منهم لا يضع عنهم مما صالحوا عليه شيئاً * قال الليث وضع عمر بن عبد العزيز الجزية على من أسلم من أهل الذمة من أهل مصر وألحق في الديوان صلح من أسلم منهم في عشائر من أسلموا على يديه وكانت تؤخذ قبل ذلك من أسلم وأول من أخذ الجزية من أسلم من أهل الذمة الحجاج بن يوسف ثم كتب عبد الملك بن مروان الى عبد العزيز بن مروان أن يضع الجزية على من أسلم من أهل الذمة فكلّمه ابن حنبل في ذلك فقال أعيدك الله أيها الأمير أن تكون أول من سن ذلك بمصر فوالله أن أهل الذمة ليتحملون جزية من تهرب منهم فكيف تضعها على من أسلم منهم فتركهم عند ذلك * وكتب عمر بن عبد العزيز الى حيان بن شريح أن تضع الجزية عن أسلم من أهل الذمة فان الله تبارك وتعالى قال فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم وقال قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين آتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون * وكتب حيان بن شريح الى عمر بن عبد العزيز أما بعد فان الاسلام قد أضربا بالجزية حتى سلفت من الحارث بن ثابتة عشرين ألف دينار أنعمت بها عطاء أهل الديوان فان رأى أمير المؤمنين ان يأمر بقضائها فعل * فكتب اليه عمر أما بعد فقد بلغني كتابك وقد وليتك جنود مصر وأنا عارف بضعفك وقد أمرت رسولي بضربك على رأسك عشرين سوطاً فضع الجزية عن من أسلم قبض الله رأيك فان الله انما بعث محمداً صلى الله عليه وسلم هادياً ولم يبعثه جانياً ولعمري لعمري أشقى من أن يدخل الناس كلهم الاسلام على يديه قال ولما استبطأ عمر بن الخطاب رضى الله عنه الخراج من قبل عمرو بن العاص كتب اليه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى عمرو بن العاص سلام الله عليك فاني أحمديك الله الذي لا اله الا هو أما بعد فاني فكرت في أمرك والذي انت عليه فاذا أرضك أرض واسعة عريضة رفيعة وقد أعطى الله أهلها عدداً وجلبداً وقوة في بر وبحر وأما قد عاجلها الفراغة وعملوا فيها عملاً محكماً مع شدة عتوهم وكفرهم فعجبت من ذلك وأعجب مما عجبت أنها لا تؤدى نصف ما كانت تؤديه من الخراج قبل ذلك على غير خطوط ولا جذب ولقد أكرت في مكاتبتك في الذي على أرضك من الخراج وظننت أن ذلك سيأتينا على غير نزر ورجوت أن تفيق فترفع الى ذلك فاذا أنت تأتيني بمعاريض تعابها لا توافق الذي في نفسي لست قابلاً منك دون الذي كانت تؤخذ به من الخراج قبل ذلك ولست أدري مع ذلك ما الذي تفرك من كتابي وقبضك فلئن كنت مجرباً كافياً صحيحاً أن البراءة لنافعة وأن كنت مضيقاً نطقاً ان الامر لعل غير ما تحدث به نفسك وقد تركت أن أبتلى ذلك منك في العام الماضي رجاء أن تفيق فترفع الى ذلك وقد علمت أنه لم يمتنع من ذلك

الا أن عمالك عمال السوء وما توالس عليك وتلفف اتخذوك كهفا وعندى باذن الله دواء فيه شفاء عما أسألك فيه فلا تجزع أبا عبد الله أن يؤخذ منك الحق وتعطاء فان النهر يخرج الدر والحق أبلج ودعني وما عنه تلجلج فانه قد برح الخفاء والسلام * فكتب اليه عمرو بن العاص بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله عمر أمير المؤمنين من عمرو بن العاص سلام الله عليك فإني أحمد الله الذي لا اله الا هو أما بعد فقد بلغني كتابك أمير المؤمنين في الذي استبطأني فيه من الخراج والذي ذكر فيها من عمل الفراغة قبلي واعجابه من خراجها على أيديهم ونقص ذلك منها مذ كان الاسلام ولعمري للخراج يومئذ أوفر وأكثر والارض أعمر لانهم كانوا على كفرهم وعقوهم أرغب في عمارة أرضهم منا مذ كان الاسلام وذكرت أن النهر يخرج الدر فلبثها حلبا قطع درها وأكثرت في كتابك وأثبت وعرضت وترت وعلمت أن ذلك عن شيء تخفيه على غير خبر فجت لعمري بالمقطعات المقدعات ولقد كان لك فيه من الصواب من القول رصين صارم بليغ صادق ولقد علمنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولما بعده فكننا نحمد الله مؤدين لاماناتنا حافطين لما عظم الله من حق أئمتنا نزي غير ذلك قبيحا والعمل به شينا فتعرف ذلك لنا وتصدق فيه قلبنا معاذ الله من تلك الطعم ومن شر الشيم والاجترأ على كل مأثم فأمص عمك فان الله قد نزهني عن تلك العلم الدنية والرغبة فيها بعد كتابك الذي لم تسبق فيه عرضا ولم تكرم فيه أخا والله يا ابن الخطاب لانا حين يراد ذلك مني أشد غضبا لنفسي ولها انزاهها واكراما وما علمت من عمل أرى عليه فيه متعلقا ولسكني حفظت ما لم تحفظ ولو كنت من يهود يثرب ما زدت يفر الله لك ولنا وسكت عن أشياء كنت بها عالما وكان اللسان بها مني ذلولا ولاكن الله عظم من حقتك ما لا يحهل * فكتب اليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه من عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص سلام عليك فإني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو أما بعد فإني قد عجيت من كثرة كتبي اليك في ابطائك بالخراج وكتابك الى بنيات الطرق وقد علمت أنني لست أرضي منك الا بالحق الين ولم أقدمك الى مصر أجعلها لك طعمة ولا لقومك ولسكني وجهتك لما رجوت من توفيرك الخراج وحسن سياستك فاذا أتاك كتابي هذا فاحمل الخراج فانما هو في المسلمين وعندى من قد تعلم قوم محصورون والسلام * فكتب اليه عمرو بن العاص بسم الله الرحمن الرحيم لعمري بن الخطاب من عمرو بن العاص سلام عليك فإني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو أما بعد فقد أتاني كتاب أمير المؤمنين يستبطنني في الخراج ويزعم أنني أحيى عن الحق وأنك عن الطريق واني والله ما أرغب عن صالح ما تعلم ولكن أهل الارض استنظروني الى أن تترك غلهم فنظرت للمسلمين فكان الرفق بهم خيرا من أن نخرق بهم فيصيروا الى بيع ما لا غنى بهم عنه والسلام *

وقال الميث بن سعد رضي الله عنه جياها عمرو بن العاص رضي الله عنه اثني عشر ألف ألف دينار وجياها المقوقس قبله لسنة عشرين ألف ألف دينار فعند ذلك كتب اليه عمر بن الخطاب بما كتب وجياها عبد الله بن سعد بن سرح حين استعمله عثمان رضي الله عنه على مصر أربعة عشر ألف ألف دينار فقال عثمان لعمر بن العاص بعد ما عزله عن مصر يا أبا عبد الله درت اللقحة بأكثر من درها الاول قال أضررتهم بولدها فقال ذلك ان لم يمت الفصيل * وكتب معاوية بن أبي سفيان الى وردان وكان قد ولي خراج مصر أن زد على كل رجل من القبط قيراطا فكتب اليه وردان كيف يزيد عليهم وفي عهدهم أن لا يزد عليهم شيء فعزله معاوية وقيل في عزل وردان غير ذلك وقال ابن لهيعة كان الديوان في زمان معاوية أربعين ألفا وكان منهم أربعة آلاف في مائتين مائتين فأعطى مسالمة بن مجاهد أهل الديوان عطياتهم وعطيات عيالهم وأرزاقهم ونوائب البسلاط من الجسور وأرزاق الكتبة وحملان القمح الى الحجاز ثم بعث الى معاوية بستمائة ألف دينار فضل * وقال ابن عفير فلما نهضت الابل لقيهم برح بن كسجل المهري فقال ما هذا ما بال مالنا يخرج من بلادنا ردوه فردوه حتي وقف على باب المسجد فقال أخذتم عطياتكم وأرزاقكم وعطاء عيالكم ونوائبكم قالوا نعم قال لا بارك الله لهم فيه خذوه فساووا به * وقال بعضهم جبي عمرو بن العاص عشرة آلاف دينار فكتب اليه عمر بن الخطاب بعجزه ويقول له جباية الروم عشرون ألف ألف دينار فلما كان العام المقبل جياها عمرو اثني عشر ألف ألف دينار * وقال ابن لهيعة جبي عمرو بن العاص الاسكندرية الجزية ستمائة ألف دينار لانه وجد فيها ثلاثمائة ألف من أهل الذمة فرض عليهم دينارين دينارين والله تعالى أعلم

ذكر انتقاض القبط وما كان من الاحداث في ذلك

خرج الامام أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال كيف أنتم اذا لم تجبوا دينارا ولا درهما قالوا وكيف نرى ذلك كأننا يا أبا هريرة قال أي والذي نفس أبي هريرة بيده عن قول الصادق المصدوق قالوا عم ذلك قال تنتهك ذمته وذمة رسوله فيشد الله عز وجل قلوب أهل الذمة فيمنعون مافي أيديهم قال أبو عمرو ومحمد بن يوسف الكندي في كتاب أمراء مصر وفي امرأة الحر بن يوسف أمير مصر كتب عبد الله بن الحبحاب صاحب خراجها الى هشام بن عبد الملك بأن أرض مصر تحتل الزيادة فزاد على كل دينار قيراطا فانتقصت كورة تنودي وقربيط وطرايه وعامة الحوف الشرقي فبعث اليهم الحر بأهل الديوان فخاربوهم فقتل منهم بشر كثير وذلك أول انتقاض القبط بمصر وكان انتقاضهم في سنة سبع ومائة وربط الحر بن يوسف بدمياط ثلاثة أشهر ثم انتقض أهل الصعيد وحارب القبط عمالهم في سنة احدى وعشرين ومائة فبعث اليهم حنظلة بن

صفوان أمير مصر أهل الديوان فقتلوا من القبط ناساً كثيراً وظفر بهم وخرج بجيش رجل من القبط في سمود فبعث اليه بعبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير أمير مصر فقتل بجيش في كثير من أصحابه وذلك في سنة اثنين وثلاثين ومائة وخالفت القبط برشيد فبعث اليهم مروان بن محمد الجعدي لما دخل مصر فاراً من بني العباس بعتان بن أبي قسعة فهزمهم وخرج القبط على يزيد بن حاتم بن قيصبة بن المهلب بن أبي صفرة أمير مصر بناحية سخا وناذبوا العمال وأخرجوهم وذلك في سنة خمسين ومائة وصاروا الى شبرى سنباط وانضم اليهم أهل الشروذ والاريسية والنجوم فأتى الخبر يزيد بن حاتم فعقد لنصر بن حبيب المهلبى على أهل الديوان ووجوه مصر فخرجوا اليهم فبهم القبط وقتلوا من المسلمين فألقى المسلمون النار في عسكر القبط وانصرف المسلمون الى مصر منهزمين وفي ولاية موسى بن علي بن رباح على مصر خرج القبط ببلمب في سنة ست وخمسين ومائة فخرج اليهم عسكر فهزمهم ثم انتقضوا مع من انتقض في سنة ست عشرة ومائتين فأوقع بهم الافشين في ناحية البشروذ حتى نزلوا على حكم أمير المؤمنين عبد الله المأمون فحكم فيهم بقتل الرجال وبيع النساء والاطفال فبيعوا وسبي أكثرهم ومن حينئذ أذل الله القبط في جميع أرض مصر وخذل شوكتهم فلم يقدر أحد منهم على الخروج ولا القيام على السلطان وغلب المسلمون على القرى فعاد القبط من بعد ذلك الى كيد الاسلام وأهله بأعمال الحيلة واستعمال المكر وتمكنوا من النكاية بوضع أيديهم في كتاب الخراج وكان للمسلمين فيهم وقائع يأتي خبرها في موضعه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى

*(ذكر نزول العرب بريف مصر واتخاذهم الزرع معاشاً

وما كان في نزولهم من الأحداث)*

قال الكندي وفي ولاية الوليد بن رفاعة الفهمى على مصر نقلت قيس الى مصر في سنة تسع ومائة ولم يكن بها أحد منهم قبل ذلك الا ما كان من فهم وعدوان فوفد ابن الحباج على هشام بن عبد الملك فسأله أن ينقل الى مصر منهم أبيتاً فأذن له هشام في لحاق ثلاثة آلاف منهم وتحويل ديوانهم الى مصر على أن لا ينزلهم بالفسطاط فعرض لهم ابن الحباج وقدم بهم فازلهم الحوف الشرق وفرقهم فيه ويقال ان عبيد الله بن الحباج لما ولاء هشام ابن عبد الملك مصر قال ما أرى لقيس فيها حظاً الا لناس من جديلة وهم فهم وعدوان فكتب الى هشام ان أمير المؤمنين أطال الله بقاءه قد شرف هذا الحي من قيس ونعشهم ورفع من ذكرهم واني قدمت مصر ولم أر لهم حظاً الا أبيتاً من فهم وفيها كور ليس فيها أحد وليس يضر بأهلها نزولهم معهم ولا يكسر ذلك خراجاً وهي بلييس فان رأى أمير المؤمنين أن ينزلها هذا الحي من قيس فليفعل فكتب اليه هشام انت وذالك فبعث الى البادية

فقدم عليه مائة أهل بيت من بني نضر ومائة أهل بيت من بني سليم فأئزهم بلبس وأمرهم
 بالزرع ونظر الى الصدقة من المشور فصرفها اليهم فاشترؤا ابلا فكانوا يحملون الطعام الى
 القلزم وكان الرجل يصيب في الشهر عشرة دنانير وأكثر ثم أمرهم باشتراء الخيول فجعل
 الرجل يشتري المهر فلا يمكث الا شهرا حتى يركب وليس عليهم مؤونة في علف ابلهم ولا
 خيلهم لجودة مرعاهم فلما بلغ ذلك عامة قومهم تحملوا اليهم فوصل اليهم خمسمائة أهل بيت
 من البادية فكانوا على مثل ذلك فأقاموا سنة فأتاهم نحو من خمسمائة أهل بيت فصار بلبس
 الف وخمسمائة أهل بيت من قيس حتى اذا كان زمن مروان بن محمد وولي الحويزة بن
 سهيل الباهلي مصر مات اليه قيس فمات مروان وبها ثلثة آلاف أهل بيت ثم توالدوا
 وقدام عليهم من البادية من قدم * وفي سنة ثمان وسبعين ومائة كشف اسحاق بن سليمان
 ابن علي بن عبد الله بن عباس أمير مصر أمر الخراج وزاد على المزارعين زيادة أجهفت
 بهم فخرج عليه أهل الحوف وعسكروا فبعث اليهم الحيوش وحاربهم فقتل من الحليش جماعة
 فكتب الى أمير المؤمنين هارون الرشيد يخبره بذلك فعمد لهرثة بن أعين في جيش عظيم
 وبعث به الى مصر فنزل الحوف وتلقاه أهله بالطاعة وأذعنوا بأداء الخراج فقبل هرثة منهم
 واستخرج خراجهم كله ثم ان أهل الحوف خرجوا على الليث بن الفضل البيودي أمير مصر
 وذلك انه بعث بمساح يسحون عليهم أراضي زرعهم فانتقصوا من القصبه أصابع فظلم
 الناس الى الليث فلم يسمع منهم فعسكروا وساروا الى الفسطاط فخرج اليهم الليث في أربعة
 آلاف من جنود مصر في شعبان سنة ست وثمانين ومائة فالتقى معهم في رمضان فانهزم عنه
 الجند في ثاني عشره وبقى في نحو المائتين فجعل يمين معه على أهل الحوف فهزمهم حتى بلغ
 بهم غيفة وكان التقاؤهم على أرض جب عميرة وبعث الليث الى الفسطاط بثمانين رأساً من
 رؤس القيسية ورجع الى الفسطاط وعاد أهل الحوف الى منازلهم ومنعوا الخراج فخرج
 ليث الى أمير المؤمنين هارون الرشيد في نحر من سنة سبع وثمانين ومائة وسأله أن يبعث معه
 بالحيوش فإنه لا يقدر على استخراج الخراج من أهل الحوف الا بجيش يبعث معه وكان
 محفوظ بن سليم بباب الرشيد فرقع محفوظ الى الرشيد يضمن له خراج مصر عن آخره
 بلا سوط ولا عصا فولاه الخراج وصرف ليث بن الفضل عن صلات مصر وخراجها وفي
 ولاية الحسين بن جميل امتنع أهل الحوف من أداء الخراج فبعث أمير المؤمنين هارون
 الرشيد يحيى بن معاذ في أمرهم فنزل بلبس في شوال سنة إحدى وتسعين ومائة وصرف
 الحسين بن جميل عن إمارة مصر في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وتسعين ومائة وولي
 مالك بن دهم نوفرج يحيى بن معاذ من أمر الحوف وقدام الفسطاط في جمادى الآخرة
 فورد عليه كتاب الرشيد يأمره بالخروج اليه فكتب الى أهل الحوف أن أقدموا حتى أوصي

بكم مالك بن دلهم وأدخل بينكم وبينه في أمر خراجكم فدخل كل رئيس منهم من اليازية والقيسية وقد أعد لهم القيود فأمر بالابواب فأخذت ثم دعا بالحديد فقيسدهم وتوجه بهم للنصف من رجب منها * وفي اماره عيسى بن يزيد الجلودى على مصر ظلم صالح بن شير زاد عامل الخراج الناس وزاد عليهم في خراجهم فانتقض أهل أسفل الارض وعسكروا فبعث عيسى بابنه محمد في جيش لقتالهم فنزل بلبليس وحاربهم ففجأ من المعركة بنفسه ولم ينج أحد من أصحابه وذلك في صفر سنة أربع عشرة ومائتين فنزل عيسى عن مصر وولى عمير بن الوليد التميمي فاستعد لحرب أهل الحوف وسار في جيوشه في ربيع الآخر فزحفوا عليه واقتتلوا فقتل من أهل الحوف جمع وانهمزوا فتبعهم عمير في طائفة من أصحابه فعطف عليه كمين لاهل الحوف فقتلوه لست عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر فولى عيسى الجلودى نائباً وسار اليهم فلقبهم بمئة مطر فكانت بينهم وقعة آلت الى أن انهزم منهم الى الفسطاط وأحرق ما نقل عليه من رحله وخذق على الفسطاط وذلك في رجب وقدم أبو اسحاق ابن الرشيد من العراق فنزل الحوف وأرسل الى أهله فامتعوا من طاعته فقاتلهم في شعبان ودخل وقد ظفر بعدة من وجوههم الى الفسطاط في شوال ثم عاد الى العراق في المحرم سنة خمس عشرة ومائتين بجمع من الاسارى فلما كان في جمادى الاولى سنة ست عشرة ومائتين انتقض أسفل الارض بأسره عرب البلاد وقبطنها وأخرجوا العمال وخلعوا الطاعة لسوء سيرة عمال السلطان فيهم فكانت بينهم وبين عساكر الفسطاط حروب امتدت الى أن قدم الخليفة عبد الله أمير المؤمنين المأمون الى مصر لعشر خلون من المحرم سنة سبع عشرة ومائتين فسخط على عيسى بن منصور الراقى وكان على اماره مصر وأمر بحل لوائه وأخذ به بلباس البياض عقوبة له وقال لم يكن هذا الحدث العظيم الا عن فعلك وفعل عمالك حملتم الناس مالا يطيقون وكنتمني الخبر حتى تفاقم الامر واضطرب البلد * ثم عقد المأمون على جيش بعث به الى الصعيد وأرسل هو الى سخا وبعث بالافشين الى القبط وقد خلعوا الطاعة فأوقع بهم في ناحية البشر ودو حصرهم حتى نزلوا على حكم أمير المؤمنين فحكم فيهم المأمون بقتل الرجال وبيع النساء والاطفال فسي أكثرهم وتبع المأمون كل من يومي اليه بخلاف فقتل ناسا كثيرا ورجع الى الفسطاط في صفر ومضى الى حلوان وعاد فارتحل لثمان عشرة خلت من صفر وكان مقامه بالفسطاط وسخا وحلوان تسعة وأربعين يوما وكان خراج مصر قد بلغ في أيام المأمون على حكم الانصاف في الجباية أربعة آلاف ألف دينار ومائتي ألف دينار وسبعة وخمسين ألف دينار * ويقال ان المأمون لما سار في قرى مصر كان يبني له بكل قرية دكة يضرب عليها سرا دقه والعساكر من حوله وكان يقيم في القرية يوما وليلة فر بقرية يقال لها طاء النمل فلم يدخلها لحقارتها فلما تجاوزها خرجت اليه

عجوز تعرف بمارية القبطية صاحبة القرية وهي تصيح فظنها المأمون مستغيثة مظلمة فوقف لها وكان لا يمشي أبداً الا والتراحة بين يديه من كل جنس فذكروا له ان القبطية قالت ياأمير المؤمنين نزلت في كل ضيعة وتجاوزت ضيعتي والقبط تعيرني بذلك وأنا أسأل أمير المؤمنين أن يشرفني بحلولة في ضيعتي لتكون لي الشرف ولعقبتي ولا تشمت الاعداء بي وبكت بكاء كثيراً فرق لها المأمون وثني عنان فرسه إليها ونزل فجاء ولدها الى صاحب المطبخ وسأله كم تحتاج من الغنم والدجاج والفراخ والسمك والتوابل والسكر والعسل والطيب والشمع والفاكهة والعلوفة وغير ذلك مما جرت به عادته فأحضر جميع ذلك اليه بزيادة وكان مع المأمون أخوه المصمم وابنه العباس وأولاد أخيه الوائق والمتوكل ومحيي بن أكرم والقاضي أحمد بن داود فأحضرت لكل واحد منهم ما يخصه على انفراده ولم تكل أحداً منهم ولا من القواد الى غيره ثم أحضرت للمأمون من فاخر الطعام ولذيذه شيئاً كثيراً حتى انه استعظم ذلك قلماً أصبح وقد عزم على الرحيل حضرت اليه ومعها عشر وصائف مع كل وصيفة طبق فلما عاينها المأمون من بعد قال لمن حضر قد جاءكم القبطية بهدية الريف السكاكح والصحناء والصبر فلما وضعت ذلك بين يديه اذا في كل طبق كيس من ذهب فاستحسن ذلك وأمرها باعادته فقالت لا والله لأفعل فتأمل الذهب فاذا به ضرب عام واحد كله فقال هذا والله أعجب ربما يعجز بيت مالنا عن مثل ذلك فقالت ياأمير المؤمنين لا تكسر قلوبنا ولا تحقر بنا فقال ان في بعض ماضعت لكفاية ولا نجب الثقل عليك فردى مالك بارك الله فيك فأخذت قطعة من الارض وقالت ياأمير المؤمنين هذا وأشارت الى الذهب من هذا وأشارت الى الطينة التي تناولتها من الارض ثم من عدلك ياأمير المؤمنين وعندى من هذا شيء كثير فأمر به فأخذ منها وأقطعها عدة ضياع وأعطاها من قريتها طاء النمل مائتي فدان بغير خراج وانصرف متعجباً من كبر مروءتها وسعة حالها

(ذكر قبالات أراضى مصر بعد مافشا الاسلام في القبط ونزول العرب في القرى

وما كان من ذلك الى الروك الاخير الناصرى)

وكان من خبر أراضى مصر بعد نزول العرب بأريافها واستيطانهم وأهاليهم فيها واتخاذهم الزرع معاشاً وكسباً واثقياد جمهور القبط الى اظهار الاسلام واختلاط أنسابهم بأنساب المسلمين لتكاحهم المسلمين أن متولى خراج مصر كان يجلس في جامع عمرو بن العاص من القسطنطين في الوقت الذى تنهى فيه قبالة الاراضى وقد اجتمع الناس من القرى والمدن فيقوم رجل ينادى على البلاد صفقات صفقات وكتاب الخراج بين يدي متولى الخراج يكتبون ماينتهى اليه مبالغ الكور والصفقات على من يتقبلها من الناس وكانت البلاد يتقبلها متقبلوها بالاربع سنين لاجل الظلم والاستبحار وغير ذلك فاذا انقضى هذا الامر

خرج كل من كان تقبل أرضا وضعها الى ناحيته فيتولى زراعتها واصلاح جسورها وسائر وجوه أعمالها بنفسه وأهله ومن يتنبه لذلك ويحمل ما عليه من الخراج في ابانه على أقساط ويحسب له من مبلغ قبائه وضمانه لتلك الاراضي ما يتفق على عمارة جسورها وسد ترعها وحفر خلجها بضريبة مقدرة في ديوان الخراج ويتأخر من مبلغ الخراج في كل سنة في جهات الضمان والمتقبلين يقال لما تأخر من مال الخراج البواقي وكانت الولاة تشدد في طلب ذلك مرة وتسامح به مرة فاذا مضى من الزمان ثلاثون سنة حولوا السنة ورا كوا البلاد كلها وعدلوها تعديلا جديدا فزيد فيما يحتمل الزيادة من غير ضمان البلاد ونقص فيما يحتاج الى التتقيص منها ولم يزل ذلك يعمل في جامع عمرو بن العاص الى أن عمر أحمد بن طولون جامعه وصار العسكر منزلا لامراء مصر فنقل الديوان الى جامع أحمد بن طولون ثم نقل أيام العزيز بالله نزار الى دار الوزير يعقوب بن كلس فلما مات الوزير نقل الديوان الى القصر بالقاهرة واستمر به مدة الدولة الفاطمية ثم نقل منه بعدها وسأتلو عليك من نباء ذلك ما يتضح به ما ذكرت قال ابن ذولاق في كتاب اخبار الماردانيين كتاب مضر وحضر أبو الحسن وهب بن اسماعيل مجلس أبي بكر بن علي المارداني في المسجد الجامع وهو يعقد الضياع فقال له أبو بكر الساعة أمر بالتداء على صفقة فخذها شركة بيني وبينك فنودي على صفقة فقال أبو بكر اعتدوها على أبي الحسن ففقدت عليه وتحملها فأفضلت له أربعين ألف دينار فاستنض عشرين ألف دينار ولم يدر ما يعمل فيها الى أن اجتمع مع أبي يعقوب كاتب أبي بكر ليتحدثا فقال أبو يعقوب رأيت الشيخ يعني أبا بكر المارداني في اليوم مشغول القلب أراد جمع مال وقد عجز عنه فقال له أبو الحسن عندي نحو عشرين ألف دينار فقال جئني بها فأنفذها اليه وجاءه خطه بالمبلغ فاتفق ان مضى أبو الحسن الى أبي بكر المارداني فقال له تلك الصفقة قد غلقت ماعلمها وفضل أربعون ألف دينار وقد حصل عندي عشرون ألف دينار حملتها الى أبي يعقوب وأرسلت في استخراج الباقي فأحمله فقال المارداني ما هذا العجز انما قلت لك تكون بيني وبينك خوفا من تفريطك وانما أردت حفظ المال عليك ثم أمر أبا يعقوب أن يرد عليه مادفعه اليه وقال لابي الحسن رد عليه خطه فقبض مادفعه الى أبي يعقوب وببلغ خراج مصر في السنة التي دخل فيها جوهر القائد ثلاثة آلاف ألف دينار وأربعمائة ألف دينار ونيفا وقال في كتاب سيرة المعز لدين الله معد ولست عشرة بقيت من المحرم سنة ثلاث وستين وثلاثمائة قلده المعز لدين الله الخراج ووجوه الاموال وغير ذلك يعقوب بن كلس وعسلوج بن الحسن وجلسا في هذا اليوم في دار الامارة في جامع ابن طولون للتداء على الضياع وسائر وجوه الاموال وحضر الناس للقبالات وطلبوا البقايا من الاموال مما على المالكين والمتقبلين والعمال وقال جامع سيرة الوزير الناصر لدين الحسن

ابن على البازوري وأراد أن يعرف قدر ارتفاع الدولة وما عليها من النفقات ليقايس بينهما فتقدم الى أصحاب الدواوين بأن يعمل كل منهم ارتفاع مايجري في ديوانه وما عليه من النفقات فعمل ذلك وسلمه الى متولى ديوان المجلس وهو زمام الدواوين فظم عليه عملا جامعا وأحضره اياه فرأى ارتفاع الدولة ألفي ألف دينار منها الشام ألف ألف دينار ونفقاته بأزاء ارتفاعه ومنها الريف وباقي الدولة ألف ألف دينار يقف منها عن معلول ومنكسر على موتى وهراب ومفقود مائتا ألف دينار ويبقى ثمانمائة ألف دينار يصرف منها للرجال عن واجباتهم وكساويهم ثلثمائة ألف دينار وعن ثمن غلة لثلاثين مائة ألف دينار وعن نفقات القصور مائتا ألف دينار وعن عمائر وما يقام للضيوف الواصلين من الملوك وغيرهم مائة ألف دينار ويبقى بعد ذلك مائة ألف دينار حاصلة يحملها كل سنة الى بيت المال المصون فحظي بذلك عند سلطانه وخف على قلبه قال وانتهى ارتفاع الارض السفلي الى مالا نسبة له من ارتفاعها الاول يعني بعد موت البازوري وحدث الفتن وهو قبل سنئ هذه الفتن يعني في أيام البازوري ستمائة ألف دينار كانت تحمل في دفعتين في السنة في مستهل رجب ثلاثمائة ألف دينار وفي مستهل المحرم ثلثمائة ألف دينار فاتضع الارتفاع وعظمت الواجبات وقال ابن ميسرة وأمر الافضل بن أمير الجيوش بعمل تقدير ارتفاع ديار مصر فجاء خمسة آلاف ألف دينار وكان متحصل الامراء ألف ألف اردب وقال الامير جمال الدين والملك موسى ابن المأمون البطائحي في تاريخه من حوادث سنة احدى وخمسمائة ثم رأى القائل أبو عبد الله محمد بن فائق البطائحي من اختلال أحوال الرجال العسكرية والمقطعين وتضررهم من كون اقطاعاتهم قد خس ارتفاعها وساءت أحوالهم لقلة المتحصل منها وان اقطاعات الامراء قد تضاعف ارتفاعها وازدادت عن غيرها وأن في كل ناحية من الفواضل للديوان جملة تجبيء بالعسف وبتردد الرسل من الديوان الشريف بسببها فخطب الافضل بن أمير الجيوش في أن يحل الاقطاعات جميعها ويروكها وعرفه ان المصلحة في ذلك تعود على المقطعين والديوان لان الديوان يحصل له من هذه الفواضل جملة يحصل بها بلاد مقورة فأجاب الى ذلك وحل جميع الاقطاعات وراكها وأخذ كل من الاقوياء والمميزين يتضررون ويذكرون أن لهم بساتين وأملاكا ومعاصر في نواحيهم فقال له من كان له ملك فهو باق عليه لا يدخل في الاقطاع وهو محكم ان شاء باعه وان شاء أجره فلما حلت الاقطاعات أمر الضعفاء من الاجناد أن يزايدوا فيها فوفقت الزيادة في اقطاعات الاقوياء الى أن انتهت الى مبلغ معلوم وكتبت السجلات بأنها باقية في أيديهم الى مدة ثلاثين سنة لا يقبل عليهم فيها زائد وأحضر الاقوياء وقال لهم ما تكرهون من الاقطاعات التي كانت يبسد الاجناد قالوا كثرة غيرها وقلة متحصلها وخرابها وقلة الساكن بها فقال لهم

ابدلوا في كل ناحية ما تحمله وتقوى رغبتكم فيه ولا تنظروا في العبرة الاولى فعند ذلك طابت نفوسهم وتزايدوا فيها الى أن بلغت الى الحد الذي رغب كل منهم فيه فأقطعوا به وكتب لهم السجلات على الحكم المتقدم فشملت المصلحة الفريقين وطابت نفوسهم وحصل للديوان بلاد مقورة بما كان مفرقا في الاقطاعات بما مبلغه خمسون ألف دينار * وقال في حوادث سنة خمس عشرة وخمسمائة وكان قد تقدم أمر الاجل المأمون بعمل حساب الدولة من الهلالى والحراجي وجعل نظمه على جملتين احدهما الى سنة عشر وخمسمائة الهلالية الحراجية والجملة الثانية الى آخر سنة خمس عشرة وخمسمائة هلالية وما يوافقها من الحراجية فعقدت على جملة كثيرة من العين والاصناف وشرحت بأسماء أربابها وتعين بلادها فلما أحضرت أمر بكتب سجل يتضمن المساحة بالبواقي الى آخر سنة عشر وخمسمائة ونسخته بعد التصدير ولما انتهى النيا حال المعاملين والضمماء والمتصرفين وما في جهاتهم من بقايا معاملاتهم أنعمنا بما تضمنه هذا السجل من المساحة قصداً في استخلاص ضامن طالت غفلته وخربت ذمته وانقاد عامل أجحف به من الديوان طلبته وتوفير الرغبة على عمارتها وجريها فيها على قديم عاداتها ولما كان ذلك من جميل الاحدوثة التي لم نسبق اليها ولا شاركنا ملك فيها اقتضت الحال ايرادها في هذا الكتاب وايداعها هذا الباب لما اطلعنا عليه مما انتهت اليه أحوال الضمماء والمعاملين بالمملكة من الاختلال وتجمد البقايا في جهاتهم والاموال عطفنا عليهم برأفة ورحمة وطالعنا المقام الاشرف النبوى بالتفصيل من أمورهم والجملة واستخرجنا الامر العالى بوضع ذلك في الحال وأنشأ السجلات الكريمة مقصورة على ذكر هذا الاحسان وتنفيذها الى جميع البلدان ليقرا على رؤس الاشهاد بسائر البلاد ومبلغ ما انتهت اليه هذه المساحة الى حين ختم هذا السجل من العين ألفا ألف وسبعمائة ألف وعشرون ألفا وسبعمائة وسبعة وستون ديناراً ونصف وثلاث وثلاثون وربع قيراط ومن الفضة النقرة أربعة دراهم ومن الورق سبعة وستون ألفاً وخمسة دراهم ونصف وسدس درهم ومن الغلة ثلاثة آلاف ألف وثمان مائة ألف وعشرة آلاف وثمان وتسعة وثلاثون أردبا وثمان ونصف سدس وثلاثي قيراط ومن العناب ربع أردب ومن ورق الصباغ ألفان وأربعمائة وثلاثة أرباب ونصف ومن زريعة الوسمة عشرة أرباب وربع ومن الصباغ ألف وأربعمائة وثمانون قطاراً ورطل ونصف ومن الفوة أربعمائة وسبعون رطلاً ومن الشب تسعمائة وثلاثة عشر قطاراً ونصف ومن الحديد خمسمائة رطل واحد وثلاثون رطلاً ومن الزفت ألف وثلثمائة وثلاثة أرباط وربع وسدس ومن القطران تسعة عشر رطلاً وثلاث ومن الثياب الحلبي ثلاثة أثواب ومن المئازر مائة متر صوف ومن الغرايل مائة وسبعون غربالا ومن الاغنام مائتا ألف وخمسة وثلاثون ألفاً وثلثمائة وخمسة رؤس

ومن البسر ثلثمائة وثلاثة عشر قطاراً وثمانية وثلاثون رطلاً ومن السجيل ثلثمائة ألف وخمسة وسبعون ألفاً وخمسمائة وخمسون باعاً ومن الجريد أربعمائة ألف وثمانية وثلاثون ألفاً وسبعمائة وثلاثة وخمسون جريدة ومن السلب ألف وأربعمائة وثلاثة وعشرون سلبة ومن الاطراف ستة آلاف وسبعمائة وثلاثة أطراف ومن الملح ألفان وسبعمائة وثلاثة وتسعون أردباً وثلاث ومن الاشنان أحد عشر أردباً ومن الرمان ألفاً حبة ومن العسل النحل خمسمائة وأحد وأربعون قطاراً وسدس ومن الشهد اثنان وثلاثون زيراً وقادوساً واحداً ومن الشمع أربعمائة وأربعون رطلاً ومن الحسلايا ثلاثة آلاف وأربعمائة وخليتان ومن عسل القصب مائة وثمانية وثلاثون قطاراً ومن الابقار اثنان وعشرون ألفاً ومائة وأربعة وستون رأساً ومن الدواب اربعة وسبعون رأساً ومن السمن الفان وتسعمائة وستة وتسعون مطراً وسدس ومن ومن الحين ثلثمائة وعشرون رطلاً ومن الصوف اربعة آلاف ومائة وثلاثة وعشرون جزءاً ومن الشعر ستة آلاف وخمسون رطلاً وربع ومن بيوت الشعر بيتان وفصل ذلك بجهاته ومعاملاته قال ولما انتهى الى المأمون ما يعتمد في الدواوين من قبول الزيادات وفسخ عقود الضمانات وانزعاجها من كابد فيها المشقة والتعب وتسليمها الى باذل الزيادة من غير كلفة ولا نصب انكر ذلك ومنع من ارتكابه ونهى عن الولوج في بابه وخرج امره بأعفاء الكافة اجمعين والضمضاء والمعاملين من قبول الزيادة فيما يتصرفون فيه ويستولون عليه ما داموا مغلقين وبأقساطهم قائمين وتضمن ذلك منشور قرئ في الجامعين الازهر بالقاهرة والعتيق بمصر ودیوانی المجلس والخاص الامر بين السعیدین ونسخته بعد التصدير * ولما انتهى الى حضرتنا ما يعتمد في الدواوين ويقصده جماعة من المتصرفين والمستخدمين من تضمين الابواب والرباع والبساتين والحمامات والقياسر والمساكن وغير ذلك من الضمانات لاراعين فيها ممن تستمر معاملته ولا تنكر طريقته فما هو الا أن محضر من يزيد عليه في ضمانه حتي قد نقض عليه حكم الضمان وقبل ما يبذل من الزيادة كلئامن كان وقبضت يد الضامن الاول عن التصرف ومكن الضامن الثاني من التصرف من غير رعاية للعقد على الضامن الاول ولا تجرز في فسخه الذي لا يبيحه الشرع ولا يتأول أنكرنا ذلك على معتمديه وذمنا من قصصنا عليه ومركبيه اذ كان للحق بجانب وعن مذهب الصواب ذاهباً وعرضنا ذلك بالمواقف المقدسة المطهرة ضاعف الله أنوارها وأعلى أبدأ منارها واستخرجنا الاوامر المطاعة في كتب هذا المنشور الى سائر الاعمال بأنه أى أحد من الناس ضمن ضماناً من باب أو ربع أو بستان أو ناحية أو كفر وكان لا قسطا ضمانه مؤدياً ولما يلزمه من ذلك مبدياً وللحق متبعا فان ضمانه باق في يده لا تقبل زيادة عليه مدة ضمانه على العقد المعقود عملاً بالواجب والنظام المحمود واتباعاً لما أمر الله تعالى به في كتابه

الجيد اذ يقول جيل من قائل (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) الى أن تنقضي مدة الضمان ويزول حكمها ويذهب وضعها ورسما حملا على قضية الواجب وسننها واعتماداً على حكم الشريعة التي ما ضل من اهتمدى بفرائضها وسننها. فأما من ضمن ضمانا ولم يقيم بما يجب عليه فيه وأصر على المدافعة والمغالطة التي لا يعتمد عليها الا كل ذميم الطباع سفيه فذلك الذي فسخ حكم ضمانه بنقضه الشرط المشروطة عليه وحكمه حكم من اذا زيد عليه في ضمانه نقل عنه وأخرج من يديه لانه الذي بدأ بالفسخ وأوجد السبيل اليه فليعتمد كافة أرباب الدواوين وجميع المتصرفين والمستخدمين العمل بما تضمنه هذا المنشور وامتنالك المأمور وحمل هؤلاء الضمنا والمعاملين على ما نص فيه والحذر من تجاوزه وتعيده بعد ثبوته في ديواني المجلس والخاص الامر بين السعيدين وبحيث يثبت مثله ان شاء الله تعالى قال ووصاته المسكينة من الوالى والمشارف ومن كان ندب بحبته لكشف الاراضى والسواقي ومساحتها متضمنة ما أظهره الكشف وأوضحته المساحة على من بيده السواقي وهم عدة كثيرة ومن جعلها ساقية مساحتها ثلثائة وستون فدانا تشتمل على النخل والسكرم وقصب السكر بمدينة اسنا خراجها في السنة عشرة دنانير وما يجرى في الاعمال هذا المجرى وانهم وضعوا يد الديوان على جميعها وطلبوا من أرباب السواقي ما يدل على ما بأيديهم فذكروا أنها انتقلت اليهم ولم يظهروا ما يدل عليها وقد سيروا ملاكها الى الباب تحت الخوطة ليخرج الامر بما يعتمد عليه في أمرهم وعند وصولهم أوقع الترسيم عليهم الى أن يقوموا بما يجب من الخراج عن هذه السواقي فان الاملاك بحملتها تقوم بما يجب عليها فوقف المذكورون للمأمون في يوم جلوسه للمظالم فأمر بحضورهم بين يديه وتقدم الى القاضي جلال الملك أبو الحجاج يوسف بن أبي أيوب المغربي وهو يومئذ قاضي القضاة لحاكتهم فجرى لهم معهم مفاوضة أوجبت الحق عليهم والزمهم بالقيام بما يستغرق أموالهم وأملأهم خصل من تضررهم ما أوجب العاطفة عليهم وأخذهم بالخراج من بعد وأن يضرب عما تقدم صفحاً وكتب منشور نسخته قد علم الكافة ما تراه من افاضة سحب العدل عليهم والاحسان والنظر في مصالح كل قاص منهم ودان وانا لا ندع ضرراً يتوجه الى أحد من الرعية الا حسماً ولا نعلم صلاحاً يعود نفعه عليه الا قوينا سببه ووصلناه حسب ما يتعين على رعاة الامم وعملنا بالواجب في البعيد والامم وسلوكنا لحجة الدولة الفاطمية خلد الله ملكها القويمة واستمراراً على قضايها وسجايها السكريمة ولما كننا نرى النظر في مصالح الرعايا أمراً واجباً ونصرف الى سياستهم عزماً ماضياً ورأياً ثاقباً كذلك نرى النظر في أمور الدواوين واستيفاء حقوقها المصروفة الى حماية البيضة والحمامة عن الدين وجهاد الكفرة والملاحدين ليكون مانراعيه وننظر فيه جاريأ على سنن الواجب محروساً من الخلل باذن الله من جميع الجوانب

ومن الله تستمد مواد التوفيق في الحل والعقد * ونسأله الارشاد الى سواء السبيل والقصد
وما توفيقنا الا بالله عليه نتوكل وهو حسبنا ونعم الوكيل * وكان القاضي الرشيد بن الزبير
أيام مشاركته الصعيد الاعلى قد طالع المجلس الافضل بحال أرباب الاملاك هناك وانهم قد
استضافوا الى أماكنهم من أملاك الدواوين أراضى اغتصبوها ومواقع مجاورة لأملاكهم
تعدوا عليها وخلطوها بها وحازوها ورسم له كشفها ونظم المشاريع بها وارتيابها للديوان
وان يعتمد في ذلك ما يوجب حكم العدل المثبت في كل قطر ومكان وبآخر ذلك سيرنا من
الباب من يكشف ذلك على حقيقته وانها على طيته فاعتمدوا ما أمروا به من الكشف في
هذه الاملاك ووردت المطالعة منهم بأنهم التمسوا ممن بيده ملك أوساقية ما يشهد بصحة ملكه
ومبلغ فدنه وذكر حدوده فلم يحضر أحد منهم كتاباً ولا أوضح جواباً وأصدروا الى الديوان
المشاريع بما كشفوه وأوضحوه فوجدوا التمدي فيه ظاهراً وباب الخيف والظلم غير متقاصر
والشرع يوجب وضع اليد على ما هذه حاله ومطالبة صاحبه بريعه واستقلاله لاسيما وليس
بيده كتاب يشهد بصحة الملك رأساً ولا يستند في ذلك الى حجة ادّخرها احترازاً عن
مجاهدة سبيله واحتراساً ولكن نحكم بما نراه من المصلحة للرعية والعدل الذي أفقنا مناره
وأحيينا معالمه وآثاره مع الرغبة في عمارة البلاد ومصالح أحوالها واستنباط الارضين الدائرة
وانشاء الغروس واقامه السواقي بها أمرنا بكتب هذا المنشور وتلاوته بأعمال الصعيد الاعلى
بإقرار جميع الاملاك والارضين والسواقي بأيدي أربابها الآن من غير ارتزاع شيء منها ولا
ارتجاعه وأن يقرر عليها من الخراج ما يجب تقريره ويشهد الديوان على أمثالهم بمثله احساناً
اليهم لم نزل نتابع مثله ونواليه وانعاماً ما برحنا نعيده عليهم ونبديه وقد أنعمنا وتجاوزنا عما
سلف ونهينا من يستأنف وسأحنا من خرج عن التعدي الى المؤلف وجربنا على سنننا
في العفو والمعروف وجعلناها توبة مقبولة من الجماعة الجانين ومن عاد من الكافة أجمعين
فلينتقم الله منه وطولب بمسئلفه وأمسه وبرئت الذمة من ماله ونفسه وتضاعفت عليه
الغرامة والعقوبة وسدت في وجهه أبواب الشفاعة والسلامة وقد فسحنا مع ذلك لكل
من يرغب في عمارة أرض حلفاء دائرة وادارة بئر مهجورة معطلة في أن يسلم اليه ذلك
ويقاس عليه ولا يؤخذ منه خراج الا في السنة الرابعة من تسليمه اياه وأن يكون المقرر على
كل فدان ما توجهه زراعته لمثله خراجاً مؤبداً وأمرأ مؤكداً فليعتمد ذلك النواب وحكام
البلاد ومن جرت العادة بحضوره عقد مجلس واحضار جميع أرباب الاملاك والسواقي
واشعارهم ماشملهم من هذا الاحسان الذي تجاوز آمالهم في اجابته الى ما كانوا يسألون فيه
وتقرير ما يجب على الاملاك المذكورة من الخراج على الوضع الذي مثلناه ويحيز الديوان
تقريره ويرضاه مع تضمين الاراضي الدائرة والآبار المعطلة لمن يرغب في ضمها ونظم

المشاريح بذلك واصدارها الى الديوان ليخضع فيه على حكم أمثالها بعد ثبوت هذا المنشور بحيث ثبت مثله قال ولما سرت هذه المصالح الى جميع أهل هذه الأعمال حصل الاجتهاد في تحصيل مال الديوان وعمارة البلاد * واعلم انه لم يكن في الدولة الفاطمية بديار مصر ولا فيما مضى قبلها من دول أمراء مصر لعساكر البلاد اقطاعات بمعنى ما عليه الحال اليوم في اجناد الدولة التركية وانما كانت البلاد تضمن بقبالات معروفة لمن شاء من الامراء والاجناد والوجوه وأهل النواحي من العرب والقبط وغيرهم لا يعرف هذه الابدء التي يقال لها اليوم الفلاحة ويسمى المزارع المقيم بالبلد فلاحا قرارا فيصير عبدا قنا لمن أقطع تلك الناحية الا انه لا يرجو قط ان يباع ولا ان يعتق بل هو قن ما بقي ومن ولد له كذلك بل كان من اختار زراعة أرض يقبلها كما تقدم وحمل ما عليه ليت المال فاذا صار مال الخراج بالديوان أنفق في طوائف العسكر من الخرائن وكان مع ذلك اذا انحط ماء النيل عن الاراضي وتعلقت نواحي مصر باصناف الزراعات ندب من الحضرة من فيه نباهة وخرج معه عدول يوثق بهم وكانت لهم معرفة بعلم الخراج وكثيراً ما كان هذا الكتاب من النصارى الاقباط ويخرج الى كل ناحية من ذكرنا فيحررون مساحة ما شمله الري من الاراضي مما اعله بار أو شرق ويكتب بذلك مكلفات واضحة بالفدن والقطائع على جميع الاصناف المزروعة ويحضر الى دواوين الباب فاذا مضى من السنة القبطية أربعة أشهر ندب من الاجناد من عرف بالحاسة وقوة البطش وعين معه من الكتاب العدول من قد اشتهر بالامانة وكتاب من نصارى القبط غير من خرج عند المساحة وساروا الى كل ناحية كذلك فاستخرج مباشروا كل بلد ثلث ماوجب من مال الخراج على ما شهدت به المكلفات فاذا أحضر هذا الثلث صرف في واجبات العساكر وهكذا العمل في استخراج كل قسط طول الزمان من كل سنة وكانت تبقى في جهات الضمان والمتقبلين جملة بواق وكانت بلاد مصر اذ ذاك تقبل بغين وغلة واصناف وقد عرف ذلك من نسخة المسموح الذي تضمن ترك البواق في أيام الخليفة الأمر بأحكام الله ووزارة المأمون البطائحي ورأيت بخط الاسعد بن مهذب بن زكريا بن مماتي الكتاب المصري سألت القاضي الفاضل عبد الرحيم كم كانت عدة العساكر في عرض ديوان الجيش لما كان سيدنا يتولى ذلك في أيام رزيك بن الصالح فقال أربعين ألف فارس وثلاثين ألف راجل من السودان وقال أبو عمرو عثمان الزابلي في كتاب حسن السريرة في اتخاذ الحصن بالجزيرة أن ضرغاما لما ثار على شاور وفر شاور الى السلطان نور الدين محمود بن زنكي بدمشق يستجديه على ضرغام ويعدده بأنه يكون نائباً عنه بمصر ويحمل اليه الخراج انشأ لنور الدين عزما لم يكن فجهرز ألف فارس وقدم عليهم أسد الدين شيركوه وأمره بالتوجه فأبى وقال لا أمضي أبداً وإن هلاكي ومن معي وسوء ما سمعه السلطان معلوم من هنا وكيف أمضى

بألف فارس الى أقليم فيه عشرة آلاف فارس ومائة سيهيد فيها عشرة آلاف مقاتل وأربعون ألف عبد وقوم مستوطنون في أوطانهم فرأيت حرابتهم ومحن نائيتهم من تعب السفر بهذه العدة القليلة قال ثم أجابه بعد ذلك هذا أعزك الله بعد ما كفت عساكر أحمد بن طولون ما استراه في ذكر القطائع إن شاء الله تعالى ثم ما كان من عساكر الامير أبي بكر محمد بن طنج الاخشيد وهي على ما حكاه غير واحد منهم ابن خلكان أنها كانت أربعمائة ألف ولما انقضت دولة الفاطميين بدخول الغزن من بلاد الشام واستولى صلاح الدين يوسف بن أيوب على مملكة مصر تغير الحال بعض التغير لا كله * قال القاضي الفاضل في متجددات سنة سبع وستين وخمسمائة في ثامن المحرم خرجت الاوامر الصلاحية بركوب العساكر قديمها وجديدها بعد أن أئذر حاضرها وغائبها وتوفي وصولها وتكامل سلاحها وخيولها فحضر في هذا اليوم جموع شهد كل من علاسته وقرطس ظنه أن ملكا من ملوك الاسلام لم يحز مثلها وشاهدت رسل الروم والفرنج ما أرغم أنوف الكفرة ولم يتكامل اجتياز العساكر موكبا بعد موكب وطلبا بعد طلب والطلب بلغة الغز هو الامير المقدم الذي له علم معقود وبوق مضروب وعدة من مائتي فارس الى مائة فارس الى سبعين فارسا الى أن انقضى النهار ودخل الليل وعاد ولم يكمل عرضهم وكانت العدة الحاضرة مائة وسبعة وأربعين طلبا والغائب منها عشرون طلبا وتقدير العدة يناهز أربعة عشر ألف فارس أكثرها طواشية والطواشي من رزقه من سبعمائة الى ألف الى مائة وعشرين وما بين ذلك وله برك من عشرة رؤس الى ما دونها ما بين فرس وبرذون وبقل وجل وله غلام يحمل سلاحه وقراعلامية تمة الجملة قال وفي هذه السفرة عرض العربان الخدامين فكانت عدتهم سبعة آلاف فارس واستقرت عدتهم على ألف وثلثمائة فارس لا غير وأخذ بهذا الحكم عشر الواجب وكان أصله ألف ألف دينار على حكم الاعداد الذي يتأصل ولا يتحصل وكلف التعالبة ذلك فامتصبوا ولوحوا بالتحيز الى الفرنج * وقال في متجددات شهر رجب سنة سبع وسبعين وخمسمائة استمر انتصاب السلطان صلاح الدين في هذه السنة للنظر في أمور الاقطاعات ومعرفة غيرها والنقص منها والزيادة فيها وأنبأت المحروم وزيادة المشكور الى أن استقرت العدة على ثمانية آلاف وستمائة وأربعين فارسا أمراء مائة وأحد عشر أميراً طواشية ستة آلاف وتسعمائة وستة وسبعون قرا غلامية ألف وخمسمائة وثلاثة وخمسون والمستقر لهم من المال ثلاثة آلاف ألف وستمائة ألف وسبعون ألفاً وخمسمائة دينار وذلك خارج عن المحلولين من الاجناد الموسومين بالحالة على العشرو عن عدة العربان المقطعين بالشرقية والبحيرة وعن الكتائب المصريين والفقهاء والقضاة والصوفية وعما يجري بالدنيوان ولا يقصر عن ألف ألف دينار * وقال في متجددات سنة خمس وثمانين وخمسمائة أوراق بما استقر عليه عبر البلاد من اسكندرية الى عيذاب الى

آخر الرابع والعشرين من شعبان سنة خمس وثمانين وخسمائة خارجا عن الثغور وأبواب
الاموال الديوانية والاحكار والحبس ومنفلوط ومنقباط وعدة نواح أوربت أسماءها ولم يعين
لها في الديوان عبدة من جملة أربعة آلاف وستمائة ألف وثلاثة وخمسين ألفا وتسعة
عشر دينارا يعد ما يجري في الديوان العادلي السعيد وغيره عن الشرقية والمرتاحية والدقهلية
وبوش وغير ذلك وهو ألف ألف ومائة ألف وتسعون ألفا وتسعمائة وثلاثة وعشرون
دينارا (تفصيل ذلك) الديوان العادلي سبعمائة ألف وثمانية وعشرون ألفا ومائتان وثمانية
وأربعون دينارا الامراء والاجناد المرسوم بابقاء اقطاعاتهم بالاعمال المذكورة مائة ألف
وثمانية وخمسون ألفا ومائتان وثلاثة دنانير ديوان السور المبارك والاشراف ثلاثة عشر ألفا
وثمانمائة وأربعة دنانير العربان مائتا ألف وأربعة وثلاثون ألفا ومائتان وستة وتسعون دينارا
الكنانية خمسة وعشرون ألفا وأربعمائة واثنا عشر دينارا القضاة والشيخو سبعة آلاف
وأربعمائة وثلاثة دنانير القيارية والصالحية والاجناد المصريون اثنا عشر ألفا وخمسمائة
وأربعة دنانير الغزاة والعساقل المركزة بدمياط وتيس وغيرهم عشرة آلاف وسبعمائة
 وخمسة وعشرون دينارا البارز ثلاثة آلاف ألف وأربعمائة ألف واثنا وستون ألفا وخمسة
 وتسعون دينارا (الوجه البحري) ألف ألف ومائة ألف وأحد وخمسون ألفا وستمائة
 وثلاثة وخمسون دينارا (تفصيله) ضواحي نجر الاسكندرية ثمانمائة ألف ومائة وثمانية
 وثلاثون دينارا نجر رشيد ألفا دينار البحيرة مائة ألف وخمسة عشر ألفا وخمسمائة وستة
 وسبعون دينارا خوف رمسيس اثنان وتسعون ألفا وأربعمائة وثلاثة دنانير قوه والمزاحيتين
 عشرة آلاف ومائة وخمسة وعشرون دينارا التبراوية خمسة عشر ألفا وثلاثمائة وخمسة دنانير
 جزيرة بنى نصر مائة ألف واثنا عشر ألفا وستمائة وستة وأربعون دينارا جزيرة قوسينا
 مائة ألف وثلاثون ألفا وخمسمائة واثنا وتسعون دينارا الغربية ستمائة ألف وأربعة وسبعون
 ألفا وستمائة وخمسة دنانير السمودية مائتا ألف وخمسة وأربعون ألفا وأربعمائة وتسعة
 وسبعون دينارا الدجاوية ستة وأربعون ألفا ومائتان وأربعة وسبعون دينارا المنوفية مائة
 ألف وثمانية وأربعون ألفا وثلاثمائة وسبعة وأربعون دينارا (الوجه القبلي) ألف ألف
 وستمائة ألف وعشرة آلاف وأربعمائة وأحد وأربعون دينارا (تفصيل ذلك) الحيزة مائة
 ألف وثلاثة وخمسون ألفا ومائتان وأربعة دنانير الاطفيحية تسعة وخمسون ألفا وسبعمائة
 وثمانية وعشرون دينارا البوصيرية ستون ألفا وأربعمائة وستة وستون دينارا الفيومية مائة
 ألف واثنا وخمسون ألفا وستمائة وأربعة وثلاثون دينارا الهنسية ثلثمائة ألف واثنا
 وخمسون ألفا وستمائة وأربعة وثلاثون دينارا الواحات الداخلة والخارجتين وواحات الهنسا
 خمسة وعشرون ألف دينار الاشموين مائة ألف وسبعة وأربعون ألفا وسبعمائة واثنا

وثلاثون ديناراً السيوطية خارجاً عن منقلاط ومنقباط اثنان وسبعون الفا وخمسمائة واربعة
دنانير الاخيمية مائة الف وثمانية آلاف وثمانمائة واثنا عشر ديناراً الاعمال القوسية ثلثمائة
الف واثنان وستون الفا وخمسمائة دينار ثمر اسوان خمسة وعشرون الف دينار ثمر عذاب
يجرى في غير هذا الديوان * وقال في متجددات سنة ثمان وثمانين وخمسمائة والذي انعقد
عليه ارتفاع الديوان السلطاني ثلثمائة الف واربعة وخمسون الفا واربعة واربعون ديناراً
والذي يميز زائد الارتفاع لسنة سبع وثمانين وخمسمائة على ارتفاع سنة ست وثمانين اثنان
وعشرون الفا واربعمائة وخمسة واربعون ديناراً والذي انساق من البواقي للسنة المذكورة
احد وثلاثون الفا وستمائة واثنان وعشرون ديناراً والذي اشتمل عليه متحصل ديوان
الخاص الملكي الناصري بالديار المصرية لسنة سبع وثمانين وخمسمائة ثلثمائة الف واربعة
وخمسون الفا واربعمائة واربعة وخمسون ديناراً ونصف وثلاث وثمان

ذكر الروك الاخير الناصري

وكان الجندي اقطاعه بمفرده وله تبع واحد من عشرين الف درهم الى ثلاثين وفيهم
من اقطاعه خمسة عشر الفا واقلهم عشرة آلاف وذلك سوى الضيافة وبلغ خمسة آلاف
درهم في الاقطاع الثقيل وكان الجندي يخرج الى السكك بطوالة خيل ويخرج مقدم الحلقة
كامير عشرة وتكون مضافته اذا نزل حوله واكثرهم يأكل على سباطه ولا يمكن الامير أن
يأكل الا وجميع اجناده معه ويأخذ غلمان اجناده كل يوم الطعام من مطبخه واذا رأى
ناراً توقد سأل عنها فيقال ان فلاناً انتهى كذا فيغضب ممن لا يأكل عنده ومع ذلك كانت
اشكالهم بشعة وملابسهم غير خالصة فلما أفضت السلطنة الى المنصور لاجل راك البلاد وذلك
أن ارض مصر كانت اربعة وعشرين قيراطاً فيختص السلطان منها بأربعة قرايط ويختص
الاجناد بعشرة قرايط ويختص الامراء بعشرة قرايط وكان الامراء يأخذون كثيراً من
اقطاعات الاجناد فلا يصل الى الاجناد منها شيء ويصير ذلك الاقطاع في دواوين الامراء
ويحتج بها قطاع الطريق وتشور بها الفتن ويقوم بها الهوشات ويمنع منها الحقوق والمقررات
الدبلوماسية وتصير مأكلة لا عوان الامراء ومستخدمهم ومضرة على اهل البلاد التي تجاورها
فأبطل السلطان ذلك ورد تلك الاقطاعات على اربابها واخرجها بأسرها من دواوين الامراء
وأول ما بدأ به ديوان الامير سيف الدين منكوتمر نائب السلطنة فأخرج منه ما كان فيه من
هذه الاقطاعات وكان يحصل له منها مائة الف اردب غلة في كل سنة واقتدى به جميع الامراء
وأخرجوا ما في اقطاعهم من ذلك فبطلت الحمايات وجعل السلطان في هذا الروك للامراء
والاجناد أحد عشر قيراطاً وأفرد تسعة قرايط ليعخدم بها عسكرياً ويقطعهم اياها ثم رتب
أوراقا بتكفية الامراء والاجناد بعشرة قرايط ووزر قيراطاً لزيادة من عساه يطلب زيادة

لقلة متحصل أقطاعه وأفرد لخاص السلطان عدة أعمال جليلة وأفرد للنائب منكوتر لفرقة
الامثالات في تابعيه فتكرت قلوب الامراء حتى كان من المنصور لاجين ونائبه منكوتر ما كان
فلما كانت الايام الناصرية راك الناصر محمد البلاد قال جامع السيرة الناصرية وفي سنة خمس
عشرة وسبعمائة اختار السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ان يروك الديار المصرية وان
يبطل منها مكوسا كثيرة ويفضل لخاص مملكته شيئا كثيرا من اراضي مصر وكان سبب
ذلك انه اعتبر كثيرا من اخباز الممالك والحاشية الذين كانوا للملك المظفر ركن الدين
بيبرس الجاشنكير والامير سلاور وسائر الممالك البرحية فاذا هي ما بين ألف دينار الى ثمانمائة
دينار وخشى من قطع اخباز اندكورين فولد له الرأي مع القاضي نحر الدين محمد بن فضل
الله ناظر الجيش ان يروك ديار مصر ويقرر اقطاعات مما يختار ويكتب بها مثالات سلطانية
فتقدم الفخر ناظر الجيش فعمل أوراقا بما عليه عبر النواحي ومساحتها وعين السلطان لكل
اقليم من اقاليم ديار مصر اناسا وكتب مرسوما للامير بدر الدين جيكل بن البابا ان يخرج
لناحية الغربية ومعه أعزل الحاجب ومن الكتاب المكيين بن فرويته وان يخرج الامير عن
الدين ايدمر الخطيرى الى ناحية الشرقية ومعه الامير ايتمش المجدى ومن الكتاب أمين
الدولة ابن قرموط وان يخرج الامير بلبان الصرخدى والقليجي وابن طرناطى وبيبرس
الجمدار الى ناحية المنوفية والبحيرة وان يخرج البليلى والمرتضى الى الوجه القبلي وتنب معهم
كتبا ومستوفين وقياسين فساروا الى حيث ذكر فكان كل منهم اذا نزل بأول عمله طالب
مشايخ كل بلاد ولاءها وعدوها وقضاها وسجلاتها التي بأيدي مقطعيها وخص عن متحصلها
من عين وغلة وأصناف ومقدار ما تحتوي عليه من الفدن ومزروعها وبورها وما فيها من
تراب وبواق وغرس ومستبحر وعبرة الناحية وما عليها لمقطعيها من غلة ودجاج وخراف
وبرسيم وكشك وكلك وغير ذلك من الضيافة فاذا حزر ذلك كله ابتداء بقياس تلك الناحية
وضبط بالعدول والقياسين وقاضى العمل ما يظهر بالقياس الصحيح وطلب مكلفات تلك
القرية وغنداقها وفضل ما فيها من الخاص السلطاني وبلاد الامراء واقطاعات الاجناد والرزق
حتى ينتهى الى آخر عمله ثم حضروا بعد خمسة وسبعين يوما وقد تحرر في الاوراق
المحضرة حال جميع ضياع أرض مصر ومساحتها وعبرة أراضيها وما يتحصل عن كل قرية من
عين وغلة وصنف فطلب السلطان الفخر ناظر الجيش والتقى الاسعد بن أمين الملك المعروف
بكتاب سرانى وسائر مستوفى الدولة وألزمهم بعمل أوراق تشتمل على بلاد الخاص السلطاني
التي عنها لهم وعلى اقطاعات الامراء وأضاف على عبرة كل بلد ما كان على فلاحيه من ضيافة
لمقطعيها وأضاف الى العبرة ما في الاقطاع من الجوالى وكتب مثالات للاجناد باقطاعات على
هذا الحكم فاعتد منها بما كان يصرف في كلف حمل الغلال من النواحي الى ساحل

القاهرة وما كان عليها من المكس وابطال السلطان عدة مكوس منها مكس ساحل الغلة وكان جل متحصل الديوان وعليه اقطاعات الامراء والاجناد ويحصل منه في السنة أربعة آلاف ألف وستائة ألف درهم وعليه اربعمائة مقطع لكل منهم من عشرة آلاف الى ثلاثة آلاف ولكل من الامراء من أربعين ألفا الى عشرة آلاف وكانت جهة عظيمة لها متحصل كثير جدا وينال القبط منها منافع كثيرة لا تحصى ويحل بالناس من ذلك بلاء شديد وتعب عظيم من المغارم والظلم فان مظالمها كانت تتعدد ما بين نواتية تسرق وكيالين تجنس وشاذين وكتاب يريد كل منهم شيئا وكان مقرر الاربب درهمين للسلطان ويلحقه نصف درهم غير ما ينهب ويسرق وكان لهذه الجهة مكان يعرف بخص الكيالة في ساحل بولاق يجلس فيه شاذ وستون متعمما ما بين كتاب ومستوفين وناظر وثلاثون جنديا مباشرون ولا يمكن أحدا من الناس أن يبيع قدحا من غلة في سائر النواحي بل تحمل الغلات حتى تباع في خص الكيالة ببولاق ومما أبطل أيضاً نصف السمسة وهو عبارة عن أن من باع شيئا من الاشياء فإنه يمطى أجرة الدلال على ما تقرر من قديم عن كل مائة درهم درهمين فلما ولي ناصر الدين الشيجي الوزارة قرر على كل دلال من دلالته درهما من كل درهمين فصار الدلال يعمل معدله ويجهد حتى ينال عادته وتصير الغرامة على البائع فتضطر الناس من ذلك وأودوا فلم يفتأوا حتى أبطل ذلك السلطان ومما أبطل رسوم الولاية وكانت جهة تتعاق بالولاية والمقدمين فيجبها المذكورون من عرفاء الاسواق وبيوت الفواحش ولهذا الجهة ضامن وتحت يده عدة صبيان وعليها جند مستقطعون وأمراء وغيرهم وكانت تشتمل على ظلم شنيع وفساد قبيح وهتك قوم مستورين وهجم بيوت أكثر الناس ومما أبطل مقرر الحوائص والبغال من المدينة وسائر أعمال مصر كلها من الوجه القبلي والبحري فكان على كل من الولاية والمقدمين مقرر يحمل في كل قسط من أفساط السنة الى بيت المال عن ثمن حياصة ثلثمائة درهم وعن ثمن بقل خمسمائة درهم وعلى هذه الجهة عدة مقطعين ويفضل منها ما يحمل وكان يصيب الناس من هذه الجهة مالا يوصف ويحل بهم من عسف الرقاصين ما يهون معه الموت ومن ذلك مقرر السجن وهو عبارة عما يؤخذ من كل من يسجن فليسجن على حكم المقرر ستة دراهم سوى كلف أخرى وعلى هذه الجهة عدة مقطعين ويرغب فيها الضمان ويتزايدون في مبلغ ضمانها لكثرة ما يحصل منها فإنه كان لو تخاصم رجل مع امرأته أو ابنه رفعه الوالي الى السجن فيمجرد ما يدخل السجن ولو لم يقم به الا لحظة واحدة أخذ منه المقرر وكذلك كان على سجن القضاة أيضا* (ومن ذلك مقرر طرح الفراريج)* ولها ضمان عدة في سائر نواحي أرض مصر يطرحون على الناس الفراريج فيعمر بضعاء الناس من ذلك بلاء عظيم وتقاسي الارامل من العسف والظلم شيئا كثيرا وكان على هذه الجهة

عدة مقطعين ولا يمكن أحدا من الناس في جميع الاقاليم أن يشتري فروجا فما فوقه الا من الضامن ومن عثر عليه أنه اشترى أو باع فروجا من سوى الضامن جاءه الموت من كل مكان وما هو بميت * (ومن ذلك مقرر الفرسان) * وهو عبارة عما يجنيه ولاية النواحي من سائر البلاد فلا يؤخذ درهم مقرر حتى يغرم عليه صاحبه درهمن ويقاضي الناس فيه أهوالا صعبة * (ومن ذلك مقرر الاقصاب والمعاصر) وهو ما يجني من مزارعي قصب السكر ومن المعاصر ورجال المعاصر * (ومن ذلك مقرر رسوم الافراح) ويجني من سائر النواحي ولهذه الجهة عدة ضمان ولا يعرف لهذه الجهة أصل التينة وانما يجني بضرائب ينال الناس فيها مع المقرر غرامات وروعات * (ومن ذلك حماية المراكب) وهي عبارة عما يؤخذ من كل مركب بتقرير معين يعرف بمقرر الحماية وكانت هذه الجهة أشد ما ظلم به الناس فيؤخذ من كل من ركب البحر للسفر حتى من السؤل والمسكين * (ومن ذلك حقوق القينات) وهو عبارة عما يجمع من الفواحش والمنكرات فيجنيه مهتار الطشتخاناه السلطانية من أوباش الناس * (ومن ذلك شد الزعماء) وهي جهة مفردة وحقوق السودان وكشف المراكب ومقرر ما على كل جارية أو عبد حين نزولهم بالخانات لعمل الفاحشة فيؤخذ من كل ذكر وأتني مقرر معين ومتوفر الجراريف وهو ما يجني من سائر النواحي فيحمل ذلك مهندسو البلاد الى بيت المال باعانة الولاية لهم في تحصيل ذلك وعلى هذه الجهة عدة مقطعين من الجند ومقرر المشاعلية وهو عبارة عما يؤخذ عن كسح الاثنية وحمل ما يخرج منها من الوسخ الى السكيمان فكان اذا امتلأ سراب جامع أو مدرسة أو مسمط أو تربة أو منزل من منازل سائر الناس لا يمكنه ولو بلغ من العظمة ما عسى أن يباع التعرض لذلك حتى يأتيه ضامن الجهة ويقاوله على كسح ذلك بما يريد وكان من عادة الضامن الاشطاط في السوم وطلب أضعاف القيمة فان لم يرض رب المنزل بما طلب الضامن والا تركه وانصرف فلا يقدر على مقاساة ترك الوسخ ويضطر الى سؤاله ثانياً فيعظم تحكمه ويشد بأسه الى أن يرضيه بما يختار حتى يتمكن من كسح فثائه ورفع ما هنالك من الاقدار * (ومن ذلك ابطال المباشرين من النواحي) وكانت بلاد مصر كلها من الوجهين القبلي والبحري ما من بلد صغير وكبير الا وفيه عدة من كتاب وشاد ونحو ذلك فأبطل السلطان المباشرين وتقدم منهم من مباشرة النواحي الا من بلد فيها مال السلطان فقط فأراح الله سبحانه الخلق بابطال هذه الجهات من بلاد لا يقدر قدره ولا يمكن وصفه * ولما أبطل السلطان هذه الجهات وفرغ من تعيين الاقطاعات للأمراء والاجناد أفرز لخاص السلطان من بلاد أرض مصر عدة نواح مما كان في اقطاعات البرجية وهي الجزيرة وأعمالها وهو والسكوم الاحمر ومنفلوط والمرج والخصوص وغير ذلك مما بلغ عشرة قراريط من الاقليم وصار لاقطاعات

الامراء والاجناد وغيرهم أربعة عشر قيراطا ومكر الاقباط فيما أمكنهم المسكر فيه فبدؤا بأن أضعفوا عسكر مصر ففرقوا الاقطاع الواحد في عدة جهات فصار بعض الجي في الصعيد وبعضه في الشرقية وبعضه في الغربية اتعاباً للجندي وتكثيراً للسكفة وأفردوا جوالي الذمة من الخاص وفرقوها في البلاد التي أقطعت للامراء والاجناد فان النصارى كانوا مجتمعين في ديوان واحد كما ستقف عليه ان شاء الله تعالى فصار نصارى كل بلد يدفعون جاليتهم الى مقطع تلك الضيقة فالتسع مجال النصارى وصاروا يتنقلون في القرى ولا يدفعون من جزيتهم الا ما يريدون فقل متحصل هذه الجهة بعد كثرته وأفردوا ما بقي من جهات المسكوس برسم الحوائج خاناه التي تصرف للسماط ليتناولوا ذلك ويوردوا منه ما شاؤا ثم يتولوا صرف ما يحصل منه في جهات تستهلك بالاكل وصارت جهات المسكوس مما يتحدث فيه الوزير وشاد الدواوين * ثم نظر السلطان فيما كان بيد الاميرين بيرس الجاشنكير وسلار نائب الساعلة من البلاد فأخذ ما كان باسم كل منهما وباسم حواشيه ولم يدع من ذلك شيئاً مما كانوا قد وقفوه حتي حله وجعل الجميع اقطاعا واعتد في سائر الاقطاعات بما كان يستهديه المقطع من فلاحه فحسب ذلك وأقامه من جملة عبر الاقطاع وأبطل الهدية فلم يتبها له الفراغ من ذلك الى آخر السنة فلما أهل المحرم من سنة ست عشرة وسبعمائة وقد نظمت الحسابات على ثلث مغل سنة خمس عشرة جلس السلطان في الايوان الذي استجده بقلعة الجبل وقد تقدم لسائر ثقاء الاجناد على لسان نقيب الجيش بالحضور باجنادهم وجعل للعرض في كل يوم أميرين من الامراء المقدمين بمضافيهما فكان الامير مقدم الالف يقف ومعه مضافوه وناظر الجيش يستدعيهم من مقدمة ذلك الامير باسمهم على قدر منازلهم فيقدم نقيب الجيش الواحد بعد الواحد من يد نقيقه الى ما بين يدي السلطان فاذا مثل بحضرته سأله السلطان بنفسه من غير واسطة عن اسمه وأصله وجنسه ووقت حضوره الى ديار مصر ومع من قدم والى من صار من الامراء وغيرهم وعن مشاهده التي حضرها في الغزو وعما يعرفه من صناعة الحرب وغير ذلك من الاستقصاء فاذا انتهى استفهامه اياه ناوله بيده مثالا من غير تأمل بحسب ما قسم الله له فلم يمر به في مدة العرض احد إلا وقد عرفه وأشار الى الامراء بذكر شيء من خبره هذا وقد تقدم الى سائر الامراء بأسرهم بأن يحضروا الى الايوان عند العرض ولا يعارض أحد منهم السلطان في شيء يفعلُه فكانوا يحضرون وهم سكوت لا يتكلم أحد منهم خوفا من مخالفة السلطان لما يقوله وأخذ السلطان في مواربة الامراء فأنشوا على أحد في مجلس العرض الاوأعطاء السلطان مثالا باقطاع ردىء فلما علموا ذلك أمسكوا عن الكلام معه جملة وانفرد بالاستبداد باموره دونهم فلما عرف منه أنه قدم اليه أحد الاوساله ان كان مملوكا عن أقدمه من التجار وسائر ما تقدم وان كان شيخا فعن أسله وسنه وكـ

مصاف حضرها حتى أتى على الجميع وأفرد المشايخ العاجزين فلم يعطهم اقطاعات وجعل لكل منهم مرتبا يقوم به فأنتهى العرض في طول الحرم وتوفر كثير من مثالات الاجناد فبلغ عدة مائتي مثال ثم أخذ في عرض أطباق الممالك السلطانية ووفر من جوامكهم كثيرا وقطع عدة رواتب من رواتبهم وعوضهم عن ذلك اقطاعات وجعل جهة مكس قطيا لضعفاء الاجناد ممن قطع خبزه فجعل لكل منهم في السنة ثلاثة آلاف درهم . وكان لبيبرس وسلار الجوكندار تعلقات كثيرة في بيت المال وفي الاعمال كالجزيرة والاسكندرية من متجر وحمايات فار تجمع ذلك وأبطله وما شابهه وأضاف ما لم يقطعه الى ديوان الخاص وبما أمر به في مدة العرض أن لا يرد أحد مثالا أخذه من السلطان ولو استقله ولا يشفع أمير في جندي وان من خالف ذلك ضرب وحبس ونفي وقطع خبزه فغضبت مهابة السلطان وقويت حرمة ولم يجسر أحد أن يرد عليه مثالا أخذ من السلطان ولا استطاع أمير أن يتكلم لاحد وصار كثير ممن كان اقطاعه مثالا ألف دينار الى اقطاع مائتي دينار ونحوها وكثير ممن كان اقطاعه قليلا الى اقطاع معتبر فانه كان يعطي المثال من غير تأمل كيفما وقعت يده عليه وقدر الله سبحانه وتعالى أن السلطان كان من جملة صبيان مطبخه رجل مضحك يهزل بحضرته فيضحك منه ويعجب به ولا يعترض فيما يقول من السخف فجلس السلطان في بعض أيام العرض في البستان بقاعة الجبل وعنده الخاصة من الامراء فدخل هذا المضحك وأخذ في السخرية على عادته ليضحك السلطان الى أن قال وجدت بعض أجناد الروك الناصري وهو راكب الاكديش وخرجه خلفه ورمحه فوق كتفه يقصد بهذا السخرية والطعن فغضب السلطان غضبا شديدا وصاح خذوه وعروه ثيابه فتبادره الاعوان وجروه برجله ونزعوا ثيابه وربطوه في الساقية مع القواديس واكثروا من ضرب الابقار حتى أسرعت بدوران الساقية فصار المسكين ينقلب مع القواديس ويفطس في الماء تارة وبرقي اخرى ثم ينتكس والماء يمر عليه مقدار ساعة الى أن انقطع حسه وأشرف على الهلاك واشتد رعب الامراء لما رأوا من قوة غضب السلطان ثم تقدم الامير طغاي الدوادر في طائفة من الامراء الخاصة واعتذروا عن هذا المسكين بأنه لم يرد الا أن يضحك السلطان من كلامه ولم يقصد عيب الاجناد ولا انتقاصهم ونحو هذا من القول الى أن أمر بحمله فاذا ليس فيه حركة فسحب ورسم السلطان بأنه ان كان حيا لا يبيت بديار مصر فأخرج من وقته منفيا وحمد الله كل من الامراء على ما وفقه من السكوت عن الكلام في حال العرض وما زال الامر بمصر على ما رسمه الملك الناصر في هذا الروك الى أن زالت دولة بني قلاون بالملك الظاهر برقوق في شهر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة فأبقى الامر على ذلك الا أن أشياء منه أخذت تتلاشى قليلا قليلا الى ان كانت الحوادث والحنن في سنة ست وثمانمائة حيث حدث

من أنواع التغيرات وتنوع الظلم ما لم يخطر ببال أحد وسيمر بك جل من ذلك عند ذكر أسباب خراب اقليم مصر ان شاء الله تعالى وكانت لاراضى مصر تقاو مخلدة في نواحيها وهى على قسمين تقاو سلطانية وتقاو بلدية فالتقاوى السلطانية وضعتها الملوك في النواحي وكان الامير أو الجندى عند ما يستقر على الاقطاع يقبض ماله من التقاوى السلطانية فاذا خرج عنه طولب بها فلما كان الروك الناصرى خلدت تقاوى كل ناحية بها وضبطت في الديوان السلطاني فبلغت جملتها مائة ألف وستين ألف أردب سوى التقاوى البلدية

❦ ذكر الديوان ❦

قال أقضى القضاة أبو الحسن الماوردى الديوان محفوظ بحفظ ما تعلق بحقوق السلطة من الاعمال والاموال ومن يقوم بها من الجيوش والعمال وفي تسميته ديوانا وجهان أحدهما أن كسرى اطلع ذات يوم على كتاب ديوانه فرآهم يحسبون مع أنفسهم فقال ديوانه أى مجانين فسمي موضعهم بهذا الاسم ثم حذفت الهاء عند كثرة الاستعمال تخفيفا للاسم فقلل ديوان والثاني أن الديوان اسم بالفارسية للشياطين فسمي الكتاب باسمهم لحدقهم بالامور ووقوفهم على الحلى والحفى وجمعهم لما شذ وتفرق واطلاهم على ما قرب وبعد ثم سمي مكان جلوسهم باسمهم فقلل ديوان انتهى واعلم أن كتابة الديوان على ثلاثة أقسام كتابة الجيوش وكتابة الخراج وكتابة الانشاء والمكاتبات ولا بد لكل دولة من استعمال هذه الاقسام الثلاثة وقد أفرد العلماء في كتابة الخراج وفي كتابة الانشاءات عدة مصنفات ولم أراحدًا جمع شيئاً في كتابة الجيوش والمساكر وكانت كتابة الدواوين في صدر الاسلام أن يجعل ما يكتب فيه صحفاً مدرجة فلما انقضت أيام بني أمية وقام عبد الله بن محمد أبو العباس السفاح استوزر خالد بن برمك بعد أن سلمه حفص بن سليمان الخلال فجعل الدفاتر في الدواوين من الجلود وكتب فيها وترك الدروج الى أن تصرف جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك في الامور أيام الرشيد فأتخذ السكاغد وتداوله الناس من بعده الى اليوم * وذكر أبو النمر الوراق قال حدثني أبو حازم القاضي قال قال لى أبو الحسن بن المدبر لو عمرت مصر كلها لو فت بأعمال الدنيا وقال ان أرض مصر مساحتها للزراعة ثمانية وعشرون ألف ألف فدان وانما المعمر منها ألف ألف فدان قل وقال لى ابن المدبر أنه كان يتقلد ديوان المشرق وديوان المغرب قال ولم أبت قط ليلة من الليالي حتى أنهيه ولا بقيته وتقلدت مصر فكنت ربما نمت وقد بقي على شيء من العمل فاستتمه اذا أصبحت

❦ ذكر ديوان المساكر والجيوش ❦

يقال ان أول من وضع ديوان الجند بنحيلهم كبراسف أحد ملوك الطبقة الثانية من

الفرس وان كيقباز قبله كان قد أخذ العشر من الغلات وصرفه في ارزاق جنده وأما في الاسلام فماخرجه البخارى ومسلم من حديث حذيفة رضى الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم اكتبوا لى من تلفظ بالاسلام من الناس فكتبنا له ألفاً وخمسمائة رجل الحديث ذكره البخارى في باب كتابة الامام الناس والبخارى من حديث عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى اكتببت في غزوة كذا وكذا وأمرأتى حاجة قال ارجع فاحجج مع أمرأتك وقال عمرو بن منبه عن معمر عن قتادة قال آخر ما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم ثمانمائة ألف درهم من البحرين فاقام من مجلسه حتى أمضاه ولم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم بيت مال ولا لأبى بكر وأرل من اتخذ بيت مال عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقال ابن شهاب عمر أول من دون الدواوين وروى ابن سعد عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قسم أبى الفتيء عام أول فأعطى الحر عشرة والمملوك عشرة والمرأة عشرة وأمتها عشرة ثم قسم العام الثاني فأعطاهم عشرين عشرين فقيل ان سبيه أن أباه ريرة رضى الله عنه قدم على عمر رضى الله عنه بمال من البحرين فقال له عمر ماذا جئت به فقال خمسمائة ألف درهم فاستكثره عمر وقال أتدرى ما تقول قل نعم مائة ألف خمس مرات فقال عمر أطيب هو قال لا أدري فصعد عمر المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس قد جاءنا مال كثير فان شئتم كلنا لكم كيلا وان شئتم عددنا لكم عدا فقام اليه رجل فقال يا أمير المؤمنين قد رأيت الاعاجم يدنون ديوانا لهم فدون أنت ديوانا فدون عمر * وقيل بل سبيه أن عمر بعث بعثا وعنده الهرمزان فقال لعمر هذا بعث قد أعطيت أهله الاموال فان تخلف منهم رجل من أين يعلم صاحبك به فأثبت لهم ديوانا فسأله عن الديوان حتي فسر له فاستشار المسلمين في تدوين الدواوين فقال له على بن أبى طالب تقسم كل سنة ما اجتمع عندك من المال ولا تمسك منه شيأ وقال عثمان رضى الله تعالى عنه أرى مالا كثيرا يسع الناس فان لم يحصوا حتي يعرف من أخذ ممن لم يأخذ خشيت أن ينتشر الامر وقال خالد ابن الوليد رضى الله عنه قد كنت بالشام فرأيت ملوكها دونوا ديوانا وجندوا جنودا فدون ديوانا وجند جنودا فأخذ بقوله ودعا عقيل بن أبى طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم وكانوا كتاب قريش فقال اكتبوا الناس على منازلهم فبدؤا ببني هاشم وكتبوهم ثم أتبعوهم أولاد أبى بكر وقومه ثم عمر وقومه وكتبوا القبائل ووضعوها على الخلافة ثم رفعوا ذلك الى عمر رضى الله عنه فلما نظر فيه قال لا ولكن أبدؤا بقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الاقرب فالاقرب حتي تضعوا عمر حيث وضعه الله فشكره العباس رضى الله عنه على ذلك وقال وصلت رحمك وقد اختلف في السنة التي فرض فيها عمر رضى الله عنه الاعطية ودون الدواوين فقال الكلبي في سنة خمس عشرة وحكى ابن سعد عن عمر

الواقدي أنه جعل ذلك في سنة عشرين قال الزهري وكان ذلك في المحرم سنة عشرين من
الهجرة وقيل لما فتح الله على المسلمين القادسية وقدمت على عمر رضى الله عنه الفتوح من
الشام جمع المسلمين وقال ما يحل للوالى من هذا المال فقالوا جميعا أما الخاصة فقوته وقوت
عيله لا وكس ولا شطط وكسوته وكسوتهم للشتاء والصيف ودابتان الى جهاده وحوائجه
وحملانه الى حبيته وعمرته والقسم بالسوية وأن يعطي أهل البلاد على قدر بلادهم ويرم
امور الناس بعد ويتعاهدكم في الشدائد والتوازل حتى تكشف ويبدأ بأهل النقي ثم يجوزهم
الى كل مغلوب ما بلغ النقي وقال الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما لما افتتحت القادسية
وصالح من صالح من أهل السواد واقتتحت دمشق وصالح أهل الشام قال عمر رضى الله
عنه للناس اجتمعوا فأحضروني علمكم فيما أفاء الله على أهل القادسية وأهل الشام فاجتمع
رأى على وعمر رضى الله عنهما أن يأخذوه من قبل القرآن فقالوا ما أفاء الله على رسوله من
أهل القرى يعنى من الخمس فله وللرسول يعنى من الله الأمر وعلى الرسول القسم ولذى القربى
واليتامى والمساكين ثم فسروا ذلك بالآية الاخرى التي تليها للفقراء المهاجرين الآية فأخذوا
أربعة الاخماس على ما قسم عليه الخمس فيمن بدئ به وثني وثلاث وأربعة أخماس لمن أفاء
الله عليه المقيم ثم استشهدوا على ذلك بقوله تعالى واعلموا أنما غنمتم من شئ فإن لله خمسة الآية
من تلك الطبقات الثلاث وأربعة أخماس لمن أفاء الله عليه فقسم الاخماس على ذلك فاجتمع على ذلك
عمر وعلى وعمل به المسلمون بعد ذلك فبدأ بالمهاجرين ثم الانصار ثم التابعين الذين شهدوا
معهم وأعانهم ثم فرض الاعطية من الجزا على من صالح أودع الى الصلح من حراية فردده عليهم
بالمعروف وليس في الجزا أخماس الجزا لمن منع الذمة وفي لهم من ولي ذلك منهم ومن لحق بهم
فأعانهم بأسوة الا أن يواسوا بفضله عن طيب أنفسهم منهم من لم ينل مثل الذى نالوا وعن
أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال عمر رضى الله عنه اني مجند المسلمين على الاعطية
ومدونهم ومتجرى الحق فقال عبد الرحمن بن عوف وعثمان وعلى رضى الله عنهم ابدأ بنفسك
قال لا أبدأ الا بعم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الاقرب فالاقرب منهم من رسول الله
ففرض للعباس وبدأ به ثم فرض لاهل بدر خمسة آلاف خمسة آلاف ثم فرض لمن بعد بدر
الى الحديدية أربعة آلاف أربعة آلاف ثم فرض لمن بعد الحديدية الى أن أقطع أبو بكر رضى
الله عنه عن أهل الردة ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف ودخل في ذلك من شهد الفتح وقاتل عن
أبي بكر ومن ولي الايام قبل القادسية كل هؤلاء على ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف ثم فرض
لاهل القادسية وأهل الشام أصحاب اليرموك ألفين ألفين وفرض لاهل البلاد النازح منهم
ألفين وخمسمائة ألفين وخمسمائة فليل لو ألحقت أهل القادسية بأهل الايام فقال لم أكن
لاحقهم بدرجة من لم يدركوا لاهل الله أذن وقيل له قد سويتهم على بعد دارهم بمن قد قربت

داره وقتل عن فائه فقال هم كانوا أحق بالزيادة لانهم كانوا ردة الحقوق وشجي للعدو وایم الله ماسويتهم حتى استعطبتهم فهلا قال المهاجرون مثل قولهم حين سوبنا بين السابقين من المهاجرين وبين الانصار وقد كانت نصرة الانصار بفنائهم وهاجر اليهم المهاجرون من بعد وفرض للروادف الذين ردفوا بعد افتتاح القادسية واليرموك بعد الفتح ثلثمائة ثلثمائة سوى كل طبقة في العطاء ليس بينهم تفاضل قويم وضعيفهم عربهم واعجمهم في طبقاتهم سواء حتى اذا حوى أهل الامصار من حووا من سباياهم وردفت المربع من الروادف فرض لهم على خمسين ومائتين وفرض لمن ردف من الروادف الخمس على مائتين فكان آخر من فرض له عمر رضى الله عنه أهل هجر على مائتين ومات عمر على ذلك وأدخل في أهل بدر أربعة من غير أهل بدر الحسن والحسين وأبذر وسلمان وقال أبو سلمة فرض عمر للعباس على خمسة وعشرين ألفا وقال الزهرى على اثني عشر ألفا وجعل نساء أهل بدر الى الحديمة على أربعمائة أربعمائة ونساء من بعد ذلك الى الايام قبل القادسية على ثلثمائة ثلثمائة ثم نساء أهل القادسية على مائتين مائتين ثم سوى بين النساء بعد ذلك وجعل للصبيان من أهل بدر وغيرهم مائة مائة ثم دعا ستين مسكينا فأطعمهم خبزا بملح فأحصوا ما أكلوه فوجدوه يخرج من جزيتين نفرض لكل انسان يقوم بالامر له ولعيله جزيتين جزيتين في كل شهر مسلمهم وكافرهم وفرض لازواج النبي صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف عشرة آلاف الا من جرى عليه البيع فقالت أمهات المؤمنين ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفضلنا عليهن في القسمة ولكن كان سوى يتنا فسو بيننا فجعلن على عشرة آلاف عشرة آلاف وفضل عائشة رضى الله عنها بألفين فأبت فقال لفضل منزلت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا أخذتها فشاؤك وكان الناس أعشارا فكانت العرفاء ثلاثة آلاف عريف كل عريف على عشرة ورزق الخيل على اعرافها فما زالوا كذلك حتى اختطت الكوفة والبصرة فغيرت العرفاء والاعشار وجعلت أسباعا وجعل مائة عريف على كل مائة ألف درهم عريف وكانت كل عرافة من القادسية خاصة ثلاثة وأربعين رجلا وثلاثا وأربعين امرأة وخمسين من العيال لهم مائة ألف درهم وكل عرافة من أهل الايام عشرين رجلا على ثلاثة آلاف وعشرين امرأة ولكل عيل مائة على مائة ألف درهم وكل عرافة من الرادفة الاولى ستين رجلا وستين امرأة وأربعين من العيال ممن كان رجالهم ألحقوا على ألف وخمسمائة على مائة ألف درهم وكان العطاء يدفع الى أمراء الاسباع وأصحاب الرايات والرايات على ايادى العرب فيدفعونه الى العرفاء والامناء فيدفعونه الى أهله في دورهم فمات عمر رضى الله عنه والامر على ذلك وقد عزم قبل موته أن يجعل العطاء أربعة آلاف أربعة آلاف وقال لقد هممت أن أجعل العطاء أربعة آلاف أربعة آلاف خلفها الرجل

في أهله وألف يتزودها معه في سفره وألف تجهز بها وألف يترفق بها فأتى في ارتياد ذلك قبل أن يفعل وكان يقرى البعوث على قدر المسافة إن كان بعيدا فسنة وإن كان دون ذلك فسنة أشهر فإذا أدخل الرجل يثغره نزع عمامته وأقيم في مسجد حيه فقبل هذا فلان قد أدخل وقال سيف بن عمر أول عطاء أخذ سنة خمس عشرة وكان عمر بن العاص رضى الله عنه يبعث من مصر الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالجزيرة بعد حبس ما كان يحتاج اليه فلما استخلف عثمان رضى الله عنه ثلاث مضي من المحرم سنة أربع وعشرين زاد الناس مائة وكان أول من زاد ورقد أهل الامصار وهو أول من رفدهم وصنع فيهم الصنائع فاستن به الخلفاء في الزيادة وكان عمر قد فرض لكل نفس منقوسة من أهل النخاء في رمضان درهما في كل يوم وفرض لامهات المؤمنين درهمين فقيل له لو صنعت لهم به طعاما فجمعتهم عليه فقال أشبعوا الناس في بيوتهم فأقر عثمان رضى الله عنه ذلك وزاد فوضع لهم طعام رمضان وقال هو لامتعب الذي يخلف في المسجد ولابن السبيل وللمعترين بالناس في رمضان فاقتدى به الخلفاء من بعده * وكان بمصر في خلافة معاوية بن أبي سفيان أربعون ألفا وكان منهم أربعة آلاف في مائتين مائتين وكان إنما يحمل الى معاوية ستمائة ألف دينار عن فضل أعطيات الجند وما يصرف الى الناس وكان معاوية قد جعل على كل قبيلة من قبائل العرب بمصر رجلا يصبح كل يوم فيدور على المجالس فيقول هل ولد اليلة فيكم مولود وهل نزل بكم نازل فيقال ولد لفلان غلام ولفلان جارية فيكتب أسماءهم ويقال نزل بهم رجل من أهل كذا بعياله فيسميه وبياله فإذا فرغ من القيل أتى الديوان حتى يثبت ذلك وأعطى مسامة ابن مخلد الانصاري أمير مصر أهل الديوان أعطياتهم وأعطيات عيالهم وأرزاقهم ونوائبهم ونوائب البلاد من الجسور وأرزاق السكتة وحملان القمح الى الحجاز وبعث الى معاوية ستمائة ألف دينار فضلا وأول تدوين كان بمصر على يد عمرو بن العاص رضى الله عنه ثم دون عبد العزيز بن مروان تدوينا ثانيا ودون قرعة بن شريك التدوين الثالث ثم دون بشر بن صفوان تدوينا رابعا ثم لم يكن بعد تدوين بشر شي له ذكر الا ما كان من الحاق قيس بالديوان في خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان فلما انقضت دولة بني أمية وغلبت المسودة بنو العباس أخذوا أشياء حتى اذا مات عبد الله المأمون بن هرون الرشيد لسبع خلون من رجب سنة ثمان مائة وعشرة ومائتين وبويع أخوه المعتصم أبو اسحاق محمد بن هرون كتب الى كندر بن نصر الصفدي أمير مصر يأمره باسقاط من في ديوان مصر من العرب وقطع العطاء عنهم ففعل ذلك وكان مروان بن محمد الجمدي آخر خلافة بني أمية قطع عن أهل مصر العطاء سنة ثم كتب اليهم كتابا يعتذر فيه اني انما حبست عنكم العطاء في السنة الماضية لعدو حضرتي فاحتجت الى المال وقد وجهت اليكم بعطاء السنة الماضية وعطاء هذه

السنة فكلوه هنيئاً مرياً وأعوذ بالله أن أكون أنا الذي يجري الله قطع العطاء على يديه ولما قطع كندر عطاء أهل مصر خرج يحيى بن الوزير الجروي في جمع من لحم وجذام وقال له هذا أمر لا يقوم فينا أفضل منه لانا منعنا حقنا وفيثنا فاجتمع اليه نحو خمسمائة رجل ومات كندر في ربيع الآخر سنة تسع عشرة ومائتين وولي ابنه المظفر مصر من بعده فسار الى يحيى وقاتله في بحيرة تيس وأخذة أسيراً فانقرضت دولة العرب من مصر وصار جندھا العجم والموالي من عهد المعتصم الى أن ولي الأمير أبو العباس أحمد بن طولون مصر فاستكثر من العبيد وبلغت عدتهم زيادة على أربعة وعشرين ألف غلام تركي وأربعين ألف أسود وسبعة آلاف حر مرتزق ثم استجد ابنه الأمير أبو الجيش خوارويه بعده عدة من شنطرة خوف مصر فلما كانت امارة الأمير أبي بكر محمد بن طفج الاخشيدي على مصر بلغت عدة عساكره بمصر والشام أربع مائة ألف تشتمل على عدة طوائف ثم ان الاستاذ أبا المسك كافورا الاخشيدي استجد عدة من السودان في أيام تحكمه بمصر فلما تغلب الامام المعز لدين الله أبو تميم معد الفاطمي على مصر صارت عساكرها مابين كتامة وزويلة ونحوها من طوائف البربر وفيهم الروم والصقالبة وهم في العدد كما قيل * ومنهم معد * ولم تسكن جيوشه تعد * ولا لما أوتيه كان حد * من كل ما يسعد فيه جد * وحتى قيل انه لم يطأ الارض بعد جيش الاسكندريين فليدش المقدوني أكثر عددا من جيوش المعز فلما قام في الخلافة بمصر من بعده ابنه العزيز بالله أبو منصور زار استخدم الديلم والأتراك واختص بهم * وذكر الأمير المختار عبد الملك المسيحي في تاريخه أن خزانة الخصاص حملها لما خرج العزيز الى الشام عشرون ألف حمل خارجا عن خزائن القواد وأكابر الدولة * وذكر ابن ميسر في تاريخه أن عبيد السيدة أم المستنصر بالله أبي تميم معد بن الظاهر لاعزاز دين الله أبي الحسن على بن الحاكم بامر الله أبي علي منصور بن العزيز بالله خاصة كانت عدتهم خمسين ألف عبد سوى طوائف العسكر ورأيت بخط الاسعد بن مماتي أن عدة الجيوش بمصر في أيام رزيك ابن الصالح طلائع بن رزيك كانت أربعين ألف فارس وستة وثلاثين ألف راجل وزاد غيره وعشرة شواني بحرية فيها عشرة آلاف مقاتل وهذا عند انقراض الدولة الفاطمية فلما زالت دولتهم على يد السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب أزال جند مصر من العبيد السود والامراء المصريين والعربان والارمن وغيرهم واستجد عسكرا من الاكراد والأتراك خاصة وبلغت عدة عساكره بمصر اثني عشر ألف فارس لا غير فلما مات افتقرت من بعده ولم يبق بمصر مع ابنه الملك العزيز عثمان سوى ثمانية آلاف فارس وخمسمائة فارس الآن فيهم من له عشرة اتباع وفيهم من له عشرون وفيهم من له أكثر من ذلك الى مائة تبع لرجل واحد من الجند فكانوا اذا ركبوا ظاهر القاهرة يزيدون على مائتي ألف ثم لم يزلوا في افتراق واختلاف حتى زالت

دولتهم بقيام عبيدهم المماليك الا تراك فخذوا حذو مواليهم بني أيوب واقتصر واعلى الاتراك
وشئ من الاكراد واستجدوا من المماليك التي تجلب من بلاد الترك شياً كثيراً حتى يقال ان
عدة ممالك الملك المنصور قلاون كانت سبعة آلاف مملوك ويقال اثني عشر ألفاً وكانت عدة
مماليك ولده الاشرف خليل بن قلاون اثني عشر ألف مملوك ثم لم تبلغ بعد ذلك قريباً من
هذا الى أن زالت دولة بني قلاون في شهر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة بالملك الظاهر
برقوق فاخذ في محو المماليك الاشرفية وأنشأ لنفسه دولة من المماليك الجركسية بلغت
عدهم مابين مشترى ومستخدم أربعة آلاف أو تزيد قليلاً فلما قام من بعده ابنه الناصر
فرج افترقوا واختلفوا فلم يقتل حتى هلك كثير منهم بالقتل وغيره وعساكر مصر في الدولة
التركية على قسمين أجناد الحلقة والمماليك السلطانية وأكثر ما كانت أجناد الحلقة في أيام
الناصر محمد بن قلاون فانها بلغت على ما رأيت في جرائد ديوان الجبل بأوراق الروك
الناصرى أربعة وعشرين ألف فارس ثم ما زالت تنقص حتى صارت اليوم مع قلة عدتها
سواء منها الألف والواحد فانها لا تنفع ولا تدفع وأما المماليك فانها اليوم قليل عددها بحيث
لو جمعت أجناد الحلقة مع المماليك السلطانية لاتكاد أن تبلغ خمسة آلاف فارس يصلح منها
لان مباشر القتال ألف أو دونها وهي اليوم قدام أجناد الحلقة والمماليك السلطانية والمماليك
السلطانية ثلاثة أقسام ظاهرية وناصرية ومؤيدية والمؤيدية مابين حكمية ونوروزية ومن
استجده المؤيد وان خوفي ليكثر أن يكون الحال بعد الملك المؤيد أبي النصر شيخ خلد الله
ملكه يتلاشى الى أن يؤيد الله الملك بابنه الأمير صارم الدين إبراهيم شد الله به أزره فانه
فتح من البلاد الرومية مالا ملكه أحد من ملوك مصر في الدولة الاسلامية قبله * والشبل في
الخبر مثل الاسد * وابن السري اذا سرى اسراهما * ولا غرو أن يحذو الفتي حذو والده *
بأبه اقنذى عدى في الكرم * ومن يشابه أبه فما ظلم * ان الاصول عليها ينبت الشجر * ثم
لما ملك الاشرف برسبای صارت المماليك سبع طوائف ظاهرية وناصرية ومؤيدية ونوروزية
وحكمية وططرية واشرفية كل طائفة منها مياينة لجمعها فلذلك اضمحلت شوكتهم وانكسرت
حدتهم وأمنت على السلطان غائلتهم ولم يخف ثورتهم لتفرقهم وان كانوا اجتمعين وتباينهم وان
كانوا في الظاهر متفقين واعلم أنه كانت عادة الخلفاء من بني أمية وبني العباس والفاطميين
من لدن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن تجبي أموال الخراج ثم تفرق من
الديوان في الامراء أو العمال والاجناد على قدر رتبهم وبحسب مقاديرهم وكان يقال لذلك
في صدر الاسلام العطاء وما زال الامر على ذلك الى ان كانت دولة المعجم فغير هذا الرسم
وفرت الاراضى اقطاعات على الجند وأول من عرف أنه فرق الاقطاعات على الجند نظام
الملك ابو على بن الحسن بن على بن اسحاق بن العباس الطوسي وزير البرشلان بن داود
(م - ٢٠ خط ل)

ابن ميكال بن سلجوق ثم وزير ابنه ملكشاه بن البرشلان وذلك أن مملكته اتسعت فرأى أن يسلم إلى كل مقطع قرية أو أكثر أو أقل على قدر اقتطاعه لانه رأى أن في تسليم الاراضي إلى المقطعين عمارتها لاغتناء مقطعيها بأمرها بخلاف ما اذا شمل جميع اعمال المملكة ديوان واحد فان الحرق يتسع ويدخل الخلل في البلاد ففعل نظام الملك ذلك وعمرت به البلاد وكثرت الغلات واقتدى بفعله من جاء بعده من الملوك من أعوام بضع وثمانين واربعمائة إلى يومنا هذا وكانت الخلفاء ترزق من بيت المال فذكر عطاء بن السائب في حديث أن أبا بكر رضى الله عنه لما استخلف فرض له كل يوم شطر شاة وما يكسب به الرأس والبطن وذكر عن حميد بن هلال أنه فرض له بردان اذا أخلقهما وضعهما واخذ مثاهما وطهره اذا سافر ونفقته على أهله كما كان يتفق قبل أن يستخلف وذكر ابن الاثير في تاريخه أن الذى فرضوا له ستة آلاف درهم في السنة وفرض لعمر بن الخطاب رضى الله عنه لما استخلف ما يصلحه ويصاح عياله بالمعروف وقال له على رضى الله عنه ليس لك غيره فقال القوم القول ما قال على يأخذ قوته وفرض عمر لمعاوية بن ابي سفيان على عمله في الشام عشرة آلاف دينار في السنة وقيل بل رزقه ألف دينار وهو أشبه

ذكر القطائع والاقطاعات

يقال اقطع طائفة من الشئ أخذها والقطيعة ما اقطعه منه وأقطعتني اياها اذن لى في اقطاعاتها واستقطعه اياها سأله أن يقطعه اياها واقطعه نهر ا وأرضا أباح له ذلك وقد أقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتألف على الاسلام قوما وأقطع الخلفاء من بعده من رأوا في اقطاعه صلاحا * روى ابن أبي نجيح عن عمرو بن شعيب عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقطع أناسا من مزينة أو جهينة أرضا فلم يعمرها فجاء قوم فعمروها فخاص بهم الجاهليين أو المزينيين إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال عمر لو كانت منى أو من أبي بكر لرددتها ولكنها قطيعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال من كانت له أرض ثم تركها ثلاث سنين لا يعمرها فعمرها قوم آخرون فهم أحق بها * وقال هشام بن عروة عن أبيه أقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير أرضا فيها نخل من أموال نبي النضير وذكر أنها أرض يقال لها الجرف * وذكر أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أقطع العقيق أجمع الناس حتى جازت قطيعة عروة فقال ابن الزبير المستقطعون فند اليوم فان يك فيه خير فتحت قدى قال خوات بن جبير أقطعني فأقطعه أياه وقال سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة أقطع أبا بكر وأقطع عمر بن الخطاب رضى الله عنهما وقال أشعث بن سوار عن حبيب بن أبي ثابت عن صلت المسكي عن أبي رافع قال أعطى النبي صلى الله عليه وسلم قوما أرضا فمجزوا عن عمارتها فباعوها في زمن عمر بن

الخطاب رضى الله عنه ثمانية آلاف دينار أو ثمانمائة ألف درهم فوضعوا أموالهم عند على ابن ابي طالب رضى الله عنه فلما اخذوها وجدوها ناقصة فقالوا هذا ناقص قال احسبوا زكاته قال فحسبوا زكاته فوجدوه وافيا فقال احسبتم أن أمسك مالا ولا ازكيه وقد سأل تميم الدارى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقطعه عيون البلد الذى كان منه بالشام قبل فتحه ففعل وسأله ابو ثعلبة الحشني أن يقطعه ارضا كانت بيد الروم فأعجبه ذلك وقال ألا تسمعون ما يقول فقال والذى بشك بالحق ليفتحن عليكم فكتب له بذلك كتابا وقال ثابت ابن سعد عن ابيه عن جده ان الابيض بن جمال استقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم ملح مارب فأقطعه فقال الاقرع بن حابس التميمي يارسول الله انى وردت هذا الملح في الجاهلية وهو بأرض ليس فيها ملح من ورده أخذه وهو مثل الماء العذب بالارض فاستقال الابيض فقال قد أقلتك على أن تجعله مني صدقة فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو منك صدقة وهو مثل الماء العذب من ورده أخذه وقال كثير بن عبد الله بن عوف المزني عن ابيه عن جده أقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم بلال بن الحارث المعادين القبيلية جليلها وغورها وقال مالك عن ربيعة عن قوم من علماءهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقطع بلال بن الحارث المزني معادن بناحية الفرع* وعن ربيعة عن الحرث بن بلال عن ابيه بلال بن الحرث أن النبي صلى الله عليه وسلم أقطعه العقيق أجمع وعن حماد بن سلمة عن ابي مكي عن ابي عكرمة مولى بلال بن الحرث قال أقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا ارضا فيها جبل معدن فباع بنو بلال عمر بن عبد العزيز ارضا منها فظهر فيها معدن أو قال معدنان فقالوا انما بعناك أرض حرث ولم نبعك المعادن وجاءوا بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم لهم في جريدة فقبلها عمر وفتح ومسح بها عينيه وقال لقيمه انظر ماخرج منها وما أنفقت فقاصهم بالنفقة ورد عليهم الفضل واصطفي عمر بن الخطاب رضى الله عنه من أرض السواد أموال كسري وأهل بيته وما هرب عنه أربابه أو هلكوا فكان مبلغ غلته تسعة آلاف ألف درهم كان يصرفها في مصالح المسلمين ولم يقطع شيئا منها ثم ان عثمان رضى الله عنه أقطعتها لانه رأى اقطاعها أوفر لغاتها من تعطيلها وشرط على من أقطعتها أن يأخذ منه حق النى فكان مبلغ غلته خمسين ألف ألف درهم كان منها صلاته وعطاياه ثم تناقلها الخلفاء بعده فلما كان عام الجحاجم سنة اثنتين وثمانين في فتنة عبدالرحمن بن الاشعث أحرق الديوان وأخذ كل قوم ما يليهم وأقطع عمر بن الخطاب رضى الله عنه ابن سندر منية الاصبغ فجاز منها لنفسه ألف فدان وقال وكيع عن سفيان عن جابر الجعفي عن عامر لم يقطع أبو بكر ولا عمر ولا على رضى الله عنهم وأول من أقطع القطائع عثمان رضى الله عنه وبيعت الارضون في خلافة عثمان قال الليث بن سعد ولم يبلغنا أن عمر بن الخطاب أقطع أحدا من الناس شيئا من أرض

مضر الا ابن سندر فانه أقطعه أرض منية الاصبع فلم تزل له حتى مات فاشتراها الاصبع بن عبد العزيز بن مروان من ورثته فليس بمصر قطعة أقدم منها ولا أفضل وقال الاعمش عن ابراهيم بن المهاجر عن موسى بن طلحة قال أقطع عثمان رضى الله عنه عبد الله بن مسعود النهرين وعمار بن ياسر اسنسا وأقطع خبابا وصهيبا وأقطع سعد بن أبي وقاص قرية همرز وكان عبد الله بن مسعود وسعد يعطيان أرضهما بالثلث والرابع * وقال سيف بن عمر عن عمرو بن محمد عن عامر قال أقطع الزبير وخباب وعبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر وابن هبار أزمان عثمان فان يكن عثمان أخطأ فالذين قبلوا منه الخطأ أخطأوا وهم الذين أخذنا عنهم ديننا وأقطع عمر بن الخطاب رضى الله عنه طلحة وجابر بن عبد الله والربيع بن عمرو وأقطع أبا مفرز دار التيل في عدة ممن أخذنا عنه وانما القطائع على وجه النفل من خمس ما أفاء الله وكتب عمر رضى الله عنه الى عثمان بن حنيف مع جرير بن عبد الله البجلي أما بعد فأقطع جرير بن عبد الله قدر ما يقوته لا وكس ولا شطط فكتب عثمان الى عمر ان جريرا قدم على بكتاب منك تقطعه ما يقوته فكرهت أن أمضى ذلك حتى أراجمك فيه فكتب اليه صديق جرير فأنفذ ذلك وقد أحسنت في مؤامرتي وأقطع أبو موسى الاشعري وأقطع على بن أبي طالب رجة كردوس بن هاني وأقطع سويد بن غفلة الجعفي قال سيف عن ثابت بن هريجة عن سويد بن غفلة قال استقطعت عليا فقال اكتب هذا ما أقطع على سويدا أرضا لدوابه ما بين كذا الى كذا ماشاء الله وذكر أبو القاسم عبد الرحمن ابن عبد الله بن عبد الحكم ما أقطعه معاوية بن أبي سفيان ومن بعده من الخلفاء من دور مصر فأورد شيئا كثيرا * وقد كان خلفاء بني أمية وخلفاء بني العباس يقطعون الاراضى من أرض مصر النفر من خواصهم لا كما هو الحال اليوم بل يكون مال خراج أرض مصر يصرف منه اعطية الجنود وسائر السكك ويحمل ما يفضل الى بيت المال وما أقطع من الاراضى فانه بيد من أقطعه وأما منذ كانت أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الى يومنا هذا فان اراضى مصر كلها صارت تقطع للسلطان وأمرائه وأجناده * واراض مصر اليوم على سبعة أقسام قسم يجرى في ديوان الساطان وهذا القسم ثلاثة أقسام منه ما يجرى في ديوان الخاص ومنه ما يجرى في الديوان المفرد وقسم من اراضى مصر قد اقطع للأمراء والاجناد وقد ذكر تفصيل ذلك عند ذكر الروك الناصري وقسم ثالث جعل وقفا محبسا على الجوامع والمدارس والخوانك وعلى جهات البر وعلى ذرارى واقفي تلك الاراضى وعتقاتهم وقسم رابع يقال له الاحباس يجرى فيه أراض بأيدي قوم يأكلونها اما عن قيامهم بمصالح مسجد أو جامع وأما يكون لهم لافي مقابلة عمل * وقسم خامس قد صار ملكا يباع ويشترى ويورث ويوهب لكونه اشترى من بيت المال * وقسم سادس لا يزرع

للعجز عن زراعته فترعاه المواشي أو بنبت الحطب ونحوه * وقسم سابع لا يشمله ماء النيل
 فهو قفر وهذا القسم منه ما لم يزل كذلك منذ عرفت احوال الخليفة ومنه ما كان عامرا في
 الدهر الاول ثم خرب وسائر هذه الاقسام مذكورة أخبارها في هذا الكتاب تجدها ان
 انت تأملت ان شاء الله تعالى وقال ابو عبد الله القاسم بن سلام في كتاب الاموال في الكلام
 على حديث معمر عن عبد الله بن طاوس عن ابيه طاوس قال قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم عادي الارض لله ورسوله ثم هي لكم قلت مامعنى ذلك قال تكون اقطاعا هذا
 الخبر اصل في الاقطاع والمادى كل ارض كان لها سكان فاقترضوا أى فصارت خرابا فان
 حكمها الى الامام قال وأما الارض التي جعلها النبي صلى الله عليه وسلم لبعض الناس وهي
 عامرة لها اهل فاعطاء الامام يكون على وجه النفل ومن ذلك ما أعطاه رسول الله صلى الله
 عليه وسلم تيمم الدارى فانه أعطاه ارضا بالشام من قبل أن يفتح الشام وقبل أن يملكها المسلمون
 فجعلها له نفلا من اموال اهل الحرب اذا ظهر عليهم كما فعل نائبه نفيلة لما وهبها الشيباني قبل
 افتتاح الحيرة فامضاها له خالد بن الوليد رضى الله عنه وكذلك أمضى عمر بن الخطاب رضى
 الله عنه تميم الدارى لما فتحت فلسطين ما كان النبي صلى الله عليه وسلم نفله انتهى فقد خرج
 ابو عبد الله هذه العطية المتعلقة مخرج النفيل الذي ينفله الامام ببعض المقاتلة * وقال
 ابو الحسن على بن محمد بن حبيب الماوردى في الاحكام السلطانية والاقطاع ضربان اقطاع
 استغلال واقطاع تملك والثاني ينقسم الى موات وعامر والثاني ضربان احدهما مابيعين ماله
 ولا نظر للسلطان فيه الا بتلك الارض في حق لبيت المال اذا كانت في دار الاسلام فان كانت
 في دار الحرب حيث لم يثبت للمسلمين عليها يد فأراد الامام أن يقطعها لملكها المقطوع عند
 الظفر بها فانه يجوز فقد سأل تميم الدارى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطيه عيون
 البلد الذي كان منه قبل أن يفتح الشام ففعل وسأله ابو ثعلبة الحشني أن يقطعها أرضا كانت
 بيد الروم فأعجبه ذلك وقال ألا تسمعون ما يقول هذا فقال والذي بعثك بالحق ليفتحن
 عليك فكتب له بذلك كتابا قال الماوردى وهكذا لو استوهب أحد من الامام مالا في دار
 الحرب وهو على ملك أهلها أو استوهبه شيئا من سبها أو ذرارها ليكون أحق به اذا
 فتحت جاز وصحت العطية منه مع الجباله بها لتعلقها بالامور العامة * وقد روى الشعبي أن
 خزيمة بن أوس الطائي قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان فتح الله عليك الحيرة فأعطني بنت
 نفيله فلما أراد خالد صالح أهل الحيرة قال له خزيمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطانى
 بنت نفيله فلا تدخلها في صلحك فشهد له بشر بن سعد ومحمد بن مسلمة فاستنهما من الصلاح
 ودفعها الى خزيمة فاشترت بألف درهم وكانت عجزت وحالت عما عهد منها فقبل له قد
 أرخصتها وكان أهلها يدفعون لك أضعاف ما سألت فقال ما كنت أظن ان عددا يكون أكثر

من ألف قال الماوردي وإذا صح الاقطاع والتملك على هذا الوجه نظر حال المتح فان كان صاحبا خلصت الارض لمقطعها وكانت خارجة عن حكم الصلح بالاقطاع السابق وان كان الفتح عنوة كان المقطع والمستوهب أحق بما استقطعه واستوهبه من الغنائم ونظر في الغنائم فان كانوا علموا بالاقطاع أو الهبة قبل الفتح فليس لهم المطالبة بعوض وان لم يعلموا حتى فتحوا عاوضهم الامام بما يستطيب نفوسهم من غير ذلك من الغنائم وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى لا يلزم الامام استطابة نفوسهم منه ولا من غيره من الغنائم اذا رأى المصلحة في ذلك

ذكر ديوان الخراج والاموال

يقال لكتابة الخراج قلم التصريف وأول مادون هذا الديوان في الاسلام بدمشق والعراق على ما كان عليه قبل الاسلام وكان ديوان الشام بالرومية وديوان العراق بالفارسية وديوان مصر بالقبطية فنقلت دواوين هذه الامصار الى العربية والذي نقل ديوان مصر من القبطية الى العربية عبد الله بن عبيد الملك بن مروان أمير مصر في خلافة الوليد بن عبد الملك سنة سبع وثمانين ونسخها بالعربية وصرف اتمناش عن الديوان وجعل عليه ابن يربوع الفزاري من أهل حمص وأول من نقل الدواوين من الفارسية الى العربية الوليد بن هشام بن مخزوم ابن سليمان بن ذكوان وتوفي سنة اثنتين وعشرين ومائتين والاكثر من نقل ديوان العراق الى العربية صالح بن عبد الرحمن كاتب الحجاج وكان مولى لبني سعد وهو يومئذ صاحب دواوين العراق وذلك بعد سنة ثمانين وسبب ذلك أن صالح بن عبد الرحمن هذا كان أبوه من سبي سجستان ومهر صالح في الكتابة وكتب لزادان فروح كاتب الحجاج ابن يوسف الثقفي وخط بين يديه بالفارسية والعربية خفف على قلب الحجاج خفاف من زادان وقال له أنت الذي رقيتني حتى وصلت الى الامير وأراه قد استخفني ولا آمن أن يقدمني عليك فتسقط منزلتك فقال زادان لا تظن ذلك هو أحوج الى مني اليه لانه لا يجد من يكفيه حسابه غيري فقال صالح والله لو شئت أن أحول الحساب الى العربية لحولته قال فحول منه أسطرا حتى أرى ففعل فقال له تمارض قمارض فبعث اليه الحجاج بطبيبه فشق ذلك على زادان وأمره أن لا يظهر للحجاج فاتفق عقيب ذلك أن زادان قتل في فتنة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث وهو خارج من موضع كان فيه الى منزله فاستكتب الحجاج بعده صالحا فأعلم الحجاج بما جرى له مع زادان في نقل الديوان فأعجبه ذلك وعزم عليه في امضاءه ففعله من الفارسية الى العربية وشق ذلك على الفرس وبذلوا له مائة ألف درهم على أن لا يظهر النقل فأبى عليهم فقال له مروان شاه بن زادان فروح قطع الله أصلك من الدنيا كما قطعت أصل الفارسية وكان عبد الحميد بن يحيى يقول لله در صالح ما أعظم منته على

الكتاب وأما ديوان الشام فإن الذي نقله من الرومية الى العربية أبو ثابت سليمان بن سعد كاتب الرسائل واختلف في وقت نقله ف قيل نقل في خلافة عبد الملك بن مروان وقيل في خلافة هشام بن عبد الملك وكان الذي يكتب على ديوان الشام سرجون ابن منصور النصراني في أيام معاوية بن أبي سفيان ثم كتب بعده ابنه منصور بن سرجون

❦ ذكر خراج مصر في الاسلام ❦

أول من جبي خراج مصر في الاسلام عمرو بن العاص رضى الله عنه فكانت جبايته اثني عشر ألف ألف دينار بفريضة دينارين دينارين من كل رجل ثم جبي عبد الله بن سعد ابن أبي سرح مصر أربعة عشر ألف ألف دينار فقال عثمان بن عفان رضى الله عنه لعمرو بن العاص يا أبا عبد الله درت اللقطة بأكثر من درها الاول فقال أضررت بولدها وهذا الذي جباه عمرو ثم عبد الله انما هو من الجاحم خاصة دون الخراج وانحط خراج مصر بعد ههنا والفساد مع الزمان وسريان الخراب في أكثر الارض ووقوع الحروب فلم يجبا بنو أمية وخلفاء بني العباس الا دون الثلاثة آلاف ألف ما خلا أيام هشام بن عبد الملك فانه وصى عبید الله بن الحبحاب عامل مصر بالعمارة فيقال انه لم يظهر من خراج مصر بعد تناقصه كثرة الا في وقتين * أحدهما في خلافة هشام بن عبد الملك عند ما ولي الخراج عبید الله بن الحبحاب فخرج بنفسه ومسح العامر من أراضي مصر والعامر مما يركبه ماء النيل فوجد قانون ذلك ثلاثين ألف ألف فدان سوى ارتفاع الجرف ووسع الارض فراكها كلها وعدلها غاية التعديل فعقدت معه أربعة آلاف ألف دينار هذا والسعر راخ والبلد بغير مكس ولا ضريبة وفي سنة سبع ومائة لأول أيام هشام بن عبد الملك وظف ابن الحبحاب بمصر طبقات معلومة منسوبة في الدواوين ولم تزل الى ما بعد ذهاب بني أمية ومبلغها ألف ألف دينار وسبع مائة ألف دينار وثمانمائة وسبعة وثلاثين ديناراً منها على كور الصعيد ألف ألف واربع مائة دينار وعشرون ديناراً ونصف والباقي على كور اسفل الارض ويقال ان اسامة بن زيد جباها في خلافة سليمان بن عبد الملك مبلغ اثني عشر ألف ألف دينار * والوقت الثاني في اماره أحمد بن طولون لما تسلم أرض مصر من أحمد بن محمد بن مدبر وقد خربت أرض مصر حتى بقي خراجها ثمانمائة ألف دينار فاستقصى أحمد بن طولون في العمارة وبالغ فيها فعقدت معه أربعة آلاف ألف دينار وثلثمائة ألف دينار وجباها ابنه الامير أبو الحيش حمارويه بن أحمد أربعة آلاف ألف دينار مع رضاء الاسعار أيامئذ فانه ربما بيع في الأيام الطولونية القمح كل عشرة أراذب بدينار * وذكرنا بن خرداديه ان خراج مصر في أيام فرعون كان ستة وتسعين ألف ألف دينار وان ابن الحبحاب جباها ألف ألف وسبع مائة ألف وثلاثة وعشرين ألفاً وثمانمائة وتسعة وثلاثين ديناراً وهذا وهم منه فان هذا القدر هو ما حمله الى بيت المال بدمشق بعد

أعطية أهل مصر وكلفها قال وحمل منها موسى بن عيسى الهاشمي ألفي ألف ومائة ألف وثمانين ألف دينار يعني بعد العطاء والمؤن وسائر الكلف قال وكان خراج مصر اذا بلغ النيل سبع عشرة ذراعاً وعشر أصابع أربعة آلاف ألف دينار ومائتي ألف وسبعة وخمسين ألف دينار والمقبوض عن الفدان دينارين في خلافة المأمون وغيره وبلغ خراج مصر في أيام الأمير أبي بكر محمد بن طفيح الاخشيد ألفي ألف دينار سوى ضياعه التي كانت ملكاً له والاخشيد أول من عمل الرواتب بمصر وكان كاتبه ابن كلا قد عمل تقديراً عجز فيه المرتب عن الارتفاع مائتي ألف دينار فقال له الاخشيد كيف نعمل قال حط من الجرايات والارزاق فليس هؤلاء أولى من الواجب فقال غداً تحيى ونذر هذا فلما أتاه من الغد قال له الاخشيد قد فكرت فيما قلت فاذا أصحاب الرواتب الضعفاء وفيهم المستورون وأبناء النعم ولست آخذ هذا النقص الا منك فقال ابن كلا سبحان الله فقال تسيبها وما زال به الاخشيد حتى أخذ خطه بالقيام بذلك فعوتب على ما صنعه فقال يا قوم اسمعوا ايش كان يعمل جاءه أحمد بن محمد بن المارداني فقال له ما يبني وبين السلطان معاملة ولا للاخشيد على طريق وهذه هدية عشرة آلاف دينار للاخشيد وألف دينار لك فجأني وقال لك قبل ابن المارداني مطالبة فقلت لا فقال هذه ألف دينار قد جاءتك على وجه الماء فاعطاني ألفاً وأخذ عشرة آلاف دينار وأهدى إلى محمد بن علي المارداني في وقت عشرين ألف دينار على يده فاستعملتها فلما اجتمعنا عاتبته فقال لي أرسلت اليك مائة ألف دينار ولا بن كلا كاتبك عشرين ألف دينار فأخذ المائة واعطاني العشرين ألفاً فذكرت قول محمد بن علي له فقال ما أبرد هذا حفظت لك المائة ألف لوقت حاجتك تريدها خذها وانا أعلم أنك تنسلفها * (وبلغت الرواتب) في أيام كافور الاخشيدي خمسمائة ألف دينار في السنة لارباب النعم والمستورين واجناس الناس ليس فيهم أحد من الجيش ولا من الحاشية ولا من المتصرفين في الاعمال فحسن له علي بن صالح الروزبدي الكاتب أن يوفر من مال الرواتب شيئاً يلتقصه من أرزاق الناس فساءة جلس يعمل حكمة حينئذ بقاءه والحكاك يزيد به الى أن قطع العمل وقام لما به فعولج حينئذ بالحديد حتى مات في رمضان سنة سبع وأربعين وثلثمائة وهذه موعظة من الله لمن توسط للناس بالسوء قال تعالى ولا يحق المكر السيئ الا باهله * ولما مات كافور نزلت محن شديدة كثيرة بمصر من الغلاء والفناء والفتن فأتضع خراجها الى أن قدم جوهر القائد من بلاد المغرب بمسافر مولا المعز لدين الله أبي تميم معد فبقي الخراج لسنة ثمان وخمسين وثلثمائة ثلاثة آلاف ألف دينار وأربعمائة ألف دينار ونيفاوا من الوزير الناصر لدين أبو الحسين عبد الرحمن البازوري وزير مصر في خلافة المستنصر بالله بن الظاهر أن يعمل قدر ارتفاع الدولة وما عليها من النفقات فعمل ارباب كل ديوان

ارتفاعه وما عليه وسلم الجميع لتولى ديوان المجلس وهو زمام الدواوين فنظم عليه عملا
جامعا وأثناء به فوجد ارتفاع الدولة التي ألف دينار منها الشام ألف ألف دينار وثقافته بازاء
ارتفاعه والريف وباقي الدولة ألف ألف دينار * قال القاضي أبو الحسن في كتاب المنهاج
في علم الخراج وقفت على مقايضة عملت لامير الحيوش بدر الجملى حين قدم مصر في أيام
الحليفة المستنصر وغلب على أمرها وقهر من كان بها من المفسدين شرح فيها أن الذي
اشتمل عليه الارتفاع في الهلالى لسنة ثلاث وثمانين وأربعمائة وفي الخراجي على ما يقتضيه
الديوان فيه مما كان جاريا في الاعمال المصرية من الخراج وما يجرى معه والمضمون والمقطع
والمورد وبغيره والمحلول بالقاهرة ومصر وضواحيهما وناحيتي الشرقية والغربية من أسفل
الارض وأعمالها وتيس ودمايط وأعمالهما والاسكندرية والبحيرة والاعمال الصعيدية
العالية والادانية ووحدات وعيذاب لسنة ثمانين وأربعمائة الخراجية على الرسوم المصرية وما
كان من الاعمال الشامية التي أولها من حد الشجرتين وهو أول الاعمال الفلسطينية والاعمال
الطرابلسية لسنة ثمان وسبعين وأربعمائة الخراجية على ما استقرت عليه الجملة عينا ثلاثة
آلاف ألف ومائة ألف دينار وأن الذي استقر عليه جملة ما كان يتأدى في سنة ست وستين
وأربعمائة الهلالية قبل نظر أمير الحيوش الموافقة لسنة ثلاث وستين وأربعمائة الخراجية
فكان مبلغها ألفي ألف وثمانمائة ألف دينار وكان الزائد للسنة الجيوشية عما قبلها ثلثمائة
ألف دينار مما أعرب عنه حسن العمارة وشمول العدل وكان نظم هذه المقايضة سنة
ثلاث وثمانين وأربعمائة * وذكر ابن ميسر أن الأفضل بن أمير الحيوش أمر بعمل تقدير
ارتفاع ديار مصر فجاء خمسة آلاف ألف دينار * وذكر القاضي الفاضل في ميا وماته أنه
عبر البلاد من اسكندرية الى عيذاب لسنة خمس وثمانين وخسمائة خارجا عن الثغور وأرباب
الاموال الديوانية وعدة نواح أربعة آلاف ألف وستمائة ألف وثلاثة وخمسين ألفا وتسعة
وعشرين دينارا ثم تقاصرت الى أن جباها القاضي الموفق أبو الكرم بن معصوم العاصمي
التيبسي عينا خالصا الى بيت المال بعد المؤن والكلف ألف ألف دينار ومائتي ألف دينار
الى آخر سنة اربعين وخمسمائة ثم بعده لم يجبها هذه الجباية أحد حتى انقضت الدولة
الفاطمية * وسبب اتضاع خراج مصر بعد ما بلغ مع الروم في آخر سنة ملكوكا قبل فتح
مصر عشرين ألف ألف دينار أن الملوك لم تسمح نفوسهم بما كان ينفق في كلف عمارة
الارض فانها تحتاج أن ينفق عليها ما بين ربع متحصلها الى ثلثه وآخر ما اعتبر حال أرض
مصر فوجد مدة حرثها ستين يوما ومساحة أرضها مائة ألف ألف وثمانين ألف ألف فدان
يزرع منها في مباشرة ابن مدير اربعة وعشرون ألف ألف فدان وأنه لا يتم خراجها حتى
يكون فيها اربعمائة ألف وثمانون ألف حرث يلزمون العمل فيها دائما فاذا أقيم بها هذا

القدر من العمال في الارض تمت عمارتها وكمّل خراجها وآخر ما كان بها مائة ألف وعشرون ألف مزارع في الصعيد سبعون ألفاً وفي أسفل الارض خمسون ألفاً وقد تغير الآن جميع ما كان بها من الاوضاع القديمة واختلت اختلالاً فاضحاً

ذكر اصناف اراضي مصر واقسام زراعتها

اعلم ان اراضي مصر عدة اصناف اعلاها قيمة واوقاها سعراً واعلاها قطعة الباق وهو اثر القرط والمقاني فانه يصلح لزراعة القمح وبعد الباق رى الشراقي وهو الارض التي ظمّت في الخالية فلما رويت في الآتية وصارت مستريحة من الزرع وزرعت أنجب زرعها والبرايب وهو اثر القمح والشعير وسعرها دون الباق لضعف الارض بزراعة هذين الصنفين فتي زرعت على اثر احدهما لم ينجب كنجاية الباق والبرايب صالح لزراعة القرط والقطن والمقاني فان الارض تستريح بزراعة هذه الاصناف وتصير في القابل ارض باق والسقماهيّة اثر السكتان فان زرعت قمحاً خسر والشتونية اثر ما روي وبار في السنة الماضية وهو دون الشراقي والسلاج ماروي وبار فخرت وتعطل وهو مثل رى الشراقي فان زرعه يكون ناجباً والنقائل ارض خلت من اثر مازرع فيها ولم يبق بها شاغل عن قبول مايزرع فيها من اصناف الزراعات والوسخ كل ارض استحکم وسخها ولم يقدر الزراعون على ازاخته كله منها بل حرقوا وزرعوا فيها فجاء زرعها مختلطاً بالخلفاء ونحوها والغالب كل ارض حصل فيها نبات شغلها عن قبول الزراعة ومنع كثرته من زراعتها وصارت مراعى والخرس كل ارض فسدت بما استحکم فيها من موانع قبول الزرع وكانت بها مراعى وهو اشد من الوسخ الغالب واذا اُدمن على ازالة ما فيها من الموانع تهيأ صلاحها والشراقي كل ارض لم يصل اليها الماء اما لقصور ماء النيل او علو الارض او سد طريق الماء عنها او غير ذلك والمستبحر كل ارض وطيفة حصل بها الماء ولم يجرد مصرفاً حتى فات اوان الزرع وهو باق في الارض والسبخ كل ارض غلب عليها الملح حتى ملحت ولم ينتفع بها في زراعة الحبوب وربما زرعت ما لم يستحکم السبخ فيها غير الحبوب كالحليون والباذنجان ويزرع فيها القصب الفارسي * وما لا غنى لاراضي مصر عنه الجسور وهي على قسمين سلطانية وبلدية فالجسور السلطانية هي العامة النفع في حفظ النيل على البسلامد كافة الى حين يستغنى عنه ولها رسوم موظفة على الاعمال الشريفة والاعمال القريبة وكانت في القديم تعمل من أموال النواحي ويتولى عملها مستقبلي الاراضي ويعتد لهم بما صرف عليها مما عليهم من قبالات الاراضي ثم صار بعد ذلك يستخرج برسم عملها من هذين العاملين مال بايدي المستخدمين من الديوان ويصرف عليها ويفضل من المال بقية تحمّل الى بيت المال ثم صار يتولى ذلك اعيان امراء الدولة الى ان حدثت الحوادث في أيام الناصر فرج فصار يجبي من البسلامد مال عظيم ولا

يصرف منه شيء البتة بل يرفع الى السلطان ويتفرق كثير منه بايدي الاعوان ويسخر أهل البلاد في عمل الجسور فيجئ الخلل كما ستقف عليه ان شاء الله تعالى عند ذكر أسباب الخراب * وأما الجسور البلدية فانها عبارة عما يخص نفعها ناحية دون ناحية ويتولى اقامتها المقطعون والفلاحون من أصل مال الناحية ومحل الجسور السلطانية من القرى محل سور المدينة الذي يتعين على السلطان الإهتمام بعمارته وكفاية الرعية أمره ومحل الجسور البلدية محل الدور التي من داخل السور فيلزم صاحب كل دار أن يصلحها ويزيل ضررها ومن العادة أن المقطع اذا انفصل وكان قد أنفق شيئاً من مال اقطاعه في اقامة جسر لاجل عمارة السنة التي انتقل الاقطاع عنه فيها فان له أن يستعيد من المقطع الثاني نظير ما أنفق من مال سنته في عمارة سنة غيره * وأصاح مازرع القمح في أثر الباقي والشرقي وكان يزرع بالصعيد القمح على أثر القمح لكثرة الطرح وربما زرع هناك على أثر الكتان والشعير ويزرع القمح من نصف شهر بابه الى آخر هتور وهذا في العوالي من الارض التي تخرج بدرياً وأما البحائر المتأخرة فيمتد وقت الزرع فيها الى آخر كيهك ومقدار ما يحتاج اليه الفدان الواحد من بذر القمح يختلف بحسب قوة الارض وضعفها ورقتها وتوسطها وما يزرع في اللوق وما يزرع في الحرث وأكثر البذر من أردب الى خمس وبيات وأربع وبيات أيضاً ويوجد في الصعيد أراضٍ تحتل دون هذا وفي خوف ومسيس أراضٍ يكفي الفدان منها نحو الويتين ويدرك الزرع بمصر في بشنس وهو نيسان ويختلف ما يخرج من فدان القمح بحسب الاراضي فيرمي من أردبين الى عشرين أردباً وقال أبو بكر بن وحشية في كتاب الفلاحة وذكر أن في مصر اذا زرعوا يخرج من المدة ثمانية مد والعلة في ذلك حرارة هواء بلادهم مع سمن أراضهم وكثرة كدورة ماء النيل * ولما كان في سنة ست وثمانمائة انحسر الماء عن قطعة أرض من بركة الفيوم التي يقال لها اليوم بحر يوسف فزرعت وجاء زرعها عجيباً رمى الفدان منها أحداً وسبعين أردباً من شعير بكل الفيوم وأردبها تسع وبيات وكانت قطعة فدان القمح ببلاد الصعيد في أيام الفاطمية ثلاثة أردب فلما مسحت البلاد في سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة تقرر على كل فدان أردبان ونصف ثم صار يؤخذ أردبان عن الفدان وأما أراضى أسفل الارض فيؤخذ عنها عين لاغلة * ويزرع الشعير في أثر القمح وغيره في الأرض التي غرقت وهي رطبة ويتقدم زراعته على زراعة القمح بأيام وكذلك حصاده فانه يحصل قبل القمح ويحتاج الفدان منه أن يبذر فيه بحسب الارض ويخرج أكثر من القمح ويكون ادرا كفي برموده وهو أدار * ويزرع الفول في الحرث أثر البراب من اول شهر بابه ويؤكل وهو أخضر في شهر كيهك ويحتاج الفدان من البذر منه الى ثلاث وبيات ونحوها ويدرك في برموده ويحصل من فدان ما بين عشرين أردباً الى ما دون ذلك * ويزرع العدس والحمص من هتور الى

كيهك والجلبان لا يزرع الا في ارق الاراضى حرنا من الارض العالية ويزرع تلويقا في
 الاراضى الخرس ويبذر في كل فدان من الحصى من اردب الى ثمان وبيات ومن الجلبان من
 اردب الى اربع وبيات ومن العدس من ويبتين الى مادونها وتدركه هذه الاصناف في رموده
 ويحصل من فدان الحصى من اربعة ارادب الى عشرة ومن الجلبان من عشرة ارادب الى
 مادونها والعدس من عشرين اردبا فما دونها * وأنجب مايكون السكتان اذا زرع في
 البرش ويحتاج أن يسبح بتراب سباح وهو اذا طال رقد ويقلع قضباناً ويسمى حينئذ اسلافا
 وينشر في موضعه حتى يجف فاذا جف حمل وهدر وعزل جوزه فيخرج منه بزر السكتان
 ويستخرج منه الزيت الحار ويزرع السكتان في شهر هاتور ويحتاج الفدان أن يبذر فيه من
 البزر ما بين اردب وثلث الى مادون ذلك ويدرك في شهر برمودة ويخرج من الفدان ما بين
 ثلاثين شدة الى مادون ذلك ومن البزر من ستة ارادب الى مادونها وكانت قطعة الفدان
 منه في القديم بأرض الصعيد من خمسة دنانير الى ثلاثة وفي دلاص ثلاثة عشر دينارا *
 وفيها عدا ذلك ثلاثة دنانير * ويزرع القرط عند أخذ ماء النيل في التقصان ولا ينبغي تأخير
 زراعته الى أوان هبوب الريح الجنوبية التي يقال لها المريسية واول ما يبذر في شهر بابه وربما
 زرع بعد النوروز والحراثي منه يزرع في كيهك وطوبه ويزرع احيانا في هاتور ويبذر في
 كل فدان من ويبتين ونصف الى ماحولها ويدرك الاخضر منه في آخر شهر كيهك ويدرك
 الحراثي في طوبه وامشير ويحصل من الفدان الحراثي ما بين اردبين الى اربع وبيات *
 ويزرع البصل والثوم من شهر هاتور الى نصف كيهك ويبذر في فدان البصل من نصف
 وربع وبة الى وبة والثوم من مائة حزمة الى مائة وخمسين حزمة ويدرك ذلك في برمودة
 والبصل الذي يخرج ليزرع زريعة فانه يزرع من اول كيهك الى العاشر من طوبه ويخرج
 من زريعته عشرة ارادب من الفدان ويدرك في بشنس * ويزرع التمرس في طوبه وزريعته
 لكل فدان اردب ويدرك في برمودة ويحصل من الفدان ما بين عشرين اردبا الى مادونها
 وهذه هي الاصناف الشتوية * (وأما الاصناف الصيفية) * فان البطيخ واللوبيا يزرعان من
 نصف برمها الى نصف برمودة * ويزرع في الفدان قدحان ويدرك في بشنس * ويزرع
 السمسم في برمودة وزريعته ربع وبة للفدان ويدرك في أيب ومسرى ويحصل من الفدان
 ما بين اردب الى ستة ارادب * ويزرع القطن في برمودة وزريعته اربع وبيات حب للفدان
 ويدرك في توت فيخرج من الفدان من ثمانية قناطير بالجروى الى مادونها * ويزرع قصب
 السكر من نصف برمها في أثر الباق والبرش وتبرش أرضه سبع سكك وأنجبه ما تكامل
 له ثلاث غرقات قبل انقضاء شهر بشنس ومقدار زريعته ثمن فدان وما حوله لكل فدان
 ويحتاج القصب الى أرض جيدة دمة قد شملها الري وعلاها ماء النيل وقلع ما بها من

الحلفاء ونظفت ثم برشت بالمقلقات وهي محارث كبار ستة وجوه وتجرف حتى تمهد ثم تبرش ستة وجوه أخرى وتجرف ومعنى البرش الحرث فإذا صاحمت لأرض وطابت ونعمت وصارت تراباً ناعماً وتساوت بالتجريف شقت حينئذ بالمقلقات ويرمى فيها القصب قطعتين قطعة مثناة وقطعة مفردة بعد أن تجعل الأرض أحواضاً وتفرض لها جداول يصل الماء منها إلى الأحواض ويكون طول كل قطعة من القصب ثلاثة أنابيب كواامل وبعض أنبوبة من أعلى القطعة وبعض أخرى من أسفائها ويختار ما قصرت أنابيبه وكثرت كهوبه من القصب ويقال لهذا الفعل النصب فإذا كمل نصب القصب أعيد التراب عليه ولا بد في النصب أن تكون القطعة ملقاة لاقامة ثم يسقى من حين نصبه في أول فصل الربيع لكل سبعة أيام مرة فإذا نبت القصب وصار أوراقاً ظاهرة نبتت معه الحلفاء والبقلة الحلفاء التي يسميها أهل مصر الرحلة فعند ذلك تعزق أرضه ومعنى العزاق أن تنكش أرض القصب وينظف ما نبت مع القصب ولا يزال يتعاهد ذلك حتى يغزر القصب ويقوى ويتكاثر فيقال عند ذلك طرد القصب عزاقه فإنه لا يمكن عزاق الأرض ولا يكون هذا حتى يبرز الأنبوب منه ومجموع ما يسقى بالقادوس ثمانية وعشرون ماء والعادة أن الذي ينصب من الأقباب على كل مجال يجر إلى أي مجاور للبحر إذا كانت مزاحة الغلة بالإنقار الجياد مع قرب رشا الآبار ثمانية أفدنة ويحتاج إلى ثمانية رؤس يقر فإن كانت الآبار بعيدة عن مجرى النيل لا يمكن حينئذ أن يقوم المجال بأكثر من ستة أفدنة إلى أربعة فإذا طلع النيل وارتفع سقى القصب عند ذلك ماء الراحة وصفة ذلك أن يقطع عليه من جانب جسر يكون قد أدير عليه ليقبه من الفرق عند ارتفاع النيل بالزيادة فيدخل الماء من ثلثة في ذلك الجسر حتى يصلو على أرض القصب نحو شبر ثم يسد عنه الماء حتى لا يصل إليه ويترك الماء فوق الأرض قدر ساعتين أو ثلاث إلى أن يسجن ثم يصرف من جانب آخر حتى ينضب كله ويجدد عليه ماء آخر كذلك فيتعاهد ما ذكرنا مراراً في أيام متفرقة بقدر معلوم ثم يقطع بعد ذلك فإذا عمل ما قلناه وفي القصب حقه فإن نقص عن ذلك حصل فيه الخلل ولا بد للقصب من القطران قبل أن يحلو حتى لا يسوس ويكسر القصب في كهك ولا بد من حرق آثار القصب بالنار ثم سقيه وعزقه كما تقدم فينبت قصباً يقال له الخلفة ويسمى الأول الرأس وقنود الخلفة أجود غالباً من قنود الرأس ووقت ادراك الرأس في طوبه والخلفة في نصف هتور وغاية إدارة معاصر القصب إلى النور وز يحصل من الفدان ما بين أربعين أبلوجة قند إلى ثمانين أبلوجة والأبلوجة تسع قطاراً فما حوله * ويزرع القلقاس مع القصب ولكل فدان عشرة قناطير قلقاس جروية ويدرك في هتور * ويزرع الباذنجان في برمهات وبرموده وبشنس وبؤونة ويدرك من بؤونة إلى مسرى * وتزرع الثبلة من شنس والزريعة للفدان وبية ويدرك من أيب * ويزرع

الفجل طول السنة وزريعه الفدان من قدح واحد الى قدحين * ويزرع اللفت في أبيب وزريعة
 الفدان قدح واحد ويدرك بعد أربعين يوما * ويزرع الخس في طوبه شتلا ويؤكل بعد شهرين *
 ويزرع الكرنب في توت شتلا ويدرك في هتور * ويفرس الكرم في أمشير نقلا وتحويلا * ويفرس
 التبن والتفاح في أمشير * ويقلم التوت في برمها * ويفرس وبيل اللوز والخوخ والمشمش في ماء
 طوبة ثلاثة أيام وهي قضبان ثم يفرس ويحول شجرها في طوبة * ويزرع نوي التمر ثم يحول
 وديافينقل * ويدفن بصل النرجس في مسرى * ويزرع الياسمين في أيام النسي وفي أمشير *
 ويزرع المرسين في طوبه وأمشير غرسا * ويزرع الريحان في برموده * ويزرع حب
 المنثور في أيام النيل * ويزرع الموز الشتوي في طوبة والصيفي في أمشير * ويحول الخيار
 شنب في برمها * وتقلم الكروم على ربح الشمال الى ليال من برمها حتى تخرج العين
 منها * وتقلم الاشجار في طوبة وأمشير الا السدر وهو شجر النبق فانه يقلم في برموده *
 وتسقى الاشجار في طوبة ماء واحدا ويسمونه ماء الحياة وتسقى في أمشير ثانيا عند
 خروج الزهر وتسقى في برمها ماءين آخرين الى أن ينمقد التمر وتسقى في بشنس ثلاث
 مياه وتسقى في بؤونة وأبيب ومسرى ماء في كل سبعة أيام وتسقى في توت وبابة مرة
 واحدة تفريقا من ماء النيل وتسقى في هتور من ماء النيل بتفريق المساطب ويسقى البعل
 من الكروم في هتور من ماء النيل مرة واحدة تفريقا * وجميع أراضي مصر تقاس
 بالفدان وهو عبارة عن أربعائة قصبة حاكية طولاً في عرض قصبة واحدة والقصبة ستة
 اذرع وثلاث اذرع بذراع القماش وخمسة اذرع بذراع التجار تقريباً وقال القاضي أبو
 الحسن في كتاب المنهاج خراج مصر قد ضرب على قصبة في المساحة اصطلاح عليها زرع
 المزارع على حكمها وتكسیر الفدان اربعائة قصبة لانه عشرون قصبة طولاً في عشرين
 قصبة عرضاً وقصبة المساحة تعرف بالحاكمية وهي تقارب خمسة اذرع بالتجارى

ذكر أقسام مال مصر

اعلم أن مال مصر في زمتنا ينقسم قسمين أحدهما يقال له خراجي والآخر يقال له هلالى
 فالمال الخراجي ما يؤخذ مساهمة من الاراضى التى تزرع حبوباً ونخلًا وعنباً وفاكهة وما
 يؤخذ من الفلاحين هدية مثل الغنم والدجاج والكشك وغيره من طرف الريف * والمال
 الهلالى عدة أبواب كلها أحدثوها ولاية السوء شيئاً بعد شيء وأصل ذلك في الاسلام أن
 أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه بلغه أن تجارا من المسلمين يأتون أرض الجند
 فيأخذون منهم العشر فكتب الى أبي موسى الأشعري وهو على البصرة أن خذ من كل
 تاجر بمربك من المسلمين من كل مائتي درهم خمسة دراهم وخذ من كل تاجر من تجار
 العهد يعني أهل الذمة من كل عشرين درهما درهماً ومن تجار الحرب من كل عشرة دراهم

درهما وقيل لابن عمر كان عمر يأخذ من المسلمين العشر قال لا ونهي عمر بن عبد العزيز
 عن ذلك وكتب ضعوا عن الناس هذه المكوس فليس بالمكس ولكنه التجس *
 وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أتاه ناس من أهل الشام فقالوا أصنادواب وأموالا
 نخذ منها صدقة تطهرنا بها فقال كيف أفعل ما لم يفعل من كان قبلى وشاور فقال على بن أبي
 طالب رضى الله عنه لا بأس به ان لم يأخذه من بعدك فأخذ عن العبد عشرة دراهم وكذلك
 عن الفرس وعن الهجين ثمانية وعن البرذون والبغل خمسة * وأول من وضع على الخوانيت
 الخراج في الاسلام أمير المؤمنين أبو عبد الله محمد بن أبي جعفر المنصور في سنة سبع وستين
 ومائة وولى ذلك سعيد الجرسى * وأول من أحدث ما لا سوى مال الخراج بمصر أحمد
 ابن محمد بن مدبر لما ولى خراج مصر بعد سنة خمسين ومائتين فإنه كان من دهاة الناس
 وشياطين السكتاب فابتدع في مصر بدعا صارت مستمرة من بعده لا تنقض فأحاط بالطرون
 وحجر عليه بعد ما كان مباحا لجميع الناس وقرر على السكلا الذى ترعاه البهائم ما لاسماه
 المراعى وقرر على ما يطعم الله من البحر مالا وسماه المصايد الى غير ذلك فانقسم حينئذ مال مصر
 الى خراجى وهلالى وكان الهلالى يعرف في زمنه وما بعده بالمرافق والمعاون فلما ولى الامير
 أبو العباس احمد بن طولون اماره مصر وأضاف اليه امير المؤمنين المعتمد على الله الخراج
 والتغور الشامية رغب وتنزه عن ادناس المعاون والمرافق وكتب باسقاطها في جميع اعماله
 وكانت تبلغ بمصر خاصة مائة ألف دينار في كل سنة وله في ذلك خبر فيه اكبر معتبر
 قد ذكرته عند ذكر أخبار الجامع الطولوني من هذا السكتاب ثم اعيدت الاموال الهلالية
 في اثناء الدولة الفاطمية عند ما ضعفت وصارت تعرف بالمكوس فلما استبد السطان الناصر
 صلاح الدين ابو المظفر يوسف بن ايوب بملك مصر أمر باسقاط مكوس مصر والقاهرة
 فكتب عنه القاضي الفاضل مرسوما بذلك وكان جملة ذلك في سنة مائة ألف دينار تفصيلها
 مكس البهار وعمالته ثلاثة وثلاثون الفا وثلاثمائة واربعة وستون دينارا مكس البضائع والقوانل
 وعمالها تسعة آلاف وثلاثمائة وخمسون دينارا منفلت الصناعة عن مكس البز الوارد اليها
 والنحاس والقزدير والمرجان والفاضلات خمسة آلاف ومائة وثلاثة وتسعون دينارا
 الصادر عن الصناعة بمصر ستة آلاف وستمائة وستة وستون دينارا سمسرة التمر ثلثمائة دينار
 الفندق بلنية عن مكس البضائع ثمانمائة دينار وستة وخمسون دينارا رسوم دار القند ثلاثة
 آلاف ومائة وثمانية دنانير رسوم الخشب الطويل والملح ستمائة وستة وسبعون دينارا رسوم
 اللعب المنسوبة الى بليس واليورى مائة دينار رسوم التفتيش بالصناعة عن البهار وغيره
 مائتان وسبعة عشر دينارا خيمة أرمنت عن الوارد اليها سبعة وستون دينارا فندق القطن
 ألفا دينار سوق الغنم بالقاهرة ومصر والسمسرة وعبور الاغنام بالجيزة ثلاثة آلاف وثلثمائة

وأحد عشر دينارا عبور الاغنام والسكران والابقار بباب القنطرة ألف ومائتا دينار
واجب ماورد من السكران الحطب الى الصناعة مائتا دينار رسوم واجب الغلات كالحبوب
الواردة الى الصناعة والمقس والمنية والحمر والتبائن ومقات جزيرة الذهب وطموه ومنبر
الدرج ستة آلاف دينار مكس ما يرد الى الصناعة من الاغنام ستة وثلاثون دينارا الاغنام
البيتوتية اثنا عشر دينارا العرصة والسر سنواى بالجيزة ومكس الاغنام مائة وتسعون دينارا
منفلت الفيوم عما يرد من السكران من القبة ومن البضائع الواردة من الفيوم وغيره
أربعة آلاف ومائة وستون دينارا مكس الورق المحلوب الى الصناعة ورسم التفتيش مائتا
دينار الحصة بساحل الغلة والاقوات والرسائل سبعمائة وثمانية وستون دينارا دار التفاح
والرطب بمصر والعرصة بالقاهرة ألف وسبعمائة دينار رسم ابن المليجي مائتا دينار دار الحين
ألف دينار مشاركة الخزان مائتان وأربعون دينارا واجب الحلى الوارد من الوجه البحرى والقطن
ألف وعشرون دينارا رسم سمسة الصفا ألف ومائتا دينار منفلت الصعيد مائة وأحد وستون
دينارا خاتم الثرب والديقى ألف وخمسمائة دينار مكس الصوف مائتا دينار نصف الموردة
بساحل المقس أربعة عشر دينارا دكة السمسم ثلثمائة وخمسون دينارا منفلت العريف بالصناعة
وحملة البهار والبضائع مائتان وستة عشر دينارا الحلفاء الواردة من القبة مائة وخمسة
وثلاثون دينارا الوقود والسرقيين والطعم بدار التفاح ومنفلت القبة بالتبائن والجسر خمسة
وثلاثون دينارا رسوم الصفا والحراء ورسوم دار السكران ستون دينارا حماية الغلات بالمقس
ودار الحين مائة وأربعون دينارا الحلفاء الواردة على الجسر ومعدية المقياس مائة دينار
خمس البرنية بالجيزة عشرون دينارا تل التعريف بالصناعة ثمانية وعشرون دينارا منفلت
الغلات بمعدية جزيرة الذهب عشرة دنانير رسوم الحمام بساحل الغلة خمسمائة وأربعة
وثلاثون دينارا واجب الحناء الواردة في البر ثمانمائة دينار واجب الحلفاء والقصاب ثلاثة وستون
دينارا مكس ما يرد من البضائع الى المنية مائة وأربعة وثمانون دينارا مسالخه شطنوف
والبرانية مائتا دينار سوق السكرين خمسون دينارا رسوم خيمة الحلى بالشارع وسوق وردان
تسعة عشر دينارا واجب الفحج الوارد الى القاهرة عشرة دنانير معدية الجسر بالجيزة مائة
وعشرون دينارا خيمة البقرى أربعون دينارا الخيمة بدار الدباغة تسعة عشر دينارا سمسة الحيس
الحيوشى ثلثمائة واثنا عشر دينارا دكان الدهن ومصرة الشيرج والخل بالقاهرة خمسمائة
دينار الخل الحامض وما معه أربع مائة دينار بيوت الغزل والمصطبة ثلثمائة وخمسون دينارا
ذبانج الابقار ألف دينار سوق السمك بالقاهرة ومصر ألف ومائتا دينار رسوم الدلالة
ثلثمائة دينار سمسة السكران ثلثمائة دينار رسوم حماية الصناعتين أربع مائة دينار مربعة
العسل مائتان واثنا وثلاثون دينارا معادى جزيرة الذهب وغيرها ثلثمائة دينار خاتم

الشمع بالقاهرة ثلاثة وستون ديناراً زريبة الذبجة سبعمائة دينار معدية المقياس وأنبابة مائتا دينار حمولة السلجم ثلثمائة وثلاثون ديناراً دكة الدباغ ثمانمائة دينار سوق الرقيق خمسمائة دينار معمل الطبرى مائتان وأربعون ديناراً سوق منبوبة مائة وأربعة وستون ديناراً ذبائح الضأن بالجيزة ورسوم ساحل السنط عشرة دنانير نخب السمك خمسة دنانير تنور الشوى مائة دينار نصف الرطل من مطابخ السكر مائة وخمسة وثلاثون ديناراً سوق الدواب بالقاهرة ومصر أربعمائة دينار سوق الجمال مائتان وخمسون ديناراً قبان الحناء ثلاثون ديناراً واجب طاقات الادم ستة وثلاثون ديناراً متفلة الخام بالشاشين ثلاثون ديناراً أنولة القصار أربعون ديناراً بيوت الفروج ثلاثون ديناراً الشعر والطارات أربعة دنانير رسوم الصبغ والحرير ثمانمائة وأربعة وثلاثون ديناراً وزن الطفل مائة وأربعون ديناراً معمل المزر أربعة وثمانون ديناراً الفاخور بمصر والقاهرة مائتان وستة وثلاثون ديناراً * وذكر ابن أبي طي أن الذى أسقطه السلطان صلاح الدين والذي سأل به لعدة سنين آخرها سنة أربع وستين وخمسمائة بمباغة عن نيف ألف دينار وألفى ألف أردب سأل بذلك وأبطله من الدواوين وأسقطه عن المعاملين فلما ولي السلطان الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف أعاد المكوس وزاد في شناعتها قال القاضي الفاضل في متجددات سنة تسعين وخمسمائة وكان قد تابع في شعبان أهل مصر والقاهرة في اظهار المنكرات وترك الانكار وإباحة أهل الامر والنهي لها وتفاحش الامر فيها الى أن غلا سعر العنب لكثرة من يعضره وأقيمت طاحون بحارة المحمودية لطحن حشيش المزر وأفردت برسمه وحيت بيوت المزر وأقيمت عليها الضرائب الثقيلة فمنها ما انتهى أمره في كل يوم الى ستة عشر ديناراً ومنع المزر البيوتى ليتوفر الشراء من البيوت المحمية وحملت أو أواني الخمر على رؤس الاشهاد وفي الاسواق من غير منكر وظهر من عاجل عقوبة الله عز وجل وقوف زيادة النيل عن معتادها وزيادة سعر الغلة في وقت ميسورها * وقال في متجددات سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة وآل الامر الى وقوف وظيفة الدار العزيرية من خبز ولحم الى أن تحمل في بعض الاوقات لاكلها لبعض ما يبلغ به من خبز وكثير ضجيجهم وشكواهم فلم يسمع ووقف الحال فيما ينفق في دار السلطان وفيما يصرف الى عياله وفيما يقات به اولاده وما يقصب من أربابه وأفضى هذا الى غلاء الاسعار فان المتعيشين من أرباب الدكاكين يزدون في أسعار الماء كولات العامة بمقدار ما يؤخذ منهم للدار السلطانية فأفضى ذلك الى النظر في المكاسب الحثيثة وضمن المزر والخمر باتني عشر ألف دينار وفسح في أطهار منكرة والاعلان به والبيع له في القاعات والخوانيت مع قرب استهلال رجب وما استطاع أحد من العامة الانكار لا باليد ولا باللسان وصار هذا السحت مما ينفرد السلطان به لثففته وطعامه وانتقل مال الثغور ومال الجوالى الحل الطيب الى أن

يصير حوالات لمن لا يبالي من أين أخذ المال ولا يفرق بين الحرام والحلال وفي شهر رمضان غلا سعر الاغراب لكثرة العصور منها وتظاهر به أربابه لتحكيك تضمينه السلطاني واستيفاء رسمه بأيدي مستخدمييه وبلغ سمانه سبعة عشر ألف دينار وحصل منه شيء حمل اليه فبلغني أنه صنع به آلات للشراب ذهبيات وفضيات وكثر اجتماع النساء والرجال في شهر رمضان لاسيما على الخليج لما فتح وعلى مصر لما زاد الماء وتلقى فيه النيل بمصاص نسأل الله أن لا يؤاخذنا بها وان لا يعاقبنا عليها بمجرأة أهلها * وقال جامع السيرة التركية ولما استقل الملك المعز عز الدين أيبك التركاني الصالحى بمملكة مصر في سنة خمسين وستمائة بعد انقراض دولة بني أيوب استوزر شخصا من نظار الدواوين يعرف بشرف الدين هبة الله بن صاعد الفاضل أحد كتاب الاقباط وكان قد أظهر الاسلام من أيام الملك الكامل وترقي في خدمة الكتابة فقرر في وزارته أموالا على التجار وذوى اليسار وأرباب العقار ورتب مكوسا وضمانات سموها حقوقا ومعاملات ولما ولي الملك المظفر سيف الدين قطز مملكة مصر بعد خلع الملك المنصور على بن المعز أيبك أحدث عند سفره الذى قتل فيه مظالم كثيرة لاجل جمع المال. وصرفه في الحركة لقتال جموع التتر منها تصقيب الاملاك وتقويمها وزكاتها وأحدث على كل انسان دينارا يؤخذ منه وأخذ تلك التركات الاهلية فبلغ ذلك ستمائة ألف دينار في كل سنة فلما قتل قطز وجلس الملك الظاهر ركن الدين بيبرس بعده على سرير الملك بقلمة الجبل أبطل ذلك جميعه وكتب به مساميح قرئت على المنابر ثم أبطل ضمان المزر وجهاته في سنة اثنتين وستين وستمائة وكتب وهو بالشام الى الامير عز الدين الحلى نائب السلطنة بمصر أن يبطل بيوت المزر ويعفى آثاره ويحرب بيوته ويكسر مواضعه ويسقط ارتفاعه من الديوان فان بعض الصالحين تحدث معي في ذلك وقال القمع الذى جعله الله تعالى قوتا للعالم يداس بالارجل وقد تقربت الى الله تعالى بإبطاله ومن ترك شيئا لله عوضه خيرا منه ومن كان له على هذه شيء يعوضه الله من المال الحلال فأبطل الحلى ذلك وعوض المقطعين عليه بدله وفي سنة ثلاث وستين أبطل حراسة النهار بالقاهرة ومصر وكانت جملة مستكثرة وكتب بذلك توقيعا وأبطل من أعمال الدقهلية والمراتحة عن رسوم الولاية أربعة وعشرين ألف دينار وفي خامس عشرى شهر رمضان سنة اثنتين وستين وستمائة قرئ بجامع مصر مكتوب بإبطال ماقرر على رسوم ولاية مصر من الرسوم وهي مائة ألف درهم مصرية فبطل ذلك وأبطل ضمان الحشيش من ديار مصر كلها في سنة خمس وستين وستمائة وأمر بإراقة الخمر وإبطال المنكرات وتعفية بيوت المسكرات ومنع الخانات والخطاطي بجميع أقطار مملكة مصر والشام فظهرت من ذلك البقاع ولما وردت المراسيم بذلك على القاضى ناصر الدين أحمد بن المنير قال

ليس لابلis عندنا أرب * غير بلاد الأمير مأواه

حرقته الحمر والحشيش معا * حرمتا مأوه ومرعاه

وقال الاديب الفاضل أبو الحسين الجزار

قد عطل الكوكب من جبابه * واخلى الثغر من رضابه

وأصبح الشيخ وهو يكي * على الذى فات من شبابه

وفي تاسع جمادي الآخرة سنة ست وستين وستمائة أمر الملك الظاهر بيبرس باراقه الخمر وابطال الفساد ومنع النساء الخواطي من التعرض للبناء من جميع القاهرة ومصر وسائر الاعمال المصرية فتطهرت أرض مصر من هذا المنكر ونهبت الخانات التي كانت معدة لذلك وسلب أهلها جميع ما كان لهم ونفى بعضهم وحبست النساء حتى يتزوجن وكتب الي جميع البلاد بمثل ذلك وحط المال المقرر على البغايا من الديوان وعوض الحاشية من جهات حل بنظيره وفي سابع عشر ذى الحجة سنة تسع وستين وستمائة أريقت الخمر وابطل ضمانه وكان كل يوم ألف دينار وكتب توقيع بذلك قرئ على المنابر وافتتح سنة سبعين باراقه الخمر والتشدد في ازال المنكرات وكان يوما مشهودا بالقاهرة وبلغه في سنة أربع وسبعين عن الطواشي شجاع الدين غنبر المعروف بصدر الباز وكان قد تمكن منه تمكنا كثيرا أنه يشرب الخمر فشقه تحت قلعة الجبل * ولما ولي الملك المتصور سيف الدين قلاون الاثني مملكة مصر أبطل زكاة الدولة وهو ما كان يؤخذ من الرجل عند زكاة ماله أبدا ولو عدم منه وإذا مات يؤخذ من ورثته وأبطل ما كان يجبي من أهل أقايم مصر كله اذا حضر مبشر بفتح حصن أو نحوه فيؤخذ من الناس بالقاهرة ومصر على قدر طبقاتهم ويجمع من ذلك مال كثير وأبطل ما كان يجبي من أهل الزمة وهو دينار سوى الجالية برسم نفقة الاجناد في كل سنة وأبطل مقرر جباية الدينار من التجار عند سفر العسكر والغزاة وكان يؤخذ من جميع تجار القاهرة ومصر من كل تاجر دينار وأبطل ما كان يجبي عند وفاء النيل مما يعمل به شوى وحلوى وفاكهة في المقياس وجعل مصرف ذلك من بيت المال وأبطل أشياء كثيرة من هذا النمط * وأبطل الملك الناصر محمد بن قلاون عدة جهات قد ذكرت في الروك الناصري وآخر ما أدركنا ابطاله ضمان الاغاني وضمان القرايط في سنة ثمان وسبعين وسبعمائة على يد الملك الاشرف شعبان بن حسين محمد بن قلاون * فأما ضمان الاغاني فكان بلاء عظيما وهو عبارة عن أخذ مال من النساء البغايا فلو خرجت أجل امرأة في مصر تريد البغاء حتى نزلت اسمها عند الضامنة وقامت بما يلزمها لما قدر أكبر أهل مصر على منعها من عمل الفاحشة وكان على النساء اذا تنفسن أو عرسن امرأة أو خضبت امرأة يدها بحناء أو أراد أحد أن يعمل فرحا لا بد من مال بتقرير تأخذه الضامنة ومن فعل فرحا بأغان أو نفس امرأته من غير إذن

الضامنة حل به بلاء لا يوصف * وأما ضمان القراريط فانه كان يؤخذ من كل من باع ملكا عن كل ألف درهم عشرون درهما وكان متحصل هاتين الجهتين مالا كثيرا جدا * وأبطل الملك الظاهر برقوق ما كان يؤخذ من اهل البرلس وشورى وبلطيم شبه الجالية في كل سنة ستين ألف درهم وأبطل ما كان على القمح من مكس يؤخذ من الفقراء بشعر دمياط ممن يتناع من اردنين فبا دونهما وأبطل ما كان يؤخذ مكسا من معمل الفروج بالبحريرية والاعمال الغربية وأبطل ما كان يؤخذ قدمة لمن يسرح الى العباسية من الخيل والجمال والغنم وغير ذلك وأبطل ما كان يؤخذ على الدريس والحلفاء بباب النصر خارج القاهرة وأبطل ضمان الاغاني بمنية ابن خصيب بأعمال الاشموين وبزفتا بالاعمال الغربية وأبطل الايقار التي كانت ترمى بالوجه البحرى عند فراغ الجسور وأبطل الامير بلبغا السلمي لما ولى استادار السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق في سنة احدى وثمانمائة تعريف الغلال بمنية ابن خصيب وضمان العرصتها وأخصاص الغساليين وكانت من المظالم القبيحة وأبطل من القاهرة ضمان بحيرة البقر ثم أعاده القبط من بعده * وقد بقيت الى الآن من المكوس بقايا أخبرني الامير الوزير المشير الاستادار بلبغا السلمي في ايام وزارته أن جهات المكوس بديار مصر تبلغ في كل يوم بضعا وسبعين الف درهم وانه اعتبرها فلم يجدها تصرف في شيء من مصالح الدولة بل انما هي منافع للقبط وحواشهم وكان قد عزم على ابطال المكوس فلم يمهل * (والمال الهلالي) عبارة عما يستأدى مشاهرة كاجر الاملاك المسقفة من الادروا الحوانيت والحمامات والافران والطواحين وعدد الغنم والجهة الهوائية المنضومة والحلولة وعد بعض السكتاب أحكار البيوت وريع البساتين التي تستخرج أجرها مشاهرة ومصيد السمك ومعاصر الشيرج والزيت في المال الهلالي * ومن اصطلاح كتاب مصر القدمات أن تورود جزية أهل الذمة من اليهود والنصارى قلما واحدا مستقلا بذاته بعد الهلالي وقبل الخراجي وذلك انها تستأدى مساهمة وكانوا يرون وجوبها مشاهرة وفائده فيمن أسلم أو مات أثناء الخول فانهم كانوا يلزمونه بقدر ما مضى من السنة قبل اسلامه أو وفاته فلذلك أوردت فيما بين الهلالي والخراجي * وكانوا في الاقطاعات الجبشية يجزونها بحري المال الهلالي عند خروج اقطاع من يقطع ودخول آخر على ذلك الاقطاع فانها كانت تستخرج على حكم الشهور الهلالية لا الشمسية بحيث لو تعجلها مقطع في غرة السنة على العادة في ذلك وخرج الاقطاع عنه في أثناء السنة ب وفاة أو نقلة الى غيره استحق منها نظير ماضى من شهور السنة الى حين انتقال الاقطاع عنه لاعلى حكم ما استحق من المغل ويستحق المتصل من استقبال تاريخ منشوره كمادة التقود والتخلل بينهما من المدة مستحق ذلك الديوان فيرد من جملة المحلولات من الاقطاعات وكان من أبواب الهلالي جهات تسمى المعاملات وهي الزكاة

والموارث والثغور والمنجى والشب والنطرون والجلبس الجيوشى ودار الضرب ودار العيار
والجاموس وأبقار الجلبس والاغنام والغروس والبساتين والاحكار والرابع والمراكب وما
يستأدى من الذمة غير الجوالي وساحل السنط والحراج والقرظ ومقرر الجسور وموظف
الاتبان ومقرر القصب ومقرر البريد ومقرر البسط وعشر العرق وغير ذلك من جهات
المكوس فأما الجزية وتعرف في زمننا بالجوالي فانها تستخرج سلفا وتعجلا في غرة السنة
وكان يحصل منها مال كثير فيما مضى * قال القاضي الفاضل في متجددات الحوادث الذي
انقعد عليه ارتفاع الجوالي لسنة سبع وثمانين وخمسمائة مائة ألف وثلاثون ألف دينار وأما
في وقتنا هذا فان الجوالي قلت جدا لكثرة اظهار النصارى للاسلام في الحوادث التي مرت
بهم ولما استبد السلطان الملك المؤيد شيخ بملك مصر بعد الخليفة العباس بن محمد أمير المؤمنين
المستعين بالله ولي رجلا حباية الجوالي فكثرت الاستقصاء عن الذمة والكسب في الاستخراج
منهم فبلغت الجوالي في سنة ست عشرة وثمانمائة أحد عشر ألف دينار وأربعمائة دينار سوى
ماغرم للاعوان وهو قدر كثير * وأما المراعى وهو الكلا المطلق المباح الذي أنبته الله
تعالى لرعى دواب بني آدم فأول من أدخلها الديوان بمصر أحمد بن مدبر ولما ولي الحراج
وصير لذلك ديوانا وعاملا جلدا يحظر على الناس أن يتبايعوا المراعى أو يشتروها الا من جهته
وأدركنا المراعى ببلاد الصعيد مما يضاف الى الاقطاعات فيأخذ الامير عن رعى دوابه في
أرض بلده السكتيح في كل سنة مالا عن كل رأس فبجي من صاحب الماشية بعدد أنعامه
فلما اختل أمر الصعيد في الحوادث الكائنة منذ سنة ست وثمانمائة تلاشي الامر في ذلك
وكانت العادة القديمة أن يندب للمراعى مشد وشهود وكاتب فيعدون المواشي ويستخرجون
من أربابها عن كل رأس شيئا ولا يكون ذلك الا بعد هبوط النيل ونبات الكلا واستهلاكه
للمرعى * وأما المصايد فهي ما أطمع الله سبحانه وتعالى من صيد البحر وأول من أدخلها
الديوان أيضا ابن مدبر وصير لها ديوانا واحتشم من ذكر المصايد وشناعة القول فيها فأمر
أن يكتب في الديوان خراج مضارب الاوتار ومقارن الشباك فاستمر ذلك وكان يندب
لمباشرتها مشد وشهود وكاتب الى عدة جهات مثل خليج الاسكندرية وبحيرة الاسكندرية
وبحيرة نسترو وثغر دمياط وجنادل ثغر أسوان وغير ذلك من البرك والبحيرات فيخرجون
عند هبوط النيل ورجوع الماء من المزارع الى بحر النيل بعد ما تكون أفواه الترع قد
سكرت وأبواب القضاير قد سدت عند انتهاء زيادة النيل كما يتراجع الماء ويتكاثف مما يلي
المزارع ثم تنصب شبائك وتصرف المياه فيأتي السمك وقد اندفع مع الماء الجارى فتصده
الشباك عن الانحدار مع الماء ويجمع فيها فيخرج الى البر ويوضع على انخاخ ويملح ويوضع
في الامطار فاذا استوى بيع وقيل له الملوحة والصير ولا يكون ذلك الا فيما كان من السمك

فى قدر الاصبع فما دونه ويسمون هذا الصنف اذا كان طريا بسارية فتؤكل مشوية ومقلية ويصاد من بحيرة نسترو وبحيرة تنيس وبحيرة الاسكندرية أسماك تعرف بالبورى وقيل لها ذلك لأنها كانت تصاد عند قرية من قرى تنيس يقال لها بورة وقد خربت والنسبة اليها البورى ونسب اليها جماعة من الناس منهم بنو البورى وقيل لهذا السمك البورى إضافة الى القرية المذكورة وقد بطل فى زمننا اليوم أمر هذه المصايد الامن بحيرة نسترو بالبرلس وبحيرة تنيس بدمياط فقط وهاتان البحيرتان تجريان فى ديوان الخاص وهما مضممتان وما يخرج منهما من البورى وغيره من أنواع السمك فللسلطان لا يقدر أحد أن يتعرض لصيد شئ منه الا أن يكون من صياديهما القائمين بالضمان وما عدا هاتين البحيرتين من البرك والاملاق والخلجان فليست للسلطان وأما بحيرة اسكندرية فقد جفت وتغر أسوان فقد خرج عن يد الساطنة وتغلب عليه أولاد الكفرة ونم برك بأبدي أقوام كبركة القيل بيد أولاد الملك الظاهر بيبرس وبركة الرطلي بيد أولاد الامير بكتمر الحاجب وغير ذلك فان أسماكها مضمنة لهم يبيعونها ومع ذلك لا يمنع أحد الصيد منها * وأما بحر النيل فما صيد منه يحمل الى دار السمك بالقاهرة فيباع ويؤخذ منه مكس السلطان الا أن الامير جمال الدين يوسف الاستادار زاد فيما كان يؤخذ من الصيادين مكسا ومن حينئذ قل السمك بالقاهرة وغلا سعره وقال أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس فى تاريخ مصر ان صنما كان بالاسكندرية يقال له شراحيل على حشفة من حشاف البحر مستقبلا بالصبع من كفه قسطنطينية لا يدري أكان مما عمله سليمان النبي أم عمله الاسكندر فكانت الحيتان تدور بالاسكندرية وتصاد عنده فيما زعموا قال زيد بن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أخبرني أبي عن أبيه انه انبطح على بطنه وميديه ورجليه فكان طوله طول قدم الصنم فكذب رجل يقال له أسامة بن زيد كان عاملا على مصر للوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين أن عندنا بالاسكندرية صنما يقال له شراحيل من نحاس وقد غلت علينا القلوس فان رأى أمير المؤمنين أن ينزله ويضربه فلوسا فعل وان رأى غير ذلك فليكتب الي من أمره فكذب اليه لاتنزه حتى أبعث اليك ضمنا يحضرونه فبعث اليه رجلا أمناء حتى أزل من الحشفة فوجدوا عينيه ياقوتتين حمراوين ليس لهما قيمة فضربه فلوسا فانطلقت الحيتان فلم ترجع الى ما هنالك * وأما الزكاة فان السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أول من جباها بمصر قال القاضى الفاضل فى متجددات سنة سبع وستين وخمسة مائة ثالث عشر ربيع الآخر فرقت الزكوات بعد ما جمعت على الفقراء والمساكين وأبناء السبيل والغارمين بعد أن رفع الى بيت المال السهام الاربعة وهي سهام الباملين والمؤلفة وفى سبيل الله وفى الرقاب وقررت لهم فريضة واستودى على الاموال والبضائع وعلى ما يتقرر عليه من المواشى والنخل والخضر اوتقال والذى انعقد

عليه ارتفاع الجوالي لسنة سبع وثمانين وخمسمائة ثلاثون ألف دينار والزائد في معاملة الزكاة ودار الضرب لستى ست وسبع وثمانين وخمسمائة أحد وعشرون ألف دينار وثمانمائة وأحد وستون ديناراً وقال في سنة ثمان وثمانين واستخدم ابن حمدان في ديوان الزكاة وكتب خطه بما بلغه اثنان وخمسون ألف دينار لسنة واحدة من مال الزكاة وجعل الطواشي قراغش الشاد في هذا المال وأن لا يتصرف فيه بل يكون في صندوق مودعا للمهمات التي يؤمر بها ولما قدم ابن عنين الشاعر من عند الملك العزيز سيف الاسلام طفتكين بن نجم الدين أيوب ابن شادى ملك اليمن الى مصر وقد أجزل صلته عندما وفد عليه وفارقه وقد أترى رءاء كثيراً قبض أرباب ديوان الزكاة بمصر على مقدم به من المتجر وطالبوه بركة مامعه وكان ذلك في أيام الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادى فقال

ما كل من يتسمى بالعزيز لها * أهل ولا كل برق سحبه غدقه

بين العزيزين فرق في فعالمها * هذالك يعطى وهذا يأخذ الصدقه

ثم ان العزيز كشف عما يستأدى من الزكاة فانه انتهى اليه فيها أقوال شنيعة منها انه أخذ من رجل فقير يبيع الملح في قفة على رأسه زكاة عما في القفة وأنه يبيع جمل بخمسة دنانير ذهب فأخذز كلتها خمسة دراهم فأمر بتفويض أمرها الى أرباب الاموال ومن وجب عليه حق ثم لما كانت سلطنة الملك الكامل ناصر الدين محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب أخرج من زكاة الاموال التي كانت تجبي من الناس سهمي الفقراء والمساكين وأمر بصرفهما في مصارفهما الشرعية ورتب من جملة هذين السهمين مائة ألف للفقهاء والصالحاء وأهل الخير تجرى عليهم فاستحسن ذلك من فعله وحمله الى ديوان الزكاة قبل منه ومن لم يحمل لا يتعرض اليه فيخزل الأغنياء بركة أموالهم حتى تضمر الفقراء والمساكين وأخذ السعاة يبذلون في ضمانها الاموال لتعود الى ما كانت عليه فولى النظر في ديوان الزكاة القاضي الاسعد شرف الدين أبو المكارم أسعد بن مذهب بن مماتي فاستخرج الزكاة من أربابها ثم ضمنت بمال كثير وعاد الامر فيها الى ما كان عليه من العسف والجور وكانت أعوان متولى الزكاة يخرج الى منية ابن خصيب واخيم وقرص لكشف أحوال المسافرين من التجار والحجاج وغيرهم فيبحثون عن جميع ما معهم ويدخلون أيديهم أوساط الرجال خشية أن يكون معهم مال ويحلفون الجميع بالأيمان الحرجة على ما بأيديهم وما عندهم غير ما وجدوه وتقوم طائفة من مردة هذه الاعوان وبأيديهم المسال الطوال ذوات الانصبة فيصعدون الى المراكب ويجسسون بمسالمهم جميع ما فيها من الاحمال والغرائر مخافة أن يكون فيها شيء من بضاعة أو مال فيبالغون في البحث والاستقصاء بحيث يقبح ويستشنع فعلهم ويقف الحجاج بين يدي هؤلاء الاعوان مواقف خزي ومهانة لما يصدر منهم عند تفتيش اوساطهم وغرائر أزوادهم ويحل بهم من العسف وسوء المعاملة ما لا يوصف

وكذلك يفعل في جميع أرض مصر منذ عهد السلطان صلاح الدين بن أيوب * وأما الثغور فهي دمياط وتيس ورشيد وعيناب واسوان والاسكندرية وهي أعظمها قدرا فانه كان فيها عدة جهات منها الخمس والمتجر فالحمس ما يستأدى من تجار الروم الواردين في البحر عما معهم من البضائع للمتجر بمقتضى ما صولحوا عليه وربما بلغ ما يستخرج منهم ما قيمته مائة دينار ومائتان وخمسة وثلاثون دينارا وربما انحط عن عشرين دينارا ويسمى كلاهما خمسا ومن أجناس الروم من يؤخذ منهم العشر ولذلك ضرائب مقررة وقال القاضي الفاضل والحاصل من خمس الاسكندرية في سنة سبع وثمانين وخمسمائة ثمانية وعشرون ألف دينار وستمائة وثلاثة عشر دينارا والمتجر عبارة عما يتباع للديوان من بضائع تدعو اليها الحاجة وبقتضيه طلب الفائدة * قال جامع سيرة الوزير اليازورى وقصر النيل بمصر في سنة أربع وأربعين وأربعمائة ولم يكن في مخازن الغلات شئ فاشتدت المسغبة بمصر وكان خللوا لمخازن سبب أوجب ذلك وهو أن الوزير الناصر للدين لما اضيف اليه القضاء في أيام أبي البركات الوزير كان يتباع للسلطان في كل سنة غلة بمائة ألف درهم وتجبلم متجرا فقتل القاضي بحضرة الخليفة المستمين بالله وعرفه أن المتجر الذي يقام بالغلة فيه أوفى مضرة على المسلمين وربما انحط السعر عن مشتراها فلا يمكن بيعها فتتغن في المخازن وتتاف وأنه يقيم متجرا لا كلفة فيه على الناس ويفيد أضعاف فائدة الغلة ولا يخشى عليه من تغيره في المخازن ولا انحطاط سعرة وهو الخشب والصابون والحديد والرصاص والعسل وما أشبه ذلك فأمرضى السلطان له مارآه واستمر ذلك ودام الرخاء على الناس فوسعوا فيه مدة سنين ثم عمل الملوك بعد ذلك ديوانا للمتجر وآخر من عمله الظاهر برقوق * وأما الشب فان معادنه بالصعيد وكانت عادة الديوان الانفاق في تحصيل القنطار منه بالديني يبلغ ثلاثين درهما وكانت العربان تحضره من معادنه الى ساحل اخميم وسيوط البنسا ليحمل الى الاسكندرية أيام النيل في الخليج ويشترى بالقنطار اللبتي ويباع بالقنطار الجروى فيباع منه على تجار الروم قدر اثني عشر ألف قطار بالجروى بسعر أربعة دنانير كل قطار الى ستة دنانير ويباع منه بمصر على اللبديين والصبانين نحو الثمانين قطارا بالجروى سعر ستة دنانير ونصف القنطار ولا يقدر احد على ابتياعه من العربان ولا غيرهم فان عثر على أحد أنه اشترى منه شيا أو باعه سوى الديوان نكل به واستهلك ما وجد معه منه وقد بطل هذا * (وأما التطرون) فيوجد في البر الغربي من أرض مصر بناحية الطرانة وهو أحر وأخضر ويوجد منه بالقوسية شئ دون ما يوجد في الطرانة وهو أيضاً مما حضر عليه ابن مديبر من الاشياء التي كانت مباحة وجعله في ديوان السلطان وكان من بعده على ذلك الى اليوم وقد كان الرسم فيه بالديوان أن يحمل منه في كل سنة عشرة آلاف قطار ويعطى الضمان منها في كل سنة قدر ثلاثين قطارا يقسمونها

من الطرانة قنباغ في مصر بالقنطار المصرى وفي بحر الشرق والصعيد بالجروى وفي دمياط
باليثني قال القاضي الفاضل وباب النطرون كان مضمونا الى آخر سنة خمس وثمانين وخمسمائة
بمبلغ خمسة عشر ألفا وخمسمائة دينار وحصل منه في سنة ست وثمانين مبلغ سبعة آلاف
وثمانمائة دينار وأدركنا النطرون اقطاع المدة أجناد* فلما تولى الامير محمود بن على الاستدارية
وصار مدير الدولة في أيام الظاهر برقوق حاز النطرون وجعل له مكانا لا يساع في غيره
وهو الى الآن على ذلك (وأما الحبس الجيوشي) فسكان في البرين الشرق والغربي ففي الشرق
يهتين والاميرية والمنية وكانت تسجل هذه النواحي بمين وفي الغربي سفتونها ووسيم وهذه
النواحي حبسها أمير الجيوش بدر الجمالي على عقبه هي والبساتين ظاهر باب الفتوح فلما
مات وطال العهد استأجرها الوزراء بأجرة يسيرة طلبا للفائدة ثم ادخلت في الديوان قال
ابن المأمون في تاريخه وجميع البساتين المختصة بالورثة الجيوشية مع البلاد التي لهم لم تزل في
مدة أيام الوزير المأمون البطاحي بأيديهم لم تخرج عنهم بضمان ولا بغيره فلما توفي الخليفة
الآمر بأحكام الله وجلس أبو على بن الفضل بن أمير الجيوش في الوزارة أعاد الجميع
الى الملك لكون نصيبه في ذلك الاوفر فلما قتل واستبد الخليفة الحافظ لدين الله أمر
بالقبض على جميع الاملاك وحل الاحباس المختصة بأمر الجيوش فلم يزل يانس به لانه غلام
الافضل والوزير في ذلك الوقت وعز الملك غلام الاوحد بن أمير الجيوش يتلطفان ويراجعان
الخليفة مع الكتب التي أظهرها الورثة وعليها خطوط الخلفاء الى أن أبقاها عليهم ولم
يخرجها عنهم ثم ارتفعت الحوطة عنها في سنة سبع وعشرين وخمسمائة للديوان الحافظي ولما
خدم الخطير والمرضى في سنة احدى وثلاثين وخمسمائة في وزارة رضوان بن ولحشى
أعاد البساتين خاصة دون البلاد على الورثة بحكم ما آل أمرها اليه من الاختلال ونقص
الارتفاع ولما انقضت عقب أمير الجيوش ولم يبق منه سوى امرأة كبيرة أفتي فقهاء ذلك
العصر ببطلان الحبس فقبضت النواحي وصارت من جملة الاموال السلطانية فنها ما هو
اليوم في الديوان السلطاني ومنها ما صار وقفًا ورزقا أحباسية وغير ذلك* (وأما دار الضرب)
فسكان بالقاهرة دار الضرب وبالإسكندرية دار الضرب وبقوص دار الضرب ولايتولى عيار
دار الضرب الاقاضي القضاة أو من يستخلفه ثم رذلت في زمتنا حتى صار يلها مسألة
فسقة اليهود المصرين على الفسق مع ادعائهم الاسلام وكان يجتهد في خلاص الذهب وتحرير
عياره الى أن أفسد الناصر فرج ذلك بعمل الدنانير الناصرية لجأته غير خالصة وكانت بمصر
المعاملة بالورق فأبطالها الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب في سنة بضع وعشرين
وضرب الدرهم المدور الذي يقال له الكامل وجعل فيه من النحاس قدر الثلث ومن الفضة
الثلثين ولم يزل يضرب بالقاهرة الى أن أكثر الامير محمود الاستادار من ضرب الفلوس
(م - ٢٣ خطط ل)

بالقاهرة والاسكندرية فبطلت الدراهم من مصر وصارت معاملة أهلها الى اليوم بالفلوس وبها يقوم الذهب وسائر المبيعات وسيأتى ذكر ذلك ان شاء الله تعالى عند ذكر اسباب خراب مصر وكانت دار الضرب يحصل منها للسلطان مال كثير فقل في زماننا لقلة الاموال ودار الضرب اليوم جارية في ديوان الخاص * (وأما دار العيار) فكانت مكانا محتاط فيه للرعية وتصلح موازينهم ومكاييلهم به ويحصل منها للسلطان مال وجعلها السلطان صلاح الدين من جملة أوقاف سور القاهرة وقد ذكرت في خطط القاهرة من هذا الكتاب * (وأما الاحكار) فانها اجر مقررة على ساحات بمصر والقاهرة فنها ماصار دورا للسكنى ومنها ما أنشئ بساكنين وكانت تلك الاجر من جملة الاموال السلطانية وقد بطل ذلك من ديوان السلطان وصارت أحكار مصر والقاهرة وما بينهما أوقافا على جهات متعددة * (وأما الغروس) فكانت في الغربية فقط عدة أراض يؤخذ منها شبه الحكر عن كل فدان مقرر معلوم وقد بطل ذلك من الديوان * (وأما مقرر الجسور) فكان على كل ناحية تقرير بعدة قطع معلومة يجبى عنها عن كل قطعة عشرة دنانير لتصرف في عمل الجسور فيفضل منها مال كثير يحمل الى بيت المال وقد بطل هذا أيضا وجدد الناصر فرج على الجسور حوادث قد ذكرت في أسباب الخراب * (وأما موظف الاتبان) فكان جميع تبين أرض مصر على ثلاثة أقسام قسم للديوان وقسم للمقطع وقسم للفلاح فيجبى التبن على هذا الحكم من سائر الاقاليم ويؤخذ في التبن عن كل مائة حمل أربعة دنانير وسدس دينار فيحصل من ذلك مال كثير وقد بطل هذا أيضا من الديوان * (وأما الخراج) فانه كان في البهنساوية وسفط ريشين والاشمونين والاسيوطية والابخيمية والقوصية أشجار لا تخص من سنط لها حراس يحمونها حتى يعمل منها مراكب الاسطول فلا يقع منها الا ما تدعو الحاجة اليه وكان فيها ما تبلغ قيمة العود الواحد منه مائة دينار * وكان يستخرج من هذه النواحي مال يقال له رسم الخراج ويحتج في جبايشه بأنه نظير ما تقطعه أهل النواحي وتنتفع به من أخشاب السنط في عمائرهم ومقرر آخر كان يجبى منهم يعرف بمقرر السنط فيصرف من هذا المقرر أجرة قطع الحطب وحزه بضريبة عن كل مائة حمل دينار وعلى المستخدمين في ذلك أن لا يقطعوا من السنط ما يصلح لعمل مراكب الاسطول لكنهم انما يقطعون الاطراف التي ينتفع بها في الوقود فقط ويقال لهذا الذي يقطع حطب النار فيباع على التجار منه كل مائة حمل بأربعة دنانير ويكتب على أيديهم زنة ما بيع عليهم فاذا وردت المراكب بالحطب الى ساحل مصر اعتبرت عليهم وقوبل ما فيها بما عين في الرسالة الواردة واستخرج الثمن على ما في الرسالة وكانت العادة أنه لا يباع مما في البهنسا الا ما فضل عن احتياج المصالح السلطانية وقد بطل هذا جميعه واستولت الايدى على تلك الاشجار فلم يبق منها شيء البتة ونسى هذا من

الديوان * (وأما القرظ) فانه ثمر شجر السنط وكان لا يتصرف فيه الا الديوان ومتى وجد منه مع أحدثي اشتراه من غير الديوان نكل به واستهلك ما وجد معه منه فاذا اجتمع مال القرظ أقيم منه مراكب تباع ويؤخذ من ثمنها الربع عند ما تصل الى ساحل مصر بعد ما تقوم أو يتأدى عليها وكان فيها حيف كبير وقد بطل ذلك * (وأما ما يستأدى من أهل الذمة) فانه كان يؤخذ منهم عما يرد ويصدر معهم من البضائع في مصر والاسكندرية وأخميم خاصة دون بقية البلاد ضرائب بتقرير في الديوان وقد بطل ذلك أيضا * (وأما مقرر الجاموس ومقرر بقر الحليس ومقرر الاغنام) * فانه كان للسلطان من هذه الاصناف شئ كثير جدا فيؤخذ من الجاموس للديوان على كل رأس من الراتب في نظير ما يتحصل منه في كل سنة من خمسة دنانير الى ثلاثة دنانير ومن اللاحق بحق النصف من الراتب وأقل ما تنتج كل مائة خسون الى غير ذلك من ضرائب مقررة على الجاموس وعلى أبقار الحليس وعلى الغنم البيض والغنم الشبارى وعلى النحل وقد بطل ذلك جميعه لقله مال السلطان واعراضه عن العمارة وأسبابها وتماطي أسباب الخراب * (وأما الموارث) * فانها في الدولة الفاطمية لم تكن كما هي اليوم من أجل أن مذهبهم توريث ذوى الارحام وأن البنت اذا انفردت استحققت المال بأجمعه فلما انقضت أيامهم واستولت الايوبية ثم الدولة التركية صار من جملة أموال السلطان مل الموارث الحشرية وهي التي يستحقها بيت المال عند عدم الوارث فتعدل فيها الوزارة مرة وتظلم أخرى (وأما المكوس) فقد تقدم حدوثها وما كان من الملوك فيها والذي بقي منها الى الآن بديار مصر يلي أمره الوزير وفي الحقيقة انما هو نفع للاقباط يتحولون فيه بغير حق وقد تضاعفت المكوس في زماننا عما كنا نعهد منذ عهد محمد الأمير جمال الدين يوسف الاستادار في الاموال السلطانية كما ذكر في أسباب الخراب * (وأما البراطيل) * وهي الاموال التي تؤخذ من ولاية البلاد ومحتمسيتها وقضاها وعمالها فأول من عمل ذلك بمصر الصالح بن رزيق في ولاية النواحي فقط ثم بطل وعمل في أيام العزيز بن صلاح الدين أحبانا وعمله الأمير شيخون في الولاية فقط ثم أخش فيه الظاهر بقوق كما يأتى في أسباب الخراب (وأما الحمايات والمستأجرات) فشئ حدث في أيام الناصر فرج وصار لذلك ديوان ومباشرون وعمل مثل ذلك الامراء وهو من أعظم أسباب الخراب كما يذكر في موضعه ان شاء الله تعالى

❦ ذكر الاهرام ❦

اعلم ان الاهرام كانت بأرض مصر كثيرة جدا منها بناحية بوصير شئ كثير بعضها كبار وبعضها صغار وبعضها طين ولبن وأكثرها حجر وبعضها مدرج وأكثرها مخروط أملس وقد كان منها بالجيزة تجاه مدينة مصر عدة كثيرة كلها صغار هدمت في أيام السلطان

صلاح الدين يوسف بن أيوب على يد قراقوش وبنيها قلعة الجبل والصور المحيط بالقاهرة ومصر والقناطر التي بالجيزة وأعظم الأهرام الثلاثة التي هي اليوم قائمة تجاد مصر وقد اختلف الناس في وقت بنائها واسم أبيها والسبب في بنائها وقالوا في ذلك أقوالا متباينة أكثرها غير صحيح وسأقص عليك من نبا ذلك ما يشق ويكفي ان شاء الله تعالى * قال الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاه الكاتب في أخبار مصر وعجائبها في أخبار سوريد بن سهلوق بن سرياق بن توميدون بن بدرسان بن هو حال أحد ملوك مصر قبل الطوفان الذين كانوا يسكنون في مدينة أم موسى الآتي ذكرها عند ذكر مدائن مصر من هذا الكتاب وهو الذي بنى الهرمين العظيمين بمصر المنسويين الى شداد بن عاد والقبط تنكر أن تكون العادية دخلت بلادهم لقوة سحرهم وسبب بناء الهرمين أنه كان قبل الطوفان بثلاثمائة سنة قد رأى سوريد في منامه كأن الأرض انقلبت بأهلها وكأن الناس قد هربوا على وجوههم وكان الكواكب تتساقط ويصدم بعضها بعضا بصوات هائلة ففهم ذلك ولم يذكره لاحد وعلم أنه سيحدث في العالم أمر عظيم ثم رأى بعد ذلك بأيام كأن الكواكب الثابتة نزلت الى الأرض في صور طيور بيض وكلها تحتطف الناس وتلقيهم بين جبلين عظيمين وكان الجبلين قد انطبقا عليهم وكان الكواكب المنيرة مظلمة مكسوفة فأتته مرعوبا مذعورا ودخل الى هيكल الشمس وتضرع ومرغ خديه على التراب وبكى فلما أصبح جمع رؤساء الكهنة من جميع أعمال مصر وكانوا مائة وثلاثين كاهنا خلا بهم وحدثهم ما رآه أولا وآخر فأولوه بأمر عظيم يحدث في العالم فقال عظيم الكهان ويقول له أقليمون ان أحلام الملوك لا تحرى على محال لعظم أقدارهم وأنا أخبر الملك برؤيا رأيها منذ سنة ولم أذكرها لاحد من الناس رأيت كأنى قاعد مع الملك على وسط المنار الذي بأمسوس وكان الفلك قد انحط من موضعه حتى قارب رؤسنا وكان علينا كالقبة المحيطة بنا وكان الملك قد رفع يديه نحو السماء وكواكبها قد خالطها في صور شتى مختلفة الاشكال وكان الناس قد جفلوا الى قصر الملك وهم يستغيثون به وكان الملك قد رفع يديه حتى بلغت رأسه وأمرني أن أفعل كما فعل ونحن على وجل شديد اذ رأينا منها موضعا قد انفتح وخرج منه نور مضيء وطلعت علينا منه الشمس وكأنا استغثنا بالشمس فخاطبتنا أن الفلك سيعود الى موضعه فانتبهت مرعوبا ثم نمت فرأيت كأن مدينة أمسوس قد انقلبت بأهلها والاصنام تهوى على رؤسها وكان أناسا نزلوا من السماء بأيديهم مقامع من حديد يضربون الناس بها فقلت لهم ولم تفعلون بالناس كذا قالوا لانهم كفروا باللهم قلت فما بقي لهم من خلاص قالوا نعم من أراد الخلاص فليحرق بصاحب السفينة فانتبهت مرعوبا فقال الملك خذوا الارتفاع للكواكب وانظروا هل من حادث فبلغوا غايته في استقصاء ذلك وأخبروا بأمر الطوفان وبعده بالنار التي تخرج من برج الاسد

تحرق العالم فقال الملك انظروا هل تلحق هذه الآفة بلادنا فقالوا نعم تأتي في الطوفان على أكثره ويلحقه خراب يقيم عدة سنين قال فانظروا هل يعود عامرا كما كان أو يبقى مغمورا بالماء دائما قالوا بل تعود البلاد كما كانت وتممر قال ثم ماذا قالوا يقصدها ملك يقتل أهلها ويغني ما لها قال ثم ماذا قالوا يقصدها قوم مشوهون من ناحية جبل النيل ويملكون أكثرها قال ثم ماذا قالوا ينقطع نياها ويخلو من أهلها فأمر عند ذلك بعمل الاهرام وأن يعمل لها مصارب يدخل منها النيل الى مكان بعينه ثم يفيض الى مواضع من أرض الغرب وأرض الصعيد وملأها طلسمات ومجائب وأموالا وأصناما وأجساد ملوكهم وأمر السكبان فزبروا عليها جميع ما قالته الحكماء وزبر فيها وفي سقوفها وحيطانها وأسطواناتها جميع العلوم الغامضة التي يدعيها أهل مصر وصور فيها صور الكواكب كلها وزبر عليها أسماء العقاقير ومنافعها ومضارها وعلم الطلسمات وعلم الحساب والهندسة وجميع علومهم مفسرا لمن يعرف كتابتهم ولغتهم * ولما شرع في بنائها أمر بقطع الاسطوانات العظيمة ونشر البلاط الهائل واستخراج الرصاص من أرض المغرب واحضار الصخور من ناحية أسوان فبنى بها أساس الاهرام الثلاثة الشرقي والغربي والملون وكانت لهم صحائف وعليها كتابة اذا قطع الحجر وتم احكامه وضعوا عليه تلك الصحائف وضربوه فيعد بتلك الضربة قدر مائة سهم ثم يعاودون ذلك حتى يصل الحجر الى الاهرام وكانوا يمدون للبلاطة ويجمعون في ثقب بوسطها قطبا من حديد قائما ثم يركبون عليها بلاطة أخرى مثقوبة الوسط ويدخلون القطب فيها ثم يذاب الرصاص ويسبب في القطب حول البلاطة بهندام وأقان الى أن تكملت وجعل لها أبوابا تحت الأرض بأربعين ذراعا فأما باب الهرم الشرقي فانه من الناحية الشرقية على مقدار مائة ذراع من وسط حائط الهرم وأما باب الهرم الغربي فانه من الناحية الغربية على مقدار مائة ذراع من وسط الحائط وأما باب الهرم الملون فانه من الناحية الجنوبية على مقدار مائة ذراع من وسط الحائط فإذا حفر بعد هذا القياس وصل الى باب الازج المبني ويدخل الى باب الهرم وجعل ارتفاع كل واحد من الاهرام في الهواء مائة ذراع بالذراع الملكي وهو بذراعهم خمسمائة ذراع بذراعنا الآن وجعل طول كل واحد من جميع جهاته مائة ذراع بذراعهم ثم هندسها من كل جانب حتى تحددت أعاليها من آخر طولها على ثمانية أذرع بذراعنا وكان ابتداء بنائها في طالع سعيد اجتمعوا عليه وتخبروه فلما فرغت كساها ديباجا ملونا من فوقها الى أسفلها وعمل لها عيدا حضره أهل مملكته بأجمعهم ثم عمل في الهرم الغربي ثلاثين مخزنا من حجارة صوان ملون وملئت بالاموال الجملة والآلات والتماثيل المعمولة من الجواهر النفيسة وآلات الحديد الفاخر من السلاح الذي لا يصدأ والزجاج الذي ينطوى ولا ينكسر والطلسمات الغريبة وأصناف العقاقير المفردة والمؤلفة والسموم القاتلة وعمل في

الهرم الشرقي أصناف القباب الفلسكية والكواكب وما عمله أجداده من التماثيل والدخن التي يتقرب بها الى الكواكب ومصاحفها وكون الكواكب الثابتة وما يحدث في ادوارها وقتاوتها وما عمل لها من التواريخ والحوادث التي مضت والاقوات التي ينتظر فيها ما يحدث وكل من يلى مصر الى آخر الزمان وجعل فيها المظاهر التي فيها المياه المدبرة وما أشبه ذلك وجعل في الهرم الملون أجساد الكهنة في توايت من صوان اسود ومع كل كاهن مصحف فيه عجائب صنعاته وأعماله وسيرته وما عمل في وقته وما كان وما يكون من أول الزمان الى آخره وجعل في الحيطان من كل جانب أصناما تعمل بأيديها جميع الصنائع على مراتبها وأقدارها وصفة كل صنعة وعلاجها وما يصلح لها ولم يترك علما من العلوم حتى زبره ورسمه وجعل فيها اموال الكواكب التي أهديت الى الكواكب وأموال الكهنة وهو شئ عظيم لا يحصى وجعل لكل هرم منها خادما فخدام الهرم الغربي ضم من حجارة صوان مجزع وهو واقف ومعه شبه حربة وعلى رأسه حية قد تطوق بها من قرب منه وثبت اليه وطوقت على عنقه وقتلته ثم تعود الى مكانها وجعل خادم الهرم الشرقي صنما من جزع أسود مجزع بأسود وأبيض له عينان مفتوحتان براقتان وهو جالس على كرسى ومعه حربة اذا نظر أحد اليه سمع من جهته صوتا يفزع منه فيخز على وجهه ولا يبرح حتى يموت وجعل خادم الهرم الملون صنما من حجر البهت على قاعدة منه من نظر اليه جذبه حتى يلتصق به فلا يفارقه حتى يموت فلما فرغ من ذلك حصن الاهرام بالارواح الروحانية وذبح لها الذبايح لتنع عن انفسها من ارادها الا من عمل لها اعمال الوصول اليها * وذكر القبط في كتبهم أن عليها منقوشا تفسيره بالعربية اناسوريد الملك بنيت هذه الاهرام في وقت كذا وكذا وأتمت بناءها في ست سنين فمن أتى بعدى وزعم انه ملك مثلي فليهدمها في ستمائة سنة وقد علم أن الهدم أسير من البنيان واني كسوتها عند فراغها بالديباج فليكسها بالحصر فنظروا فوجدوا انه لا يقوم بهدمها شئ من الازمان الطوال * وحكى القبط في كتبهم أن روحانية الهرم الشمالى غلام امرد أصفر اللون عريان في فمه أنياب كبار وروحانية الهرم الجنوبي امرأة عريانة بادية الفرج حسناء في فمها أنياب كبار تستهوى الانسان اذا رأيته وتضحك له حتى يدنو منها فتسلبه عقله وروحانية الهرم الملون شيخ في يده بحجرة من مجامر الكنائس يخربها وقد رأى غير واحد من الناس هذه الروحانيات مرارا وهي تطوف حول الاهرام وقت القائلة وعند غروب الشمس قال ولما مات سور يد دفن في الهرم ومعه أمواله وكنوزه وقالت القبط ان سور يد هو الذي نبى البراني وأودع فيها كنوزا وزبر عليها علوما ووكل بها روحانيات تحفظها ممن يقصدها قال وأما الاهرام الدهشورية فيقال ان شدات بن عديم هو الذي بناها من الحجارة التي كانت قد قطعت في زمن ابيه وشدات هذا يزعم بعض الناس

أنه شداد بن عاد وقال من أنكر أن يكون العادية دخلت مصر انما غلطوا باسم شدات بن عديم فقالوا شداد بن عاد لكثرة مايجرى على ألسنتهم شداد بن عاد وقلة مايجرى على ألسنتهم شدات بن عديم والا فاقدر أحد من الملوك يدخل مصر ولا قوى على أهلها غير نحت نصر والله أعلم * وذكر أبو الحسن المسعودي في كتابه أخبار الزمان ومن أباده الحدنان أن الخليفة عبد الله المأمون بن هارون الرشيد لما قدم مصر وأتى على الأهرام أحب أن يهدم أحدها ليعلم ما فيها فقبل له أنك لا تقدر على ذلك فقال لا بد من فتح شئ منه ففتحت له الثلمة المفتوحة الآن بنار توقد وخذل يرش ومعاول وحدادين يعملون فيها حتى أنفق عليها اموالا عظيمة فوجدوا عرض الحائط قريبا من عشرين ذراعا فلما انتهوا الى آخر الحائط وجدوا خلف الثقب مطهرة خضراء فيها ذهب مضروب وزن كل دينار أوقية وكان عددها ألف دينار فحمل المأمون يتعجب من ذلك الذهب ومن جودته ثم أمر بجملته ما أنفق على الثلمة فوجدوا الذهب الذي أصابوه لا يزيد على ما أنفقوه ولا يتقص فعجب من معرفتهم بمقدار ما ينفق عليه ومن تركهم ما يوازيه في الموضع عجبا عظيما وقيل ان المطهرة التي وجد فيها الذهب كانت من زبرجد فأمر المأمون بحماها الى خزائنه وكان آخر ما عمل من عجائب مصر وأقام اناس سنين يقصدونه وينزلون فيه الزلافة التي فيه فنهم من يسلم ومنهم من يهلك فاتفق عشرون من الاحداث على دخوله وأعدوا لذلك ما يحتاجون من طعام وشراب وحبال وشمع ونحوه ونزلوا في الزلافة فأروا فيها من الخفاش ما يكون كالعقبان يضرب وجوههم ثم انهم أدلوا أحدهم بالحبال فانطبق عليه المسكان وحاولوا جذبته حتى اعياهم فسمعوا صوتا أرعهم فغشى عليهم ثم قاموا وخرجوا من الهرم فينتاهم جلوس يتعجبون مما وقع لهم اذ أخرجت الارض صاحبهم حيا من بين أيديهم يتكلم بكلام لم يعرفوه ثم سقط ميتا فحملوه ومضوا به فاخذهم الخفراء واتوا بهم الى الوالى فحدثوه خبرهم ثم سألوا عن السلام الذى قال صاحبهم قبل موته فقيل لهم معناه هذا جزء من طلب ما ليس له وكان الذى فسر لهم معناه بعض أهل الصعيد * وقال على بن رضوان الطيب فكرت في بناء الأهرام فأوجب علم الهندسة العملية ورفع الثقل الى فوق أن يكون القوم هندسوا سطحا مربعا ونحتوا الحجارة ذكرا وانثى ورسوها بالحيس البحرى الى أن ارتفع البناء مقسدار ما يمكن رفع الثقل وكانوا كلما صعدوا ضمو البناء حتى يكون السطح الموازى للمربع الاسفل مربعا أصغر من المربع السفلا في ثم عملوا فى السطح المربع الفوقاني مربعا أصغر بمقدار ما بقى فى الحاشية ما يمكن رفع الثقل اليه وكلما رفعوا حجرا مهندما رسوه اليه ذكرا وانثى الى أن ارتفع مقدار مثل المقدار الاول ولم يزالوا يفعلون ذلك الى أن بلغوا غاية لا يمكنهم بعدها أن يفعلوا ذلك فقطعوا الارتفاع ونحتوا الجوانب البارزة التي فرضوها لرفع الثقل ونزلوا

في النحت من فوق الى أسفل وصار الجميع هرما واحدا * وقياس الهرم الاول بالذراع التي تقاس بها اليوم الابنية بمصر كل حاشية منه أربعمئة ذراع يكون بالذراع السوداء التي طول كل ذراع منها أربعة وعشرون أصبعا خمسمئة ذراع وذلك أن قاعدته مربع متساوي الاضلاع والزوايا ضلعان منهما على خط نصف النهار وضلعان على خط المشرق والمغرب وكل ضلع بالذراع السوداء خمسمئة ذراع والخط المنحدر على استقامة من رأس الهرم الى نصف ضلع المربع أربعمئة وسبعون ذراعا يكون اذا تم أيضا خمسمئة ذراع وأحيط بالهرم اربع مثلثات ومربع كل مثلث منها متساوي الساقين كل ساق منه اذا تم خمسمئة وستون ذراعا والمثلثات الاربعة تجتمع رؤسها عند نقطة واحدة وهي رأس الهرم اذا تم فيلزم أن يكون عموده أربعمئة وثلاثين ذراعا وعلى هذا العمود مراكر أنفاله ويكون تكبير كل مثلث من مثلثاته مائة وخمسة وعشرين ألف ذراع اذا اجتمع تكبيرها كان مبلغ تكبير سطح هذا الهرم خمسمئة ألف ذراع بالسوداء وما أحسب على وجه الارض بناء اعظم منه ولا أحسن هندسة ولا اطول والله أعلم *

وقد فتح المامون نقبا من هذا الهرم فوجد فيه زلاقة تصعد الى بيت مربع مكعب ووجد في سطحه قبر رخام وهو باق فيه الى اليوم ولم يقدر أحد يخطه وبذلك أخبر جالينوس أنها قبور فقال في آخر الخامسة من تدبير الصفة بهذا اللفظ وهم يسمون من كان في هذا السن الهرم وهو اسم مشتق من الاهرام التي هم اليها صاترون عن قريب وقال الحوفي في صفة مصر وبها الهرمان اللذان ليس على وجه الارض لهما نظير في ملك مسلم ولا كافر ولا عمل ولا يعمل لهما وقرأ بعض بنى العباس على أحدهما اني قد بنيتهما فمن كان يدعى قوة في ملكه فليهدهما فاهلهم ايسر من البنيان فهم بذلك وأظنه المامون أو المعتصم فاذا خراج مصر لا يقوم به يؤمئذ وكان خراجها على عهده بالانصاف في الجباية وتوخي الرفق بالرعية والمعدلة اذا بلغ النيل سبع عشرة ذراعا وعشر اصابع أربعة آلاف ألف ومائتي ألف وسبعة وخسين ألف دينار والمقبوض على الفدان دينارين فأعرض عن ذلك ولم يعد فيه شيئا * وفي حد الفسطاط في غربي النيل ابنية عظام يكثر عددها مقترشة في سائر الصعيد تدعي الاهرام وليست كاهرامين اللذين بجاه الفسطاط وعلى فرسخين منها ارتفاع كل واحد منهما أربعمئة ذراع وعرضه كارتفاعه مبنى بحجارة الكدان التي سمك الحجر وطوله وعرضه من العشر اذرع الى الثمان بحسب ما دعت الحاجة الى وضعه في زيادته ونقصه وأوجيته الهندسة عندهم لانهما كلما ارتفعا في البناء ضاقتا حتى يصير اعلاهما من كل واحد منهما مثل مبرك جل وقد ملئت حيطانهما بالكتابة اليونانية وقد ذكر قوم أنهما قبران وليس كذلك وانما حمل صاحبهما على عملهما أنه قضى بالطوفان أنه يهلك جميع ما على وجه الارض الا ما حصن في مثلها مخزن ذخائره وأمواله

فيهما وأتى الطوفان ثم نضب فصار ما كان فيهما إلى بيصر بن مصرام بن حام بن نوح وقد
 خزن فيهما بعض الملوك المتأخرين وجعلهما هراء والله أعلم * وقال أبو يعقوب محمد بن
 اسحاق النديم الوراق في كتاب الفهرست وقد ذكر هرمس البابلي قد اختلف في أمره
 ف قيل أنه كان أحد السدنة السبعة الذين رتبوا لحفظ البيوت السبعة وأنه كان لترتيب
 عطارود وباسمه سمي فان عطارود باللغة السكندانية هرمس وقيل أنه انتقل إلى أرض
 مصر بأسباب وأنه ملكها وكان له أولاد منهم طاوصا وأشنم وأتريب وقفت وأنه كان
 حكيم زمانه وأنه لما توفي دفن في البناء الذي يعرف بمدينة مصر بأبي هرميس ويعرفه
 العامة بالهرمين فان أحدهما قبره والآخر قبر زوجته وقيل قبر ابنه الذي خلفه بعد موته
 وهذه البنية يعني الاهرام طولها بالذراع الهاشمي أربع مائة ذراع وثمانون ذراعا على مساحة
 أربع مائة وثمانين ذراعا ثم ينحدر البناء فاذا حصل الانسان في رأسه كان مقدار سطحه
 أربعين ذراعا هذا بالهندسة وفي وسط هذا السطح قبة لطيفة في وسطها شبيهة بالمقبرة وعند
 رأس ذلك القبر صخرتان في نهاية النظافة والحسن وكثرة التلون وعلى كل واحدة منهما
 شخصان من حجارة صورة ذكر وانثى وقد تلاقيا بوجهيهما وبيد الذكور لوح من حجارة
 فيه كتابة وبيد الانثى مرآة والرف ذهب نقشه نقاش وبين الصخرتين برنية من حجارة
 على رأسها غطاء ذهب فلما قلع فاذا فيها شبيه بالقار بغير رائحة قد بيس وفيها حقة ذهب
 فنزع رأسها فاذا فيها دم عييط ساعة قرعه الهواء حمد كما يحمد الدم وجف وعلى القبور
 اغطية حجارة فلما قلمت اذا رجل نائم على قفاه على نهاية الصحة والجفاف بين الحلقة ظاهر
 الشمور والى جنبه امرأة على هيئة قال وذلك السطح منقر نحو قامة كما يدور مثل الممار ذات
 أزاج من حجارة فيها صور وتماثيل مطروحة وقائمة وغير ذلك من الآلة التي لا تعرف
 أشكالها * وقال العلامة موفق الدين عبد اللطيف بن أبي العز يوسف بن أبي البركات محمد
 ابن علي بن سعد البغدادي المعروف بابن المطحن في سيرته وجاء رجل جاهل عجمي نخيل إلى
 الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف أن الهرم الصغير تحته مطلب فاخرج اليه الحجارين
 واكثر العسكر وأخذوا في هدمه وأقاموا على ذلك شهورا ثم تركوه عن عجز وخسران ميين
 في المال والعقل ومن يرى حجارة الهرم يقول أنه قد استوصل الهرم ومن يرى الهرم
 لا يجد به الا تشعيبا يسيرا وقد أشرفت على الحجارين فقلت لمقدمهم هل تقدرون على اعادته
 فقال لو بذل لنا السلطان عن كل حجر ألف دينار لم يمكننا ذلك * وقال أبو الحسن المسعودي
 في مروج الذهب وأما الاهرام فطولها عظيم وبنائها عجيب عليها أنواع من الكتابات باقلام
 الامم السالفة والممالك الدائرة لا يدري ما تلك الكتابة ولا المراد بها وقد قال من غني
 بتقدير ذرعها ان مقدار ارتفاع الهرم الكبير فها في الجون نحو أربع مائة ذراع أو أكثر
 (م ٢٤ - خطط ل)

وكما صعد دق ذلك والعرض نحو ما وصفنا وعليها من الرسوم علوم وخواص وسحر
 وأسرار الطبيعة وأن من تلك الكتابة مكتوبا أنا بنيناها فن يدعي موازانا في الملك وبلوغ
 القدرة وانتهاء أمر السلطان فليهدمها وليزل رسمها فإن الهدم أسير من البناء والتفريق
 أسهل من التأليف * وقد ذكر أن بعض ملوك الاسلام شرع يهدم بعضها فإذا خراج
 مصر لا يبقى بقلمها وهي من الحجر والرخام وأنها قبور ملوك وكان الملك منهم إذا مات وضع
 في حوض من حجارة ويسمى بمصر والشام الجرون واطبق عليه ثم بني من الهرم على مقدار
 ما يريدون من ارتفاع الاساس ثم يحمل الحوض ويوضع وسط الهرم ثم يقتطر عليه البنيان
 ثم يرفعون البناء على المقدار الذي يروونه ويجعل باب الهرم تحت الهرم ثم يحفر له طريق في
 الارض ويعقد أزج طوله تحت الارض مائة ذراع أو أكثر ولكل هرم من هذه الاهرام
 باب مدخله على ما وصفت قال وكان القوم يبنون الهرم من هذه الاهرام مدرجا ذامراق
 كالدرج فإذا فرغوا نحتوه من فوق الى أسفل فهذه كانت حيلهم وكانوا مع ذلك لهم قوة
 وضرب وطاعة * وقال في كتاب البنية والاشراف والهرمان اللذين في الجانب الغربي من
 فسطاط مصرهما من عجائب بانيان العالم كل واحد منهما أربع مائة ذراع في سمك مثل ذلك
 مبنيان بالحجر العظيم على الرياح الأربع كل ركن من أركانها يقابل ريحا منها فأعظمها فيهما
 تأثيرا ريح الجنوب وهي المريسي وأحد هذين الهرمين قبر أعاديمون والآخر قبر هرمس
 وبينهما نحو ألف سنة وأعاديمون المتقدم وكان سكان مصر وهم الاقباط يعتقدون نبوتها
 قبل ظهور النصرانية فيهم على ما يوجب رأى الصابئين في النبوات لاعلى طريق الوحي بل هم
 عندهم نفوس طاهرة صفت وتهذبت من أدناس هذا العالم فاتحدت بهم مواد علوية فاخبروا
 عن الكائنات قبل كونها وعن سرائر العالم وغير ذلك وفي العرب من اليمانية من يرى
 انهما قبر شداد بن عاد وغيره من ملوكهم السالفة الذين غلبوا على بلاد مصر في قديم
 الدهر وهم العرب للعاربة من العماليق وغيرهم وهي عند من ذكرنا من الصابئين قبور
 أجساد طاهرة * وذكر أبو زيد البلخي أنه وجد مكتوبا على الاهرام بكتابتهم خط فحرف
 فإذا هو بنى هذان الهرمان والنسر الواقع في السرطان فحسبوا من ذلك الوقت الى الهجرة
 النبوية فإذا هو ست وثلاثون ألف سنة شمسية مرتين يكون اثنتين وسبعين ألف سنة
 شمسية وقال الهمداني في كتاب الاكليل لم يوجد مما كان تحت الماء وقت الفرق من القرى
 قرية فيها بقية سوى نهاوند وجدت كما هي اليوم لم تتغير واهرام الصعيد من أرض مصر *
 وذكر أبو محمد عبد الله بن عبد الرحيم القيسي في كتاب تحفة الالباب أن الاهرام مربعة
 الجحلة مثلثة الوجوه وعددها ثمانية عشر هرما في مقابلة مصر الفسطاط ثلاثة اهرام اكبرها
 دوره الفا ذراع في كل وجه خمسمائة ذراع وعلوه خمسمائة ذراع وكل حجر من حجارتهما

ثلاثون ذراعا في غلظ عشرة أذرع قد أحكم الصاقه ونحته ومنها عند مدينة فرعون يوسف هرم أعظم واكبر دوره ثلاثة آلاف ذراع وعلوه سبعمائة من حجارة كل حجر خمسون ذراعا وعند مدينة فرعون موسي أهرام اكبر واعظم وهرم آخر يعرف بهرم مدون كانه جبل وهو خمس طبقات وفتح المامون الهرم الكبير الذي تجاه القسطنطينية قال وقد دخلت في داخله فرأيت قبة مربعة الاسفل مدورة الاعلى كبيرة في وسطها بئر عمقها عشرة أذرع وهي مربعة ينزل الانسان فيها فيجد في كل وجه من تربع البئر بابا يفضى الى دار كبيرة فيها موتى من بنى آدم عليهم اكفان كثيرة اكثر من مائة ثوب على كل واحد قد بليت بطول الزمان واسودت وأجسامهم مثلنا ليسوا طوالا ولم يسقط من أجسامهم ولا من شعورهم شيء وليس فيهم شيخ ولا من شعره أبيض وأجسادهم قوية لا يقدر الانسان أن يزيل عضوا من أعضائهم البتة ولكنهم خفوا حتى صاروا كالغناطس الطول الزمان وفي تلك البئر أربعة من الدور مملوءة بأجساد الموتى وفيها خفافش كثير وكانوا يدقون أيضا جميع الحيوان في الرمال ولقد وجدت ثيابا ملفوفة كثيرا مقدار جرمها أكثر من ذراع وقد احترقت تلك الثياب من القدم فازالت الثياب الى أن ظهرت خرق صحاح قوية بيض من كتان أمثال العصائب فيها أعلام من الحرير الاحمر وفي داخلها هدهد ميت لم يقار من ريشه ولا من جسده شيء كأنه قد مات الآن * وفي القبة التي في الهرم باب يفضى الى علو الهرم وليس فيه درج عرضه نحو خمسة أشبار يقال انه صعد فيها في زمان المأمون فأفضوا الى قبة صغيرة فيها صورة آدمي من حجر أخضر كالدهنج فاخرجت الى المامون فاذا هي مطبقة فلما فتحت وجد فيها جسد آدمي عليه درع من ذهب مزين بأنواع الجواهر وعلى صدره نصل سيف لاقية له وعند رأسه حجر ياقوت أحمر كبيضة الدجاجة يضيء كلب النار فأخذ المامون * وقد رأيت الصنم الذي أخرج منه ذلك الميت ملقى عند باب دار الملك بمصر في سنة احدى عشرة وخسمائة * وقال القاضي الجليل أبو عبد الله محمد بن سلامة القاضي روى على بن الحسن بن خلف بن قديد عن يحيى بن عثمان بن صالح عن محمد بن علي بن صخر التميمي قال حدثني رجل من عجم مصر من قرية من قراها تدعي فقط وكان عالما بأمور مصر وأحوالها وطالبا لكتبتها القديمة ومعادنها قال وجدنا في كتبنا القديمة قال وأما الاهرام فان قوما احتفروا قبرا في دير أبي هرميس فوجدوا فيه ميتا في اكفانه وعلى صدره قرطاس ملفوف في خرق فاستخرجوه من الخرق فأرأوا كتابا لا يعرفونه وكان الكتاب بالقبضية الاولى فطلبوا من يقرأ لهم فلم يقدروا عليه فقيل لهم ان بدير القامون من أرض الفيوم راها يقرأ فخرجوا اليه وقد ظنوا انه في الضيعة فقرأ لهم وكان فيه كتب هذا الكتاب في أول سنة من ملك ديقاطيانس الملك وأنا استنسخته من كتاب نسخ في أول سنة من ملك فيلبس الملك وان فيلبس استنسخه

من صحيفة من ذهب فرق كتابتها حرفا حرفا وكان من الكتاب الاول ترجمه له اخوان
من القبط يقال لاحدهما ايلو والآخر رثا وان الملك فيلبس سألهما عن سبب معرفتهما
بما جهله الناس من قراءته فذكرا أنهما من ولد رجل من اهل مصر الاوائل لم ينح من
الطوفان من اهل مصر أحد غيره وكان سبب نجاته انه أتى نوحا عليه السلام قائم به
ولم يأت من اهل مصر غيره فحمله معه في السفينة فلما نضب ماء الطوفان أتى مصر ومعه
نفر من ولد حام بن نوح وكان بهما حتى هلك فورث ولده علم كتاب اهل مصر
الاول فورثناه عنه كبرا عن كابر وكان تاريخه الذي مضى الى أن استنسخه فيلبس ألفا
وثلاثمائة واثنين وسبعين سنة وان الذي استنسخه في صحيفة من ذهب فرق كتابتها حرفا
حرفا على ما وجدته فيلبس وان تاريخه الى أن استنسخه ألف وسبعمائة سنة وخمس وثمانون
سنة * وكان الكتاب المنسوخ انا نظرنا فيما تدل عليه النجوم فرأينا أن آفة نازلة من السماء
وخارجة من الارض فلما بان لنا الكون نظرنا ماهو فوجدناه ماء مفسدا للارض وحيوانها
ونباتها فلما تم اليقين من ذلك عندنا قلنا لملكنا سوريد بن سهلوق مر ببناء افروشات وقبر
لك وقبر لاهل بيتك فبني لهم الهرم الشرق وبني لآخيه هوحيت الهرم الغربى وبني لابن هوحيت
الهرم الملون وبنيت افروشات في أسفل مصر واعلاها فكتبنا في حيطانها علم غامض أمر النجوم
وعلاها والصنعة والهندسة والطب وغير ذلك مما ينفع ويضر ملخصا مفسرا لمن عرف كلامنا
وكتابتنا وان هذه الآفة نازلة باقطار العالم وذلك عند نزول قلب الاسد في أول دقيقة من رأس
السرطان ويكون الكوكب عند نزوله اياها في هذه المواضع من الفلك الشمس والقمر في اول
دقيقة من رأس الحمل وقوريس في درجة وثمان وعشرين دقيقة من الحمل وراويس في
الحوت في تسع وعشرين درجة وثمان وعشرين دقيقة وآويس في الحوت في تسع وعشرين
درجة وثلاث دقائق وا فرد وبطن في الحوت في ثمان وعشرين درجة ودقائق وهرمس في الحوت
في سبع وعشرين ودقائق والجوزهر في الميزان و اوج القمر في الاسد في خمس درجات ودقائق *
ثم نظرنا هل يكون بعد هذه الآفة كون مضر بالعالم فأصبنا السكواكب تدل على أن آفة نازلة
من السماء الى الأرض وانها ضد الآفة الاولى وهى نار محرقة اقطار العالم ثم نظرنا متى يكون
هذا الكون المضر فرأيناه يكون عند حلول قلب الاسد في آخر دقيقة من الدرجة الخامسة
عشر من الاسد ويكون ايليس معه في دقيقة واحدة متصله بقوريس من ثلث الرامى ويكون
راويس مشترى في أول الاسد في آخر احتراقه ومعه آويس في دقيقة ويكون سليس في الدلو
مقابلا لايليس الشمس ومعه الذنب في اثنتين وعشرين ويكون كسوف شديد له مكت
يوازى القمر ويكون هرمس عطارد في بعده الا بعد أمامها مقبلين أما أفرد وبطن فلاستقامة
وأما هرمس فللرجعة * قال الملك فهل عندكم من خبر توقفونا عليه غير هاتين الآفتين قالوا

إذا قطع قلب الاسد ثلثى سدس ادواره لم يبق من حيوان الارض متحرك الا تلف فاذا استتم ادواره تحللت عقد الفلك وسقط على الارض قال لهم وأى يوم فيه انحلال الفلك قالوا اليوم الثانى من بدو حركة الفلك فهذا ما كان في القرطاس * فلما مات الملك سوريد ابن سهلوق دفن في الهرم الشرقي ودفن هوحيت في الهرم الغربي ودفن كرورس في الهرم لذى أسفله من حجارة اسوان واعلاء كدان * وهذه الاهرام أبواب في ازج تحت الارض طول كل ازج مائة وخمسون ذراعا * فأما باب الهرم الشرقي فمن الناحية البحرية وأما باب ازج الهرم الموزرفن الناحية القبلية * وفي الاهرام من الذهب وحجارة الزمرذ ما لا يحتمله الوصف * وان مترجم هذا الكتاب من القبطى الى العربى أجمل التاريخين الى أول يوم من توت وهو يوم الاحد طلوع شمس سنة خمس وعشرين ومائتين من سنى العرب قبلت أربعة آلاف وثلاثة وحدى وعشرين سنة لسنى الشمس ثم نظركم مضى للطوفان الى يومه هذا فوجده ألفا وسبعمئة وحدى وأربعين سنة وتسعة وخسين يوما وثلاث عشرة ساعة وأربعة أخماس ساعة وتسعة وخسين جزءاً من أربعمئة جزء من ساعة فألقاها من الجملة فبقى معه ثلثمئة وتسع وتسعون سنة ومائتان وخمسة أيام وعشر ساعات وأحد وعشرون جزءاً من أربعمئة جزء من ساعة فلم أن هذا الكتاب المؤرخ كتب قبل الطوفان بهذا السنين والايام والساعات والكسر من الساعة * وأما الهرم الذى بدير أبى هرميس فانه قبر قرياس وكان فارس أهل مصر وكان يعد بألف فارس فاذا لقيهم لم يقوموا به وانهزموا وانه مات فجزع الملك عليه جزعا بلغ منه واكتأبت لموته الرعية فدفنوه بدير هرميس وبنوا عليه الهرم مدرجا وكان طينه الذى بنى به مع الحجارة من القيوم وهذا معروف اذا نظر الى طينه لم يعرف له معدن الا بالقيوم وليس بمنف ووسيم له شبه من الطين * وأما قبر الملك صاحب قرياس هذا فانه الهرم الكبير من الاهرام التى فى بحرى دير أبى هرميس وعلى بابه لوح كدان مكتوب فيه باللازورد طول اللوح ذراعان فى ذراع وكله مملوء كتباً مثل كتب البرابى يصعد الى باب الهرم بدرج بعضها صحيح لم يخرم وفي هذا الهرم ذخائر صاحبه من الذهب وحجارة الزمرذ وانما سد بابه حجارة سقطت من اعاليه ومن وقف عليه رآه بيتا * وقال ابن عفير عن اشياخه ان حياذ بن مياد بن شمزين شداد بن عاد بن عوص بن ارم ابن سام بن نوح عليه السلام ملك الاسكندرية وكانت تسمى ارم ذات العماد فطال ملكه وبلغ ثلثمئة سنة وهو الذى سار وبنى الاهرام وزير فيها أنا حياذ بن مياد بن شمزين شداد الشاد بزراعة الواد المؤيد الاوتاد الجامع الصخر فى البلاد المجند الاجناد السادب العماد الكند الكناد فخرجه أمة اسم نبيها حماد آية ذلك اذا غشى بلد البلاد سبعة ملوك أجناس السواد تاريخ هذا الزير ألف سنة وأربعمئة سنة عداد * وقال ابن عفير وابن عبد

الحكم وفي زمان شداد بن عاد بنيت الاهرام فيما ذكر بعض المحدثين ولم نجد عند أحد من أهل العلم من أهل مصر معرفة في الاهرام ولا خبر ثبت * وقال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ما أحسب الاهرام بنيت الا قبل الطوفان لانها لو بنيت بعده لكان علمها عند الناس * وقال عبد الله بن شبرمة الجرهني لما نزلت العماليق أرض مصر حين أخرجها جرهم من مكة بنت الاهرام واتخذت لها المصانع وبنيت فيها العجائب ولم تزل بمصر حتى أخرجها مالك بن دعر الخزاعي * وقال محمد بن عبد الحكم كان من وراء الاهرام الى المغرب أربع مائة مدينة سوي القرى من مصر الى المغرب في غربي الاهرام * وقال ابن عفير ولم يزل مشايخنا من أهل مصر يقولون الاهرام بناها شداد بن عاد وهو الذي بنى المغار وجند الاجناد فالمنار والاجناد هي الدقائق وكانوا يقولون بالرجعة واذا مات احدهم دفن معه ماله كائنا ما كان وان كان صانعاً دفن معه آلة صنعته وكانت الصابئة تخرج الى الاهرام * وقال أبو الريحان البيروني في كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية والفرس والمجوس تنكر الطوفان وأقربيه بعض الفرس لكنهم قالوا كان بالشام والمغرب منه شيء في زمان طهمورث ولكنه لم يعم العمران كله ولم يتجاوز عقبة حلوان ولم يبلغ ممالك الشرق وأن أهل المغرب لما اندوبه حكماؤهم بنوا ابنية كالهرمين بمصر ليدخلوها عند الآفة وأن آثار ماء الطوفان وتأثيرات الامواج كانت بينة على انصاف الهرمين لم يتجاوزهما انتهى ويقال ان الطوفان لما نضب ماؤه لم يوجد تحت الماء قرية سوي نها وند وجدت كما هي واهرام مصر وبرابها وهي التي بناها هرميس الاول الذي تسميه العرب ادريس وكان قد الهمة الله علم النجوم فدلته على أنه سينزل بالارض آفة وانه سيبقي بقية من العالم يحتاجون فيها الى علم فبني هو وأهل عصره الاهرام والبرابي وكتب علمه فيها * وقال أبو الصلت الاندلسي في رسالته وقد ذكر أخلاق أهل مصر الا انه يظهر من أمرهم انه كان فيهم طائفة من ذوى المعارف والعلوم وخصوصاً علم الهندسة والنجوم ويدل على ذلك ما خلفوه من الصنائع البديعة المعجزة كالاهارام والبرابي فانها من الآثار التي حيرت الاذهان الثاقبة واستعجزت الافكار الراجحة وتركت لها شغلا بالتمجيب منها والتفكير فيها وفي مثلها يقول أبو العلاء احمد بن سليمان المعري من قصيدته التي يرثي بها اياه

فضل العقول الهبريات رشدها * ولا يسلم الرأي القويم من الافن

وقد كان أرباب الفصاحة كلما * رأوا حسنا عدوه من صنعة الجن

وأى شيء أعجب وأعرب بعد مقدورات الله عز وجل ومصنوعاته من القدرة على بناء جسم جسيم من أعظم الحجارة مربع القاعدة مخروط الشكل ارتفاع عموده ثلثائة ذراع وتسعة عشر ذراعاً يحيط به أربعة سطوح مثلثات متساويات الاضلاع طول كل ضلع

منها أربعمائة ذراع وستون وهو مع العظم من احكام الصنعة واتقان الهندام وحسن التقدير بحيث لم يتأثر الى هلم جرا بعصف الرياح وهطل السحاب وزعزعة الزلازل وهذه صفة كل واحد من الهرمين المحاذيين للفسطاط من الجانب الغربي على ماشاهدانه منهما وقد ذكرت عجائب مصر وان ما على وجه الارض بنية الا وأنا أرثي لها من الليل والنهار الا الهرمان فأنا أرثي لليل والنهار منهما وهذا الهرمان لهما اشراف على أرض مصر واطلال على بطائنها واصعاد في جوفها وهما اللذان أراد أبو الطيب المتنبى بقوله شعر

اين الذي الهرمان من بنيانه * ماقومه ما يومه ما المصرع

تخلف الآثار عن سكانها * حينما ويدركها الفناء فتنبع

واتفق يوما أنا خرجنا اليهما فلما طفتنا بهما واستدرنا حولهما كثر التعجب منهما فقال بعضنا

بعيشك هل أبصرت أعجب منظرا * على طول ما أبصرت من هرمي مصر

انا فانا عسانا للسماء وأشرقا * على الجوا اشراف السماءك أو النسر

وقد وافيا نشزا من الارض عاليا * ككانهما نهذان قاما على صدر

وزعم قوم ان الاهرام قبور ملوك عظام آثروا أن يتميزوا بها على سائر الملوك بعد مماتهم كما يتميزوا عنهم في حياتهم وتوخوا أن يبقى ذكرهم بسببها على تطاول الدهور وتراخي العصور * ولما وصل الخليفة المأمون الى مصر أمر بفتحها ففتحها أحد الهرمين المحاذيين للفسطاط بعد جهد شديد وعناء طويل فوجدوا داخله مهاوي ومراقي يهول أمرها ويسمر السلوك فيها ووجدوا في أعلاها بيتاً مكعباً طول كل ضلع من أضلاعه نحو من ثمانية أذرع وفي وسطه حوض رخام مطبق فلما كشف غطاؤه لم يجدوا فيه غير رمة بالية قد أتت عليها العصور الخالية فعند ذلك أمر المأمون بالكف عن نقب ما سواه ويقال ان النفقة على نقبه كانت عظيمة والمؤنة شديدة * ومن الناس من زعم أن هرمس الاول المدعو بالمثلث بالنوبة والملك والحكمة وهو الذي تسميه العبرانيون خنوخ بن برد بن مهلايل بن فتيان بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام وهو ادريس عليه السلام استدل من أحوال الكواكب على كون الطوفان يعم الارض فأكثر من بنيان الاهرام وايداعها الاموال وصحائف العلوم وما يشفق عليه من الذهاب والدروس حفظاً لها واحتياطاً عليها ويقال ان الذي بناها ملك اسمه سوريد بن سهلوق بن سرياق وقال آخرون أن الذي بنى الهرمين المحاذيين للفسطاط شداد بن عاد لرؤيا رآها والقبط تنكر دخول العمالقة بدمصر وتحقق أن بانيها سوريد لرؤيا رآها وهي أن آفة تنزل من السماء وهي الطوفان وقالوا انه بناهما في مدة ستة أشهر وغشاهما بالديباج الملون وكتب عليهما قد بنيتهما في ستة أشهر قل لمن يأتي من يهدمنا يهدمهما في ستمائة سنة فالهدم ايسر من البنيان وكسوناها الديباج الملون فليكنسهما حصراً فالحصار أهون من

الديباج ورأينا سطوح كل واحد من هذين الهرمين مخطوطة من اعلاها الى اسفلها بسطور متضايقة متوازية من كتابة بانيتها لا تعرف اليوم احرفها ولا تفهم معانيها وبالجملة الامر فيها عجيب حتى ان غاية الوصف لها والاغراق في العبارة عنها وعن حقيقة الموصوف منها بخلاف ما قاله علي بن العباس الرومي وان تباعد الموصوفان وتباين المقصودان اذ يقول
اذا ما وصفت امرأ لامرئ * فلا تغل في وصفه واقصد

فانك ان تغل تبد الظنون * فيه الى الغرض الابعد
فيصغر من حيث عظمته * لفضل المغيب على المشهد

ويقال ان المأمون أمر من صعد الهرم الكبير أن يدلي حبلًا فكان طوله ألف ذراع بالذراع الملكي وهو ذراع وخمسان وتريعه أربعمائة ذراع في مثلها وكان صعوده في ثلاث ساعات من النهار وانه وجد مقدار رأس الهرم قدر مبرك ثمانية جمال * ويقال انه وجد على المقبور في الهرم حلة قد بليت ولم يبق منها سوى سلوكها من الذهب وأن ثخانة الطلاء الذي عليه قدر شبر من مر وصبر * ويقال انه وجد في موضع من هذا الهرم ايوان في صدره ثلاثة أبواب على ثلاثة بيوت طول كل باب منها عشرة أذرع في عرض خمسة أذرع من رخام منحوت بحكم الهندام وعلى صفحاته خط أزرق لم يحسنوا قراءته وانهم أقاموا ثلاثة أيام يعملون الحيلة في فتح هذه الابواب الى أن رأوا أمامها على عشرة أذرع منها ثلاثة أعمدة من مرمر وفي كل عمود خرق في طوله وفي وسط الخرق صورة طائر ففي الاول من هذه العمود صورة حمام من حجر أخضر وفي الاوسط صورة بازى من حجر أصفر وفي العمود الثالث صورة ديك من حجر أحمر فحركوا البازى فتحرك الباب الاول الذي في مقابلته فرفعوا البازى قليلا فارتفع الباب وكان بحيث لا يرفعه مائة رجل من عظمه فرفعوا التمثالين الآخرين فارتفع البانان الآخران فدخلوا الى البيت الاوسط فوجدوا فيه ثلاثة سرر من حجارة شفافة مضيئة وعليها ثلاثة من الاموات على كل ميت ثلاث حلال وعند رأسه مصحف بخط مجهول ووجدوا في البيت الآخر عدة رفوف من حجارة عليها أسفاط من حجارة فيها أو ان من الذهب عجيبية الصنعة مرصعة بأنواع الجواهر ووجدوا في البيت الثالث عدة رفوف من حجارة عليها أسفاط من حجارة فيها آلات الحرب وعدد السلاح فقيس منها سيف فكان طوله سبعة أشبار وكل درع من تلك الدروع اثنا عشر شبرا فأمر المأمون بحمل ما وجد في البيوت وأمر فحطت العمدة فانطبقت الابواب كما كانت * ويقال كانت عدة الاهرام ثمانية عشر هرما منها تجاه مدينة الفسطاط ثلاثة أكبرها دوره ألفا ذراع وهو مربع في كل وجه من وجوهه الاربعة خمسمائة ذراع ويقال ان المأمون لما افتحه وجد فيه حوضا من حجر مغطى بلوح من رخام وهو مملوء بالذهب وعلى اللوح مكتوب

بقلم عرب فكان انا عمرنا هذا الهرم في ألف يوم وأنجنا لمن يهدمه في ألف سنة والهدم أسهل من العمارة وكسونا جميعه بالديباج وأنجنا لمن يكسوه الحصر والحصر أيسر من الديباج وجعلنا في كل جهة من جهاته مالا بقدر ما يصرف على الوصول اليه فأمر المأمون أن يحسب ما صرف على الثقب فبلغ قدر ما وجد في الحوض من غير زيادة ولا نقص * ويقال انه وجد فيه صورة آدمي من حجر أخضر كالدهنج فيها طبق كالدواة ففتح فاذا فيه جسد آدمي عليه درع من ذهب مزين بأنواع الجواهر وعلى صدره نصل سيف لاقيمة له وعند رأسه حجر من ياقوت أحمر في قدر بيضة الدجاجة فأخذ المأمون وقال هذا خير من خراج الذهب * وذكر بعض مؤرخي مصر أن هذا الصنم الاخضر الذي وجدت الرمة فيه لم يزل معلقا عند دار الملك بمدينة مصر الى سنة إحدى عشرة وستائة من سنى الهجرة * وكان عند مدينة فرعون هرمان وعند ميدوم هرم وهذا آخرها * وفي سنة تسع وسبعين وخمسمائة من سنى الهجرة ظهر بترية بوصير من ناحية الجزيرة بيت هرميس ففتحه القاضي ابن الشهرزوري وأخذ منه أشياء من جملتها كباش وقرود وضفادع من حجر بازره وقوارير من دهنج وأصنام من نحاس * وقال ابن جر داويه من عجيب البنيان أن الهرمين بمصر سمك كل واحد منهما أربعمائة ذراع وكلما ارتفع دق وهما من رخام ومرمر والطول أربعمائة ذراع في عرض أربعمائة ذراع مكتسوب عليهما باليد كل سحر وكل عجيب من الطب ومكتسوب عليهما اتى بنيتهما فن يدعى قوة في ملكه فليهدمهما فان الهدم أيسر من البناء فاعتبر ذلك فاذا خرج الدنيا لا يبق يهدمهما * وقال في كتاب عجائب البنيان عن الاهرام قد انفردت مصر بهذه الاشكال فليس لها بغيرها تمثال يظنهما الناظر للديار المصرية تهدين ويحسبهما القابل أن مكارم أهلها قد أعدتهما للتكريم أبلوحين تراهما العين على بعد المسافة واذا حدثت عن عجائبهما يظن انه حديث خرافه وقد أكثر الناس في ذكر الاهرام ووصفها ومساحتها وهي كثيرة العدد جدا وكلها ببر الجزيرة على سمت مصر القديمة تمتد نحواً من مسافة ثلاثة أيام وفي بوصير منها شيء كثير وبعضها كبار وبعضها صغار وبعضها طين وبعضها لبن وأكثرها حجر وبعضها مدرج وأكثرها مخروط أملس * وقد كان منها بالجزيرة عدد كثير كلها صغار هدمت في زمن السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب على يد الطواشي بهاء الدين قراقوش أخذ حجارتها وبني بها القناطر في الجزيرة وقد بقى من هذه الاهرام المهذومة تالها وأما الاهرام المتحدث عنها فهي ثلاثة اهرام موضوعة على خط مستقيم بالجزيرة قبالة القسائط وبينها مسافات كثيرة وزوايا متقابلة نحو الشرق واثنان عظيمان جداً في قدر واحد وهما متقاربان ومبنيان بالحجارة البيض وأما الثالث فصغير عنهما نحو الربع ولكنه مبني بحجارة الصوان الاحمر المنقط الشديد القوة

والصلابة ولا يكاد يؤثر فيه الحديد إلا في الزمان الطويل وتحمده صغيرا بالقياس الى ذينك
 فاذا أتيت اليه وأفردته بالنظر هالك مرآه وحير النظر في تأمله * وقد سلك في بناء الاهرام
 طريق عجيب من الشكل والاتقان ولذلك صبرت على عمر الايام لا بل على عمرها صبر الزمان
 فانك اذا تأملتها وجدت الازدهان الشريفة قد استهلكت فيها والعقول الصافية قد أفرغت
 عليها مجهودها والانس النيرة قد أفاضت عليها أشرف ما عندها والملكات الهندسية قد
 أخرجتها الى الفعل مثلا في غاية امكانها حتى انها تكاد تحدث عن قوة قومها وتخبر عن
 سيرتهم وتتعلق عن علومهم واذهانهم وتزجج عن سيرهم وأخبارهم وذلك أن وضعها على
 شكل مخروط ويتبدى من قاعدة مربعة وينتهي الى نقطة * ومن خواص الشكل المخروط
 أن مركز ثقله في وسطه يتساند على نفسه ويتوقع على ذاته ويتحمل بعضه على بعض وليس
 له جهة اخرى يتساقط عليها * ومن عجيب وضعه أنه أشكل مربع قد قوبل بزواياه مهاب الرياح
 الاربع فان الريح تنكسر سورتها عند مسامتتها الزاوية وليست كذلك عند ما تلقى السطح *
 وذكر المساح أن قاعدة كل من الهرمين العظيمين أربعائة ذراع بالذراع السوداء ويتقطع
 المخروط في أعلاه عند سطح مساحته عشرة أذرع في مثلها وذكر أن بعض الرماة رمى
 سهما في قطر أحدها وفي سمكه فسقط السهم دون نصف المسافة وذكر أن ذراع سطحها
 احد عشر ذراعا بذراع اليد وفي أحد هذين الهرمين مدخل يلججه الناس يفضى بهم الى
 مسالك ضيقة وأسراب متنافذة وآبار ومهالك وغير ذلك على ما يحكيه من يلججه
 وأن أناسا كثيرين لهم غرام به وتحيل فيه فيتوغلون في أعماقه ولا بد أن ينتهوا الى
 ما يفتجزون عن سلوكه * وأما المسنوك المطروق كثيرا فزلاقة تفضى الى اعلاه
 فيوجد فيه بيت مربع فيه ناوس من حجر وهذا المدخل ليس هو الباب في أصل
 البناء وإنما هو مقبوع نقبا صادف اتفاقا وذكر أن المأمون فتحه * وحكي من دخله وصعد
 الى البيت الذي في أعلاه فلما نزلوا حدثوا بعظيم ما شاهدوه وأنه مملوء بالخفافيش وأبواها
 وتعظم فيه حتى تكون قدر الحمام وفيه طاقات وروازن نحو أعلاه كأنها عملت مسالك
 للريح ومنافذ للضوء بحجارة جافية طول الحجر منها من عشرة أذرع الى عشرين ذراعا
 وسمكه من ذراعين الى ثلاثة أذرع وعرضه نحو ذلك * والعجب كل العجب من وضع
 الخفجر على الحجر بهندام ليس في الامكان أصح منه بحيث لا نجد بينها مدخلا أبدا ولا خلل
 شعرة وبينهما ظن لونه الزرقة لا يدري ماهو ولا صفته وعلى تلك الحجارة كتابات بالقلم
 القديم المجهول الذي لم يوجد بديار مصر من يزعم أنه سمع من يعرفه وهذه الكتابات
 كثيرة جدا حتى لو نقل ما عليها الى صحف لكنت قدر عشرة آلاف صحيفة وقرأت في بعض
 كتب الصائبة القديمة أن أحد هذين الهرمين قبر أعاديمن والآخر قبر هرمن ويزعمون أنهم مايتان

عظيمان وأن أعاديهم أقدم وأعظم وأنه كان يحج إليهما ويهدي إليهما من إقطار البلاد * وكان الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف بن أيوب لما استقل بالملك بعد أبيه سول له جهلة أصحابه أن يهدم هذه الأهرام فبدأ بالصغير الأحمر فأخرج إليه النقاين والحجارين وجماعة من أمراء دولته وعظماء مملكته وأمرهم بهدمه فقيموا عنده وحشروا الرجال والصناع ووفروا عليهم النفقات وأقاموا نحو ثمانية أشهر يخيلهم ورجلهم يهدمون كل يوم بعد الجهد واستفراغ بذل الوسع الحجر والحجرين فقوم من فوق يدفعونه بالأسافين وقوم من أسفل يجذبونه بالقلوس والاشطان فإذا سقط سمع له وجبة عظيمة من مسافة بعيدة حتى ترتجف الجبال وتزلزل الأرض ويقوص في الرمل فيتعبون تعباً آخر حتى يخرجوه ويضربون فيه بالأسافين بعد ما يثقبون لها موضعاً ويثبتونها فيه فيقطع قطعاً وتسحب كل قطعة على العجل حتى يلقى في ذيل الجبل وهي مسافة قريبة فلما طال ثوابهم ونفدت نفقاتهم وتضاعف نصيبهم ووهت عزائمهم كفوا محسورين لم ينالوا بغية بل شوهوا الهرم وأبأوا عن عجز وفشل وكان ذلك في سنة ثلاث وتسعين وخمسة مئة ومع ذلك فإن الرأي لحجارة الهرم يظن أنه قد استوصل فإذا عاين الهرم ظن أنه لم يهدم منه شيء وإنما سقط بعض جانب منه وحين ماشوهدت المشقة التي يجذبونها في هدم كل حجر سئل مقدم الحجارين فقبل له لو بذل لكم السلطان ألف دينار على أن تردوا حجراً واحداً إلى مكانه وهندامه هل كان يمكنكم فأقسم بالله أنهم ليعجزون عنه ولو بذل لهم أضعاف ذلك * وبازاء الأهرام مغائر كثيرة العدد كبيرة المقدار عميقة الأغوار لمل الفارس يدخلها برمحها ويخللها يوماً أجمع ولا ينهيها لكبرها وسعتها وبعدها ويظهر من حالها أنها مقاطع حجارة الأهرام * وأما مقاطع حجارة الهرم الأحمر فيقال أنها بالقلزم وبأسوان وعند هذه الأهرام آثار أبنية جبابرة ومغائر كثيرة متقبة وقاماً ترى من ذلك شيئاً إلا وترى عليه كتابات بهذا القلم المجهول ولله در الفقيه عمارة النبي حيث يقول

خديلي ما تحت السماء بنية * تماثل في اتقانها هرمي مصر

بناء يخاف الدهر منه وكل ما * على ظاهرها الدنيا يخاف من الدهر

نزه طرفي في بدیع بنائها * ولم ينتزه في المراد بها فكرى

أخذ هذا من قول بعض الحكماء كل شيء يخشى عليه من الدهر إلا الأهرام فإنه يخشى على الدهر منها وقال عبد الوهاب بن حسن بن جعفر بن الحاجب ومات في سنة سبع وثمانين وثلاثمائة

أنظر إلى الهرمين اذ برزا * للعين في علو وفي صعد

وكأنما الأرض المريضة قد * ظمئت لطول حرارة الكبد

حسرت عن التدين بارزة * تدعو الآلهة لفرقة الولد

فأجابها بالثيل يشبعها * ربا ويثقلها من الكمد
لكرامة المولى المقيم بها * خير الانام مقوم الاود
وقال سيف الدين بن حياره

لله اى عجيبه وغريبه * في صنعة الاهرام للالباب
أخفت عن الاسماع قصة أهلها * ونضت عن الابداع كل نقاب
فكانما هي كالحجيام مقامة * من غير ما معدولا أطناب
وقال آخر أنظر الى الهرمين واسمع منهما * ما يرويان عن الزمان الغابر
وانظر الى سر الليالى فيهما * نظرا بعين القلب لا بالنظر
لويطلقان خبرانا بالذى * فعل الزمان بأول وبآخر
واذا هما بديا لعيني ناظر * وصفا له أذني جواد عائر
وقال الامام أبو العباس أحمد بن يوسف التيفاشي

ألست ترى الاهرام دام بناؤها * ويفني لدينا العالم الانس والجن
كان رحي الافلاك أكوارها على * قواعدها الاهرام والعالم الطاحن
وقال قد كان للماضين من * سكان مصرهم * فالفضل عنهم فضلة * والعلم فيهم علم
ثم انقضت أعلامهم * وعلمهم واحتطموا * وانظر تراها ظاهرا * بادع عليها الهرم
وقال خليلي لابق على الحدنان * من الاول الباقي فيحدث ثاني
الى هرمي مصر تناهت قوى الورى * وقد هربت في دهرها الهرمان
فلا تمجبا أن قد هربت فاتها * رماني بفقد ان الشباب زماني
وعوجا بقرطا جنة فانظرا بها * جناتي العادين تتحجان
وايوان كسرى فانظرا فانه * يخبر كما بالصدق كل أوان
فلا تحسبا أن الفناء يخصني * ألا كل ما فوق البسيطة فاني

ووجدت بخط الشيخ شهاب الدين أحمد بن يحيى بن أبي حجلة التلمساني أنشدني
القاضي نحر الدين عبد الوهاب المصري لنفسه في الاهرام سنة خمس وخمسين وسبع مائة وأجاد
أمداني الاهرام كم من واعظ * صدع القلوب ولم يفه بلسانه
اذ كرني قولا تقادم عهده * أين الذى الهرمان من بنيانه
هن الجبال الشامخات تكاد أن * تمتد فوق الارض عن كيوانه
لو أن كسرى جالس في سفحها * لأجل مجلسه على ايوانه
ثبتت على جر الزمان وبرده * مددا ولم تأسف على حدثانه
والشمس في احراقها والريح غدا * دهبوها والسيل في جريانه

هل عابد قد خصها بعبادة * فباني الاهرام من أوثانه
 أو قائل يقضى برجي نفسه * من بعد فرقته الى جثمانه
 فاختارها لكنوزه ولجسمه * قبرا ليأمن من أذى طوفانه
 أو أنها للسائرات مراصد * يختار راصدها أعز مكانه
 أو أنها وصفت شؤون كواكب * احكام فرس الدهر أو يوثانه
 أو أنهم نقشوا على حيطانها * علما يحار الفكر في تبيانها
 في قلب رائئها ليعلم نقشها * فكر يعرض عليه طرف بنانه
 ذكر الصنم الذي يقال له أبو الهول

هذا الصنم بين الهرمين عرف أولا بلهيب وتقول اهل مصر اليوم أبو الهول * قال القاضي
 صنم الهرمين وهو باهوبه صنم كبير من حجارة فيما بين الهرمين لا يظهر منه سوى رأسه فقط
 تسميه العامة بابي الهول ويقال بلهيب ويقال انه طلسم لارمل لثلاث يغلب على ابليلز الحيزة *
 وقال في كتاب عجائب البنيان وعند الاهرام رأس وعنق بارزة من الارض في غاية العظم
 تسميه الناس أبا الهول ويزعمون أن جثته مدفونة تحت الارض ويقتضى القياس بالنسبة الى
 رأسه أن يكون طوله سبعين ذراعا فصاعدا وفي وجهه حمرة ودهان يلمع عليه رونق
 الطراوة وهو حسن الصورة مقبوها عليه مسحة بهاء وجمال كأنه يضحك تسميا * وسئل
 بعض الفضلاء عن عجيب ما رأى فقال تناسب وجه أبي الهول فان أعضاء وجهه كالانف
 والعين والاذن متناسبة كما تصنع الطبيعة الصور متناسبة فان انف الطفل مثلا مناسب له وهو
 حسن به حتى لو كان ذلك الانف لرجل كان مشوها وكذلك انف الرجل لو كان لصبي
 لتشوهت صورته وعلى هذا سائر الأعضاء فكل عضو ينبغي أن يكون على مقدار ما هيته
 بالقياس الى الصورة وعلى نسبتها والعجب من مصوره كيف قدر أن يحفظ التناسب
 للأعضاء مع عظمها وأنه ليس في أعمال الطبيعة ما يحاكى * ويقال في بر مصر قريبا
 من دار الملك صنم عظيم الحلقة والهيئة متناسب الأعضاء كما وصف وفي حجره مولود وعلى
 رأسه ماجور الجميع صوان ماتع يزعم الناس أنه امرأة وانها سرية أبي الهول المذكور
 وهي بدرب منسوب اليها ويقال لو وضع على رأس أبي الهول خيط ومد الى سريره
 لكان على رأسها مستقيما ويقال ان أبا الهول طلسم الرمل يمنعه عن التيل وان السرية
 طلسم الماء يمنعه عن مصر * وقال ابن المتوج زقاق الصنم هو الزقاق الشارع أوله بالول
 السوق الكبير بجوار درب عمار ويعرف الصنم بسرية فرعون وذكر أنه طلسم التيل لثلاث
 يغلب على البلد وقيل ان بلهيب الذي عند الاهرام يقابله وان ظهر بلهيب الى الرمل وظهر
 هذا الى التيل وكل منهما مستقبل الشرق وقد نزل في سنة احدى عشرة وسبعمائة امير

يعرف بـبـيـلاط في نفر من الحجارين والقطاعين وكسروا الصنم المعروف بالسرية وقطعوه
أعتابا وقواعد فلما أن يكون تحته مال فلم يوجد سوى أعتاب من حجر عظيمة خفر
تحتها الى المساء فلم يوجد شيء وجعل من حجره قواعد تحتانية للعمد الصوان التي بالجامع
المستجد بظاهر مصر المعروف بالجامع الجديد الناصري وأزيل عين هذا الصنم من مكانه
والله أعلم * وفي زمنا كان شخص يعرف بالشيخ محمد صائم الدهر من جملة صوفية
الخطاها الصلاحية سعيد السعداء قام في نحو من سنة ثمانين وسبعائة لتغيير أشياء من المنكرات
وسار الى الاهرام وشوه وجه ابى الهول وشعته فهو على ذلك الى اليوم ومن حينئذ غلب
الرميل على أراض كثيرة من الجزيرة واهل تلك التواحي يرون ان سبب غلبة الرمل على
الاراضي فساد وجه أبى الهول والله عاقبة الامور وما أحسن قول ظافر الحداد
تأمل هيئة الهرمين واعجب * وبينهما ابو الهول العجيب
كعمار يبتن على رحيل * بمحبوبين بينهما رقيب
وماء النيل تحتهم دموع * وصوت الريح عندهما نجيب
وظاهر سجن يوسف مثل صب * تخلف فهو محزون كئيب

ويقال ان اتريب بن قبط بن مصر بن بصر بن حام بن نوح أوصى أخاه صا عند
موته أن يحمله في سفينة ويدفنه بجزيرة في وسط البحر فلما مات فعل ذلك من غير أن يعلم
به أهل مصر فاتهمه الناس بقتل اتريب وحاربوه تسع سنين فلما مضى من حربهم خمس
سنين مضى بهم حتى أوقفهم على قبر اتريب فخفروه فلم يجدوا به شيئا وقد نقاته الشياطين الى
موضع أبى الهول ودفنته هناك بجانب قبر أبيه وجده ببصر فازدادوا له تهمة وعادوا الى
مدينة منف وتحاربوا فأناهم ابليس فدلهم على قبر اتريب حيث نقله فأخرجوه من قبره
 ووضعوه على سرير فتكلم لهم الشيطان على لسانه حتى اقتنوا به وسجدوا له وعبدوه فيما
عبدوا من الاصنام وقتلوا صا ودفنوه على شاطئ النيل فكان النيل اذا زاد لا يعلو قبره
فاقتن به طائفة وقالوا قد قتل صا ظلما وصاروا يسجدون لقبره كما يسجد أولئك لاتريب
فعمد آخرون الى حجر فتحته على صورة اشوم وكان يقال له أبو الهول ونصبوه بين
الهرمين وجعلوا يسجدون له فصار أهل مصر ثلاث فرق ولم تزل الصائبة تعظم أبا الهول
وتقرب له الديكة البيض وتجزه بالصندروس

❦ ذكر الجبال ❦

اعلم ان أرض مصر بأسرها محصورة بين جبلين آخذين من الجنوب الى الشمال قليلى الارتفاع
وأحدها أعظم من الآخر والأعظم منهما هو الجبل الشرقي المعروف بجبل لوقا والغربي
جبل صغير وبعضه غير متصل ببعض والمسافة بينهما تضيق في بعض المواضع وتوسع في بعضها

وأوسع ما يكون بأسفل أرض مصر وهذان الجبلان أقرعان لا ينبت فيهما نبات كما يكون في جبال البلدان الأخرى وعلّة ذلك أنهما بورقيان مالحان لأن قوة طين مصر تجذب منهما الرطوبات الموافقة في التكوين ولأن قوة الحرارة تحلل منهما الجوهر اللطيف العذب وكذلك مياه الآبار منهما مالحة وهذان الجبلان يحفقان ما يدفن فيهما فإن أرض مصر بالطبع قليلة الأمطار * وجبل لوقا في مشرق أرض مصر يعوق عنها ريح الصبا فعدمت مصر هذا الريح ويعوق أيضا اشراق الشمس على أرض مصر إذا كانت على الأفق وتعدد أسماء هذين الجبلين بحسب مواضعهما من الأقاليم فيطل على القسطنطينية وعلى القاهرة الجبل المقطم

ذكر الجبل المقطم

اعلم أن الجبل المقطم أوله من الشرق من الصين حيث البحر المحيط ويمر على بلاد الطاطار حتى يأتي فرغانة إلى جبال الينم الممتد بها نهر السغد إلى أن يصل الجبل إلى جيحون فيقطعه ويمضي في وسطه بين شعبتين منه وكانه قطع ثم في وسطه ويستمر الجبل إلى الجورجان ويأخذ على الطالقان إلى أعمال مرو والرود إلى طوس فيكون جميع مدن طوس فيه ويتصل به جبال أصهان وشيراز إلى أن يصل إلى البحر الهندي وينعطف هذا الجبل ويمتد إلى شهرزور فيمر على الدجلة ويتصل بجبل الجودي موقوف سفينة نوح عليه السلام في الطوفان ولا يزال هذا الجبل مستمرا من أعمال آمدوميا فأرقين حتى يمر بشفور حلب فيسمى هناك جبل الاسكاف إلى أن يعدي الثغور فيسمى نهرا حتى يجاوز حمص فيسمى لبنان ثم يمتد على الشام حتى ينتهي إلى بحر القلزم من جهة ويتصل من الجهة الأخرى ويسمى المقطم ثم يتشعب ويتصل بأواخر شعبه بنهاية الغرب ويقال أنه عرف بمقطم بن مصر بن بيسر بن حام ابن نوح عليه السلام * وجبل المقطم يمر على جانبي النيل إلى الثوبة ويعبر من فوق الفيوم فيتصل بالغرب إلى أرض مقراوة ويمضي مغربا إلى سبجلماسة ومنها إلى البحر المحيط مسيرة خمسة أشهر * وقال إبراهيم بن وصيف شاه وذكر محيي مصر إمام بن بيسر بن حام بن نوح إلى أرض مصر وكشف أصحاب إقليمون السكاكين عن كنوز مصر وعلومهم التي هي بخط البراني وآثارهم والمعادن من الذهب والزرجد والفيروزج وغير ذلك ووصفوا لهم عمل الصنعة يعني الكيمياء فجعل مصر إمام أسرها إلى رجل من أهل بيعة يقال له مقيطام الحكيم فكان يعمل الكيمياء في الجبل الشرقي فسمي به المقطم من أجل أن مقيطام الحكيم كان يعمل فيه الكيمياء واختصر من اسمه وبقي ما يدل عليه فقيل له جبل المقطم يعني جبل مقيطام الحكيم وقال البكري رحمة الله تعالى عليه المقطم بضم أوله وفتح ثانيه وتشديد الطاء المهملة وفتحها جبل متصل بمصر يوارون فيه موتاهم وقال القضاة المقطم ذكر أبو عبد الله البجلي أن هذا الجبل نسب إلى المقطم بن مصر بن بيسر بن حام بن نوح وكان عبدا

صالحاً فأنفرد بعبادة الله عز وجل فيه فسمي الجبل باسمه وليس هذا بصحيح لانه لا يعرف
لمصر ولد اسمه المقطم * والذي ذكره العلماء أن المقطم مأخوذ من القطم وهو القطع فكأنه
لما كان منقطع الشجر والنبات سمي مقطماً ذكر ذلك علي بن الحسن الهنائي الدوسي النبوذ
بكراع وغيره * وروى عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم عن الميث بن سعد رضى
الله عنه قال سألت المقوقس عمرو بن العاص رضى الله عنه أن يبيعه سفح الجبل المقطم بسبعين
ألف دينار وفي نسخة بعشرين ألف دينار فعجب عمرو من ذلك وقال أكتب بذلك الى
أمير المؤمنين فكتب بذلك الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكتب اليه عمر سله لم
أعطاك به ما أعطاك وهي لا تزرع ولا يستنبط بها ماء فسأله فقال انا لتجد ضفتها في السكتب
أن فيها غراس الجنة فكتب بذلك الى عمر فكتب اليه انا لا نعلم غراس الجنة الا المؤمنين
فأقبر فيها من مات قبلك من المؤمنين ولا تبعه بشئ فكان أول من قبر فيها رجلاً من
المعافر يقال له عامر فقيل عمرت فقال المقوقس لعمر وما ذلك وما على هذا عاهدتنا فقطع
لهم الحد الذي بين المقبرة وبينهم * وذكر عمر بن أبي عمر السكدي في فضائل مصر أن
عمرو بن العاص رضى الله عنه سار في سفح الجبل المقطم ومعه المقوقس فقال له ما الجبل لكم
هذا أقرع ليس به نبات كجبال الشام فلو شققنا في أسفله نهرأ من النيل وغرسناه نخلاً فقال
المقوقس وجدنا في السكتب انه كان أكثر الجبال أشجاراً ونباتاً وفاكهة وكان منزل المقطم
ابن مصر بن بصر بن حام بن نوح عليه السلام فلما كانت الليلة التي كلم الله فيها موسى عليه
السلام أوحى الله الى الجبال اني مكلم نبيأ من أنبيائي على جبل منكم فسمت الجبال كلها
وتشاخت الا جبل بيت المقدس فانه هبط وتصاغر فأوحى الله اليه لم فعلت ذلك وهو به
أخبر فقال اعظاماً واجلالاً لك يارب قال فأمر الله سبحانه الجبال أن يحبوه كل جبل بما
عليه من الثبت فجاء له المقطم بكل ما عليه من الثبت حتى بقي كما ترى فأوحى الله اليه اني
معوضك على فعلك بشجر الجنة أو غراس الجنة فكتب بذلك عمرو بن العاص رضى الله عنه
الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكتب اليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه اني لا أعلم
شجر الجنة غير المؤمنين فأجمله لهم مقبرة ففعل ففضب المقوقس من ذلك وقال لعمر وما
على هذا صالحتي فقطع له عمر قطيعاً نحو الحبش تدفن فيه التصارى قال وروى أن موسى
عليه السلام سجد فسجد معه كل شجرة من المقطم الى طرا * وروى أنه مكتوب واذا فتح
مقدسى يريد وادى مسجد موسى عليه السلام بالمقطم عند مقطع الحجارة فان موسى عليه
السلام كان يناجي ربه بذلك الوادى * وروى أسد بن موسى قال شهدت جنازة مع موسى
ابن طيبة فجلسنا حوله فرفع رأسه فنظر الى الجبل فقال ان عيسى بن مريم عليه السلام
مرّ بسفح هذا الجبل وعليه حبة صوف وقد شد وسطه بشريط وأمه الى جانبه فالتفت

اليها وقال يا أمه هذه مقبرة أمة محمد صلى الله عليه وسلم وروى عبد الله بن هليعة عن عياش ابن عباس أن كعب الاحبار رضى الله عنه سأل رجلا يريد مصر فقال له أهدنى تربة من سفح مقطمها فأتاه منه بجراب فلما حضرت كعباً الوفاة أمر به فجعل في لحده تحت جنته * وروى عن كعب انه سئل عن جبل مصر فقال انه لمقدس ما بين القصير الى اليعقوم قال ابن هليعة والمقطم ما بين القصير الى مقطع الحجارة وما بعد ذلك فن اليعقوم وفي هذا الجبل حجر الجوهر وشي من الفولاذ وهو يمتد الى أقصى بلاد السودان

الجبل الاحمر

هذا الجبل مطل على القاهرة من شرقها الشمالي ويعرف باليعقوم قال القاضي اليعاقبة هي الجبال المتفرقة المطلة على القاهرة من جانبها الشرقي وجباها وتنتهى هذه الجبال الى بعض طرق الحب وقيل لها اليعاقبة لاختلاف ألوانها واليعقوم في كلام العرب الاسود المظلم * وقال ابن عبد الحكم عن سعي بن عبيد انه لما قدم مصر وأهل مصر قد اتخذوا مصلى بمخاض ساقية أبي عون التي في العسكر فقال ما لهم وضعوا مصلاهم في الجبل الملعون وتركوا الجبل المقدس يعني المقطم * وقال ابن عبد الظاهر الجبل الاحمر ذكر القاضي أن اليعقوم هو الجبل المطل على القاهرة ولا أرى جبلا يطل على القاهرة غيره * وقال البكري اليعقوم بفتح اوله واسكان ثانيه قال الحربي اليعقوم جبل بمصر * وروى من طريق أبي قبيل عن عبد الله بن عمر وأنه سأل كعباً عن المقطم ألعون قال ليس بملعون ولسكنه مقدس من القصير الى اليعقوم * وذكر البكري أيضا أن عابدا بالباء الموحدة والدال المهملة على وزن فاعل جبل بمصر قبل المقطم

جبل يشكر

هذا الجبل فيما بين القاهرة ومصر عليه الجامع الطولوني قال القاضي جبل يشكر هو يشكر بن جديلة من لحم وهو الذى عليه جامع ابن طولون ويشكر بن جديلة قبيلة من قبائل العرب احتطت عند الفتح بهذا الجبل فعرف بجبل يشكر لذلك * قال ابن عبد الظاهر وجامع ابن طولون على جبل يشكر وهو مكان مشهور بأجابه الدعاء ومكان مبارك وقيل ان موسى عليه السلام ناجى ربه عليه بكلمات وكان هذا الجبل يشرف على النيل وليس بينه وبين النيل شيء وكان يشرف على البركتين أعني بركة الفيل والبركة التي تعرف اليوم ببركة قارون وعلى هذا الجبل كانت تنصب المجانيق التي تجرب قبل ارسالها الى الثغور * (السكيش) هو جبل بجوار يشكر كان قديما يشرف على النيل من غربيه ثم لما أختط المساهون مدينة الفسطاط بعد فتح أرض مصر صار السكيش من جملة خطة الحمراء القصوى وسمى السكيش * (الشرف) اسم لثلاثة مواضع فاشان منها فيما بين القاهرة ومصر وواحد (م ٢٦ - خط ل)

فما بين بركة الحبش وقسطاط مصر فالما الذي بظاهر القاهرة فأحدهما عليه الآن قلعة الجبل وهو من جملة الجبل المقطم والآخر فيما بين الجامع الطولوني ومصر فيشرف غربيه على جهة الخليج الكبير ويصير فيما بين كوم الجارج وخط الجامع الطولوني وكان من خطة تجيب ثم صار من جملة العسكر وأما الشرف الثالث فيعرف اليوم بالرصد وهو يشرف على راشدة وكان يقال للشرف سند والسند ما قبالك من الجبل وعلا عن السفح ويقال فلان سند أي معتمد

ذكر الرصد

هذا المكان شرف يطل من غربيه على راشدة ومن قبله على بركة الحبش فيحسبه من رآه من جهة راشدة جبلا وهو من شرقيه سهل يتوصل اليه من القرافة بغير ارتقاء ولا صعود وهو محاذ للشرف الذي كان من جملة العسكر والشرف الذي يعرف اليوم بالكبش وكان يقال له قديما الجرف ثم عرف بالرصد من أجل أن الأفضل أبا القاسم شاهنشاه بن أمير الحيوش بدر الجمالي أقام فوقه كرة لرصد الكواكب فعرف من حيثئذ بالرصد قال في كتاب عمل الرصد وحمل إلى الأفضل شاهنشاه بن أمير الحيوش بدر من الشام تقاويم لما يستأنف من السنين لاستقبال سنة خمسمائة من سنى الهجرة قيل مائة تقويم أو نحوها وكان منجمو الحضرة يومئذ ابن الحلبي وابن الهيثمي وسهلون وغيرهم يطلق لهم الجارى في كل شهر والرسوم والسكوسة على عمل التقويم في كل سنة وكان كل منهم يجتهد في حسابه وما تصل قدرته اليه فإذا كان في غرة السنة حمل كل منهم تقويمه فيقابل بينها وبين التقويمات المحضرة من الشام فيوجد بينها اختلاف كثير فانكر ذلك فلما كان غرة ثلاث عشرة وخمسمائة عند احضار التقاويم على العادة جمع المنجمين والحساب وأهل العلم وسألهم عن السبب في الخلف بين التقاويم فقالوا الشامي يحسب ويعمل على رأى الزيج المهجور المأمونى ونحن نعمل على رأى الزيج الحاكمي لقرب عهده وبين المتقدم والمتأخر تفاوت وخلف وقد أجمع القدماء أن القريب المهد أصح من المتقدم لتثقل الكواكب وتغير الحساب وتحدثوا في معنى ذلك بما هو مذكور في موضعه وأشاروا عليه بعمل رصد مستجد يصحح به الحساب ويخرج به المعور والتفاوت وتحصل به المنفعة العظيمة والفائدة الجليلة والسمة الشريفة والذكر الباقي فقال من يتولى ذلك فقال صاحب دسسته ومشير الشيخ الاجل أبو الحسن ابن أبي أسامة هذا القاضي ابن أبي العيش الطراباسى المهندس العالم الفاضل وكان ابن أبي العيش صهره زوج ابنته وهو شيخ كبير السن والقدر كثير المال وساعده على ذلك القائد أبو عبد الله الذي تقلد الوزارة بعد الأفضل ودعي بالمأمون بن البطائحي فاستصوب الأفضل ذلك وقال مروه يهتم بذلك ويستدعى ما يحتاج اليه فكان أول ما بدأ به لما حصل ذلك أن

مدح نفسه وكان الافضل غيورا على كل شيء أشد ماعليه من يفتخر أو يلبس ثيابا مذكورة
ثم قال هذه الآلات عظيمة وخطرها جسيم ولا كل أحد يقوم عليها ولا يحسنها وأكثر
السلام والتوسعة وقال يحتاج أن الذي يتولى ذلك يعتمد معه الانعام والاکرام لتطيب نفسه
للمباشرة وينشرح صدره ويقدر خاطره لما يعمل في حقه فضجر الافضل من ذلك وقال لقد
أكثر في مدح نفسه ولدهه وما يعاملنا بعد لاحاجة الى معاملته فأشار القائد بن البطائحي
وقال هنا من يبالغ الغرض بأسهل مأخذ وأقرب وقت وأسرع وألطف معنى أبو سعيد بن قرقه
الطيب متولى خزائن السلاح والسروج والصناعات وغير ذلك فأحضره للوقت فاتفق له من
الحديث الحسن السهل وما سبب عمل الآلات ومن ابتدأها من الاول وذکر القدماء في
العلم ومن رصد منهم واحدا واحدا الى آخرهم شرحا مستوفيا كأنه يحفظه ظاهرا أو يقرأه
من كتاب فأعجب الافضل والحاضرين وقال أى شيء تحتاج فقال ما أحتاج كبير أمر والامور
سهلة وكل ما أحتاجه في خزائن السلطان خلد الله ملكه النحاس والرصاص والآلات وكل
ما أحتاج أستدعيه أولا أولا الالتفات وأجرة الصانع فيتولاها غيرى فأعجب به وقال يطلق
له جار لنفسه فقال أنا مستخدم في عدة خدم بخوارى تكفيني فأنا مملوك الدولة ما أحتاج
الى جار واذا بلغت الغرض وأنهيت الاشغال فهو المقصود وكان قيل للافضل هذا الرصد
يحتاج الى أموال عظيمة فقال كم تقول يحتاج اليه فقال ما ينفق عليه الا مثل ما ينفق على مسجد
أو مستنظر فرجع يكرر عليه القول فقال هاتوا ورقة فكتب فيها المملوك يقبل الارض ويهبى
دعت الحاجة الى خروج الامر العالمى الى دار الوكالة باطلاق مائتي قطار من النحاس النجر
وثمانين قطارا من النحاس القضيب الاندلسى وأربعين قطارا من النحاس الاحمر ومن
الرصاص ألف قطار ومن الحطب ومن الحديد والقولاذ من الصناعة ما لعله يحتاج اليه
ومن الاخشاب ومن النفقة مائة دينار على يد شاهد ينفق عليه فاذا فرغت أستدعى غيرها
وأختار موضعا يصاح الرصد فيه ويكون العمل والصناعة فيه ومباشرة السلطان فيما يتوقف
عليه وما يستأمر فيه فاستصوب الافضل جميع ذلك وأراد أن يخلع عليه فقال القائد هذا فيما
بعد اذا شوهدت أعماله نخدم من اول الحال الى آخرها ولم يحصل له الدرهم الفرد لانه
كان يستحي أن يطلب وهو مستخدم عندهم وكانوا بأجمعهم يؤملون طول المدة والبقاء
فقتل الافضل ثاني سنة وتغيرت الاحوال ثم انهم اختاروا الرصد مسجد التتور فوق المقطم
فوجدوه بعيدا عن الحوائج فاجمعوا على سطح الجرف بالمسجد المعروف بالفيلة الكبير وكان
قد صرف على المسجد خاصة ستة آلاف دينار خفروا في مسجد الفيلة تقرا في الجبل مكان
الصهريج الآن فعمل فيه قالب الحلقة الكبيرة وقطارها عشرة اذرع ودورها ثلاثون ذراعا
وهندموه وحرروه أياما وعمل حوله عشر هرج على كل هرجة متفاخان وفي كل هرجة

أحد عشر قنطارا نحاسا وأقل وأكثر من الجميع مائة قنطار وكسر قسموها على الهرج وطرح فيها النار من العصر وتفتحوا الى الثانية من النهار وحضر الأفضل بكرة وجلس على كرسي فلما تهيأت الهرج ودارت أمر الأفضل بفتحها وقد وقف على كل هرجة رجل وأمروا بفتحها في لحظة ففتحت وسال النحاس كالماء الى القالب وكان قد بقى فيه بعض الندادة فلما استقر به النحاس بجرارته تقعقع المكان التدي فلم تتم الحلقة ولما بردت وكشف عنها أذهى تامة ما خلا المكان التدي فضجر الأفضل وضاق صدره ورمى الصانع بكيس فيه ألف درهم وغضب وركب فلاتفه ابن قرقة وقال مثل هذه الآلة العظيمة التي ماسمع قط بمثالها لو أعيد سبكم أعشر مرات حتى تصح ما كان كثيرا فقال له الأفضل اهتم في أعادتها فسيكت وصحت ولم يحضر الأفضل في المرة الثانية ففرح بصحتها وعملت ورفعت الى سطح مسجد القيلة وأحضر لها جميع صناع النحاس وعمل لها بركار خشب من السنديان وهو بركار عجيب وبني في وسط الحلقة مسطبة حجارة منقبة لرجل البركار وهو قائم مثل عروس الطاحون وفيه ساعد مثل ناف الطاحون وقد لبس بالحديد والجميع سنديان جيد وطرف الساعد مهيأ لعدة فنون تارة لتصحيح وجه الحلقة وتارة لتعديل الاجناب وتارة للاخطوط والحزوز وأقام في التصحيح فيها وأخذ زوائدها بالمبارد مدة طويلة وجماعة الصانع والمهندسين وأرباب هذا العلم حاضرون واستدعي لهم خيمة عظيمة ضربت على الجميع وعقدت تحت الحلقة أقباء وثيقة وأرادوا قيامها على سطح مسجد القيلة فلم يتهيأ لهم فاتهم وجدوا المشرق لاول بروز الشمس مسدودا فاتفقوا على نقلها الى المسجد الجيوشي مجاور الانطاكي المعروف أيضا بالرصد وكان الأفضل بناء ألطف من جامع القيلة ولم يكمل فلما صار برسم الرصد كمل فحضر الأفضل في نقل الحلقة من جامع القيلة الى المسجد الجيوشي وقد احضرت الصواري الطوال العظام والسرياقات والمنحانات من الاسكندرية وغيرها وجمعت الاسطولية ورجال السودان وبعض أصحاب الركاب والجند حتى أدلوه وحملوه على العجل الى مسجد الرصد الجيوشي وثاني يوم حضروا بأجمعهم حتى رفعوه الى السطح وكملوه وأقاموا الحلقة وجعلوا تحت أكتافها عمودين من رخام سبكواها بالرصاص من أسفلها وأعلاها حتى لا يرتخي ثقل النحاس وجعل في الوسط عمود رخام وبأعلاه قطب العضادة مسبوك بالنحاس الكثير لتدور عليه العضادة وعملت من نحاس فما تمارست ولا دارت فعملوها من خشب ساج وقطبها وأطرافها من نحاس صفائح ليخف الدوران ثم رصدوا بها الشمس بعد كلفة وكانت الحلقة ترخي الدرجة والدقائق كل وقت للثقل فعمل عمود من نحاس فوق عمود الرخام ليسك رخوها وغلبوا بعد ذلك فكانت تختلف لشدة ما كانوا يحرقونها بالشواويل وعضادة الخشب وتردد اليها الأفضل مع كبر سنه وهو يرتعش والقائد يحمله الى فوق ويقعد زمانا من التعب لا يتكلم ويده ترتعش

فرصدوا قدامه وفي خلال ذلك قتل الافضل ليلة عيد الفطر سنة خمس عشرة وخمسة
وقيل للافضل عن ابن قرقة انه أسرف في كبر الحلقة وعظم مقدارها فقال له الافضل لو
اختصرت منها كان أهون فقال وحق نعمتك لو أمكنني أن أعمل حلقة تكون رجلها الواحدة
على الاهرام والاخرى على التتور فعلت فكلما كبرت الآلة صح التحرير وأين هذا في
العالم العلوي ثم أكرثوا عليه فعمل حلقة دونها في الموضع المهنم بالطوب الاحمر تحت
المنجد الحيوشي كان قطرها أقل من سبعة أذرع ودورها نحو أحد وعشرين ذراعا فلما
كملت قتل الافضل ولم ينق من مال السلطان في الاجرة والمؤن وما لا بد منه سوى نحو مائة
وستين دينارالذلمما تمت الوزارة للمأمون البطائحي أحب أن يكملها ويقال له الرصد المأموني
المصحح كما قيل للاول الرصد المأموني الممتحن فأخرج الامر بنقل الرصد الى باب النصر
بالقاهرة فنقل على الطريقة الاولى بالعائين والاسطولية وطوائف الرجال وكان يدفع لهم كل
يوم برسم الغداء جملة دراهم فلما صار فوق العجل مضوا به على الخندق من وراء الفتح على
المشاهد الى مسجد الذخيرة من ظاهر القاهرة وتعبوا في دخوله من باب النصر تعباً عظيماً
خوفهم أن يصدف فيغير فصبوا الصواري على عقيد باب النصر من داخل الباب وتكاثر
الرجال في جذب المياحين من أسفل ومن فوق حتى وصل الى السطح الكبير ثم نقولوه من
السطح الكبير الى السطح الفوقاني وأوقفوا له العمد كما تقدم ذكره ورصدوا بالحلقة
الكبرى كما رصدوا بها على سطح الجرف فصيح لهم ما أرادوا من حال الشمس فقط ثم
اهتموا بعمل ذات حلق يكون قطرها خمسة أذرع وسبكت في فندق بالعطوفية من القاهرة
وكان الامر فيها سهلاً عندما لحقهم من الغناء العظيم في الحلقة الكبيرة والحلقة الوسطى
وتجرذ المأمون لعملها والحث فيها وكان ابن قرقة يحضر كل يوم دفتين ويحضر أبو جعفر
ابن حسنداي وأبو البركات بن أبي الليث صاحب الديوان وبيده الحل والعقد فقال له المأمون
اطلع اليهم كل يوم وأى شئ طلبوه وقع لهم به من غير مؤامرة وكان قصده ما أطمعوه فيه
من أن يقال الرصد المأموني المصحح فلو أراد الله أن يبقى المأمون قليلاً كان كمل جميع رصد
الكواكب ولكنه قبض عليه ليلة السبت ثالث شهر رمضان سنة تسع عشرة وخمسة وكان
من جملة ماعدد من ذنوبه عمل الرصد المذكور والاجتهاد فيه وقيل أطمعته نفسه في
الخلافة بكونه ساه الرصد المأموني ونسبه الى نفسه ولم ينسبه الى الخليفة الأمر بأحكام الله
وأما العامة والغوغاء فكانوا يقولون أرادوا أن يخاطبوا زحل وأرادوا أن يعلموا
الغيب وقال آخرون منهم عمل هذا للسحر ونحو ذلك من الشناعات فلما قبض على
المأمون بطل وأنكر الخليفة على عمله فلم يجسر أحد أن يذكره وأمر فكسر وحمل
الى المناخات وهرب المستخدمون ومن كان فيه من الخاص وكان فيه من المهندسين

برسم خدمته وملازمته في كل يوم بحيث لا يتأخر منهم أحد الشيخ أبو جعفر بن حسنداي والقاضي بن أبي العيش والخطيب أبو الحسن علي بن سليمان بن أيوب والشيخ أبو النجاشي بن سند الساعاتي الاسكندراني المهندس وأبو محمد عبد الكريم الصقلي المهندس وغيرهم من الحساب والمنجمين كابن الحلبي وابن الهيثمي وأبي نصر تلميذ سهلون وابن دياب والقاضي وجماعة يحضرون كل يوم الى ضحوة النهار فيحضر صاحب الديوان ابن أبي الليث وكان ابن حسنداي ربما تأخر في بعض الايام فانه كان امراً عظيماً صاحب كبرياء وهيبة وفي كل يوم يبعث المأمون من يتفقد الجماعة ويظالعه بمن غاب منهم لانه كان كثير التفقد للامور كلها وله غمازون واصحاب اخبار لا تنام ولا يكاد يفوته شيء من أحوال الخاصة والعامة بمصر والقاهرة ومن يتحدث وجعل في كل بلد من الاعمال من يأتيه بسائر أخبارها وأنا أدركت هذا الموضع الذي يعرف اليوم بالرصد حيث جامع القيلة عامراً فيه عدة مساكن ومساجد وبه اناس مقيمون دائماً وقد خرب ما هناك وصار لا أنيس به وكان الملك الناصر محمد بن قلاوون قد أنشأ فيه سواقي لنقل الماء من اماكن قد حفر لها خليج من البحر بجوار رباط الآثار النبوية فاذا صار الماء في سفح هذا الجرف المسمى بالرصد نقل بسواقي هناك قد أنشئت الى أن يصير الى القلعة فسات ولم يكمل ما أراده من ذلك كما ذكر في اخبار قلعة الجبل من هذا الكتاب وما زال موضع هذا الرصد منتزها لاهل مصر ويقال أن المعز لدين الله معدا لما قدم من بلاد المغرب الى القاهرة لم يعجبه مكانها وقال للقائد جوهر فالتك بناء القاهرة على النيل فهلاكنت بنيتها على الجرف يعني هذا المسكان ويقال ان الاعمق علق بالقاهرة فتغير بعد يوم وليلة وعلق بقلعة الجبل فتغير بعد يومين وليلتين وعلق في موضع الرصد فلم يتغير ثلاثة أيام وليالها لطيب هوائه ولله در القائل

يا ليلة عاش سرورى بها * ومات من يحسدنا بالكمد

وبت بالمعشوق في المشتى * وبات من يرقبنا بالرصد

ذكر مدائن أرض مصر

قال ابن سيده مدن بالمسكان أقام والمدينة الحصن يعني في أسطح الأرض مشتق من ذلك والجمع مدائن ومدن ومن هنا حكم أبو الحسن فيما حكى الفارسي عنه أن مدينة فيلة وقال العلامة اثير الدين أبو حيان المدينة معروفة مشتقة من مدن فهي فعيلة ومن ذهب الى أنها مفعلة من دان فقولوه ضعيف لاجماع العرب على الهمز في جمعها فانهم قالوا مدائن بالهمز ولا يحفظ مدائن بالياء ولا ضرورة تدعو الى أنها مفعلة من دان ويقطع بأنها فعيلة جمعهم لها على فعل فانهم قالوا مدن كما قالوا صحف في صحيفة واعلم أن مدائن مصر كثيرة منها ما دثر وجهه اسمها ورسمه ومنها ما عرف اسمها وبقي رسمه ومنها ما هو عامر وأول مدينة عرف اسمها

في أرض مصر مدينة امسوس وقد محا الطوفان رسمها ولها أخبار معروفة وبها كان ملك مصر قبل الطوفان ثم صارت مدينة مصر بعد الطوفان مدينة منف وكان بها ملك القبط والفراعنة الى أن خربها بخت نصر فلما قدم الاسكندر بن فيليبس المقدوني من مملكة الروم عمر مدينة الاسكندرية عمارة جديدة وصارت دار المملكة بمصر الى أن قدم عمرو بن العاص بجيوس المسلمين وفتح أرض مصر فاحتط فسطاط مصر وصارت مدينة مصر الى أن قدم جوهر القائد من الغرب بعساكر المعز لدين الله أبي تميم معد وملك مصر وأخط القاهرة فصارت دار المملكة بمصر الى أن زالت الدولة الفاطمية على يد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فبنى قلعة الجبل وصارت القاهرة مدينة مصر الى يومنا هذا . وفي أرض مصر عدة مدائن ليست دار ملك وهي مدينة الفيوم ومدينة دلاص ومدينة اهناس ومدينة الهنسا ومدينة القيس ومدينة طلخا ومدينة الاشمونين ومدينة افنا ومدينة قوص ومدينة سيوط ومدينة فاو ومدينة أخميم ومدينة البلينا ومدينة هو ومدينة قنا ومدينة دندره ومدينة قفط ومدينة الاقصر ومدينة اسنا ومدينة أرمنت ومدينة ادفو وثر اسوان وادر كناه مدينة هذه مدائن الوجه القبلي وكان أهل مصر يسمون من سكن من القبط بالصعيد المريس ومن سكن منهم أسفل الارض يسمونه البها وفي الوجه البحري مدينة نوب من الحوف الشرقي بأسفل الارض ومدينة عين شمس ومدينة اريب ومدينة تتوا ومن قراها ناحية زنگلون ومدينة نفي ومدينة بسطه ويعرف اليوم موضعها بتل بسطه ومدينة قريبط ومدينة البتون ومدينة منوف ومدينة طره ومدينة منوف أيضا ومدينة سخا ومدينة الاوسه وهي دميره ومدينة تيدة ومدينة الافراحون ومن جملة قراها نشا ومدينة بقره ومدينة بنا ومدينة شبراساط ومدينة سمنود ومدينة نوسا ومدينة سبتي ومدينة النجوم وقد غلب على مدينة النجوم الرمال والسباخ ويعرف اليوم منها قرية أدكو على ساحل البحر بين اسكندرية ورشيد ومدينة تيس ومدينة دمياط ومدينة الفرما ومدينة العريش ومدينة صا ومدينة برنوط ومدينة قرطسا ومدينة أختو ومدينة رشيد ومدينة مريوط ومدينة لوية ومراقية وليس بعد لوبية ومراقية الا أرض انطابلس وهي برية وفي كور القبلة مدينة فاران ومدينة القلزم ومدينة راية ومدينة ايلة ومدينة مدين واكثر هذه المدائن قد خرب ومنها ماله أخبار معروفة وقد استحدثت في الاسلام بعض مدائن وسياقي من أخبار ذلك ان شاء الله ما يكفي . وديار مصر اليوم وجهان قبلي وبحري جعلتهما خمس عشرة ولاية . فالوجه القبلي اكبرهما وهو تسعة أعمال عمل قوص وهو أجلاها ومنه اسوان وغرب قولة واسوان حد المملكة من الجنوب وعمل أخميم وعمل سيوط وعمل منفلوط وعمل الاشمونين وبها الطحاوية وعمل الهنسا وعمل الفيوم وعمل

أطفيح وعمل الجزيرة • والوجه البحري ستة أعمال عمل البحيرة وهو متصل البر بالاسكندرية وبرقة وعمل الغربية وهي جزيرة واحدة يشتمل عليها ما بين البحرين بحر دمياط وبحر رشيد والمنوفية ومنها ابيار التي تسمى جزيرة بنى نصر وعمل قليوب وعمل الشرقية وعمل أشمون طنّاح ومنها الدقهلية والمرتاحية وهنّا موضع نهر البرلس ونهر رشيد والمنصورة وفي هذا الوجه الاسكندرية ودمياط وهما مدينتان لا عمل لهما • وذكر أبو الحسن المسعودي في كتاب أخبار الزمان أن الكوكبة وهي امة من أهل ايلة ملكوا الارض وقسموا الصعيد على ثمانين كورة وجعلوه اربعة اقسام وكان عدد مدن مصر الداخلة في كورها ثلاثين مدينة فيها جميع العجائب والكور مثل أخميم وقفت وقوص والفيوم ويقال ان مصر بن بيسر قسم الارض بين اولاده فأعطى ولده أشمون من حد بلده الى رأس البحر الى دمياط وأعطى ولده انصنا من حد انصنا الى الجنادل وأعطى ولده صا من صا أسفل الارض الى الاسكندرية وأعطى ولده منوف وسط الارض السفلى منف وماحولها وأعطى ولده قفت غربي الصعيد الى الجنادل وأعطى ولده أتريب شرقي الارض الى البرية بركة فاران وأعطى لبناته الثلاثة وهن الفرما وسريام وبدورة بقاعا من أرض مصر محددة فيما بين اخوتهن

ذكر مدينة أمسوس وعجائبها وملوكها

قال الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاه الكاتب في كتاب أخبار مصر وعجائبها وكانت مصر القديمة اسمها أمسوس وأول من ملك أرض مصر نقراوش الحيار بن مصرايم ومعنى نقراوش ملك قومه الاول ابن مركايل بن دوايل بن عرياب بن آدم عليه السلام ركب في نيف وسبعين راكبا من بني عرياب جبابرة كلهم يطلبون موضعا يقطنون فيه فرارا من بني أبيهم عند ما بنى بعضهم على بعض وتحاسدوا وبني عليهم بنو قابيل بن آدم فلم يزالوا يمشون حتى وصلوا الى النيل فلما رأوا سعة البلد فيه وحسنه أعجبهم فأقاموا فيه وبنوا الأبنية المحكمة وبني نقراوش مصر وسماها باسم أبيه مصرايم ثم تركها وأمر ببناء مدينة سماها أمسوس وقال ابن وصيف شاه وكان قد وقع اليه علم ذلك من العلوم التي تعلمها دوايل من آدم عليه السلام فبني الاعلام وأقام الاساطين وعمل المصانع واستخرج المعادن ووضع الطلسمات وشق الانهار وبني المدائن فكل علم جليل كان في ايدي المصريين انما هو من فضل علم نقراوش واصحابه كان ذلك مرموزا على الحجارة قفسره قليمون السكاكن الذي ركب مع نوح عليه السلام في السفينة ونقراوش هو الذي بنى مدينة أمسوس وعمل بها عجائب كثيرة منها طائر يصفر كل يوم عند طلوع الشمس مرتين وعند غروبها مرتين فيستدلون بصفيره على ما يكون من الحوادث حتى يتهيأون لها ومنها صنم من حجر أسود في وسط المدينة تجاهه صنم مثله اذا دخل الى المدينة سارق لا يقدر أن يزول

حتى يسلك بينهما فاذا دخل بينهما اطبقا عليه فيؤخذ وعمل صورة من نحاس على منار عال لا يزال عليها سحاب يطلع فكل من استمطرها أمطرت عليه ما شاء وعمل على حد البلاد أصناما من نحاس مجوفة وملاؤها كبريتا ووكل بها روحانية النار فكانت اذا قصدهم قاصد ارسات تلك الاصنام من أفواها نارا أحرقته وعمل فوق جبل بطرس منارا يقور بلماء ويسقى ما حوله من المزارع ولم تزل هذه الآثار حتى أزالها الطوفان ويقال انه هو الذي أصلح مجرى النيل وكان قبله يتفرق بين الجبلين وانه وجه الى بلاد التوبة جماعة هندسوه وشقوا نهرا عظيما منه بنوا عليه المدن وغرسوا الفروس وأحب أن يعرف مخرج النيل فسار حتى بلغ خلف خط الاستواء ووقف على البحر الاسود الزرقى ورأى النيل يجري على البحر مثل الخيوط حتى يدخل تحت جبل القمر ويخرج منه الى بطاغ ويقال انه هو الذي عمل التماثيل التي هناك وعاد الى أمسوس وقسم البلاد بين أولاده فجعل لابنه الأكبر واسمه نقاوش الجانب الغربي ولابنه شورب الجانب الشرقي وبني لابنه الاصفر واسمه مصر ايم مدينة برسان وأسكنه فيها وأقام ملكا على مصر مائة وثمانين سنة ولما مات لطف جسد بأدوية ماسكة وجعل في تابوت من ذهب وعمل له ناوس مصفح بالذهب ووضع فيه ومعه كنوز واكسير وأوان من ذهب لا يحصى ذلك لكثرة توارثه على الناوس تاريخ موته وأقاموا عليه طسما يمنعه من الحشرات المفسدة . وملك بعده ابنه نقاوش بن نقراوش وكان كأبيه في علم الكهانة والطلسمات وهو أول من عمل بمصر هيكلًا وجعل فيه صور الكواكب السبعة وكتب على هيكل كل كوكب منافعه ومضاره وألبسها كلها الثياب الفاخرة وأقام لها خدنة وسدنة وخرج من أمسوس مقربا حتى بلغ البحر المحيط وأقام عليه أساطين على رؤسها أصنام تخرج عيونها في الليل ومضى على بلاد السودان الى النيل وأمر ببناء حائط على جنب النيل وعمل له أبوابا يخرج منها الماء وبني في صحراء الغرب خلف الواحات ثلاث مدن على أساطين مشرفات من حجارة ملونة شفافه وفي كل مدينة عدة خزائن من الحكمة وفي أحداها صنم للشمس على صورة انسان وجسد طائر من ذهب وعيناه من جوهر أصفر وهو جالس على سرير من مغناطيس وفي يده مصحف العلوم وفي أحداها صنم رأسه رأس انسان بجسد طائر ومعه صورة امرأة جلالة قد عملت من زئبق معقود لها ذؤباتان في يدها امرأة وعلى رأسها صورة كوكب وقد رفعت المرأة بيديها الى وجهها. وفي أحداها مطهرة فيها سبعة ألوان من سائل يرد اليها ولا يغير بعضها لون بعض وفي بعضها صورة شيخ جالس قد عمل من الفيروزج وبين يديه صبية جلوس كلهم من عقيق وفي بعضها صورة هرمس يعنى عطارد وهو ينظر الى مائدة بين يديه من نواشدر على قوائم من كبريت أحمر وفي وسطها صحفة من جوهر وجعل فيها صورة عقاب من زبرجد أخضر وعيناه من ياقوت

أصفر وبين يديه حية زرقاء من فضة قد لوت ذنبها على رجله ورفعت رأسها كأنها تنفخ عليه وجعل فيها صفة المرنج وهو راكب على فرس وفي يده سيف مسلول من حديد أخضر وجعل فيها عمودا من جوهر أحمر وعليه قبة من ذهب فيها صورة المشتري وجعل فيها قبة من آتاك على أربعة أعمدة من جزع أزرق وفي سقفها صورة الشمس والقمر متحاذيين في صورة رجل وامرأة يتحاذيان وجعل فيها قبة من كبريت أحمر فيها صورة الزهرة على هيئة امرأة ممسكة بصفائرها وتحتها رجل من زبرجد أخضر في يده كتاب فيه علم من علومهم كأنه يقرأ فيه عليها وجعل في بقية الخزائن من كنوز الاموال والجواهر والحلى واكسبر الصنعة وصنوف الادوية والسموم القاتلة مالا يحصى كثرة وجعل على باب كل مدينة طلسم يمنع من دخولها وأنفذ لها مسارب تحت الارض ينفذ بعضها الى بعض طول كل سرب ثلاثة اميال وبنى ايضا مدينة بأرض مصر اسمها حلجمة وعمل فيها حنة صفح حيطانها بالجواهر الملوثة بالذهب وغرس فيها اصناف الاشجار وأجرى تحتها الانهار وغرس فيها شجرة مولدة تطعم سائر الفواكه وعمل فيها قبة من رخام أحمر على رأسها صنم يدور مع الشمس ووكل بها شياطين اذا خرج أحد من بيته في الليل هلك وأقام بها أساطين زبر عليها جميع العلوم وصور العقاقير ومنافعها ومضارها وجعل لهذه المدينة مسارب تتصل بمسارب تلك المدن الثلاث بين كل سرب منها وبين هذه المدينة عشرون ميلا فلم تزل هذه المدائن حتى أفسدها الطوفان ولما مات بعد مائة وتسع سنين من ملكه على مصر جعل في ناوس مطمسم ودفن فيه * وملك بعده أخوه مصرام بن تراوش الجبار بن مصرايم ويقال به سميت مصر وكان حكيما فعمل هيكلًا للشمس من مرمر مموج بذهب أحمر وفي وسطه فرس من جوهر أزرق عليه صورة الشمس من ذهب أحمر وعلى رأسه قنديل من الزجاج فيه حجر مدبر يضئ أكثر من السراج ثم انه ذلل الاسد وركبها وسار الى البحر المحيط وجعل في وسطه قلعة بيضاء عليها صنم للشمس وزير عليه اسمه وصفته وعمل صنما من نحاس زبر عليه أنامصرام الجبار كاشف الاسرار الغالب القهار وضعت الطلسمات الصادقة والصور الناطقة وانصبت الاعلام الهائلة على البحار السائلة ليعلم من بعدى أنه لا يملك أحد أشد من ايدي وعاد الى أمبوس واحتجب عن الناس ثلاثين سنة واستخلف رجلا يقال له عيقام من ولد عرياب بن آدم وكان كاهنا ساحرا فلما مضت المدة أحب أهل مصر أن يروه فجمعهم عيقام بعد ما أعلم مصرام فظهر لهم في أعلى مجلس مزين بأصناف الزينة في صورة هائلة ملأت قلوبهم رعبا نفروا له ساجدين ودعوا له ثم أحضر اليهم الطعام فأكلوا وشربوا وأمرهم بالرجوع الى مواضعهم ولم يروه بعدها * فلما بعده خليفته عيقام وقد حكى عنه أهل مصر حكايات لا تصدقها العقول ويقال ان ادريس عليه السلام رفع في أيامه وانه رأى في علمه كون الطوفان فبنى

خلف خط الاستواء في سفح جبل القمر قصرا من نحاس وجعل فيه خمسة وثمانين تمنا لا من نحاس يخرج ماء النيل من حلقها ويصب في بطحاء تنتهي الى مصر وسار اليه من أمسوس فشاهد حكمة بنيانه وزخرفة حيطانه وما فيها من النقوش من صور الافلاك وغيرها وكان قصرا تسرج فيه المصابيح وتنصب فيه الموائد وعليها من كل الاطعمة الفاخرة في الاواني النفيسة مالوا كل منها عسكر لما نقصت ذرة ولا يعرف من عملها ولا من وضعها وفي وسط القصر بركة من ماء جامد الظاهر وترى حركته من وراء ماجد منه فأعجب بما رأى وعاد الى أمسوس واستخاف ابنه عرياق وقلده الملك وأوصاه وعاد الى ذلك القصر وأقام به حتى هلك والى عيقام هذا يعزي مصحف القبط الذي فيه توارينهم وجميع ما يجري في آخر الزمان * فقام من بعد ابنه عرياق ويقال أرياق بن عيقام ويقال له الاثيم فعمل أعمالا عجبية منها شجرة صفراء لها أغصان من حديد بخطاطيف اذا قرب الظالم منها أخذته تلك الخطاطيف ولا تفارقه حتى يقر بظلمه ويخرج منه لخصمه ومنها صنم من كدان اسود سماه عبد زحل كانوا يتحكون اليه فن زاع عن الحق ثبت في مكانه ولم يقدر على الخروج منه حتى ينصف خصمه من نفسه ولو أقام سنة ومن كانت له حاجة قام ليلا ونظر الى الكوكب وتضرع وذكر اسم عرياق فاذا أصبح وجد حاجته على بابه وعمل شجرة من حديد ذات أغصان ولطخها بدواء مدبر فكانت تجلب كل صنف من الدواب والسباع والوحوش اليها حتى يتمكن من صيدها وكان اذا غضب على أهل أقاليم سلط عليهم الوحوش والسباع وتارة يجعل ماءهم من الايداق ويقال ان هاروت وماروت كانا في زمانه وانه بني جنسة عظيمة واغتصب النساء الحسان واسكنهن فيها فعملت عليه امرأة منهن وسمته فهلك. وملك بعده لوحيم بن نقاوش ويقال بل هو من بني نقراوش الجبار ويعرف بلوحيم الفقى وهو الذى أخذ الملك من عرياق بن عيقام الكاهن وردة لبني نقراوش بعدما خرج منهم بلا حرب ولا قتل وكان عالما بالكهانة والطلسمات فعمل أعمالا عجبية منها أن الغداف والغراب كثر في ايامه وأتلف الزرع فعمل أربع منارات في جوانب مدينة أمسوس الاربعة وعلى كل منارة صورة غراب في فمه حية قد التوت عليه فنفرت عنهم الطيور المضرة من حيثئذ ولم تقرهم حتى زالت المنارات بالطوفان وكان حسن السيرة منصفاً لارعية عادلا مقربا للكهنة ولما مات دفن في ناوس ومعه كنوزه وعمل عليه طلسم يمنع * وملك بعده ابنه خصليم وكان فاضلا عالما كاهنا فعمل أعمالا عجبية وهو أول من عمل مقياسا لزيادة ماء النيل بأن جمع أرباب العلوم والهندسة فقدروا بيتا من رخام على حافة النيل وفي وسطه بركة صغيرة من نحاس فيها ماء موزون وعليها من جانبيها عقابان من نحاس أحدهما ذكر والآخر انثى فاذا كان أول الشهر الذي يزيد فيه النيل فتح هذا البيت وجع الكهان فيه بين يديه وزمزم الكهان

بكلاتهم حتى يصفر أحد العقابين فان صفر الذكر كان الماء تاما وان صفرت الانثى كان الماء ناقصا فيستعدون عند ذلك لغلاء الاسعار بما يصلحون به شأنهم وهو الذي بني القنطرة ببلاد النوبة على النيل ولما مات جمل في ناوس ومعه كنوزه وعمل عليه طلسم * وملك بعده ابنه هوصال ويقال يوصال ومعناه خادم الزهرة ويقال سو مال بن لوجيم الملك النقراوشي من بني نقراوش الحيار ويقال ان نوحا عليه السلام ولد في أيامه وكان فاضلا كاهنبا عالما بالسحر والطلسمات فعمل عجائب منها أنه بني مدينة عمل في وسطها صنما للشمس يدور بدورانها ويبيت مغربا ويصبح مشرقا وعمل سربا تحت النيل فشقي الارض وخرج منه متسكرا حتى بلغ مدينة بابل وكشف أعمال الملوك وكان نوح عليه السلام في زمانه ولد له عشرون ولدا فجعل مع كل ولد منهم قطرا وهو رأس السكينة وأقام في الملك مائة وسبع وعشر سنة ثم لزم الهياكل وأقام أولاده على حالهم كل منهم في قسمه الذي أعطاه آياه أبوه مدة سبع سنين * ثم اجتمعوا على واحد منهم وملكوه عليهم وكان اسمه تدرشان وقيل تدرسان فلما ملك نفي جميع اخوته الى المداين الداخلية في الغرب واقتصر على امرأة من بنات عمه وكانت ساحرة وعمل له قصرا من خشب منقوشا فيه صورة الكواكب وبسطه بأحسن الفرش وحمله على الماء وصار يجلس فيه فينأى هو فيه ذات يوم اذهبت ريح شديدة اضطرب منها الماء فانقلب القصر وتكسفر ففرق هو ومن كان معه في القصر * وملك بعده أخوه عمرود الحيار ويقال شمرود بن هوصال فاحسن السيرة وأصف الرعية وبسط العدل وجمع اخوته وفرق عليهم كنوز أخيم فسر الناس به وطلب امرأة أخيه الساحرة ففرت منه بابنها الى مدينة ببلاد الصعيد وامتعت عليه بسحرها وأقامت مدة واجتمع السحرة الى ابنها وكان اسمه توميدون وحملوه على طلب الملك فسار وخرج اليه شمرود واخوته فاقتتلوا قتالا عظيما كان فيه الظفر لتوميدون فقتله * وملك من بعده فقاء توميدون بن تدرسان بالملك في مدينة أمسوس وكان عالما فاضلا فتقوى بسحر أمه وعملت له أعمالا عجيبة منها قبة من زجاج على هيئة الكرة تدور بدوران الفلك وصورت فيها صور الكواكب فكانوا يعرفون بها أسرار الطبائع وعلوم العالم فلما ماتت امه الساحرة بعد ستين سنة من ملكه طلي جسدها بما يدفع عنه الثن والحشرات ودفنت تحت صنم القمر ويقال انها كانت بعد موتها يسمع من عندها صوت بعض الارواح ويخبرهم بمجائب وتحيب عما تسأل عنه ولما مات توميدون بعد مائة سنة من ملكه عمل له صورة من زجاج مقسومة نصفين وأدخل فيها بعد ما طلى بالادوية المانعة من الثن وأطبقت الصورة عليه حتى التحمت وأقيم في هيكل الاصنام ودفنت كنوزه عنده وصار يعمل له في كل سنة عيد * وملك بعده ابنه سرياق ويقال له سرياق بن توميدون بن تدرسان بن هوصال وكان كأبيه في علم الكهانة والسحر

والطلسمات فعمل أعمالا عجيبية منها على باب مدينة أمسوس هيئة بطنة من نحاس قائمة على اسطوانة اذا دخل غريب من ناحية من التواحي صفقت بجناحيها وصرخت فيؤخذ ذلك الغريب ويكشف أمره حتى يعرف فيما قدم وشق من النيل نهرا يمر الى مدائن العرب وبني عليه أعلاما ومدنا ومنتزهات وسار ملك من بني فراشي بن آدم ويقال من بني صوابتي بن آدم خرج من ناحية العراق في أيامه وغلب على بلاد الشام وقصد مصر ليأخذ ملكها فقبل له انك لا تقدر عليها لسحر أهلها فتشكر ودخل في جماعة من خواصه ليكشف حال أهل مصر فلما وصل الى أول حد مصر حبسه الموكلون بذلك الحد هو ومن معه حتى يأمر الملك فيهم بأمره وبعثوا اليه بصفتهم وكان قد رأى في منامه كأنه على منار عال وكأن طائرا عظيما انقض عليه ليخطفه فخاد عنه حتى كاد يسقط من المنار فجاوزه الطائر وسلم منه فانتبه مذعورا وقص رؤياه على كبير الكهنة فقال يظنك ملك ولا يقدر عليك ونظر في نجومه فرأى الملك الذي يطلب ملكه قد دخل الى مصر وكان ذلك هو الوقت الذي قدم عليه فيه الرسل بصفات الذين وصلوا الى حد مصر فأمر باحضارهم اليه بعد ما يعطاف بهم على عجائب مصر كلها ليروها فأوقفوهم وساروا بهم وأوقفوهم على عجائب أرض مصر وما فيها من الطلسمات حتى بلغوا الى الاسكندرية ثم الى أمسوس ثم الى الجنة التي عملها مصرام وكان الملك شريكا مقما بها فعند ما وصلوا اليها أظهرت السحرة التماثيل العجيبة فدخلوا عليه وحوله الكهنة وبين يديه نار لا يصل اليه أحد حتى يخوضها فمن كان بريئا لم تضره ومن كان يريد بالملك سوا أو أضمر له مكروها أخذته النار فشق القوم في وسط النار واحدا بعد واحد من غير أن تضرهم حتى انتهى الامر الى ملك العراق فعند ما دنا من النار أخذته بحرها فولى هاربا فاتبعوه حتى أخذوه وأوقفوه بين يدي شريك فلم يزل به حتى اعترف فأمر بصلبه فصلب على الحصن الذي أخذ منه ونودي عليه هذا جزاء من طاب مالا يصل اليه وعفان الباقي فساروا من مصر وتحدثوا بما رأوه من العجائب فاقطع طمع ملوك الارض عن طلب ملك مصر ومات شريك بعد ما ملك مصر مائة وثلاثين سنة فجعل في ناوس ومعه أمواله وطلسم يحفظه ممن يقصده * وملك بعده ابنه شهلوق وكان عالما بالكهانة والطلسمات فقسم ماء النيل موزونا يصرف الى كل ناحية قسطها ورتب الدولة وعمل بيت ناروهو أول من عبد النار وعمل بأمسوس عجائب منها شجرة على أعلى الجبال تقسم بها الرياح التي تمنع من أراد مصر بأذى أو فساد من حتى أو انسى أو سبع أو طائر وعمل بالمدينة قبة مركبة على سبعة أركان ولها سبعة أبواب على كل ركن باب وفي وسط القبة قبة من صفر وفي أعلاها صور السكواكب السبعة وتحت القبة قبة اخرى معلقة على سبع أساطين وعلى الباب الاول من القبة أسد ولبوة من صفر وهما باضان كان يذبح لهما جروا أسود ويخبرهما

بشعره وعلى الباب الثانى ثور وبقرة يذبح لهما عجلا ويخرهما بشعره وعلى الباب
 الثالث خنزير وخنزيرة يذبح لهما خنوصا ويخرهما بشعره وعلى الباب الرابع كبش
 وشاة يذبح لهما سخلة ويخرهما بشعرها وعلى الباب الخامس ثعلب وثعلبة يذبح لهما فرخ
 ثعلب ويخرهما بشعره وعلى الباب السادس عقاب وأثناء يذبح لهما فرخ عقاب ويخرهما بريشه
 وعلى الباب السابع نسر وأثناء يذبح لهما فرخ نسر ويخرهما بريشه ويلطخ كلا منهما بدم ما ذبح
 له وتحرق سائر القرابين ويوضع رمادها تحت عتبات أبواب القبة وجعل لهذه القبة سدة
 يشعلون المصابيح ليلا ونهارا وقسم الناس بمصر سبع مراتب لكل مرتبة منهم باب من أبواب
 تلك القبة فكان الخضم اذا تقدم الى شيء من تلك الصور وكان ظالما فإنه يلتصق بها ولا
 يتخلص منها حتى يخرج من الحق الذى عليه الذكر للذكر والانثى للانثى فيعرفون بذلك
 الظالم من المظلوم ولم تزل هذه القبة بأمسوس حتى أزالها الطوفان ويقال انه رأى أباه في
 النوم وهو يأمره أن ينطلق الى جبل وصفه له من جبال مصر فان فيه كوة صفحتها كذا على
 بابها أنفي لها رأسان اذا أقبل اليها كسرت في وجهه فخذ معك طائرَيْن صغيرين ذكرًا
 وأنثى فاذبحهما لها وألقهما إياهما فلها تأخذ برأسيهما وتنجى بهما الى سرب فاذا غابت ادخل
 الكوة تجد فيها امرأة عظيمة من نور حار يابس فلها تسطع لك وتحس بحرارتها فلا تدون
 منها تحترق ولسكن اقعد حذاءها وسلم عليها فلها تحاطبك فاقم ما تقول لك واعمل به فانك
 تشرف بذلك وتذلك على كنوز جدك مصرام فلها حافظة لها فلما اتبه عمل ما أمره أبوه
 فلما قعد بجانب المرأة وسلم قالت له اتعرفنى قال لا قالت أنا صورة النار المعبودة فى الامم الخالية
 وقد أردت أن تحيى ذكرى وتجدد لي بيتا تقدي في نار دائمة بقدر واحد وتتخذ لها عيدا فى كل
 سنة تحضره أنت وقومك فانك تتخذ بذلك عندي يد أنيلك بها شرفا الى شرفك وملكا الى
 ملكك وأمنع عنك من يطلبك بسوء وأذلك على كنوز جدك مصرام فضمن لها أن يفعل كل
 ما أمرته به فدلته على الكنوز التي تحت المدائن المعلقة وعلمته كيف يصير اليها وكيف يحترس
 من الارواح الموكلة بها وما ينجيها منها ثم قال لها كيف لي بأن أراك فى وقت آخر قالت
 لا تعد فان الاقبي لا تمكنك ولكن بخر فى بيتك بكذا فاني آتيك فسر بذلك وغابت عنه
 وخرج ففعل ما أمرته به من عمل بيت النار وأخذ كنوز مصرام ولما مات جعل فى نائوس
 ومعه سائر أمواله وكنوزه وجعل عليه طلسم يحفظه ممن يقصده * وملك بعد ابنه سوريد
 وكان حكيما فاضلا وهو أول من جبي الخراج بمصر وأول من أمر بالانفاق على المرضى
 والزماني من خزائنه وأول من سن رقعة الصباح وعمل أعمالا عجيبية منها امرأة من أخلاط
 كان ينظر فيها الى الاقاليم فيعرف فيها ما حدث من الحوادث وما يخصب منها وما يجذب
 وأقام هذه المرأة فى وسط مدينة أمسوس وكانت من نحاس وعمل فى أمسوس صورة امرأة

جالسة في حجرها ضبي ترضعه وكانت المرأة من نساء مصر اذا أصابتها علة في موضع من جسمها أتت هذه الصورة ومسحت ذلك الموضع من جسدها بمثل ذلك الموضع من الصورة فتزول عنها العلة وان قل لبنا مسحت ثديها بشدي الصورة فيغزر لبنا وان قل حيضها مسحت فرجها بفرج الصورة فيكثر حيضها وان كثر دمها مسحت أسفل ركبها بمثل ذلك من الصورة وان عسرت ولادة امرأة مسحت رأس الصبي الذي في حجر الصورة فتضع حملها وان أرادت التنجيب الى زوجها مسحت وجهها وتقول افلمي كذا وكذا فاذا وضعت الزانية يدها عليها ارتعدت حتي تنوب ولم تزل هذه الصورة الى أن أزالها الطوفان وفي كتب القبط انها وجدت بعد الطوفان وأن أكثر الناس عبدوها وعمل سوريد صنها من أخلاط كثيرة فكان من أصابته علة في موضع من جسده غسل ذلك الموضع من الصنم بماء وشرب الماء فانه يبرأ وسوريد هذا هو الذي بني الهرمين العظيمين بمصر المنسبين الى شداد بن عاد والقبط تنكر أن تكون العبادية دخلت بلادهم لقوة سحرهم ولما مات سوريد دفن في الهرم ومعه كنوزه ويقال انه كان قبل الطوفان بثلاثة سنة وانه ملك مائة سنة وتسعين سنة * فملك بعده ابنه هرجيب وكان كأبيه حكما فاضلا في علم السحر والطلسمات فعمل أعمالا عجيبه واستخرج معادن كثيرة وأظهر علم الكيمياء وبني اهرام دهشور وحمل اليها اموال عظيمة وجواهر نفيسة وعقاقير وسمومات وجعل عليها روحانيات تحفظها وشج رجل رجلا قاصر بقطع اصابعه وسرق رجل مالا فملك المسروق له رق السارق ولما مات دفن في الهرم ومعه جميع أمواله وذخائره * وملك بعده ابنه مناوس ويقال منقاوس وكان كأبيه في الحكمة الا انه كان جبارا فاسقاسفا كالدماء ينتزع النساء من أزواجهن ويبيع ذلك لخواصه وعمل أعمالا عجيبه واستخرج كنوزا وبني قصورا من ذهب وفضة وأجري فيها الانهار وجعل حصباءها من اصناف الجواهر النفيسة وسلط رجلا جبارا اسمه قرناس على الناس ووجهه لمحاربة الامم الغربية فقتل منهم خلائق ولما مات دفن في بعض قصوره ومعه أمواله وعمل عليه طلسم يحفظه ويمنعه من كل طالب * وملك بعده ابنه أفروس وكان كأبيه في العلم والحكمة ولما ملك أظهر العدل وأحسن السيرة ورد النساء اللاتي غضبن في أيام أبيه على أزواجهن وعمل قبة طوها خمسون ذراعا في عرض مائة ذراع وركب في جوانبها طيوراً من صفر تصفر بأصوات مختلفة مطربة لاتفتر ساعة وعمل في وسط مدينة أمسوس منارا عليه رأس انسان من صفر كلما مضى من النهار أو الليل ساعة صاح صيحة يعلم من سمعها بمضي ساعة وعمل منارا عليه قبة من صفر مذهب ولطخها بلطوخت فاذا غربت الشمس في كل ليلة اشتعلت القبة نورا تضيء له مدينة أمسوس طول الليل حتى يصير مثل النهار لاتطفئها الرياح ولا الامطار فاذا طلع النهار خمد ضوءها وأهدى ليمض ملوك بابل مدنها من زبرجد

قطره خمسة اشبار ويقال انه وجد بعد الطوفان وعمل في الجبل الشرقي صنما عظيما قائما على قاعدة وهو مصبوغ مصفر بالذهب ووجهه الى الشمس يدور معها حتى تغرب ثم يدور ليلا حتى يحاذي المشرق مع الفجر فاذا اشرقت الشمس استقبلها بوجهه وبني بصحراء الغرب مدنا كثيرة وأودعها كنوزا عظيمة ونكح ثلثمائة امرأة ولم يولد له ولد فان الله تعالى كان قد أعقم الارحام لما يريد من اهلاك العالم بالطوفان ووقع الموت في الناس والبهائم ولما مات وضع في ناوس بالجبل الشرقي ومعه أمواله وطمس عليه * وملك بعده ارماينوس فعمل أعمالا عجيبية وبني مدنا ومصانع وجدد الطلسمات وكان له ابن عم يسمى فرعان وكان جبارا فأبعده وجعله على جيش ساربه عنه فقهر ملوكا وقتل امما عظيمة وغنم أموالا كثيرة وعاد فشغفت به امرأة من نساء الملك وما زالت به حتى اجتمع بها وتآلفا وأقاما على ذلك مدة نغافا الملك أن يظن بهما فعملت المرأة لارماينوس سماً في شرابه هلك منه * وملك بعده ابن عمه فرعان بن مشور فلم يئازعه أحد لشجاعته وسياسته ولم تطل أعوامه حتى رأى قليمون السكاهن كان طيور ابيضا قد نزلت من السماء وهي تقول من أراد النجاة فليأتني بصاحب السفينة وكان عندهم علم بمحدث الطوفان من أيام سوريد وبناءه الاهرام لاجل ذلك واتخذ الناس سرايب تحت الارض مصفحة بالزجاج قد حبست الرياح فيها بتدبير وعمل منها فرعان لنفسه ولاهله عدة فما كذب أن جمع أهله وولده وتلاميذه ولحق بنوح عليه السلام وآمن به وأقام معه حتى ركب في السفينة وجاء الطوفان في أيام فرعان فأغرق أرض مصر كلها وخرب عمائرهما وأزال تلك المعالم كلها وأقام الماء عليها ستة أشهر ووصل الى أنصاف الهرمين العظيمين وسيأتي خبر ذلك ان شاء الله تعالى عند ذكر محن مصر من هذا الكتاب ويقال ان فرعان كان عاتيا متجبرا يغصب الاموال والنساء وانه كتب الى الدرشيل بن لحويل ببابل يشير عليه بقتل نوح عليه السلام وانه استخف بالكهنة واهيا كل ففسدت في أيامه أرض مصر ونقص الزرع وأجدبت النواحي لانهما كه في ضلاله وظلمه واقباله على طوره ولعبه وان الناس اقتدوا به ففشا ظلم بعضهم لبعض وانه لما أقبل لما الطوفان وسحت الامطار قام سكان يريد الهرب الى الهرم فتخلخلت الارض به وطلب الابواب فخانته رجلاه وسقط يخور حتى هلك وهلك من دخل الاسراب بالغم والله تعالى أعلم

ذكر مدينة منف وملوكها

هذه المدينة كانت في غربي النيل على مسافة اثني عشر ميلا من مدينة فسطاط مصر وهي أول مدينة عمرت بأرض مصر بعد الطوفان وصارت دار الملك بعد مدينة أمسوس التي تقدم ذكرها الى أن أخرها بخت نصر وقد ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز بقوله تعالى ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها قال الامام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري

في كتاب جامع البيان في تفسير القرآن عن السدي أنه قال كان موسى عليه السلام حين كبر
يركب كراكب فرعون ويلبس مثل ما يلبس وكان انما يدعي ابن فوعون ثم ان فرعون
ركب مركبا وليس عنده موسى فلما جاء موسى عليه السلام قيل له ان فرعون قد ركب
فركب في اثره فأدركه المقليل في أرض يقال لها منف فدخلها نصف النهار وقد تغلقت
اسواقها وليس في طرقها أحد وهي التي يقول الله جل ذكره ودخل المدينة على حين غفلة
من أهلها وقال ابن عبد الحكم عن عبد الله بن طيبة أول من سكن بمصر بعد أن أغرق
الله قوم نوح عليه السلام ببصر بن حام بن نوح فسكن منف وهي أول مدينة عمرت
بعد الطوفان هو وولده وهم ثلاثون نفسا منهم أربعة اولاد قد بلغوا وتزوجوا وهم مصر
وفارق وماج وباج بنو بصر وكان مصر أكبرهم فبذلك سميت مافه ومافه بلسان القبط
ثلاثون وكانت اقامتهم قبل ذلك بسفح المقطم وبقروا هناك منازل كثيرة وقال ابن جر داويه
في كتاب المسالك والممالك ومدينة منف هي مدينة فرعون التي كان ينزلها واتخذ لها
سبعين بابا من حديد وجعل حيطان المدينة من الحديد والصفى وفيها كانت الانهار تجري
من تحت سريره وهي أربعة ويروى أن مدينة منف كانت قناطر وجسورا بتدبير وتقدير
حتى ان الماء ليجري تحت منازلها وأفتيتها فيحبسونه كيف شاؤا ويرسلونه كيف شاؤا فذلك
قوله تعالى حكاية عن فرعون أليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي أفلا تبصرون
وكان بها كثير من الاصنام لم تزل قائمة الى أن سقطت فيما سقط من الاصنام في الساعة التي
أشار فيها النبي صلى الله عليه وسلم الى الاصنام يوم فتح مكة بقضيب في يده وهو يطوف
حولها ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا فأشار الى صنم منها في وجهه
الا وقع لقناه ولا أشار لقناه الا وقع لوجهه حتى ما بقى منها صنم الا وقع وفي تلك الساعة
سقطت أصنام الارض من الشرق الى الغرب وبقى أصحابها متعجبين لا يعلمون لها سببا
أوجب سقوطها وبقيت أصنام مدينة منف ساقطة من ساعته وفيها الصنمان الكبيران المجاوران
للبيت الاخضر الذي كان به صنم العزيز وكان من ذهب وعيناه ياقوتتان لا يقدر على مثلهما
ثم قطعت الاصنام والبيت الاخضر من بعد سنة ستائة * ويقال كانت منف ثلاثين ميلا
طولا في عشرين ميلا عرضا وان بعض بني يافث بن نوح عمل في أيام مصر ايم آلة تحمل الماء
حتى تلقيه على أعلى سور مدينة منف وذلك انه جعلها درجا مجوفة كلما وصل الماء الى درجة
امتلات الاخرى حتى يصعد الماء الى أعلى السور ثم يخط فيدخل جميع بيوت المدينة ثم
يخرج من موضع الى خارج المدينة * وكان بمنف بيت من الصوان الاخضر المسامع الذي
لا يعمل فيه الحديد قطعة واحدة وفيه صور منقوشة وكتابة وعلى وجه بابه صور حبات
ناشرة صدورها لو اجتمع ألوف من الناس على تحريكه ما قدروا لعظمه ونقله والصائبة تقول
(م ٢٨ - خطط ل)

انه بيت القمر وكان هذا البيت من حلة سبعة بيوت كانت بمنف للسكواكب السبعة وهذا البيت الاخضر هدمه الامير سيف الدين شيخون العمري بعد سنة خمسين وسبعمائة ومنه شئ في خانقاهه وجامعه الذى بخط الصليبية خارج القاهرة وقال أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن القيسي في كتابه تحفة الالباب ورأيت في قصر فرعون موسى بيتا كبيرا من صخرة واحدة أخضر كالآس فيه صورة الافلاك والتجوم لم تر عجبا أحسن منه * وقال أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الاندلسي وكانت دار الملك بمصر في قديم الدهر مدينة منف وهى في غربي النيل على مسافة اثني عشر ميلا من القسطنطينية فلما بنى الاسكندر مدينة الاسكندرية رغب الناس في عمارتها فكانت دار العلم ومقر الحكمة الى ان فتحها المسلمون في أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه واختط عمرو بن العاص مدينته المعروفة بالقسطنطينية فانتشر أهل مصر وغيرهم من العرب والعجم الى سكناها فصارت قاعدة ديار مصر ومركزها الى وقتنا هذا * وقال الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاه الكاتب وقد ذكر أخبار مدينة أمسوس وخراب عمائر أرض مصر بطوفان نوح عليه السلام ولما نزل الماء كان أول من ملك مصر بعد الطوفان بيصر بن حام بن نوح وكان معه ثلاثون من الحيايرة من أهله وولده فاجتمعوا وبنوا مدينة منف ونزلوا بها وكان قليمون الكاهن الذى تقدم ذكره في خبر مدينة أمسوس من جملتهم وكان قد زوج ابنته ببيصر المذكور وجاءت معه الى مصر وولدت منه ولدا سماه مصرايم فلما مات بيصر دفن في موضع دير أبي هرميس ويقال دير أبي هرميس غربي الاهرام ويقال انها أول مقبرة دفن بها بأرض مصر وكان موته بعد ألف وثمانمائة وست سنين مضت من وقت الطوفان وقال غيره ثم بنى مصرايم مدينة سماها باسمه فجاءه رجل من بنى يافث فعمل له سورا قائما وضع له درجا وأجرى المساء الى أن بقى يصعد الى أعلى السور بحكمة ألقنها ثم ينزل ذلك الماء من أعلى السور الى المدينة فينتفع به فيها بغير مشقة ولا كلفة ثم يخرج من ناحية أخرى وكتب على السور هذه صنعة من يموت لاصنعة من يدوم * وملك بعد بيصر ابنه مصرايم (ويقال له مصر) بن بيصر فأظهره قليمون الكاهن على كنوز مصر وعلمه قراءة خطهم وأطلعه على حكمهم وبنى مصرايم المدن وشق الانهار وغرس الاشجار وبنى مدينة عظيمة سماها درسان وهى العريش ونكح امرأة من أولاد الكهنة فولدت له ابنا سماه قفطيم وبنى مدينة رقودة مكان الاسكندرية ولما مات مصرايم جعل له سرب طوله مائة وخمسون ذراعا وبسط بالمرمر الابيض وعمل في وسطه مجلس مصفح بصفائح الذهب وله أربعة ابواب على كل باب تمثال من ذهب على رأسه تاج من ذهب وهو جالس على كرسي من ذهب قوائمه من زبرجد ونقش في صدر كل تمثال آيات مائة وحسبوا جسده في جسد من زبرجد أخضر شبه تابوت طوله اربعون ذراعا دفن فيه ومعه جميع ما كان في خزانته

من ذهب وفضة وجوهر منها ألف قطعة من زبرجد مخروط وألف تمثال من جوهر
نقيس وألف برنية من ذهب مملوءة درا نفيسا وألف آنية من ذهب وعدة سبائك من فضة
وعمل عليه طلسم مانع من الوصول اليه وزبروا عليه مات مصرايم بن بيسر بن حام بن
نوح بعد ألفين وستائة عام وقيل بعد سبعمائة سنة مضت من الطوفان ولم يعبد الاصنام فصار
الى جنة لاهرم فيها ولا سقم ولا هم ولا حزن وكتب اسم الله الاعظم عليه حتى لا يصل
اليه أحد الا ملك يأتي في آخر الزمان يدين بدين الملك الايمان ويؤمن بالبعث والفرقان
والنبي الداعي الى الايمان في آخر الزمان وسقفوا فوق السرب بالصخور العظام وهالوا عليه
الرمال حتى سدوا بين جبلين متقابلين * ويقال كان مصر بن بيسر مع جد أبيه نوح عليه
السلام في السفينة فدعاه أن يسكنه الله الارض الطيبة المباركة التي هي أم البلاد وغوث
العباد ونهرها أفضل الانهار ويجعل له فيها افضل البركات ويسخر له الارض ولولده ويذلها
ويقويهم عليها فسأله عنها فوصفها له وأخبره بها وكان بيسر بن حام قد كبر وضعف فساقه
ولده مصرايم وجميع اخوته الى مصر فزولوها وبذلك سميت مصر * وملك بعده ابنه قبطيم
(ويقال له فقط) بن مصرايم وهو أول من عمل العجايب بعد الطوفان فاستخرج المعادن
وشق الانهار ونصب الاعلام والمنارات وعمل الطلسمات * ويقال ان مصرايم لمات اختلف
أولاده من بعده وكان فقط أصغرهم فاجتمعوا عند الاهرام ورضوا بأن من غلب منهم
أخاه أخذ الملك فتحارب أشموم وأتريب فغلب أتريب ثم تحارب صاهو وأشموم فغلب
ثم تحارب فقط وصاهو فغلب فقط فأخذ فقط الملك بعد أبيه وأطاعه اخوته وسكن مدينة
منف دار مملكة أبيه وتزوج امرأة ولدت له أربعة أولادهم قفطريم وأشمون وأتريب
وصاهو فتناسلوا وكثروا وعمروا البلاد ثم انه قسم الارض بين أولاده الأربعة عند وفاته
فجعل لولده قفطريم من أسوان الى فقط وجعل لولده أشمون من مدينة فقط الى مدينة
منف وجعل لولده أتريب الجرف كله وجعل لولده صاهو ناحية البحيرة الى الغرب وجعل
أمرهم الى قفطريم وأمر كل واحد منهم أن يبني لنفسه مدينة في حيزه وجعل لنفسه سربا
تحت الجبل الكبير وصفحه بالمرمر وعمل فيه منافذ للريح فصارت تخرق فيه بدوى عظيم
وأقام في السرب رؤسا من نحاس مطلية تضي كالسرج ليلا ونهارا ولما مات وضع جسده
بهذا السرب في جرن من ذهب بعدما ألبس ثيابا منسوجة بالدر والمرجان وأقيم عند رأسه
عمود من مرمر عليه جوهره تضي وعمل حول الجرن توابيت من حجارة ملونة حولها
مصاحف الحكمة ووضعت عنده أمواله وكنوزه وذخائره وزبروا عليه كما زبروا على أبيه
وانتقل كل من أولاده الى حيزه فانتقل صاهو وأولاده وسكن مدينة صاهو التي ذكرها *
ويقال كانت البلدة في أيام فقط وانه ألهمه الله تعالى اللغة القبطية وأنه أقام ملكا أربع مائة

وثمانين سنة ومات فدفن بأرض الواحات وملك بعده أخوه أشمن بن مصر و
أسكن في حياته ابنه قفطريم في حيزه فشرع في العمارة وكان جبارا عظيم الحلقة فأثار من
المعادن ما لم يثره أحد قبله وبني مدينة دندرة وعمل في جبل قفط منارا عاليا يرى منه البحر
الشرقي ووجد هناك معادن من الزئبق وعمل البركة التي سبها صيادة الطير وهلك عاد
بالريح في آخر أيامه وفي أيامه أثار الشياطين الاصنام التي أغرقها الطوفان فهدمت وأقام ملكا
أربعمائة وثمانين سنة ومات * وذكر ابن عبد الحكم بعد مصر بن بيصر قفط بن مصر وأن
الذي ملك بعد قفط أخوه أشمن ثم أريب بن مصر ثم صابن مصر ثم ابنه تدراس بن صا
ثم ابنه مالىق بن تدراس ثم ابنه حزابا بن مالىق ثم ابنه كلكلبي بن حزابا ويقال ان أشمن
لما ملك بعد أخيه سار اليه شداد بن هداد بن شداد بن عاد وملك أرض مصر وهدم مبانيها
وبنى اهراما ومضى الى موضع الاسكندرية فبناها وأقام دهرها ثم خرجت العادية من أرض مصر
فعاد أشمن الى ملكه وأنه ملك بعده أخوه صا ثم ملك بعد صا ابنه تدراس وفي أيامه بعث الله
صالحا الى ثمود ومات * فملك ابنه مالىق البودسير وكان من الجبارة العظام عمل أعمال عظيمة
منها منار فوقه قبة لها أربعة اركان في كل ركن كوة يخرج منها في يوم معلوم عندهم من كل سنة
دخان ملتف في ألوان شتى يستدلون بكل لون على شيء فان خرج الدخان أخضر دل على
العمارة والخصب في تلك السنة وان خرج أبيض دل على الجذب وقلة الخير وان خرج أحمر
دل على الحروب وقصد الاعداء وان خرج أصفر دل على النيران وآفات تحدث من الملك
وان خرج اسود دل على الامطار والسيول وفساد بعض الارض وان خرج مختلطا دل على كثرة
الظلم وبني الناس بعضهم على بعض وعمل شجرة من نحاس تجذب سائر الوحوش حتى تصل اليها فلا
تستطيع الحركة الى أن تؤخذ فشبع أهل مصر من لحوم الوحوش واتفق أن غرابا ثمرين صبي
من أولاد السكينة فقلعها فعمل شجرة من نحاس عليها غراب منشور الجناحين وفي مقاربه حية
وعلى ظهره أسطر فكانت الغربان تقع على هذه الشجرة ولا تبرح حتى تموت وكانت الرمال
قد كثرت في أيامه على أرض مصر من ناحية الغرب فعمل صنما من صوان اسود على قاعدة
منه وفوق كتفه قفة فيها مسحة ونقش على وجهه وصدره وذراعيه كتابة وجعل وجهه
الى الغرب فانكشفت الرمال ورجعت بها الرياح الى ورائها ومارت تلالا عالية وبعث
بهرمس الحكيم الى جبل القمر الذى يخرج منه النيل فعمل تماثيل النحاس وعدل جانبي
النيل وكان قبله يفيض في مواضع وينقطع في مواضع وسار مغربا لينظر ما وراء ذلك فوق
على أرض واسعة يخرق فيها الماء والاشجار فبني فيها منزهات وأقام بها وحول اليها عدة من
أهلهم فعمروا تلك النواحي حتى صارت أرض الغرب كلها معمورة ثم خالطهم البربر وجرت
بينهم حروب كثيرة أفنتهم فخربت تلك البلاد ولم يبق منها الا الواحات ثم ان البودسير احتجب

عن الناس وصار يبرز وجهه من مقعده في النادر وربما خاطبهم من حيث لا يرونه * وذكر أبو الحسن المشعودي في كتاب أخبار الزمان أن أول من تحقق بالسكانة وغير الدين وعبد السكواكب البودسير وتزعم القبط أن السكواكب كانت تخاطبه وأن له عجائب كثيرة منها انه استترعن الناس عدة سنين من ملسكه وكان يظهر لهم وقتا بعد وقت مرة في كل سنة وهو حلول الشمس في برج الحمل ويدخل الناس اليه فيخاطبهم وهم يرونه فيأمرهم وينهاهم ويحذرهم مخالفة أمره ثم بنيت له قبة من فضة مطلية بذهب فصار يجلس في أعلاها وله وجه عظيم فيخاطبهم * (فلما مات ملك بعده ابن ارقليمون او كان كاهنا ساحرا فعمل أعمالا عظيمة منها أنه كان يجلس في السحاب فيرونه في صورة انسان عظيم وأقام مدة على ذلك ثم انه غاب عن أهل مصر وصاروا يغير ملك ثم رأوا صورة بجذاء جرم الشمس عند حلولها أول برج الحمل فأمرهم أن يقلدوا الملك عديم بن قفطيم وأعلمهم أنه ما بقي يعود اليهم * (فولوا عليهم عديم بن قفطيم) وكان جبارا عظيما وهو أول من صلب بمصر وذلك أن امرأة ورجلا زنيا فصلبهما وجعل ظهر كل منهما لظهر الآخر وبني أربع مدائن أودعها كنوزا عظيمة وجعل عليها طلسمات وعدة عجائب وعمل منارا على البحر الشرقي وعليه صنم الى الشرق حتى لا يغلب البحر على أرض مصر وعمل قطرة على النيل في أرض النوبة وأقام ملكا مائة واربعين سنة ومات وعمره سبعمائة وثلاثون سنة * (وملك بعده ابنه شدات بن عديم) وهو الذي تسميه العامة شداد بن عاد وكان عالما كاهنا ساحرا ويقال انه هو الذي بني الاهرام الدهشورية وعمل أعمالا عظيمة وطلسمات عجيبة وبني في الجانب الشرقي مدائن وفي أيامه بنيت قوص وغزا الحبشة وسباهم وأقام ملكا تسعين سنة وهو أول من اتخذ الجوارح وصاد بها وولد السكلاب السلوقية وعمل في بركة سيوط تماسيح منصوبة تنصب اليها التماسيح من النيل انصبابا فيقتلها ويلقى جلودها في السفن وانفق أنه طرد صيدا فسكابه فرسه في وهدة فهلك وكان قد غضب على بعض خدمه فرماه من جبل عال فتقطع فرأى أنه يصيبه مثل ذلك ولما هلك وضع في ناوس ودفنت معه امواله وعمل عليه طلسم يمنع من يقصده وكتب عليه لا ينبغي لذي القدرة أن يخرج عن الواجب ولا يفعل مالا يجوز له فعله فيجازي بعمله هذا ناوس بن شدات بن عديم قل مالا يحل له فعله فكوفي عليه بمثله * (وملك بعده متقاوش) وكان حكيما فاضلا كاهنا عمل أعمالا عجيبة وبني اشياء معجبة منها أنه عمل هيكلا لصور السكواكب على ثمانية فراسخ من منف وكثر من الاموال مالا يحصى وفتح عليه من المعادن ما لم يفتح به على غيره وسار في الجنوب يومئذ سار مغربا يوما وبعض آخر فاتمى في اليوم الثالث الى جبل اسود فعمل تحته أسرابا ومقابر ودفن فيها امواله وزبر عليها حتى أنه من كثرتها يقال انه دفن حمل اثني عشر ألف عجلة ذهبا وجواهر وأقام أربع سنين يرسل

في كل سنة عجلا كثيرة يدفنها وبقيت آثار العجل تري في ما بين منف والمغرب زمانا طويلا
وبني هيكلا للقمr ويقال انه هو الذي بنى مدينة منف لبنائه وكن ثلاثين بنتا وأنه ألزم
الناس بعمل الكيمياء فكانوا لا يفترون عن عملها ليلا ولا نهارا حتى اجتمع عنده مال
عظيم وجوهر كثير وهو الذي بنى مدينة عين شمس وقسم خراج مصر أرباعا جعل الربع
للملك والربع للجنـد والربع ينفق في مصالح الارض والربع الرابع يـدفن لـحادثة تحدث وهو
الذي قسم أرض مصر على مائة وثلاثين كورة وأقام ملكا إحدى وتسعين سنة ومات* (فلك بعده
ابنه عديم بن منقوش) وكان جبارا لا يطاق وفي أيامه كان نزول الملكين اللذين يعامان
الناس السحر والقبـط تزعم أنهما نزلا بأرض مصر ثم نقلا الى بابل* ثم ملك بعده أخوه منقوش
ابن منقوش وكان عالما كاهنا فاضلا بنى مواضع كثيرة في الجبال والصحارى وكثر فيها كنوزا
عظيمة وأقام عليها أعلاما وبني في صحراء الغرب مدينة وأقام لها منارا وكثر حولها كنوزا
عظيمة وجعل فيها شجرة تطلع كل لون من الفاكهة وهو أول من عبد البقر بمصر وكان
يطلب الحكمة ويستخرج كتبها وكذا كان كل من ملك منهم يجتهد في أن يعمل له غريبة
من الاعمال لم تعمل لمن كان قبله وثبت في كتبهم وتزبر على الحجارة* (ولما مات ملك
بعده ابنه هرميس) وكان قليل الحكمة فلم يعمل شيئا مما عمله آباؤه ومات وقد أقام
أحدى عشرة سنة* (فلك بعده اشمون) بن قبطيم بن مصر بن بـيصر بن حام بن نوح وكان
حيزه من أشمون الى منف في الغرب وحيزه في الشرق الى حد البحر الملح مما يحاذي
برقة وهو آخر حد مصر ومن بلاد الصعيد الى حدود أخميم وكانت منزله بمدينة الاشمونين
وكان طولها اثني عشر ميلا في مثلها وبني في شرقي النيل مدينة انصنا وبني بها قصرا عظيما
واتخذ بها أبنية وملاعب وعجائب كثيرة وبني مدينة طهر اطيس وهو أول من لعب بالكرة
والصولجان ويقال انه بنى مدنا كثيرة عمل فيها عجائب منها مدينة في سفح الجبل لها أربعة
أبواب من كل ناحية باب فعلى الباب الشرقي صورة عقاب وعلى الباب الغربي صورة ثور
وعلى الباب الشمالى صورة أسد وعلى الباب الجنوبي صورة كلب وفي هذه الصور روحانيات
تتطرق فاذا قدم غريب لا يقدر على الدخول اليها الا باذن الموكلين بها ودفن تحت
كل شكل من هذه الاشكال الاربعة صنفا من السكنوز وغرس في هذه المدينة شجرة
مولدة ثمر كل لون من الفاكهة ونصب منارا طوله ثمانون ذراعا فوقه قبة تتلون كل يوم
لونا حتى تمضى سبعة أيام ثم تعود الى اللون الاول فكانت تلك المدينة تنكسي من تلك
الالوان شعاعا مثل لونها وأجرى حول المنار ماء شقه من النيل وجعل فيه سمكا من كل
لون وأقام حول المدينة طلمبات في هيئة أناس رؤسها كالقردة وأسكن هذه المدينة السحرة
فعرفت بمدينة السحرة وكانوا يعملون فيها أصناف السحر وبني بالقرب منها مدينة عرفت

بذات العجائب وبني مجالس مصفحة بزجاج ملون في وسط النيل وبني سربا تحت الارض من الاشمونين الى انصنا وقيل انه هو الذي بنى مدينة عين شمس وانه ملك ثمانمائة سنة وان قوم عاد انتزعوا منه الملك بعد ستمائة سنة وأقاموا بمصر تسعين سنة فأصابهم وباء خرجوا منه الى المدينة بطريق الحجاز الى وادي القرى فعاد أشمون بعد خروج العادية الى ملك مصر وهو أول من عمل النوروز بمصر وفي زمانه بنيت مدينة البنسنا ولما مات جعل له ناوس في آخر حدّ الاشمونين ودفن فيه ومعه كنوزه العظيمة وعجائبه الكثيرة منها ألف برنية من العقاير المدبرة لفنون الاعمال وزبروا على ناوسه اسمه ونسبه وجعل عليه طلسم يمنع من يقصده * (وملك بعده ابنه صا) ثم بعد صا ابنه تدراس * (وقيل ملك مناقوش) وكان شجاعا فاضلا فاستأثف العمارة وبني القري ونصب الاعلام وعمل العجائب الهائلة وبني مدائن منها مدينة اخميم وحوّل السكينة اليها وأقام ملكا نيفأوربعين سنة ومات فدفن في الهرم الشرقى ومعه كنوزه (وملك بعده ابنه) وقد اختلف في اسمه وكان فاضلا حازما معظما عند أهل مصر وهو أول من عمل المارستان وأول من عمل الميدان للرياضة وفي أيامه بنيت مدينة سنترية في صحراء الواحات ثم ان نساء تغايرن عليه فقتلته احداهن بسكين فدفن في ناوس ومعه أمواله وعمل عليه طلسم يحفظه * (وملك بعده ابنه مرقوره) وكان حكيما كاهنا وهو أول من ذلّل السباع وركبها وبني المدن وعمر الهياكل وأقام الاصنام ولما مات جعل له ناوس في صحراء الغرب ودفن معه ماله * (وملك بعده ابنه بلاطس) وكان صيبا فديرت أمه أمر الملك وكانت حازمة فأجرت الامور على أحسن ما يكون وأظهرت العدل ووضعت عن الناس الخراج فأحبوها ولما كبر ابنها أحب الصيد فعملت له أمه أعمالا عجيبية وأقام ملكا ثلاث عشرة سنة وجدر فئات وانتقل الملك الى أغمامه * فملك بعده أتريب بن قبطيم بن مصرأيم وهو الثالث عشر من ملوك مصر بعد الطوفان وهو الذي بنى مدينة أتريب وعاش خمسمائة سنة منها مدة ملكه ثلثمائة وستون سنة ويقال ان النيل وقف في أيام أتريب مائة وأربعين سنة حتى أكلت البهائم بأرض مصر ولم يبق بها بهيمة ورؤى أتريب ماشيا وهو يبسط يديه ويقبضهما من الجوع ومات عامة أهل مصر جوعا ثم أغشيوا بعد ذلك وكثر الرخاء ودام مدة مائتي سنة وبيع كل أردب بدانق وأقل ولما مات اتهم أخوه صابقتله وحاربه أهل مصر تسعين سنين وقتلوه * (فملك بعده ابنته تدرورة) وكانت كاهنة ساحرة فساست الملك أحسن سياسة ودبرت الملك أجود تدبير وعملت طلسمات عجيبية منها طلسم منع الوحش والطيور أن يشرب من النيل حتى مات أكثرها عطشا ووقعت في زمانها صيحة ارتجت لها الارض فهلك * (وملك بعدها أخوها قليمون بن أتريب) وكان حكيما فاضلا فبني البنيان وعمل الطلسمات

وفي أيامه بنيت مدينة تيس الاولى وبنيت مدينة دمياط وأقام ملكا تسعين سنة ومات
فدفن في ناوس * (وملك بعده ابنه فرسون) وكان فاضلا كاهنا بنى المدائن وجدّد
الهيكل وكان حدنا فقصده بعض ملوك حمير في جوع عظيمة فخرج اليهم ولقيه بمدينة
ايليا وقاتله قتالا شديدا حتى تقاى من الفريقين معظمهما وأظهر المصريون أشياء من
من سحرهم فانهزم الحميري في طائفة يسيرة وقتل فرسون عامة أصحابه وأخذ ما كان معهم
وعاد مظفرا الى مدينة منف وعمل منارا على بحر القلزم في رأسه امرأة تجذب المراكب
الى الساحل حتى يؤخذ منها ما هو مقرر عليها من المال وأقام ملكا مائتي سنة وستين
سنة ومات فدفن في ناوس خلف الجبل الاسود الشرقي وعمل فيه قبة تحتوي على اثني
عشر بيتا في كل بيت أعجوبة ودفن معه ماله وعمل عليه طلسم يحفظه * (وملك بعده نحو
أربعة وصار الملك الى صا بن قبطيم) وكان أصغر ولد أبيه وأحبهم اليه * (ولما مات ملك
بعده نونية السكاهنة) وكانت ساحرة فكانت تجلس على سرير من نار فاذا تحاكم اليها
أحد وكان صادقا شق تلك النار من غير أن تضره وان كان كاذبا أخذته تلك النار
وكانت تتصور كل يوم في صور كثيرة الاشكال ثم بنت قصرا واحتجبت فيه وجعلت في
سورها أنابيب من نحاس مجوفة وكتبت على كل أنبوب فنا من الفنون التي يتحاكم الناس
بها اليها فكان من أتاها في محاكمة وقف عند الانبوب الذي فيه محاكمته وتكلم بما يريد
وسأل عنه بصوت خفي فاذا فرع حمل أذنه في الانبوب فيأتيه منه جواب ما سأل ولم يزل
هذا القصر والانابيب حتى أتلغه بنحت نصر * (وملك بعدها مرقونس) وكان فاضلا
حكما وكانت أمه بنت ملك التوبة فعملت عجائب وصنع في أيامه كل غريبة وملك ثلاثا
وسبعين سنة ومات وعمره مائتان وأربعون سنة * (فلك بعده ابنه ايساد وهو ابن خمس
وأربعين سنة) وكان جبارا طماع العين فانتزى امرأة أبيه وانكشف أمره معها وكان
أكبر همه اللهو واللعب فجمع كل ملة في مملكته ورفض العلوم وأهمل أمر الهيكل
والسكينة وترك النظر في أحوال الناس وبنى قصورا على النيل ليتنزه فيها وأتلف أكثر
الاموال في اللعب فكرهه الناس وكرههم الى أن سموه فمات عن مائة وعشرين سنة * (وملك
بعده ابنه صا) ويقال ان صا هو ابن مرقونس وهو اخو ايساد ولما ملك سكن منف
ووعده الناس بخير وملك الاحياز كلها وعمل بها عجائب وطلسمات ورد السكينة الى مراتبهم
ونفى الملهين وأهل الشر ونصب العقاب الذي عمله أبوه وشرف هيكله ودعا اليه وبني بداخل
الواحات مدينة ونصب قرب البحر أعلاما كثيرة وجعل على الاطراف اصحاب اخبار يرفعون
اليه ما يجري في حدودهم وعمل على حافتي النيل منابر يوقد عليهم اذا حز بهم أمر أو قصدهم
أحد وجعل بحافتي بحر الملح منارا يعلم به أمر البحر ويقال انه بنى أكثر مدينة منف وكل

بنيان عظيم بالاسكندرية وكان لما ملك البلد بأسره جمع الحكماء ونظر في النجوم وكان بها حاذقا فرأى أن مصر لا بد أن تفرق من نيلها وأنها تخرب على يد رجل يأتي من ناحية الشام فجمع كل فاعل بمصر وبني مدينة في الواح الاقصى وقصده ملك الافرنجة وملك منه مدينة منف وقدم معه ألف مركب وهدم أكثر الاسكندرية ودخل الى النيل من رشيد حتى أخذ منف وفر منه صا الى المدائن الداخلة وتحصن بها من عدوه فامتعت بالطلسيات أياما كثيرة ثم سكنت العاقبة له وعاد عدوه منهزما ورجع الى منف فقتل الكهنة وقتل منهم كثيرا وأقام ملكا سبعا وستين سنة وعاش مائة وسبعين سنة * (وملك ابنه تدراس) واستولى على الاحياز كلها وصفا له الوقت وملك مصر وكان محتكما مجريا ذا أيد وقوة ومعركة بالامور فأظهر العدل وأقام الهيكل وأهلها قياما حسنا وبني بيتا للزهرة وحفر خليج سخا وحارب بعض عمالقة الشام ودخل الى فلسطين وقتل بها خلقا وسي بعض أهلها الى مصر وغزا السودان من الزنج والحبشة ووجه في النيل بثلاثمائة سفينة فقتل السودان وكانوا زهاء ألف ألف فهزمهم وقتل أكثرهم وأسروا منهم خلقا كثيرا وساق الفيلة والنور الى مصر وعمل على حدود بلده منارات زبر عليها اسمه ومسيره وظفره وفي أيامه بعث الله نبيه صالحا الى ثمود ويقال انه هو الذي أنزل التوبة حيث هي وذلك أنه لما أوغل في أرض الحبشة وقتل ام السودان وجد فيها أمة تقرأ صحف آدم وشيث وادريس فمن عليها وأنزلها على نحو من شهر من أرض مصر فسموا التوبة ومات بمنف * (فملك بعده ابنه مالىق) وكان عاقلا كريما حسن الصورة مجريا مخالفا لابيه وأهل مصر في عبادة السكواكب والبقر ويقال انه كان موحدا على دين أجداده قبطيم ومصرام وكانت القبط تدمه لذلك وأمر الناس باتخاذ كل فاره من الخيل واقتنى السلاح وأكثر الاسفار وانشأ في بحر المغرب مائتي سفينة وخرج في جيش عظيم في البر والبحر وأتى البربر فهزمهم واستاصل أكثرهم وبلغ أفريقيا وسار الى الاندلس يريد الافرنجة فلم يمر بأمة الا أبادها فحشد له ملك الافرنجة وحاربه شهرا ثم طلب صلحه وأهدى اليه فسار عنه ودوخ الامم المتصلة بالبحر الاخضر والقبط تذكر أنه رأى سبعين أعجوبة وعمل أعمالا على البحر وزبر عليها اسمه ومسيره وخرب مدن البربر ورجع فقتلناه أهل مصر بأصناف الرياحين وأنواع اللهو وفرشت له الطرقات فهابه الملوك وحملوا اليه الهدايا وما زال موحدا حتى مات * (فملك بعده ابنه حزابا) وكان لنا سهل الخلق قد عرفه أبوه التوحيد ونهاه عن عبادة الاصنام فرجع عن ذلك بعده الى دين قومه وغزا الهند والسودان بعد ما عمل مائة سفينة على شكل سفن الهند وتجهز وخل معه امرأته ووجوه أصحابه واستخلف ابنه كاسكلي على مصر وكان صيبا وجعل معه وزيرا كاهنا فر على ساحل اليمن وعاش في مداشيه وبلغ سرنديب وأوقع بأهلها

وبلغ جزيرة بين الهند والصين فأذعن له أهلها وتنقل في تلك الجزائر سنين فيقال انه أقام في سفره سبع عشرة سنة ورجع غانما فهابه الملوك وبني عدة هياكل وأقام بها الاصنام للكوكب ثم غزا نواحي الشام فأطاعه أهله ورجع فغزا النوبة والسودان وضرب عليهم خراجا يحملونه اليه ورفع أقدار الكهنة ومصاحفهم وكان يرى أن هذا الظفر بمعونة الكوكب له ومات وقد ملك خمسا وسبعين سنة * (فقام ابنه كلسكي) وعقد له بالاسكندرية فأقام بها شهران ثم قدم الى منف وكان أصناميا فسربه أهل مصر وكان يحب الحكمة واطهار المعائب ويقرب أهلها ويحيزهم وعمل الكيمياء وخزن اموالا عظيمة بصحارى الغرب وهو أول من أظهر علم الكيمياء بمصر وكان علمها مكتوما وكان من تقدمه من الملوك أمروا بترك صنعها فعملها كلسكي وملا دور الحكمة منها حتى لم يكن الذهب في زمن بمصر أكثر منه في وقته ولا اخراج لانه كان مائة ألف ألف وبضعة عشر ألف ألف مثقال فاستغنوا عن إثارة المعادن وعمل أيضا من الحجارة الملونة التي تشف شيئا كثيرا وعمل من الفيروزج وغيره أشياء واخترع امورا أخرج عن حد العقل حتى سمي حكيم الملوك وغلب جميع الكهنة في علومهم وكان يخبرهم بما يغيب عنهم وكان نمروذ ابراهيم عليه السلام في وقته فاتصل بنمروذ خبر حكمته وسحره فاستزاره وكان النمروذ حيارا مشوه الخلق يسكن السواد من العراق وآناه الله قوة وقدرة وبطشا فغلب على كثير من الامم فتقول القبط ان النمروذ لما استزار كلسكي وجه اليه أن يلقاه بموضع كذا فسار الى الموضع على أربعة أفراس تحملها ذوات أجنحة وقد أحاط به نور كالنار وحوله صور هائلة وقد خيل بها وهو متوشح بشعبان متحزم ببعضه وقد فغرفاه وهو يضربه بقضيب آس فلما رآه النمروذ هاله وأقرله بحيل الحكمة وسأله أن يكون ظهرا له ويقال انه كان يرتفع ويجلس على الهرم الغربي في قبة تلوح على رأسه فاذا دهم أهل البلد امرا اجتماعوا حول الهرم فيقيم أياما لا يأكل ولا يشرب ثم استمر مدة حتى توهوا أنه هلك فطمع فيه الملوك وقصده ملك من الغرب في جيش عظيم حتى قدم وادى هيب فاقبل حتى جالهم من سحره بشيء كالغمام شديد الحر فأقاموا تحته أياما متحيرين ثم طار الى مصر وأمرهم بالخروج الى الحيش فوجدوهم قدما تواءم ودوابهم فهابه الكهنة مهابة لم يهابوها أحدا قبله وعمر طويلا وغاب فلم يعلم خبره * وقال ابن عبد الحكم ان كلسكي بن حزابا ملكهم نحو مائة سنة ثم مات ولا ولد له * (فملك أخوه ماليا بن حزابا قال ابن وصيف شاء وقام أخوه ماليا) وكان شرها كثيرا لا كل والشرب متفردا بالرفاية غير ناظر في شيء من الحكمة وجعل أمر البلد الى وزيره واشتغل بالنساء وكان له من النساء ثمانون امرأة فهجم عليه ابنه طوطيس وهو سكران فقتله وقتل امرأة كانت عنده * (وملك بعده ابنه طوطيس) ويقال انه عمرو بن امرئ القيس بن بابليون

ابن حمير بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ويقال الوليد بن الريان وأنه أحد فراعنة مصر من ولد دان بن فهلوج بن أمراز بن أشود بن سام بن نوح وقيل فراعنة مصر من ولد عملاق الاول ابن لاود بن سام بن نوح وكان جباراً جريئاً شديد البأس مهاباً والقبض تزعم أنه أول الفراعنة بمصر وهو فرعون ابراهيم عليه السلام ويقال ان الفراعنة سبعة هو أولهم وحفر نهرا في شرقي مصر بسفح الجبل حتي ينتهي الى مرفأ السفن في البحر الملح وكان يحمل الى هاجر أم اسماعيل التي أعطاها ابراهيم عليه السلام الخنطة واصناف الثقات فتصل الى جدة فأحيى بلد الحجاز مدة ويقال ان كل ما حليت به السكبة في ذلك العصر بما أهداه ملك مصر ولكثرة ما حمل الى الحجاز سمته العرب من جرهم الصادوق * وفي ككتاب هرويش أن ساطان المصريين في زمن ابراهيم الخليل عليه السلام كان بأيدي قوم يدعون ببني فاليق بن دارش ودام ملكهم بمصر مائة وعشرين سنة وقال ابن اسحق عن بعضهم ان فراعنة مصر من ولد دان بن فهلوج بن امراز بن اشود بن سام بن نوح قال والمشهور أنهم من العماليق منهم الريان بن الوليد ويقال الوليد بن الريان فرعون يوسف والوليد بن مصعب فرعون موسى ومنهم سنان بن علوان قال ابن وصيف شاه وانما قيل له فرعون لانه أكثر القتل ولم يرزق غير ابنة وكانت عاقلة نفاقت لكثرة قتله الناس فقتلته بسم وله في الملك مائة وسبعون سنة * (وملكت بعده جورياق) * فوعدت الناس بالاحسان وجمعت الاموال وقدمت الكهنة وأهل الحكمة ورؤساء السحرة ورفعت أقدارهم وجددت الهياكل وصار من لم يرضها الى مدينة أتريب وملكوا رجلا من ولد أتريب وقد تقدم خبره في الاسكندرية وجورياق أول امرأة ملكت مصر من ولد نوح عليه السلام وماتت * (فلكت بعدها ابنة عمها زلفى بنت مأمون) * وكانت عذراء عاقلة فوعدت الناس بالجميل وقام عليها أيمن الأترابي واستنصر بملك العمالة فسير معه قائدا فأخرجت اليه جيشا فالتقوا بالعريش واقتتلوا حتى فنى منهم كثير من الناس ثم انهزم أصحاب زلفى الى منف وهم في أقيمتهم فخرجت زلفى الى الصعيد ونزلت الاشمونين فكان بينها وبين عساكر العمالة حروب انهزموا فيها وخرجوا عن منف بعد ما عاثوا فيها وعدوا الى الجرف فامتنعوا به وصارت مصر بينهم نصفين ثم ان زلفى عاودت الحرب فاستمرت ثلاثة أشهر حتى انهزمت الى قوص وأيمن خلفها فلما أيقنت انها تؤخذ سمت نفسها فهلكت وقال ابن عبيد الحكم ثم توفي طوطيس بن ماليا فاستخلفت ابنته جورياق ابنة طوطيس ولم يكن له ولد غيرها ثم توفيت جورياق فاستخلفت ابنة عمها زلفى ابنة مأمون بن ماليا فعمرت دهرها طويلا وكثروا ونموا وملأوا أرض مصر كلها فطمعت فيهم العمالة فغزاهم الوليد بن دوسع فقاتلهم قتالا عظيما ثم رضوا أن يملكوه عليهم فلما كانوا من مائة سنة فطغي وتكبر وأظهر الفاحشة فسلط الله عليه سباعا فافترسه

وأكل لحمه * والذي ملك مصر من الفراعنة خمسة * وملك أيمن ونحبر وقتل خلقا من حاربه وكان الوليد بن دومع العماليق قد خرج في جيش كثيف فبعث غلاما يقال له فرعون الى مصر ففتحها ثم قدم بعده واستباح أهل مصر وأخذ أموالهم ثم خرج ليقف على مصب النيل فرأى جبل القمر وأقام في غيبته أربعين سنة ورجع الى مصر وقد خافه فرعون وفر منه فاستعبد أهل مصر وملكهم مائة وعشرين سنة حتى هلك * (وملك ابنه الريان بن الوليد بن دومع) * أحد العمالقة وكان أقوى أهل الأرض في زمانه وأعظمهم ملكا * والعمالقة ولد عمليق بن لاود بن سام بن نوح وهو فرعون يوسف عليه السلام والقبط تسميه نهراوش وقيل فرعون يوسف اسمه الريان بن الوليد بن ليث بن قاران بن عمرو ابن عمليق بن بلقع بن عابر بن اشليخا بن لود بن سام بن نوح وقيل فرعون يوسف هو جد فرعون موسى أبو أبيه واسمه برخو وكان عظيم الخلق جميل الوجه عاقلا فوعده الناس الجليل وأسقط عنهم الخراج ثلاث سنين وفرق المال فيهم * وملك رجلا من أهل بيته يقال له اطفين وهو الذي يقال له العزيز وكان عاقلا أديبا مستعملا للعدل والعمارة فأمر أن ينصب له سرير من فضة في قصر الملك يجلس عليه ويخرج وجميع السكتاب والوزراء بين يديه فكفى نهراوش ما خلف ستره وقام بجميع اموره وخلاه للذاته فأقام على قصفه مدة والبلد عامر فقصده رجل من العمالقة وسار الى مصر في جيوشه فخرج اليه وقاتله وهزمه وسار خلفه ودخل الشام واث هنالك فهابته الملوك ولا طفته وقيل انه بلغ الموصل وضرب على أهل الشام خراجا وخرج لغزو بلاد المغرب في تسعمائة ألف ومرت بأرض البربر وجلا كثيرا منهم ومرت الى البحر الاخضر وسار الى الجنوب فقدم الثوبة وعاد الى مدينة منف وكان من خبر يوسف معه ما ذكر عند ذكر الفيوم * (وملك بعده ابنه دريموش) * ويقال له دارم بن الريان وهو الفرعون الرابع خالف سنة أبيه وكان يوسف خليفته فيقبل منه تارة ويخالفه تارة وظهر في أيامه معدن فضة فأثار منه شيئا عظيما وفي أيامه مات يوسف عليه السلام فاستوزر بعده رجلا حمله على أذى الناس وأخذ أموالهم فبلغ ذلك منهم مبالغا عظيما ثم زاد في التجري حتى اقتلع كل امرأة جميلة بمدينة منف من أهلها فكان لا يسمع بامرأة حسنة في موضع الا وجهها حملت اليه فاضطرب الناس وشنعوا عليه وعطلوا الصنائع والاعمال والاسواق فعدا عليهم وقتل منهم مقتلة عظيمة وزاد الامر حتى اجتمعوا على خلعه فبرزهم وأسقط عنهم خراج ثلاث سنين وأنفق فيهم مالا فسكتوا وفي أيامه نار القبط على بني اسرائيل وطلبوا من الوزير أن يخرجهم من مصر فما زال بهم حتى أمسكوا وبلغ الملك ذلك وكان قد خرج الى الصعيد فتوعد أهل مصر فشنعوا عليه وحشدوا له حاربوه فقتل منهم خلقا كثيرا وظفر بمن بقي فقتلهم وصلبهم على حافتي النيل وعاد الى أعظم

ما كان عليه من أخذ الاموال والنساء واستخدام أشراف القبط وبنى اسرائيل فأجمع الكل على ذمه فركب النيل للترهة وتاربه ربح عاصف ففرق فلم يوجد الا بناحية شطنوف وقيل فيما بين طرا وحلوان * (فقدم الوزير ابنه معاديوس) * وكان صيدا ويقال له معدان فأسقط عن الناس ما أسقطه أبوه من الخراج ووعد بالاحسان فاستقام له الامر ورد نساء الناس وهو خامس الفراغة وحدث في زمانه طوفان مصر وكثر بنو اسرائيل وعابوا الاصنام فأفردوا ناحية عن البلد بحيث لا يختلط بهم غيرهم وأقطعوا موصعا في قبلي منف فاجتمعوا فيه وبنوا فيه معبدا وغلب بعض السكنايين على الشام ومنع من الضريبة التي كانت على أهل الشام للملك مصر فاجتمع الناس الى معدان وحثوه على المسير لحربة فامتنع من المسير ولزم الهيكل فزعموا أنه قام في هيكل زحل للعبادة فتجلى له زحل وخاطبه وقال له قد جعلتك ربا على أهل بلدك وحبوتك بالقدرة عليهم وعلى غيرهم وسأرفعك الى فلا تخلص من ذكرى فمظلم عند نفسه وتجير وأمر الناس أن يسموه ربا وترفع عن أن ينظر في شيء من أمر الملك وجعل عليه ابنه اكسامس * (فقام ابنه اكسامس في الملك) ويقال كاسم بن معدان فرتب الناس مراتب وقسم الكور والاعمال وأمر باستنباط العمارات واظهار الصناعات ووسع على الناس في أرزاقهم وأمر بتنظيف الهيكل وتجديد لباسها وأوانيتها وزاد في القرايين وهو الذي يقال له كاشم بن معدان بن دارم بن الريان بن الوليد بن دومع العمليقي وهو سادس الفراغة وسموا فراغنة بقرعان الاول فصارا سما لكل من تجبر وعلا أمره فطال ملكه وأقام أعلاما كثيرة حول منف وعمل مدنا كثيرة ومناير للوقودات وطلسمات وأقام سبع سنين بأجل أمر فلما مات وزير أبيه استخلف رجلا من أهل بيت المملكة يقال له ظلما بن قومس وكان شجاعا ساحرا كاهنا كاتبا حكيما متصرفا في كل فن وكانت نفسه تنازعه الملك فأصلح أمر الملك وبنى مدنا من الجانبين ورأى في نجومه أنه سيكون حدث فبنى بناحية رقودة والصعيد ملاعب ومصانع وشكا اليه القبط من الاسرائيليين فقال هم عبيدكم فأذلّوهم من حينئذ وخرج الى ناحية البربر فمات وقُتل وسبي وفي أيامه بنيت منارة الاسكندرية وهاج البحر الملح ففرق كثيرا من القرى والجنان والمصانع ومات اكسامس وكان ملكه احدى وثلاثين سنة منها احدى عشرة سنة يدبر أمره ظلما فلما مات اضطرب الناس واتهموا ظلما أنه سمه فقام * (وولي لا طيس بن اكسامس) وكان جرياً معجبا صلفا فامر ونهى وألزم الناس أعمالهم وقال أنا مستقيم ما استقمتم وان ماتم عن الواجب ملت عنكم وخط جماعة عن مراتبهم وصرف ظلما عن خلافته واستخلف غيره وأنفذ ظلما الى الصعيد في جماعة من الاسرائيليين وجدد بناء الهيكل وبنى القرى وأثار معادن كثيرة وكثر في صحراء الشرق عدة كنوز وكان يحب الحكمة ثم تجبر وعلا أمره

وأمر أن لا يجلس أحد في مجلسه ولا في قصر الملك لا كاهن ولا غيره بل يقومون على أرجلهم حتي يمضوا وزاد في أذى الناس والعنف بهم ومنع فضول ما بأيديهم وقصرهم على القوت وجمع أموالهم وطلب النساء وانتزع كثيرا منهم وفعل أكثر مما فعله من تقدم قبله واستعبد بني إسرائيل وقتل جماعة من الكهنة فأبغضه الخاص والعام وثار ظلما بالصعيد وكاتب وجوه الناس فكتب لاطيس بصرفه عن العمل فامتنع وحارب عساكره وزحف حتى دخل منف ثم ظلما بن قومس فرعون موسى يقال ان اسمه الوليد بن مصعب بن أراهون بن الهلوت بن قاران بن عمرو بن عمليق بن بلقع بن عابر بن اسليخا بن لود بن سام بن نوح وانه من العمالة وكان قصيرا طويل اللحية أشبل العين اليمنى صغير العين اليسرى أعرج وزعم قوم انه من القبط وان نسبه ونسب أهل بيته مشهور عندهم وقيل غير ذلك وكان من خبره ما ذكرنا في كنيسة دموه وقال ابن عبد الحكم ولما أغرق الله فرعون بقيت مصر بعد غرقه ليس فيها من أشرف أهلها أحد ولم يبق الا العبيد والاحياء والنساء فأعظم أشرف من بمصر من النساء أن يولين منهم أحدا وأجمع رأيهم أن يولين امرأة يقال لها دلوكة * (فلكت دلوكة ابنة زبا) * ويقال دلوكة بنت قاران وكان لها عقل ونجارب ومعرفة وكانت في شرف منهم وهي يومئذ بنت مائة وستين سنة فبنت جدارا حصنت به مصر من الاعداء وكان من حد زنج الى أفريقية الى الواحات الى بلد الثوبة على كل موضع منه حرس قيام ليلهم ونهارهم يقدون النار وقودا لا يطفأ أبدا أحاطت به على جميع أرض مصر كلها في ستة أشهر وهو حائط العجوز وفي أيامها بنت تدور الساحرة البرابي في وسط منف فلما سكنتهم دلوكة عشرين سنة حتى بلغ صبي من أبناء أكا برهم يقال له * دركون بن بلاطس ثم مات واستخلف ابنه تودست ثم توفي تودست بن دركون فاستخلف أدقاش فلم يملك الا ثلاث سنين حتى مات فاستخلف أخوه مرينا بن مريوس ثم توفي فاستخلف استادس ابن مرينا فطغى وتكبر وسفك الدم وأظهر الفاحشة نخلعوه وقتلوه وبايعوا رجلا من أشرافهم يقال له بلطوس بن مينا كيل فلما حكم أربعين سنة ثم توفي فقام ابنه مالوس ثم توفي مالوس فاستخلف أخوه مينا كيل بن بلطوس بن مينا كيل فلما حكم زمانا ثم توفي واستخلف ابنه نوله بن مينا كيل فلما حكم مائة وعشرين سنة وهو الاعرج الذي سبي ملك بيت المقدس وقدم به الى مصر وكان قد تمكن وطغى وبلغ مبلغا لم يبلغه أحد ممن قبله بعد فرعون فصرعه دابته مات وقيل له الاعرج لانه لما غزا أهل بيت المقدس ونهبهم وسبي ملكهم يوشيا بن أمون بن منشيا بن حزقيا هم أن يصعد على كرسي نبي الله سليمان ابن داود وكان بلولب لا يمكن أحدا أن يصعد عليه الا بزجليه جميعا فصعد برجل واحدة وهي التي فدار اللولب على ساقه الاخرى فاندقت فلم يزل يجمع بها الى أن مات فلذلك

سمي الاعرج * فاستخلف مرنئوس بن نولة فملكهم زمانا ثم توفي واستخلف ابنه قرقورة فملكهم ستين سنة ثم توفي واستخلف أخوه نقاس بن مرنئوس وانهدم البربا في زمنه فلم يقدر أحد على اصلاحه ثم توفي نقاس واستخلف ابنه قوميس بن نقاس فملكهم دهرا وحاربه بخت نصر وقتله وخرب مدينة منف وغيرها من المدائن وسب أهمل مصر ولم يترك بها أحدا حتى بقيت أرض مصر أربعين سنة خرابا ليس فيها ساكن * وذكر في ترجمة كتاب هرويش الاندلسي في وصف الدول والحروب أن فيما بين غرق فرعون موسي الى مائة وسبع سنين كان بمصر ملك يسمى نوشردس كان يقتل الغرباء والاضياف ويذبحهم لاوثانته ويجعل دماءهم قربانا لها وأن بعد غرق فرعون الى ثلثمائة وثمان وعشرين سنة كان بمصر ملك يسمى بروب و كان عظيم المملكة قوي السلطان أخذ بالحرب أكثر نواحي الجنوب برأ وبحرا وهو أول من حارب الروم الذين قيل لهم بعد ذلك الغوط وكان قد أرسل اليهم يدعوهم الى طاعته ويخوفهم حربه فأجابوه ليس من الرأي المحمود للملك الفنى محاربة قوم فقراء لكثرة نوازل الحروب واختلاف حوادثها بالظفر والهلاك وانا لا نتظر مجيئك بل نسرع لغارتك وأتبعوا قولهم عملا وخرج فرعون اليهم فخرجوا مسرعين اليه وهزموا حيوشه ونهبوا عساكره وأمواله وعدده وجميع ذخائره ومضوا فنهبوا أرض مصر حتى كادوا يغلبن عليها لولا وحول عرضت لهم منعته مما خلفها ثم انصرفوا الى بلاد الشام بحروب متصلة حتى أذلوا أهلها وجعلوهم يؤدون اليهم المغارم وأقاموا محاربين لمن خلفهم في غزوتهم خمس عشرة سنة ولم ينصرفوا الى بلادهم حتى أتهم من نساءهم من يقبلن لهم اما أن تنصرفوا واما أن نخذ الأزواج ونطلب النسل من عند الجاورين لنا فعند ذلك انصرفوا الى بلادهم وقد امتلأت أيديهم أموالا وأوقارا حمة وقد خلفوا وراءهم ذكرا مفزعا ويقال ان ملوك مدين ملكوا مصر خمسمائة عام بعد غرق فرعون وهلاك دلوكة حتى أخرجهم منها نبي الله سليمان بن داود فعاد الملك بعدهم الى القبط وان جالوت ابن بلوت لما قتله داود سار ابنه جالوت بن جالوت الى مصر وبها ملوك مدين فأزله ملك مصر بالجانب الغربى فأقام بها مدة ثم سار الى بلاد الغرب ويقال ان القبط ملكوا مصر بعد دلوكة وابنها مدة ستمائة سنة وعشرين سنة وعدتهم سبعة وعشرون ملكا هم ديوسقوليطا ومدته ثمان وسبعون سنة وقيل ثمان وثمانون سنة ثم ملك بعده سمانادوس ستا وعشرين سنة وقام بعده سوماناس مدة مائة سنة ثم ملك مقخراس أربع سنين ثم ملك أماناقوناس تسع سنين ثم أسحوريس ست سنين ثم فسيناخس تسع سنين ثم فسوسانس خمسا وثلاثين سنة ثم ملك سسوناخوسيس احدى وعشرين سنة ثم ملك أساليون خمس عشرة سنة ثم طافالوينس ثلاث عشرة سنة ثم نطافاناسطلس خمسا وعشرين سنة ثم اساراثون تسع سنين

ثم ملك فسامرس عشر سنين ثم اوفائينواس أربعاً وأربعين سنة ثم ساياقورثني عشرة سنة
ثم سخس الحبشي ثني عشرة سنة ثم طراحوش الحبشي عشرين سنة ثم امراس الحبشي
ثني عشرة سنة ثم استطافيناس سبع سنين ثم باخفاسوس ست سنين ثم ياخو ثمان سنين
ثم فسامامطيقوش أربعاً وأربعين سنة ثم بخنوقاست سنين ثم فسامرتاس سبع عشرة سنة
ثم وافر س خمساً وعشرين سنة ثم اماسلس اثنتين وأربعين سنة * وملك بعد هؤلاء مصر
خمس مملوك من ملوك بابل وهم امرطيوش ست سنين ثم مافرطاس سبع سنين ثم اوخرس
اثني عشرة سنة ثم فساموت مدة سنتين ثم ملك موتاطوس سبع سنين * ثم ملك ثلاثة
ملوك من أنور وهم الجرامقة الذين ملكوا الموصل والجزيرة وهم نافاطانبوش ثلاث
عشرة سنة ثم طوس سبع سنين ثم نافاطايناس ثمان عشرة سنة * ثم انتقل ملك مصر
منهم الى الاسكندر بن فيلبش اليوناني وهذه أسماء رومية ولعلها أو بعضها متداخل فيما
تقدم ذكره عن ملك بعد دلوكة وبين بخت نصر وبين الطوفان ألفاً سنة وثمانمائة وست
وخمسون سنة وأشهر ويجمع من حساب ما وقع في التوراة أن بين الطوفان وبين خراب
بيت المقدس على يد بخت نصر من السنين ألفاً وستمائة وأربعاً وثمانين سنة وهذا خلاف
ما نقله المسعودي والله تعالى أعلم بالصواب

ذكر مدينة الاسكندرية

هذه المدينة من أعظم مدائن الدنيا وأقدمها وضما وقد بنيت غير مرة فأول ما بنيت
بعد كون الطوفان في زمان مصر ايم بن بيصر بن نوح وكان يقال لها اذ ذلك مدينة رقودة
ثم بنيت بعد ذلك مرتين فلما كان في أيام اليونانيين جدها الاسكندر بن فيلبش المقدوني
الذي قهر دارا وملك ممالك الفرس بعد تخريب بخت نصر مدينة منف بمائة وعشرين سنة
شمسية فعرفت به ومنذ جدها الاسكندر المذكور انتقل تحت المملكة من مدينة منف
الى الاسكندرية فصارت دار المملكة بديار مصر ولم تزل على ذلك حتى ظهر دين الاسلام
وقدم عمرو بن العاص بجيوش المسلمين وفتح الحصن والاسكندرية وصارت ديار مصر أرض
اسلام فانتقل تحت الملك حينئذ من الاسكندرية الى فسطاط مصر وصار الفسطاط من بعد
الاسكندرية دار مملكة ديار مصر * وسأقص عليك من أخبار الاسكندرية ما وصل اليه
غلامي ان شاء الله تعالى * (ذكر) أبو الحسن المسعودي في كتاب أخبار الزمان أن الكوكبة
وهي أمة في غابر الدهر من أهل ايلة ملكوا الارض وقسموها على ثلاثين كورة وأربعة
أقسام كل قسم عمل وبنوا في كل عمل مدينة بها ملك يجلس على منبر من ذهب وله براب
وهي بيت الحكمة وله هيكل على اسم كوكب فيه أصنام من ذهب وجعلوا الاسكندرية
واسمها رقودة خمس عشرة كورة وجعلوا فيها كبار الكهنة ونصبوا في هياكلها من أصنام

الذهب أكثر مما نصبوا في غيرها فكان ما بها مائتا صنم من ذهب وقسموا الصعيد ثمانين كورة على أربعة أقسام وثلاثين مدينة فيها جميع العجائب * وذكر بطليموس في كتاب الاقاليم ووصف الجزائر والبحار والمدن أن مدينة الاسكندرية لبرج الاسد ودليلها المريح وساعاتها أربع عشرة ساعة وطولها ستون درجة ونصف درجة يكون ذلك أربع ساعات مستوية وثلاث عشر ساعة * وقال ابن وصيف شاه في ذكر أخبار مصر ابراهيم بن بصر ابن نوح وعلمهم ايضا عمل الطلسمات وكانت تخرج من البحر دواب تفسد زرعهم وحبانهم وبنيانهم فعملوا لها الطلسمات فغابت ولم تعد وبنوا على غير البحر مدنا منها مدينة رقودة مكان الاسكندرية وجعلوا في وسطها قبة على اساطين من نحاس مذهب والقبة مذهبية ونصبوا فوقها مرآة من اخلاط شتى قطرها خمسة اشبار وارتفاع القبة مائة ذراع فكانوا اذا قصدهم قاصد من الائم التي حولهم فان كان عما يهمهم وكان من البحر عملوا لتلك المرأة عملا فألقت شعاعها على ذلك الشيء فأحرقته فلم تزل الى ان غلب البحر عليها ويقال ان الاسكندر انما عمل المنارة تشبيها بها وكان عليها ايضا مرآة يري فيها من يقصدهم من بلاد الروم فاحتال عليهم بعض ملوكهم ووجه اليها من ازاها وكانت من زجاج مدبر قال وذكر بعض القبط ان رجلا من بني الكهنة الذين قتلهم ايساد ملك مصر صار الى ملك كان في بلاد الافرنجة فذكر له كثرة كنوز مصر وعجائبيها وضمن له ان يوصله الى ملكها واموالها ويرفع عنه اذى طلسماتها حتى يبلغ جميع ما يريد فلما اتصل بصا بن مرقونس اخي ايساد وهو ملك مصر يومئذ ان صاحب بلاد الافرنجة يتجهز اليه عسدا الى جبل بين البحر الملح وشرقي النيل فأصعد اليه اكثر كنوزه وبنى عليها قبابا مصفحة بالرصاص وظهر صاحب بلاد الافرنجة في الف مركب فكان لا يمر بشيء من اعلام مصر ومنازلها الا هدمه وكسر الاصنام بمعونة ذلك السكاهن حتى اتى الاسكندرية الاولى فعات فيها وفيما حولها وهدم اكثر معالمها الى ان دخل النيل من ناحية رشيد وصعد الى منف واهل النواحي بحاربونه وهو ينهب ما مر به ويقتل ما قدر عليه الى ان طلب المدائن الداخلة لاختد كنوزها فوجدوها ممتعة بالطلسمات الشداد والمياه العميقة والخنادق والشداخات فأقام عليها أياما كثيرة فلم يتمكن الوصول اليها وغضب على السكاهن فقتله من أجل أن جماعة من أصحابه هلكوا فاجتمع أهل النواحي وقتلوا من أصحابه الذين بالمرابك خلقا وأحرقوا بعض المراكب وقام أهل مصر يسجرهم وتهاويلهم فأتت رياح أغرقت أكثر مراكبه حتى نجا بنفسه وقد خرج فماد الناس الى منازلهم وقراهم ورجع الملك صا الى مدينة منف وأقام بها وتجهز لغزو بلدان الروم وبعث اليها وخرب الجزائر فهابته الملوك وتبع الكهنة فقتل منهم خلقا كثيرا وأقام ملكا سبعا وستين سنة ومات وعمره مائة وسبعون سنة ودفن بمنف

في وسطها تحت الارض ومعه الاموال والجواهر والتماثيل والطلسمات كما فعل آباؤه منها أربعة آلاف مثقال ذهباً على صور حيوانات برية وبحرية وتمثال عقاب من حجر أخضر وتمثال تسين من ذهب وزبروا عليها اسمه وغلبته الملوك وسيرته وعهد الى ابنه تدراس قال ولما جلست جورياق ابنة طوطيس أول فراغة مصر وهو فرعون ابراهيم الخليل عليه السلام على سرير الملك بعد قتلها لأبيها وعدت الناس بالاحسان وأخذت في جمع الاموال فاجتمع لها مالم يجتمع لملك وقدمت السكينة وأهل الحكمة ورؤساء السحرة ورفعت أقدارهم وأمرت بتجديد الهياكل وصار من لم يرخصها الى مدينة أتريب وملكوا عليهم رجلا من ولد أتريب يقال له أيداخس فعقد على رأسه تاجا واجتمع اليه جماعة فأنفذت اليه جيشا فهزموه وقتلوا أكثر أصحابه فهرب الى الشام وبها الكنعانيون فاستعانت بملكهم فجهزه بجيش عظيم ففتحت جورياق الخزائن وفرقت الاموال وقوت السحرة فعملوا أعمالهم وتقدم أيداخس بجيوش الكنعانيين وعليها قائد منهم يقال له جيرون فلما نزلوا أرض مصر بعثت ظئراها من عقلاء النساء الى القائد سرا عن ايداخس تعرفه رغبها في تزوجه وانما لا تختار أحدا من أهل بيتها وأنه ان قتل ايداخس تزوجت به وسلمته ملك مصر ففرح بذلك وسم ايداخس بسم أنفذته اليه فقتله وبعث اليه بعد قتل ايداخس أنه لا يجوز أن تزوجك حتى يظهر قومك في بلدى وتبنى لي مدينة محمية وكان اقتنارهم حينئذ بالبنيان واقامة الاعلام وعمل العجائب وقالت انتقل من موضعك الى غربي بلدى فم آثار لنا كثيرة فاقتف تلك الاعمال وابن عليها ففعل وبني مدينة في صحراء الغرب يقال لها قيدومة وأجرى اليها من النيل نهرا وغرس حولها غروسا كثيرة وأقام بها منارا عاليا فوقه منظر مصفح بالذهب والفضة والزجاج والرخام وهي تمد بالاموال وتكاتب صاحبه عنه وتهاديه وهو لا يعلم فلما فرغ منها قالت له ان لنا مدينة أخرى حصينة كانت لاوائلنا وقد خربت منها أمكنة وتسعت حصنها فامض اليها واعمل في اصلاحها حتى أنتقل انا الى هذه المدينة التي بنيتها فاذا فرغت من اصلاح تلك المدينة فأنفذ الى جيشك حتى اصير اليك وابعد عن مدينتي واهل بيتي فاني أكره أن تدخل على بالقرب منهم فضى وجد في عمل الاسكندرية الثانية * واهل التاريخ يذكرون ان الذي قصدها الوليد بن دوعم العمليقي ثاني الفراغة وكان سبب قصدها أنه كان به غلة فوجه الى الاقطار ليحمل اليه من مائها حتى يرى مايلأه فوجه الى مملكة مصر غلاما فوقف على كثرة خيراتها وحمل اليه من مائها والطافها وعاد اليه ففرقه حال مصر فسار اليها في جيش كثيف وكاتب الملك يخطبها لنفسه فأجابته وشرطت عليه ان يبني لها مدينة يظهر فيها ايده وقوته ويجعلها لها نهرا فأجابها وشق مصر الى ناحية الغرب فبعثت اليه اصناف الرياحين والفواكه وخلقت وجوه الدواب فضى الى الاسكندرية وقد خربت بعد خروج

العادية منها فقل ما كان من حجارتها ومعالمها وعمدها ووضع اساس مدينة عظيمة وبعث اليها مائة الف فاعل وأقام في بنائها مدة وأنفق جميع ما كان معه من المال وكلما بني شيئاً أخرج من البحر دواب فتقلعه فاذا أصبح لم يجد من البناء شيئاً فاهتم لذلك وكانت جورياق قد أنفذت اليه الف رأس من المعز اللبون يستعمل البناها في مطبخه وكانت مع راع تثق به يرعاها هنالك فكان اذا اراد ان ينصرف عند المساء خرجت اليه من البحر جارية حسناء فتتوق نفسه اليها فاذا كلها شرطت عليه ان تصارعه فان صرعا كانت له وان صرعه اخذت من المعز رأسين فكانت طول الايام تصرعه وتأخذ الغنم حتي اخذت اكثر من نصفها وتغير باقيها لشغله بحب الجارية عن رعيها ونحل جسمه فرب به صاحبه وسأله عن حاله فأخبره الخبر خوفاً من سطوته فلبس ثياب الراعي وتولى رعى الغنم يومه الى المساء فخرجت اليه الجارية وشرطت عليه الشرط فأجابها وصارعا فصرعا وشدها فقالت ان كان ولا بد من اخذى فسلمنى لصاحبي الاول فانه الظف بي وقد عذبتة مدة فردها اليه وقال له سألها عن هذا البنيان الذي نبنيه ويزال من لباته من يفعل ذلك وهل في ثباته من حيلة فسألها الراعي عن ذلك فقالت ان دواب البحر التي تنزع بنيانكم فقال فهل من حيلة قالت نعم تعملون توايت من زجاج كثيف بأغطية وتعملون فيها اقواما يحسنون التصوير ويكون معهم صحف وانقش وزاد يكفيهم اياما وتحمل التوايت في المراكب بعد ما تشد بالجبال فاذا توسطوا الماء امروا المصورين أن يصوروا جميع ما يمر بهم ثم ترفع تلك التوايت فاذا وقفت على تلك الصور فاعملوا لها اشباها من صفر أو حجارة أو رصاص وانصبوها قدام البنيان الذي تبنيه من جانب البحر فان تلك الدواب اذا خرجت ورأت صورها هربت ولم تعد ففرف الراعي صاحبه ذلك ففعله وتم البنيان ونى المدينة * وقال قوم ان صاحب البناء والغنم هو جيرون كان قصدهم قبل الوليد وانما اتاهم الوليد بعد جورياق وقهرهم وملك مصر * وذكروا ان الاموال التي كانت مع جيرون فقدت كلها في تلك المدينة ولم تتم فأمر الراعي ان يخبر الجارية فقالت ان في المدينة التي خربت ملعبا مستديرا حوله سبعة عمد على رؤسها تماثيل من صفر قيام ففرب لكل تماثيل منها ثورا سمينا ولطح العمود الذي تحته من دم الثور وبخره بشعر من ذنبه وشئ من نخاعة قروونه وأظلافه وقل له هذا قربانك فأطلق لي ما عندك ثم قس من كل عمود الى الجهة التي يتوجه اليها وجه التماثيل مائة ذراع واحفر عند امتلاء القمر واستقامة زحل فانك تنتهي بعد خمسين ذراعا الى بلاطة عظيمة فلطحها بمرارة الثور وأقلها فانك تنزل الى سرب طوله خمسون ذراعا في آخره خزانة مقفلة ومفتاح القفل تحت عتبة الباب نخذه ولطح الباب ببقية المرارة ودم الثور وبخره بنخاعة قروونه وأظلافه وشعر ذنبه وادخل فانه يستقبلك صنم في عنقه لوح من صفر مكتوب فيه جميع ما في الخزانة فخذ ماشئت ولا تعترض

ميتا تجده ولا ماعليه وكذلك كل عمود وتمثاله فانك تجد مثل تلك الخزانة وهذه نواويس
 سبعة من الملوك وكنوزهم فلما سمع ذلك سر به وامثله فوجد مالا يدرك وصفه ووجد
 من العجائب شيئا كثيرا قم بناء المدينة وبلغ ذلك جورياق فساءها وكانت قد أرادت اتباعه
 وهلاكه بالحيلة ويقال انه وجد فيها وجد درجا من ذهب محتوما فيه مكحلة زبرجد فيها
 ذرور أخضر ومها عرق أحمر من اكتحل من ذلك الذرور بالعرق وكان أشيب عاد
 شابا واسود شعره وأضاء بصره حتى يدرك الروحانيين ووجد تمثالا من ذهب اذا ظهر
 غيمت السماء وأمطرت ومثال غراب من حجر اذا سئل عن شيء صوت وأجاب عنه ووجد
 في كل خزانة عشر أعجوبات * فلما فرغ من بناء المدينة وجه الى جورياق يحثها على القوم
 اليه فحملت اليه فرشا فاخرا ليبسطه في المجلس الذي يجلس فيه وقالت له اقسم حيشك أننا
 فأنفذ الى ثلثه حتى اذا بلغت ثلث الطريق فأنفذ الثلث الآخر فاذا جرت نصف الطريق
 فأنفذ الثلث الباقي ليكونوا من ورأيي لثلاثي واحد اذا دخلت عليك ولا يكون عندك
 الا صبية تثق بهم يخدومونك فاني أوافيك في جوار تكفيك الخدمة ولا احتشمهن ففعل
 وأقامت تحمل الجهاز اليه والاموال حتى علم بمسيرها فوجه اليها ثلث جيشه فعملت لهم الاطعمة
 والاشربة المسمومة وأنزلهم جواربها وحشموها وقدموا اليهم الاطعمة والاشربة والطيب وأنواع
 اللهو فلم يصبح منهم أحد حيا وسارت فلقبها الثلث الآخر ففعلت به مثل ذلك وهي توجه
 اليه انها أنفذت جيشه الى قصرها وتملكتها يحفظونها وسارت حتى دخلت عليه هي وظئرها
 وجواربها فنفتخت ظئرها في وجهه نفخة بهت اليها ورشت عليه ما كان معها فارتعدت أعضاؤه
 وقال من ظن أنه يغلب النساء فقد كذبت نفسه وغلبته النساء ثم انها قصدت عروقه وقالت
 دماء الملوك شفاء وأخذت رأسه ووجهت به الى قصرها وانصبته عليه وحولت تلك الاموال
 الى مدينة منف وبنت منارا بالاسكندرية وزبرت عليه اسمها واسمه وما فعلت به وتاريخ
 الوقت فلما بلغ خبرها الملوك هايبوها وأطاعوها وهادوها وعملت بمصر عجائب كثيرة وبنت
 على حد مصر من ناحية الثوبة حصنا وقطرة يجرى ماء النيل من تحتها واعتلت فقلدت ابنة
 عمها زلني بنت مأمون وماتت * وقال ابن جر داويه روى أن الاسكندرية بنيت في ثلثمائة
 سنة وأن اهلها مكثوا سبعين سنة لا يمشون فيها بالنهار الا بحرق سود مخافة على أبصارهم من
 شدة بياض حيطانها ومنارتها العجيبة على سرطان زجاج في البحر وانه كان فيها سوى
 أهلها ستمائة ألف من اليهود خول لاهلها * وقال ابن وصيف شاه وكانت العمارة ممتدة في
 ومال رشيد والاسكندرية الى برقة فكان الرجل يسير في أرض مصر فلا يحتاج الى زاد
 لكثرة الفواكه والخيرات ولا يسير الا في ظلال تستره من حر الشمس وعمل الملك صا بن
 قبطيم في تلك الصحارى قصورا وغرس فيها غروسا وساق اليها من النيل أنهارا فكان يسلك من

الجانب الغربي الى حد الغرب في عمارة متصلة فلما انقضى أولئك القوم بقيت آثارهم في
 تلك الصحارى وخربت تلك المنازل وباد أهلها ولا يزال من دخل تلك الصحارى
 يحكي ما رآه فيها من الآثار والمعجائب * وقال ابن عبد الحكم وكان الذى بنى الاسكندرية
 وأسس بناءها ذو القرنين الرومى واسمه الاسكندر وبه سميت الاسكندرية وهو أول
 من عمل الوشى وكان أبوه أول القياصرة وقيل انه رجل من اهل مصر اسمه مرزبان
 مرزبه اليوناني من ولد يونان بن يافث بن نوح صلى الله عليه وسلم وقيل كان من أهل لوبية
 كورة من كور مصر الغربية وقال ابن الهيثم وأهلها روم ويقال هو رجل من حمير قال تبع
 قد كان ذو القرنين جدي مسلما * ملكا تدين له الملوك بمحشد
 بلغ للغارب والمشارق يبتنى * أسباب علم من حكيم مرشد
 فرأى مغيب الشمس عند غروبها * فى عين ذى خلب وثناط حرمه
 ويروى قد كان ذو القرنين قبلى مسلما وحدثني عثمان بن صالح حدثني عبد الله بن
 وهب عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن سعد بن مسعود التميمي عن شيخين من قومه
 قالا كنا بالاسكندرية فاستطنا يوما فقلنا لو انطلقنا الى عقبة بن عامر تحدث عنده فانطلقنا
 اليه فوجدناه جالسا فى داره فأخبرناه انا استطنا يوما فقال وأنا مثل ذلك انما خرجت حين
 استطنته ثم أقبل علينا فقال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذته فاذا أنا
 برجال من أهل الكتاب معهم مصاحف أو كتب فقالوا استأذن لنا على رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فانصرفت اليه فأخبرته بمكانهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالى ولهم
 يسألوني عما لا أدري انما أنا عبد لا أعلم الا ما علمني ربي ثم قال ابغني وضوا فتوضأ ثم قام
 الى مسجد بيته فركع ركعتين فلم ينصرف حتى عرفت السرور فى وجهه والبشرى انصرف
 فقال أدخلهم ومن وجدت بالباب من أصحابي فأدخله قال فأدخلهم فلما وقفوا الى رسول
 الله صلى الله عليه وسلم قال لهم ان شئتم أخبركم عما أردتم أن تسألوني قبل أن تسألوا
 وان أحببتكم تكلمتم وأخبرتكم قالوا بلى أخبرنا قبل أن تسألوا قال أحببتكم أن تسألوني عن
 ذى القرنين وسأخبركم عما تجدونه مكتوبا عندكم أن أول امره أنه غلام من الروم أعطى
 ملكا فصار حتى أتى ساحل البحر من أرض مصر فابتنى عنده مدينة يقال لها الاسكندرية
 فلما فرغ من بنائها أتاه ملك فعرج به حتى استقله فرفعه فقال انظر ما تحنك فقال أرى
 مدينتى وأرى مدائن معها ثم عرج به فقال انظر فقال قد اختلطت مدينتى مع المدائن فلا أعرفها
 ثم زاد فقال انظر فقال أرى مدينتى وحدها ولا أرى غيرها قال له الملك انما تلك الارض
 كلها والذى ترى يحيط بها هو البحر وانما أراد ربك أن يريك الارض وقد جعل لك سلطانا
 فيها سوف يعلم الجاهل ويثبت العالم فسار حتى بلغ مغرب الشمس ثم سار حتى بلغ مطلع

الشمس ثم أتى السدين وها جبلان لينان يزلق عنهما كل شيء فبنى السد ثم جاز يأجوج ومأجوج فوجد قوما وجوههم وجوه الكلاب يقاتلون يأجوج ومأجوج ثم قطعهم فوجد أمة قصارا يقاتلون القوم الذين وجوههم وجوه الكلاب ووجد أمة من الغرائق يقاتلون القوم القصار ثم مضى فوجد أمة من الحيات تلتهم الحية منها الصخرة العظيمة ثم أفضى إلى البحر المدير بالارض فقالوا نشهد أن امره هكذا كما ذكرت وأنا نجد هكذا في كتابنا * وعن خالد بن معدان السكلاعي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذي القرنين فقال ملك مسح الارض من تحتها بالاسباب قال خالد وسمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلا يقول يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا أمارضيتم أن تسموا بالانبياء حتى تسميتم بالملائكة وقال قتادة عن الحسن كان ذو القرنين ملكا وكان رجلا صالحا قال وأما سمي ذا القرنين لان عليا رضى الله عنه سئل عن ذي القرنين فقال لم يكن ملكا ولا نبيا ولكن كان عبدا صالحا أحب الله فأحبه الله ونصح الله فنصحه الله بعنه الله عز وجل إلى قومه فضربوه على قرنيه فمات فسمى ذا القرنين ويقال انما سمي ذا القرنين لانه جاوز قرني الشمس من المغرب والمشرق ويقال انما سمي ذا القرنين لانه كان له غديرتان من شعر رأسه يطافيهما وقيل بل كان له قرنان صغيران تواريهما العمامة * وعن ابن شهاب انما سمي ذا القرنين لانه بلغ قرن الشمس من مغربها وقرن الشمس من مشرقها * وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال كان أول شان الاسكندرية أن فرعون اتخذ بها مصانع ومجالس وكان أول من عمرها وبني فيها فلم تزل على بنائه ومصانعه ثم تداولها ملوك مصر بعده فبنت دلوكة بنت زبا منارة الاسكندرية ومنارة بوقير بعد فرعون فلما ظهر سليمان بن داود عليهما السلام على الارض اتخذ بها مجلسا وبني فيها مسجدا ثم ان ذا القرنين ملكها فهدم ما كان من بناء الملوك والفراغة وغيرهم الابناء سليمان لم يهدمه ولم يغيره وأصلح ما كان رث منه وأقر المنارة على حالها ثم بنى الاسكندرية من أولها بناء يشبه بعضه بعضا ثم تداولها الملوك بعده من الروم وغيرهم ليس من ملك الا يكون له بها بناء يضعه بالاسكندرية يعرف به وينسب اليه * قال ابن هليمة وبلغني أنه وجد بالاسكندرية حجر مكتوب فيه أنا شداد بن عاد وأنا الذي نصب العماد وحيد الاحياء وشد بذراعه الواد بنيتن اذلا شيب ولا موت واذا الحجارة في الابن مثل الطين وفي رواية وكنت في البحر كنزا على اثني عشر ذراعا لن يخرجني أحد حتى تخرجه أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن هليمة والاحياء كالمغار وقال أبو علي القالي في كتاب الامالي وأنشد ابن الاعرابي وغيره

تسألني عن السنين كم لي * فقلت لو عمرت عمر الحسل * أو عمر نوح زمن الفطحل
لو أنني أوتيت علم الحسل * وعشت دهرًا من الفطحل * لكنت رهن هرم أو قتل

وفي رواية علم سليمان كلام النمل * أيام كان الصخر مثل الوحل
وقال آخر زمن الفطحل اذ السلام رطاب * وعندهم ان زمن الفطحل زمان كان بعد
الطوفان عظم فيه الخصب وحسنت أحوال اهله وقال بعضهم زمن الفطحل زمن لم يخلف بعد
وقوله علم الحسكل الحسكل مالا يسمع صوته من الحيوان وهذا الرجز لروبة بن العجاج بن
روبة بن لييد بن صخر بن كئيف بن حي بن بكر بن ربيعة بن سعد بن مالك بن زيد
مناة بن تميم وذلك أنه ورد ماء لمكل فرأى فتاة فأعجبته فخطبها فقالت أرى سنأهل من
مال قال نعم قطعة من ابل قالت فهل من ورق قال لا قالت يا آل عكل اكبرا وامعارا فقال روبة
لما ازدرت قدرى وقالت ايلي * تألفت واتصلت بعكل * حظي وهزت رأسها تستبلى
نسأني عن السنين كم لي * فقلت لو عمرت عمر الحسل * أو عمر نوح زمن الفطحل
والصخر مبتل كطين الوحل

وفي رواية لو انني أوتيت علم الحسكل * علم سليمان كلام النمل
وسألت أبا بكر بن دريد عن زمن الفطحل فقال تزعم العرب أنه زمان كانت فيه
الحجارة رطبة * قال ابن عبد الحكم ويقال ان الذي بني الاسكندرية شداد بن عاد والله
أعلم * وكانت الاسكندرية ثلاث مدن بعضها الى جنب بعض منيعة وهي موضع المنارة وما
والاها والاسكندرية وهي موضع قصبه الاسكندرية اليوم ونقيطة وكان على كل واحدة
منهن سور وسور من خلف ذلك على الثلاث مدن يحيط بهن جميعا وقيل كان على الاسكندرية
سبعة حصون منيعة وسبعة خنادق قال وان ذا القرنين لما بنى الاسكندرية رخمها بالرخام
الابيض جدرانها وأرضها فكان لباسهم فيها السواد والحمرة فمن قبل ذلك لبس الرهبان السواد
من نصوص بياض الرخام ولم يكونوا يسرجون فيها بالليل من بياض الرخام واذا كان القمر
أدخل الرجل الذي يخطط بالليل في ضوء القمر مع بياض الرخام الخيط في ثقب الابرة ويقال
بنيت الاسكندرية في ثلثائة سنة وسكنت ثلثائة سنة وخربت ثلثائة سنة ولقد مكثت سبعين
سنة ما يدخلها أحد الا على بصره خرقة سوداء من بياض حبها وبلاطها ولقد مكثت سبعين
سنة ما يستسرج فيها قال وكانت الاسكندرية بيضاء تضي بالليل والنهار وكانوا اذا غربت
الشمس لم يخرج أحد من بيته ومن خرج اختطف وكان منهم راع يرعى على شاطئ البحر
فكان يخرج من البحر شيء فيأخذ من غنمه فيكمن له الراعي في موضع حتي خرج فاذا
جارية قد نفشت شعرها وما نفته عن نفسها فقوي عليها فذهب بها الى منزله فأنسب به فأنهم
لا يخرجون بعد غروب الشمس فسألتهم فقالوا من خرج منا اختطف فبيأت لهم الطلسمات
فمكثت أول من وضع الطلسمات بمصر في الاسكندرية وقيل كان الرخام قد سخر لهم حتي
يكون من بكرة النهار كالمعجين فاذا انتصف النهار اشتد * وقال المسعودي ذكر جماعة

من أهل العلم أن الاسكندر المقدوني لما استقام ملكه في بلاده وسار حتى يختار أرضاً صحيحة
الهواء والتربة والماء حتى انتهى الى موضع الاسكندرية فأصاب فيها اثربيان وعمدا كثيرة
من الرخام وفي وسطها عمود عظيم عليه مكتوب بالقلم المسند وهو القلم الاول من أقلام
حمير وملوك عاد أناشدا بن عاد شددت بساعدى الواد وقطعت عظم العماد وشواخ الجبال
والاطواد وبنت ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وأردت أن أبني هنا مدينة
كأرم وأنقل اليها كل ذى قدم وكرم من جميع العشار والام وذلك اذ لا خوف
ولا هرم ولا اهتمام ولا سقم فاصابني ما أعجاني وعماد أردت قطعتي ومع وقوعه طال
همي وشجتي وقيل نومي وسكنى فارحلت بالامس عن دارى لا لهرم ملك جبار ولا
لخوف جيش جرار ولا عن رغبة ولا عن صغار ولكن لتسام المقدار وانقطاع الآثار
وساطان العزيز الجبار فن رأى أثرى وعرف خبرى وطول عمرى ونفاد بصرى وشدة
حذرى فلا يغتر بالدنيا بعدى فانها غرارة غداوة تأخذ منه ما تعطي وتسترجع منه ما تؤتي
وكلام كثير يرى فناء الدنيا ويمنع من الاعتزاز بها والسكون اليها * فنزل الاسكندر مفكرا
يتدبر هذا الكلام ويعتبره ثم بعث يبحر الصناع من البلاد وخط الاساس وجعل طولها
وعرضها أميالاً وجمع اليها العمود والرخام وأتته المراكب فيها أنواع الرخام وأنواع الزمرر
والاحجار من جزيرة صقلية وبلاد أفريقية وأتريطش وأقاصي بحر الروم مما يلي مصبه
بحر اقيانوس وحمل اليه أيضاً من جزيرة رودس وأمر القعلة والصناع أن يدوروا بما رسم
لهم من أساس سور المدينة وجعل على كل قطعة من الارض خشبة قائمة وجعل من الخشبة
الى الخشبة جبلاً منوطة بعضها ببعض وأوصل جميع ذلك بعمود من الرخام وكان أمام
مضربه وعاق على العمود جرساً عظيماً مصوتاً وأمر الناس والقوام على البنائين والفعلة
والصناع انهم اذا سمعوا صوت ذلك الجرس وتحركت الجبال وقد علق على كل قطعة منها
جرساً صغيراً حرصوا على أن يضعوا أساس المدينة دفعة واحدة من سائر أقطارها وأحب
الاسكندر أن يجعل ذلك في وقت يختاره وطالع سعد فحرك الاسكندر رأسه وأخذته نفسه
في حال ارتقابه الوقت الحمود فجاء غراب مجلس على جبل الجرس الكبير الذى فوق
العمود فخره وخرج صوت الجرس وتحركت الجبال وخفق ما عليها من الاجراس الصغار
وكان ذلك معمولاً بحركات هندسية وحيل حكيمه فلما رأى الصناع تلك الجبال قد تحركت
وسمعوا الاصوات وضعوا الاساس دفعة واحدة وارتفع الضجيج بالتحميم والتقديس
فاستيقظ الاسكندر من رقدته وسأل عن الخبر فأخبر بذلك فاعجب وقال أردت أمراً وأراد
الله غيره ويأتي الله الا ما يريد أردت طول بقائها وأراد الله سرعة فنائها وخرابها وتداول
الملوك اياها وان الاسكندر لما أحكم بناءها وثبت أساسها وجن الليل عليهم خرجت دواب

البحر ثأنت على جميع البنيان فقال الاسكندر حين أصبح هذا بدوا الخراب في غارتها
وتحقق مراد الباري سبحانه من زوالها فتطير من فعل الدواب فلم تزل البناء في كل يوم
تبنى وتحكم ويوكل من يمنع الدواب اذا خرجت من البحر فيصبحون وقد خرجت وخربت
البنيان فقلق الاسكندر لذلك وراعه ما رأى من البحر فأقبل يفكر ما الذى يصنع وأى
حيلة تنفع فى ذلك حتى تدفع الاذية عن المدينة فسئحت له الحيلة عند خلوه بنفسه وإيراده
الامور واصدارها فلما أصبح دعا الصناع فالتخذوا له تابوتا من الخشب طوله عشرة أذرع
فى عرض خمسة أذرع وجملت فيه جامات من الزجاج قد أحاط بها خشب التابوت باستدارتها
وقد أمسك ذلك بالقار والزفت وغيره من الاطلية الدافعة للماء حذرا من دخول الماء الى التابوت
وقد جعل فيها مواضع للجبال ودخل الاسكندر فى التابوت ورجلان من كتابه من له علم
باتقان التصوير وأمر أن تسد عليه الابواب وأن تطلى بما ذكرنا من الاطلية وأمر مكرمين
عظيمين فأخرجوا الى لجة البحر وعلق فى التابوت من أسفله مثقلات الرصاص والحديد
والحجارة تهوى بالتابوت سسفلا وجعل التابوت بين المركبين وأصقهما بخشب بينهما لتسلا
يقترقا وشدد جبال التابوت الى المركبين وطول حباله فغاص التابوت حتى انتهى الى قرار
البحر فظنوا الى دواب البحر وحيوانه من ذلك الزجاج الشفاف فى صفاء ماء البحر فاذا
بصور الشياطين على مثال الناس وفيهم من له مثل رؤس السباع وفي أيديهم القوس مع
بعضهم وفي أيدي بعضهم المناشير والمقارع يحكون بذلك صناع المدينة والفعلة وما فى أيديهم
من آلات البناء فأثبت الاسكندر ومن معه تلك الصور وحكوها بالتصوير فى القراطيس
على اختلاف أنواعها وتشوه خلقها وقودوها ثم حرك الجبال فلما أحس بذلك من فى
المركبين جذبوا الجبال وأخرجوا التابوت فخرج الاسكندر وأمر صناع الحديد والنحاس
والحجارة فعملوا تماثيل تلك الدواب على ما صور فلما فرغوا منها وضعت على العمدة بشاطي
البحر ثم أمرهم فبنوا فلما جن الليل ظهرت الدواب والآفات من البحر فنظرت الى
صورها على العمدة مقابلة الى البحر فرجعت ولم تعد بعد ذلك فبذت الاسكندرية وشيدت
وأمر الاسكندر أن يكتب على أبوابها هذه الاسكندرية أردت أن أبنيها على الفلاج والنجاح
واليمن والسعادة والسرور وأثبتت فى الدهور ولم يرد اليارى عز وجل ملك السموات والارض
ومضى الامم أن يثبتها كذلك فبذتها وأحكمت بنيانها وشيدت سمورها وآتاني الله عز وجل
من كل شئ علما وحكمة وسهل لى وجوه الاسباب فلم يتعذر على فى العالم شئ مما أردته
ولا امتنع غنى شئ مما طلبته لطفاً من الله عز وجل وصنعاً لى وصلاحا لعباده من أهل
عصرى والحمد لله رب العالمين لا اله الا هو رب كل شئ ورسم بعد هذه الكتابة كل ما
يحدث ببلده من الاحداث بعده فى مستقبل الزمان من الآفات والعيوان والخراب وما

يؤول امرها اليه الى وقت تدور العالم * (وكان بناء الاسكندرية طبقات) وتحتها قناطر مقنطرة عليها دور المدينة يسير تحتها الفارس ويده رح لا تضيق به حتى يدور جميع تلك الأزاج والقناطر التي تحت المدينة وقد عمل لتلك العقود والآزاج مخاريق ومتنفسات للضياء ومنافذ للهواء وقد كانت الاسكندرية تضيء بالليل بغير مصباح لشدة بياض الرخام والمرمر وكانت أسواقها وشوارعها وأزقتها مقنطرة كلها لا يصيب أهلها شيء من المطر وكان عليها سبعة أسوار من أنواع الحجارة المختلفة الألوان بينها خنادق وبين كل خندق وسور فصول وربما تعلق في المدينة شقاق الحرير الأخضر لاختطاف بياض الرخام أبصار الناس لشدة بياضه فلما أحكم بناءها وسكنها أهلها كانت آفات البحر وسكانه على ما زعم الاخباريون من المصريين والاسكندرانيين تختطف بالليل أهل المدينة فيصبجون وقد فقد منهم العدد الكثير فلما علم بذلك الاسكندر اتخذ الطلسمات على أعمدة هتلك تدعي المسال وهي باقية الى هذه الغاية كل واحد من هذه الأعمدة على هيئة السرو وطول كل واحد منها ثمانون ذراعاً على عمد من نحاس وجعل تحتها صوراً وأشكالاً وكتابة * قال مؤلفه رحمه الله فيما تقدم من حكاية ابن وصيف شاه ما يتبين به وهم ما نقله المسعودي من أن الاسكندر هو الذي عمل التابوت حتى صور أشكال حيوانات البحر فان ابن وصيف شاه أعرف بأخبار أهل مصر وكذلك ما ذكره المسعودي من أن المسال من عمل الاسكندر وهم أيضاً بل هذه المسال هي التماثيل التي كان ينور عليها والاعلام التي كانت ملوك مصر القدماء تنصبها وهي من أعمال ملوك القبط الاول ومن أعمال الفراعنة الذين ملكوا مصر من قديم الزمان

ذكر الاسكندر

هو الاسكندر بن فليبس بن أمتة (ويقال أمتاس) بن هر كلش (ويقال هر قول) الجبار الذي هو ابن الاسكندر الأعظم ولي أبوه فليبس الملك في بلاد مقدونية (ويقال مقدونية) خمساً وعشرين سنة استنيط فيها ضررباً من المكر وابتدع أنواعاً من الشر تقدم فيها كل من ولي الملك بها قبله * وكان في اول امره قد جعله اخوه الاسكندر رهينة عند امير من الروم فأقام عنده ثلاث سنين وكان فيلسوفاً قطع عنده ضررب الفلسفة فلما قتل اخوه الاسكندر اجتمع الناس على تولية فليبس قولوه اميراً فقام في السلطان مقاماً عظيماً فخارب الروم وغلب عليهم ومضى الى البرية فقتل بها من الناس آلافاً وغلب على مدائن فاجتمع له جمع لا يقاد وحيش لا يرام فأذل جميع الروم وذهبت عينه في بعض الحروب وغمر البلدان والمدائن عماره وهدمها وسبها وانتهاها ثم حشد جميع أهل بلاد الروم وعبي عسكراً فيه مائتا ألف راجل وخمسون ألف فارس سوى من كان فيه من أصحابه المقدونيين ومن غيرهم من أجناس اليونانيين يريد غزو الفرس * فيينا هو يجمع هذا الجمع نظر في تزويج ابنة

له يقال لها قلوبطره من ختته أختى امرأته وخال ولده الاسكندر وجلس قبل العرس بيومين يحدث قواده اذ سئل عن أي الموات أحق أن يتمناها الانسان فقال الواجب على الرجل القوى الظافر المجرب يريد نفسه أن لا يتنى الموت الا بالسيف نجاة لئلا يعذبه المرض وتحل قوته الاوجاع فعجل له ماتنى في ذلك العرس وذلك أنه حضر لبا كان على الحيل بين ولده الاسكندر وخته الاسكندر فينما هو في ذلك غافله أحد أحداث الروم بطعنه فقتله بها نارا بأبيه عند ما تمكن منه منفردا فولى الاسكندر الملك بعد أبيه فليبيش وكان أول شئ أظهر فيه قوته وعزمه في بلد الروم وكانوا قد خرجوا عن طاعة المقدونيين الى طاعة الفرس فدرسهم واستأصلهم وخرب مدنهم وجعلهم سبياً مبيعاً وجعل سائر بلادهم وكورهم تؤدى اليه الخراج ثم قتل جميع أختانه واكثر أقاربه في وقت تعينته لمحاربة الفرس وكان جميع عسكره اثنين وعشرين ألف فارس وستين ألف راجل وكانت مراكبته خمسمائة مركب وثمانين مركباً فخرب بهذه العدة كبار ملوك الدنيا وسار الى الاسكندرية ودخل بيت المقدس وقرب فيه لله تعالى قرباناً وخرج يريد محاربة دارا وكان في عسكر دارا ملك الفرس في أول ملاقاته اياه ستمائة ألف مقاتل فقبله الاسكندر وكانت اذ ذلك على الفرس وقعة شماء ونسكة دهياء قتل فيها منهم عدد لا يحصى ولم يقتل من عسكر الاسكندر الا مائة وعشرون فارساً وتسعون راجلاً * ومضى الاسكندر ففتح مدائن وانتهب ما فيها فبلغه أن دارا قد عصى وأقبل نحوه بجمع عظيم تخاف أن يلحقه في ضيق الجبال التي كان فيها فقطع نحوه من مائة ميل في سرعة عجيبة حتى بلغ مدينة طرسوس وكاد يهلك لفرط البرد حتى انقبض عصبه فلاقاه دارا في ثلثمائة ألف راجل ومائة ألف فارس فلما التقى الجمعان كاد الاسكندر يفر لكثرة ما كان فيه دارا وقلة ما كان فيه ووقع القتال بينهما وبأشر القواد الحرب بأنفسهم وتنازل الابطال واختلف الطعن والضرب وضاق الفضاء بأهله فبأشر كلا الملكين الحرب بأنفسهما دارا والاسكندر وكان الاسكندر أكمل أهل زمانه فروسية وأشجعهم وأقواهم جسماً فباشرا حتى جرحا جميعاً وتبادى الحرب بينهما حتى انهزم دارا ونزلت لوقيعة بالفرس فقتل من راجلهم نحو من ثمانين ألفاً ومن فرسانهم نحو من عشرة آلاف وأسر منهم نحو من أربعين ألفاً ولم يسقط من عسكر الاسكندر الا مائتان وثلاثون راجلاً ومائة وخمسون فارساً فأنهت الاسكندر جميع عسكر الفرس وأصاب فيه من الذهب والفضة والامتعة الشريفة مالا يحصى كثرة وأصيب من جملة الاساري أم دارا وزوجته واخته وابنتاه فطلب دارا من الاسكندر فديتهن بنصف ملكه فلم يجبه الى ذلك فبعى دارا مرة ثالثة وحشد الفرس عن آخرهم واستعجاش بكل من قدر عايشه من الامم فبعث الاسكندر قائداً في أسطول للغارة على بلد الفرس ومضى الاسكندر الى الشام فتلقاه هناك

ملوك الدينا خاضعين له فمفاعن بعض ونفى بعضا وقتل بعضا ومضى الى احراز طرسوس وكانت مدينة زاهرة. قديمة عظيمة الشان وأهلها قد وثقوا بعون أهل أفريقية لهم لصهر كان بينهم فحاضريهم فيها حتى افتتحها ومضى منها الى رودس والى مصر فانتهب الجميع وبني مدينة الاسكندرية بأرض مصر وقال هروشيوش وله في بنائها أخبار طويلة وسياسات كرهنا تطويل كتابناها * ثم ان دار المائش من مصالحته أقبل في أربعمئة ألف راجل ومائة ألف فارس فقتل الاسكندر مقبلا من ناحية مصر في أعمال مدينية طرسوس فكانت بينهما معركة عجيبة شنيعة اجتهدا من الروم على ما كانوا خبروه واعتادوا من الغلبة والظفر واجتهدا من الفرس بالتوطين على الهلاك وتفضيل الموت على الرق والعبودية فقلعا يحكى عن معركة كان القتل فيها أكثر منه في تلك المعركة فلما نظردارا الى أصحابه يتقلب عليهم ويهزمون عزم على استعجال الموت في تلك الحرب بالمباشرة لها بنفسه والصبر حتى يقتل معترضا للقتل فلما طف به بعض قواده حتى سلوه فانهزم وذهبت قوة الفرس وعزمهم وذل بعدها سلطانهم وصار بلد المشرق كله في طاعة الروم وانقطع ملك الفرس مدة أربعمئة عام وخمسين عاما واشتغل الاسكندر بحصيل ما أصاب في عسكر الفرس والنظر فيه وقسمته على عسكرة ثلاثين يوما ثم مضى الى مدينة الفرس التي كانت رأس مملكتهم والتي اجتمعت فيها اموال الدنيا ونعمها فهدمها ونهب ما فيها فبلغه عن دارا أنه صار عند قوم مكبلا في كبول من فضة قهيا وخرج في ستة آلاف فوجده بالطريق مجروحا جراحات كثيرة فلم يلبث ان هلك منها فأظهر الاسكندر الحزن عليه والمرثية له وأمر بدفنه في مقابر الملوك من أهل مملكته وكان في أمر هذه الثلاث معارك عبرة لمن اعتبر ووعظ لمن اتعظ اذ قتل فيها من أهل مملكة واحدة نحو من خمسة عشر ألف بين راكب وراجل من أهل بلد آسيا وهى العراق وقد كان قتل من أهل تلك المملكة قبل ذلك نحو من ستين سنة نحو تسعة عشر ألف ألف الى ألف ألف ما بين راكب وراجل من أهل بلد العراق والشام وطرسوس ومصر وجريزة رودس وجميع البلدان الذين درسهم الاسكندر أجمعين وكان سلطان الدينا مقسوما بين قواده بعد ما زلزل بدواهيه العظيمة العالم كله وعم أهله بعضا بالنبايا الفضيعة وبعضا بالتوطين عليها والمباشرة لاهوالها وأوصى عند وفاته أن يلقب كل قائم في اليونانيين بعده ببطليموس تهويلا الاعداء لان معناه الحربي فهذا هو الصحيح من خبر الاسكندر فلا يلتفت الى ما خالفه * ويقال انه كان أشقر أزرق وهو أول من سمر بالليل وكان له قوم يضحكونه ويحكون له الحرافات يريد بذلك حفظ مملكته وحراسة نفسه لا اللذة وبه اقتدى الملوك في السهر واتخاذ المضحكين والمخرفين

ذكر تاريخ الاسكندر

قال أبو الريحان محمد بن أحمد البيروقي تاريخ الاسكندر اليوناني الذي يلقبه بعضهم بذى القرنين على سئ الروم وعليه عمل أكثر الامم لما خرج من بلاد يونان وهو ابن ست وعشرين سنة لقتال دارا ملك الفرس * ولما ورد بيت المقدس أمر اليهود بترك تاريخ داود وموسى عليهما السلام والتحول الى تاريخه فأجابوه وانتقلوا الى تاريخه واستعملوه فيما يحتاجون اليه بعد أن عملوه من السنة السادسة والعشرين لميلاده وهو أول وقت تحركه ليتموا ألف سنة من لدن موسى عليه السلام وبقوا معتمدين بهذا التاريخ ومستعملين له وعليه عمل اليونانيون وكانوا قبله يؤرخون بخروج يونان بن نورس عن بابل الى المغرب * وأول تاريخ الاسكندر يوم الاثنين اول تشرين الاول وموافق اليوم الرابع من بابه ومبادئ الايام عندهم من وقت طلوع الشمس الى وقت غروبها والى أن يصبح الصباح وتطلع الشمس فقد كمل يوم بلياته ومبادئ الشهور ترجع الى عدد واحد له نظم يحزى عليه دائما وعدد شهور سنتهم اثنا عشر شهرا يخالف بعضها بعضا في العدد وهذه أسماؤها وعدد أيام كل شهر منها (تشرين الاول) أحد وثلاثون يوما (تشرين الثاني) ثلاثون يوما (كانون الاول) أحد وثلاثون يوما (كانون الثاني) أحد وثلاثون يوما (شباط) ثمانية وعشرون يوما (آذار) أحد وثلاثون يوما (نيسان) ثلاثون يوما (ايار) أحد وثلاثون يوما (حزيران) ثلاثون يوما (تموز) أحد وثلاثون يوما (آب) أحد وثلاثون يوما (أيلول) ثلاثون يوما فسيعة أشهر كل شهر منها أحد وثلاثون يوما وأربعة أشهر كل شهر منها ثلاثون يوما وشهر واحد ثمانية وعشرون يوما وربيع يوم وذلك انهم جعلوا شباط كل ثلاث سنين متواليات ثمانية وعشرين يوما وجعلوه في السنة الرابعة تسعة وعشرين يوما فيكون عدد أيام سنتهم ثلثمائة وخمسة وستين يوما وربيع يوم ويجعلون السنة الرابعة ثلثمائة وستة وستين يوما ويسمونها السنة الكليسة وانما زادوا الربيع في كل سنة ليقرب عدد أيام سنتهم من عدد أيام السنة الشمسية حتى تبقى امورهم على نظام واحد فتسكون شهور البرد وشهور الحر وأوان الزرع ولقاح الشجر وحتى النمر في وقت معلوم من السنة لا يتغير وقت شيء من ذلك البتة وكان ابتداء الكليس في السنة الثالثة من ملك الاسكندر وبين يوم الاثنين اول يوم من تاريخ الاسكندر هذا وبين يوم الخميس أول شهر المحرم من السنة التي هاجر نينا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة تسعمائة سنة وثلاث وثلاثون سنة ومائة وخمسة وخمسون يوما وبينه وبين يوم الجمعة أول يوم من الطوفان ألفا سنة وسبعمائة سنة واثنان وتسعون سنة ومائة وثلاثة وتسعون يوما وبين ابتداء ملك بخت نصر وبين أول تاريخ الاسكندر أربعمائة وخمس وثلاثون سنة شمسية ومائتا يوما وثمانية

وثلاثون يوما * وقال أبو بكر أحمد بن علي بن قيس بن وحشية في كتاب الفلاحة النبطية الشهر المسمى تموز فيما ذكر القبط بحسب ما وجدت في كتبهم اسم رجل كانت له قصة عجيبية طويلة وهو أنه دعا ملكا الى عبادة الكواكب السبعة والبروج الاثني عشر وان الملك قتله وعاش بعد القتل ثم قتله قتلات بعد ذلك قبيحة وفي كلها يعيش ثم مات في آخرها وان شهرهم هذه كل واحد منها اسم رجل فاضل عالم كان في القديم من النبط الذين كانوا مكان اقليم بابل قبل الكسديين وذلك أن تموز هذا ليس من الكسديين ولا الكنعانيين ولا العبرانيين ولا الجرامقة وانما هو من الحزناسيين الاولين ولذلك يقولون في كل شهرهم انها اسماء رجال مضوا وان تشرين الاول وتشرين الثاني اسماء أخوين كانا فاضلين في العلوم وكذلك كان كانون الاول وكانون الثاني وان شباط اسم رجل نكح ألف امرأة أبكارا كلهن ولم ينسل نسلا ولا ولد ولدا فجعلوه في آخر الشهور لتقصانه عن النسل فصار التقصان من العدد فيه والصابثون من البابليين والحزناسيين جميعا الى وقتنا هذا ينوحون ويبكون على تموز في الشهر المسمى تموز في عيد لهم فيه منسوب الى تموز ويعبدون تعديدا عظيما وخاصة النساء فانهن يتبعن ههنا جميعا ويغنن ويبكين على تموز ويهذين في أمره هذيانا طويلا وليس عندهم علم من أمره أكثر من أن يقولوا هكذا وجدنا أسلافنا ينوحون ويبكون على تموز في هذا العيد المنسوب الى تموز والنصارى تذكر أنهم يعملونه لرجل يسمى جورجيس أحد حوارى عيسى عليه السلام دعا ملكا من الملوك الى دين النصرانية فمذهبه الملك بتلك الفتلات فلا أدري وقع الى النصارى قصة تموز فأبدلوا مكانها اسم جورجيس وخالفوا الصابثين في الوقت لان الصابثين يعملون ذكرا ثم تموز أول يوم من شهر تموز والنصارى يعملون لجورجيس في آخر نيسان ويقال ان بعض ملوك رومية زاد في شهور الروم كانون الثاني وشباط فان شهرهم كانت الى زمانه عشرة أشهر كل شهر ستة وثلاثون يوما * ويقال ان فيوفيوس أول من ملك مدينة رومية وأنه أقام ملكا ثلاثا وأربعين سنة وزاد كانون الثاني وشباط في شهور الروم بحكم انها كانت الى ذلك الزمان عشرة أشهر كل شهر ستة وثلاثون يوما وكان سبب نقص شباط يومين وقوع غارة في أيام فيطن رئيس جيش الروم مع خلف وحروب بينه وبين فريريوس آلت الى نصره فيطن وأخذه مملكة الروم وأمر بفريريوس فتودى عليه أعيا مرديا وتفسيره أخرج ياشباط ثم غرق في البحر وسموا شهر شباط فريريوس ليكون تذكرا لسوء له فان هذا الفعل كان في يومي التاسع والعشرين والثلاثين من شباط فتقصوها من شباط وزادوها في تموز وكانون الثاني فجعلوا كل شهر منهما أحدا وثلاثين يوما ثم بعد زمان جاء ملك آخر فقال لا يحسن أن يكون شباط في وسط السنة فنقله الى آخرها ولم يزل الروم من ذلك الوقت يتطيرون من شباط

ذكر الفرق بين الاسكندر وذى القرنين وانهما رجلان

اعلم أن التحقيق عند علماء الاخبار أن ذا القرنين الذى ذكره الله في كتابه العزيز فقال
ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا انا مكنا له في الارض وآيناه من كل
شيء سببا الآيات عربي قد كثر ذكره في أشعار العرب وأن اسمه الصعب بن ذى مرثد بن
الحارث الرائي بن الهمال ذى سدد بن عادى منح بن عامر الملقاط ابن سكسك بن وائل
ابن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود بن عابر بن شالح بن ارغشذ بن
سام بن نوح عليه السلام وانه ملك من ملوك حمير وهم العرب العاربة ويقال لهم أيضا
العرب العرباء وكان ذو القرنين تبعاً متوجاً ولما ولي الملك نجبر ثم تواضع لله واجتمع بالخضر
وقد غلط من ظن أن الاسكندر بن فليش هو ذو القرنين الذى بني السد فان لفظة ذو
عربية وذو القرنين من ألقاب العرب ملوك اليمن وذاك رومي يوناني قال أبو جعفر الطبري
وكان الخضر في أيام أفريدون الملك بن الضحاك في قول عامة علماء أهل الكتاب الاول
وقبل موسى بن عمران عليه السلام وقيل انه كان على مقدمة ذي القرنين الاكبر الذى كان
على أيام ابراهيم الخليل عليه السلام وان الخضر بلغ مع ذى القرنين أيام مسيره في البلاد
نهر الحياة فشرب من مائه وهو لا يعلم به ذو القرنين ولا من معه فخلد وهو حي عدهم الى
الآن وقال آخرون ان ذا القرنين الذى كان على عهد ابراهيم الخليل عليه السلام هو
أفريدون بن الضحاك وعلى مقدمته كان الخضر * وقال أبو محمد عبد الملك بن هشام في كتاب
التيجان في معرفة ملوك الزمان بعد ما ذكر نسب ذى القرنين الذى ذكرناه وكان تبعاً متوجاً
لما ولي الملك نجبر ثم تواضع واجتمع بالخضر بيت المقدس وسار معه مشارق الارض ومغاربها
وأوتى من كل شيء سبباً كما أخبر الله تعالى وبني السد على ياجوج ومأجوج ومات بالعراق *
وأما الاسكندر فانه يوناني ويعرف بالاسكندر المجدوني (ويقال المقدوني) سئل ابن عباس
رضي الله عنهما عن ذى القرنين ممن كان فقال من حمير وهو الصعب بن ذى مرثد الذى
مكنه الله تعالى في الارض وآتاه من كل شيء سبباً فبلغ قرني الشمس ورأس الارض وبني
السد على ياجوج ومأجوج قيل له فلاسكندر قال كان رجلاً صالحاً رومياً حكماً بنى على البحر
في أفريقية مناراً وأخذ أرض رومة وأتى بحر الغرب وأكثر عمل الآثار في الغرب من
المصانع والمدن * وسئل كعب الاخبار عن ذى القرنين فقال الصحيح عندنا من أخبارنا
وأسلافنا انه من حمير وانه الصعب بن ذى مرثد والاسكندر كان رجلاً من يونان من ولد
عيسو بن اسحق بن ابراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليهما ورجال الاسكندر أدرکوا
المسيح بن مريم منهم جالينوس وأرسطاطاليس * وقال الهمداني في كتاب الانساب وولد
كهلان بن سبأ زيدا فولد زيد عربياً ومالكا وغالبا وعميكرب وقال الهميم عميكرب بن سبأ

أخو حمير وكهلان فولد عميكرب أبا مالك فذرحا ومهيليل ابني عميكرب وولد غالب جنادة بن غالب وقد ملك بعد مهليل بن عميكرب بن سبأ وولد عريب عمرا فولد عمرو زيدا والهميسع ويكنى أبا الصعب وهو ذو القرنين الاول وهو المساح والبناء وفيه يقول النعمان بن بشير

فن ذا يعادنا من الناس معشرا * كراما فذو القرنين منا وحام
وفيه يقول الخوافي

سموا لنا واحدا منكم فعرفه * في الجاهلية لاسم الملك محتملا
كالتبعين وذو القرنين يقبله * أهل الحمي فأحق القول ما قبلنا
وفيه يقول ابن أبي ذئب الخزاعي

ومنا الذي بالخافقين تقربا * وأصعد في كل البلاد وصوبا
فقد نال قرن الشمس شرقا ومغربا * وفي ردم بأجوج بني ثم نصبا
وذلك ذو القرنين تفخر حمير * بعسكر قيل ليس بحصى فيحسبا

قال الهمداني وعلماء همدان تقول ذو القرنين الصعب بن مالك بن الحارث الاعلى بن ربيعة بن الحيار بن مالك وفي ذي القرنين أقاويل كثيرة وقال الامام نضر الدين الرازي في كتاب تفسير القرآن الكريم ومما يعترض به على من قال ان الاسكندر هو ذو القرنين ان معلم الاسكندر كان ارسطاطاليس بأمره يأتمر وبنيه ينتهي واعتقاد ارسطاطاليس مشهور وذو القرنين نبي فكيف يقتدى نبي بأمر كافر في هذا اشكال * وقال الجاحظ في كتاب الحيوان ان ذا القرنين كانت أمه آدمية وأبوه من الملائكة ولذلك لما سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلا ينادي رجلا إذا القرنين قال أفرغتم من أسماء الانبياء فارتفعتم الى أسماء الملائكة وروى المختار بن أبي عبيد ان عليا رضي الله عنه كان اذا ذكر ذا القرنين قال ذلك الملك الامرط والله أعلم

ذكر من ولي الملك بالاسكندرية بعد الاسكندر

قال في كتاب هروشيوش ان الاسكندر ملك الدنيا اثنتي عشرة سنة فكانت الدنيا ماسورة بين يديه طول ولايته فلما مات تركها بين يدي قواده المستخلفين تحته فكان مثله معهم كمثل الاسد الذي ألقى صيده بين يدي أشباله فتقاتلت عليه تلك الاشبال بعده وذلك انهم اقتسموا البلاد فصارت مصر وأفريقية كلها وبلاد الغرب الى قائده وصاحب خيله الذي ولي مكانه وهو بطليموس بن لاوى ويقال بطليموس بن أرنبا المنطقي وذكر بقية ممالك القواد من أقصى بلاد الهند الى آخر بلاد المغرب ثم قال فتأثرت بينهم حروب وسبها رسالة كانت مخرجت من عند الاسكندر بأن يرجع جميع الغرباء المنفيين الى بلادهم ويسقط عنهم الرق

والعبودية فاستقل ذلك ملك بلاد الروم ادخاف أن يكون الغرباء والمنقيون اذا رجعوا الى بلادهم ومواطنهم يطلبون الثمن لانتقامهم فكان هذا الامر سبب خروجه عن طاعة سلطان المجدونين * وقال غيره وبطيالموس هذا سبي بني معد بعد ما غزا فلسطين ثم أطلقهم وحباهم بآنية جوهر وضعت في بيت المقدس وملك عشرين سنة وقال غيره ولي أربعين سنة وقيل ثمانيا وثلاثين سنة وقيل ان اسمه فيلدافوس وهو محب الاب وكان مجدونيا وهو الذي غنم اليهود ونقل كثيرا منهم الى مصر وفي زمانه كان زينون الفيلسوف وكان هذا الملك فيلسوفا وأقبل برديقا أحد قواد الاسكندر الى مصر بمسكر عظيم وجيش عرمرم ففرق سلطان مجدونية على قسمين ثم ان بطليموس جمع عساكر مصر وأفريقية ولاقي برديقا فهزمه وأصاب عسكره ثم قتله وأصاب ما كان معه وحارب عدة من قواد الاسكندر * وقال غيره وكان بطليموس هذا حكيما علما شابا مدبرا وهو أول من اقتنى البزاة وألب بها وضرائها وكان من قبله من الملوك لا يلعب بها ولما مات ملك الاسكندرية بعده بطليموس الثاني وأسمه فيلودفوس ويقال له محب الاخ وكانت مدة ملكه ثمانيا وثلاثين سنة وهو الذي أطلق اليهود الذين كانوا مأسورين بأرض مصر ورد الاواني المقدسة على عزيز النبي وهو الذي تحيز السبعين مترجما من علماء اليهود الذين ترجوا كتب التوراة والانبياء من اللسان العبراني الى اللسان الرومي اليوناني واللاتيني وكان فيلسوفا منجما ومات فولي بعده ابنه بطليموس أورأخيطس المعروف بمحب الاب ستا وعشرين سنة ثم ولي بعده أخوه بطليموس فيلو بطور سبع عشرة سنة وهو الذي قتل من اليهود نحو من ستين ألفا وتقلب عليهم ويقال انه صاحب علم الفلك والنجوم وكتاب المجسطي * ثم ملك بعده ابنه بطليموس أسفاميش محب الام أربعة وعشرين سنة * ثم ولي بعده ابنه بطليموس فلو ناطره وهو الصانع خمسًا وثلاثين سنة وهو الذي غلب ملك الشام وحمل اليهود أنواع البلاء والمذاب * ثم ملك الاسكندرية بعده ابنه بطليموس ابرياطيش وهو الاسكندراتي تسعا وعشرين سنة وفي زمانه غلب الرومانيون على الاندلس واحترقت مدينة قرطاجنة بالنار وأقامت النار فيها سبعة عشر يوما فهدمت وحولت أساساتها حتى صار رخام أسوارها غبارا وذلك الى تسعمائة سنة من وقت بنائها وبيع جميع أهلها رقيقا الا قليلا من خيارهم وأشرفهم وكان المتولى لتخريبها قواد رومة * ثم ولي بعده ابنه بطليموس شوطار الذي يقال له الحديد سبع عشرة سنة وكان قبيح السيرة تزوج بأخته ثم فارقتها على أقبح حال مما تزوجها عليه في خبر له ثم تزوج ببيته التي كانت بنت أخته ثم تزوجها من ابنه المولود له من أخته وكثرت فواحشه حتى فاه أهل الاسكندرية فمات منفيا * وولى أخوه بطليموس الاسكندر وهو الجوال عشر سنين * ثم ولي بعده ابنه بطليموس ديوشيش ثمانيا وثلاثين سنة وفي زمانه غلب قائد الرومانيين على بيت المقدس

وجعل اليهود يؤدّون اليه الجزية * وظهرت في ذلك الزمان علامات في السماء مهولة منها أنه ظهر في السماء بناحية مطلع الشمس من مدينة رومة مما يلي ناحية الجنوب نار ملتهبة عظيمة وكسر قوم خبزاً في صنع لهم فانفجر من الخبز دم سائل ونزل بمدينة رومة مدة سبعة أيام متوالية برد كان يوجد في داخله حجارة وشقاق وانفتحت الارض فصار فيها غور عظيم وخرج منه هب اشتعل حتى ظنوه بلبغ السماء ونظر أهل رومة يومئذ الى عمود من الارض الى السماء لونه لون الذهب وكان من عظمه تكاد الشمس أن تغيب منه * ثم ولى الاسكندرية بعده كلو باطرة سنتين فدامت مملكة الاسكندرية وهي الدولة المجدونية الى أول ملوك قيصر الذي هو أول ملوك الرومانيين مائتين واحدى وثمانين سنة فبعث قيصر قائدين بعساكر كثيرة لفتح مصر فتزوج أحدهما كلو باطرة ابنة ديوشيس الملقب بطليموس وقتل القائد الآخر وخالف قيصر فسار اليه قيصر بنفسه وجرت أمور آلت الى فتح الاسكندرية بعد حروب واستولى قيصر على مملكة مصر وقتل كلو باطرة وولديها وقتل القائد الذي تزوجها ويقال بل سمى نفسها عند ما تبقت غلبة قيصر لها ويقال انها كانت ذات حزم ومعرفة وتدير وانها حفرت خاليج الاسكندرية وأجرت فيه المساء من مصر وبنت بالاسكندرية أبنية عجبية منها هيكل زحل وعملت فيه صنما من نحاس اسود وكان أهل مصر والاسكندرية يعملون له عيداً في اليوم الثاني والعشرين من هاتور ويحجج اليه اليونانيون من سائر الاقطار ويذبحون له ذبايح لا تحصى كثرة فلما ظهرت ملة النصارى في الاسكندرية جعلوا هيكل زحل كنيسة ولم تزل الى أن هدمها جيوش المعز لدين الله عند قدومهم من المغرب الى أرض مصر في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة من سنى الهجرة النبوية * ويقال ان كلو باطرة هي التي بنت حائط المعجوز بمصر ويشبه أن يكون هذا غير صحيح ويقال انها بنت مقياسا بمدينة أخميم ومقياسا آخر بأنصنا ويقال كانت مدة ملكها ثلاثين سنة وليس بصحيح ويموت كلو باطرة انقطعت مملكة مصر وصارت تحت يد ملوك الروم من أهل مدينة رومة ثم تحت يد ملوك الروم من أهل قسطنطينية فلم تزل تحت أيديهم يولون فيها من قبلهم من شاؤوا فيصير الى الاسكندرية ويقيم بها الى أن قدم عمرو بن العاص بالمسلمين وفتح الله على يده الحصن والاسكندرية وجميع أرض مصر ويقال معنى كلو باطرة الباكية فكان جميع المدة التي ما بين ذهاب دولة البطالسة من الاسكندرية وقدم عمرو بن العاص الى مصر وفتحها ستائة سنة وبضعا وسبعين سنة وفي خلال هذه المدة قوى جانب ملوك الفرس على القياصرة وملكوا منهم بلاد الشام واستولوا على أرض مصر والاسكندرية في أيام كسرى أبرويز بن هرمز فبعث قائداً الى مصر وملك الاسكندرية وقتل الروم وأقاموا بالاسكندرية مدة عشر سنين فلما استبد هرقل بمملكة الروم وخرج من القسطنطينية لجمع الاموال من سائر مملكته أخذ جماع

ودمشق وصار الى بيت المقدس وقد خربها الفرس فأمر ببنائها وسار منها الى أرض مصر
ودخل الاسكندرية وقتل من بها من الفرس وأقام بها بطريقا ثم عاذا الى قسطنطينية فاستمرت
مصر بعده تحت ابدالة الروم حتى ملكها المسلمون ويقال ان كل بناء بمصر من آجر فهو
للفرس وما فيها من بناء حجر فهو للروم والله أعلم

ذكر منارة الاسكندرية

قال المسعودي فأما منارة الاسكندرية فذهب الاكثرون من المصريين والاسكندرانيين
من عني باخبار بلدهم أن الاسكندر بن فيليش المقدوني هو الذي بناها ومنهم من رأى
أن دلوكة الملكة بنتها وجعلتها مرقبا لمن يرد من العدو الى بلدهم ومن الناس من رأى أن
العاشر من فراعنة مصر هو الذي بناها ومنهم من رأى أن الذي بنى مدينة رومة هو الذي
بنى مدينة الاسكندرية ومنارتها والاهرام بمصر وإنما أضيفت الاسكندرية الى الاسكندر
لشهرته باستيلائه على الاكثر من ممالك العالم فشهرت به وذكروا في ذلك أخبارا كثيرة
يستدلون بها على ما قالوا والاسكندر لم يطرقه في هذا البحر عدو ولا هاب ملكا يرد اليه
في بلده ويفزوه في داره فيكون هو الذي جعلها مرقبا وإن الذي بناها جعلها على كرسى
من الزجاج على هيئة السرطان في جوف البحر وعلى طرف اللسان الذي هو داخل في
في البحر من البر وجعل على أعلاها تماثيل من النحاس وغيره منها تمثال قد أشار بسبائته
من يده اليمنى نحو الشمس أينما كانت من الفلك وإذا علت في الفلك فأصبغه يشير بها نحوها
فاذا انخفضت صارت يده سفلا تدور معها حيث دارت ومنها تمثال يشير بيده الى البحر اذا
صار العدو منه على نحو من ليلة فاذا دنا وجاز أن يرى بالبصر لقرب المسافة سمع لذلك
التمثال صوت هائل يسمع من مسيرة ميلين أو ثلاثة فيعلم أهل المدينة أن العدو قد دنا
منهم فيرمقونه بأبصارهم ومنها تمثال كلما مضى من الليل أو النهار ساعة سمعوا له صوتا بخلاف
ماصوت في الساعة التي قبلها وصوته مطرب * وقد كان ملك الروم في ملك الوليد بن عبد الملك
ابن مروان أفند خادما من خواص خدمة ذا رأى ودهاء فجاء مستأمنا الى بعض الثغور
فورد بألة حسنة ومعه جماعة فجاء الى الوليد فأخبره أنه من خواص الملك وأنه أراد قتله
لموجدة وحال بلغته عنه لم يكن لها أصل وأنه استوحش ورغب في الاسلام فأسلم على يد
الوليد وتقرّب من قلبه وتنصح اليه في دفاث استخرجها له من بلاد دمشق وغيرها من
الشام بكتب كانت معه فيها صفات تلك الدفاث فلما صارت الى الوليد تلك الاموال والجواهر
شهرت نفسه واستحكم طمعه فقال له الخادم يا أمير المؤمنين ان ههنا أموالا وجواهر ودفاث
للملوك فسأله الوليد عن الخبر فقال تحت منارة الاسكندرية أموال ملوك الارض وذلك أن
الاسكندر احتوى على الاموال والجواهر التي كانت لشداد بن عاد وملوك مصر فبنى لها

إرجا تحت الأرض وقطر لها الاقياء والقناطر والسراديب وأودعها تلك الذخائر من العيين والورق والجوهر وبني فوق ذلك هذه المنارة وكان طولها في الهواء ألف ذراع والمرآة في علوه والديادة جلوس حوله فاذا نظروا الى العدو في البحر في ضوء تلك المرآة صوتوا لمن قرب منهم ونشروا أعلاما فيراها من بعد منهم فتحذر الناس وتنذر البلد فلا يكون للعدو عليهم سبيل فبعث الوليد مع الخادم بجيش واناس من ثقافته وخواصه فهم نصف المنارة من أعلاها وأزيلت المرآة فضج الناس من هذا وعلموا أنها مكيدة وحيلة في أمرها فلما علم الخادم استفاضة ذلك وانه سينم الى الوليد وانه قد بلغ ما يحتاج اليه هرب في الليل في مركب كان قد أعده وواطأ على ذلك فتمت حيلته وبقيت المنارة على ما ذكرنا الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة وكانت حوالى منارة الاسكندرية في البحر مقاص يخرج منه قطع من الجوهر يتخذ منه فصوص للخواتم أنواعا من الجواهر يقال ان ذلك من آلات اتخدها الاسكندر للشرب فلما مات كسرتها أمه ورمت بها في تلك المواضع من البحر ومنهم من رأى أن الاسكندر اتخذ ذلك النوع من الجواهر وغرقه حول المنارة لكيلا تخلو من الناس حولها لأن من شأن الجوهر أن يكون مطلوبا أبدا في كل عصر ويقال ان هذه المنارة انما جعلت المرآة في أعلاها لان ملوك الروم بعد الاسكندر كانت تحارب ملوك مصر والاسكندرية فجعل من كان بالاسكندرية من الملوك تلك المرآة ترى من يرد في البحر من عدوهم وكان من يدخلها يتيه فيها الا أن يكون عارفا بالدخول والخروج فيها لكثرة بيوتها وطبقاتها وعمراتها وقد ذكر أن المغاربة حين وافوا في خلافة المقتدر في جيش صاحب المغرب دخل جماعة منهم على خيولهم الى المنارة فتأهوا فيها وفي طرق تؤول الى مها وتهوى الى السرطان الزجاج وفيه مخارج الى البحر قهورت دوابهم وفقد منهم عدد كثير وعلم بهم بعد ذلك وقيل ان تهوورهم كان على كرسى لها قدامها وفي المنارة مسجد في هذا الوقت يربط فيه مطوعة المصريين وغيرهم وفي سنة سبع وسبعين وسبعمائة سقط رأس المنسارة من زلزلة ويقال ان منارة الاسكندرية كانت مبنية بحجارة مهندمة مضببة برصاص على قناطر من الزجاج وتلك القناطر على ظهر سرطان وكان في المنارة ثلثمائة بيت بعضها فوق بعض وكانت الدابة تصعد بحماها الى سائر البيوت من داخل المنارة ولهذه البيوت طاقات تشرف على البحر وكان على الجانب الشرقي من المنارة كتابة عربت فاذا هي بنت هذه المنظرة قريبا بنت مريнос اليونانية لرصد السكواكب * وقال ابن وصيف شاه وقد ذكر أخبار مصر ايم بن بيهصر بن حام بن نوح وينوا على البحر مدنا منها رقودة مكان الاسكندرية وجعلوا في وسطها قبة على أساطين من نحاس مذهب والقبة مذهبة ونصبوا فوقها منارة عاليا مرآة من اخلاط شتى قطرها خمسة أشبار وكان ارتفاع القبة مائة ذراع فكانوا اذا قصدهم قاصد من الائم التي حولهم فان كان

لما بهمهم أو من البحر عملوا لتلك المرأة عملاً فألقت شعاعها على ذلك الشيء فأحرقته فلم تزل على حالها إلى أن غلب عليها البحر فنسفها ويقال أن الاسكندر إنما عمل المنار الذي كان شبيهاً بها وقد كان أيضاً عليه امرأة يري فيها من يقصدهم من بلاد الروم فاحتال بعض ملوك الروم فوجه من أزالها وكانت من زجاج مدبر * وقال المسعودي في كتاب التذنب والاشتراف وقد كان وزير المتوكل عبيد الله بن يحيى بن خاقان لما أمر المستعين بنفیه إلى برقة في سنة ثمان وأربعين ومائتين صار إلى الاسكندرية من بلاد مصر قرأى حمرة الشمس على علو المنارة التي بها وقت المغيب فقدر أنه يلزمه أن لا يفطر إذا كان صائماً أو تقرب الشمس من جميع أقطار الأرض فأمر انساناً أن يصعد إلى أعلى منارة الاسكندرية ومعه حجر وأن يتأمل موضع سقوط الشمس فإذا سقطت رمي بالحجر ففعل الرجل ذلك فوصل الحجر إلى قرار الأرض بعد صلاة العشاء الآخرة فجعل افطاره بعد صلاة العشاء الآخرة فيما بعد إذا صام في مثل ذلك الوقت وكان عند رجوعه إلى سر من رأى لا يفطر إلا بعد العشاء الآخرة وعنده أن هذا فرضه وأن الوقتين متساويان وهذا غاية ما يكون من قلة العلم بالفرض ومحاربي الشرق والغرب وقد ذكر ارسطاطاليس في كتاب الآثار العلوية أن بناحية المشرق الصفي جبالاً شامخاً جداً وإن من علامة ارتفاعه أن الشمس لا تقيب عنه إلى ثلاث ساعات من الليل وتشرق عليه قبل الصبح ثلاث ساعات * ومنارة الاسكندرية أحد بنيان العالم العجيب بناها بعض البطالسة ملوك اليونانيين بعد وفاة الاسكندر بن فيليبس الملك لما كان بينهم وبين ملوك رومة من الحروب في البر والبحر فجعلوا هذه المنارة مرقباً في أعاليها امرأة عظيمة من نوع الاحجار المشقة ليشاهد منها مراقب البحر إذا أقبلت من رومة على مسافة تعجز الابصار عن ادراكها فكانوا يراعون ذلك في تلك المرأة فيستعدون قبل ورودهم وطول المنارة في هذا الوقت على التقريب مائتان وثلاثون ذراعاً وكان طولها قديماً نحواً من أربع مائة ذراعاً فهدمت على طول الزمان وترادف الزلازل والأمطار لأن بلد الاسكندرية تمطر وليس سيلها سيل فسطاط مصر إذ كان الاغلب عليها أن لا تمطر إلا اليسير وبنائها ثلاثة أشكال فقريب من النصف وأكثر من الثلث مربع الشكل وبنائها بأحجار بيض يكون نحواً من مائة ذراع وعشرة أذرع على التقريب ثم من بعد ذلك مشتمل الشكل مبني بالحجر والجص نحو من ثيف وستين ذراعاً وحواليه فضاء يدور فيه الانسان وأعلاها مدور * وكان أحد بن طولون رم شيئاً منها وجعل في أعلاه قبة من الخشب ليصعد إليها من داخلها وهي مبسوطة مورية بغير درج وفي الجهة الشمالية من المنارة كتابة برصاص مدفون بقلم يوناني طول كل حرف ذراع في عرض شبر ومقدارها على جهة الأرض نحو من مائة ذراع وماء البحر قد بلغ أصلها وقد كان تهدم أحد أركانها القريبة مما يلي البحر فبناها أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون وبينها وبين مدينة الاسكندرية في هذا

الوقت نحو من ميل وهي على طرف لسان من الارض قد ركب البحر جنبتيه وهي مبنية على
فم مينا الاسكندرية وليس بالمينا القديم لان القديم في المدينة العتيقة لا ترسى فيه المراكب بعده
عن العمران والمينا هو الموضع الذي ترسى فيه مراكب البحر * وأهل الاسكندرية يخبرون
عن أسلافهم انهم شاهدوا بين المنارة وبين البحر نحو مما بين المدينة والمنارة في هذا الوقت
فغلب عليه ماء البحر في المدة اليسيرة وأن ذلك في زيادة قال وتهدم في شهر رمضان سنة
أربع وأربعين وثلاثمائة نحو من ثلاثين ذراعاً من أعاليها بالزلزلة التي كانت ببلاد مصر وكثير
من بلاد الشام والمغرب في ساعة واحدة على ماوردت به علينا الاخبار المتواترة ونحن بفسطاط
مصر وكانت عظيمة جداً مهولة فظيعة أقامت نحو نصف ساعة زمانية وذلك لنصف يوم السبت
لثمان عشرة ليلة خلت من هذا الشهر وهو الخامس من كانون الآخر والتاسع من طوبة
وكان لهذه المنارة مجمع في يوم خميس العدس يخرج سائر أهل الاسكندرية الى المنارة من
مساجد كنهم بما كلهم ولا بد أن يكون فيها عدس فيفتح باب المنار ويدخله الناس فتنهم من
يذكر الله ومنهم من يصلي ومنهم من يلهو ولا يزالون الى نصف النهار ثم ينصرفون ومن
ذلك اليوم يحترس على البحر من هجوم العدو * وكان في المنارة قوم مرتبون لوقود النار
طول الليل فيقصد ركاب السفن تلك النار على بعد فاذا رأى أهل المنار ما يربهم أشعلوا النار
من جهة المدينة فاذا رآها الحرس ضربوا الابواق والاجراس فيتحرك عند ذلك الناس
لحاربة العدو * ويقال ان المنار كان بعيداً عن البحر فلما كان في أيام قسطنطين بن قسطنطين
هاج البحر وغرق مواضع كثيرة وكنائس عديدة بمدينة الاسكندرية ولم يزل يغلب عليها
بعد ذلك ويأخذ منها شيئاً بعد شيء * وذكر بعضهم أنه قاسه فكان مائتي ذراعاً وثلاثة وثلاثين
ذراعاً وهي ثلاث طبقات الطبقة الاولى مربعة وهي مائة واحد وعشرون ذراعاً ونصف
ذراعاً والطبقة الثانية ممتدة وهي احدى وثمانون ذراعاً ونصف ذراعاً والطبقة الثالثة مدورة
وهي احدى وثمانون ذراعاً ونصف ذراعاً * وذكر ابن جبير في رحلته أن منار الاسكندرية
يظهر على أزيد من سبعين ميلاً وأنه ذراعاً احدى جوانبه الاربعة في ستة ثمان وسبعين وخمسمائة
فأناق على خمسين ذراعاً وان طول المنار أزيد من مائة وخمسين قامه وفي أعلاه مسجد يتبرك
الناس بالصلاة فيه * وقال ابن عبد الحكم ويقال ان الذي بني منار الاسكندرية كلوباطرة
الملائكة وهي التي ساقطت خليجها حتى أدخلته الاسكندرية ولم يكن يبلغها انما كان يعدل من
قرية يقال لها كسا قبالة الكريون فخفرته حتى أدخلته الاسكندرية وهي التي بلطت
قاعه * ولما استولى أحمد بن طولون على الاسكندرية بني في أعلى المنار قبة من خشب فأخذتها
الرياح وفي أيام الظاهر بيبرس تداعي بعض اركان المنار وسقط فأمر ببناء ما تهدم منه في سنة
ثلاث وسبعين وستمائة وبني مكان هذا القبة مسجداً وهدم في ذي الحجة سنة اثنتين وسبعمائة

عند حدوث الزلزلة ثم بنى في شهور ستة ثلاث وسبعمائة على يد الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير وهو باق الى يومنا هذا ولله در الوجيه الدروي حيث يقول في منار الاسكندرية

وسامية الارحاء تهدي أبا السرى * ضياء اذا ما حندس الليل أطلما
ليست بها بردا من الانس صافيا * فكان بتذكار الاحبة معلما
وقد ظللتني من ذراها بقبة * ألأحظ فيها من صحابي أنجما
نخيل أن البحر تحتي غمامة * وأنى قد خيمت في كبد السما
وقال ابن قلاقس من أبيات

ومنزل جاوز الجوزاء مرتقيا * كأنما فيه للنسرين أوكار
راسى القرارة سامي الفرع في يده * للنون والنور أخبار وأخبار
أطلقت فيه عنان النظم فاطردت * خيل لها في بديع الشعر مغفار
وقال الوزير أبو عبد الله محمد بن الحسن بن عبدربه

لله در منار اسكندرية كم * يسمو اليه على بعد من الحدق
من شاخ الانف في عرينه شمم * كأنه باهت في دارة الافق
للمنشآت الجوارى عند رؤيته * كموقع النوم في أجفان ذي أرق

وقال عمر بن أبي عمر السكندري في فضائل مصر ذكر أهل العلم أن المنارة كانت في وسط الاسكندرية حتى غلب عليها البحر فصارت في جوفه ألا ترى الابنية والاساسات في البحر الى الآن عيانا * وقال عبد الله بن عمرو عجائب الدنيا أربعة مرآة كانت معلقة بمنارة الاسكندرية فكان يجلس الجالس تحتها فيرى من بالقسطنطينية وبينهما عرض البحر وذكر الثلاثة

ذكر الملعب الذي كان بالاسكندرية وغيره من العجائب

قال القضاى ومن عجائب مصر الاسكندرية وما بها من العجائب فمن عجائبها المنارة والسوارى والملعب الذي كانوا يجتمعون فيه في يوم من السنة ثم يرمون بأكرة فلا تقع في حجر أحد الا ملك مصر وحضر عيدا من أعيادهم عمرو بن العاص فوقعت الاكرة في حجره فملك البلد بعد ذلك في الاسلام ثم حضر هذا الملعب ألف ألف من الناس فلا يكون فيهم أحد الا وهو ينظر في وجه صاحبه ثم ان قري كتاب سمعوه جميعا أو لعب لون من اللعب رأوه عن آخرهم لا يتظالمون فيه بأكثر من مراتب العلية والسقلية * وقال ابن عبد الحكم فلما كانت سنة ثمان عشرة من الهجرة وقدم عمر بن الخطاب رضى الله عنه الجابية خلا به عمرو بن العاص واستأذنه في المشير الى مصر وكان عمرو قد دخل في الجاهلية مصر

وعرف طرقها ورأى كثرة ما فيها وكان سبب دخوله اياها أنه قدم الى بيت المقدس لتجارة في نفر من قريش فاذا هم بشماس من شمامسة الروم من أهل الاسكندرية قدم للصلاة في بيت المقدس فخرج في بعض حياها يسبح وكان عمرو يرعى ابله وابل أصحابه وكانت رعية الابل نوبا بينهم فينا عمرو يرعى ابله اذ مر به ذلك الشماس وقد أصابه عطش شديد في يوم شديد الحر فوقف على عمرو فاستسقاء فسقاء عمرو من قربة له فشرب حتى روى ونام الشماس مكانه وكانت الى جنب الشماس- حيث نام حفرة فخرجت منها حية عظيمة فبصر بهاعمر و فزع لها بسهم فقتلها فلما استيقظ الشماس نظر الى حية عظيمة قد أنجاه الله منها فقال لعمر و ماهذه فأخبره عمرو انه رماها فقتلها فأقبل الى عمرو فقبل رأسه وقال قد أحياني الله بك مرتين مرة من شدة العطش ومرة من هذه الحية فما أقدمك هذه البلاد قال قدمت مع أصحاب لي نطلب الفضل في تجارتنا فقال له الشماس وكم تراك ترجو أن تصيب في تجارتك قال رجائي أن أصيب ما أشتري به بعيرا فاني لا أملك الا بعيرين فأمل أن أصيب بعيرا آخر فتكون ثلاثة أبعرة فقال له الشماس أرايت دية أحدكم بينكم كم هي قال مائة من الابل فقال له الشماس لسنا أصحاب ابل انما نحن أصحاب دينار قال تكون ألف دينار فقال له الشماس اني رجل غريب في هذه البلاد واما قدمت أصلي في كنيسة بيت المقدس وأسيح في هذه الجبال شهرا جعلت ذلك نذرا على نفسي وقد قضيت ذلك وأنا أريد الرجوع الى بلادتي فهل لك أن تتبعني الى بلادتي ولك على عهد الله وميثاقه أن أعطيك ديتين لان الله عز وجل أحياني بك مرتين فقال له عمرو أين بلادك قال مصر في مدينة يقال لها الاسكندرية فقال له عمرو لا أعرفها ولم ادخلها قط فقال له الشماس لو دخلتها لعلمت انك لم تدخل قط مثلها فقال له عمرو وتفي لي بما تقول ولى عليك بذلك العهد والميثاق فقال له الشماس نعم لك والله على العهد والميثاق أن أفي لك وان أردك الى أصحابك فقال له عمرو كم يكون مكثي في ذلك قال شهرا تنطلق معي ذاهبا عشرا ونقيم عندنا عشرا وترجع في عشر ولك على أن أحفظك ذاهبا وأن أبعث معك من يحفظك راجعا فقال له عمرو أنظرنني حتي أشاور أصحابي في ذلك فانطلق عمرو الى أصحابه فأخبرهم بما عاهد عليه الشماس وقال لهم تقيمون على حتي أرجع اليكم ولسكم على العهد أن أعطيكم شطر ذلك على أن يصحبني رجل منكم آنس به فقالوا نعم وبشوامعه رجالا منهم فانطلق عمرو وصاحبه مع الشماس حتى انتهوا الى مصر فرأى عمرو من عمارتها وكثرة أهلها وما بها من الاموال والخير ما أعجبه فقال عمرو للشماس مارأيت مثل ذلك ومضى الى الاسكندرية فنظر عمرو الى كثرة ما فيها من الاموال والعمارة وجودة بنائها وكثرة أهلها فازداد عجباً ووافق دخول عمرو الاسكندرية عيدا فيها عظميا يجتمع فيه ملوكهم وأشرافهم ولهم كرة من ذهب مكللة يتراعى بها ملوكهم وهم يتلقونها بأكلهمهم وفيما احتبروا من تلك الكرة على ما

وصفها من مضى منهم انها من وقعت السكرة في كمه واستقرت فيه لم يمت حتى يملكهم * فلما قدم عمرو الاسكندرية اكرمه الشماس الاكرام كله وكساه ثوب ديباج ألبيه اياه وجلس عمرو والشماس مع الناس في ذلك المجلس حيث يترامون بالسكرة وهم يتلقونها بأكمامهم فربى بها رجل منهم فأقبلت تهوى حتى وقعت في كم عمرو فمجبوا من ذلك وقالوا ما كذبتنا هذه السكرة قط الا هذه المرة أرى هذا الاعرابي يملكنا هذاما لا يكون أبداً وان ذلك الشماس مشى في أهل الاسكندرية وأعلمهم أن عمرا أحياء مرتين وأنه قد ضمن له ألفي دينار وسأطلم أن يجمعوا ذلك له فيما بينهم ففعلوا ودفعوها الى عمرو فانطلق عمرو وصاحبه وبعت معهما الشماس دليلاً ورسولاً وزودهما وأكرمهما حتى رجع هو وصاحبه الى اصحابهما فبذل ذلك عرف عمر مدخل مصر ونجزجها ورأى منها ما علم أنها أفضل البلاد واكثرها اموالاً فلما رجع عمرو الى أصحابه دفع اليهم فيما بينهم ألف دينار وأمسك لنفسه ألفاً قال عمرو وكان أول مال اعتقده وتأثله

(ذكر عمود السوارى)

هذا العمود حجر أحمر منقط وهو من الصوان الماتع كان حوله نحو أربع مائة عمود كسرها قراجا والى الاسكندرية في أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ورماها بشاطيء البحر ليوعر على العدو وسلوكه اذا قدموا ويذكر أن هذا العمود من جملة أعمدة كانت تحمل رواق ارسطاطاليس الذى كان يدرس به الحكمة وأنه كان دار علم وفيه خزانة كتب أحرقها عمرو بن العاص بإشارة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ويقال ان ارتفاع هذا العمود سبعون ذراعاً وقطره خمسة أذرع وذكر بعضهم أن طوله بقاعدتيه اثنان وستون ذراعاً وسدس ذراع وهو على نشز طوله ثلاثة وعشرون ذراعاً ونصف ذراع فجملة ذلك خمسة وثمانون ذراعاً وثلاث ذراع وطول قاعدته السفلى اثنا عشر ذراعاً وطول القاعدة العليا سبعة أذرع ونصف * قال المسعودى وفي الجانب الغربي من صعيد مصر جبل رخام عظيم كانت الاوائل تقطع منه العمود وغيرها وكانوا يحملون ما عملوا بعد النقر فاما العمود والقواعد والرؤس التي يسميها أهل مصر الاسوانية ومنها حجارة الطواحين فتركها نقرها الاولون قبل حدوث النصرانية بمئين من السنين ومنها العمود التي بالاسكندرية والعمود بها الضخم الكبير لا يعلم بالعالم عمود مثله وقد رأيت في جبل اسوان أخا هذا العمود وقد هندس ونقر ولم يفصل من الجبل ولم يحمل ما ظهر منه واتما كانوا ينتظرون به أن يفصل من الجبل ثم يحمل الى حيث يريد القوم انتهى * وكان بالاسكندرية من العمود العظام وانواع الحجارة والرخام الذى لا تقل القطعة منه الا بألوف من الناس وقد علقت بين السماء والارض على فوق المائة ذراع وفوق رؤس أساطين دائر الاسطوانة ما بين الخمسة عشر ذراعاً الى العشرين ذراعاً (م ٣٣ - خطط ل)

والحجر فوقه عشرة أذرع في عشرة أذرع في سمك عشرة أذرع بغرائب الالوان * وكان
بالاسكندرية قصر عظيم لا نظير له في معمور الارض على ربوة عظيمة بازاء باب البلد طوله
خمسائة ذراع وعرضه على النصف من ذلك وبابه من أعظم بناء وأتقنه كل عضادة منه حجر
واحد وعتبه حجر واحد وكان فيه نحو مائة اسطوانة وبازائه اسطوانة عظيمة لم يسمع
بمثلا غلظها ستة وثلاثون شبرا وعلوها بحيث لا يدرك أعلاها قاذف حجر وعليها رأس محكم
الصناعة يدل على أنه كان فوق ذلك بناء وتحتها قاعدة حجر أحمر محكم الصناعة عرض كل
ضلع منه عشرون شبرا في ارتفاع ثمانية اشبار والاسطوانة منزلة في عمود من حديد قد
خرقت به الارض فاذا اشتدت الرياح رأيتها تتحرك وربما وضع تحتها الحجارة فطاحتها لشدة
حركتها وكانت هذه الاسطوانة احدى عجائب الدنيا وقد زعم قوم أنها مما عمله الجن لسايمان
ابن داود عليهما السلام كما هي عادتهم في نسبة كل ما يستعظمون عمله الى أنه من صنيع الجن
وليس كذلك بل كانت مما عمله القدماء من أهل مصر * وكان في وسطه قبة ومن حولها
أساطين وعلى الجميع قبة من حجر واحد رخام أبيض كأحسن ما أنت راء من الصنائع * ويقال
ان بعض ملوك مصر دخل الاسكندرية فأعجبه هذا القصر وأراد أن يبني مثله فجمع الصناع
والمهندسين ليقموا له قصرا عظيما على هيئته فما منهم الا من اعترف بجزئه عن مثله الا شيئا
منهم فانه التزم أن يصنع مثله فسر الملك ذلك وأذن له في طلب ما يحتاج اليه من المؤن والآلات
والرجال فقال أثوني بثورين مطيقين وعجلة كبيرة فلكحال أتني بذلك فضى الى المقابر
القديمة وحفر منها قبرا أخرج منه جمجمة عظيمة رفعها عدة من الرجال على العجلة فسا
جراها الثوران مع قوتها الا بعد جهد وعناء فلما وقف بها بين يدي الملك قال أصالح الله
سيدنا أن آتيني بقوم رؤسهم مثل هذا الرأس عملت لك مثل هذا القصر فتيقن الملك عند
ذلك عجز أهل زمانه عن اقامة مثل ذلك القصر * وقد ذكر أنه كان بالاسكندرية ضرس
انسان عند قصاب يزن به اللحم زنته ثمانية أرتال * ويقال ان عمود السوارى الموجود
الآن خارج مدينة الاسكندرية أحد سبعة أعمدة أتني بأحدها البتون بن مرة العادى وهو
يحملة تحت ابطه من جبل بريم الاحمر قبل اسوان الى الاسكندرية فانكسر ضلعه لانه كان
ضعيف القوى في قومه فشق ذلك على يعمر بن شداد بن عاد وقال ليتني فديته بنصف ملكي
وجاء بعمود آخر جحدر بن سنان التمودى وكان قويا فحملة من اسوان تحت ابطه وجاء
بقية رجالهم كل رجل بعمود فأقام العمدة السبعة الجارود بن قطن المؤتفكي وكان بناؤها بعد
أن اختاروا لها طالما سعيها كما هي عادتهم في عامة أعمالهم وقد ذكر غير واحد أن الصخور
في القديم من الدهر كانت تلين فعمل منها اعمدة ناعط ومارب وبينون ومائر اليمن وأعمدة
دمشق ومصر ومدين وتدمر وأن كل شيء كان يتكلم قال أمية بن أبي الصلت

واذهبهم لالبوس لهم عراة * واذا صخر السلام لهم رطاب
وقال قوم عمود السوارى من جملة أعمدة كانت تحمل رواقا يقال له بيت الحكمة وذلك
حيث انتهت علوم أهل الغرب الى خمس فرق وهم أصحاب الرواق هذا وأصحاب الاسطوانة
وكانوا ببعلبك وأصحاب المظال وهم بانطاكية وأصحاب البرابي وكانوا بصعيد مصر والمشائون
وكانوا بمقدونية وكأني بمن قل علمه ينكر على اراد هذا الفصل ويرا من قبيل المحال
ومما وضعه القصاص ويجزم بكذبه فلا يوحشك حكايتي له واسمع قول الله تعالى عن عاد
قوم هود واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة أى طولا
وعظم جسم قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما كان أطولهم مائة ذراع وأقصرهم ستين
ذراعا وهذه الزيادة كانت على خلق آبائهم وقيل على خلق قوم نوح وقال وهب بن منبه
كان رأس أحدهم مثل قبة عظيمة وكانت عين الرجل منهم تفرخ فيها السباع وكذلك
مناخرهم وروى شهر بن حوشب عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال ان كان الرجل
من قوم عاد ليحمل المصراعين لو اجتمع عليه خمسمائة من هذه الامة لم يطيقوه وان كان
أحدهم ليغمز بقدمه الارض فيدخل فيها وروى عبد الله بن لهيعة عن يزيد بن عمرو
الممافرى عن ابن بجرة قال استظل سبعون رجلا من قوم موسى عليه السلام في خف
رجل من العماليق وعن زيد بن أسلم بلغني أن الضبعة وأولادها ريين في حجاج عين رجل
من العماليق وقال تعالى ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها في
البلاد قال المبرد وقولها يعنى الخنساء رفيع العماد انما تريد الطول يقال رجل ممد يريد طويلا
ومنه قوله تعالى ارم ذات العماد أى الطوال وقال البغوي سموا ذات العماد لانهم كانوا
أهل عمد سيارة وهو قول قتادة ومجاهد والسكبي ورواية عطاء عن ابن عباس وقال بعضهم
سموا ذات العماد لطول قاماتهم قال ابن عباس يعنى طولهم مثل العماد قال مقاتل كان
طول أحدهم اثني عشر ذراعا وفي كشف الزحشرى لم يخلق مثلها مثل عاد في البلاد عظم
أجرام وقوة كان طول الرجل منهم أربعمائة ذراع وكان يأبى الصخرة العظيمة فيحملها فيلقبها
على الحمي فيهلكهم وقد ذكر غير واحد أنه وجد في خلافة المقتدر بالله أبى الفضل جعفر
ابن المعتضد كنز بمصر فيه ضلع انسان طوله أربعة عشر شبرا في عرض ثلاثة أشبار * واعلم
أن أعين بني آدم ضيقة وقد نشأت نفوسهم في محل صغير فاذا حدث القوم بما يتجاوز مقدار
عقولهم أو مبلغ أجسامهم مما ليس له عندهم أصل يقيسونه عليه الا ما يشاهدونه أو يألّفونه
عجلوا الى الارتياح فيه وسارعوا الى الشك في الخبر عنه الا من كان معه علم وفهم فانه يفحص
عما يبلغه من ذلك حتى يجد دليلا على قبوله أو رده وكيف يرد مثل هذه الاخبار وفي
الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خلق الله آدم طوله ستون ذراعا في السماء

ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن وذكر محمد بن عبد الرحيم بن سليمان بن ربيع القيسي
الغراطى في كتاب تحفة الالباب قال نقل الشعبي في كتاب سير الملوك أن الضحاك بن علوان
لما هرب منه لام بن عامر الى ناحية الشمال أرسل في طلبه أميرين مع كل أمير طائفة من
الحيارين خرج أحدهما قاصدا الى بلغار والآخر الى باشقرد فأقام أولئك الحيارون في أرض
بلغار وفي باشقرد قال الافليشى وقد رأيت صورهم في باشقرد ورأيت قبورهم بها فكان مما
رأيت ثنية أحدهم طولها أربعة أشبار وعرضها شبران وقد كان عندى في باشقرد نصف أصل
الثنية أخرجت لى من فكه الاسفل فكان عرضها شبرا ووزنها ألف مثقال ومائتا مثقال
أنا وزنتها بيدي وهي الآن في دارى في باشقرد وكان دورفك ذلك العادى سبعة عشر
ذراعا وفى بيت بعض أصحابي في باشقرد عضد أحدهم طوله ثمانية وعشرون ذراعا وأضلاعه
كل ضلع عرضيه ثلاثة أشبار وأكثر كاللوح الرخام وأخرج الى نصف رسغ يد أحدهم
فكنت لا أقدر أن أرفعه بيد واحدة حتى أرفعه بيدي جميعا قال ولقد رأيت في بلد بلغار
سنة ثلاثين وخمسمائة من نسل العاديين رجلا طوالا كان طوله أكثر من سبعة أذرع وكان
يسمى دتقى وكان يأخذ الفرس تحت أبطه كما يأخذ الانسان الطفل الصغير وكان اذا وقع
القتال بتلك الناحية يقاتل بشجرة من شجر البلوط يسكها كالعصا في يده لو ضرب بها الفيل
قتله وكان خيرا متواضعا كلما التقاى سلم على ورحب بي وأكرمنى وكان رأسي لا يصل الى حقوه
وكان له أخت على طولها رأيتها في بلغار مرارا عدة قال القاضى يعقوب بن النعمان يعني قاضى
بلغار ان هذه المرأة الطويلة العادى قتلت زوجها وكان اسمه آدم وكان من أقوى أهل بلغار
ضمنته الى صدرها فكسرت أضلاعه فمات من ساعته قال ولم يكن في بلغار حمام تسعهم الا حمام
واحدة واسعة الابواب انتهى * وقد حدثنى الحافظ أبو عبدالله محمد بن احمد بن محمد الفريابى
عن أبيه أنه شاهد قبرا احتفر بمدينة قرطاجنة من أفريقية فاذا جنة رجل قدر عظم رأسه
كثورين عظيمين ووجد معه لوح مكتوب بالقلم المسند وهو قلم عاد وحروفه مقطعة مانصه
أنا كوش بن كنعان ابن الملوك من آل عاد ملكت بهذه الارض ألف مدينة وبنيت بها على
ألف بكر وركبت من الخيل العتاق سبعة آلاف حمر وصفر وشهب وبيض ودهم ثم لم يغب
عنى ذلك شيئا وجاءني صالح فصاح بى ضيحة أخرجتى من الدنيا فن كان عاقلا ممن جاء
بعدى فليعتبر بى وأنشد

يا واثقا يرعى السهى * يرسم ربيع قد وهى

قف واستمع ثم اعتبر * ان كنت من أهل النهى

بالامس كنا فوقها * واليوم صرنا تحتها

لسكل حديد غاية * لكل أمر منتهى

قال فأمر السلطان أبو بكر بن يحيى الحفصى صاحب تونس بطلعه فطم القبر قال مؤلفه رحمه الله تعالى وأنا أدركت شيئاً من ذلك وهو أنه ترافع في بعض الأيام طائفة من الحجارين الى السلطان الملك الظاهر برقوق أعوام بضع وتسعين وسبعمائة وقد اختلفوا على مال وجدوه بجبل المقطم وهو أنهم كانوا يقطعون الحجارة من منار فيما يلى قلعة الجبل من بحريها فانكشف لهم حجر أسود عليه كتابة فاجتمعوا على قطع ما بين يدى هذا الحجر طمعا في وجود مال فأنهى بهم القطع الى عمود عظيم قائم في قلب الجبل فلعلجتهم أقبلوا بما لهم عليه حتى تكسر قطعاً فاذا هو بحجوف وانسان قائم على قدميه بطوله وتسائر لهم من جهة رأسه دنائير كثيرة فاقفتموها وتنافسوا في قسمتها واختلفوا حتى اشتهر أمرهم وترفعوا الى السلطان فبعث من كشف المغار فوجد الحجر والعمود وقد تكسر فأخذ منهم ما وجد بأيديهم من الدنائير ولم يجد من يعرف ما قد كتب على الحجر وتسامع الناس بالخبر فاقبلوا الى المغار وعشوا برمة الميت فأخبرني من شاهد سنا من أسنان هذا الميت أنها سوداء بقدر الباذنجانة وان عظم ساقه فيما بين قدمه الى ركبته خمسة أذرع فيجيء هذا من حساب طوله عشرين ذراعاً وأزيد ودماغ سن واحدة من أسنانه في قدر الباز نجاته ما هو الا كالقبة الكبيرة وأخبرني السيد الشريف قاضي القضاة بدمشق شهاب الدين أحمد بن علي بن ابراهيم الحسيني المعروف بابن عدنان ويا بن أبي الجن أنه وقف في سنة أربع عشرة وثمانمائة بمقبرة باب الصغير من دمشق على قبر ليدفن فيه ميت لهم فلما تمياً القبر ولم يبق الا أن يدلى فيه الميت انخسف وخرج من الخسف ذباب كثير كبار زرق الالوان حتى كادت تظلمهم فنزل الحفار في الخسف فاذا قبر طوله اثنان وعشرون ذراعاً وفيه بطوله ميت قد صار كالرماد وأخبرني أيضاً انه شاهد بهذه المقبرة ضرس انسان وله ثلاث شعب وقد سقطت منه قطعة وهو في قدر البطيخة وانه وزن بمحضرتة فبلغ رطلين وتسع أواق بالرطل الشامي وان القطعة التي انكسرت منه نحو اوقيتين بالشامي فيكون على هذا زنة هذا الضرس نحو اثني عشر رطلاً بالمصري والله تعالى أعلم

ذكر طرف مما قيل في الاسكندرية

قال أبو عمرو السكندى أجمع الناس أنه ليس في الدنيا مدينة على ثلاث طبقات غير الاسكندرية ولما دخل عبد العزيز بن مروان الاسكندرية سأل رجلاً من علماء الروم عنها وعن عدد أهلها فقال والله أيها الأمير ما أدرك علم هذا أحد من الملوك والذي أخبرك كم كان فيها من اليهود فان ملك الروم أمر باحصائهم فكانوا ستائة الف قال فلهذا الخراب الذي في أطرافها قال بلغني عن بعض ملوك فارس حين ملكوا مصر أنه أمر بفرض دينار على كل محتل لعمران الاسكندرية فأناه كبراء أهلها وعلماءهم وقالوا أيها الملك لاتعذب فان

الاسكندرية أقام الاسكندر على بنائها ثلثمائة سنة وعمرت ثلثمائة سنة وانها لخراب منذ ثلثمائة سنة ولقد أقام أهلها سبعين سنة لا يمشون فيها نهارا الا بحرق سود في أيديهم خوفا على أبصارهم من شدة بياضها. * ومن فضائلها ما قاله بعض المفسرين من أهل العلم انها المدينة التي وصفها الله عز وجل في كتابه العزيز فقال ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وقال احمد بن صالح قال لي سفيان بن عيينة يامصرى أين تسكن قالت أسكن الفسطاط فقال أنا في الاسكندرية قلت نعم قال تلك كنانة الله يجعل فيها خيار سهامه * وقال عبد الله بن مرزوق الصدي لما نعي لي ابن عمي خالد بن يزيد وكان قد توفي بالاسكندرية لقيني موسى بن علي بن رباح وعبد الله بن طيبة واليث بن سعد متفرقين كلهم يقول أليس مات بالاسكندرية فأقول نعم فيقولون هو حي عند الله يرزق ويجري عليه أجر رباطه ما قامت الدنيا وله أجر شهيد حتي يحشر على ذلك وقال الذين ينظرون في الاهوية والبلدان وترتب الاقاليم والامصار أنه لم تطل أعمار الناس في بلد من البلدان طولها بمربوط من كورة الاسكندرية ووادي فرغانة وقال الحسن بن صفوان وأما الاسكندرية وتيس وأما لها فقرها من البحر وسكون الحرارة والبرد عندهم وظهور ربح الصبا فيهم مما يصلح أمرهم ويرق طباعهم ويرفع همهم وليس يعرض لهم ما يعرض لاهل اليشمون من غاظ الطبع والحارية وقد وصف أهل الاسكندرية بالبخل قال جلال الدين بن مكرم بن أبي الحسن بن أحمد الخزرجي ملك الحفاظ

نزيل سكندرية ليس يقرى * بغير الماء أولعت السوارى
ويخف حين يكرم بالهواء الشملاتن والاشارة للمنار
وذكر البحر والامواج فيه * ووصف مراكب الروم الكبار
فلا يطمع نزيلهم بخبز * فافيا لذاك الحرف قاري

وقال احمد بن جرداديه من الفسطاط الى ذوات الساحل أربعة وعشرون ميلا ثم الى مربوط ثلاثون ميلا ثم الى كوم شريك ثلاثون ميلا ثم الى كريبون أربعة وعشرون ميلا ثم الى الاسكندرية أربعة وعشرون ميلا وقال آخر وطريق الاسكندرية اذا انصب ماء النيل يأخذ بين المدائن والضياح وذلك اذا أخذت من شطونف الى سبك العيد فهو منزل فيه منية لطيفة وبينهما اثنا عشر سقسا ومن سبك الى مدينة منوف وهي كبيرة فيها حمامات وأسواق وبها قوم فيهم يسار ووجوه من الناس وبينهما ستة عشر سقسا ومن منوف الى محلة صرد وفيها منبر وحمام وفنادق وسوق صالح ستة عشر سقسا ومن محلة صرد الى سخا وهي مدينة كبيرة ذات حمامات وأسواق وعمل واسع وأقليم جليل له عامل بعسكر او جنود به السكتان الكثير وزيت الفجل وقروح عظيمة ستة عشر سقسا ومن سخا الى شبركيه وهي مدينة كبيرة بها جامع وأسواق ستة عشر سقسا ومن شبركيه الى مسير

وهي مدينة بها جامع وأسواق ستة عشر سقسا ومن مسير الى سنهور وهي مدينة ذات أقليم كبير وبها حمامات وأسواق وعمل كبير ستة عشر سقسا ومن سنهور الى النخوم وهي أقليم وبها حمامات وفنادق وأسواق ستة عشر سقسا ومن النخوم الى نسترووكا كانت مدينة عظيمة حسنة على بحيرة اليشمون عشرون سقسا ومن نسترو الى البرلس وهي مدينة كثيرة الصيد في البحيرة وبها حمامات عشر سقسا ومن البرلس الى أخنا وهي حصن على شط بحر الملح عشر سقسا ومن أخنا الى رشيد وهي مدينة على النيل ومنها يصب النيل في البحر من فوهة تعرف بالاشتوم وهي المدخل ثلاثون سقسا وكان بها أسواق صالحة وحمام وبها نخيل وضريبة على ما يحمل من الاسكندرية * وهذا الطريق الآخذ من شطونف الى رشيد ربما امتنع سلوكه عند زيادة النيل والثياب المنسوجة بالاسكندرية لانظيرها وتحمل الى أقطار الارض وفي ثياب الاسكندرية ما يباع الكتان منه اذا عمل ثيابا يقال لها الشرب كل زنة درهم بدرهم فضة وما يدخل في الطرز فيباع بنظير وزنه مرات عديدة

❦ ذكر فتح الاسكندرية ❦

قال أبو عمرو الكندي لما حاز المسلمون الحصن بما فيه أجمع عمرو على المسير الى الاسكندرية فسار اليها في ربيع الاول سنة عشرين وقال غيره بل سار في جمادى الآخرة منها * وذكر سيف بن عمر أن عمرو بن العاص بعث الى الاسكندرية وهو على عين شمس عوف بن مالك فنزل عليها وبعث يقول لاهلها ان شئتم أن تنزلوا فلكم الامان فقالوا نعم فراسلهم وتربصوا أهل عين شمس وسار المسلمون من بين ذلك * وقال ابن عبدالحكم ويقال ان المقوقس انما صالح عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية حاصر أهلها ثلاثة أشهر وألح عليهم تخافوه وسأله المقوقس الصلح عنهم كما صالحه على القبط على أن يستنظر رأى الملك فحدثنا يزيد بن أبي حبيب أن المقوقس الرومي الذي كان ملكا على مصر صالح عمرو بن العاص على أن يسير من أراد من الروم المسير ويقر من أراد من الروم على أمر قد سماه فباع ذلك هرقل ملك الروم فسخط أشد السخط وأنكر أشد الإنكار وبعث الجيوش فأغلقت أبواب الاسكندرية وآذنوا عمرا بالحرب فخرج اليه المقوقس فقال أسألك ثلاثا قال ما هن قال لا تبذل للروم ما بذلت لي فإني قد نصحت لهم فاستغشوني ولا تنقض القبط فان النقص لم يأت من قبلهم وأن تأمرني اذامت فادفني في بجنس فقال عمرو هذه أهونهن علينا قال فخرج عمرو بالمسلمين حين أمكنهم الخروج وخرج معه جماعة من رؤساء القبط وقد أصابحوهم الطرق وأقاموا لهم الجسور والأسواق وصارت لهم القبط أعوانا على ما أرادوا من قتال الروم وسمعت بذلك الروم فاستمدت واستجاشت وقدمت عليهم مراكب من أرض الروم فيها جمع عظيم من الروم بالعدة والسلاح فخرج اليهم عمرو من القسطنطين متوجها الى الاسكندرية فلم

ير منهم أحدا حتى بلغ مربوط فلقي فيها طائفة من الروم فقاتلهم - قتلا خفيفا فهزمهم الله ومضى عمرو بمن معه حتى أتى جمع الروم يكوم شريك فاقتلوا ثلاثة أيام ثم فتح الله على المسلمين وولي الروم أكتافهم * ويقال بل أرسل عمرو بن العاص شريك بن سمى في آثارهم فأدركهم عند السكوم الذي يقال له كوم شريك فهزمهم وكان علي مقدمة عمرو وعمرو بمربوط فالتجأوه الى السكوم فاعتصم به وأحاطت به الروم فلما رأى ذلك شريك بن سمى أمر بآنا عمة مالك بن ناعمة الصديقي وهو صاحب الفرس الاشقر الذى يقال له أشقر صدف وكان لا يجارى سرعة فأنحط عليهم من السكوم وطلبته الروم فلم تدركه حتى أتى عمرا فأخبره فأقبل عمرو متوجها وسمعت به الروم فانصرفت ثم التقوا بسلمطيس فاقتلوا قتالا شديدا ثم هزمهم الله تعالى ثم التقوا بالكربون فاقتلوا بها بضعة عشر يوما وكان عبد الله بن عمرو على المقدمة وحامل اللواء يومئذ وردان مولى عمرو فأصاب عبد الله بن عمرو جراحات كثيرة فقال يا وردان لو تهقرت قليلا نصيب الروح فقال وردان الروح تريد الروح امامك وليس خلفك فتقدم عبد الله فجاءه رسول أبيه يسأله عن جراحه فقال

أقول لها اذا جشأت وجاشت * رويدك تحمدى أو تستريحى

وهذا البيت لعمرو بن الاطنابة وهو أن رجلا من بني النجار كان ينجور المعاذ بن النعمان فقتل فقال معاذ لا أقتل به الا عمرو بن الاطنابة وهو يومئذ أشرف الخزرج فقال عمرو

ألا من مبلغ الاكفاء عني * وقد تهدى النصيحة للنصيح

بأنكم وما تزجون شطرى * من القول المرغى والصريح

سيقدم بعضكم عجلا عليه * وما أثر اللسان الى الجروح

أبت لي عفتي وأبى بلائى ■ وأخذنى الحمد بالثمن الربيع

وأعطائى على المكروه مالى ■ واقدامى على البطل المشيح

وقولي كلما جشأت وجاشت * مكانك تحمدى أو تستريحى

لادفع عن مآثر صالحات * وأحى بعد عن عرض صحيح

بذى شطب كلون المالح صاف * ونفس لم تفر على القيسح

الشطب سعف النخل الاخضر الواحدة شطبة وجشأت ارتفعت من حزن أو فزع

وجاشت دارت للعثيان وقيل هما بمعنى ارتفع والمشيح البارد المنكمش * فرجع الرسول الى

عمرو فأخبره بما قال فقال عمرو هو ابني حقا وصلى عمرو صلاة الخوف ثم فتح الله

للمسلمين وقتل منهم المسلمون مقتلة عظيمة واتبعوهم حتى بلغوا الاسكندرية فتحصن بها

الروم وكان عليها حصون متينة لا ترام حصن دون حصن فنزل المسلمون ومعهم رؤساء القبط

يمدونهم بما احتاجوا اليه من الاطعمة والعلوفة فأقاموا شهرين ثم تحول فخرجت عليه خيل

من ناحية البحيرة مسترة بالحصن فواقعه فقتل يومئذ من المسلمين اثنا عشر رجلا وورسل ملك الروم تختلف الى الاسكندرية في المراكب بمادة الروم وكان ملك الروم يقول لئن ظهرت العرب على الاسكندرية ففي ذلك انقطاع الروم وهلاكهم لانه ليس للروم كنائس أعظم من كنائس الاسكندرية وانما كان عيد الروم حين غلبت العرب على الشام بالاسكندرية فقال الملك لئن غلبونا على الاسكندرية هلك الروم وانقطع ملكها فأمر بجهازه ومصلحته لخروجه الى الاسكندرية حتى يباشر قتالها بنفسه فلما فرغ من جهازه صرعه الله عز وجل فأماته وكفى المسلمين مؤنته وكان موته في سنة تسع عشرة فكمثر الله بموته شوكة الروم فرجع جمع كثير ممن كان قد توجه * وقال الليث مات هرقل في سنة عشرين وفيها فتحت قيسارية الشام قال واستأسدت العرب عند ذلك وألحت بالقتال على أهل الاسكندرية فقاتلوه قاتلا شديدا وخرج طرف من الروم من باب حصن الاسكندرية فحملوا على الناس فقتلوا رجلا من مهرة واحتزوا رأسه ومضوا به فجعل المهيرون يتغضبون ويقولون لاندفعه الا برأسه فقال عمرو تغضبون كأنكم تتغضبون علي من يبالي بغضبكم احموا على القوم اذا خرجوا فاقتلوا منهم رجلا ثم ارموا برأسه يرمونكم برأس صاحبكم فخرجت الروم اليهم فاقتلوا فقتل من الروم رجل من بطارقتهم فاحتزوا رأسه ورموا به الروم فرمت الروم برأس المهري اليهم فقال دونكم الآن فادفنوا صاحبكم * وكان عمرو يقول ثلاث قبائل من مصر أما مهرة فتقوم يقتلون ولا يقتلون وأما عافق فتقوم يتلون ولا يقتلون وأما بلي فأكثرها رجلا يحب النبي صلى الله عليه وسلم وأفضلها فارسا وقال رجل لعمرو لو جعلت المنجنيق ورميتهم به لهدم حائطهم فقال عمرو تستطيع أن يفنى مقامك من الصف وقيل له ان العدو قد غشوك ونحن نخاف على رايطة يريدون أمراته فقال اذا اتخذوا أرباطا كثيرة * ولما استعجز القتال بارز رجل من الروم مسلمة بن مخلد فصصره الرومي وألقاه عن فرسه وهوى اليه ليقته حتى حمى رجل من أصحابه وكان مسلمة لا يقاوم ولكنها مقادير ففرحت بذلك الروم وشق على المسلمين وغضب عمرو بن العاص لذلك وكان مسلمة كثير اللحم ثقيل البدن فقال عمرو عند ذلك ما بال الرجل الستة الذي يشبه النساء يتعرض مداخل الرجال ويتشبه بهم فغضب من ذلك مسلمة ولم يراجع ثم اشتد القتال حتى اقتحموا حصن الاسكندرية فقاتلهم العرب في الحصن ثم جاشت عليهم الروم حتى أخرجوهم جميعا من الحصن الأربعة نفر تفرقوا في الحصن وأغلقوا عليهم باب الحصن أحدهم عمرو بن العاص والآخر مسلمة ولم تحفظ الآخرين وحالوا بينهم وبين أصحابهم ولا يدري الروم من هم فلما رأى ذلك عمرو بن العاص وأصحابه التجأوا الى ديماس من حاماتهم فدخلوا فيه فاحتزوا به فأمرهم روميا أن يكلمهم بالعربية فقال لهم انكم قد صرتم بأيدينا أسارى فاستأسروا ولا تقتلوا أنفسكم فامتنعوا عليه ثم قال لهم ان في ايدي أصحابكم منا رجلا أسروهم (م ٣٤ - خطط ل)

ونحن نعطيكم اليهود نفادي بكم أصحابنا ولا نقلكم فأبوا عليه فلما رأى ذلك الرومي منهم قال لهم هل لكم إلى خصلة وهي نصف فإن غلب صاحبنا صاحبكم استأسرتم لنا وأمكتمونا من أنفسكم وإن غلب صاحبكم صاحبنا خيلنا سيديكم إلى أصحابكم فرضوا بذلك وتعاهدوا عليه وعمره ومسلمة وصاحبها في الحصن في الديماس فتداعوا إلى البراز فبرز رجل من الروم وقد وثقت الروم بنجده وشدته وقالوا يبرز رجل منكم لصاحبنا فأراد عمرو أن يبرز فنهه مسلمة وقال ما هذا تخطئ مرتين تشذ من أصحابك وأنت أمير وإنما قوامهم بك وقلوبهم معلقة نحوك لا يدرون ما أمرك ولا ترضى حتى تبارز وتعرض للقتل فإن قتلت كان ذلك بلاء على أصحابك مكانك وأنا أكفيك إن شاء الله تعالى فقال عمرو دونك فربما فرجها الله بك فبرز مسلمة للرومي فتجاولا ساعة ثم أعانه الله عليه فقتله فكر مسلمة وأصحابه ووفي لهم الروم بما عاهدوهم عليه ففتحوا لهم باب الحصن فخرجوا ولا يدري الروم أن أمير القوم فيهم حتى بلغهم بعد ذلك فأسفوا على ذلك وأكلوا أيديهم تغيطا على ما فاتهم فلما خرجوا استحميا عمرو مما كان قال لمسلمة حين غضب فقال عمرو عند ذلك استغفر لي ما كنت قلت لك فاستغفر له وقال عمرو ما أخشيت قط الاثلاث مرار مرتين في الجاهلية وهذه الثالثة وما منن مرة الا وقد ندمت وما استحييت من واحدة منهن أشد مما استحييت مما قلت لك والله اني لأرجو أن لأعود إلى الرابعة ما بقيت قال وأقام عمرو محاصر الاسكندرية شهرا فلما باغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال ما بطلوا بالفتح الا لما أحدثوا وكتب إلى عمرو بن العاص أما بعد فقد عجيت لابطائكم عن فتح مصر انكم تقاتلونهم منذ سنين وما ذاك الا لما أحدثتم وأحببتم من الدنيا ما أحب عدوكم فان الله تبارك وتعالى لا ينصر قوما لا يصدق نياتهم وقد كنت وجهت اليك أربعة نفر وأعلمت أن الرجل منهم مقاوم ألف رجل على ما كنت أعرف الا أن يكونوا غيرهم ما غير غيرهم فاذا أنك كتابي هذا فاخطب الناس وحضهم على قتال عدوهم ورغبهم في الصبر والنية وقدم أولئك الاربعة في صدور الناس ومر الناس جميعا أن يكونوا لهم صدمة واحدة كصدمة رجل واحد ولكن ذلك عند الزوال يوم الجمعة فانها ساعة تنزل الرحمة ووقت الاجابة وليعج الناس إلى الله ويسألوه النصر على عدوهم فلما أتى عمرو ابن العاص رضي الله عنه الكتاب جمع الناس وقرأ عليهم كتاب عمر رضي الله عنه ثم دعا أولئك النفر فقدمهم أمام الناس وأمر الناس أن يتطهروا ويصلوا ركعتين ثم يرغبوا إلى الله تعالى ويسألوه النصر ففعلوا ففتح الله عليهم * ويقال ان عمرو بن العاص استشار مسلمة فقال أشرك علي في قتال هؤلاء فقال له مسلمة أرى أن تنظر إلى رجل له معرفة وتجارب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتعقد له على الناس فيكون هو الذي يباشر القتال ويكفيك فقال عمرو من ذلك قال عبادة بن الصامت فدعاه عمرو فأثاه وهو راكب على

فرسه فلما دنا منه أراد النزول فقال له عمرو عزمت عليك ان نزلت ناولني سنان ومحك
فناوله اياه فترع عمرو عمامته عن رأسه وعقد له وولاه قتال الروم فتقدم عبادة مكانه فصادف
الروم وقاتلهم ففتح الله على يديه الاسكندرية من يومهم ذلك وكان حصار الاسكندرية بعد
موت هرقل تسعة أشهر وخمسة أشهر قبل ذلك وفتحت يوم الجمعة لمسهل المحرم سنة احدى
وعشرين وقال أبو عمرو السكندى وحاصر عمرو الاسكندرية ثلاثة أشهر ثم فتحها عنوة
وهو الفتح الاول ويقال بل فتحها عمرو لمسهل المحرم سنة احدى وعشرين * قال القاضي
عن الليث أقام عمرو بالاسكندرية في حصارها وفتحها ستة أشهر ثم انتقل الى الفسطاط
فاتخذها داراً في ذى القعدة * وقال ابن عبد الحكم فلما هزم الله تعالى الروم وفتح الاسكندرية
هرب الروم في البر والبحر خلف عمرو بالاسكندرية ألف رجل من أصحابه ومضى ومن
معه في طلب من هرب من الروم في البر فرجع من كان هرب من الروم في البحر الى
الاسكندرية فقتلوا من كان فيها من المسلمين الا من هرب منهم وبلغ ذلك عمرا ففكر راجعا
ففتحها وأقام بها وكتب الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان الله قد فتح علينا الاسكندرية بغير
عقد ولا عهد فكتب اليه عمر رضى الله عنه يبيح رأيه ويأمره أن لا يجاوزها قال ابن طيعة
وهو فتح الاسكندرية الثاني وكان سبب فتحها هذا أن رجلا يقال له ابن بسامة كان بوابا
فسأل عمرا أن يؤمنه على نفسه وأرضه وأهل بيته ويفتح له الباب فأجابه عمرو الى ذلك
ففتح له ابن بسامة الباب فدخل عمرو وقتل من المسلمين من حين كان من أمر الاسكندرية
ما كان الى أن فتحت اثنان وعشرون رجلا وبعث عمرو بن العاص معاوية بن خديج وافدا
الى عمر بن الخطاب بشيرا له بالفتح فقال له معاوية ألا تكتب معي فقال له عمرو وما أصنع
بالكتاب ألت رجلا عرييا تبلغ الرسالة وما رأيت وحضرت * فلما قدم على عمر أخبره
بفتح الاسكندرية فخر عمر ساجدا وقال الحمد لله وقال معاوية بن خديج بعثي عمرو بن
العاص الى عمر رضى الله عنه بفتح الاسكندرية فقدمت المدينة في الظهيرة فأنتح راحتي بباب
المسجد ثم دخلت المسجد فيينا أنا قاعد فيه اذ خرجت جارية من منزل عمر بن الخطاب
رضي الله عنه فرائني شاحبا على ثياب السفر فأنتني وقالت من أنت فقلت أنا معاوية بن
خديج رسول عمرو بن العاص فانصرفت عني ثم أقبلت تشد أسمع حفيف أزارها على ساقها
حتى دنت مني ثم قالت قم فأجب أمير المؤمنين يدعوك فتبعتها فلما دخلت فاذا بعمر يتناول
رداءه باحدى يديه ويشد ازاره بالآخرى فقال ما عندك فقلت خير يا أمير المؤمنين ففتح الله
الاسكندرية فخرج معي الى المسجد فقال للمؤذن أذن في الناس الصلاة جامعة فاجتمع الناس
ثم قال لي قم فأخبر أصحابك فقامت فأخبرتهم ثم صلى ودخل منزله واستقبل القبلة فدعا
بدعوات ثم جلس فقال يا جارية هل من طعام فأنت بخبز وزيت فقال كل فأكلت حياء ثم

قال كل فان المسافر يحب الطعام فلو كنت آكل لا كنت معك فأدبت على حياء ثم قال يا جارية هل من تمر فأنت تتمر في طبق فقال كل فأكلت على حياء ثم قال ماذا قلت يا معاوية حين أتيت المسجد قال قلت أمير المؤمنين قائل قال بئس ما قلت أو بئس ما ظننت لأن نمت النهار لأضيعن الرعية ولئن نمت الليل لأضيعن نفسي فكيف بالنوم مع هذين يا معاوية * ثم كتب عمرو بن العاص بعد ذلك الى عمر بن الخطاب أما بعد فاني فتحت مدينة لا أصف ما فيها غير أنني أصبت فيها أربعة آلاف بنية بأربعة آلاف حمام وأربعين ألف يهودى عليهم الجزية وأربعمائة ملهى للملوك وعن أبي قبيل أن عمرا لما فتح الاسكندرية وجد فيها اثني عشر ألف يقال يبيعون البقل الأخضر وترحل من الاسكندرية في الليلة التي دخلها عمرو وفي الليلة التي خافوا فيها دخول عمرو سبعون ألف يهودى * وكان بالاسكندرية فيما أحصى من الحمامات اثنا عشر ألف ديماس أصغر ديماس منها يسع ألف مجلس كل مجلس يسع جماعة نفر وكان عدة من بالاسكندرية من الروم مائتي ألف رجل فلهحق بأرض الروم أهل القوة وركبوا السفن وكان بها مائة مركب من المراكب الكبار فحمل فيها ثلاثون ألفا مع ماقدروا عليه من المال والمتاع والاهل وبقى من بقى من الأسارى من بلغ الخراج فأحصى يومئذ ستمائة ألف سوى النساء والصبيان فاختلف الناس على عمرو في قسمها فكان أكثر الناس يريدون قسمها فقال عمر ولا أقدر على قسمها حتى أكتب الى أمير المؤمنين فكتب اليه يعلمه بفتحها وشأنها ويعلمه أن المسلمين طلبوا قسمها فكتب اليه عمر لا تقسمها وذرها يكون خراجها فيأ للمسلمين وقوة لهم على جهاد عدوهم فأقرها عمرو وأحصى أهلها وفرض عليهم الخراج فكانت مصر صالحة كلها بفريضة دينارين على كل رجل لايزاد على أحد منهم في جزية رأسه أكثر من دينارين إلا أنه يلزم بقدر ما يتوسع فيه من الارض والزرع الا الاسكندرية فانهم كانوا يؤدّون الخراج والجزية على قدر ما يرى من وليهم لأن الاسكندرية فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد ولم يكن لهم صلح ولا ذمة * وقد كانت قرى من قرى مصر قاتلت فسبوا منها قرية يقال لها بلهيب وقرية يقال لها الحيس وقرية يقال لها سلطيس فوقع سباياهم بالمدينة وغيرها فردهم عمر بن الخطاب الى قراهم وصيرهم وجماعة القبط اهل ذمة * وعن يزيد بن أبي حبيب أن عمرا سبي أهل بلهيب وسلطيس وقرطيا وسخا ففرقوا وبلغ أولهم المدينة حين نقضوا ثم كتب عمر بن الخطاب الى عمرو بردهم فرد من وجد منهم وفي رواية ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتب في اهل سلطيس خاصة من كان منهم في أيديكم فخيروه بين الاسلام فان أسلم فهو من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم وان اختار دينه نخلوا بينه وبين قريته فكان البلهيب خير يومئذ فاختر الاسلام * وفي رواية ان أهل سلطيس وصا وبلهيب ظاهرها الروم على المسلمين في جمع كان لهم فلما ظهر عليهم

المسلمون استعملوهم وقالوا هؤلاء لنا فيء مع الاسكندرية فكتب عمرو الى عمر بن الخطاب بذلك فكتب اليه عمر أن تجعل الاسكندرية وهؤلاء الثلاث ذمة للمسلمين وتضرب عليهم الخراج ويكون خراجهم وما صالح عليه القبط قوة للمسلمين على عدوهم ولا يجعلون فيئا ولا عبيدا ففعل ذلك * ويقال انما ردهم عمر رضي الله عنه لعمد كان تقدم لهم وقال ابن لهيعة جبي عمرو جزية الاسكندرية ستمائة ألف دينار لانه وجد ثلثمائة ألف من أهل الذمة فقدر عليهم دينارين دينارين فبلغت ذلك وقيل كانت جزية الاسكندرية ثمانية عشر ألف دينار فلما كانت خلافة هشام بن عبد الملك بلغت ستة وثلاثين ألف دينار ويقال ان عمرو بن العاص استبقى أهل الاسكندرية فلم يقتل ولم يسب بل جعلهم ذمة كاهل التوبة

ذكر ما كان من فعل المسلمين بالاسكندرية وانتقاض الروم

قال ابن عبد الحكم فأما الاسكندرية فلم يكن بها خطط وانما كانت أخاخذ من أخذ منزلا نزل فيه هو وبنو ابيه وان عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية أقبل هو وعبادة بن الصامت حتى علوا السكوم الذي فيه مسجد عمرو بن العاص فقال معاوية بن خديج نزل فنزل عمرو القصر ونزل أبوذر منزلا كان غربي المصلى الذي عند مسجد عمرو بمابلي البحر وقد انهدم ونزل معاوية بن خديج فوق التل وضرب عبادة بن الصامت خباء فلم يزل فيه حتى خرج من الاسكندرية ويقال ان أبا الدرداء كان معه والله أعلم قال فلما استقامت لهم البلاد قطع عمرو ان العاص من أصحابه لرباط الاسكندرية ربع الناس وربعا في السواحل والنصف مقيمون معه وكان يصير بالاسكندرية خاصة الربع في الصيف بقدر ستة أشهر ويعقب بعدهم شانية ستة أشهر وكان لكل عريف قصر ينزل فيه بمن معه من أصحابه واتخذوا فيه أخاخذ * وعن يزيد بن أبي حبيب أن المسلمين لما سكنوا الاسكندرية في رباطهم ثم قفلوا ثم غزوا ابتدروا فكان الرجل منهم يأتي المنزل الذي كان فيه صاحبه قبل ذلك فيبتدوه فيسكنه فلما غزوا قال عمرو اني اخاف أن تخربوا المنازل اذا كنتم تتعاورونها فلما كان عند السكريون قال لهم سيروا على بركة الله فمن ركر منكم رحه في دار فهي له ولبنى بنه فكان الرجل يدخل الدار فيركز رحه في منزل منها ثم يأتي الآخر فيركز رحه في بعض بيوت الدار فكانت الدار تكون لقيسيتين وثلاث وكانوا يسكنونها حتي اذا قفلوا سكنها الروم وعلمهم مرمها وكان يزيد بن أبي حبيب يقول لا يحل من كرائها شيء ولا بيعها ولا يورث منها شيء انما كانت لهم يسكنوها في رباطهم * وعن يزيد بن أبي حبيب أن عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية ورأى بيوتها وبناءها منروغا منها هم أن يسكنها وقال مساكن قد كفيناها فكتب الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستأذنه في ذلك فسأل عمر الرسول هل يحول بيني وبين المسلمين ماء قال نعم يا أمير المؤمنين اذا جري النيل فكتب عمر الى عمرو اني

لا أحب أن تنزل بالمسلمين منزلاً يحول الماء بيني وبينهم شتاء ولا صيفاً فتحول عمرو بن العاص إلى القسطنطينية وقال وكتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص وهو نازل بمداين كسرى وإلى عامله بالبصرة وإلى عمرو بن العاص وهو نازل بالاسكندرية أن لا تجعلوا بيني وبينكم ماء حتى ما أردت أن أركب إليكم راحلتي حتى أقدم عليكم قدمت فتحول سعد بن أبي وقاص من مداين كسرى إلى الكوفة وتحول صاحب البصرة من المكان الذي كان فيه فنزل بالبصرة وتحول عمرو بن العاص من الاسكندرية إلى القسطنطينية وكان عمر بن الخطاب يبعث في كل سنة غازية من أهل المدينة ترابط بالاسكندرية وكان على الولاة لا يفتلها ويكنف مرابطها ولا يأمن الروم عليها * وكتب عثمان رضي الله عنه إلى عبد الله ابن سعد بن أبي سرح قد علمت كيف كان هم أمير المؤمنين بالاسكندرية وقد نقضت الروم مرتين فالزم الاسكندرية مرابطها ثم أجز عليهم أرزاقهم وأعقب بينهم في كل ستة أشهر قال وكانت الاسكندرية انتقضت وجاءت الروم عليهم منويل الخصى في المراكب حتى أرسوا بالاسكندرية فأجابهم من بهاء من الروم ولم يكن المقوقس تحرك ولا نكت وقد كان عثمان رضي الله عنه عزل عمرو بن العاص وولى عبد الله بن سعد بن أبي سرح فلما نزلت الروم سأل أهل مصر عثمان أن يقر عمرًا حتى يفرغ من قتال الروم فإن له معرفة بالحرب وهيبة في العدو ففعل وكان على الاسكندرية سورها خلف عمرو بن العاص لئن أطفره الله عليهم لهدم سورها حتى يكون مثل بيت الزانية يؤتي من كل مكان نفخ بهم عمرو في البر والبحر فضموا إلى المقوقس من أطاعه من القبط وأما الروم فلم يطعه منهم أحد فقال خارجة بن حذافة لعمرو ناهضهم قبل أن يكثر مددهم فلا آمن أن تنقض مصر كلها فقال عمرو لا ولكن أدعهم حتى يسبوا إلى قانهم يصيبون من مروابه فيخزي الله بعضهم ببعض فخرجوا من الاسكندرية ومعهم من نقض من أهل القرى فجعلوا ينزلون القرية فيشربون خمرها ويأكلون أطعمتها وينتهبون مأمروا به فلم يتعرض لهم عمرو حتى بلغوا نفوس فلقوهم في البر والبحر فبدأت الروم القبط فرموا بالنشاب في الماء رميا شديدا حتى أصابت النشاب يومئذ فرس عمرو في لبته وهو في البر فقمر فنزل عنه عمرو ثم خرجوا من البحر فاجتمعوا هم والذين في البر فنهضوا المسلمون بالنشاب فاستأخر المسلمون عنهم شيئا وحملوا على المسلمين حملة ولي المسلمون منها وانهمز شريك بن سمى في خيله وكانت الروم قد جعلت صفوفا خلف صفوف وبرز يومئذ بطريق ممن جاء من أرض الروم على فرس له عليه سلاح مذهب فدعا إلى البراز فبرز إليه رجل من زبيد يقال له حومل يكنى أبا مذحج فاقتتلا طويلا برمحين يتطاردان ثم أتى البطريق الرمح وأخذ السيف فألقى حومل رمحه وأخذ سيفه وكان يعرف بالنجدة فجعل عمرو يصيح أيا مذحج فيجيبه ليك

والناس على شاطئ النيل في البر على تعيينهم وصفوفهم فتجاولا ساعة بالسيف ثم حمل عليه البطريق فاحتمله وكان نحيفا فاخترط حومل ختجرا كان في منطقته أو في ذراعاه فضرب به نحر العليج أو تر قوته فأثبتته ووقع عليه فآخذ سلبه ثم مات حومل بعد ذلك بأيام رحمه الله فرؤى عمرو يحمل سريره بين عمودي نعشه حتى دفعه بالمقطم ثم شد المسلمون عليهم فكانت هزيمتهم فطلبهم المسلمون حتى ألحقوهم بالاسكندرية ففتح الله عليهم وقتل منويل الحصى وقتلهم عمرو حتى آمن في مدينتهم فكلّم في ذلك فأمر برفع السيف عنهم وبني في ذلك الموضع الذي رفع فيه السيف مسجدا وهو المسجد الذي بالاسكندرية الذي يقال له مسجد الرحمة سمى بذلك لرفع عمرو السيف هناك وهدم سورها كله وجمع ما أصاب منهم فجاءه أهل تلك القرى ممن لم يكن نقض فقالوا قد كنا على صاحننا وقد مر علينا هؤلاء للصوص فأخذوا متاعنا ودوابنا وهو قائم في يدك فرد عليهم عمرو ما كان لهم من متاع عرفوه وأقاموا عليه البيعة وقال بعضهم لعمرو ما حل لك ما صنعت بنا كان لنا أن نقاتل عنا لانا في ذمتك ولم نقض فأما من نقض فأباده الله فقدم عمرو وقال يا ليتني كنت لقيتهم حين خرجوا من الاسكندرية وكان سبب نقض الاسكندرية هذا أن ظلما صاحب اختنا قدم على عمرو فقال أخبرنا ما علي أحدنا من الجزية فيصير لها فقال عمرو وهو يشير الى ركن كنيسة لو اعطيتني من الركن الى السقف ما أخبرتك انما أنتم خزنة لانا كثير علينا كثيرنا عايكم وان خفف عنا خففنا عنكم فغضب صاحب اختنا وخرج الى الروم فقدم بهم فزمرهم الله تعالى وأمر فأتي به الى عمرو فقال له الناس اقتله فقال لا بل انطلق فيجتنا بحيش آخر وسوره وتوجه وكساه برنس أرجوان فرضى بآداء الجزية فقبل له لو آتيت ملك الروم فقال لو آتيت لقتلني وقال قتل أصحابي وعن أبي قيل أن عتبة بن أبي سفيان عقد لعلقمة القطيفي على الاسكندرية وبعث معه اثني عشر ألفا فكتب لعلقمة الى معاوية بن أبي سفيان يشكو عتبة حين غرر به وبمن معه فكتب اليه معاوية اني قد أمددتك بعشرة آلاف من أهل الشام وبخمسة آلاف من أهل المدينة فكان في الاسكندرية سبعة وعشرون الفا وفي رواية أن لعلقمة بن يزيد كان على الاسكندرية ومعه اثني عشر ألفا فكتب الى معاوية انك خلفتني بالاسكندرية وليس معي الا اثنا عشر ألفا ما يكاد بعضنا يرى بعضنا من القلة فكتب اليه معاوية اني قد أمددتك بعبدة الله بن مطيع في أربعة آلاف من أهل المدينة وأمرت معن بن يزيد السلمي أن يكون بالرملة في أربعة آلاف مسمكين بأعنة خيولهم متى بلغهم عنك فرع يعبروا اليك قال ابن لهيعة وقد كان عمرو بن العاص يقول ولاية مصر جامعة تعدل الخلافة * وكان عمرو حين توجه الى الاسكندرية خرب القرية التي تعرف اليوم بمخرية وردان * واختلف علينا السبب الذي خربت له فحدثنا سعيد بن عفير أن عمرا لما توجه الى نقيوس لقتال الروم

عبد وردان لقضاء حاجته عند الصبح فاحتفظه اهل الخربة فغيبوه ففقدوه عمرو وسأل عنه وقفا اثره فوجدوه في بعض دورهم فأمر باخراجها واخراجهم منها وقيل كان اهل الخربة رهبا ناكلهم فغدروا بقوم من ساقه عمرو فقتلوه بعد ان بلغ عمرو الكريون فأقام عمرو ووجه اليهم وردان فقتلهم وخر بها فهي خراب الى اليوم وقيل كان اهل الخربة اهل تويت وخبث فارس عمرو الى أرضهم فأخذ له منها جراب فيه تراب من ترابها فكلهم فلم يجيبوه الى شيء فأمر باخراجهم ثم أمر بالتراب ففرش تحت مصلاه ثم قعد عليه ثم دعاهم فكلهم فأجابوه الى ما أحب ثم أمر بالتراب فرفع ثم دعاهم فلم يجيبوه الى شيء فعل ذلك مرارا فلما رأى عمرو ذلك قال هذه بلدة لا يصلح أن توطأ فأمر باخراجها فلما هزم الله الروم أراد عثمان رضي الله عنه أن يكون عمرو بن العاص على الحرب وعبد الله بن سعد على الخراج فقال عمرو انا اذا كاسك البقرة بقرنيها وآخري يحملها فأبي عمرو وكان فتح عمرو هذا عنوة قسرا في خلافة عثمان سنة خمس وعشرين وبينه وبين الفتح الاول أربع سنين وقال اليت كان فتح الاسكندرية الاول سنة اثنتين وعشرين وكان فتحها الآخر سنة خمس وعشرين وأقامت الجيش (٣) من السماء يقاتلون الناس سبع سنين بعد أن فتحت مصر مما يفتحون عليهم من تلك المياه والغياض قال ثم غزا عبد الله بن سعد بن أبي سرح ذا الصواري في سنة أربع وثلاثين وكان من حديث هذه الغزوة ان عبد الله بن سعد لما نزل ذو الصواري أنزل نصف الناس مع بسر بن اوطاة في البر فلما مضوا أتى آت الى عبد الله بن سعد فقال ما كنت فاعلا حين ينزل بك ابن هرقل في ألف مركب فافعله الساعة وكانت مراكب المسلمين مائتي مركب ونيفا فقام عبد الله ابن سعد بين ظهراني الناس فقال بلغني ان ابن هرقل قد أقبل اليكم في ألف مركب فأشيروا علي فما كلمه رجل من المسلمين جلس قليلا لترجع اليهم أفندتهم ثم قام الثانية فكلهم فما كلمه أحد فجلس ثم قام الثالثة فقال انه لم يبق شيء فأشيروا علي فقام رجل من اهل المدينة كان متطوعا مع عبد الله بن سعد فقال أيها الامير ان الله جل ثناؤه يقول كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين فقال عبد الله اركبوا فركبوا وانما في كل مركب نصف شحنته لانه قد خرج النصف الآخر الى البر مع بسر فلقوهم فاقتتلوا بالنبل والنشاب وتأخر ابن هرقل لثلاث تصيبه الهزيمة وجعلت القوارب تحتلف اليه بالاخبار فقال ما فعلوا قالوا قد اقتتلوا بالنبل والنشاب فقال غلبت الروم ثم أتوه فقال ما فعلوا قالوا قد نفذ النبل

(٣) قوله وأقامت الخ هكذا في الاصول التي سیدی وانظر مامعني هذه العبارة فانها لا تخلو عن سقط أو تحريف فاحش وكذا قوله قبلها باسطر أهل تويت وخبث فانه بعد المراجعة لم يفهم له معني وامله محرف عن برّة وجبت ومعناها الخذاقة بالامر والسحر وحرر اه

والنشاب فهم يرمون بالحجارة فقال غلبت الروم ثم أتوه فقال ما فعلوا قالوا قد نفذت الحجارة وربطوا المراكب بعضها ببعض يقتتلون بالسيوف قال غلبت الروم وكانت السفن اذ ذاك تقرن بالسلاسل عند القتال قال فقرن مركب عبد الله يومئذ وهو الامير بمركب من مراكب العدو فكان مركب العدو يحترق مركب عبد الله اليهم فقام علقمة بن يزيد القطيفي وكان مع عبد الله بن سعد في المركب فضرب السلسلة بسيفه فقطعها فسأل عبد الله امرأته بعد ذلك بسياسة ابنة حمزة بن يشرح وكانت مع عبد الله يومئذ وكان الناس يغزون بنسائهم في المراكب من رأيت أشد قتالا قالت علقمة صاحب السلسلة وكان عبد الله قد خطب بسياسة الى أبيها فقال له ان علقمة قد خطبها وله على فيها رأى فان تركها أفعل فكلم عبد الله علقمة فتركها فتزوجها عبد الله بن سعد ثم هلك عنها عبد الله فتزوجها بعده علقمة بن يزيد ثم هلك عنها علقمة فتزوجها بعده كريب بن أبرهة وماتت تحته وقيل مشيت الروم الى قسطنطين بن هرقل في سنة خمس وثلاثين فقالوا أنت ترك الاسكندرية في أيدي العرب وهي مدينتنا الكبرى فقال ما أصنع بكم ما تقدرون أن تمالكو ساعة اذا لقيتم العرب قالوا اخرج على أنا نموت فتبايعوا على ذلك فخرج في ألف مركب يريد الاسكندرية فمسار في أيام غالبه الرياح فبعث الله عليهم ريحا ففرقتهم الاسكندريين فانه نجا بمركبه فألقته الرياح بصقلية فسألوه عن أمره فأخبرهم فقالوا شئت النصرانية وأقنيت رجالها لو دخلت العرب علينا لم نجد من يردهم فقال خرجنا مقتدرين فأصابنا هذا فصنعوا له الحمام ودخلوا عليه فقال ويلكم يذهب رجالكم وتقتلون ماosكم قالوا كأنه غرق معهم ثم قتلوه وخلصوا من كان معه في المركب قال أبو عمرو السكندى وانما سميت غزوة ذى الصواري لكثرة صواري المراكب واجتماعها

ذكر بحيرة الاسكندرية

قال ابن عبد الحكم كانت بحيرة الاسكندرية كروما كلها لامرأة المقوقس فكانت تأخذ خراجها منهم الخمر فريضة عليهم فكثير الخمر عليها حتى ضاقت به ذرعا فقالت لا حاجة لي في الخمر أعطوني دنائير فقالوا ليس عندنا فأرسلت اليهم الماء ففرقتها فصار بحيرة يصاد فيها الحيتان حتى استخرجها الخلفاء من بنى العباس فسدوا جسورها وزرعوها ثم صارت بحيرة طولها اقلاع يوم في عرض يوم ويصير اليها الماء من اشتموم في البحر الرومي ويخرج منها الى بحيرة دونها في خليج عليه مدينتان احدهما الحدة والاخرى اتكو وهي كثيرة المقاني والنخل وكلها في الرمل ويصب في هذه البحيرة خليج من النيل يسمى الحافر طوله نصف يوم اقلاعا وهو كثير الطير والسماك والعشب وكان السمك بوجود هذه البحيرة في الاسكندرية غاية في الكثرة يباع بأقل القيم وأبخص الأثمان ثم انقطع الماء عن هذه البحيرة منذ (م ٣٥ - خطط ل)

ذكر خليج الاسكندرية

يقال ان كلاوطرة الملكة هي التي سافت خليج الاسكندرية حتى أدخلته اليها ولم يكن يبلغها الماء حفرة حتى أدخلته الاسكندرية وبلطت قاعه بالرغام من أوله الى آخره ولم يزل يوجد ذلك فيه وقال أبو الحسن الخزومي في كتاب المنهاج أما خليج الاسكندرية فانه من فوهة الخليج الى ترعة بودرة ليس على شيء منها سد بومنخرج محلة بتوك أسينة اورين محلة فرنو محلة حسن منية طراد وتعرف بالقاعة محلتا نصر ومسروق فأما ترعة لقانة فانها تفتح بعد سبعة أيام من توت والترعة الجديدة تفتح في السادس عشر من توت وترعة بودرة تفتح بعد سبعة أيام من توت وترعة بويحي وترعة بوسحما وترعة القهوية ليس على شيء من ذلك سد وترعة الشراك تفتح بعد سبعة أيام من توت وترعة بوخراسة وترعة البرييط يشرب منها ديسو وسمخراط وشيرنوبه ومنية حمادوسنادة وبعض محلة مارية وترعة فيشة بلخا تفتح في ثاني عشر توت وجرت العادة أن تفتح في النوروز ترعة بويط ومقطع سمديسة يفتح في الثاني والعشرين من توت ومقطع ياطس يفتح في تاسع عشر توت ولما سد المقطع المذکور عملت بعد ذلك ترعة تروى الصفقة القبيلة منها فتفتح في يوم النوروز ولما استحدثت ترعة افلاقة وخرجت في أرض ياطس جرت العادة اذا تروى الصفقة القبيلة من افلاقة تطلق الترعة المذكورة على القسم البحري من ياطس الى أن يروى وترعة القارورة محدثة وترعة بفوها تفتح في ثاني عشر توت وترعة افلاقة تفتح في عاشر توت وترعة اسكنيدة تفتح في سادس توت * تراعى بحر دمنهور تفتح في العشرين من مسرى الى سادس توت ويروى منها بعض طاموس وبعض كنيسة القيط وبعض قيرطسا ودمنهور * ترعة القواديس منها تشرب شبرا النخلة وكوم التلول وتراعى شبرا النخلة تفتح على أعاليها من أول توت وترعة بسطرى تفتح في خامس عشر مسرى وترعة مسيد تفتح في ثامن توت وترعة سنوية تفتح في ثامن عشر توت وبحر دمشوية يفتح في العشرين من مسرى ومنه تشرب منية رزقون وسفط كرداسة ودمشوية ومحلة الشيخ ومصيل وترعة دمشوية تفتح في تاسع توت ويقيم الماء عليها سبعة عشر يوما وتفتح الى محلة الشيخ ومصيل يقيم الماء عليها ثلاثين يوما ويسد بعد ذلك على دمشوية سبعة أيام وعلى سفط ومنية رزقون ترعة برسيق كانت تفتح في أول توت * محلة برسيق ليس عليها سد * محلة السكروم تفتح في ثامن توت ومنها تشرب عدة أما كن وهي محلة السكروم وكفورها وهي دنيسة وكوم الولائد وكوم الصخرة ودير امس والصفاصف وما يخرج عن كفورها وهي تلمسا والجلمون من حقوق محلة كيلي ومنها تشرب الجهة الغربية * شبرا بارليس عليها سد وترعة قافلة كانت تفتح في ثامن توت وليس عليها الآن سد وترعة بلقطر وكفورها كانت تفتح في

تاسع توت وليس عليها الآن سد * ترعة الراهب ليس عليها سد وترعة دسونس المقاريضي تسقى الحلفاية وتفتح في ثامن توت وكذلك ترعة مرحنا والمعلقة وترعة نيلامة ويشاى وآخر ترع الحجيجة وترعة الكريون تفتح في ثامن توت وترعة السلقون كانت تفتح في سادس توت وليس عليها الآن سد وترعة أرمياخ تفتح في ثانى عشر توت وترعة أبوق تفتح في سادس توت وأما جون رمسيس فان بحر رمسيس كان يضرب السد فيه على ترع رمسيس من أول النيل الى سابع عشر توت والذي يشرب من السد المذكور من النواحي والكفور رمسيس ومحلة جعفر وفليشان وبعض أبنية البعيدى وبعض خربتا وبعض البلكوس وبعض بولين وبعض محلة وافد والبيضاء وبعض طيلاس ثم يفتح سد دكولة وهو محدث يقيم الماء عليه عشرة أيام وتشرب منه دكولة ومحلة معن ومنية أسامي وبعض صيفية ثم يقطع سد الفطامى وهو محدث ومنه يشرب بعض جنبوية وبلانة البحرية والسرة وأبو حمار والبهو ثم يقطع سد رسونس وأبو دينار وترعة طبرينة فيشرب منه دنسال وطاموس يقيم الماء عليها ستة أيام ومنه تشرب منية عطية وسلطيس * وأما بحر دمنهور فانه يسد على سلطيس الى سابع عشر توت ومنه تشرب سلطيس وزهرا وبعض طابوس وبعض قرطسا وبعض كنيسة القبط ودمنهور ثم يقطع سد ندية وهو محدث فيقيم ثمانية أيام ومنه تشرب ندية ودقرس والعميرية والنسرين ثم يفتح ويسد على محلة خفص ومحلة كيل ومحلة نمير ثم يقطع سد سلطيس وهو محدث فيقيم عشرة أيام بعد اختلاط المساءين ببحر دمنهور ورمسيس ثم يقطع جسر ملولة ومنه تشرب تروجة وأرسيس والمراسى وغابة الاعراس وبعض سمرو ومحلة نمير ويبقى هناك الى انقضاء النيل * وأما ترعة طبرينة فهي محدثة واذا رويت طبرينة تطلق على دسونس أم دينار ثم تقطع على طاموس بمقدار رها ثم تطلق في النيل العالى على أرض قراقس ويطلق الماء على قرطسا وكنيسة القبط وخليج الطبرينة اذا خرج الماء منه يسقى منه في أول النيل الى أن يضرب جسر شبرا وسيم فيسقى منه شبرا وسيم وبعض البلكوس وحفيرة الزعفرانى وبعض بولين ومسجد غانم والصواف وكوم شريك ومنية مقين وتل الفطامى ومحلة وافد ثم يقطع جسر دليجة ومنه يشرب بعض خربتا وبعض فليشان وبعض بولين والبيضاء ودنس وتلبانة الابراج وتل بقاوالحدين واليهودية والنهوم وأبو صمادة والحصن وفلاوة بني عبيد وطوخ دخاية ودرشا وسقرا ودليجة ولحة وطية ثم يقطع على منية وزراقة الحجر والحزون وبعض حيارس وافرهم وأبو سمار وأم الضروع * خليج ابن زلوم ويعرف بجليج ابن ظلوم وسد مخرج التعدي لا يفتح الى عشرة أيام من توت ومنه يشرب شابور وكنيسة مبارك وبعض سرسيقة وبعض دموشة ومنية يزبد وحوض الماصلي وحصة سلمون وبعض سنيت وبعض التعيدي وبعض فليشان ثم يفتح فيشرب منه أمليط وبعض اتباى وبعض

كنيسة عبد الملك وبعض أرمينية وميسنا وبعض محلة عبيد وسفط خالد وبرنامة وشبرا نوبة
وكيمان شراس وبعض دمشق وتقام الحراس على جسر سفط ويشرب من خليج الاسكندرية
وما يفيض منه أهل الباطن وأهل البحيرة في فجاج وأودية فيكون ذلك الماء صلة وهم قبيل
من دنانة والرحمانية وبني بزاق وقبائل البربر ويزرعون عليه فيستوفى منهم الخراج وبين
مشارق الفرما من ناحية جوجير وفاقوس وبين آخر ما يشرب من خليج الاسكندرية مسيرة
شهر كان عامرا كله في محلول ومعقود الى ما بعد الحسين وثلاثمائة من سقي الهجرة وقد خرب
معظم ذلك * وقال أبو بكر الطرطوسي عن حدثه من مشايخ البحر انه قال شاهدت
الاسكندرية والصيدى في خليج مطلق للارعية والسمك فيه يطفو الماء به كثرة حتى تصيده
الاطفال بالخرق ثم يحجره الوالى ومتع الناس من صيده فذهب حتى كاد لا يرى فيه الا
الواحدة بعد الواحدة الى يومنا هذا * وقال أبو عمرو السكندى في كتاب الموالى عن
الحارث بن مسكين انه تقلد قضاء مصر من قبل أمير المؤمنين الواثق بالله في سنة تسع وثلاثين
ومائتين فذكر سيرته وقال وحفر خليج الاسكندرية وورد السكتاب بصرفه في شهر ربيع
الآخر سنة خمس وأربعين ومائتين * وقال جامع السيرة الطولونية وفي ربيع الاول سنة
تسع وخمسين ومائتين أمر أحمد بن طولون بحفر خليج الاسكندرية * وقال المسعودى وقد
كان النيل انقطع عن بلاد الاسكندرية قبل سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة وقد كان الاسكندر
بني الاسكندرية على هذا الخليج من النيل وكان عليها معظم ماء النيل فكان يسقى الاسكندرية
وبلاذ مربوط وكانت بلاذ مربوط في نهاية العمارة والجنان المتصلة بأرض برقة وكانت السفن
تجرى في النيل وتتصل بأسواق الاسكندرية وقد بطلت أرض خليجها في المدينة بالاحجار
والمرمر وانقطع الماء عنها العوارض سدت خليجها ومنعت الناس دخوله فصار شربهم من
الآبار وصار النيل على يوم منهم * وذكر المسيحي أن الحاكم بأمر الله أبا منصور بن العزيز
أطلق لحفر خليج الاسكندرية في سنة أربع وأربعمائة خمسة عشر ألف دينار فحفر كله وفي
سنة اثنتين وستين وستمائة بعث الملك الظاهر بيبرس الأمير عليا أمير جندار لحفر خليج الاسكندرية
وقد امتلأت فوهته بالطين وقل الماء في الاسكندرية فابتدأ بالحفر من التيميدى وأنشأ هناك
مسجدا وتولى مباشرة هذا الحفر المعلم تعاسيف ناظر الدواوين ثم بعث السلطان في سنة
أربع وستين وستمائة لحفر هذا الخليج الأمير علم الدين سنجر المسرورى ثم سار بعامة
الأمراء والاجناد وباشر الحفر بنفسه وعمل فيه الأمراء وجميع الناس الى أن زالت الرمال
التي كانت على الساحل بين التيميدى وفم الخليج ثم عدى الى بارنبار وغرق مراكب
هناك وبني عليها بالحجارة فلما تم الغرض عاد الى قلعة الجبل ثم تعطل استمرار جريان الماء
فيه بطول السنة وصار يحفر سريعا بعد شهرين أو نحوها من دخول الماء اليه واحتاج أهل

الاسكندرية في طول السنة الى الشرب من الصهاريج التي يخزن فيها الماء الى أن كانت سنة
عشر وسبعمائة فقدم الامير بدر الدين بكتوت الخزندارى المعروف بأمر شكار متولي
الاسكندرية الى قلعة الجبل وحسن للسلطان الملك الناصر محمد بن قلاون حفرة وذكر له
ما في ذلك من المنافع اولها حمل الغلال وأصناف المتجر الى الاسكندرية في المراكب وفي
ذلك توفير للكلف وزيادة في مال الديوان وثانيها عمارة ماعلى حافى الخليج من الاراضى
بانشاء الضياع والسواقي فينمو الخراج بهذا نموا كثيرا وثالثها انتفاع الناس به في عمارة
بساتينهم وشرب ماء دائما فأعجب السلطان ذلك ونذب الامير بدر الدين محمد بن كندى
ابن الوزيرى مع بكتوت لعماله وتقدم الى جميع أمراء الدولة باخراج مباشرهم لاحضار
رجال النواحي الجارية في اقطاعهم للعمل للحفير وكتب لولاء الاعمال بالوقوف في العمل
فاجتمع من النواحي نحو الاربعين ألف رجل جمعت في نحو العشرين يوما ووقع العمل في
شهر رجب من السنة المذكورة وأفرد لكل أهل ناحية قطعة يحفرونها حتى كمل فجاء قياس
الحفر من فم نجر النيل الى ناحية شبنار ثمانية آلاف قصبة حاكية ومن شبنار الى الاسكندرية
مثلهما وكان الخليج الاصلي يدخل الماء اليه من حد شبنار فجعل فم هذا البحر يرمى عليه
وعمل عمقه ست قصبات في عرض ثمانى قصبات فلما انتهوا الى حد الخليج الاول حفر أيضا
على نظير الخليج المستجد فصارا بحرا واحدا وركبت عليه السدود والقناطر ووجد في
الخليج الاول عند حفرة من الرصاص المبنى تحت الصهاريج شيء كثير جدا فلم يتعرض
السلطان لشيء منه وأنعم به على الامير بكتوت وعظمت المشقة في حفر هذا الخليج فان الذى
تجاوز البحر منه غلب عليه الماء فصارت الرجال تقطس فيه وترفع الطين من أسفله ثم كثر
الماء فركبت السواقي حتى نزحته الآن عظيم النفع به سهل جميع ذلك فان السفن جرت فيه
طول السنة واستغنى أهل الاسكندرية عن شرب ماء الصهاريج وبادر الناس للعمارة على جانبي
الخليج فلم يمض غير قليل حتى استجد عليه ما يزيد على مائة ألف فدان زرعت بعد ما كانت
سباحا وما ينيف على ستمائة ساقية برسم القلقاس والنيلة والسمن وفوق الاربعين ضيعة
وأزيد من ألف غيط بالاسكندرية وعمرت منه عدة بلاد كثيرة وتحول عالم عظيم الى سكى
ما استجد عليه * وفيه ولما فرغ العمل في الخليج شرع الامير بكتوت في عمل جسر من ماله
فان الناس كانوا في وقت هيجان البحر يجدون مشقة عظيمة لقلية الماء على أراضى السباح
فأقام ثلاثة أشهر حتى بني رصيفا دك أساسه بالحجر والرصاص وأعلاه بالحجر والكس
وعمل فيه ثلاثين قنطرة وأنشأ خانا ينزله الناس ورتب فيه الخفراء ووقف على مصالحه
رزقة فبلغ مصروفه نحو الستين ألف دينار مصرية سوى ما أخذ من الحجارة التي بعضها
من قصر قديم كان خارج الاسكندرية وسوى ما وجده من الرصاص في سرب بأسفل هذا

القصر ينتهى عن يمشى فيه الى قريب البحر وسوى ما أنعم به عليه من الرصاص الموجود بالخليج ولم يزل الخليج فيه الماء طول السنة الى مابعد سنة سبعين وسبعمائة فانقطع الماء منه وصار الماء لا يدخل اليه الا في أيام زيادة ماء النيل فقط ثم يجف عند نقصه فتلقت من أجل هذا أكثر بساين الاسكندرية وخربت وتلاشى كثير من القرى التي كانت على هذا الخليج * وسبب انقطاع الماء عنه غلبة الروم على الاشتوم الذي كان يعبر منه ماء بحر الملح الى بحيرة الاسكندرية حتى جفت وصار الرمل تلقية الرياح في الخليج فانطم فيه وعلا قاعه وقصد من أدركناه من ملوك مصر حفر هذا الخليج غير مرة فلم يتهبأ ذلك الى أن كانت سلطنة الملك الأشرف برسباي قد دب لحفره الامير جرباش الكرعي المعروف بعاشق فتوجه اليه وجمع له من قدر عليه من رجال النواحي فبلغت عدتهم ثمانمائة وخمسة وسبعين رجلا ابتدؤا في حفره من حادى عشر جمادى الاولى سنة ست وعشرين وثمانمائة الى حادى عشر شعبان لثمان تسعين يوما فانتهى عملهم ومشى الماء في الخليج حتى انتهى الى حده من مدينة الاسكندرية وجرت فيه السفن فسرّ الناس به سرورا كبيرا وجبى ما أنفق على العمال في الحفر من أرباب النواحي التي على الخليج ومن أرباب البساين بالاسكندرية ولم يكن في حفره كبير شناعة مما جرت به عادة الولاة في مثل ذلك ولله الحمد وعندما انتهى قدم الامير جرباش الى قلعة الجبل فخلع السلطان عليه وشكره ثم عمله حاجب الحجاب فلم يستمر ذلك الا قليلا حتى انطم بالرمل وتعذر سلوك الخليج بالمرأب الا في أيام النيل فقط

ذكر جل حوادث الاسكندرية

وفي سنة تسع وتسعين ومائة عظمت الحروب بديار مصر بين المطلب بن عبد الله الخزاعي أمير مصر وبين عبد العزيز ابن الوزير الجروي الثائر بتتيس فعمد المطلب على الاسكندرية لمحمد بن هبيرة بن هاشم بن خديج فاستخاف محمد خاله عمر بن عبد الملك بن محمد بن عبد الرحمن بن معاوية بن خديج الذي يقال له عمر بن ملاك ثم عزله المطلب بعد ثلاثة أشهر بأخيه الفضل بن عبد الله بن ملاك وكانت بالاسكندرية مراكب الاندلسيين قد قفلوا من غزوهم وكان سبب قدوم هذه المراكب ماجرى لاهل قرطبة بوقعة الرض مع الحكم بن هشام في سنة اثنتين وثمانين ومائة فأخرج جماعة منهم فوصلوا الى ثغر الاسكندرية زيادة على عشرة آلاف وكان سبب نورتهم أن قصابا من الاسكندرية رمى وجه رجل منهم بكرش فأنفوا من ذلك وصاروا الى ماصاروا اليه وذلك لما نزلوا رمل الاسكندرية ليتناغوا ما يصلحهم وكذلك كانوا على الزمان وكانت الامراء لا يتيحهم دخول الاسكندرية انما كان الناس يخرجون اليهم فيبايعونهم فلما عزل عمر بن ملاك كتب اليه عبد العزيز الجروي يأمره بالوثوب على الاسكندرية والدعاء له بها فبعث عمر بن ملاك الى الاندلسيين فدعاهم الى القيام معه في اخراج

الفضل عنها فساروا معه وأخرج الفضل ودعا للجروى فوثب أهل الاسكندرية على الاندلسيين وأخرجوهم وردوا الفضل وقتل من الاندلسيين نفر وانهمز الباقون الى مراكهم فعزل المطلب أخاه وولي عليها اسحاق بن أبرهة بن الصباح في شهر رمضان سنة تسع وتسعين ثم عزله بأبي ذكر بن جنادة المعافى فلما اقتتل السرى بن الحكم هو والمطلب بن عبد الله وغلب السرى على مصر وثب عمر بن ملاك على أبي ذكر وأخرجهم من الاسكندرية ودعا للجروى وأقبل الاندلسيون اليه فافسدوا فأمرهم بالخروج الى مراكهم فشق ذلك عليهم وظهرت بالاسكندرية طائفة يسمون بالصوفية يأمرهم بالمعروف ويعارضون السلطان في أموره فترأس عليهم رجل منهم يقال له أبو عبد الرحمن الصوفي فصاروا مع الاندلسيين يدا واحدة واعتضدوا بلخم وكانت لحم أعز من في ناحية الاسكندرية فحوصم أبو عبد الرحمن الصوفي الى عمر بن ملاك في امرأة فقضى على أبي عبد الرحمن فوجد في نفسه من ذلك وخرج الى الاندلسيين فألف بينهم وبين لحم ورجا أهل الاندلس أن يدرکوا نارا من عمر ابن ملاك فساروا الى عمر بن ملاك وهم زهاء عشرة آلاف فحصره في قصره وخشى أن القصر لا يتنعمه منهم وخاف أن يدخلوا عليه عنوة فيفضح في حرمه فاغتسل وتحنط وتكفن وأمر أهله أن يدلوه اليهم فدلّ فأخذته السيوف فقتل ثم ولي أخوه محمد بن عبد الله الذي يلقب جيوس فقتل ثم ولي عليهم عبد الله البطال ابن عبد الواحد بن محمد بن عبد الرحمن ابن معاوية بن خديج فقتل ثم ولي عليهم أخوه أبو هيرة الحارث فقتل ثم ولي عليهم خديج ابن عبد الواحد فقتل وانصرف القوم وذلك في ذى القعدة ثم فسد ما بين لحم والاندلسيين عند مقتل ابن ملاك واقتتلوا فانهزمت لحم فظفر الاندلسيون بالاسكندرية في ذى الحجة فولوها أبا عبد الرحمن الصوفي فبلغ من الفساد والنهب والقتل ما لم يسمع بمثله فغزاه الاندلسيون وولوا رجلا منهم يعرف بالسكناني ثم حاربت بنو مدج الاندلسيين فظفر بهم الاندلسيون ونفروهم عن البلاد فلم يقدر بنو مدج على الرجوع الى أرض الاسكندرية حتى طلب السرى من الاندلسيين أن يردوهم فأذنوا لهم حينئذ ورجعوا وكان أبو قبيل يقول أنا على الاسكندرية من أربعين مركبا مسلمين وليسوا بمسلمين تأتي في آخر الصيف أخوف مني عليها من الروم فيقال له ماهذه الأربعون مركبا في هذا الخلق لو كانت نيرانا تضطرم فيقول اسكت ويملك منها ومن فيها يكون خراب الاسكندرية وما حولها وبلغ عبد العزيز الجروى قتل ابن ملاك فسار في خمسين ألفا حتى نزل على حصن الاسكندرية وحصرها حتى أجهد من فيها فبلغه أن السرى بن الحكم بعث الى تنيس بعثا فكر راجعا في المحرم سنة احدى ومائتين فدعا الاندلسيون للسرى ثم لما خلع أهل مصر المأمون ودعوا لابراهيم بن المهدي وقام الجروى بذلك سار الى الاسكندرية وحصر الاندلسيين حتى دخلها صلحا ودعى له

له بها ثم سار عنها الى القسطنطينية فحارب السرى وقتل ابنه ثم انصرف فصار الاندلسيون يعامل الجروى وأخرجوه من الاسكندرية وخلعوا الجروى ودعوا للسرى فصار اليهم الجروى في شهر رمضان سنة ثلاث ومائتين فعارضته القبط بسخا وأمدتهم بنو مدج وهم في نحو من مائتي ألف فهزمهم وبعث بجيوشه الى الاسكندرية فحاصروها وكانت بين السرى وبين أهل الصعيد حروب ثم ان الجروى سار الى الاسكندرية سيره الرابع وحاصرها ونصب عليها المجانيق سبعة أشهر من أول شعبان سنة أربع ومائتين الى سلخ صفر سنة خمس فأصاب الجروى فلقه من حاجر منجنيقه فمات سلخ صفر سنة خمس ومائتين وقام من بعده ابنه على فلم تزل الفتن بالاندلسيين في الاسكندرية متصلة الى أن قدم عبدالله بن طاهر الى مصر من قبل أمير المؤمنين المأمون وأخرج عبيد الله بن السرى من مصر وسار الى الاسكندرية في قواد العجم من أهل خراسان مستهل صفر سنة اثنتي عشرة ومائتين فحاصرها بضعة عشرة ليلة حتى خرج اليه أهلها بأمان وصالحه الاندلسيون على أن يسيرهم من الاسكندرية حيث أحبوا على أن لا يخرجوا في مراكبهم أحدا من أهل مصر ولا عبدا ولا آبقا فان فعلوا فقد حلت له دماؤهم ونكث عهدهم وتوجهوا فبعث ابن طاهر من يفتش عليهم مراكبهم فوجدوا فيها جمعا من الذين اشترط عليهم أن لا يخرجوهم فأمر باحراق مراكبهم فسألوه أن يردهم الى شرطهم ففعل وساروا الى جزيرة اقریطس وملكوها وكان الأمير معهم أبو حفص عمر بن عيسى ثم ملكها ولده من بعده وعمرها الاندلسيون الى أن غزاها الروم سنة خمس وأربعين وثلاثمائة وملكها بعد حصار طويل وولي على الاسكندرية الياس بن أسد ابن سامان ورجع الى القسطنطينية في جمادى الآخرة ثم سار الى العراق ولما انتفض أسفل الارض في جمادى الاولى سنة ست عشرة ومائتين وحاربهم الافشين ومعه عيسى بن منصور الرافقي أمير مصر وبعث عبدالله بن يزيد بن مزيد الشيباني الى الغربية فانهمزم الى الاسكندرية واستجاشت عليه بنو مدج وحصلوه في شوال فصار الافشين وأوقع بمن في طريقه حتى قدم الاسكندرية في جنوده فلقته طائفة من بني مدج فهزمهم مرتين وأسر منهم وقتل ودخل الاسكندرية لعشر بقين من ذى الحجة ففر منه رؤساؤها وكان عليها معاوية بن عبد الواحد بن محمد بن عبد الرحمن بن معاوية بن خديج فأصلح أمرها ثم خرج الى أهل البشرو فامتنعوا عليه حتى قدم المأمون الى مصر فصار الى البشرو والافشين قد أوقع بالقبط بها كما تقدم ذكره * ولما ولي ابراهيم بن أحمد بن محمد بن الاغلب أفريقية في سنة احدى وستين ومائتين حسنت سيرته فكانت القوافل والتجار تسير في الطرق وهي آمنة وبني الحصون والمحارس على ساحل البحر حتى كانت توقد النار من مدينة سبتة الى الاسكندرية فيصل الخبر منها الى الاسكندرية في ليلة واحدة وبينهما مسيرة أشهر * وفي

سنة اثنتين وثلاثمائة دخلت حابسة في جيوش أفريقية الى الاسكندرية في الحرام يومه مائة
 ألف أو زيادة عليها وقدمت الجيوش من المشرق مدة التكن أمير مصر وسار حابسة من
 الاسكندرية ونودي بالذير في القسطنطينية من جمادى الآخرة فلم يخلف عن الخروج
 الى الجزيرة أحد من الخاصة والعامة الا من عجز عن الحركة لمرض أو عذر وأثناء حابسة
 فاقوه وهزموه ثم دار عليهم فقتل من أهل مصر نحو من عشرة آلاف ونهض حابسة الى
 أفريقية وثقأوا بمصر مضطربين فأقبل مونس الخادم من العراق في رمضان بجيوش كثيرة
 فنصرف تكين في ذي القعدة وولي ذكاء الاعور في صفر سنة ثلاث وثلاثمائة فخرج في جيوشه
 الى الاسكندرية وتبع كل من يومئذ اليه بمكاتبة صاحب أفريقية فسجن منهم وقتل كثيرا
 وجلا أهل لوبية ومراقية الى الاسكندرية في شوال سنة أربع وثلاثمائة خوفا من صاحب
 بركة * وفي سنة سبع وثلاثمائة سارت مقدمة المهدي عبيد الله بن أفريقية مع ابنه أبي
 القاسم الى لوبية فهرب أهل الاسكندرية وجلوا عنها وخرج منها مظفر بن ذكاء الاعور في
 جيشه ودخلت اليها العساكر يوم الجمعة ثمان خلون من صفر وفروا أهل القوة من القسطنطينية
 الى الشام فخرج ذكاء أمير مصر الى الجزيرة وعسكر بها ثم مرض ومات على مصافه بالجزيرة
 في ربيع الاول فولى تكين بعده ولايته الثانية من قبل المقتدر ونزل الجزيرة وأقبلت مراكب
 صاحب أفريقية الى الاسكندرية عليها سليمان الخادم فقدم نزل الخادم صاحب مصر
 طرسوس فالتقى برشيد في شوال فاقتلا فبعث الله ريحا على مراكب سليمان لقتلها الى البر
 فكسر أكثرها وأخذ من فيها ثغرا باليد وقتل أكثرهم وأسروا من بقي وسبقوا الى القسطنطينية
 فقتل منهم نحو سبع مائة رجل وسار أبو القاسم بن المهدي من الاسكندرية الى الفيوم وملك
 جزيرة الاشمونين والفيوم وأزال عنها جنود مصر فمضى نزل الخادم في مصر
 الاسكندرية فقاتل من بها من أهل أفريقية فظفر بهم وقتل أهل الاسكندرية الى رشيد
 وعاد الى القسطنطينية ومضى في مراكبه الى اللاهون وحلقت العساكر فدخلوا الى الفيوم في
 صفر سنة سبع وثلاثمائة فخرج أبو القاسم بن المهدي الى بركة ولم يكن بينهما قتال ورجعت
 العساكر الى القسطنطينية وما زالت الاسكندرية وأعمالها في اضطراب الى أن قدمت جيوش
 المعز لدين الله مع القائد جوهر في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة فملكتهما وما رجعت الى أن قام
 بها نزار بن المستنصر وكان من أمره ما قد ذكر عند ذكر خزائن القصر * وفي سنة ثمان
 عشرة وستمائة اجتمع بالاسكندرية ثلاثة آلاف من تجار الفرنج وقدمت بطيخة الى الميناء فيها
 من ملوك الفرنج ملكان فمروا أن يثوروا ويقتلوا أهل البلد ويملكوها فتوجه الملك المصالح
 أبو بكر بن أيوب اليها وقبض على التجار المذكورين وعلى من بلبطسة واستصفى أموالهم
 وسجنهم وسجن المذنبين وجرت خطوب حتى أطاق السلطان نيلهم وعاد الى القاهرة *

وفي سنة أربع وخمسين وخمسمائة بنى الملك الصالح طلائع بن رزيك على بليس حصنا من لبن * وفي سنة اثنتين وستين وخمسمائة كانت وقعة البابين بين الوزير شاور وأسد الدين شيركوه فانهزم عسكر شيركوه ومضى منهم طائفة الى الاسكندرية ثم كانت لشيركوه على شاور فانهزم منه الى القاهرة ومضى شيركوه الى الاسكندرية فخرج اليه أهل النفر وفيهم نجم الدين محمد بن مصال والى النفر وقاضيه الاشرف بن الحجاب وناظره القاضي الرشيد بن الزبير وسروا بقدمه وسلموه المدينة ثم سار منها يريد بلاد الصعيد واستخلف ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب على النفر في ألف فارس فنزل عليه شاور ومعه مرى ملك الفرنج فقام معه أهل النفر واستعدوا لقتال شاور فكان ما أخرجه أربعة وعشرين ألف فارس فوعدهم شاور أن يضع عنهم المكوس والواجبات ويعطيهم الخمس اذا سلموه صلاح الدين فأبوا ذلك وألحوا في قتاله فحصرهم حتى قل الطعام عندهم فتوجه اليهم شيركوه وقد حشد من العربان جموعا كثيرة فبعث اليه شاور وبذل له خمسة آلاف دينار على أن يرجع الى الشام فأجابه الى ذلك وفتحت المدينة وخرج صلاح الدين الى مرى ملك الفرنج وجلس معه فما زال به شاور أن يسلمه صلاح الدين فلم يوافق بل سيره الى عمه شيركوه من البحر على عكا بمن معه الى دمشق ودخل شاور الى الاسكندرية في سابع عشر شوال فاستتر ابن مصال وفر الى الشام وقبض على ابن الحجاب وعوقب حتى فداه أهله بمال جزيل ولم يقدر على ابن الزبير وخرج الى رشيد هذا وقد امتنع الفقيه أبو الطاهر بن عوف وجماعة كثيرة بالمنار فوقف عليهم شاور فقال له ابن عوف اعذرتا يا أمير الجيوش وسامحننا بما فعلنا فعفا عنهم وولى القاضي الاشرف أبا القاسم عبد الرحمن بن منصور بن نجما ناظراً على الاموال وخرج معه مرى ملك الفرنج الى القاهرة ثم توجه مرى الى بلاده * وفي سنة احدى وسبعين وستمائة ورد الخبر بحركة الفرنج الى ثغور مصر فاهتم الملك الظاهر بيبرس بامر الشواني ونصب على أسوار الاسكندرية نحو مائة منجنيق * وفي يوم الخميس خامس شهر رجب سنة سبع وعشرين خرج بعض تجار الفرنج الى ظاهر باب البحر حيث يجتمع العامة للفرجة وتعرض الي صبي أمرديروده عن نفسه فأنكر ذلك بعض من هناك من المسلمين وقال هذا ما يحل فأخذ الفرنجي خفا كان بيده وضربه على وجهه فصاح بالناس فأتوه فقام الفرنج مع صاحبهم واتسع الخرق الى أن ركب متولى النفر وأغلق أبواب المدينة وطلب من أثار الفتنة ففروا وعاد الى داره وترك الابواب مغلقة وكان بظاهر المدينة خلق كثير قد توجهوا على عاداتهم في حوائجهم فحبل بينهم وبين بيوتهم وجاء الليل وهم قيام على الابواب يضجون ويصيحون فضى أعيان البلد الى المتولى وما زالوا به حتى فتح لهم فدخلوا مبادين وهم يزدحمون فمات منهم زيادة على عشرة أنفس وتلفت أعضاء جماعة وذهب من عمام الناس ومناديلهم وغير ذلك شئ

كثير وعظم البكاء والصراح طول الليل فلما كان من الغد ركب الوالى لكتشف أحوال الناس فتكاثروا عليه ورجوه فانهمز منهم الى داره فتبعوه وقائلوه فقالتهم من أعلى الدار حتى سفكت بينهما دماء كثيرة وأحرقوا بابه ونهبوا دورا بجانبه فكتب يستنجد والى دمنهور ومن حوله من العربان فأتوه واحتاطوا بالمدينة وسرح الطائر الى السلطان بخروج أهل الاسكندرية عن الطاعة فاشتد غضبه وخشى من اطلاقهم الامراء المسجونين وبعث الى القضاة فجمعهم واستفتاهم في قتالهم فكتبوا بما يجب وخرج اليهم الوزير مغايطي الجمالى وطوغان شاد الدواوين وأيدمر أمير جندار وعدة من الممالك السلطانية وناظر الخاص ومع الوزير تذكرة باراقة دماء أهل الفساد ومصادرة جماعة وأخذ أموال أهل البلد والقبض على الاسلحة المعدة بها للغزاة وامساك القاضي والشهود وحمل الامراء المسجونين الى القاهرة فساروا في عاشره وقدموا الثغر بعد ثلاثة أيام ونزل الوزير بالخيس وفرض على الناس خمسمائة ألف دينار مصرية وأحضر قاضى القضاة عماد الدين ونائبه في الحديد وأنكر عليهما كونهما شهرا النداء في البلد بالغزاة في سبيل الله فأنكرا وقوع هذا منهما وأنهما لم يكن في قدرتهما رد السواد الاعظم فضرب نائبه ابن الشيبى ضربا مبرحا وألزمه بحمل ستمائة ألف درهم وألزم القاضى بخمسمائة ألف درهم وكان قد رسم بشنقه فتلطف في مكاتبة السلطان واعتذر عنه وبرأه حتى عفا عنه وتتبع العامة فوسط منهم ثلاثين رجلا في يوم الجمعة ثالث عشره فتسارع الناس الى دورهم من الخوف فذهبت عدة عمائم واشتد الخوف مدة عشرين يوما وكتب السلطان تتوالى بالايقاع بأهل الثغر وأخذ أموالهم والوزير يحسن في الجواب الى أن جهز الامراء المسجونين وسار من الثغر وقد استمرض ما به من السلاح فوجد ستة آلاف عدة كاملة جعلها جميعها في قاعة وختم عليها وبلغت الحياية من الناس ما ينيف على مائتين وستين ألف دينار فكانت هذه من الحنن العظيمة والحوادث الشنيعة والله الامر من قبل ومن بعد

ذكر مدينة أترىب

هذه المدينة بناها أترىب بن قبطيم بن مصر بن بيبصر بن حام بن نوح عليه السلام قال ابن وصيف شاه وكان أترىب قد انتقل الى حيزه بعد موت أبيه قبطيم وهى المدينة التى كان أبوه بناها له وكان طولها اثني عشر ميلا ولها اثنا عشر بابا وجعل في شارعها الاعظم ثلاث قباب عالية على أعمدة بعضها فوق بعض منها قبة في وسط المدينة وقبتان في طرفيها وجعل على كل قبة مرقبا كبيرا وفي كل ناحية منها ملعبا ومجالس ومنزهات تشرق وشق في غربيها نهرا وعقد عليه قناطر وجعل من فوقها مجالس متصلة وحولها المنازل تدور بالخليج متصلة بالقناطر على رياض مزروعة من خلفها الجنان والبساتين وعلى كل باب من

الابواب أعجوبة من تماثيل وأصنام متحركة وأصنام تمنع من يؤذى وجعل في داخل كل باب صورة شيطان من صفو فاذا قصدوا أحد من أهل الخير قهقه الشيطان الذي عن عنة الباب وان كان من أهل الشر بكى الشيطان الذي عن يسرة الباب وجعل في كل منزله منها من الوحش الآفند والطيور المفردة كل مستحسن وفوق قباب المدينة صوموا تصفوا إذا هبت الرياح ونصب امرأة تري البلاد البعيدة وبني حنظلها في الشرق مدينة وجعل فيها ملاعب وأحضان بارزة في صوم مختلف في وسطها بركة إذا مر بها للغير سقط عليها فلا يبرح حتى يؤخذ وجعل لها حصنًا بألفي عشر باباً على كل باب مثال يعمل أعجوبة وعمل حولها جنانا وجعل بالقرب منها في ناحية للشرق مجاساً مقوشاً على ثمان أساطين وفوقه قبة عليها طائر منشور الجناحين يصفر في كل يوم ثلاث تصفيرات بكرة ونصف النهار وعند غروب الشمس وأقام فيها أصناماً وعجائب كثيرة وبني مدناً كثيرة وأقام فيها رجلاً يقال له برسان يعمل السكبياء وضرب منها دنانير في كل دينار سبعة مثاقيل عليها صورته وعاش أرب مائة سنة وثلاث مئة وبلغ من العمر خمسمائة سنة وعمل له ناس في جبل بالشرق حفراً له تحت ممر بطن بالزجاج واللزم وجعل على سرير من ذهب مرصع وحملت إليه ذخائره وجعلوا على بابه صورة تين لا يدنو منه أحد إلا أهلكه وسووا عليه الرمال وزبروا عليه اسمه وتاريخ وقته * وقال ابن الكندي أربع كور بمصر ليس على وجه الأرض أفضل منها ولا تحت السماء هن نظير * كورة الفيوم * وكورة أريب * وكورة سمود * وكورة انصنا * وكورة أريب من جملة كور أسفل الأرض وهي مائة وثمان مائة وكان يقال مدائن السحرة من ديار مصر سبع وهي أرمنت * وبيا * وبوصير * وانصنا * واصل * وأريب * وصا

ذكر مدينة تيس

تيس بكسر التاء المنقوطة بألفين من فوقها وكسر التون المشددة وياء آخر الحروف وسين مهملة بلدة من بلاد مصر في وسط الماء وهي من كورة الخليج سميت بتيس بن حام ابن نوح ويقال لها قليمون من ولد أريب بن قبطم أحد ملوك القبط في القديم * قال ابن صفية شامو ملكة بعد أريب ابنته فديوت للملك وساسته بأيد وقوة خمساً وثلاثين سنة وماتت فقام بالملك من بعدها ابن أختها قليمون الملك فرد الوزراء إلى مراتبهم وأقام السكبان على مواضعهم ولم يخرج الأمر عن رأيهم وحيد في العمارات وطلب الحكم * وفي أيامه بنيت تيس الأولى التي غرقها البحر وكان بينه وبينها شيء كثير وحوها الزرع والشجر والسكر والقرى وما من الخضر وعمارة لم يكن أحسن منها فأمر الملك أن يبني له في وسطها مجلس وينصب له عليها قباب وتزين بأحسن الزينة والنقوش وأمر بفرشها

واصلاحها. وكان اذا بدا النيل يجري انتقل الملك اليها فأقام بها الى النوروز ورجع وكان
 للملك بها أماء يقسمون المياه ويعطون كل قرية قسطها وكان على تلك القرى حصن يدور
 بقناطر وكان كل ملك يأتي يأمر بعمارتهما والزيادة فيها ويجعلها له منقرا * ويقال ان الجنة
 اللتين ذكرهما الله تعالى في كتابه العزيز اذ يقول واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا
 لاحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل الا آيات. كانتا لاختوين من بيت الملك أقطعتهما
 ذلك الموضع فأحسن عمارته وهندسته وبنيانه وكان الملك يتنزه فيهما ويؤتي منهما بقرائب
 الفواكه والبقول ويعمل له من الاطعمة والاشربة ما يستطيعه فحجب بذلك المسكن أحد
 الاختوين وكان كثير الضيافة والصدقة ففرق ماله في وجوه البر وكان الآخر ممسكا يستخر
 من أخيه اذا فرق ماله وكلما باع من قسمه شيئا اشتراه منه حتى بقي لا يملك شيئا وصارت
 تلك الجنة لآخيه واحتلج إلى سؤاله فأنهز وطرده وعيره بالتبذير وقال قد كنت أنصحك
 بصيانة مالك فلم تفعل ونفني إمساكي فصرت أكثر منك مالا وولدا وولي عنه مسرورا
 بماله وجنته فأمر الله تعالى البحر فركب تلك القرى وغرقها جميعها فأقبل صاحبها يولول
 ويدعو بالبور ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدا قال الله جل جلاله ولم تكن له فئة
 ينصرونه من دون الله * وفي زمان قليمون الملك بنيت دمياط وملك قليمون تسعين سنة
 وعمل لنفسه نائبا في الجبل الشرقي وحول اليه الاموال والجواهر وسائر الذخائر وجعل من داخله
 تماثيل تدور بلوالب في أيديها سيوف من دخل قطعته وجعل عن يمينه ويساره أسدين من نحاس
 مذهب بلوالب من أتاه حطماه وزير عليه هذا قبر قليمون بن اريب بن قبطيم من مصر عمر
 دهرها واتاه الموت فما استطاع له دفعا فن وصل اليه فلا يسلبه ماعليه وليأخذ من بين يديه *
 ويقال أن تينس أخ لدمياط وقال المسمودي في كتاب مروج الذهب وغيره تينس كانت
 أرضا لم يكن بمصر مثلها استواء وطيب تربة وكانت جنانا ونحلا وكرما وشجرا ومزارع
 وكانت فيها بحار على ارتفاع من الارض ولم ير الناس بلدا أحسن من هذه الارض ولا
 أحسن اتصالا من جنانها وكرومها ولم يكن بمصر كورة يقال انها تشبهها الا القيوم وكان
 الماء منحدرًا اليها لا يتقطع عنها صيفا ولا شتاء يسقون جناتهم اذا شأوا وكذلك زروعهم
 وسائرهم يصب الى البحر من جميع خلجانهم ومن الموضع المعروف بالاشتوم وقد كان بين
 البحر وبين هذه الارض مسيرة يوم وكان فيما بين العريش وجزيرة قبرس طريق مسلك
 الى قبرس تسلكه الدواب يسلكه ولم يكن بين العريش وجزيرة قبرس في البحر سير طويل حتى
 علا الماء الطريق الذي كان بين العريش وقبرس فلما مضت لدقطينوس من مملكة مائتان
 واحدي وخمسون سنة هجم الماء من البحر على بعض المواضع التي تسمى اليوم بحيرة تينس
 فأغرقه وصار يزيد في كل عام حتى أغرقها بأجمعها فما كان من القرى التي في قرارها غرق

وأما الذي كان منها على ارتفاع من الارض فبقى منه تونة وبورا وغير ذلك مما هو باق الى هذا الوقت والماء محيط بها وكان أهل القرى التي في هذه البحيرة يقتلون موتاهم الى تنيس فنبشوهم واحدا بعد واحد وكان استحكام غرق هذه الارض بأجمعها قبل أن تفتح مصر بمائة سنة قال وقد كان ملك من الملوك التي كانت دارها الفرما مع أركون من أراكنة البلينا وما اتصل بها من الارض حروب عمليت فيها خنادق وخلجان فتحت من النيل الى البحر يتمتع بها كل واحد من الآخرو كان ذلك داعيا لشعب الماء من النيل واستيلائه على هذه الارض * وقال في كتاب أخبار الزمان وكانت تنيس عظيمة لها مائة باب وقال ابن بطران تنيس بلد صغير على جزيرة في وسط البحر ميلة الى الجنوب عن وسط الاقليم الرابع خمس درج وأرضه سبخة وهواؤه مختلف وشرب أهله من مياه مخزونة في صهاريج تملأ في كل سنة عند غذوية مياه البحر بدخول ماء النيل اليها وجميع حاجاتها مجلوبة اليها في المراكب واكثر أغذية أهلها السمك والحين وألبان البقر فان ضمان الجبن السلطاني سبعمائة دينار حسابا عن كل ألف قالب دينار ونصف وضمان السمك عشرة آلاف دينار وأخلاق أهلها سهلة منقاد وطبائعهم مائلة الى الرطوبة والاثوثة قال أبو السرى الطيب انه كان يولد بها في كل سنة مائتا مخنث وهم يحبون النظافة والدماثة والغناء واللذة واكثرهم بيتون سكارى وهم قليلو الرياضة لضيق البلد وابدانهم ممتلئة الاخلاط وحصل بها مرض يقال له الفواق التنيسي أقام بأهلها ثلاثين سنة * وقال جامع تاريخ دمياط وكان على تنيس رجل يقال له ابو ثور من العرب المنتصرة فلما فتحت دمياط سار اليها المسلمون فبرز اليهم نحو عشرين ألفا من العرب المنتصرة والقبط والروم فكانت بينهم حروب آلت الى وقوع أبي ثور في أيدي المسلمين وانهمزأ أصحابه فدخل المسلمون البلد وبنوا كنيستها جامعا وقسموا الغنائم وساروا الى الفرما فلم تزل تنيس بيد المسلمين الى أن كانت امرة بشر بن صفوان الكلبي على مصر من قبل يزيد بن عبد الملك في شهر رمضان سنة احدى ومائة فزل الروم تنيس فقتل مزاحم بن مسلمة المرادى أميرها في جمع من الموالي وفيهم يقول الشاعر

الم ترعب فيخبرك الرجال * بما لاقى بتنيس الموالي

وكانت تنيس مدينة كبيرة وفيها آثار كثيرة للوائل وكان أهلها مياسير أصحاب ثراء واكثرهم حاككة وبها يحاك ثياب الشروب التي لا يصنع مثلها في الدنيا وكان يصنع فيها اللخيفة ثوب يقال له البدنة لا يدخل فيه من الغزل سداء ولحمة غير أوقيتين وينسج باقيه بالذهب بصناعة محكمة لا تحوج الى تفصيل ولا خياطة تبلغ قيمته ألف دينار وليس في الدنيا طراز ثوب كثنان يباع الثوب منه وهو سادج بغير ذهب مائة دينار عينا غير طراز تنيس ودمياط وكان النيل اذا أطلق يشرب منه من بمشارك الفرما من ناحية جرجير وفاقوس من خليج

تيسر فكانت من أجل مدن مصر وان كانت شطا وديفو ودميرة وتونة وما قاربها من تلك الجزائر يعمل بها الرفيع فليس ذلك يقارب التيسر والدمياطى وكان الحبل منها الى مابعد سنة ستين وثلثمائة يبالغ من عشرين ألف دينار الى ثلاثين الف دينار لجهاز العراق فلما تولى الوزير يعقوب بن تدير كلس المال استأصل ذلك بالنواب وكان يسكن بمدينة تيسر ودمياط نصارى تحت النعمة وكان أهل تيسر يصيدون السماني وغير ذلك من الطير على أبواب دورهم والسماني طائر يخرج من البحر فيقع في تلك الشباك وكانت السفن تركب من تيسر الى الفرما وهي على ساحل البحر * ولما مات هرون الرشيد وقام من بعده ابنه محمد الامين وأراد القندر والتكث بالمأمون كان على مصر حاتم بن هرثمة بن أعين من قبل الامين فلما ثار عليه أهل تنو ونفي بعث اليهم السري بن الحكم وعبد العزيز بن الوزير الجروى فقلبا بعد الثمانية من شوال سنة أربع وتسعين ومائة ثم ولى الامير جابر بن الاشعث الطائي مصر وصرف حاتم بن هرثمة وكان جابر ليلا فلما تباعد ما بين محمد الامين وبين أخيه عبدالله المأمون وخلع محمد أخاه من ولاية العهد وترك الدعاء له على المنابر وعهد الى ابنه موسى ولقبه بالشديد ودعى له تكلم الجند بمصر بينهم في خلع محمد غضبا للمأمون فبعث اليهم جابر ينههم عن ذلك ويخوفهم عواقب الفتن وأقبل السري بن الحكم يدعو الناس الى خلع محمد وكان ممن دخل الى مصر في أيام الرشيد من جند الليث بن الفضل وكان حاملا فارتفع ذكره بقيامه في خلع محمد الامين * وكتب المأمون الى أشراف مصر يدعوهم الى القيام بدعوته فاجابوه وبايعوا المأمون في رجب سنة ست وتسعين ومائة ووثبوا بجابر فاخرجوه وولوا عباد بن محمد فبلغ ذلك محمد الامين فكتب الى رؤساء الحوف بولاية ربيعة بن قيس الجرشي وكان رئيس قيس الحوف فانقاد أهل الحوف كلهم معه يمينها وقبضها وأظهروا دعوة الامين وخلع المأمون وساروا الى القسطنطينية لمحاربة أهلها واقتتلوا فكانت بينهما قتلى ثم انصرفوا وعادوا مرارا الى الحرب فعقد عباد بن محمد لعبد العزيز الجروى وسيره في جيش ليحارب القوم في دارهم فخرج في ذي القعدة سنة سبع وتسعين ومائة وحاربهم بعمرى فانهزم الجروى ومضى في قومه من ظم وجذام الى فاقوس فقال له قومه لم لاتدعوا لنفسك فما أنت بدون هؤلاء الذين غلبوا على الارض فضى فيهم الى تيسر فزها ثم بعث بعماله يجيئون الخراج من أسفل الارض فبعث ربيعة بن قيس يمنعه من الجباية وسار أهل الحوف في المحرم سنة ثمان وتسعين الى القسطنطينية واقتتلوا وقتل جمع من الفريقين وبلغ أهل الحوف قتل الامين ففرقوا وولى امرة مصر مطلب بن عبد الله الخزاعي من قبل المأمون فدخلها في ربيع الاول وولى عبد العزيز الجروى شرطته ثم عزله وعقد له على حرب أسفل الارض ثم صرف المطلب وولى العباس بن موسى بن عيسى في شوال قولى عبد

العزیز للشرطة فلما نار الجند وأعادوا المطلب في المحرم سنة تسع وتسعين هرب الجروى الى تنيس وأقبل العباس بن موسى بن عيسى من مكة الى الحوف فنزل ببليس ودعا قيسا الى نصرته ثم مضى الى الجروى بتيس فأشار عليه أن ينزل دارقين فرجع الى بابيس في جمادى الآخرة وهما مات مسموما في طعام دسه اليه المطلب على يد قيس فدان أهل الاحواف للمطلب وباعوه وسارعوا الى جب عميرة وسالموه عند مالفوه وبعث الى الجروى يأمره بالشخص الى الفسطاط فامتنع من ذلك وسار في رايه حتى نزل شظنوف فبعث اليه المطلب السرى بن الحكم في جمع من الجند يسألونه الصلح فأجابهم اليه ثم اجتهد في الغدر بهم فتيقظوا له فمضى راجعا الى بنا قاتبوه وحاربوه ثم عاد فدعاهم الى الصلح ولاطف السرى نخرج اليه في زلاج وخرج الجروى في مثله فالتقيا في وسط النيل مقابل سندفا وقد أعد الجروى في باطن زلاجه الحبال وأمر أصحابه بسندفا اذا لصق بزلاج السرى أن يجروا الحبال اليهم فاصق الجروى بزلاج السرى فربطه في زلاجه وجر الحبال وأسر السرى ومضى به الى تنيس فسجنه بها وذلك في جمادى الاولى ثم كر الجروى وقا تل فلقبه جموع المطلب بسنط سليط في رجب فظفر ولما عزل عمر بن ملاك عن الاسكندرية نار بالاندلسيين ودعا للجروى فأقبل عبد الله بن موسى بن عيسى الى مصر طالبا بدم اخيه العباس في المحرم سنة مائتين فنزل على عبد العزيز الجروى فصار معه في جيوش كثيرة العدد في البر والبحر حتى نزل الحيزة فخرج اليه المطلب في أهل مصر فخاربوه في صفر فرجع الجروى الى شريقون ومضى عبد الله بن موسى الى الحجاز وظهر المطلب على أن أبا حرمة فرجا الاسود هو الذى كاتب عبد الله بن موسى وحرضه على السير فطلبه ففر الى الجروى وجد المطلب في أمر الجروى فأخرج الجروى السرى بن الحكم من السجن وعاهده وعاقده على أن يشور بالمطلب ويخلعه فعاهده السرى على ذلك فاطلقه وأتى الى أهل مصر أن كتابا ورد بولايته فاستقبله الجند من أهل خراسان وعقدوا له عليهم وامتنع المصريون من ولايته فنزل داره بالحرء وأمه قيس بجمع منهم وحارب المصريين فهزمهم وقتل منهم فطلب المطلب منه الامان فأمنه وخرج من مصر واستبد السرى بن الحكم بأمر مصر في مستهل شهر رمضان * فلما قتل الاندلسيون عمر بن ملاك بالاسكندرية سار اليها الجروى في خمسين ألفا فبعث السرى الى تنيس بعثا فكر الجروى راجعا الى تنيس في محرم سنة احدى ومائتين فلما نار الجند بالسرى في شهر ربيع الاول وبليغوا سليمان بن غالب قام عباد بن محمد عليه وخلعه وقام بالامر على بن حمزة بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس في مستهل شعبان فامتنع عباد أن يبايعه ولحق بالجروى ثم لحق به أيضا سليمان بن غالب فكان معه وعاد السرى الى ولاية مصر في شعبان وقوى سلطانه فلما كان في المحرم سنة اثنتين

ومائتين ورد كتاب المأمون اليه يأمره بالبيعة لولي عهده على بن موسى الرضى فبويج له بمصر وقام في فساد ذلك ابراهيم بن المهدي ببغداد وكتب الى وجوه الجند بمصر يأمرهم بجناح المأمون وولي عهده وبالوثوب على السرى فقام بذلك الحارث بن زرعة بن محرم بالفسطاط وعبد العزيز ابن الوزير الجروى بأسفل الارض ومسامحة بن عبد الملك الطحاوى الازدى بالصعيد وخالفوا السرى ودعوا الى ابراهيم بن المهدي وعقدوا على ذلك الامر لعبد العزيز بن عبد الرحمن الازدى فخاربه السرى وظفر به في صفر ولحق كل من كره بيعة على الرضى بالجروى لمنعه بتيس وشدة سلطانه فصار الى الاسكندرية وملكها ودعى له بها وبلاد الصعيد ثم سار في جمع كبير لمحاربة السرى واستعد كل منهما لصاحبه بأعظم ما قدر عليه فبعث اليه السرى ابنه ميمونا فالتقى بشطونف فقتل ميمون في جمادى الاولى سنة ثلاث ومائتين وأقبل الجروى في مراكبه الى الفسطاط ليحرقها فخرج اليها أهل المسجد وسألوه الكف فانصرف عنها وحارب الاسكندرية غير مرة وقتل بها من حجر أصابه من منجنيقه في آخر صفر سنة خمس ومائتين ومات السرى بعده بثلاثة أشهر في آخر جمادى الاولى وقام بعد الجروى ابنه على بن عبد العزيز الجروى فخارب أبا نصر محمد بن السرى أمير مصر بعد أبيه بشطونف ثم التقيا بدمهور فيقال ان القتلى بينهما يومئذ كانوا سبعة آلاف وانهمزم ابن السرى الى الفسطاط فتبعته مراكب ابن الجروى ثم عادت فدخل أبو حرملة فرج بينهما حتى اصطالحا ومات ابن السرى في شعبان سنة ست ومائتين فولي بعده أخوه عبيد الله بن السرى فكف عن ابن الجروى وبعث المأمون محمد بن يزيد بن مزيد الشيباني الى مصر في جيش من ربيعة فامتنع عبيد الله بن السرى من التسليم له وامانعه فاقتملوا وانضم على بن الجروى الى خالد بن يزيد وأقام له الازال وأغاثه وسار حتى نزل على خندق عبيد الله بن السرى فاقتلا في شهر ربيع الاول سنة سبع ومائتين وجرت بينهما حروب بعد ذلك آلت الى ترفع خالد الى أرض الخوف فكره ذلك ابن الجروى ومكر به حتى أخرجه من عمله الى غربي النيل فنزل نهيا وانصرف ابن الجروى الى تنيس فصار خالد في ضر وجهه وعسكر له ابن السرى في شهر رمضان وأسره وأخرجه من مصر الى مكة في البحر وبعث المأمون بولاية عبيد الله بن السرى على ما في يده وهو فسطاط مصر وصعيدها وغربيها وبولاية على بن عبد العزيز الجروى تنيس مع الخوف الشرقي وضمه خراجها وأقبل ابن الجروى على استخراج خراجها من أهل الخوف فأنعوه وكتبوا الى ابن السرى يستمدونه عليه فامدهم بأخيه فالتقى بكورة بنا في بلقينة فاقتلوا في صفر سنة تسع ومائتين وامتدت الحروب بينهما الى اثناء ربيع الاول وهم منتصفون فانصرف ابن الجروى فيمن معه الى دمياط فصار ابن السرى الى محلة شريقون ونهبها وبعث الى تنيس

ودمياط فلكهما ولحق ابن الجروى بالفرما وسار منها الى العريش فنزل فيها بينها وبين غزة ثم عاد وأغار على الفرما في جمادى الآخرة ففر أصحاب ابن السرى من تنيس وسار ابن الجروى الى شطوف نجر الى ابن السرى واقتتلا فكانت لابن الجروى في أول النهار ثم أتاه كمين ابن السرى فانهزم وذلك في رجب فمضى الى العريش وسار ابن السرى الى تنيس ودمياط ثم أقبل ابن الجروى في المحرم سنة عشر ومائتين وملك تنيس ودمياط بغير قتال فبعث الى ابن السرى البعوث فخار بهم فبيناهم في ذلك اذ قدم عبد الله بن طاهر فقتله ابن الجروى بالاموال والازال وانضم اليه ونزل معه ببليس فامتنع ابن السرى ودافع ابن طاهر فتراخي له وبعث نجفي المال ونزل زفتا وبعث الى شطوف عيسى الجلودى على جسر عقده من زفتا وجعل ابن الجروى على سفنه التى جاءت من الشام لمعرفته بالحرب فهزم مراكب ابن السرى في المحرم سنة احدى عشرة وصالح ابن طاهر عبيد الله بن السرى في صفر وخلع عليه وأجازته بمشرة آلاف دينار وأقره بالخروج الى المأمون فمكنت فتن مصر بعبد الله بن طاهر* وفي سنة سبع وسبعين وثلاثمائة ولدت بتنيس معزى جدياله قرون عدة ورأسه مع صدره وبدنه ومقدمه بصوف أبيض ومؤخره بشعر اسود وذنبه ذنب شاة وولدت امرأة ستحلة لها رأس مدور ولها يدان ورجلان وذنب ولثلاث بقين من ذى الحجة من هذه السنة حدث بتنيس رعد وبرق وريح شديدة وسواد عظيم في الجو ثم ظهر وقت السحر في السماء عمود نار احمرت منه السماء والارض أشد حمرة وخرج غبار ودخان يأخذ بالانفاس فلم يزل الى الرابعة من النهار حتى ظهرت الشمس ولم يزل كذلك خمسة أيام* وفي سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة حضر عند قاضي تنيس أبي محمد عبد الله ابن أبي الريس رجل وامرأة فطالبت المرأة الرجل بفرض واجب عليه فقال الرجل تزوجت بها منذ خمسة أيام فوجدت لها ما للرجال وما للنساء فبعث اليها القاضي امرأة لتشرف عليها فأخبرت أن لها فوق القبل ذكرا بخصيتين والفرج تحتها والذكر أقلف وانها رائحة الحسن فطلقها الزوج* قال ابو عمرو الكندي حدثني أبو نصر أحمد بن علي قال حدثني يس بن عبد الاحد قال سمعت أبي يقول لما دخل عبيد الله بن طاهر مصر كنت فيمن دخل عليه فقال حدثنا عبد الله بن هبة عن أبي قيل عن سبيع قال يا أهل مصر كيف بكم اذا كان في بلدكم فتن فوليكم فيها الاعرج ثم الامر ثم الامر ثم يأتي رجل من ولد الحسين لا يدفع ولا يمنع تبلغ رايته البحر الاخضر يملأها عدلا فقلت كان ذلك كانت الفتنة فوليا السرى وهو الاعرج والاصفر ابنه أبو النصر والامرء عبيد الله بن السرى وأنت عبد الله بن طاهر بن الحسين ثم ان عبد الله بن طاهر سار الى الاسكندرية وأصلح أمرها وأخرج ابن الجروى الى العراق ثم قدم به الافشين الى مصر في ذى الحجة سنة خمس

عشرة وقد أمر الافشين أن يطالبه بالاموال التي عنده فان دفعها اليه والا قتله فطالبه فلم يدفع اليه شيئا فقدمه بعد الاضحي بثلاث فقتله * وفي جمادى الآخرة سنة تسع عشرة ومائتين نار يحيى بن الوزر في تنيس فخرج اليه المظفر بن كندر أمير مصر فقاتله في بحيرة تنيس وأسره وتفرق عنه أصحابه * وفي سنة تسع وثلاثين ومائتين أمر المتوكل ببناء حصن على البحر بتنيس فتولى عمارته عتبة بن اسحاق أمير مصر وأنفق فيه وفي حصن دمياط والغرما مالا عظيما وفي سنة تسع وأربعين ومائتين عذبت بحيرة تنيس صيفا وشتاء ثم عادت ملحا صيفا وشتاء وكانت قبل ذلك تقيم ستة أشهر عذبة وستة أشهر مالحة وفي سنة ثمان واربعين وثلاثمائة وصلت مراكب من صقلية فهبوا مدينة تنيس وفي سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة صيد بأشتوم تنيس حوت طوله ثمانية وعشرون ذراعا ونصف من ذلك طول رأسه تسعة أذرع وذاثر بطنه مع ظهره خمسة عشر ذراعا وفتحة فمه تسعة وعشرون شبرا وعرض ذنبه خمسة أذرع ونصف وله يدان يحذف بهما طول كل يد ثلاثة أذرع وهو أملس أغبر غليظ الجلد مخطط البطن ببياض وسواد ولسانه أحمر وفيه خمل كالريش طوله نحو الذراع يعمل منه أمشاط شبه الذبل وله عينان كعيبي البقر فأمر أمير تنيس أبو اسحاق ابن لوبة به فشق بطنه وملح بمائة أردب ملح وزرع فكه الاعلى بعود خشب طويل وكان الرجل يدخل الى جوفه بقفاف الملح وهو قائم غير منحن وحمل الى القصر حتى رأى العزيز بالله وفي ليلة الجمعة ثامن عشر ربيع الاول سنة تسع وسبعين وثلاثمائة شاهد أهل تنيس تسعة أعمدة من نار تلهب في آفاق السماء من ناحية الشمال فخرج الناس الى ظاهر البلد يدعون الله تعالى حتى أصبحوا خفت تلك النيران وفيها صيد ببحيرة تنيس حوت طوله ذراع ونصفه الاعلى فيه رأس وعينان وعنق وصدر على صورة أسد ويداء في صدره بمخالبه ونصفه الادنى صورة حوت بغير قشر فحمل الى القاهرة وفي سنة سبع وتسعين وثلاثمائة ولدت جارية بنتا برأسين أحدهما بوجه أبيض مستدير والآخر بوجه أسمر فيه سهولة في كل وجه عينان فكانت ترضعهما وكلاهما مركب على عنق واحد في جسد واحد بيدن ورجلين وفرج ودبر فحملت الى العزيز حتى رآها ووهب لامها جملة من المال ثم عادت الى تنيس وماتت بعد شهر وفي سنة احدى وسبعين وخمسمائة وصل الى تنيس من شواني صقلية نحو أربعين مركبا فحصرها يومين وأقلعوا ثم وصل اليها من صقلية أيضا في سنة ثلاث وسبعين نحو أربعين مركبا فقاتلوا أهل تنيس حتى ملكوها وكان محمد ابن اسحاق صاحب الاسطول قد حيل بينه وبين مراكبه فتحيز في طائفة من المسلمين الى مصلى تنيس فلما أجبنهم الليل هجم بمن معه البلد على القرنج وهم في غفلة فأخذ منهم مائة وعشرين فقطع رؤسهم فاصبح القرنج الى المصلى وقاتلوا من بها من المسلمين فقتل

من المسلمين نحو السبعين وسار من بقي منهم الى دمياط فسال الفرنج على تنيس وألقوا فيها النار فأحرقوها وساروا وقد امتلأت أيديهم بالغنائم والاسرى الى جهة الاسكندرية بعد ما أقاموا بتنيس أربعة أيام ثم لما كانت سنة ست وسبعين وخمسمائة نزل الفرنج عسقلان في عشر حراريق على أعمال تنيس وعليها رجل منهم يقال له المعز فأمر جماعة وكان على مصر الملك العادل من قبل أخيه الملك الناصر صلاح الدين يوسف عند ما سار الى بلاد الشام ثم مضى المعز وعاد فأمر ونهب فنار به المسلمون وقتلوه فظفرهم الله به وقبضوا عليه وقطعوا يديه ورجليه وصلبوه * وفي سنة سبع وسبعين وخمسمائة انتدب السلطان لعمارة قلعة تنيس وتجديد الآلات بها عند ما اشتد خوف أهل تنيس من الإقامة بها فقدّر لعمارة سورها القديم على أساساته الباقية مبلغ ثلاثة آلاف دينار عن ثمن أصناف وأجر * وفي سنة ثمان وثمانين وخمسمائة كتب باخلاء تنيس ونقل أهلها الى دمياط فأخلت في صفر من الذراري والاثقال ولم يبق بها سوى المقاتلة في قلعتها * وفي شوال من سنة أربع وعشرين وستمئة أمر الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب بهدم مدينة تنيس وكانت من المدن الجليلة تعمل بها الثياب السرية وتصنع بها كسوة الكعبة * قال ألفا كهي في كتاب أخبار مكة ورأيت كسوة مما يلي الركن الغربي يعني من الكعبة مكتوبا عليها مما أمر به السرى بن الحكم وعبد العزيز بن الوزير الجروى بأمر الفضل بن سهل ذي الرياستين وظاهر بن الحسين سنة سبع وتسعين ومائة ورأيت شقة من قباطي مصر في وسطها الا انهم كتبوا في أركان البيت بخط دقيق أسود ما أمر به أمير المؤمنين المأمون سنة ست ومائتين ورأيت كسوة من كسا المهدي مكتوبا عليها بسم الله بركة من الله لعبده الله المهدي محمد أمير المؤمنين أطال الله بقاءه مما أمر به اسماعيل بن ابراهيم أن يصنع في طراز تنيس على يد الحكم بن عبيدة سنة اثنتين وستين ومائة ورأيت كسوة من قباطي مصر مكتوبا عليها بسم الله بركة من الله مما أمر به عبد الله المهدي محمد أمير المؤمنين أصاحه الله محمد بن سليمان أن يصنع في طراز تنيس كسوة الكعبة على يد الخطاب بن مسامة عامله سنة تسع وخمسين ومائة * قال المسيحي في حوادث سنة أربع وثمانين وثلثمائة وفي ذي القعدة ورد يحيى بن اليان من تنيس ودمياط والفرما بهديته وهي أسفاط وتحوت وصناديق مال وخيل وبغال وحير وثلاث مظال وكسوتان للكعبة * وفي ذي الحجة سنة اثنتين وأربعمائة وردت هدية تنيس الواردة في كل سنة منها خمس نوق مزينة ومائة رأس من الخيل بسر وجها ولجها ونجايف وصناعات عدة وثلاث قباب ديقية بمراتها ومتحركات وبهود وما جرى الرسم بحمله من المتاع والمال والبز وما قدم الحاكم استدعت أخته السيدة سييدة الملك الى عامل تنيس عن الحاكم بأن يحمل مالا كان اجتمع قبله ويعجل توجيهه

وقيل انه كان ألف ألف دينار وألغى ألف درهم اجتمعت من ارتفاع البلد ثلاث سنين وأمره الحاكم بتركها عنده فحمل ذلك اليها وبه استعانت على ما دبرت * وفي سنة خمس عشرة وأربعمائة ورد الخبر على الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله أبي هاشم على بن الحاكم بأمر الله أن السودان وغيرهم ثاروا ببتيس وطلبوا أرزاقهم وضيقوا على العامل حتى هرب وانهم عاثوا في البلد وأفسدوا ومدوا أيديهم الى الناس وقطعوا الطرقات وأخذوا من المودع ألفاً وخمسمائة دينار فقام الجرجاري وقعد وقال كيف يفعل هذا بخزانة السلطان وساءنا فعل هذا ببتيس أوبيت المال وسير خمسين فارساً للقبض على الجناة وما زالت تنيس مدينة عامرة ليس بأرض مصر مدينة أحسن منها ولا أحصن من عمارتها الى أن خربها الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب في سنة أربع وعشرين وستمائة فاستمرت خراباً ولم يبق منها الا رسوماها في وسط البحيرة وكان من جملة كورة تنيس بورا ومنها وايوان وشطاً وبحيرتها الآن يصاد منها السمك وهي قليلة العمق يسار فيها بالعادي وتلتقى السفينتان هذه صاعدة وهذه نازلة بريح واحدة وقاع كل واحدة منهما ملوء بالريح سيرها في السرعة مستو توسط البحيرة عدة جزائر تعرف اليوم بالعزب جمع عزبة بضم العين المهمة وزاى ثم باء موحدة سكنها طائفة من الصيادين وفي بعضها ملاحات يؤخذ منها ملح عذب لذيد ملوحته وماؤها ملح وقد يحلو أيام النيل * (تونة) * وكان من جملة عمل مدينة تنيس قرية يقال لها تونة يعمل بها طراز تنيس ويصنع بها من جملة الطراز كسوة الكعبة أحياناً * قال الفاكهي ورأيت أيضاً كسوة لهرود الرشيد من قباطي مصر مكتوباً عليها بسم الله بركة من الله للخليفة الرشيد عبد الله هرون أمير المؤمنين أكرمه الله مما أمر به الفضل بن الربيع أن يعمل في طراز تونة سنة تسعين ومائة * (سمناى) * قرية من قرى تنيس غابت عليها بحيرة تنيس فصارت جزيرة فلما كان في شهر ربيع الاول سنة سبع وثلاثين وثمانمائة كشف عن حجارة وآجر بها فاذا عضادات زجاج كثيرة مكتوب على بعضها اسم الامام المعز لدين الله وعلى بعضها اسم الامام العزيز بالله نزار ومنها ماعليه اسم الامام الحاكم بأمر الله ومنها ماعليه اسم الامام الظاهر لاعزاز دين الله ومنها ماعليه اسم المستصرو هوأكثرها أخبرني بذلك من شاهده ورآه * (بورا) * كانت فيما بين تنيس ودمايط واليه ينسب السمك الذي يقال له البورى واليه ينسب أيضاً بنو البورى الذين كانوا بالقاهرة والاسكندرية * وفي سنة عشر وستمائة وصل العدو اليها بشوانيه وسبأها فقدمت اليها القطائع التي كانت على رشيد فسار عنها العدو * (القيس) * بفتح القاف وبمدها سين مهملة بلد ينسب اليها الثياب القيسية آثارها الى اليوم باقية على البحر الملح فيما بين السوادة والورادة وبمدها من مدينة الفرما قريب من ستة برد في البر وهناك تل عظيم من رمل خارج في البحر الشامي يقطع

الفرنج عنده الطريق على المارة وبالقرب من التل سباخ ينبت فيه ملح يحمله العربان الى غزة
والرملة وبقرب هذا السباخ آبار يزرع عندها مقاتي لعربان تلك البوادي
* (ذكر مدينة صا) *

قال ابن وصيف شاه ولما قسم قبطيم بن مصر ايم الارض بين أشمون وأتريب وقفط
وصا انتقل كل واحد الى قسمه وحيزه فخرج صا بأهله وولده وحشمه الى حيزه وهو بلد
البحيرة والاسكندرية حتى انتهى الى برقة ونزل مدينة صا قبل أن تبنى الاسكندرية وكان صا
أصغر ولد أبيه وأحبهم اليه فلما ملك حيزه أمر بالنظر في العمارات وبناء المدائن والبلدان
وأهلها كل وأظهار العجائب كما صنع اخوته وطلب الزيادة في ذلك * وقال مرهون الهندي
صاحب بانه فني من حد صا الى حد لوبية ومراقبة على البحر أتلاما وجعل على رؤس
تلك الاعلام مرأى من أخلاط شق فكان منها ما يمنع من دواب البحر وأذاها ومنها ما اذا
قصدتهم عدو من الجزائر وأصابها الشمس ألقت شعاعا على مراكبهم فأحرقها ومنها ما يرى
المدائن التي تحاذيهم من عدوة البحر وما يعمل أهلها ومنها ما ينظر فيها الى أقليم مصر فيعلم
منه ما ينصب وما يجذب في كل سنة وجعل فيها حمامات تقد من نفسها وجعل مستشفيات
ومنتزهات وكان ينزل كل يوم منها في موضع بمن ينحصر من خدمه وحشمه وجعل حوايلها
بساتين وسرح فيها الطيور المفردة والوحش المستأنس والانهار المطردة والرياض الموقنة
وجعل شرفات قصوره من حجارة ملونة تلمع اذا أصابتها الشمس فينشر شعاعها على
ما حولها ولم يدع شيئا من آلة النعمة والرفاهية الا استعمله فكانت العمارة ممتدة في رمال
رشيد ورمال الاسكندرية الى برقة وكان الرجل يسافر في أرض مصر لايحتاج الى زاد
لكثرة الفواكه والخيرات ولا يسير الا في ظلال تستره من الشمس وعمل في تلك الصحاري
قصورا وغرس فيها غروسا وساق اليها من النيل أنهارا فكان يسلك من الجانب الغربي الى
حد الغرب في عمارة متصلة فلما انقرض أولئك القوم بقيت آثارهم في تلك الصحاري
وخربت تلك المنازل وباد أهلها ولا يزال من دخل تلك الصحاري يحكي ما رآه فيها من
الآثار والعجائب * قال مؤلفه رحمه الله حدثني الثقة عمن دخل مدينة صا ومشى في خرابها
فاذا هو بلبنة طولها أربعة أشبار فتناولها وأخذ يتأملها ثم كسرها فاذا فيها سنبلة قدر شبر
وأفر كانها كما حصدت وفركها بيده فخرج منها قمح أبيض كبار حبه جدا في قدر حب اللوبيا
فأكله كله فلم يجد فيه تغيرا ودخل آخر اليها قبيل سنة تسعين وسبعائة وأخذ منها لبنة
طولها ذراع ونصف في عرض ذراع فكسرها فاذا فيها سنبلة قمح تحن كل قمحة منها في
مقدار ما يكون أكبر من الحنص فلم يطق كسره الا بعد مارضه بالحجارة رضا ووجد بصا
صنم لطيف طول أصبع فاتفق انه التي في خابية ماء فصار خرا وكان ذلك عند رجل من

تنبس فصلحت حاله من بيعه ذلك الحمر فطلبه الامير الا وحده مستولى تيس وما زال به حتى أخذ الصنم منه

رمل الغرابي

اعلم أن هذا الرمل ممتد في الارض ويسميه بعضهم الرمل الهبير وطوله من وراء جبل طي الى أن يتصل مشرقا بالبحر ويمضي من وراء جبل طي الى أرض مصر ثم الى بلد التوبة ويمتد الى البحر المحيط مسيرة خمسة أشهر ومنه عرق يضرب من القادسية الى البحرين فيعبر البحرين فيمر على مشارق خورستان وفارس الى أن يرد سبستان ويمر مشرقا الى مصر وأخذنا على جيحون في بركة خوارزم ويأخذ في بلاد الحدلية الى الصين والبحر المحيط في جهة الشرق وهو على ما وصفته وسقته من المحيط بالشرق الى المحيط بالمغرب وفيه جبال عظام لا ترتقي وبعضه في أرض سهلة ينتقل من مكان الى مكان ومنه أصفر لين اللبس وأحمر وأزرق سماوي وأسود حالك وأكل مشبع كالنيل وأبيض كالثلج ومنه ما يحكي الغبار نعومة ومنه خشن جريش اللبس وزعم بعضهم أن رمل الغرابي وما يتصل به من حد العريش الى أرض العباسية حدث * وذكر في سبب كونه خبر فيه معتبر وهو أن شداد بن هداد بن شداد بن عاد أحد الملوك العادية قدم الى مصر وغلب بكثرة جيوشه أشمون بن مصر بن بصر بن حام بن نوح ملك مصر وهدم ما بناه هو وآبؤه وبني لنفسه اهراما ونصب أعلاما زبر عليها العليسمات واختط موضع الاسكندرية وأقام هناك دهرا الى أن نزل به ويقومه وباء فخرجوا من أرض مصر الى جهة وادي القري فيما بين المدينة النبوية وأرض الشام وعمروا الملاعب والمصانع لحبس المياه التي تجتمع من الامطار والسيول فكان سعة كل مصنع ميلا في ميل وغرسوا النخل وغيره وزرعوا أصناف الزراعات فيما بين واية وأيلة الى البحر الغربي ولمتدت منازلهم من الدثنة الى العريش والجفار في أرض سهلة ذات عيون تجري وأشجار مثمرة وزروع كثيرة فأقاموا بهذه الارض دهرا طويلا حتى عثوا وبغوا ونجبروا وطفوا وقالوا نحن الا كثرون قوة الا شدون الا غلبون فسلط الله عليهم الرمح فأهلكتهم ونسفت مصانعهم وديارهم حتى سجلتها رملا فما تراء من هذه الرمال التي بأرض الجفار ما بين العباسية حيث المنزل التي تعرف اليوم بالصالحية الى العريش من رمل مصانع العادية وسحالة صخورهم لما أهلكهم الله بالرمح ودمرهم تدمير او اياك وانكار ذلك لغرابته في القرآن الكريم ما يشهد لصحته قال تعالى وفي عاد اذا أرسلنا عليهم الريح العقيم ما نذر من شيء أتت عليه الا جعلته كالرميم أي كالشيء الهالك البالي وقيل أرميم نبات الارض اذا يابس وديس وقيل الورق الجاف المتحطم مثل الهشيم والرميم الحلق البالي من كل شيء * (مراقبة) * مدينة مراقبة كورة من كور مضر الغربية وهي آخر حد أرض مصر وفي آخر أرض مراقبة

تلقى أرض انطابلس وهي برقة وبعدها من مدينة سنتريه نحو من بردين وكان قطرا كبيرا به نخل كثير ومزارع وبه عيون جارية وبها الى اليوم بقية وثمرها جيد الى الغاية وزرعها اذا بذر ينبت من الحبة الواحدة من القمح مائة سنبله واقل ما تنبت تسمون سنبله وكذلك الارزها فانه جيد زاك وبها الى اليوم بساتين متعددة وكانت مراقبة في القديم من الزمان سكنها البربر الذين نفاهم داود عليه السلام من أرض فلسطين فنزلها منهم خلائق ومنها تفرقت البربر فنزلت زناتة ومغيلة وضريسة الحبال ونزلت لواتة أرض برقة ونزلت هواردة طراباس المغرب ثم انتشرت البربر الى السويس فلما كان في شوال سنة أربع وثلثمائة من سنى الهجرة الحمدية جلى أهل لوبية ومراقبة الى الاسكندرية خوفا من صاحب برقة ولم تنزل في احتلال الى أن تلاشت في زمننا وبها بعد ذلك بقية جيدة * (كوم شريك) * هذا المكان بالقرب من الاسكندرية له ذكر في الاخبار عرف بشريك بن سمي بن عبد يغوث ابن جزء المرادى القطيفي من الصحابة رضى الله عنهم وكان على مقدمة عمرو بن العاص في فتح الاسكندرية الثاني فمما كثرت جمائع الروم انحاز شريك الى هذا الكوم بأصحابه ودافع الروم حتى أدركه عمرو وكوم شريك هذا من جملة خوف رمسيس * (غيفة) * قرية تقارب مدينة بلبس من الفسطاط اليها مرحلتان كانت منزلة قافلة الحاج ويقال ان صواع الملك الذي فقد من مدينة مصر وجد في رحال اخوة يوسف عليه السلام بغيفة هذه * (سمنود) * كان بها ربا عليه هيئة درقة فيها كتابة حكى ابن زولاق عن أبي القاسم مأمون العدل انه نسخ الكتابة في قرطاس وصوره على درقة قال فما كنت أستقبل به أحدا الاولى هاربا وكان بها أيضا تماثيل وصور من يملك مصر فيهم قوم عليهم شاسيات وبأيديهم الحراب وعليهم مكتوب هؤلاء يملكون مدينة مصر

ذكر مدينة بلبس

وسميت في التوراة أرض حاشان وفيها نزل يعقوب لما قدم على ولده يوسف عليهما السلام فأنزله بأرض حاشان وهي بلبس الى العلاقة من أجل مواشيمهم قال ابن سعيد بلبس واليه يصل حكمه الى الوردادة وهي آخر حد مصر واليه تنتهي المعاملة بنفثة السواد ويصير الناس يتعاملون بالفلوس بعدها الى العريش وهي أول الشام وقيل هي آخر مصر * وقال أبو عبيد البكري بلبس بفتح أوله واسكان ثانيه بعده باء مثل الاولى مفتوحة أيضا وياء ساكنة وسين مهملة وهو موضع قريب مصر معروف وذكر ابن خردادبه في كتاب المسالك والممالك أن بين بلبس ومدينة فسطاط مصر أربعة وعشرين ميلا * وذكر الواقدي أن المقوقس زوج ابنته ارمانوسة من قسطنطين بن هرقل وجهزها بأموالها وجواريتها وغلمانها وحشمها لتسير اليه حتى يبني عليها في مدينة قيسارية وهم محاصرون لها فخرجت

الي بليس وأقامت بها وبعثت حاجبها الكبير في ألفي فارس الي الفرما ليحفظ الطريق ولا يدع أحدا من الروم ولا غيرهم يعبر الي مصر وبعث المقوقس رسله الي اطراف بلادده بما يلي الشام أن لا يتركوا أحدا يدخل أرض مصر مخافة أن يتحدثوا بنقلية المسلمين على الشام فيدخل الرعب في قلوب عساكره فلما قدم عمر بن الخطاب الجابية وسار عمرو بن العاص الي مصر نزل على بليس وبها أرماتوسة ابنة المقوقس فقاتل من بها وقتل منهم زهاء ألف فارس وأسروا ثلاثة آلاف وإنهزم من بقي الي المقوقس وأخذت أرماتوسة وجميع ما لها وسائر ما كان للقبط في بليس فأحب عمرو ملاطنة المقوقس فسير اليه ابنته أرماتوسة مكرمة في جميع ما لها مع قيس بن أبي العاص السهمي فسر بقدر ما بها ثم سار عمرو الي القصر ولم تزل من مدائن مصر الكبار حتى نزل عليها مري ملك الفرنج وأخذها عنوة بعد حصار طويل وقتل منها آلافا ولها أخبار كثيرة وقد خربت منذ عهد الحوادث بديار مصر بعد سنة ست وثلاثمائة بعد ما أدركناها وبها عمارة كثيرة وفيها عدة بساتين وأهلها أصحاب يسار ونعم سنية

ذكر بلد الورداء

الورداء من جملة الجفار قال عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه في كتاب المسالك والمعالك وصفة الطريق والارض من الرملة الي اردود اثنا عشر ميلا ثم الي غزة عشرون ميلا ثم الي العريش أربعة وعشرون ميلا في رمل ثم الي الورداء ثمانية عشر ميلا ثم الي القريب عشرون ميلا ثم الي الفرما أربعة وعشرون ميلا قال الخليفة المأمون

ليلك كان بالبيدا * ن أقصر منه بالفرما غريب في قرى مصر * يقاسي الهم والسدما
ثم الي جرير ثلاثون ميلا ثم الي القاصرة أربعة وعشرون ميلا ثم الي مسجدة قضاء
ثمانية عشر ميلا ثم الي بليس أحد وعشرون ميلا ثم الي قسطة مدينة مصر أربعة وعشرون
ميلا * وقال جامع تاريخ دمياط ولما افتتح المسلمون الفرما بعد ما افتتحوا دمياط وتيسر
ساروا الي البقارة فأسلم من بها وساروا منها الي الورداء فدخل أهلها في الاسلام وما حولها
الي عسقلان * وقال القاضي الفاضل في متجددات شهر المحرم سنة سبع وستين وخمسمائة
وصاحبنا لورداء فبتنا على مينا الورداء ودخلنا الورداء فرأيت تاريخ منارة جامعها سنة ثمان
وأربعمائة واسم الحاكم بأمر الله عليها والورداء من جملة الجفار ويقال أخذ اسمها من
الورود ولم يزل جامعها عامر اتقام به الجمعة الي ما بعد السبعمائة وبلد الورداء القديمة في شرقي
المنزلة التي يقال لها اليوم الصالحية وبها آثار عمارت ونخل قليل * (الصالحية) * هذه البلدة
اختطها الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب بن شاذي
بأرض المسامخ والملاقة في أول الرمل الذي بين مصر والشام وأنشأ بها قصورا وجامعا
وسوقا لتكون منزلة العساكر اذا خرجوا من الرمل وذلك في سنة أربع وأربعين وثمانئة
(٣٨٠ - خط ل)

ذكر مدينة ايلة

ذكر ابن حبيب أن أنال بضم أوله ثم ناء مثله وادى أيلة وأيلة بفتح أوله على وزن فعلة مدينة على شاطئ البحر فيما بين مصر ومكة سميت بأيلة بنت مدين بن ابراهيم عليه السلام وأيلة أول حد الحجاز وقد كانت مدينة جليلة القدر على ساحل البحر الملح بها التجارة الكثيرة وأهلها اخلاط من الناس وكانت حد مملكة الروم في الزمن الفابر وعلى ميل منها باب معقود لقيصر قد كان فيه مسلخته يأخذون المكس وبين ايلة والقدس ست مراحل والطور الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام على يوم وليلة من ايلة وكانت في الاسلام منزلا لبني أمية وأكثرهم موالي عثمان بن عفان وكانوا سقاة الحاج وكان بها علم كثير وآداب ومتاجر وأسواق عامرة وكانت كثيرة التخل والزروع وعقبة أيلة لا يصعد اليها من هو راكب وأصلحها فائق مولى خمارويه بن أحمد بن طولون وسوى طريقها ورم ما استرم منها وكان بأيلة مساجد عديدة وبها كثير من اليهود يزعمون أن عندهم برد النبي صلى الله عليه وسلم وأنه بعث اليهم أمانا وكانوا يخرجونه رداء عدنيا ملفوفا في الثياب قد أبرز منه قدر شبر فقط ويقال ان ايلة هي القرية التي ذكرها الله تعالى في كتابه حيث قال واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت اذ تأتيهم حياتهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبثون لان تأتيهم كذلك نبأهم بما كانوا يفسقون وقد اختلف في تعيين هذه القرية فقال ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة والسدي هي أيلة وعن ابن عباس أيضا انها مدينة بين أيلة والطور وعن الزهري انها طبرية وقال قتادة وزيد بن أسلم هي ساحل من سواحل الشام بين مدين وعينونة يقال لها معانة وسئل الحسين بن الفضل هل نجد في كتاب الله الحلال لا يأتيك الا قوتا والحرام يأتيك جزافا قال نعم في قصة ايلة اذ تأتيهم حياتهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبثون لان تأتيهم * وكان من خبر أهل القرية أنهم كانوا من بني اسرائيل وقد حرم الله عليهم العمل في يوم السبت فزبن لهم ابليس الحيلة وقال انما نهيتهم عن أخذ الحيتان يوم السبت فاتخذوا الحياض فكانوا يسوقون الحيتان اليها يوم الجمعة فتبقى فيها فلا يمكنها الخروج منها لقلة الماء فيأخذونها يوم الاحد. وقيل كان الرجل يأخذ خيطا ويضع فيه وهقه ويلقيه في ذنب الحوت وهو بحريك الهاء واسكانها جبل كالطول ويجعل في الطرف الآخر من الحيط وتدا ويتركه كذلك الى يوم الاحد ثم تطرق الناس حين رأوا من صنع هذا لا يبتلى حتى كثر الصيد للحيتان ومشى به في الاسواق وأعلن الفسقة بصيده فقامت طائفة من بني اسرائيل وجاهرت بالتهمة واعتزلت وقالت لا نسا كنسكم فقسموا القرية بجدار فأصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين أحد فقالوا ان للناس لثأنا فعلوا على الجدار فاذا هم قردة فدخلوا عليهم فعرفت القردة أنسابها من الانس فجعلت تأتهم فتشم

ثياهم وتبكي فيقول الناهون للقردة ألم منهمكم فتقول برأسها نعم قال قتادة فصارت الشباب قردة والشيخ خنازير فأنجا الا الذين نهوا وهلك سائرهم وقيل ان ذلك كان في زمن نبي الله داود عليه السلام وقيل ان ايلة أصلها أيلاليه وقد وقع ذكرها في التوراة كذلك وقال الشريف محمد بن أسعد الجواني دكالة من البربر بطن من المصامدة وقالت طائفة ان دكالة ولد ايلة ويقال ايل الذي سميت به عقبه أيلة وأخراهم من دغفل بن ايلة وانهم يزورون الى البربر ويقولون نحن من ربيعة الفرس وفي ذلك خلاف عظيم * وذكر المسعودي أن يوشع بن نون عليه السلام حارب السميدع بن هزر بن مالك العمليقي ملك الشام ببلد أيلة نحو مدين وقتله واحتوى على ملكه وفي ذلك يقول عون بن سميد الجرهمي

ألم تر أن العمليقي بن هرمز * بأيلة أمسي لحمه قد تمزعا

تداعت عليه من يهود جحافل * ثمانون ألفاً حاسرين ودردا

وهي أبيات كثيرة وقال ابن اسحاق فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك أتاه ثحية بن روبة صاحب أيلة فصالحه وأعطاه الجزية وأناه أهل حرباء وأذرح فأعطوه الجزية وكتب لهم كتابا فهو عندهم وكتب لثحية بن روبة بسم الله الرحمن الرحيم هذا أمانة من الله ومحمد النبي ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر فمن أحدث منهم حدثا فإنه لا يحول ماله دون نفسه وأنه طيب لمن أخذه من الناس وأنه لا يحل أن ينعوا ما يريدونه ولا طريقا يريدونه من بر أو بحر هذا كتاب جهيم بن الصلت وشرحيل ابن حسنة باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ذلك في سنة تسع من الهجرة ولم تزل مدينة أيلة عامرة آهلة * وفي سنة خمس عشرة وأربعمائة طرق عبد الله بن ادريس الجعفرى أيلة ومعه بعض بنى الجراح ونهبها وأخذ منها ثلاثة آلاف دينار وعدة غلال وسبي النساء والاطفال ثم انه صرف عن ولاية وادي القرى فسارت اليه سرية من القاهرة لمحاربته * قال القاضي الفاضل وفي سنة ست وستين وخمسمائة أنشأ الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن أيوب مراكب مفصلة وحماها على الجمال وسار بها من القاهرة في عسكر كبير لمحاربة قلعة ايلة وكانت قد ملكها الفرنج وامتنعوا بها فنازلها في ربيع الاول وأقام المراكب وأصلحها وطرحها في البحر وشحنها بالمقاتلة والاسلحة وقاتل قلعة ايلة في البر والبحر حتى فتحها في العشرين من شهر ربيع الآخر وقتل من بها من الفرنج وأسبهم وأسكن بها جماعة من ثناته وقواهم بما يحتاجون اليه من سلاح وغيره وعاد الى القاهرة في آخر جمادى الاولى * وفي سنة سبع وسبعين وصل كتاب الثائب بقلعة ايلة ان المراكب على تحفظ وخوف شديد من الفرنج ثم وصل الايريس لعنه الله الى ايلة وربط العقبة وسير

عسكره الى ناحية تبوك وربط جانب الشام لحوقه من عسكر يطلبه من الشام أو مصر فلما كان في شعبان من السنة المذكورة كثر المطر بالجليل المقابل للقلعة بأيلة حتى صارت به مياه استغني بها أهل القلعة عن ورود العين مدة شهرين وتأثرت بيوت القلعة لتتابع المطر ووهت لضعف أساسها فتبدار كها أحمائها وأصلحوها * وذكر أبو الحسن المسعودي في كتاب أخبار الزمان ومن أباد الحذنان السكوكه وهم أمة لهم أربعة ملوك ملكوا أرض ايلة والحجاز وبني كل واحد منهم مدينة سماها باسمه وجعلوا سائر الارض خيمات وقسموها على ثلاثين كورة وجعلوها أربعة أعمال لكل عمل ملك يجلس على منبر ذهب في مدينته وعمل بربا وهي بيت الحكمة وعمل هيكل لاخذ السكوا كب وجعل فيه أصناما من ذهب كل صنم له مرتبة وكانت الاسكندرية واسمها رقودة فجعلوا لها خمس عشرة كورة وجعلوا فيها كبار السكنة ونصبوا في هياكلها من أصنام الذهب أكثر مما في غيرها وكان فيها مائتا صنم من ذهب وقسموا الصميد على ثمانين كورة وجعلوه أربعة أقسام وكان عددهم من أهل مصر الداخلة في كورها ثلاثين مدينة فيها المعجائب وقيل ان حيرا الاكبر واسمه العرنجج بن سبا الاكبر واسمه عامر ويعرف بعبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان لما ملك بعد أبيه جمع جيوشه وسار يظا الاعم ويدوس الممالك كما فعل أبوه فأمن في المشرق حتى أبعده ياجوج ومأجوج الى مطلع الشمس ثم قفل نحو المغرب فجاءه قبائل من أهل اليمن من بني هود بن طابر بن شالح بن أرغشذ بن سام بن نوح يشكون من ثمود بن عابر ابن ارم بن سام بن نوح وما نزل بهم من ظلمهم فأمر برفهم من أرض اليمن وأنزلهم ايلة فعمروها من ايلة الى ذات الاصال الى أطراف جبل نجد فقطعت ثمود هناك الصخور ونحتوا من الجبال البيوت وتكبروا وطفوا فبعث الله فيهم صالحا نبيا ورسولا فكذبوه وسألوه أن يخرج لهم ناقة من صخرة فأخرجها لهم فقروها فأهلكهم الله بالصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين * وقد ذكر أن موسى عليه السلام سار ببني اسرائيل بعد موت أخيه هرون الى أرض أولاد العيص وهي التي تعرف بجبال السراة جنب بلد الشوبك ثم مر فيها الى ايلة وتوجه بعد أيام الى بركة باب حيث بلاد السركك حتى حارب تلك الاعم وكان الى جانب ايلة مدينة يقال لها عصبون جليلة عظيمة * (مربوط) * كورة من كور الاسكندرية كانت لشدة بياضها لا يكاد يبين فيها دخول الليل الا بعد وقت وكان الناس يمشون فيها وفي أيديهم خرق سود خوفا على أبصارهم ومن شدة بياضها نبت الرهبان السواد وكانت بلاد مربوط في نهاية العمارة والجنان المتصلة بأرض بركة وهي اليوم من قري الاسكندرية يزرع بها الفواكه وغيرها وقد وقفها الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجانشين على جهات بر بالجامع الحاكمي من القاهرة وبها جامع عمر في سنة ست وستين وسثمائة ثم استأجرها

الملك المؤيد شيخ الحمودي في سنة احدى وعشرين وثمانمائة وجدد عمارة بستانها وقد خرب لترداد عرب لبدة وبرقة اليه فاستمرت في ديوان السلطان * (وادى هيب) * هذا الوادى بالجانب الغربى من أرض مصر فيما بين مربوط والفيوم يجلب منه الملح والنطرون عرف بهيب بن محمد بن معقل بن الواقعة بن حزام بن عفان الغفارى أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد فتح مكة وروى عنه أبو تميم الحيشانى وأسلم مولى يحيى وسعيد ابن عبد الرحمن الغفارى وكان قد اعتزل عند فتنة عثمان رضى الله عنه بهذا الوادى فعرف به وكان يقول لا يفرق بين قضاء دين رمضان ويجمع بين الصلاتين في السفر ويقال لهذا الوادى أيضا وادى الملوك ووادى النطرون وبرية شهاب وبرية الاسقيط وميزان القلوب وكان به مائة دير للنصارى وبقي به سبعة ديورة وقد ذكرت عند ذكر الاديار من هذا الكتاب وهو واد كثير الفوائد فيه النطرون ويحصل منه مال كثير وفيه الملح الاندراى والملح السلطاني وهو على هيئة ألواح الرخام وفيه الوكت والكحل الاسود ومعمل الزجاج وفيه الماسكة وهو طين أصفر في داخل حجر أسود يحك في الماء ويشرب لوجع المعدة وفيه البردى لعمل الحصر وفيه عين الغراب وهو ماء في هيئة البركة وطولها نحو خمسة عشر ذراعا في عرض خمسة أذرع في مغار بالجبل لا يعلم من أين يأتي ولا الى أين يذهب وهو حلو رائق * ويذكر أنه خرج منه سبعون ألف راهب بيد كل واحد عكاز فلقوا عمرو ابن العاص بالطرانة مرجعه من الاسكندرية يطلبون أمانه لهم على أنفسهم وأديارهم فكاتب لهم بذلك أمانا ببقى عندهم وكتب لهم أيضا بحجراية الوجه البحرى فاستمرت بأيديهم وان جراتهم جاءت في سنة زيادة على خمسة آلاف أردب وهي الآن لا تبلغ مائة أردب

❦ ذكر مدينة مدين ❦

اعلم أن مدين امة شعيب هم بنو مديان بن ابراهيم عليه السلام وامهم قطوراء ابنة يقطان السكنعانية ولدت له ثمانية من الولد تناسلت منهم امم ومدين على بحر القلزم تحاذى تبوك على نحو ست مراحل وهي أكبر من تبوك وبها البئر التي استقى منها موسى لسائمة شعيب وعمل عليها بيت * قال الفراء مدين اسم بلد وقطر وقيل اسم قبيلة سميت باسم أبيها مدين ويقال له مديان بن ابراهيم قاله مقاتل وغيره والجمهور على أن مدين اعجمي وقيل عربي فان كان عربيا فانه يحتمل أن يكون فيعلا من مدن بالمكان أقام به وهو بناء نادر وقيل مهمل أو مفعلا من دان فصحيجه شاذ وهو ممنوع الصرف على كل حال سواء كان اسم الارض أو اسم القبيلة محجيا أو عربيا * وقال المسعودى قد تنازع أهل الشرائع في قوم شعيب بن نوفل بن رعويل بن مر بن عيقا بن مدين بن ابراهيم عليه السلام وكان لسانه العربية ففهم من رأى أنهم من العرب الدائرة والامم البائدة وبعض من ذكرنا من الاجيال الحالية

ومنه من رأى أنهم من ولد المحسن بن جندل بن يمصب بن مدين بن ابراهيم الخليل وأن شيعيا آخرهم في النسب وقد كانوا عدة ملوك تفرقوا في ممالك متعاقبة فنهى المسمى بأبجد وهوز وحطي ولكن وسعفص وقرشت وهم على ما ذكرنا بنو المحسن بن جندل وأحرف الجمل هي أسماء هؤلاء الملوك وهي الاثنان والعشرون حرفا التي عليها حساب الجمل وقد قيل في هذه الحروف غير ما ذكرنا من الوجوه فكان أبجد ملك مكة وما يليها من الحجاز وكان هوز وحطي ملكين ببلاد وج وهي الطائف وما اتصل بذلك من أرض نجد ولكن وسعفص وقرشت ملوك بمدين وقيل ببلاد مصر وكان كلن على ملك مدين ومن الناس من رأى أنه كان ملك جميع من سمينا مشاعا متصلا على ما ذكرنا وان عذاب يوم الظلة كان في ملك كلن منهم وان شيعيا دعاهم فكذبوه فوعدهم بعذاب يوم الظلة ففتح عليهم باب من السماء من نار ونجا شعيب بن آمن معه الى الموضع المعروف بأيلة وهي غيضة نحو مدين فلما أحس القوم بالبلاء واشتد عليهم الحر وأيقنوا بالهلاك طلبوا شيعيا ومن آمن معه وقد أظلمت سحابة بضياء طيبة النسيم والهواء لا يجدون فيها ألم العذاب فأخرجوا شيعيا ومن آمن معه من مواضعهم وأزالوهم عن أماكنهم وتوهموا أن ذلك ينجيهم مما نزل بهم فجعلها الله عليهم نارا فأت عليهم فرثت جارية بنت كلن أباهما وكانت بالحجاز فقالت

كلن هدم ركي * هلكه وسط الحلة

سيد القوم أتاه * احتف ناراً وسط ظله

كونت ناراً فأضحت * دار قومي مضجعه

وقال المنتصر بن المنذر المديني

الا يا شعيب قد نطقت مقالة * أبدت بها عمرا ونحيي بنى عمرو

هم ملكوا أرض الحجاز بأوجه * كمثل شعاع الشمس في صورة البدر

وهم قطنوا البيت الحرام وزينوا * قطورا وفازوا بالمكارم والفخر

ملوك بني حطي وسعفص ذي الندى * وهوز أرباب الثنية والججر

قال المسعودي ول هؤلاء الملوك أخبار عجيبية من حروب وسير وكيفية تغلبهم على هذه الممالك وتملكهم عليها وابتدئهم من كان فيها قبلهم من الامم وقيل ان الايكة المذكورة في قوله عز وجل ولقد كذب أصحاب الايكة المرسلين وفي قوله سبحانه وتعالى وان كان أصحاب الايكة لظالمين فانتقمنا منهم هي مدين وقيل من ساحل البحر الى مدين وقيل هي غيضة نحو مدين وقيل بل أصحاب الايكة الذين بعث اليهم شعيب كانوا يتبوك بين الحجر وأول الشام ولم يكن شعيب منهم وانما كان من مدين وقال أبو عبيد البكري الايكة المذكورة في كتاب الله تعالى التي كانت منازل قوم شعيب روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما

فيها روايتان احدهما ان الايكة من مدين الى شعيب والرواية الثانية انها من ساحل البحر الى مدين وكان شجرهم المقل والايكة عند أهل اللغة الشجر الملتف وكانوا أصحاب شجر ماتف وقال قوم الايكة الغيضة وليكة اسم البلد وما حولها كما قيل مكة وبكة وقال أبو جعفر النحاس ولا يعلم ليكة اسم البلد وقال ابن قتيبة وكان بعضهم يزعم ان بكة هو موضع المسجد وما حولها مكة كما فرق بين الايكة وليكة فقيل الايكة الغيضة وليكة البلد حولها * وقال البكري مدين بلد بالشام معلوم تلقاء غزة وهو المذكور في كتاب الله تعالى وهذا وهم بل مدين من أرض مصر وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية الى مدينة مدين أميرهم زيد بن حارثة رضي الله عنه فأصاب سببا من أهل مينا قال ابن اسحاق ومينا هي السواحل فيبعوا وفرق بين الامهات والاولاد فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم سيكون فقال ما لهم فأخبر خبرهم فقال لا تبعوهم الا جميعا ومدين من منازل جذام بن عدى بن الحارث ابن مرة بن ادد بن زيد بن عمرو بن عزيب بن زيد بن كهلان وشعيب النبي المبعوث الى أهل مدين أحد بني وائل بن جذام وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لوند جذام مرحبا بقوم شعيب وأصهار موسى ولا تقوم الساعة حتي يتزوج فيكم المسيح ويولد له وقال محمد بن سهل الاحول مدين من أعراض المدينة مثل فدك والفرع ورهاط * قال مؤلفه رحمه الله تعالى وكان بارض مدين عدة مدائن كثيرة قد باد أهلها وخربت وبقي منها الى يومنا هذا وهو ستة وخمس وعشرين وثمانمائة نحو الاربعين مدينة قائمة منها ما يعرف اسمه ومنها ما قد جهل اسمه فما يعرف اسمه فيما بين أرض الحجاز وبلاد فلسطين وديار مصر ست عشرة مدينة منها في ناحية فلسطين عشر مدائن وهي الخلصة والسديطة والمدررة والمنية والاعوج والخورق والبرين والماءين والسبع والمعلق وأعظم هذه المدائن العشر الخلصة والسديطة وكثيرا ماقتل حجارتها الى غزة ويبنى بها هناك ومن مدائن مدين بناحية بحر القلزم والطور مدينة فاران ومدينة الرقة ومدينة القلزم ومدينة ابلة ومدينة مدين وبمدينة مدين الى الآن آثار عجيبية وعمد عظيمة * ووجد في مدينة الاعوج أعوام بضع وستين وسبعمائة جب بقلعتها بعمد المهوى يبلغ عمقه نحو مائة ذراع وبقاعه عدة أسفار على رفوف حمل منها سفر طوله ذراعان وأزيد قد غاف بلوحين من خشب وكتابته بالقلم المسند طول الالف واللام نحو شبر فوجد ببلاد السكرك من قرأ فاذا هو سفر من عشرة أسفار قد ابتدأه بحمد الله ثم قال خروج موسى من أرض مصر الي بلاد مدين وملوك بني مدين فيما بعد شعيب فذكر لموسى عليه السلام عدة اسماء منها اسمه بالعربية موسى بن عمران وبالعبرانية موسى وبالفارسية داران وبالقطبية هرويسس وذكر أنه تزوج ابنة شعيب وأنه أقام بمدين ثمانين حجيج ثم قال لابن شعيب قد أتممت لك شرطك وسأزيدك سنتين فضلا مني

(بقية خبر مدينة مدين)

قال وخرج موسى متوجها الى مصر والملك يومئذ على مدين ابجد قال وقوى أمر
أبجد فطنى حتى ملك الحجاز واليمن وكان له خمسة أولاد هم هوز وحطي ولكن وسعفص
وقرشت فأقام أبجد ملكا باليمن مائة سنة ومات وقد استخلف من بعده ابنه كبن باليمن
وجعل ابنه هوز على الحجاز وابنه حطي على أرض مصر وابنه سعفص على الجزيرة
وبلادها حيث الموصل وحران الى أرض العراق وابنه قرشت على العراق ومشارفها من
خراسان وكان قرشت هو الجبار فيهم وكان سعفص وهوز ولكن أهل عدل وحلم وكان حطي
صاحب بطش وجراة وكان بنو اسرائيل اذ ذاك بالشام فلم يملك أولاد ابجد أرض الشام ولا
احتوا عليها وكانت مدة ملكهم نحواً من مائة وخمسين سنة فتم لهم بدولة أبيهم أبجد ثلثمائة سنة
ورزيت بن هوز وعمرزيت بن حطي بن ابجد وأزيد ثم ملك بعدهم على بني اسرائيل
نحو سبع سنين ثم خرجت الدولة عن أولاد أبجد وأقام هذا الكتاب عندهم زماناً ثم
أعادوه الى الجب من قلعة الاعوج حدثني بهذا الخبر الحافظ المتقن الضابط أبو عبد الله
محمد بن احمد بن محمد بن عبد الرحمن الغرياني التونسي المالكي قال حدثني به شتر
ابن غنيم العامري شيخ لقيه بارض فلسطين أنه شاهد الكتاب المذكور وهو شاب وحفظ
منه ما تقدم ذكره وقيل ان مالك بن دعر بن حجر بن جديلة بن لحم كان له أربعة وعشرون
ولداً ذكرهم فكثر أولادهم حتى بنوا المداين والقرى والحصون وعمرؤا بلاد مدين
كلها وغلبوا على بلاد الشام ومصر والحجاز وغيرها خمسمائة سنة وقيل انما كان استيلاء
ملوك مدين على مصر خمسمائة سنة بعد غرق فرعون موسى وهلاك دلوكة بنت زفان حتى
أخرجهم منها نبي الله سليمان بن داود فعاد الملك الى القبط بعدهم

ذكر مدينة فاران

هذه المدينة بساحل بحر القلزم وهي من مدن العماليق على تل بين جبليين وفي الجبلين
قبوب كثيرة لأخصى مملوءة أمواتاً ومن هناك الى بحر القلزم مرحلة واحدة ويقال له هناك
ساحل بحر فاران وهو البحر الذي أغرق الله فيه فرعون وبين مدينة فاران والتيه مرحلتان
ويذكر ان فاران اسم لجبال مكة وقيل اسم لجبال الحجاز وهي التي ذكرت في التوراة
والتحقيق أن فاران والطور كورتان من كور مصر القبلية وهي غير فاران المذكورة في التوراة
وقيل ان غاران بن عمرو بن عمليق هو الذي نسب اليه جبال الحرم فليل جبال فاران
وبعضهم يقول جبال فران وكانت مدينة فاران من جملة مدائن مدين الى اليوم وبها نخل
كثير منمرأكلت من ثمره وبها نهر عظيم وهي خراب يمر بها العربان

﴿ ذكر أرض الجفار ﴾

اعلم أن الجفار اسم لحس مدائن وهي الفرما والبقارة والورادة والعريش ورفج والجفار كله رمل وسمى بالجفار لشدة المشي فيه على الناس والدواب من كثرة رمله وبعد مراحلها والجفار تحفر فيه الابل فاتخذ له هذا الاسم كما قيل للجبل الذي يهجر به البعير هجاء وللذي يهجر به حجار وللذي يعقل به عقال وللذي يبطن به بطان وللذي يخطم به خطام وللذي يزم به زمام واشتقت البقارة من البقر والورادة من الوريد والعريش أخذ من العرش وقيل ان رفج اسم جبل * وكان يسكن الجفار في القديم خدام بن العريان ويقال ان أرض الجفار كانت في الدهر الاول والزمن الغابر متصلة العبارة كثيرة البركات مشهورة بالخيرات لكثرة زراعة أهلها الزعفران والعصفور وقصب السكر وكان ماؤها غزيراً عذباً ثم صار بها نخل يحدق بها من كل النواحي الى أن دمرها الله تدميراً فصارت الى اليوم ذات رمل عظيم يسلك فيه الى العريش وإلى رفج كله قفر تعرف بقته برمل الغرابي قليل الماء عديم المرعي لا أنيس به فسبحان محيل الاحوال

﴿ ذكر صعيد مصر ﴾

الصعيد المرتفع من الارض وقيل الارض المرتفعة من الارض المنخفضة وقيل ما لم يخاطه رمل ولا سبخة وقيل هو وجه الارض وقيل الارض الطيبة وقيل هو كل تراب طيب وتسمية هذه الجهة من أرض مصر بهذا الاسم انما حدث في الاسلام سببها العرب بذلك لانها جهة مرتفعة عما دونها من أرض مصر ولذلك يقال فيها أعلى الارض ولانها أرض ليس فيها رمل ولا سباح بل كلها أرض طيبة مباركة ويقال للصعيد أيضاً الوجه القبلي * قال الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاه ولما حضرت مصر ايم الوفا عهد الى ابنه قبطيم وكان قد قسم أرض مصر بين بنيه فجعل لقبطيم من بلد قفط الى أسوان ولاشمون من بلد أشمون الى منف ولا ترب الحوف كله ولما من ناحية صا البحيرة الى قرب برقة وقال لاختيه فارق لك من برقة الى الغرب فهو صاحب أفريقية وولده الافارق وأمر كل واحد من بنيه أن يبني لنفسه مدينة في موضعه * وقال ابن عبد الحكم فلما كثر ولد مصر وأولادهم قطع مصر لكل واحد منهم قطعة يحوزها لنفسه ولولده وقسم لهم هذا النيل فقطع لابنه قفط موضع قفط فسكنها وبه سميت قفط قطعاً وما فوقها الى أسوان وما دونها الى أشمون في الشرق والغرب وقطع لاشمون من أشمون فما دونها في الشرق والغرب الى منف فسكن أشمون أشمون فسميت به وقطع لاتب ما بين منف الى صا فسكن أتراب فسميت به وقطع لصا ما بين صا الى البحر فسكن صا فسميت به فكانت مصر كلها على أربعة أجزاء جزأين بالصعيد وجزأين بأسفل الارض * وقال أبو الفضل جعفر بن ثعلب بن جعفر (م ٣٩ - خطط له)

الادفوي في كتاب الطالع السعيد في تاريخ الصعيد مسافة اقليم الصعيد الاعلى مسيرة اثني عشر يوما بسر الجمال وعرضه ثلاث ساعات وأكثر بحسب الاماكن العامة ويتصل عرضه في السكورة الشرقية بالبحر الملح وأراضى البجة وفي الغربية بالواح وهي كورتان شرقية وغربية والنيل بينهما فاصل وأول الشرقية من مرج بن هرم المتصلة أرضها بأراضى جرجا من عمل أخميم وآخرها من قبلى الهو ويلها أول أراضى النوبة وفي هذه السكورة تيج وقفت وقوس وأول السكورة الغربية برديس تتصل أرضها بأرض جرجا وفي هذه السكورة الغربية سهود وآخر السكورة الغربية أسوان وبحافته أكثر النخل من الجانبين تكون مساحة الاراضى التي فيها النخل والبساتين تقارب عشرين ألف فدان والمستولى على اقليم الصعيد المشتري ويقال كان بصعيد مصر نخلة تحمل عشرة أرباب عمراً ففصبها بمضى الولاية فلم تحمل في ذلك العام ولا ثمرة واحدة وكانت هذه النخلة في الجانب الغربي وبيع منها في الغلاء كل وبسة بدينار ويقال لما صورت الدنيا لأمير المؤمنين هرون بن محمد الرشيد لم يستحسن الا كورة سيوط من صعيد مصر فانها ثلاثون ألف فدان في استواء من الارض لو وقفت فيها قطرة ماء لانتشرت في جميعها * وبالصعيد بقايا سحر قديم * حكى الأمير طقطبا والى قوس في أيام الناصر محمد بن قلاوون قال أمسكت امرأة ساحرة فقلت لها أريد أن أبصر شيئا من سحرك فقالت أجود على أن أسحر المقرب على اسم شخص بعينه فلا بد أن تقع عليه وبصبيه سمها فقتله فقلت أريني هذا واقصديني بسحرك فأخذت عقرباً وعملت ما أحببت ثم أرسلت المقرب فتعني وأنا أنجي عنه وهو يقصديني جلست على تخت وضمت على بركة ماء فأقبل المقرب الى ذلك الماء وأخذ في التوصل الى فلم يطق ذلك فر الى الحائط وصمد فيه وأنا أنشأه حتى وصل الى السقف ومرفيه الى أن صار فوقى وألقى نفسه صوبى وصلى نحوى حتى قرب منى فضربته فقتله ثم قتلت الساحرة أيضا * وأرض الصعيد كثيرة المواشى من الضأن وغير ذلك السكنة نتاجه حتى ان الرأس الواحد من نجاج الضأن يتولد عنه في عشر سنين ألف وأربع وعشرون رأسا وذلك بتقدير السلامة وأن تلد كلها انا وتلد مرة واحدة في كل سنة ولا تلد في كل بطن غير رأس واحد والا فان ولدت في السنة مرتين وكان في كل بطن رأسان تضاعف العدد وتأمل حساب ما قلناه تجده صحيحا وقد شهد كثيرا أن من أغنام الصعيد ما يلد في السنة ثلاث مرات ويلد في البطن الواحد ثلاثة أرؤس * وكانت السكنة والقلبة ببلاد الصعيد لست قبائل وهم بنو هلال وبلى وجهينة وقريش ولواته وبنو كلاب وكان ينزل مع هؤلاء عدة قبائل سواهم من الانصار ومن مزينة وبنى دراج وبنى كلاب وثلعة وحجاز * وبلغ من عمارة الصعيد أن الرجل في أيام الناصر محمد بن قلاوون وما بعدها كان يمر من القاهرة الى أسوان فلا

يحتاج الي نفقة بل يجد بكل بلد وناحية عدة دور للضيافة اذا دخل داراً منها أحضر لدابته علفها وجيء له بما يليق به من الاكل ونحوه وآل أمره الآن الي أن لا يجد الرجل أحداً فيما بين القاهرة وأسوان يضيفه لضيق الحال ثم تلاشى أمر بلاد الصعيد منذ سنة الثراقي في أيام الاشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاون سنة ست وسبعين وسبعمائة وتزايد تلاشه في أيام الظاهر برقوق لجور الولاة ولم يزل في ادبار الي أن كانت سنة ست وثمانائة وشرقت مصر بقصور مد النيل فدهى أهل الصعيد من ذلك بما لا يوصف حتى أنه مات من مدينة قوص سبعة عشر ألف انسان ومات من مدينة سيوط أحد عشر ألف انسان ممن غسل وكفن ومن مدينة هوّ خمسة عشر ألف انسان وذلك كله سوى الطرحي على الطرقات ومن لا يعرف من الغرباء ونحوهم ثم دمر في أيام المؤيد شبيخ فلم يبق منه الا رسوم تبذل الولاة الجهد في نحوها نسأل الله حسن الخاتمة

ذكر الجنادل ولعن من أخبار أرض النوبة

الجنادل ما يقل الرجل من الحجارة وقيل هو الحجر كله الواحدة جندلة والجنادل الجنادل قال سيديوه وقالوا جنادل يعنون الجنادل وصرفوه لتقصان البناء عمالاً ينصرف وأرض جندلة ذات جندل وقيل الجنادل المكان الغليظ فيه حجارة ومكان جندل كثير الجنادل * قال عبد الله بن أحمد بن سليم الاسواني في كتاب أخبار النوبة والمقبرة وعلوة والبيعة والنيل * وأول بلد النوبة قرية تعرف بالقصر من أسوان اليها خمسة أميال وآخر حصن للمسلمين جزيرة تعرف ببلق بينها وبين قرية النوبة ميل وهو ساحل بلد النوبة ومن أسوان الى هذا الموضع جنادل كثيرة الحجر لا تسلكها المراكب الا بالهيلة ودلالة من يخبر بذلك من الصيادين الذين يصيدون هناك لان هذه الجنادل متقطعة وشعاب معترضة في النيل ولا نصبابه فيها خير عظيم ودوى يسمع من بعد وبهذه القرية مسلحة وباب الى بلد النوبة ومنها الى الجنادل الاولى من بلد النوبة عشر مراحل وهي الناحية التي يتصرف فيها المسلمون ولهم فيما قرب أملاك وتجرون في أعلاها وفيها جماعة من المسلمين قاطنون لا يفصح أحدهم بالعربية وشجرها كثير وهي ناحية ضيقة شظفة كثيرة الجبال وما تخرج عن النيل وقرائها متسطرة على شاطئه وشجرها النخل والمقل وأعلاها أوسع من أدناها وفي أعلاها الكروم والنيل لا يروى مزارعها لارتفاع أرضها وزرعها الفدان والفدانان والثلاثة على أعناق البقر بالدواب والقمح عندهم قليل والشعير أكثر والسلت ويعتقبون الأرض لضيقها فيزرعونها في الصيف بعد تعاريتها بالزبل والتراب الدخن والذرة والجاورس والسمنم واللوبيا وفي هذه الناحية نجراش مدينة المريس وقامة ابريم وقامة أخرى دونها وبها مينا تعرف بأدواء ينسب اليها لقمان الحكيم وذو التون وبها بربا عجيب ولهذه الناحية وال من

قبل عظيم النوبة يعرف بصاحب الجبل من أجل ولانهم لقربه من أرض الاسلام ومن
 يخرج الى بلد النوبة من المسلمين فعاملته معه في تجارة أو هدية اليه أو الى مولاه يقبل
 الجميع ويكافئ عليه بالريق ولا يطلق لاحد الصعود الى مولاه لا لمسلم ولا لغيره * وأول
 الجنادل من بلد النوبة قرية تعرف بتقوى هي ساحل واليها تنتهي مراكب النوبة المصعدة
 من القصر أول بلدهم ولا تتجاوزها المراكب ولا يطلق لاحد من المسلمين ولا من غيرهم
 الصعود منها الا باذن من صاحب جبلهم ومنها الى المقس الا على ست مراحل وهي جنادل
 كلها وشرق ناحية رأيتها لهم لصوبتها وضيقها ومشقة مسالكها أما بحرهما جنادل وجبال
 معترضة فيه حتى ان النيل ينصب من شعاب ويضيق في مواضع حتى يكون سعة ما بين
 الجانبين خمسين ذراعا وبرها مجاوب ضيقة وجبال شاهقة وطرقات ضيقة حتى لا يمكن المراكب
 أن يصعد منها والراجل الضعيف يعجز عن سلوكها ورمال في غربها وشرقها وهذه الجبال
 حصنهم واليها يفرع أهل الناحية التي قبلها المتصلة بأرض الاسلام وفي جزائها نخل يسير
 وزرع حقير وأكثر اكلهم السمك ويدهنون بشحمه وهي من أرض مريس وصاحب
 الجبل واليهم والمسلحة بالمقس الاعلى صاحبها من قبل كبيرهم شديد الضبط لها حتى ان عظيمهم
 اذا صار بها وقف به المساجي وأوهم أنه يقتل عليه حتى يجد الطريق الى ولده ووزيره فن
 دونهما ولا يجوزها دينار ولا درهم اذ كانوا لا يتبايعون بذلك الا دون الجنادل مع المسلمين
 وما فوق ذلك لا يبيع بينهم ولا شراء وانما هي معاوضة بالريق والمواشي والجبال والحديد
 والجبوب ولا يطلق لاحد أن يجوزها الا باذن الملك ومن خالف كان جزاؤه القتل كائنا
 من كان وبهذا الاحتياط تسكنتم أخبارهم حتى ان العسكر منهم يهجم على البلد الى البادية
 وغيرهم فلا يعلمون به والسناد الذي يخرط به الجوهر يخرج من النيل في هذه المواضع
 يغطس عليه فيوجد جسمه باردا مخالفا للحجارة فاذا أشكل عليه نفخ فيه بالفم فيعرق ومن
 هذه المسلحة الى قرية تعرف بساى جنادل أيضا وهي آخر كرسيم ولهم فيها أسقف وفيها
 بربانم ناحية سقلودا وتفسيرها السبع ولالة وهي أشبه الارض بالارض المتساختة لارض
 الاسلام في السعة والضيق في مواضع والنخل والكرم والزرع وشجر المقل وفيها شيء من
 شجر القطن ويعمل منه ثياب وخشة وبها شجر الزيتون واليها من قبل كبيرهم وتحت يده
 ولالة يتصرفون وفيها قلعة تعرف بأصطنون وهي أول الجنادل الثلاثة وهي أشد الجنادل
 صعوبة لان فيها جبلا معترضا من الشرق الى الغرب في النيل والماء ينصب من ثلاثة أبواب
 وربما رجع الى باين عند انحساره شديد الخريف عجيب المنظر يتحدر الماء عليه من علو الجبل
 وقبله فرش حجارة في النيل نحو ثلاثة برد الى قرية تعرف بيستو وهي آخر قرى مريس
 وأول بلد مقرة ومن هذا الموضع الى حد المسلمين لسانهم مريسي وهي آخر عمل مملكهم

ثم ناحية بقون وتفسيرها العجب وهي عند اسمها لحسنها وما رأيت على النيل أوسع منها وقدرت أن سعة النيل فيها من الشرق الى الغرب مسيرة خمس مراحل الجزائر تقطعه والانهار منه تجري ينها على أرض منخفضة وقرى متصلة وعمارة حسنة بأبرجة حمام ومواش وأنعام واكثر ميرة مدينتهم منها وطورها النقيط والنوبي والبيغا وغير ذلك من الطيور الحسان وأكثر نزهة كبيرهم في هذه الناحية * قال وكنت معه في بعض الاوقات فكان سيرنا في ظل شجر من الحافتين في الخلدجان الضيقة وقيل ان التماسح لا يضر هناك ورأيتهم يعبرون أكثر هذه الانهار سياحة ثم سفد بقل وهي ناحية ضيقة شديدة بأول بلادهم الآن فيها جزائر حسانا وفيها دون المرحلتين نحو ثلاثين قرية بالابنية الحسان والكنائس والاديار والنخل الكثير والكروم والبساتين والزروع ومروج كبار فيها ابل وجمال صهب مؤهلة للنتاج وكبيرهم يكثر الدخول اليها لان طرفها القبلي يحاذي دنقلة مدينتهم ومن مدينة دنقلة دار المملكة الى أسوان خمسون مرحلة وذكر صفحتها ثم قال انهم يسكنون مجالستهم بنحشب السنط وبنحشب الساج الذي يأتي به النيل في وقت الزيادة سقالات منحوتة لا يدرى من أين تأتي ولقد رأيت على بعضها علامة غريبة ومسافة ما بين دنقلة الى أول بلد علوة أكثر مما بينها وبين اسوان وفي ذلك من القرى والضيايع والجزائر والمواشي والنخل والشجر والمقل والزروع والكرم أضعاف ما في الجانب الذي يلي أرض الاسلام وفي هذه الاماكن جزائر عظام مسيرة أيام فيها الجبال والوحش والسباع ومفاوز يخاف فيها العطش والنيل ينعطف من هذه النواحي الى مطلع الشمس والى مغربها مسيرة أيام حتى يصير المصعد كالمندحدر وهي الناحية التي تبلغ المطوف من النيل الى المعدن المعروف بالشلة وهو بلد يعرف بشنقيز ومنه خرج العمري وتغلب على هذه الناحية الى أن كان من أمره ما كان وفرس البحر يكثر في هذه المواضع ومن هذا الموضع طرق الى سواكن وباصع ودهلك وجزائر البحر ومنها عبر من نجا من بني أمية عند هربهم الى النوبة وفيها خلق من البيجة يعرفون بالرافج انتقلوا الى النوبة قديما وقطنوا هناك وهم على حدتهم في الرعي واللغة لا يخاطبون النوبة ولا يسكنون قراهم وعليهم وال من قبل النوبة

ذكر تشعب النيل من بلاد علوة ومن يسكن عليه من الامم

اعلم أن النوبة والمقرة جنسان بلسانين كلاهما على النيل فالنوبة هم المريس المجاورون لارض الاسلام وبين أول بلدهم وبين اسوان خمسة أميال ويقال ان سلها جد النوبة ومقرى جد المقررة من اليمن وقيل النوبة ومقرى من حمير وأكثر أهل الانساب على انهم جميعا من ولد حام بن نوح وكان بين النوبة والمقرة حروب قبل النصرانية وأول أرض المقررة قرية تعرف بنافة على مرحلة من أسوان ومدينة ملكتهم يقال لها نجراش على أقل من عشر

مراحل من أسوان ويقال ان موسى صلوات الله عليه غزاها قبل مبعة في أيام فرعون فأخرب نافة وكانوا صابئة يعبدون الكواكب وينصبون التماثيل لها ثم تنصروا جميعا النوبة والمقرة ومدينة دنقلة هي دار مملكتهم وأول بلاد علوة قرى في الشرق على شاطئ النيل تعرف بالابواب وهذه الناحية وال من قبل صاحب علوة يعرف بالحراح والنيل ينشعب من هذه الناحية على سبعة أنهار فمنها نهر يأتي من ناحية المشرق كدر الماء يحف في الصيف حتى يسكن بطنه فاذا كان وقت زيادة النيل تنبع فيه الماء وزادت البرك التي فيه وأقبل المطر والسيول في سائر البلد فوقعت الزيادة في النيل وقيل ان آخر هذا النهر عين عظيمة تأتي من جبل قال مؤرخ النوبة وحدثنني سميون صاحب عهد بلد علوة أنه يوجد في بطن هذا النهر حوت لا قشر له ليس هو من جنس ما في النيل يحفر عليه قامة وأكثر حتى يخرج وهو كبير وعليه جنس مولد بين العلوة والبجة يقال لهم الديجيون وجنس يقال لهم بازة يأتي من عندهم طير يعرف بالحمام بازين وبعد هؤلاء أول بلاد الحبشة ثم النيل الابيض وهو نهر يأتي من ناحية الغرب شديد البياض مثل اللبن قال وقد سألت من طرق بلاد السودان من المقاربة عن النيل الذي عندهم وعن لونه فذكر أنه يخرج من جبال الرمل أو جبل الرمل وأنه يجتمع في بلد السودان في برك عظام ثم ينصب الى مالا يعرف وأنه ليس بأبيض فاما أن يكون اكتسب ذلك اللون مما يمر عليه أو من نهر آخر ينصب اليه وعليه أجناس من جانيه ثم النيل الاخضر وهو نهر يأتي من القبلة مما يلي المشرق شديد الخضرة صافي اللون جدا يرى ما في قعره من السمك وطعمه يخالف لطعم النيل يعطش الشارب منه بسرعة وحيثان الجميع واحدة غير أن الطعم مختلف ويأتي فيه وقت الزيادة خشب الساج والبقم والغناء وخشب له رائحة كرائحة اللبان وخشب غليظ يمتح ويعمل منه مقدم وعلى شاطئه ينبت هذا الخشب أيضا وقيل انه وجد فيه عود البخور قال وقد رأيت على بعض سقالات الساج المنحوتة التي تأتي فيه وقت الزيادة علامة غريبة ويجتمع هذان النهران الابيض والاخضر عند مدينة متملك بلد علوة ويبقيان على ألوانهما قريبا من مرحلة ثم يختلطان بعد ذلك وبينهما أمواج كبار عظيمة بتلاطمهما قال وأخبرني من نقل النيل الابيض وصبه في النيل الاخضر فبقى فيه مثل اللبن ساعة قبل أن يختلطا وبين هذين النهرين جزيرة لا يعرف لها غاية وكذلك لا يعرف لهذين النهرين نهاية فأولهما يعرف عرضه ثم يتسع فيصير مسافة شهر ثم لا تدرك سعتهما لخوف من يسكنهما بعضهم من بعض لان فيهما أجناسا كثيرة وخلق اعظيا قال وبلغني أن بعض متملكي بلد علوة سار فيها يريد أقصاها فلم يأت عليه بعد سنين وان في طرفها القبلي جنسا يسكنون ودوابهم في بيوت تحت الارض مثل السراذيب بالثهار من شدة حر الشمس ويسرحون في الليل وفيهم قوم هراة والانهار الاربعة الباقية تأتي أيضا من القبلة مما يلي المشرق أيضا في وقت واحد ولا

يعرف لها نهاية أيضا وهي دون النهرين الأبيض والأخضر في العرض وكثرة الحلالجان والجزائر
وجميع الأنهار الأربعة تنصب في الأخضر وكذلك الأول الذي قدمت ذكره ثم مجتمع مع
الأبيض وكلها مسكونة عامرة مسلوكة فيها بالسفن وغيرها وأحد هذه الأربعة يأتي مرة من
بلاد الحبشة قال ولقد أكرت السؤال عنها واستكشفتها من قوم عن قوم فما وجدت مخبرا
يقول أنه وقف على نهاية جميع هذه الأنهار والذي انتهى إليه علم من عرفني عن آخرين إلى
خراب وأنه يأتي في وقت الزيادة في هذه الأنهار آلة مراكب وأبواب وغير ذلك فيدل على
عمارة بعد الخراب فاما الزيادة فيجمعون أنها من الأمطار مع مادة تأتي من ذاتها والدليل
على ذلك النهر الذي يجف ويسكن بطئه ثم ينبع وقت الزيادة ومن عجايبه أن زيادته في أنهار
مجمعة وسائر النواحي والبلدان في مصر وما يليها والصعيد واسوان وبلاد النوبة وعلوة وما
وراء ذلك في زمان واحد وأكثر ما وقف عليه من هذه الزيادة أنه ربما وجدت مثلا
باسوان ولا توجد بقوص ثم تأتي بعد فاذا كثرت الأمطار عندهم واتصلت السيول علم أنها
سنة رى وإذا قصرت الأمطار علم أنها سنة ظمأ قال وأما من طرق بلاد الزنج فأنهم أخبروني
عن مسيرهم في بحر الصين إلى بلاد الزنج بالريح الشمالى مساحلين للجانبا الشرقى من جزيرة
مصر حتى ينتهوا إلى موضع يعرف برأس حفرى وهو عندهم آخر جزيرة مصر فينظرون
كوكبا يهتدون به فيقصدون الغرب ثم يعودون إلى البحرى ويصير الشمال في وجوههم حتى
يأتوا إلى قبيلة من بلاد الزنج وهي مدينة مملكتهم وتصير قبلتهم للصلاة إلى جدة قال وبعض
الأنهار الأربعة يأتي من بلاد الزنج لأنه يأتي فيه الحشب الزنجي وسوية مدينة العلوى شرقى
الجزيرة الكبرى التى بين البحرين الأبيض والأخضر في الطرف الشمالى منها عند مجتمعهما
وشرقها النهر الذى يجف ويسكن بطئه وفيها ابنة حسان ودور واسعة وكنائس كثيرة
الذهب وبساتين ولها رباط فيه جماعة من المسلمين ومملك علوة أكثر مالا من مملك المقررة
وأعظم جيشا وعنده من الخيل ما ليس عند المقرى وبلده أخصب وأوسع والتخل والكرم
عندهم يسير وأكثر حبوبهم الذرة البيضاء التى مثل الارز منها خبزهم ومزهرهم واللحم عندهم
كثير لكثرة المواشى والمروج الواسعة العظيمة السعة حتى أنه لا يوصل إلى الجبل الا في
أيام وعندهم خيل عتاق وجمال صهب عراب ودينهم النصرانية يعاقبة وأساقفتهم من قبل
صاحب الاسكندرية كالتوبة وكتبهم بالرومية يفسرونها بلسانهم وهم أقل فهمًا من النوبة
وملكهم يسترق من شاء من رعيته بمجرم وبغير جرم ولا ينكرون ذلك عليه بل يسجدون
له ولا يعصون أمره على المسكروه الواقع بهم وينادون الملك يعيش فليكن أمره وهو
يتزوج بالذهب والذهب كثير في بلده * وما في بلده من العجايب أن في الجزيرة الكبرى
التى بين البحرين جنسا يعرف بالكرنينا لهم أرض واسعة مزروعة من النيل والمطر فاذا

كان وقت الزرع خرج كل واحد منهم بما عنده من البذر واختط على مقدار ما معه وزرع في أربعة أركان الحطة يسيرا وجعل البذر في وسط الحطة وشياً من المزر وانصرف عنه فاذا أصبح وجد ما اختط قد زرع وشرب المزر فاذا كان وقت الحصاد حصديسيرا منه ووضعه في موضع أراد به معه مزر وينصرف فيجد الزرع قد حصد بأسره وجرن فاذا أراد دراسته وتذريته فعل به كذلك وربما أراد أحدهم أن يتقى زرعاً من الحشيش فيلفظ بقلع شئ من الزرع فيصبح وقد قلع جميع الزرع وهذه الناحية التي فيها ماذكرته بلدان واسعة مسيرة شهرين في شهرين يزرع جميعها في وقت واحد وميرة بلد علوة ومتملكهم من هذه الناحية فيوجهون المراكب فتوسق وربما وقع بينهم حرب * قال وهذه الحساية صحيحة معروفة مشهورة عند جميع النوبة والعلوة وكل من يطرق ذلك البلد من تجار المسلمين لا يشكون فيه ولا يرتابون به ولولا أن اشتهاره وانتشاره مما لا يحوز التواطؤ على مثل الماذكرت شيئاً منه لشتاعته فأما أهل الناحية فيزعمون أن الجن تفعل ذلك وانها تظهر لبعضهم وتخدمهم بحجارة بنطاعون لهم بها وتعمل لهم عجائب وان السحاب يطعمهم * قال ومن عجائب ما حدثني به متملك المقررة للنوبة انهم يمتطرون في الجبال ويلتقطون منه للوقت سمكا على وجه الارض وسألهم عن جنسه فذكروا أنه صغير القدر بأذنان حمر قال وقد رأيت جماعة وأجاسا ممن تقدم ذكر أكثرهم يعرفون بالباري سبحانه وتعالى ويتقربون اليه بالشمس والقمر والكواكب ومنهم من لا يعرف الباري ويعبد الشمس والنار ومنهم من يعبد كل ما استحسسه من شجرة أو بهيمة وذكر أنه رأى رجلا في مجلس عظيم المقررة سألته عن بلده فقال مسافته الى النيل ثلاثة أهلة وسألته عن دينه فقال ربي وربك الله ورب الملك ورب الناس كلهم واحد وانه قال له فأين يكون قال في السماء وحده وقال انه اذا أبطا عنهم المطر أو أصابهم الوباء أو وقع بدوايهم آفة صعدوا الجبل ودعوا الله فيجابون للوقت وتقضي حاجتهم قبل أن ينزلوا وسألته هل أرسل فيكم رسول قال لا فذكر له بعثة موسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم وسلامه وما أيدوا به من المعجزات فقال اذا كانوا فعلوا هذا فقد صدقوا ثم قال قد صدقتهم ان كانوا فعلوا * قال مؤلفه رحمه الله وقد غلب أولاد كنز الدولة على النوبة وملكوها من سنة وبقي بدقلة جامع يأوى اليه الغرباء واعلم أن على ضفة النيل ايضا السكاتم وملكها مسلم وبينه وبين بلاد مالى مسافة بعيدة جدا وقاعدة ملكه بلدة اسمها حيمي واول مملكته من جهة مصر بلدة اسمها زرلا وآخرها طولاً بلدة يقال لها كاكوا بينهما نحو ثلاثة أشهر وهم يتائمون وملكهم متحجب لا يرى الا يومى العيدين بكرة وعند العصر وطول السنة لا يكلمه أحد الا من وراء حجاب وغالب عيشهم الارز وهو ينبت من غير بذر وعندهم القمح والذرة والتين والليمون والبادنجان واللفت والرطب ويتعاملون بقماش ينسج عندهم

اسمه دندى طول كل ثوب عشرة أذرع يشترتون به من ربيع ذراع فأكثر ويتعاملون أيضاً بالودع والخرز والنحاس المكسر والورق وجميع ذلك بسعر ذلك القماش وفي جنوبها شعاري وصحارى فيها أشخاص متوحشة كالفيول قريبة من شكل الآدمي لا يلحقتها الفارس تؤذى الناس ويظهر في الليل أيضاً شبه نار تضى فإذا مشى أحد يلحقها بمدت عنه ولو جرى اليها لا يصل اليها بل لا تزال امامه فإذا رماها بحجر فأصابها تشظي منها شرر وتعظم عندهم اليقظية حتى تصنع منها مراكب يعبر فيها في النيل * وهذه البلاد بين أفريقية وبرقة ممتدة في الجنوب الى سمت الغرب الاوسط وهي بلاد قحط وشطن وسوء مزاج واول من بث بها الاسلام الهادى العثماني ادعى انه من ولد عثمان بن عفان رضى الله عنه وصارت بعدهم لليزنيين من بنى سيف بن ذى يزن وهم على مذهب الامام مالك بن انس رحمه الله والعدل قائم بينهم وهم يابسون في الدين لا يلبثون وينوا بمدينة مصر مدرسة لامالكية عرفت بمدرسة ابن رشيق في سنى أربعين وستائة وصارت وفودهم تنزل بها وسيرد ذكرها في المدارس ان شاء الله تعالى

ذكر البجة ويقال انهم من البربر

اعلم أن أول بلد البجة من قرية تعرف بالحزية معدن الزمرذ في صحراء قوص وبين هذا الموضع وبين قوص نحو من ثلاث مراحل وذكر الجاحظ انه ليس في الدنيا معدن لازمرذ غير هذا الموضع وهو يوجد في مقابر بعيدة مظامة يدخل اليها بالمصاييح وبحبال يستدل بها على الرجوع خوف الضلال ويحفر عليه بالمعاول فيوجد في وسط الحجارة وحوله غشيم دونه في الصبغ والجوهر وآخر بلاد البجة أول بلاد الحبشة وهم في بطن هذه الجزيرة أعني جزيرة مصر الى سيف البحر الملح مما يلي جزائر سوا كن وباضع ودهلك وهم بادية يتبعون الكلاً حيناً كان الرعي بأخية من جلود وأنسابهم من جهة النساء ولسكل بطن منهم رئيس وليس عليهم متملك ولا لهم دين وهم يورثون ابن البنت وابن الاخت دون ولد الصلب ويقولون ان ولادة ابن الاخت وابن البنت اصح فانه ان كان من زوجها أو من غيره فهو ولدها على كل حال وكان لهم قديماً رئيس يرجع جميع رؤسائهم الى حكمه يسكن قرية تعرف بهجر هي اقصى جزيرة البجة ويركون التعجب الصهب وتنجم عندهم وكذلك الجمال العرب كثيرة عندهم أيضاً والمواشى من البقر والغنم والضأن غاية في الكثرة عندهم وبقرهم حسان مامعة بقرون عظام ومنهاجم وكباشهم كذلك منرة ولها اللبن وغذاؤهم اللحم وشرب اللبن واكلهم للجبن قليل وفيهم من يأكله وأبدانهم صحاح وبطنهم خصاص وألوانهم مشرقة الصفرة ولهم سرعة في الجرى يباينون بها الناس وكذلك جماهم شديدة العدو صبورة عليه وعلى العطش يساقون عليها الخيل ويقاثلون عاها وتدور بهم كما يشتهون (م ٤٠ - خطط ل)

ويقطعون عليها من البلاد ما يتفاوت ذكره ويتطاردون عليها في الحرب فيرمي الواحد منهم الحربة فان وقعت في الرمية طار اليها الجمل فأخذها صاحبها وان وقعت في الارض ضرب الجمل بجمرانه الارض فأخذها صاحبها ونسبغ منهم في بعض الاوقات رجل يعرف بكلاز شديد مقدم وله جمل ماسمع بمثله في السرعة وكان أعور وصاحبه كذلك التزم لقومه انه يشرف على مصلى مصر يوم العيد وقد قرب العيد قربا لا يكون للبلوغ اليها في مثله حقيقة فوفى بذلك واشرف على المقطم وضربت الخيل خلفه فلم يلحق وهذا هو الذي أوجب أن يكون في السفح طليعة يوم العيد وكان الطولية وغيرهم من أمراء مصر يوقفون في سفح الجبل المقطم مما يلي الموضع المعروف بالحبش حيثما كثيفا مراعيًا للناس حتى ينصرفوا من عيدهم في كل عيد وهم أصحاب ذمة فاذا غدر أحدهم رفع المغدور به نوا على حربة وقال هذا عرش فلان يعني أبا الغادر فتصير سيئة عليه الي أن يترضاه وهم ببالفون في الضيافة فاذا طرق أحدهم الضيف ذبح له فاذا تجاوز ثلاثة نفر نحر لهم من أقرب الانعام اليه سواء كانت له أو غيره وان لم يكن شيء نحر راحلة الضيف وعوضه ما هو خير منها وسلاحهم الحراب السباعية مقدار طول الحديد ثلاثه اذرع والعود أربعة اذرع وبذلك سميت سباعية والحديده في عرض السيف لا يخرجونها من أيديهم الا في بعض الاوقات لان في آخر العود شيئاً شديداً بالفسكة يمنع خروجها عن أيديهم وصناع هذه الحراب نساء في موضع لا يختلط بهن رجل الا المشتري منهن فاذا ولدت احدهن من الطارقين لهن جارية استحيتهن وان ولدت غلاما قتلته ويقلن ان الرجال بلاء وحرب ودرقهم من جلود البقر مشعرة ودرق مقلوبة تعرف بالا كسومة من جلود الجواميس وكذلك الدهلكية ومن دابة في البحر وقسمهم عربية كبار غلاط من السدر والشوحط يرمون عليها بنبل مسموم وهذا السم يعمل من عروق شجر الغلف يطبخ على النار حتي يصير مثل الغرا فاذا أرادوا تجربته شرط أحدهم جسده وسيل الدم ثم شمه هذا السم فاذا تراجع الدم علم انه جيد ومسح الدم لثلا يرجع الى جسده فيقتله فاذا أصاب الانسان قتل لوقته ولو مثل شرطة الحجام ولا يلى له عمل في غير الجرح والدم وان شرب منه لم يضر وبلدانهم كلها معادن وكلما تصاعدت كانت أجود ذهباً وأكثر وفيها معادن الفضة والنحاس والحديد والرصاص وحجر المغنيطيس والمارقشيتا والحست والزمرذ وحجارة شطبا فاذا بليت الشطبة منها بڑيت وقدت مثل القيلة وغير ذلك مما شغلهم طلب معادن الذهب عما سواه والبيجه لا تعرض لعمل شيء من هذه المعادن وفي أوديتهم شجر المقل والاهليلج والاذخر والشيخ والسنا والحنظل وشجر البان وغير ذلك وباقي بلادهم النخل وشجر السكرم والرياحين وغير ذلك مما لم يزرعه أحد وبها سائر الوحش من السباع والفيلة والفور والفهود والقردة وعناق الارض والزباد ودابة تشبه الغزال حسنة المنظر لها قرنان

على لون الذهب قليلة البقاء اذا صيدت ومن الطيور البيغا والنقيط والنوبي والقماري ودجاج الحبش وحمام بازين وغير ذلك وليس منهم رجل الا منزوع البيضة اليمنى وأما النساء فمقطوع أشفار فروجهن وانه يلتحم حتى يشق عنه للمتزوج بمقدار ذكر الرجل ثم قل هذا الفعل عندهم وقيل ان السبب في ذلك أن ملكا من الملوك حاربهم قديما ثم صالحهم وشرط عليهم قطع ندي من يولد لهم من النساء وقطع ذكور من يولد من الرجال أراد بذلك قطع النسل منهم فوفوا بالشرط وقلبو المعنى في أن جعلوا قطع الندي للرجال والفروج للنساء وفيهم جنس يقامون ثناياهم ويقولون لا نتشبه بالحميز وفيهم جنس آخر في آخر بلاد البجة يقال لهم البازة نساء جميعهم يتسمون باسم واحد وكذلك الرجال فطرقهم في وقت رجل مسلم له جمال فدعا بعضهم بمضا وقالوا هذا الله قد نزل من السماء وهو جالس تحت الشجرة فجعلوا ينظرون اليه من بعد * وتعظم الحيات ببلدهم وتكثر أصنافها ورؤيت حية في غدير ماء قد أخرجت ذنبها والتفت على امرأة وردت فقتلتها فرؤى شحمها قد خرج من دبرها من شدة الضغط وبها حية ليس لها رأس وطرفاها سواء منقشة ليست بالكبيرة اذا مشى الانسان على أثرها مات واذا قتلت وأمسك القاتل ماقتلها به من عود أو حربة في يده ولم يلقه من ساعته مات وقتلت حية منها بخشبة فانشقت الخشبة واذا تأمل هذه الحية أحد وهي ميتة أوحية أصابه ضررها وفي البجة شر وتسرع اليه ولهم في الاسلام وقبلة اذية على شرق صعيد مصر خربوا هناك قرى عديدة وكانت فراعنة مصر تغزوهم وتوادعهم أحيانا لحاجتهم الى المعادن وكذلك الروم لما أن ملكوا مصر ولهم في المعادن آثار مشهورة وكان أصحابهم بها وقد فتحت مصر * قال عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم وتجمع لعبد الله بن سعد بن أبي سرح في انصرافه من النوبة على شاطئ النيل البجة فسأل عن شأنهم فأخبر أن ليس لهم ملك يرجعون اليه فهان عليه أمرهم وتركهم فلم يكن لهم عقد ولا صالح وكان أول من هادتهم عبيد الله بن الحبيب السلولي ويذكر أنه وجد في كتاب ابن الحبيب لهم ثلثمائة بكر في كل عام حين ينزلون الريف بمحجازين تجارا غير مقيمين على أن لا يقتلوا مسلما ولا ذميا فان قتلوه فلا عهد لهم ولا يؤوا عبيد المسلمين وان يردوا آبائهم اذا وقعوا اليهم ويقال انهم كانوا يؤاخذون بهذا وبكل شاة أخذها البجاوى فعليه أربعة دنانير وللبقرة عشرة وكان وكيالهم مقيما بالريف رهينة بيد المسلمين ثم كثر المسلمون في المعدن فغلطوهم وتزوجوا فيهم وأسلم كثير من الجنس المعروف بالحدارب اسلاما ضعيفا وهم شوكة القوم ووجوههم وهم مما يلي مصر من أول حدهم الى العلاق وعيذاب المعبر منه الى جدة وما وراء ذلك ومنهم جنس آخر يعرفون بالرنافج هم أكثر عددا من الحدارب غير أنهم تبع لهم وخفراؤهم يحمونهم ويحبونهم المواشي ولكل رئيس من الحدارب قوم من الرنافج

في حملته فهم كالعبيد يتوارثونهم بعد أن كانت الرافض قديما أظهر عليهم ثم كثرت اذيتهم على المسلمين وكان ولاية اسوان من العراق فرفع الى أمير المؤمنين المأمون خبرهم فأخرج اليهم عبد الله بن الجهم فكانت له معهم وقائع ثم وادعهم وكتب بينه وبين كنون رئيسهم الكبير الذي يكون بقريتهم هجر المقدم ذكرها كتابا نسخته هذا كتاب كتبه عبد الله بن الجهم مولى أمير المؤمنين صاحب جيش الغزاة عامل الامير أبي اسحق بن أمير المؤمنين الرشيد أبقاء الله في شهر ربيع الاول سنة ست عشرة ومائتين لسكنون بن عبد العزيز عظيم البجة بأسوان انك سألتني وطلبت الى أن أومنك وأهل بلدك من البجة وأعقد لك ولهم أمانا على وعلى جميع المسلمين فأجبتك الى أن عقدت لك وعلى جميع المسلمين أمانا ما استمعت واستقاموا على ما أعطيتني وشرطت لي في كتابي هذا وذلك أن يكون سهل بلدك وجبلها من منتهى حد اسوان من أرض مصر الى حد ما بين دهلك وباضع ملكا للمأمون عبد الله بن هرون أمير المؤمنين أعزه الله تعالى وأنت وجميع أهل بلدك عبيد لأمير المؤمنين الا انك تكون في بلدك ملكا على ما أنت عليه في البجة وعلى أن تؤدي اليه الخراج في كل عام على ما كان عليه سلف البجة وذلك مائة من الابل أو ثلثائة دينار وازنة داخلة في بيت المال والخيار في ذلك لأمير المؤمنين ولولائه وليس لك أن تحرم شيئا عليك من الخراج وعلى أن كل أحد منكم ان ذكر محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو كتاب الله أو دينه بما لا ينبغي أن يذكره به أو قتل أحدا من المسلمين حرا أو عبدا فقد برئت منه الذمة ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم وذمة أمير المؤمنين أعزه الله وذمة جماعة المسلمين وحل دمه كما يحل دم أهل الحرب وذرايعهم وعلى أن أحدا منكم ان أعان المحاربين على أهل الاسلام بمال أو دله على عودة من عورات المسلمين أو أثر لعزتهم فقد نقض ذمة عهده وحل دمه وعلى أن أحدا منكم ان قتل أحدا من المسلمين عمدا أو سهوا أو خطأ حرا أو عبدا أو احدا من أهل ذمة المسلمين أو أصاب لاحد من المسلمين أو أهل ذمتهم مالا ببلد البجة أو ببلاد الاسلام أو ببلاد النوبة أو في شيء من البلدان برا أو بحرا فعليه في قتل المسلم عشر ديات وفي قتل العبد المسلم عشريق وفي قتل الذمي عشر ديات من دياتهم وفي كل مال أصبتموه للمسلمين وأهل الذمة عشرة اضعافه وان دخل أحد من المسلمين بلاد البجة تاجرا أو مقما أو مجتازا أو حاجا فهو آمن فيكم كأحدكم حتى يخرج من بلادكم ولا تؤوا أحدا من أتقى المسلمين فان آتاكم فعليكم أن تردوه الى المسلمين وعلى أن تردوا أموال المسلمين اذا صارت في بلادكم بلا مؤنة تلزم في ذلك وعلى انكم ان نزلتم ريف صعيد مصر لتجارة أو مجتازين لا تظهرون سلاحا ولا تدخلون المدائن والقرى بحال ولا تمنعوا أحدا من المسلمين الدخول في بلادكم والتجارة فيها برا ولا بحرا ولا تخيفوا السبيل ولا تقطعوا الطريق على أحد من المسلمين ولا أهل

الذمة ولا تسرقوا لمسلم ولا ذمى مالا وعلى أن لا تهدموا شيئاً من المساجد التي ابتناها المسلمون بصيحة وهجر وسائر بلادكم طولا وعرضا فان قتلتم ذلك فلا عهد لكم ولا ذمة وعلى أن كنون بن عبد العزيز يقيم ريف صعيد مصر ويسلاقي للمسلمين بما شرط لهم من دفع الخراج ورد ما أصابه البيعة للمسلمين من دم ومال وعلى أن أحدا من البيعة لا يمترض حد القصر الى قرية يقال لها قبان من بلد النوبة حدا لا عمدة عقد عبد الله بن الجهم مولى أمير المؤمنين لـكنون بن عبد العزيز كبير البيعة الامان على ماسميننا وشرطنا في كتابنا هذا وعلى أن يوافي به أمير المؤمنين فان زاع كنون او عاث فلا عهد له ولا ذمة وعلى كنون أن يدخل عمال أمير المؤمنين بلاد البيعة لقبض صدقات من أسلم من البيعة وعلى كنون الوفاء بما شرط لعبد الله بن الجهم وأخذ بذلك عهد الله عليه باعظم ما أخذ على خلقه من الوفاء والميثاق والكنون بن عبد العزيز وجميع البيعة عهد الله وميثاقه وذمة أمير المؤمنين وذمة الامير أبي اسحاق بن أمير المؤمنين الرشيد وذمة عبد الله بن الجهم وذمة المسلمين بالوفاء بما أعطاه عبد الله بن الجهم ما وفي كنون بن عبد العزيز بجميع ما شرط عليه فان غير كنون أو بدل أحد من البيعة فذمة الله جل اسمه وذمة أمير المؤمنين وذمة الامير أبي اسحاق ابن أمير المؤمنين الرشيد وذمة عبد الله بن الجهم وذمة المسلمين بريئة منهم وترجم جميع ما في هذا الكتاب حرفا زكريا بن صالح الخزومي من سكان جدة وعبد الله بن اسمعيل القرشي ثم نسق جماعة من شهود اسوان فأقام البيعة على ذلك برهة ثم عادوا الى غزو الريف من صعيد مصر وكثر الضجيج منهم الى أمير المؤمنين جعفر المتوكل على الله فندب لجرهم محمد بن عبد الله القمي فسأل أن يختار من الرجال من أحب ولم يرغب الى الكثرة لصعوبة المسالك فخرج اليهم من مصر في عدة قليلة ورجال منتخبة وسارت المراكب في البحر فاجتمع البيعة لهم في عدد كثير عظيم قد ركبوا الابل فهاب المسلمون ذلك فشغلهم بكتاب طويل كتبه في طومار ولفه بثوب فاجتمعوا لقراءته فحمل عليهم وفي أعناق الخيل الاجراس ففرت الجمال بالبيعة ولم تثبت لصلصلة الاحراس فركب المسلمون أقفيتهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وقتل كبيرهم فقام من بعده ابن أخيه وبعث يطلب الهدنة فصالحهم على أن يطأ بساط أمير المؤمنين فسار الى بغداد وقدم على المتوكل بسر من رأى في سنة احدى وأربعين ومائتين فصوّل على أداء الاداوة والبقط واشترط عليهم أن لا يمنعوا المسلمين من العمل في المعدن وأقام القمي بأسوان مدة وترك في خزائنها ما كان معه من السلاح وآلة الغزو فلم تنزل الولاة تأخذ منه حتى لم يبقوا منه شيئا فلما كثر المسلمون في المعادن واختلطوا بالبيعة قل شرهم وظهر التبر لكثرة طلابه وتسامع الناس به فوفدوا من البلدان وقدم عليهم أبو عبد الرحمن ابن عبد الله بن عبد الحميد العمري بعد محاربته النوبة في سنة خمس وخمسين ومائتين ومعه

ربيعة وجهينة وغيرهم من العرب فكثرت بهم العمارة في البجة حتى صارت الرواحل التي تحمل الميرة اليهم من اسوان ستين ألف راحلة غير الجلاب التي تحمل من القلزم الى عيذاب ومالت البجة الى ربيعة وتروحو اليهم وقيل ان كهان البجة قبل اسلام من أسلم منهم ذكرت عن معبودهم الطاعة لربيعة ولكنون معافهم على ذلك فلما قتل العمرى واستولت ربيعة على الجزائر والاهم على ذلك البجة فأخرجت من خلفها من العرب وتصاهروا الى رؤساء البجة وبذلك كفف ضررهم عن المسلمين والبجة الداخلة في صحراء بلد علوة مما يلي البحر الملح الى أول الحبشة ورجالهم في الظعن والمواشي واتباع الرعى والمعيشة والمراكب والسلاح كحال الحدارب الا أن الحدارب أشجع وأهدى من الداخلة على كفرهم من عبادة الشيطان والافتداء بكهانهم والسكل بطن كاهن يضرب له قبة من آدم معبدهم فيها فاذا رأوا استخباره عما يحتاجون اليه تمرى ودخل الى القبة مستدبرا ويخرج اليهم وبه أثر جنون وصرع يقول الشيطان يقرئكم السلام ويقول لكم ارحلوا عن هذه الحلة فان الرهط الفلاني يقع بكم وسأتم عن الغزو الى بلد كذا فسيروا فانكم تظفرون وتغنمون كذا وكذا والجمال التي تأخذونها من موضع كذا هي لي والجارية الفلانية التي تجدونها في الخباء الفلاني والغنم التي من صفتها كذا ونحو هذا القول فيزعمون أنه يصدقهم في أكثر من ذلك فاذا غنموا أخرجوا من الغنيمة ما ذكر ودفعوه الى الكاهن يتوله ويحرمون ألبان نوقها على من لم يقبل فاذا أرادوا الرحيل حمل الكاهن هذه القبة على جبل مفرد فيزعمون أن ذلك الجبل لا يثور الا بجهد وكذلك سيره ويتصب عرقا والخيمة فارغة لا شيء فيها وقد بقي في الحدارب جماعة على هذا المذهب ومنهم من يمسك بذلك مع اسلامه * قال مؤرخ النوبة ومنه خلصت ما تقدم ذكره وقد قرأت في خطبة الاجناس لأمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه ذكر البجة والسكجة ويقول عنهم شديد كلهم قليل سلهم فالبجة كذلك وأما السكجة فلا أعرفهم انتهى ما ذكره عبد الله بن أحمد مؤرخ النوبة * وقال أبو الحسن المسعودى فأما البجة فانها نزلت بين بحر القلزم ونيل مصر وتشعبوا فرقا وملكوا عليهم ملكا وفي أرضهم معادن الذهب وهو التبر ومعادن الزمرذ وتتصل سراياهم ومناسهم على النجب الى بلاد النوبة فيغزون ويسبون وقد كانت النوبة قبل ذلك أشد من البجة الى أن قوى الاسلام وظهر وسكن جماعة من المسلمين معدن الذهب وبلاد العلاقي وعيذاب وسكن في تلك الديار حاق من العرب من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان فاشتدت شوكتهم وتزوجوا من البجة فتقويت البجة ثم صاهرها قوم من ربيعة فتقويت ربيعة بالبجة على من ناواها وجاورها من قحطان وغيرهم ممن سكن تلك الديار وصاحب المعدن في وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة بشر بن مروان بن اسحاق بن ربيعة يركب في ثلاثة آلاف الف من ربيعة وأحلافها

من مصر واليمن وثلاثين ألف حراب على النجب من البجّة في الحجب التحاوية وهم الحدارب وهم مسلمون من بين سائر البجّة والداخلّة من البجّة كفار يعبدون صنما لهم والبجّة المالكة لمعدن الزمرذ يتصل ديارها بالعلاقي وهو معدن الذهب وبين العلاقي والنيل خمس عشرة مرحلة وأقرب العمارة اليه مدينة أسوان وجزيرة سوا كن أقل من ميل في ميل وبينها وبين البحر الحبشي بحر قصير يخاض وأهلها طائفة من البجّة تسمي الحاسّة وهم مسلمون ولهم بها ملك * وقال الهمداني نكح كنعان بن حام أرتيب بنت شاول بن ترس ابن يافث فولدت له حقا والاساود ونوبة وقران والزنج والزغاوة وأجناس السودان وقيل البجّة من ولد حام بن نوح وقيل من ولد كوش بن كنعان بن حام وقيل البجّة قبيلة من الحبش أصحاب أخية من شعر وألوانهم أشد سواداً من الحبشة يزيون بزى العرب وليس لهم مدن ولا قرى ولا مزارع ومعيشتهم مما ينقل اليهم من أرض الحبشة وأرض مصر والنوبة وكانت البجّة تعبد الاصنام ثم أسلموا في امارّة عبد الله بن سعد بن أبي سرح وفيهم كرم وسباحة وهم قبائل وأغاذ لكل نخذ رئيس وهم أهل نجعة وطعامهم اللحم واللبن فقط

❦ ذكر مدينة أسوان ❦

أسوان من قوهم أسي الرجل يأسي أسي اذا حزن ورجل أسيان وأسوان أي حزين وأسوان في آخر بلاد الصعيد وهي ثغر من ثغور الاقليم يفصل بين النوبة وأرض مصر وكانت كثيرة الخنطة وغيرها من الحبوب والفواكه والخضراوات والبقول وكانت كثيرة الحيوان من الابل والبقر والغنم ولحمانها هناك غاية في الطيب والسمن وكانت أسعارها أبدا رخيصة وبها تجارات وبضائع تحمل منها الى بلاد النوبة ولا يتصل بأسوان من شرقها بلاد اسلامي وفي جنوبها جبل به معدن الزمرذ وهو في بركة منقطعة عن العمارة وعلى خمسة عشر يوما من أسوان معدن الذهب ويتصل بأسوان من غربها الواحات ويسلك من أسوان الى عيذاب ويتوصل من عيذاب الى الحجاز والى اليمن والهند * قال المسعودي ومدينة أسوان يسكنها خلق من العرب من قحطان ونزار بن ربيعة ومضر وخاق كثير من قريش وأكثرهم من الحجاز والبلد كثير التخل خصب كثير الخير تودع النواة في الارض فتنبث نخلة ويؤكل من ثمرها بعد سنتين ولبن بأسوان ضياع كثيرة داخلّة بأرض النوبة يؤدون خراجها الى ملك النوبة وابتعت هذه الضياع من النوبة في صدر الاسلام في دولة بني أمية وبني العباس وقد كان ملك النوبة استعدى المأمون حين دخل مصر على هؤلاء القوم يوفد وفدهم الى القسطنطينية كروا عنه ان أناسا من أهل مملكته وعبيده باعوا ضياعا من ضياعهم ممن جاورهم من أهل أسوان وانما ضياعه والقوم عبيد لا أملاك لهم وانما تملككم على هذه الضياع تملك العبيد العاصرين فيها فجعل المأمون أمرهم الى الحاكم بمدينة أسوان ومن بها

من أهل العلم والشيوخ وعلم من ابتاع هذه الضياع من أهل أسوان أنها ستزعم من أيديهم فاحتالوا على ملك النوبة بأن يقدموا الي من ابتيع منهم من النوبة أنهم اذا حضروا حضرة الحاكم أن لا يقرروا للملكهم بالعبودية وأن يقولوا سبيلنا معاشر النوبة سبيلكم مع ملككم يجب علينا طاعته وترك مخالفته فان كنتم أنتم عبيدا للملككم وأموالكم له فتحن كذلك فلما جمع الحاكم بينهم وبين صاحب الملك أتوا بهذا الكلام للحاكم ونحوه مما أوقفوهم عليه من هذا المعنى ففضى البيع لعدم اقرارهم بالرق للملكهم الى هذا الوقت وتوارث الناس تلك الضياع بأرض النوبة من بلاد مريس وصار النوبة أهل مملكة هذا الملك نوعين من وصفنا أحرار غير عبيد والنوع الآخر من أهل مملكته عبيد وهم من سكن النوبة في غير هذه البلاد المجاورة لاسوان وهي بلاد مريس * قال وأما النوبة فافترقت فرقتين فرقة في شرق النيل وغربه فأناخت على شاطئيه واتصلت ديارها بديار القبط من أرض صعيد مصر واتسعت مساكن النوبة على شاطئ النيل مصعدة ولحقوا بقرب من أعاليه وبنوا دار مملكة وهي مدينة عظيمة تدعى دنقلة والفرقة الأخرى من النوبة يقال لها علوة وبنوا مدينة عظيمة سموها سرقته والبلد المتصل بمملكته بأرض أسوان يعرف بمريس وإليه تضاف الريح المريسية وعمل هذا الملك متصل بأعمال مصر من أرض الصعيد ومدينة أسوان قال وفي الجانب الشرقي من صعيد مصر جبل رخام عظيم كانت الاوائل تقطع منه العمدة وغيرها فالما العمدة والقواعد والرؤس التي يسميها أهل مصر الاسوانية ومنها حجارة الطواحين فتلك نقرها الاولون قبل حدوث النصرانية بمئين من السنين ومنها العمدة التي بالاسكندرية * وفي ذى الحجة سنة أربع وأربعين وثلاثمائة أغار ملك النوبة على أسوان وقتل جمعا من المسلمين فخرج اليه محمد بن عبد الله الخازن على عسكر مصر من قبل أنوحور بن الاخشيد في محرم سنة خمس وأربعين فساروا في البر والبحر وبعثوا بعدة من النوبة أسروهم فضربت أعناقهم بعد ما أوقع بملك النوبة وسار الخازن حتى فتح مدينة ابريم وسبى أهلها وقدم الى مصر في نصف جمادى الاولى سنة خمس وأربعين بمائة وخمسين أسيرا وعدة رؤس * وقال القاضى الفاضل ان متحصل نعر أسوان في سنة خمس وثمانين وخمسمائة بلغ خمسة وعشرين ألف دينار وقال الكمال جعفر الادفوى وكان بأسوان ثمانون رسولا من رسل الشرع وتحصل من أسوان في سنة واحدة ثلاثون ألف أردب تمرأ وأخبرنا من وقف على مكتوب كان فيه أربعون شريفا خاصة وان مكتوبا آخر رأى فيه ستين شريفا دون من عداهم قال ووقفت أنا على مكتوب فيه نحو من أربعين مؤرخ بما بعد العشرين وستمائة من الهجرة * وكان بشعر أسوان بنو الكثر من ربيعة أمراء ممدوحون مقصودون صنع لهم الفاضل الشديد أبو الحسن بن عرام سيرة ذكر فيها مناقبهم وأسماء من مدحهم ومن ورد عليهم

ولما أرسل السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب جيشا الى كثر الدولة وأصحابه تركلوا عن البلاد فدخلوا بيوتهم فوجدوا بها قصائد من مدحهم منها قصيدة أبي محمد الحسن ابن الزبير قال فيها

ويجده أن خانة الدهر أو سطا * أناس اذا ما أنجد الذل أنهموا
أجاروا فأتحت السكوا كب خائف * وجادوا ثا فوق البسيطة معدم

وانه أجازة عليها بألف دينار ووقف عليه ساقية تساوى ألف دينار وكان بأسوان رجال من العسكر مستعدون بالأسلحة لحفظ الثغر من هجوم النوبة والسودان عليه فلما زالت الدولة الفاطمية أهمل ذلك فسار ملك النوبة في عشرة آلاف ونزل تجاه أسوان في جزيرة وأسر من كان فيها من المسلمين ثم تلاشى بعد ذلك أمر الثغر واستولى عليه أولاد السكز من بعد سنة تسعين وسبعمائة فأفسدوا فساداً كبيراً وكانت لهم مع ولاية أسوان عدة حروب الى ان كانت الحن منذ سنة ست وثمانائة وخرب اقليم الصعيد فارتفعت يد السلطنة عن ثغر أسوان ولم يبق للسلطان في مدينة أسوان وال واتضع حاله عدة سنين ثم زحفت هواره في محرم سنة خمس عشرة وثمانائة الى أسوان وحاربت أولاد السكز وهزموهم وقتلوا كثيرا من الناس وسبوا ما هناك من النساء والأولاد واسترقوا الجميع وهدموا سور مدينة أسوان ومضوا بالسي وقد تركوها خرابا يبابا لا سكن بها فاستمرت على ذلك بعد ما كانت بحيث يقول عنها عبد الله ابن أحمد بن سليم الاسواني في كتاب أخبار النوبة ان أبا عبد الرحمن عبد الله بن عبد الحميد العمرى لما غلب على المعدن كتب الى أسوان يسأل التجار الخروج اليه بالجهاز من طريق المعدن ففرج اليه رجل يعرف بثمان بن حنيلة التيمي في ألف راحلة فيها الجهاز والبر * وذكر أن العمرى لما عاد الى بلاد البجة بعد حروبه للنوبة كثرت العمارة حتى ارت الرواحل التي تحمل الميرة اليهم من أسوان سبتين ألف راحلة غير الجلاب التي تحمل من القلزم الى عيذاب قال ومما شاهدته جماعة من شيوخنا الثقات بأسوان بقرية تدعى اسائى هي من أسوان على مرحلتين ونصف انهم رأوا شرقها من جانب النيل قرية بسور وخارج بابها حميرة وناس يدخلون ويخرجون فاذا عبروا الى الموضع لم يجدوا شيئا وهذا يكون في الشتاء دون الصيف قبل طلوع الشمس والناس يجمعون على رؤيتها وهمة هذا الخبر وكان بها أنواع من الثمر وأنواع من الرطب منها نوع من الرطب أشد ما يكون من خضرة السلق وأمر هرون الرشيد أن يجمع له من ألوان ثمر أسوان من كل صنف ثمرة واحدة فجمع له ويبة ولا يعرف في الدنيا بسر يتمر قبل أن يصير رطبا الا بأسوان

*(ذكر بلاق) *

بلاق أجل حصن للمسلمين وهي جزيرة تقرب من الجنادل محيط بها النيل فيها بلد
(م ٤١ - خطط ل)

كبير يسكنه خلق كثير من الناس وبها نخل عظيم ومنبر في جامع واليه تنتهي سفن النوبة
وسفن المسلمين من اسوان وبينها وبين القرية التي تعرف بالقصر وهي أول بلد النوبة ميل
واحد وبينها وبين اسوان أربعة أميال ومن اسوان الى هذا الموضع جنادل في البحر
لاتسلكها المراكب الا بالحيلة ودلالة من يخبر ذلك من الصيادين الذين يصيدون هناك
وبالقصر مسلحة وباب الى بلد النوبة

***(ذكر حائط العجوز) ***

هذا الحائط كان حصنا لارض مصر يحدق بجميعها وكان فيه محارس ومسالخ ومن ورائه
خليج يجري فيه الماء معقود عليه القناطر عملته دلوكة بنت زبا وقد وهي وتلاشي ولم يبق
منه الا يسير في شط النيل الشرقي ينتهي الى اسوان قال أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله
ابن عبد الحكم في كتاب فتوح مصر بقيت مصر بعد غرقهم يعني فرعون وجوده وليس
فيها من أشرف أهلها أحد ولم يبق بها الا العبيد والاجراء والنساء فأعظم أشرف من بمصر
من النساء أن يولين منهم أحدا وأجمع رأيهم أن يولين امرأة منهم يقال لها دلوكة بنت زبا وكان
لها عقل ومعرفة وتجارب وكانت في شرف منهم وموضع وهي يومئذ بنت مائة سنة وستين
سنة فلمكوها خوفاً أن يتناولها ملوك الارض فجمعت نساء الاشراف فقالت لهن ان بلادنا
لم يكن يطمع فيها أحد ولا يمد عينه اليها وقد هلك أكاونا وأشرافنا وذهب السحرة الذين
كنا نقوى بهم وقد رأيت أن ابني حصنا أحرق به جميع بلادنا فأضع عليه المحارس من كل
ناحية فانا لآنا من أن يطمع فينا الناس فبنت جدارا أحاطت به على جميع أرض مصر
كلها المزارع والمدائن والقرى وجعلت دونه خليجا يجري فيه الماء وأقامت القناطر والترع
وجعلت فيه محارس ومسالخ على كل ثلاثة أميال محرس ومسلحة وفيما بين ذلك محارس صفار
على كل ميل وجعلت في كل محرس رجالا وأجرت عليهم الارزاق وأمرتهم أن يحرسوا
بالاجراس فاذا أتاها أحد يخافونه ضرب بعضهم الى بعض بالاجراس فأتاهم الخبر من أي
جهة كانت في ساعة واحدة فنظروا في ذلك فتمت بذلك مصر ممن أرادها وفرغت من بنائه
في ستة أشهر وهو الجدار الذي يقال له جدار العجوز بمصر وقد بقيت بالصعيد منه بقايا
كبيرة والله أعلم

***(ذكر البقط) ***

البقط ما يقبض من سبي النوبة في كل عام ويحمل الى مصر ضريبة عليهم فان كانت هذه
الكلمة عربية فهي امان قولهم في الارض بقط من بقل وعشب أي نبت من مرعي فيكون
معناه على هذا نبتة من المال او يكون من قولهم ان في بني تميم بقطا من ربيعة أي فرقة
أو قطعة فيكون معناه على هذا فرقة من المال أو قطعة منه ومنه بقط الارض فرقة منها وبقط

الشيء فرقه والبقط أن تعطى الحبة على اثنتي عشرة أو الربع والبقط أيضا ماسقط من التمر اذا قطع فأخطأ المخرف فيكون معناه على هذا بعض ما في ايدي النوبة وكان يؤخذ منهم في قرية يقال لها القصر مسافتها من أسوان خمسة اميال فيما بين بلد بلاق وبلد النوبة وكان القصر فرضة لقوص واول ما قرر هذا البقط على النوبة في اماره عمرو بن العاص لما بعث عبد الله بن سعد بن أبي سرح بعد فتح مصر الى النوبة سنة عشرين وقيل سنة احدى وعشرين في عشرين ألفا فكث بها زمانا فكتب اليه عمرو يأمره بالرجوع اليه فلما مات عمرو رضى الله عنه نقض النوبة الصلح الذي جرى بينهم وبين عبد الله بن سعد وكثرت سراياهم الى الصعيد فأخربوا وأفسدوا فغزاهم مرة ثانية عبد الله بن سعد بن أبي سرح وهو على اماره مصر في خلافة عثمان رضى الله عنه سنة احدى وثلاثين وحصرهم بمدينة دقلة حصارا شديدا ورماهم بالمنجنيق ولم تكن النوبة تعرف وخسف بهم كنيسهم بحجر فبهرهم ذلك وطلب ملكهم واسمه قليدوروث الصلح وخرج الى عبد الله وأبدي ضعفا ومسكنه وتواضعا فلقاه عبد الله ورفعاه وقربه ثم قرر الصلح معه على ثلثمائة وستين رأسا في كل سنة ووعد عبد الله محبوب يهديها اليه لما شكا له قلة الطعام ببلده وكتب لهم كتابا نسخته بعد البسملة عهد من الامير عبد الله بن سعد بن أبي سرح لعظيم النوبة ولجميع أهل مملكته عهد عقده على الكبير والصغير من النوبة من حد أرض أسوان الى حد أرض علوة أن عبد الله بن سعد جعل لهم أمانا وهدنة جارية بينهم وبين المسلمين ممن جاورهم من أهل صعيد مصر وغيرهم من المسلمين وأهل الذمة انكم معاشر النوبة آمنون بأمان الله وأمان رسوله محمد النبي صلى الله عليه وسلم أن لا تحاربكم ولا تنصب لكم حربا ولا تغزوكم ما أقمت على الشرائط التي بيننا وبينكم على أن تدخلوا بلدنا مجتازين غير مقيمين فيه وندخل بلدكم مجتازين غير مقيمين فيه وعليكم حفظ من نزل بلدكم أو يطرقه من مسلم أو معاهد حتى يخرج عنكم وان عليكم رد كل آبق خرج اليكم من عبيد المسلمين حتى تردوه الى أرض الاسلام ولا تستولوا عليه ولا تمنعوا منه ولا تعرضوا لمسلم قصده وحاوره الى أن ينصرف عنه وعليكم حفظ المسجد الذي ابتناه المسلمون بقاء مدينتكم ولا تمنعوا منه مصليا وعليكم كنفه واسراجه وتكرمه وعليكم في كل سنة ثلثمائة وستون رأسا تدفعونها الى امام المسلمين من أوسط رقيق بلادكم غير المغيب يكون فيها ذكر ان واثاث ليس فيها شيخ هرم ولا عجوز ولا طفل لم يبلغ الحلم تدفعون ذلك الى والي أسوان وليس على مسلم دفع عدو عرض لكم ولا منعه عنكم من حد أرض علوة الى أرض أسوان فان أقيم عيدا لمسلم أو قتلتم مسلما أو معاهدا أو تعرضتم للمسجد الذي ابتناه المسلمون بقاء مدينتكم بهدم أو منعه شيئا من الثلثمائة رأس والستين رأسا فقد برئت منكم هذه الهدنة والامان وعدنا نحن وأثم على سواء حتى يحكم الله بيننا وهو خير

الحاكمين علينا بذلك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ولنا عليكم بذلك أعظم ماتدينون به من ذمة المسيح وذمة الحواريين وذمة من تعظمونه من أهل دينكم وملتكم الله الشاهد بيننا وبينكم على ذلك كتبه عمرو بن شرحبيل في رمضان سنة إحدى وثلاثين * وكانت التوبة دفعت الى عمرو بن العاص ماصولحوا عليه من البقط قبل نكثهم وأهدوا الى عمرو أربعين رأساً من الرقيق فلم يقبلها ورد الهدية الى كبير البقط ويقال له سمقوس فاشترى له بذلك جهازاً وخمراً ووجهه اليه وبعث اليهم عبد الله بن سعد ما وعدهم به من الحبوب قمحا وشميرا وعدسا وثياباً وخيلاً ثم تطاول الرسم على ذلك فصار رسماً يأخذونه عند دفع البقط في كل سنة وصارت الاربعون رأساً التي أهدت الى عمرو يأخذها والى مصر وعن أبي خليفة حميد بن هشام البحتري أن الذي صولح عليه التوبة ثلثمائة وستون رأساً لفي المسلمين ولصاحب مصر أربعون رأساً ويدفع اليهم ألف أردب قمحا ولرسله ثلثمائة أردب ومن الشعر كذلك ومن الخمر ألف أقتير للمملك ولرسله ثلثمائة أقتير وفرسين من نتاج خيل الامارة ومن اصناف الثياب مائة ثوب ومن القباطي اربعة اثواب للمملك ولرسله ثلاثة ومن البقطرية ثمانية اثواب ومن المعلمة خمسة اثواب وجبة محملة للملك ومن قمص ابي بقطر عشرة اثواب ومن احاص عشرة اثواب وهي ثياب غلاظ قال ابو خليفة ليس في كتاب عبد الله بن وهب ولا في كتاب الواقدي تسمية ينتهي اليها وانما اخذت التسمية من ابي زكريا قال ابو زكريا سمعت والدي عمرو بن صالح يقول هذا الخبر لحفظت منه ماوقفت عليه وقال حضرت مجلس الامير عبد الله بن طاهر وهو على مصر فقال أنت عثمان بن صالح الذي وجهنا اليك في كتاب بقط التوبة قلت نعم فأقبل على محفوظ بن سليمان فقال ما أعجب أمر هذه البلدة وجهنا اليهم نطلب علماً من علومهم والى هذا الشيخ فما شفانا أحد منهم فقلت أصليح الله الامير ان الذي طلبت من خبر التوبة عندي قد حفظه شيوخ عن الشيوخ الذين حضروا هناك والهدنة والصلح الذي جرى بين عبد الله بن سعد وبين التوبة ثم حدثته عن أخبارهم كما سمعت فأنكر عطية الخمر فقلت قد أنكرها عبد العزيز بن مروان وكان هذا المجلس بفسطاط مصر سنة إحدى عشرة ومائتين بعد أن تم الصلح بينه وبين عبد الله بن السري بن الحكم التميمي الامير كان قبله قال عثمان بن صالح فوجه الامير الى الديوان بظهر المسجد الجامع بمصر فاستخرج منه خبر التوبة فوجده كما ذكرت ففسره ذلك * وعن مالك بن أنس أنه كان يرى أن أرض التوبة الي حد علوة صالح وكان لا يجيز شراء رقيقهم وكان أصحابه مثل عبد الله بن عبد الحكم وعبد الله بن وهب والليث بن سعد ويزيد بن أبي حبيب وغيرهم من فقهاء مصر يرون خلاف ذلك قال الليث ابن سعد نحن أهرف بأرض التوبة من الامام مالك بن أنس انما صولحوا على أن لا نفزوهم

ولا تمنع منهم عدواً فما استرقه مملكتهم أو غزا بعضهم بعضاً فشرأوه جائز وما استرقه بغاة المسلمين وسراقهم فغير جائز وكان عند جماعة منهم جوار نوبيات لفرشهم ولم يزل النوبة يؤدون البقط في كل سنة ويدفع اليهم ما تقدم ذكره الى أيام أمير المؤمنين المعتصم بالله أبي اسحاق بن الرشيد وكبير النوبة يومئذ زكرياء بن مجنس وكانت النوبة ربما عجزت عن دفع البقط فشنت الغارة عليهم ولادة المسلمين القريبون من بلادهم وينع من اخراج الجهاز اليهم فأنكر فيرقى ولد كبيرهم زكرياء على أبيه بذله الطاعة لغيره واستعجزه فيما يدفع فقال له أبوه فما تشاء قال عصيانهم ومحاربتهم قال أبوه هذا شيء رأاه السلف من آبائنا صواباً وأخشى أن يفرض هذا الامر اليك فتقدم على محاربة المسلمين غير اني أوجهك الى ملكهم رسولاً فأنت ترى حالتنا وحالهم فان رأيت لنا بهم طاقة حاربناهم على خبرة والا سألتهم الاحسان الينا فشيخص فيرقى الى بغداد وكانت البلدان تزين له ويسير على المدن وأنحدرباً وأنحدرباً رئيس البجة بأسبابه ولقيا المعتصم فنظرا الى ما بهرهما من حال العراق في كثرة الجيوش وعظم الممارة مع ما شاهدا في طريقيهما فقرب المعتصم فيرقى وأدناه وأحسن اليه احساناً تاماً وقبل هديته وكافأه بأضماها وقال له تمنى ما شئت فسأله في اطلاق المحبوسين فاجابه الى ذلك وكبر في عين المعتصم ووهب له الدار التي نزلها بالعراق وأمر أن يشتري له في كل منزل من طريقه دار تكون لرسالهم فانه امتنع من دخول دار لاحد في طريقه فأخذ له بمصر دار بالجزيرة وأخرى ببني وائل وأجرى لهم في ديوان مصر سبعمائة دينار وفرساً وسرجاً ولجماً وسيفاً محلياً وثوباً مثقلاً وعمامة من الخبز وقيص شرب ورداء شرب وثياباً لرسله غير محدودة عند وصول البقط الى مصر ولهم حملان وخلع على المتولي لقبض البقط وعليهم رسوم معلومة لقبض البقط والمتصرفين مفسه وما يهدي اليهم بعد ذلك فغير محدود وهو عندهم هدية يجازون عليها ونظر المعتصم الى ما كان يدفعه المسلمون فوجده أكثر من البقط وأنكر عطية الحر وأجرى الجبوب والثياب التي تقدم ذكرها وقرر دفع البقط بعد انقضاء كل ثلاث سنين وكتب لهم كتاباً بذلك بقي في يد النوبة وادعى التوبي على قوم من أهل أسوان أنهم اشتروا أملاً كاماً من عبيده فأمر المعتصم بالنظر في ذلك فأحضر والي البلد والمختار للحكم فيه التابعين من النوبة وسألاهم عما ادعاه صاحبهم من بيعهم فأنكروا ذلك وقالوا نحن رعية فزال ما ادعاه وطلب أشياء غير ذلك من ازالة المسلحة المعروفة بالقصر عن موضعها الى الحد الذي بينهم وبين المسلمين لان المسلحة على أرضهم فلم يجبه الى ذلك ولم يزل الرسم جارياً يدفع البقط على هذا التقرير ويدفع اليهم ما أجراه المعتصم الى أن قدمت الدولة الفاطمية الى مصر ذكر ذلك مؤرخ النوبة وقال أبو الحسن المسعودي والبقط هو ما يقبض من السبي في كل سنة ويحمل الى مصر ضريبة عليهم وهو ثلثمائة رأس وخمسة وستون رأساً

ليت المال بشرط الهدنة بين النوبة والمسلمين وللأمير بمصر غير ما ذكرنا أربعون رأساً وخليفته المقيم بأسوان وهو المتولى لقبض البقط عشرون رأساً وللحاكم المقيم بأسوان الذي يحضر مع أمير أسوان قبض البقط خمسة رؤس ولائني عشر شاهدا عدول من أهل أسوان يحضرون مع الحاكم لقبض البقط اثنا عشر رأساً من السبي على حسب ما يجري به الرسم في صدر الاسلام في بدء إيقاع الهدنة بين المسلمين والنوبة وقال البلاذري في كتاب الفتوحات ان المقرر على النوبة أربع مائة رأس يأخذون بها طعاماً أي غلة وألزمهم أمير المؤمنين المهدي محمد بن أبي جعفر المنصور ثلثمائة وستين رأساً وزرافة وفي سنة أربع وسبعين وستائة كثر خبث داود متملك النوبة وأقبل الى أن قرب من مدينة أسوان وحرق عدة سواق بعد ما أفسد بعذاب فضى اليه والى قوص فلم يدركه وقبض على صاحب الخيل في عدة من النوبة وحملهم الى السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقداري بقلعة الجبل فوسطهم وقدم سكندة ابن أخت متملك النوبة متظاهماً من خاله داود فجرد السلطان معه الأمير شمس الدين آق سنقر الفارقاني الاستادار والأمير من الدين أيبك الأفرم وأمير جاندار في جماعة كثيرة من العسكر ومن أجناد الولايات وعربان الوجه القبلي والزرايين والرماة ورجال الحرايق فساروا في أول شعبان من القاهرة حتى وصلوا الى أرض النوبة فخرجوا الى لقائهم على النجب بأيديهم الحراب وعليهم دكاك سود فاقتتل الفريقان قتالاً كبيراً انهزم فيه النوبة وأغار الأفرم على قلعة الدر وقتل وسبي وأوغل الفارقاني في أرض النوبة برا وبحرا يقتل ويأسر فحاز من المواشي مالا يعد ونزل بجزيرة ميكائيل برأس الجنادل ونفر المراكب من الجنادل ففر النوبة الى الجزائر وكتب لقمصر الدولة نائب داود متملك النوبة أماناً خلف لسكندة على الطاعة وأحضر رجال المريس ومن فر وخاض الأفرم الى برج في الماء وحصره حتى أخذه وقتل به مائتين وأسر أخا لداود فهرب داود والعسكر في أثره مدة ثلاثة أيام وهم يقتلون ويأسرون حتى أذعن القوم وأسرت أم داود وأخته ولم يقدر على داود فتقرر سكندة عوضه وقرر على نفسه القطيعة في كل سنة ثلاث فيلة وثلاث زرافات وخمس فهود من اناثها ومائة نجيب أصهب وأربع مائة رأس من البقر المنتجة على أن تكون بلاد النوبة نصفين نصفها للسلطان ونصفها لعمارة البلاد وحفظها ما خلا بلاد الجنادل فانها كلها للسلطان لقرىها من أسوان وهي نحو الربع من بلاد النوبة وأن يحمل ما بها من التمر والقطن والحقوق الجارية بها العادة من قديم الزمان وأن يقوموا بالجزية ما بقوا على النصرانية فيدفع كل بالغ منهم في السنة ديناراً عيناً وكتب نسخة يمين بذلك حلف عليها الملك سكندة ونسخة يمين أخرى حلفت عليها الرعية وخرب الأميران كنائس النوبة وأخذ ما فيها وقبض على نحو عشرين أميراً من أمراء النوبة وأفرج عن كان بأيدي

الثوبة من أهل أسوان وعيذاب من المسلمين في أسرهم وألبس سكندة تاج الملك وأقعد على سرير المملكة بعد ما حلف والتم أن يحمل جميع ما لداود ولكل من قتل وأسر من مال ودواب الي السلطان مع البقط القديم وهو أربعمئة رأس من الرقيق في كل سنة ووزرافة من ذلك ما كان للخليفة ثلثمئة وستون رأسا وثلثمئة بمصر أربعون رأسا على أن يطلق لهم اذا وصلوا بالبقط تاما من القمح ألف أردب لمتملكهم وثلثمئة أردب لرسله

ذكر صحراء عيذاب

اعلم أن حجاج مصر والمغرب أقاموا زيادة على مائتي سنة لا يتوجهون الى مكة شرفها الله تعالى الا من صحراء عيذاب يركبون النبل من ساحل مدينة مصر الفسطاط الى قوص ثم يركبون الابل من قوص ويعبرون هذه الصحراء الى عيذاب ثم يركبون البحر في الجلاب الى جدة ساحل مكة وكذلك تجار الهند واليمن والحبشة يردون في البحر الى عيذاب ثم يسلكون هذه الصحراء الى قوص ومنها يردون مدينة مصر فكانت هذه الصحراء لا تزال عامرة آهلة بما يصدر أو رد من قوافل التجار والحجاج حتى ان كانت أحمال البهار كالقرفة والفلفل ونحو ذلك لتوجد ملقاة بها والقفول صاعدة وهابطة لا يترض لها أحد الى أن يأخذها صاحبها فلم تزل مسلكا للحجاج في ذهابهم وايابهم زيادة على مائتي سنة من اعوام بضع وخسين وأربعمئة الى أعوام بضع وستين وستمئة وذلك منذ كانت الشدة العظمى في أيام الخليفة المستنصر بالله ابي تميم معد بن الظاهر وانقطاع الحج في البر الى أن كسا السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري السكبة وعمل لها مفتاحا ثم اخرج قافلة الحاج من البر في سنة ست وستين وستمئة فقل سلوك الحاج لهذه الصحراء واستمرت بضائع التجار تحمل من عيذاب الى قوص حتى بطل ذلك بعد سنة ستين وسبعمئة وتلاشى امر قوص من حينئذ وهذه الصحراء مسافتها من قوص الى عيذاب سبعة عشر يوما ويفقد فيها الماء ثلاثة ايام متوالية وتارة يفقد اربعة ايام وعيذاب مدينة على ساحل بحر جدة وهي غير مسورة واكثر بيوتها اخصاص وكانت من اعظم مراسي الدنيا بسبب ان مراكب الهند واليمن تحط فيها البضائع وتقلع منها مع مراكب الحجاج الصادرة والواردة فلما انقطع ورود مراكب الهند واليمن اليها صارت المرسى العظيمة عدن من بلاد اليمن الى ان كانت اعوام بضع وعشرين وثمانمئة فصارت جدة أعظم مراسي الدنيا وكذلك هرمز فانها مرسى جليل وعيذاب في صحراء لانبات فيها وكل ما يؤكل بها مجلوب اليها حتى الماء وكان لاهلها من الحجاج والتجار قوائد لا تحصى وكان لهم على كل حمل يحملونه للحجاج ضريبة مقررة وكانوا يكارون الحجاج الجلاب التي تحملهم في البحر الى جدة ومن جدة الى عيذاب فيجتمع لهم من ذلك مال عظيم ولم يكن في أهل عيذاب الا من له جلبة فاكثر على قدر يساره وفي

وفي بحر عيذاب مغاص اللؤلؤ في جزائر قريبة منها تخرج اليه الفواصون في وقت معين من كل سنة في الزوارق حتى يوافوه بتلك الجزائر فيقيمون هناك أياما ثم يعودون بما قسم لهم من الحظ والمغاص فيها قريب القعر وعيش أهل عيذاب عيش البهائم وهم أقرب الى الوحش في أخلاقهم من الانس وكان الحجاج يحبدون في ركوبهم الجلاب على البحر أهوالا عظيمة لان الرياح تالقيهم في الغالب بمراس في صحارى بعيدة مما يلي الجنوب فينزل اليهم التجار من حياهم فيكافونهم الجمال ويسلكون بهم على غير ماء فرما هلك اكثرهم عطشا وأخذ التجار ما كان معهم ومنهم من يضل ويهلك عطشا والذي يسلم منهم يدخل الى عيذاب كانه نثر من كفن قد استحالت هياهم وتغيرت صفاتهم واكثر هلاك الحجاج بهذه المراسي ومنهم من يساعده الريح فتحطه بمرسى عيذاب وهو الاقل وجلباتهم التي تحمل الحجاج في البحر لا يستعمل فيها مسمار البتة انما يخيظ خشبا بالقنبار وهو متخذ من شجر النار حيل ويحللونها بدمر من عيدان التخل ثم يسقونها بسمن أو دهن الحروع أو دهن القرش وهو حوت عظيم في البحر يتلع الغرقى وقلاع هذه الجلاب من خوص شجر المقل ولا هل عيذاب في الحجاج أحكام الطواغيت فانهم يبالغون في شحن الجلبة بالناس حتى يبقى بعضهم فوق بعض حرصا على الاجرة ولا يبالون بما يصيب الناس في البحر بل يقولون دائما علينا بالالواح وعلى الحجاج بالارواح وأهل عيذاب من البجاة ولهم ملك منهم وبها وال من قبل سلطان مصر وأدركت قاضيها عندنا بالقاهرة أسود اللون والبجاة قوم لادين لهم ولا عقل ورجالهم ونساؤهم أبدا عراة وعلى عوراتهم خرق وكثير منهم لا يستر عوراتهم وعيذاب حرها شديد بسموم محرق

ذكر مدينة الاقصر

هذه المدينة من مدائن الصعيد العظيمة يقال ان أهلها المريس ومنها الحمير المريسية

ذكر البلينا

هذه (٢) وذكر السكالك الادفوى أنه وقع بين أهل البلاد ووالى قوص فتوجهوا الى القاهرة وصرفوه وولى غيره وطلع الخطيب بالبلينا صحبته وكان اقطاعه ارمنت فلما وصل اليها أضافه أهلها بستين منسفا من طعام اللبن فقال للخطيب في بلادكم مثل هذا فقال الخطيب وحلوى فلما وصل الى اخميم تقدم الخطيب الى البلينا فعند ما وصل والى اليها أخرجوا له ستين منسفا حلوى وستين منسفا شواء قال وبعض الحكم بها في عيد من الاعياد امتدحة من أهلها خمسة وعشرون شاعرا وفيها من لا يرضى بمدح القاضي وفيها من تقصر رتبته عن ذلك قال وكان فيها عدة مسابك للسكر وبوصف أهلها بالمسكارم

* (ذكر سمهود) *

هذه المدينة بالجانب الغربي من النيل قال الادفوى كان بسمهود سبعة عشر حجرا
لاعتصار قصب السكر ويقال ان الفار لا يدخل قصبها

* (ذكر ارجنوس) *

هذه المدينة من جملة عمل البهنسا بها كنيسة بظاهرها فيها بئر يقال لها بئر سيرس صغيرة لها
عيد يعمل في اليوم الخامس والعشرين من بشنس أحد شهور القبط فيفور بها الماء عند مضي
ست ساعات من النهار حتي يطفو ثم يعود الى ما كان عليه ويستدل النصارى على زيادة
النيل في كل سنة بقدر ما علا الماء من الارض فيزعمون أن الامر في النيل وزيادته يكون
موافقا لذلك

* (ذكر ابوط) *

هذه المدينة أيضا من جملة البهنساوية كان بها منارة محكمة البناء اذا هزها الرجل تحركت
عيننا وشمالا فيرى ميلها رؤية ظاهرة بانتقال ظلها عن موضعه

* (ذكر ملوى) *

هذه المدينة بالجانب الغربي من النيل وأرضها معروفة بزراعة قصب السكر وكان بها
عدة أحجار لاعتصاره وآخر من كان بها أولاد فضيل بلغت زراعتهم في أيام الناصر محمد بن
قلاون ألفا وخمسمائة فدان من القصب في كل سنة فأوقع النشو ناظر الخاص الحوطة على
موجودهم في سنة ثمان وثلاثين وسبعمئة فوجد من جملة ما لهم أربعة عشر ألف قنطار
من القند حملها الى دار القند بمصر سوى العسل وألزمهم بحمل ثمانية آلاف قنطار بعد ذلك
وافرج عنهم فوجدوا لهم حاصلًا لم يهتد له النشوفيه عشرة آلاف قنطار قند سوى ما لهم
من عبيد وغلال وغير ذلك

* (ذكر مدينة انصنا) *

اعلم أن مدينة انصنا احدي مدائن صعيد مصر القديمة وفيها عدة عجائب منها الملعب ويقال
انه كان مقياس النيل وانه من بناء دلوكة أحد من ملك مصر وكان كالطيان وفي دائره
عمد على عدة أيام السنة الشمسية كلها من الصوان الاحمر الماتع ومسافة ما بين كل عمودين
مقدار خطوة انسان وكان ماء النيل يدخل الى هذا الملعب من فوهة عند زيادة الماء فاذا بلغ
ماء النيل الحد الذي كان اذ ذاك يحصل منه رى أرض مصر وكفايتها جلس الملك عند ذلك
في مشرف له وصعد القوم من خواصه الى رؤس الاعمدة المذكورة فيتعاودون عليها ما بين
ذاهب وآت ويتساقطون من الاعمدة الى الملعب وهو ممتلئ بالماء قال ابو عبيد البكري انصنا
بفتح أوله واسكان ثانيه بعده صاد بهمة مكسورة ونون وألف كورة من كور مصر معروفة

منها كانت سرية النبي صلى الله عليه وسلم أم ابنه إبراهيم من قرية يقال لها حفن من قرى هذه السكورة ويقال ان سحرة فرعون كانوا منها وأنه جلبهم منها يوم الموعد للقاء موسى عليه السلام ويقال ان التمساح لا يضر بساحل انصنا لطالاسم وضعت بها وانه اذا حاذى برها انقلب على ظهره حتى يجاوزها ويقال ان الذي بني مدينة انصنا اشمون بن مصرام بن بيسر ابن حام بن نوح وهي واقعة في شرقي النيل وكانت حسنة البساتين والمنزهات كثيرة الثمار والفواكه وهي الآن خراب وقال ابو حنيفة الدينوري ولا يثبت البنج الا بانصنا وهو عود ينشر منه ألواح للسفن وربما أرغفت ناشرها ويباع الألواح منها بخمسين دينارا ونحوها واذا شد لوح منها بلوح وطرح في الماء ستة أيام صار لوحا واحدا وكان لانصنا سور عتيق هدمه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وجعل على كل مركب منحدر في النيل جزءا من حمل صخره الى القاهرة فنقل بأسره اليها

* (ذكر القيس) *

اعلم أن القيس من البلاد التي تجاور مدينة البهنسا وكان يقال القيس والبهنسا قال ابن عبد الحكم بعث عمرو بن العاص قيس بن الحارث الى الصعيد فسار حتى اتى القيس فنزل بها فسميت به وقال ابن يونس قيس بن الحارث المرادى ثم السكبي شهد فتح مصر بروى عن عمر بن الخطاب وكان يفتي الناس في زمانه روى عنه سويد بن قيس وقيل شديد بن قيس ابن ثعلبة وروى عنه عسكر بن سواده وهو الذي فتح القرية بصعيد مصر المعروفة بالقيس فنسبت اليه وقال ابن السكندی ولهم ثياب الصوف واكسية المرعز وليس هي بالدنيا الا بمصر وذكر بعض أهل مصر أن معاوية بن أبي سفيان لما كبر كان لا يدفأ فاجتمعوا أنه لا يدفيه الا الاكسية تعمل بمصر من صوفها المرعز العسلي العين المصبوغ فعمل له منها عدد فما احتاج منها الا الى واحد ولهم طراز القيس والبهنسا في الستور والمضارب يعرفون به ومنه طراز أهل الدنيا * وظهر بها بالقرب من البهنسا سرب في أيام السلطان الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب فأمر متولى البهنساوية بكشفه فجمع له أهل المعرفة بالعلوم والغطس فكانوا ما ينيف على مائتي رجل ما فيهم الا من نزل السرب فلم يجد له قرارا ولا جوانب فأمر بعمل مركب طويل رقيق بحيث يمكن ادخاله من رأس السرب وشحنه بالازواد والرجال وركب فيه حبالا مربوطة في خوازيق عند رأس السرب وحمل مع الرجال آلات يعرفون بها أوقات الليل والنهار وعدة شموع وغيرها مما تستخرج به النار وتشعل به وأمرهم أن يسلكوا بالمركب في السرب حتى ينفد نصف مامعهم من الزاد فساروا بالمركب في ظلمة وهم يرخون الحبال ولا يجدون لما هم سائرون فيه من الماء جوانب فما زالوا حتى قلت ازوادهم فأبطلوا حركة المركب بالمخاض الى داخل السرب

وجروا الجبال ليرجعوا الى حيث دخلوا حتى انتهوا الى رأس السرب فكانت مدة غيبتهم في السرب ستة أيام أربعة منها دخولا الى جوفه وتطواف جوانبه ويومان رجوعا الى رأس السرب ولم يقفوا في هذه المدة على نهاية السرب فكتب بذلك الامير علاء الدين الطنبغا والى البهنسا الى الملك الكامل فتعجب عجباً كثيراً واشتغل عن ذلك بمحاربة الفرنج على دمياط فلما رحلوا عن دمياط وعادوا الى القاهرة خرج بعد ذلك حتى شاهد السرب المذكور

ذكر دروط بلهاسة

اعلم أن دروط وهى بفتح الدال المهملة وضم الراء وسكون الواو وطاء اسم لثلاث قرى دروط أشموم من الاشمونين ودروط سريان من الاشمونين أيضا ودروط بلهاسة من ناحية البهنسا بالصعيد وبها جامع انشاء زياد بن المغيرة بن زياد بن عمرو العنكي ومات في المحرم سنة احدى وتسعين ومائة فدفن به وقال فيه الشاعر

حاف الجود حنفة بر فيها * ما برا الله واحداً كزياد

كان ضيئاً لمصر اذ كان حينا * وأماناً من السنين الشداد

ومات أخوه ابراهيم بن المغيرة سنة سبع وتسعين ومائة فقال الشاعر فيه

ابن المغيرة ابراهيم من ذهب * يزداد حسناً على طول الدهارير

لو كان يملك ما فى الارض عجله * الى العنفة ولم بهمم بتأخير

ومات أحمد بن زياد بن المغيرة في المحرم سنة ست وثلاثين ومائتين فقال الشاعر فيه

أحمد مات ماجداً مفقودا * ولقد كان أحمد محمودا

ورث المجيد عن أب ثم عم * مثله ليس بعده موجودا

ذكر سكر

هى من الاطفيحية تجاهاها وادبه الى وقتنا هذا شكل جبل من الحجر كأ كبير ما يرى من الجبال وأحسنها هيئة وهو قائم على أربعة وقد استقبل بوجهه المشرق وعلى نخذه الايمن كتابة بقلمهم وهى أحرف مقطعة في ثلاثة أسطر ثم على نحو مائة وخمسين خطوة منه جبل آخر مثله سواء ووجهه الى وجه الجبل الاول وليس عليه كتابة وفيما بين الجبلين المذكورين هيئة أعدل قد ملئت قاشا عدتها أربعون زكية موضوعة بالارض عشرين تجاه عشرين وجميعها من حجارة ولا يشك من رآها انها أحمال قاش وبهد مائة وخمسين خطوة منها جبل ثالث على هيئة الجبلين المذكورين وهو أيضا قائم وظهره الى ظهر الجبل الثاني ووجهه الى الجبل وهناك آخر الوادي وليس على هذا الجبل أيضا كتابة أخبرنى بذلك من لأنهم روايته

(ذكر منية الحصب) *

هذه المدينة تنسب الى الحصب بن عبد الحميد صاحب خراج مصر من قبل أمير

* (ذكر منية الناسك) *

هي بلدة من جملة الاطفيحية عرفت بالناسك أخى الوزير بهرام الارمني في أيام الخليفة الحافظ لدين الله أبي الميمون عبد المجيد بن محمد ولي من قبل أخيه مدينة قوص سنة تسع وعشرين وخمسمائة وولاية قوص يومئذ أجل ولايات مصر فجار على المسلمين واشتد عسفه واذاه لهم فعندما وصل الخبر بقيام رضوان بن ولحشي على بهرام وهزيمته منه وتقلده الوزارة بعده نار أهل قوص بالناسك في جمادى الآخرة سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة وقتلوه وربطوا كلبا ميتا في رجله وسحبوه حتى ألقيوه على مزبلة وكان نصرانيا

* (ذكر الجيزة) *

قال ابن سيده الجيزة الناحية والجانب وجمعها جيز وجيز والجيز جانب الوادي وقد يقال فيه الجيزة واعلم أن الجيزة اسم لقرية كبيرة جملة البنيان على النيل من جانبه الغربى بحاه مدينة فسطاط مصر لها في كل يوم أحد سوق عظيم يجيئ اليه من التواحي أصناف كثيرة جدا ويجتمع فيه عالم عظيم وبها عدة مساجد جامعة * وقد روى الحافظ أبو بكر بن ثابت الخطيب من حديث نبيط بن شريط قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجيزة روضة من رياض الجنة ومصر خزائن الله في أرضه ويقال ان مسجد التوبة الذى بالجيزة كان فيه تابوت موسى عليه السلام الذى قدفته أمه فيه بالنيل وبها النخلة التى أرضعت مريم تحتها عيسى فلم يثر غيرها * وقال ابن عبد الحكم عن يزيد بن أبى حبيب فاستحبت همدان ومن والاها الجيزة فكتب عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما يعلمهما بما صنع الله للمسلمين وما فتح عليهم وما فعلوا في خططهم وما استحبت همدان من التزول بالجيزة فكتب اليه عمر يحمد الله على ما كان من ذلك ويقول له كيف رضيت أن تفرق أصحابك لم يكن ينبغي لك أن ترضى لاحد من أصحابك أن يكون بينك وبينهم بحر ولا تدرى ما يفتجأهم فاعمالك لا تقدر على غيائهم حين ينزل بهم ما تكره فاجمعهم اليك فان أبوا عليك وأعجبهم موضعهم بالجيزة وأحبوا ما هنالك فابن عليهم من في المسلمين حصنا فعرض عليهم عمرو ذلك فأبوا وأعجبهم موضعهم بالجيزة ومن والاهم على ذلك من رهطهم يافع وغيرها وأحبوا ما هنالك فبني لهم عمرو بن العاص الحصن في الجيزة في سنة إحدى وعشرين وفرغ من بنائه في سنة اثنتين وعشرين ويقال ان عمرو بن العاص لما سأل أهل الجيزة أن ينضموا الى الفسطاط قالوا مقدم قدمناه في سبيل الله ما كنا لنرحل منه الى غيره فنزلت يافع الجيزة فيها مبرح بن شهاب وهمدان وذو اصبح فيهم أبو شعر بن ابرهة وطائفة من الحجر * وقال القاضي لما رجع عمرو بن العاص من الاسكندرية ونزل الفسطاط جعل طائفة من جيشه بالجيزة خوفا من عدو يغشاهم من تلك

التاحية فجعل فيها آل ذى أصبح من حمير وهم كثير ويافع بن زيد من رعين وجعل فيها همدان وجعل فيها طائفة من الازديين بني الحجر بن الهبو بن الازد وطائفة من الحبشة وديوانهم في الازد فلما استقر عمرو في الفسطاط أمر الذين خلفهم بالجيزة أن ينضموا اليه فكرهوا ذلك وقالوا هذا مقدم قدمناه في سبيل الله وأقمنا به ما كنا بالذين نرغب عنه ونحن به منذ أشهر فكتب عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما بذلك يخبره أن همدان وآل ذى أصبح ويافعا ومن كان معهم أحبوا المقام بالجيزة فكتب اليه كيف رزيت أن تفرق عنك اصحابك وتجعل بينك وبينهم بحرا لاتدرى مايفجأهم فلعلك لاتقدر على غيبتهم فاجمعهم اليك ولا تفرقهم فان أبوا وأعجبهم مكانهم فابن عليهم حصنا من في المسلمين فجمعهم عمرو وأخبرهم بكتاب عمر فامتنعوا من الخروج من الجيزة فأمر عمرو ببناء الحصن عليهم فكرهوا ذلك وقالوا لا حصن احصن لنا من سيوفنا وكرهت ذلك همدان ويافع فأقرع عمرو بينهم فوقعت القرعة على يافع فبني فيه الحصن في سنة احدى وعشرين وفرغ من بنائه في سنة اثنتين وعشرين وأمرهم عمرو بالخطط بها فاختط ذو أصبح من حمير من الشرق ومضوا الى الغرب حتى بلغوا أرض الحرث والزرع وكرهوا أن يبني الحصن فيهم واختط يافع بن الحرث من رعين بوسط الجيزة وبني الحصن في خططهم وخرجت طائفة منهم عن الحصن انفة منه واختطت بكيل بن جشم من نوف من همدان في مهب الجنوب من الجيزة في شرقيها واختطت حاشد بن جشم بن نوف في مهب الشمال من الجيزة في غربيها واختطت الجياوية بنوعا مر بن بكيل في قبلي الجيزة واختطت بنو حجر بن ارحب بن بكيل في قبلي الجيزة واختط بنو كعب بن مالك بن الحجر بن الهبو بن الازد فيما بين بكيل ويافع والحبشة اختطوا على الشارع الاعظم والمسجد الجامع بالجيزة بناء محمد بن عبد الله الخازن في الحرم سنة خمسين وثلثمائة بأمر الامير على بن الاخشيذ فتقدم كافور الى الخازن ببنائه وعمل له مستغلا وكان الناس قبل ذلك بالجيزة يصلون الجمعة في مسجد همدان وهو مسجد مراحق بن عامر بن بكيل كان يجمع فيه الجمعة في الجيزة وشارف بناء هذا الجامع مع الخازن أبو الحسن بن أبي جعفر الطحاوى واحتاجوا الى عمد للجامع فضى الخازن في الليل الى كنيسة بأعمال الجيزة فقلع عمدها ونصب بدلها أركاناً وحمل العمد الى الجامع فترك أبو الحسن بن الطحاوى الصلاة فيه منذ ذاك تورعا قال النبي وقد كان ابن الطحاوى يصلي في جامع الفسطاط العتيق وبعض عمده أو أكثرها ورخامه من كنائس الاسكندرية وأرياف مصر وبعضه بناء قرة بن شريك عامل الوليد بن عبد الملك ويقال ان بالجيزة قبر كعب الاحبار وانه كان بها أحجار ورخام قد صورت فيها التماسيح فكانت لاتظهر فيما يلي البلد من النيل مقدار ثلاثة أميال علوا وسفلا

وفي سنة أربع وعشرين وسبعمائة منع الملك الناصر محمد بن قلاوون الوزير أن يتعرض الى شئ مما يحصل من مال الجيزة فصار جميعه يحمل اليه

❦ ذكر سجن يوسف عليه السلام ❦

قال القاضي سجن يوسف عليه السلام ببوصير من عمل الجيزة أجمع أهل المعرفة من أهل مصر على صحة هذا المكان وفيه أثر نبين أحدهما يوسف سجن به المدة التي ذكر أن مبلغها سبع سنين وكان الوحي ينزل عليه فيه وسطح السجن معروف بأجابه الدعاء يذكر أن كافور الاخشيدي سأل أبا بكر بن الحداد عن موضع معروف بأجابه الدعاء ليدعو فيه فأشار عليه بالدعاء على سطح السجن والتي الآخر موسى عليه السلام وقد بني على أثره مسجد هناك يعرف بمسجد موسى أخبرنا أبو الحسن علي بن ابراهيم الشرفي بالشرف قال حدثنا أبو محمد عبد الله بن الورد وكان قد هلكت أخته وورث منها مورثا وكنا نسمع عليه دائما وكان لسجن يوسف وقت يمضي الناس اليه يتفرجون فقال لنا يوما يا أصحابنا هذا أوان السجن ونريد أن نذهب اليه وأخرج عشرة دنائير فناولها لأصحابه وقال لهم ما اشتبهتموه فاشتروه فمضى أصحاب الحديث واشتروا ما أرادوا وعدينا يوم أحد الجيزة كلنا وبتنا في مسجد همدان فلما كان الصباح مشينا حتي جئنا الى مسجد موسى وهو الذي في السهل ومنه يطلع الى السجن وبينه وبين السجن نل عظيم من الرمل فقال الشيخ من يحماني ويطلع بي الى هذا السجن حتي أحده بمحدث لا أحده لاحد بعده حتي تفارق روحي الدنيا قال الشرفي فأخذت الشيخ وحملته حتي صرت في أعلاه فنزل وقال معك ورقة قلت لا قال أبصر لي بلاطة فأخذ خمة وكتب حدثني يحيى بن أيوب عن يحيى بن بكير عن زيد بن أسلم ابن يسار عن ابن عباس قال ان جبريل أتى الى يوسف في هذا السجن في هذا البيت المظلم فقال له يوسف من أنت الذي مذ دخلت السجن ما رأيت أحسن وجهها منك فقال له أنا جبريل فبكى يوسف فقال ما يبكيك يا نبي الله فقال ايش يعمل جبريل في مقام المذنبين فقال أما علمت أن الله تعالى يطهر البقاع بالانبياء والله لقد طهر الله بك السجن وما حوله فأقام الى آخر النهار حتي أخرج من السجن قال القاضي سقط بين يحيى وزيد رجل وقال الفقيه أبو محمد أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي وذكر سجن يوسف لو سافر الرجل من العراق ليصلي فيه وينظر اليه لما عنفته في سفره وقال الفقيه أبو اسحاق المروزي لو سافر الرجل من العراق لينظر اليه ما عنفته * وذكر المسيحي في حوادث شهر ربيع الاول سنة خمس عشرة وأربعمائة ان العامة والسوقة طافت الاسواق بمصر بالطبول والبوقات يجمعون من التجار وأرباب الاسواق ما ينفقونه في مضيههم الي سجن يوسف فقال لهم التجار شغلنا بدمم الاقوات نتمننا من هذا وكان قد اشتد الغلاء وأنهما حالهما الي الحضرة المطهرة

يعني أمير المؤمنين الظاهر لاعزاز دين الله أبا الحسن علي بن الحاكم بأمر الله فرسم لنائب الدولة أبي طاهر بن كافي متولى الشرطة السفلى الترسيم على التجار حتي يدفعوا اليهم ما جرت به رسومهم ورسم لهم بالخروج الى سجن يوسف ووعدوا أن يطلق لهم من الحضرة ضعف ما أطلق لهم في السنة الماضية من الهبة فخرجوا وفي يوم السبت لتسع خلون من جمادى الاولى ركب القائد الاجل عز الدولة وسناها معضاد الخادم الاسود في سائر الاتراك ووجوه القواد وشق البلد ونزل الى الصناعة التي بالجسر بمن معه ثم خرج من هناك وعدى في سائر عساكره الى الجزيرة حتي رتب لامير المؤمنين عساكر تكون معه مقيمة هناك لحفظه لانه عدى يوم الاثنين لاحدى عشرة خلت منه في أربع عشاريات وأربع عشرة بغلة من بغال الثقل وفي جميع من معه من خاصته وحرمه الى سجن يوسف عليه السلام وأقام هناك يومين وليتين الي أن عاد الرماة الخارجون الي السجن بالتمثيل والمضاحك والحكايات والسماجات فضحك منهم واستظرفهم وعاد الى قصره بكرة يوم الاربعاء لثلاث عشرة خلت منه وأقام أهل الاسواق نحو الاسبوعين يطرقون الشوارع بالخيال والسماجات والتمثيل ويطلعون الى القاهرة بذلك ليشاهددهم أمير المؤمنين ويعودون ومعهم سجل قد كتب لهم أن لا يعارض أحد منهم في ذهابه وعوده وأن يعتمد اكرامهم وصياتهم ولم يزلوا على ذلك الى أن تكامل جميعهم وكان دخولهم من سجن يوسف يوم السبت لاربعة عشرة بقيت من جمادى الاولى وشقوا الشوارع بالحكايات والسماجات والتمثيل فتمطل الناس في ذلك اليوم عن أشغالهم ومعايشهم واجتمع في الاسواق خلق كثير لنظرهم وظل الناس أكثر هذا اليوم على ذلك وأطلق لجميعهم ثمانية آلاف درهم وكانوا اثني عشر سوفا ونزلوا مسرورين وبخارج مدينة الجزيرة موضع يعرف بأبي هريرة فيظن من لا علم له أنه أبو هريرة الصحابي وليس كذلك بل هو منسوب الى ابن ابنته

(ذكر قرية ترسا) *

قال القضاعي وذكر ان القاسم بن عبيد الله بن الحبحاب عامل هشام بن عبد الملك على خراج مصر بنى في الجزيرة قرية تعرف بترسا والقاسم هذا خرج الى مصر وولى خلافة عن ابيه عبيد الله بن الحبحاب السلولى على الخراج في خلافة هشام بن عبد الملك ثم امره هشام على خراج مصر حين خرج ابوه الى امارة افريقية في سنة ست عشرة ومائة فلم يزل الى سنة اربع وعشرين ومائة فنزع عن مصر وجمع الحفص بن الوليد عربها وعجمها فصار يلى الخراج والصلاة معا وبترسا هذه كانت وقعة هرون بن محمد الجعدي

(ذكر منية اندونة) *

هي احدى قرى الجزيرة عرفت بأندونة كاتب احمد المدايني الذي كان يتقلد ضياع موسى

ابن بغا التي بمصر فقبض احمد بن طولون علي اندوثة هذا وكان نصرانيا فأخذ منه خمسين ألف دينار

* (ذكر وسم) *

قال ابن عبد الحكم وخرج عبد الله بن عبد الملك بن مروان أمير مصر الي وسم وكانت لرجل من القبط فسأل عبد الله أن يأتيه الي منزله ويجعل له مائة ألف دينار فخرج اليه عبد الله بن عبد الملك وقيل انما خرج عبد الله الي قرية أبي النمرس مع رجل من الكتاب يقال له ابن حنظلة فأتى عبد الله العزل وولاية قرة بن شريك وهو هناك فلما بلغه ذلك قام ليلبس سراويله فلبسه منكوسا وقيل ان عبد الله لما بلغه العزل رد المال على صاحبه وقال قد عزلنا وكان عبد الله قد ركب معه الي المعدية وعدى أصحابه قبله وتأخر فورد الكتاب بعزله فقال صاحب المال والله لا بد أن تشرف منزلي وتكون ضيفي وتأكل طعامي ووالله لا عادلي شيء من ذلك ولا أدعك منصرفا فعدي معه

* (ذكر منية عقبة) *

هذه القرية بالجيزة عرفت بعقبة بن عامر الجهني رضى الله عنه * قال ابن عبد الحكم كتب عقبة بن عامر الي معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنهما يسأله أرضا يسترفق فيها عند قرية عقبة فكتب له معاوية بألف ذراع في ألف ذراع فقال له مولاي له كان عنده أنظر أصلحك الله أرضا صالحة فقال عقبة ليس لنا ذلك ان في عهدهم شروطاً ستة منها أن لا يؤخذ من أرضهم شيء ولا من نسائهم ولا من أولادهم ولا يزداد عليهم ويدفع عنهم موضع الخوف من عدوهم وأنا شاهد لهم بذلك وفي رواية كتب عقبة الي معاوية يسأله نقيعاً في قرية بني فيه منازل ومساكن فأمر له معاوية بألف ذراع في ألف ذراع فقال له مواليه ومن كان عنده أنظر الي أرض تعجبك فاخترت فيها وأبى فقال انه ليس لنا ذلك لهم في عهدهم ستة شروط منها أن لا يؤخذ من أرضهم شيء ولا يزداد عليهم ولا يكافؤوا غير طاقهم ولا تؤخذ ذرايرهم وأن يقاتل عنهم عدوهم من ورائهم قال أبو سعيد بن يونس وهذه الارض التي اقتطعها عقبة هي المنية المعروفة بمنية عقبة في جيزة فسطاط مصر * (عقبة بن عامر) بن عيسى بن عمرو بن عدي بن عمرو بن رفاعة بن مودوعة بن عدي ابن غنم بن الزبعة بن رشدان بن قيس بن جهينة كذا نسبه أبو عمرو الكندي وقال الحافظ أبو عمر بن عبد البر عقبة بن عامر بن حسن الجهني من جهينة بن زيد بن مسود ابن أسلم بن عمرو بن الحاف بن قضاة وقد اختلف في هذا النسب يكنى أبا حماد وقيل أبا أسد وقيل أبا عمرو وقيل أبا سعاد وقيل أبا الاسود وقال خليفة بن خياط وقتل أبو عامر عقبة بن عامر الجهني يوم النهروان شهيدا وذلك سنة ثمان وثلاثين وهذا غلط منه وفي

كتاباه بعد وفي سنة ثمان وخمسين توفي عقبة بن عامر الجعفي قال سكن عقبة بن عامر مصر وكان واليا عليها وابتنى بها دارا وتوفي في آخر خلافة معاوية روى عنه من الصحابة جابر وابن عباس وأبو امامة ومسلمة بن مخلد وأما رواة من التابعين فكثير وقال الكندي ثم وليها عقبة بن عامر من قبل معاوية وجمع له صلاتها وخراجها فجعل على شرطته حمادا وكان عقبة قارئاً فقيهاً فريضاً شاعراً له الهجرة والصحبة السابقة وكان صاحب بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهباء الذي يقودها في الاسفار وكان صرف عقبة عن مصر بمسامة ابن مخلد لعشر بدين من ربيع الاول سنة أربعين فكانت ولايته سنتين وثلاثة أشهر وقال ابن يونس توفي بمصر سنة ثمان وخمسين ودفن في مقبرتها بالمقطم وكان يخضب بالسواد رحمه الله تعالى

❦ ذكر حلوان ❦

يقال انها تنسب الي حلوان بن بابلون بن عمرو بن امرئ القيس ملك مصر بن سبا ابن يشجب بن يعرب بن قحطان وكان حلوان هذا بالشام على مقدمة أبرهة ذى المنار أحد التبايع * قال ابن عبد الحكم وكان الطاعون قد وقع بالفسطاط فخرج عبد العزيز بن مروان من الفسطاط فنزل بحلوان داخلًا في الصحراء في موضع منها يقال له أبو قرقورة وهو رأس العين التي احتفرها عبد العزيز بن مروان وساقها الى نخيله التي غرسها بحلوان فكان ابن خديج يرسل الى عبد العزيز في كل يوم يخبر ما يحدث في البلد من موت وغيره فأرسل اليه ذات يوم رسولاً فأتاه فقال له عبد العزيز ما اسمك فقال أبو طالب فنقل ذلك على عبد العزيز وغازطه فقال له عبد العزيز أسألك عن اسمك فتقول أبو طالب ما اسمك فقال مدرك فتفاهل بذلك ومرض في مخرجه ذلك ومات هنالك فحمل في البحر يراد به الفسطاط حتى تغير فأنزل في بعض خصوص ساحل مريس ففسل فيه وأخرجت من هنالك جنازته وخرج معه بالجامر فيها العود لما كان قد تغير من ريحه وأوصى عبد العزيز أن يمر بجنازته اذا مات على منزل جناب بن مرثد بن زيد بن هانيء الرعيني صاحب حرسه وكان صديقاً له وقد توفي قبل عبد العزيز فمر بجنازته على باب جناب وقد خرج عيال جناب ولبسن السواد ووقفن على الباب صائحات ثم اتبعنه الى المقبرة وكان لنصيب من عبد العزيز ناحية فقدم عليه في مرضه فاذن له فلما رأى شدة مرضه أنشأ يقول

ونزور سيدنا وسيد غيرنا * ليت التشكى كان بالعواد

لو كان يقبل فدية لفديته * بالمصطفى من طارفي وتلاذي

فلما سمع صوته فتح عينيه وأمر له بألف دينار واستبشر بذلك آل عبد العزيز وفرحوا به ثم مات * وقال الكندي ووقع الطاعون بمصر في سنة سبعين فخرج عبد العزيز بن (م ٤٣ - خطط ل)

مروان منها الى الشرقية متدياً فنزل حلوان فأعجبه فاتخذها وسكنها وجعل بها الحرس والاعوان والشرط فكان عليهم جناب بن مرثد بخلوان وبني عبد العزيز بخلوان الدور والمساجد وعمرها أحسن عمارة وأحكمها وغرس نخلاً وكرمها فقال ابن قيس الرقيات

سقياً لخلوان ذى الكروم وما * صنف من تينه ومن عنبه

نخل مواقير بالقاء من الـ * سبرني بهتر ثم في سربه

أسود سكانه الحمام فما * ينفك غربانه على رطبه

ولما غرس عبد العزيز نخل حلوان وأطعم دخله والجند معه فجعل يطوف فيه ويقف على غروسه ومساقيه فقال يزيد بن عمرو الجلي الأقلت أيها الأمير كما قال العبد الصالح ما شاء الله لا قوة الا بالله فقال أذكرتني شكراً يا غلام قل لايتاس يزيد في عطائه عشرة دنائير * (عبد العزيز) بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي أبو الاصبع أمه ليلى ابنة زبان بن الاصبع الكندي روى عن أبي هريرة وعقبة بن عامر الجهني وروى عنه علي بن رياح وبحير بن داخرة وعبيد الله ابن مالك الخولاني وكعب بن علقمة ووثقه النسائي وابن سعد ولما سار أبوه مروان الى مصر بعثه في جيش الى ايلة ليدخل مصر من تلك الناحية فبعث اليه ابن ججدم أمير مصر بجيش عليهم زهير بن قيس البلوي فلقى عبد العزيز ببصاق وهي سطح عقبة ايلة فقاتله فانهزم زهير ومن معه فلما غلب مروان على مصر في جمادي الآخرة سنة خمس وستين جعل صلاتها وخراجها الى ابنه عبد العزيز بعد ما أقام بمصر شهرين فقال عبد العزيز يا أمير المؤمنين كيف المقام ببلد ليس به أحد من بني أبي فقال له مروان يا بني عمهم بأحسنائك يكونوا كلهم بني أبيك واجعل وجهك طلقاً تصف لك مودتهم وأوقع الى كل رئيس منهم انه خاصتك دون غيره يكن لك عينا على غيره ويسقدا قومه اليك وقد جعلت معك أخاك بشراً مؤناً وجعلت لك موسى بن نصير وزيراً ومشيراً وما عليك يا بني أن تكون أميراً بأقصى الارض أليس ذلك أحسن من اغلاق بابك وخولك في منزلك وأوصاء عند مخرجه من مصر الى الشام فقال أوصيك بتقوى الله في سر أمرك وعلايته فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وأوصيك أن لا تجعل لداعي الله عليك سيلاً فان المؤذن يدعو الى فريضة افترضها الله ان الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً وأوصيك أن لا تعد الناس موعدا الا أنهذته لهم وان حملته على الاسنة وأوصيك أن لا تعجل في شئ من الحكم حتى تستشير فان الله لو أغنى أحدا عن ذلك لاغنى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم عن ذلك بالوحي الذي يأتيه قال الله عز وجل وشاورهم في الامر * وخرج مروان من مصر لهلal رجب سنة خمس وستين فوليها عبد العزيز على صلاتها وخراجها وتوفي مروان لهلal رمضان

وبويع ابنه عبد الملك بن مروان فأقر أخاه عبد العزيز ووقد على عبد الملك في سنة سبع وستين وجعل على الحرس والحيل والاعوان جناب بن مرثد الرعيني فاشتد سلطانه وكان الرجل اذا أغاظ لعبد العزيز وخرج تناوله جناب ومن معه فضر به وحبسوه وعبد العزيز أول من عرف بتصر في سنة احدى وسبعين قال يزيد بن أبي حبيب أول من أحدث القعود يوم عرفة في المسجد بعد العصر عبد العزيز بن مروان * وفي سنة اثنتين وسبعين صرف بعث البحر الى مكة لقتال عبد الله بن الزبير وجعل عليهم مالك بن شرحبيل الخولاني وهم ثلاثة آلاف رجل فيهم عبد الرحمن بن جحس مولى ابن ابيز وهو الذي قتل ابن الزبير وخرج الى الاسكندرية في سنة أربع وسبعين ووقد على أخيه عبد الملك في سنة خمس وسبعين وهدم جامع الفسطاط كله وزاد فيه من جوانبه كلها في سنة سبع وسبعين وأمر بضرب الدنانير المنقوشة وقال ابن عفير كان لعبد العزيز ألف جفنة كل يوم تنصب حول داره وكانت له مائة جفنة يطاف بها على القبائل تحمل على العجل وكتب عبد الملك اليه أن ينزل له عن ولاية العهد ليعهد الي الوليد وسليمان فأبى ذلك وكتب اليه ان يكن لك ولد فلنا أولاد ويقضى الله ما يشاء فغضب عبد الملك فبعث اليه عبد العزيز بعلى بن رياح يترضاه فلما قدم على عبد الملك استعطفه على أخيه فشكا عبد الملك وقال فرق الله بيني وبينه فلم يزل به علي حتى رضى فقدم علي عبد العزيز فأخبره عن عبد الملك وعن حاله ثم أخبره بدعوته فقال افعل أنا والله مفارقة والله مادعا دعوة قط الأجيبت وكان عبد العزيز يقول قدمت مصر في امرة مسلمة بن مخلد فتمنيت بها ثلاث أماني فأدر كتمتها تمنيت ولاية مصر وأن أجمع بين امرأتي مسلمة ومحبتي قيس بن كليب حاجبه فتوفي مسلمة وقدم مصر فولياها وحجبه قيس وتزوج امرأتي مسلمة وتوفي ابنه الاصبح بن عبد العزيز لتسع بقين من ربيع الآخر سنة ست وثمانين ففرض عبد العزيز وتوفي ليلة الاثنين لثلاث عشرة خلت من جمادى الاولى سنة ست وثمانين فحمل في النبل من حلوان الى الفسطاط فدفن بها * وقال ابن أبي مليكة رأيت عبد العزيز بن مروان حين حضره الموت يقول ألا ليتني لم أكن شيئا مذكورا ألا ليتني ككتابة من الارض أو كراعى ابل في طرف الحجاز ولما مات لم يوجد له مال ناض الا سبعة آلاف دينار وحلوان والقيسارية وثياب بعضها مرقوع وخيل ورقيق وكانت ولايته على مصر عشرين سنة وعشرة أشهر وثلاثة عشر يوما ولم يالها في الاسلام قبله أطول ولاية منه * وكان بحلوان في النبل معدية من صوان تعدى بالحلل تحمل فيها الناس وغيرهم من البر الشرقي بحلوان الى البر الغربي فلما كان (٣) وهذا من الاسرار التي في الخليفة فان جميع الاجسام المعدنية كالحديد والنحاس والفضة والرصاص والذهب والقصدير اذا عمل من شئ منها اناء يسع من الماء أكثر من وزنه فانه يعوم على

وجه الماء ويحمل ما يمكنه ولا يفرق وما برح المسافرون في بحر الهند اذا أظلم عليهم الليل ولم يروا ما يهديهم من الكواكب الي معرفة الجهات يحملون حديدية مجوفة على شكل سمكة ويبالغون في ترقيتها جهداً المقدرة ثم يعمل في فم السمكة شيء من مغناطيس جيداً ويحك فيها بالمغناطيس فان السمكة اذا وضعت في الماء دارت واستقبلت القطب الجنوبي بفمها واستدبرت القطب الشمالي وهذا أيضاً من أسرار الخليفة فاذا عرفوا جهتي الجنوب والشمال تبين منهما المشرق والمغرب فان من استقبل الجنوب فقد استدبر الشمال وصار المغرب عن يمينه والمشرق عن يساره فاذا تحددت الجهات الاربع عرفوا مواقع البلاد بها فيقصدون حيثئذ جهة الناحية التي يريدونها

ذكر مدينة العريش

العريش مدينة فيما بين أرض فلسطين وأقليم مصر وهي مدينة قديمة من جملة المدائن التي اختطت بعد الطوفان * قال الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاه عن مصر ايم بن بيسر ابن حام بن نوح عليه السلام وكان غلاما مرفها فلما قرب من مصر بنى له عريشا من أغصان الشجر وستره بحشيش الارض ثم بنى له بعد ذلك في هذا الموضع مدينة وسماها درسان أى باب الجنة فزرعوا وغرسوا الاشجار والجنان من درسان الى البحر فكانت كلها زروعا وجنانا وعمارة * وقال آخر انما سميت بذلك لان بيسر بن حام بن نوح تحمل في ولده وهم أربعة ومعهم أولادهم فكانوا ثلاثين ما بين ذكر وأنثى وقدم ابنه مصر بن بيسر أمامه نحو أرض مصر حتى خرج من حد الشام فتأهوا وسقط مصر في موضع العريش وقد اشتد تعبهم ونام فرأى قائلا يبشره بحصوله في أرض ذات خير ودر وملك ونخر فأتته فرعا فاذا عليه عريش من اطراف الشجر وحوله عيون ماء فحمد الله وسأله أن يجمعه بأبيه واخوته وان يبارك له في أرضه فاستجيب له وقادهم الله اليه فنزلوا في العريش وأقاموا به فأخرج الله لهم من البحر دواب ما بين خيل وحمر وبقر وغنم وابل فساقوها حتى أتوا موضع مدينة منف فزلوه وبنوا فيه قرية سميت بالقبطية مافة يعني قرية ثلاثين فتمت ذرية بيسر حتى عمروا الارض وزرعوا وكثرت مواشيهم وظهرت لهم المعادن فكان الرجل منهم يستخرج القطعة من الزبرجد يعمل منها مائدة كبيرة ويخرج من الذهب ما تكون القطعة منه مثل الاسطوانة وكالعبير الرابض * وقال ابن سعيد عن البيهقي كان دخول اخوة يوسف وأبويه عليهم السلام عليه بمدينة العريش وهي أول أرض مصر لانه خرج الي تلقيهم حتى نزل المدينة بطرف سلطانه وكان له هناك عرش وهو سرير الساطنة فأجلس أبويه عليه وكانت تلك المدينة تسمى في القديم بمدينة العرش لذلك ثم سميتها العامة مدينة العريش فغلب ذلك عليها ويقال انه كان ليوسف عليه السلام حرس في اطراف أرض مصر من جميع جوانبها فلما أصاب الشام القحط وسارت اخوة

يوسف لقتار من مصر أقاموا بالعريش وكتب صاحب الحرس الى يوسف ان أولاد يعقوب الكنعاني يريدون البلد لقمط نزل بهم فعمل اخوة يوسف عند ذلك عرشا يستظلون به من الشمس حتى يعود الجواب فسمى الموضع العريش وكتب يوسف بالاذن لهم فكان من شأنهم ماقد ذكر في موضعه ويقال للعرش الج فهذا كما ترى وابن وصيف شاه أعرف بأخبار مصر * وفي سنة خمس عشرة وأربعمائة طرق عبد الله بن ادريس الجعفرى العريش عماونة بني الجراح وأحرقها وأخذ جميع ما فيها * وقال القاضي الفاضل وفي جمادي الآخرة سنة سبع وسبعين وخمسمائة ورد الخبر بأن نخل العريش قطع الفرنج أكثره وحملوا جذوعه الى بلادهم وملئت منه ولم يجدوا مخاطبا على ذلك ونقل عن ابن عبد الحكم أن الجفار بأجمعه كان أيام فرعون موسى في غاية العمارة بالمياه والقرى والسكان وأن قول الله تعالى ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون عن هذه المواضع وأن العمارة كانت متصلة منه الى اليمن ولذلك سميت العريش عريشا وقيل انها نهاية النجوم من الشام وان اليه كان ينتهى رعاة ابراهيم الخليل عليه السلام بمواشيه وانه عليه السلام اتخذ به عريشا كان يجلس فيه حتى تحاب مواشيه بين يديه فسمى العريش من أجل ذلك وقيل ان مالك بن دعر بن حجير بن جذيلة بن لحم كان له أربعة وعشرون ولدا منهم العريش بن مالك وبه سميت العريش لانه نزل بها وبنائها مدينة وعن كعب الاحبار أن بالعريش قبور عشرة أنبياء

ذكر مدينة الفرما

قال البكرى الفرما بفتح أوله وثانيه ممدود على وزن فعلاء وقد يقصر مدينة تلقاء مصر وقال ابن خالويه في كتاب ليس الفرما هذه سميت بأخي الاسكندر كان يسمى الفرما وكان كافرا وهي قرية أم اسمعيل بن ابراهيم انتهى ويقال اسمه الفرما بن فيلقوس ويقال فيه ابن فليس ويقال بليس وكانت الفرما على شط بحيرة تيس وكانت مدينة خصباء وبها قبر جالينوس الحكيم وبني بها المتوكل على الله حصنا على البحر تولى بناءه غنيسة بن اسحاق أمير مصر في سنة تسع وثلاثين ومائتين عند ما بني حصن دمياط وحصن تيس وأنفق فيها مالا عظيما ولما فتح عمرو بن العاص عين شمس أنفذ الى الفرما أبرهة بن الصباح فصالحه أهلها على خمسمائة دينار هرقلية وأربعمائة ناقة وألف رأس من الغنم فرحل عنهم الى البقارة * وفي سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة نزل الروم عليها ففروا اليهم وقتلوا منهم رجلين ثم نزلوا في جمادى الاولى سنة تسع وأربعين وثلاثمائة فخرج اليهم المسلمون وأخذوا منهم مراكبا وقتلوا من فيه وأسروا عشرة * وقال اليعقوبي الفرما أول مدن مصر من جهة الشمال وبها أخلاط من الناس وبينها وبين البحر الاخضر ثلاثة أميال * وقال ابن الكندي ومنها الفرما وهي أكثر عجائب وأقدم آثارا ويذكر أهل مصر أنه كان منها طريق الى جزيرة قبرس في البر

فغلب عليها البحر ويقولون انه كان فيما غلب عليه البحر مقطع الرخام الابلق وان مقطع الابيض بلوسية * وقال يحيى بن عثمان كنت أربط في الفرما وكان بينها وبين البحر قريب من يوم يخرج الناس والمرابطون في أخصاص على الساحل ثم علا البحر على ذلك كله وقال ابن قديد وجه ابن المدبر وكان بتيس الى الفرما في هدم أبواب من حجارة شرقي الحصن احتاج أن يعمل منها حيرا فلما قلع منها حجر أو حجران خرج أهل الفرما بالسلاح فنعوا من قاعها وقالوا هذه الابواب التي قال الله فيها على لسان يعقوب عليه السلام يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة والفرما بها النخل العجيب الذي يثرحين ينقطع البسر والرطب من سائر الدنيا فيبتدئ هذا الرطب من حين يلد النخل في السكوانين فلا ينقطع أربعة أشهر حتى يجي البلح في الربيع وهذا لا يوجد في بلد من البلدان لا بالبصرة ولا بالحجاز ولا باليمن ولا بغيرها من البلدان ويكون في هذا البسر ما وزن البصرة الواحدة فوق العشرين درهما وفيه ما طول البصرة نحو الشبر والفر * وقال ابن المأمون البطايحي في حوادث سنة تسع وخمسة ووصلت التجابون من الى الشرقية تخبر بأن بغدوين ملك الفرنج وصل الى أعمال الفرما فسير الافضل بن أمير الحيوش للوقت الى والى الشرقية بأن يسير المركزية والمقطعين بها وسير الراجل من العطوفية وأن يسير الوالي بنفسه بعد أن يتقدم الى العربان بأسرهم بأن يكونوا في الطوالع ويطاردوا الفرنج ويشارفوهم بالليل قبل وصول العساكر اليهم فاعتمد ذلك ثم أمر باخراج الخيام وتجهيز الاحباب والحواشي فلما تواصلت العساكر وتقدمها العربان وطاردوا الفرنج وعلم بغدوين ملك الفرنج أن العساكر متواصلة اليه وتحقق أن الاقامة لا تمكنه أمر أصحابه بالنهب والتخريب والاحراق وهدم المساجد فأحرق جامعها ومساجدها وجميع البلد وعزم على الرحيل فاخذ الله سبحانه وتعالى وعجل بنفسه الى النار فكمتم أصحابه موته وساروا بعد أن شقوا بطن بغدوين وملاؤه ملحا حتى نقي الى بلاده فدفنوه بها وأما العساكر الاسلامية فانهم شنوا الغارات على بلاد العدو وعادوا بعد أن خيموا على ظاهر عسقلان وكتب الى الامير ظهير الدين طفدكين صاحب دمشق بأن يتوجه الى بلاد الفرنج فسار الى عسقلان وحملت اليه الضياقات وطولع بخبر وصوله فأمر بحمل الخيام وعدة وافرة من الخيل والكسوات والبندود والاعلام وسيف ذهب ومنطقة ذهب وطوق ذهب وبدلة طقم وخيمة كبيرة مكلمة ومرتبة ملوكية وفرشها وجميع آلاتها وما تحتاج اليه من آلات الفضة وسير برسم شمس الخواص وهو مقدم كبير خلعة مذهبة ومنطقة ذهب وسير برسم المميزين من الواصلين خلع وسيوف وسلم ذلك بثبت لاحد الحجاب وسير معه فرسان برسم الخيام وأمر بضرب الخيمة الكبيرة وفرشها وأن يركب والى عسقلان وظهير الدين وشمس الخواص وجميع الامراء الواصلين والمقيمين

بعسقلان الى باب الحيمة ويقبلوه ثم الى بساطها والمرتبة المنصوبة ثم يجلس الوالي وظهر الدين وشمس الخواص والمقدمون ويقف الناس بأجمعهم اجلالا وتعظيما ويخلع على الامير ظهير الدين وشمس الخواص وتشد المناطق في اوساطهما ويقلد بالسيف ويخلع بعدها على المميزين ثم يسير ظهير الدين والمقدمون بالتشريف والاعلام والرايات المسيرة اليهم الى أن يصلوا الى الخيام التي ضربت لهم فاذا كان كل يوم يركب الوالي والاميران والمقدمون والعساكر الى الحيمة للملوكية ويتفاوضون فيما يجب من تدبير العساكر فامتثل ذلك وتواصلت الغارات على بلاد العدو وأسروا وقتلوا فسيرت اليهم الخلع ثانيا وجعل لشمس الخواص خاصة في هذه السفرة عشرة آلاف دينار وتسلم ظهير الدين الحيمة الكبيرة بما فيها وكان تقدير ما حصل له ولاصحابه ثلاثين ألف دينار وبلغ المنفق في هذه النوبة وعلى ذهاب بقديون وهلاكه مائة ألف دينار * وفي شهر رجب سنة خمس وأربعين وخمسمائة نزل الفرنج على الفرما في جمع كبير وأحرقوها ونهبوا أهلها وآخر أمرها أن الوزير شاوخر بها لما خرج منها متوليها ملهم أخو الضرغام في سنة (٣) فاستمرت خرابا لم تعمّر بعد ذلك وكان بالفرما والبصرة والورادة عرب من جذام يقال لهم القاطع وهو جرى بن عوف بن مالك بن شنوءة بن بديل بن جشم بن جذام منهم عبدالعزيز بن الوزير بن صابي بن مالك بن عامر بن عدى ابن حرش بن بقر بن نصر بن القاطع مات في صفر سنة خمس ومائتين وللسروي والجروي هنا أخبار كثيرة نهنا عليها في كتاب عقد جواهر الاسفاط في أخبار مدينة القسقاط وقال ابن الكسدي وبها جمع البحرين وهو البرزخ الذي ذكره الله عز وجل فقال مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان وقال وجعل بين البحرين حاجزا وهما بحر الروم وبحر الصين والحاجز بينهما مسيرة ليلة ما بين القلزم والفرما وليس يتقاربان في بلد من البلدان أقرب منهما بهذا الموضع وبينهما في السفر مسيرة شهر

❦ ذكر مدينة القلزم ❦

القلزم بضم القاف وسكون اللام وضم الزاي وميم بلدة كانت على ساحل بحر اليمن في أقصاه من جهة مصر وهي كورة من كور مصر واليه ينسب بحر القلزم وبالقرب منها غرق فرعون وبينها وبين مدينة مصر ثلاثة أيام وقد خربت ويعرف اليوم موضعها بالسويس تجاه عجرود ولم يكن بالقلزم ماء ولا شجر ولا زرع وإنما يحمل الماء إليها من آبار بعيدة وكان بها فرضة مصر والشام ومنها تحمل المحولات الى الحجاز واليمن ولم يكن بين القلزم وفاران قرية ولا مدينة وهي نخل يسير فيه صيادو السمك وكذلك من فاران وجيلان الى أيلة قال ابن الطوير والبلد المعروف بالقلزم أكثرها باق الى اليوم ويراهم الراكب السائر من مصر الى الحجاز

وكانت في القديم ساحلا من سواحل الديار المصرية ورأيت شيئا من حسابه من جهة مستخدميه في حواصل القصر وما ينتق على واليه وقاضيه وداعيه وخطيه والاجناد المكرين به لحفظه وقربه وجامعه ومساجده وكان مسكونا مأهولا * قال المسيحي في حوادث سنة سبع وثمانين وثلثمائة وفي شهر رمضان ساح أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله أهل مدينة القلزم بما كان يؤخذ من مكوس المراكب وقال ابن خردادبه عن التجار فيركبون في البحر الغربي ويخرجون بالفرماء ويحملون تجارتهم على الظهر الى القلزم وبينهما خمسة وعشرون فرسخا ثم يركبون البحر الشرقي من القلزم الى تجار جدة ثم يمضون الى السند والهند والصين ومن القلزم ينزل الناس في بركة وصحراء ست مراحل الى أيلة ويتزودون من الماء لهذه المراحل الست ويقال ان بين القلزم وبحر الروم ثلاث مراحل وان ما بينهما هو البرزخ الذي ذكره الله تعالى بقوله بينهما برزخ لا يبغيان

* (التيه) *

هو أرض بالقرب من أيلة بينهما عقبة لا يكاد الراكب يصعدا لصعوبتها الا أنها مهدت في زمان خمارويه بن أحمد بن طولون ويسير الراكب مرحلتين في محض التيه هذا حتى يوافي ساحل بحر فاران حيث كانت مدينة فاران وهناك غرق فرعون والتيه مقدار أربعين فرسخا في مثلها وفيه تاه بنو اسرائيل أربعين سنة لم يدخلوا مدينة ولا أووا الى بيت ولا بدلوا ثوبا وفيه مات موسى عليه السلام ويقال ان طول التيه نحو من ستة أيام واتفق أن الممالك البحرية لما خرجوا من القاهرة هاربين في سنة اثنتين وخمسين وستائة مر طائفة منهم بالتيه فثابروا فيه خمسة أيام ثم تراءى لهم في اليوم السادس سواد على بعد فقصدوه فاذا مدينة عظيمة لها سور وأبواب كلها من رخام أخضر فدخلوا بها وطافوا بها فاذا هي قد غلب عليها الرمل حتى طم أسواقها ودورها ووجدوا بها أواني وملابس وكانوا اذا تناولوا منها شيئا تنثر من طول البلى ووجدوا في صينية بعض البزازين تسعة دنائير ذهب عليها صورة غزال وكتابة عبرانية وحفروا موضعا فاذا حجر على صهريج ماء فشربوا منه ماء أبرد من الثلج ثم خرجوا ومشوا ليلة فاذا بطائفة من العربان خملوهم الى مدينة السكرك فدفعوا الدنانير لبعض الصيارفة فاذا عليها أنها ضربت في أيام موسى عليه السلام ودفع لهم في كل دينار مائة درهم وقيل لهم ان هذه المدينة الخضراء من مدن بني اسرائيل ولها طوفان رمل يزيد تارة وينقص أخرى لا يراها الا الله والله أعلم

* (ذكر مدينة دمياط) *

اعلم أن دمياط كورة من كور أرض مصر بينها وبين تينس اثنا عشر فرسخا ويقال سميت بدمياط من ولد أشمن بن مصرام بن بيسر بن حام بن نوح عليه السلام ويقال ان ادريس

عليه السلام كان أول ما أنزل عليه ذو القوة والجبروت أنا الله مدين المدائن الفلك بأمرى وصنعي أجمع بين العذب والملح واثار والتاج وذلك بقدرتي ومكنون علمي الدال والميم والالف والطاء قيل هم بالسريانية دمياط فتكون دمياط كلمة سريانية أصلها دمط أى القدرة اشارة الى مجمع العذب والملح وقال الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاه دمياط بلد قديم بني في زمن قليمون بن أريب بن قبظيم بن مصرايم على اسم غلام كانت أمه ساحرة لقليمون * ولما قدم المسلمون الى أرض مصر كان على دمياط رجل من اخوال المقوقس يقال له الهاموك فلما افتتح عمرو بن العاص مصر امتنع الهاموك بدمياط واستعد للحرب فأنفذ اليه عمرو بن العاص المقداد بن الاسود في طائفة من المسلمين فخاربهم الهاموك وقتل ابنه في الحرب فعاد الى دمياط وجمع اليه أصحابه فاستشارهم في أمره وكان عنده حكيم قد حضر الشورى فقال أيها الملك ان جوهر العقل لقيمة له وما استغنى به أحد الا هده الى سبيل الفوز والنجاة من الهلاك وهؤلاء العرب من بدء أمرهم لم ترد لهم راية وقد فتحوا البلاد وأذلوا العباد وما لاحد عليهم قدرة ولسنا بأشد من جيوش الشام ولا أعز وأمنع وان القوم قد أيدوا بالنصر والظفر والرأى أن تمتد مع القوم صاعحا نال به الامن وحقن الدماء وصيانة الحرم فما أنت بأكثر رجلا من المقوقس فلم يعبأ الهاموك بقوله وغضب منه فقتله وكان له ابن عارف عاقل وله دار ملاصقة للسور فخرج الى المسلمين في الليل ودلهم على عورات البلد فاستولى المسلمون عليها وتمكنوا منها وبرز الهاموك للحرب فلم يشعر بالمسلمين الا وهم يكبرون على سور البلد وقد ملكوه فعند ما رأى شطا بن الهاموك المسلمين فوق السور لحق بالمسلمين ومعه عدة من أصحابه فقتل ذلك في عضد أبيه واستأمن للمقداد فقتل المسلمون دمياط واستخلف المقداد عليها وسير بنجر الفتح الى عمرو بن العاص وخرج شطا وقد أسلم الى البرلس والدميرة وأشموه طنح فحشد أهل تلك النواحي وقدم بهم مددا للمسلمين وعونا لهم على عدوهم وسار بهم مع المسلمين لفتح تيس فبرز لاهلها وقاتلهم قتالا شديدا حتى قتل رحمه الله في المعركة شهيدا بعد ما انكسرت فيهم وقتل منهم غل من المعركة ودفن في مكانه المعروف به خارج دمياط وكان قتله في ليلة الجمعة النصف من شعبان فلذلك صارت هذه الليلة من كل سنة موسما يجتمع الناس فيها من النواحي عند شطا ويحيونها وهم على ذلك الى اليوم وما زالت دمياط بيد المسلمين الى أن نزل عليها الروم في سنة تسعين من الهجرة فأسروا خالد بن كيسان وكان على البحر هناك وسيروه الى ملك الروم فأنفذه الى أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك من أجل الهدنة التي كانت بينه وبين الروم فلما كانت خلافة هشام بن عبد الملك نازل الروم دمياط في ثلثمائة وستين مراكبا فقتلوا وسبوا وذلك في سنة احدى وعشرين ومائة ولما كانت الفتنة بين الاخوين محمد الامين وعبد الله المأمون وكانت الفتن بأرض مصر طمع

الروم في البلاد ونازلوا دمياط في أعوام بضع ومائتين ثم لما كانت خلافة أمير المؤمنين المتوكل على الله وأمير مصر يومئذ غنبة بن اسحاق نزل الروم دمياط يوم عرفة من سنة ثمان وثلاثين ومائتين فلكوها وما فيها وقتلوا بها جمعا كثيرا من المسلمين وسبوا النساء والأطفال وأهل الذمة فنفر اليهم غنبة بن اسحاق يوم النحر في جيشه ونفر كثير من الناس اليهم فلم يدركوهم ومضى الروم الى تنيس فأقاموا بأشتومها فلم يدمهم غنبة فقال يحيى بن الفضيل للمتوكل

أترضى بأن يوطأ حريمك غنوة * وأن يستباح المسلمون ويحربوا
جمارتي دمياط والروم وثب * بتنيس رأى العين منه وأقرب
مقيمون بالاشتوم يبقون مثلما * أصابوه من دمياط والحرب ترتب
فأمرام من دمياط شبرا ولا درى * من العجز ما يأتي وما يجنب
فلا تنسنا انا بدار مضية * بمصر وان الدين قد كاد يذهب

فأمر المتوكل ببناء حصن دمياط فابتدى في بناءه يوم الاثنين لثلاث خلون من شهر رمضان سنة تسع وثلاثين وأنشأ من حينئذ الاسطول بمصر فلما كان في سنة سبع طرق الروم دمياط في نحو مائتي مركب فأقاموا يعيثون في السواحل شهرا وهم يقتلون ويأسرون وكانت للمسلمين معهم معارك ثم لما كانت الفتن بعمد موت كافور الاخشيدي طرق الروم دمياط لعشر خلون من رجب سنة سبع وخمسين وثلثمائة في بضع وعشرين مركبا فقتلوا وأسروا مائة وخمسين من المسلمين * وفي سنة ثمان وأربعمائة ظهر بدمياط سمكة عظيمة طولها مائتان وستون ذراعا وعرضها مائة ذراع وكانت حير الملح تدخل في جوفها موسوقة فتفرغ وتخرج ووقف خمسة رجال في خفها ومعهم المجاريف يحرفون الشحم ويناولونه الناس وأقام أهل تلك النواحي مدة طويلة يأكلون من لحمها وفي أيام الخليفة الفائز بنصر الله عيسى والوزير حينئذ الصالح طلائع بن رزيك نزل على دمياط نحو ستين مركبا في جمادى الآخرة سنة خمسين وخمسمائة بمث بها لوجيز بن رجا وصاحب صقلية فعمأوا وقتلوا ونزلوا تنيس ورشيد والاسكندرية فأكثروا فيها الفساد ثم كانت خلافة العاضد لدين الله في وزارة شاور بن مجير السعدي الوزارة الثانية عندما حضر ملك الفرنج مري الى القاهرة وحصرها وقرر على أهلها المال واحترقت مدينة الفسطاط فنزل على تنيس وأشمووم ومنية غمر وصاحب أسطول الفرنج في عشرين شونة فقتل وأسروا وسي وفي وزارة الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب للعاضد وصل الفرنج الى دمياط في شهر ربيع الاول سنة خمس وستين وخمسمائة وهم فيما يزيد على ألف ومائتي مركب فخرجت العساكر من القاهرة وقد بلغت النفقة عليهم زيادة على خمسمائة ألف وخمسين ألف دينار فأقامت الحرب مدة خمسة وخمسين يوما وكانت صعبة شديدة وأتم في هذه

التوبة عدة من أعيان المصريين بمالاة الفرنج ومكاتبهم وقبض عليهم الملك الناصر وقتلهم
 وكان سبب هذه التوبة أن الغز لما قدموا الى مضر من الشام صحبة أسد الدين شيركوه تحرك
 الفرنج لغزو ديار مصر خشية من تمكن الغز بها فاستمدوا اخوانهم أهل صقلية فأمدوهم
 بالاموال والسلاح وبعثوا اليهم بعدة وافرة فساروا بالديابات والحمايق ونزلوا على دمياط في
 صفر وهم في العدة التي ذكرنا من المراكب وأحاطوا بها بحرا وبرا فبعث السلطان بابن
 أخيه تقي الدين عمرو وأتبعه بالامير شهاب الدين الحازمي في العساكر الى دمياط وأمددها
 بالاموال والميرة والسلاح واشتد الامر على أهل دمياط وهم ثابتون على محاربة الفرنج فسير
 صلاح الدين الى نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام يستجده ويعلمه بأنه لا يمكنه
 الخروج من القاهرة الى لقاء الفرنج خوفا من قيام المصريين عليه فجهز اليه العساكر شيئا
 بعد شيء وخرج نور الدين من دمشق بنفسه الى بلاد الفرنج التي بالساحل وأغار عليها
 واستباحها فبلغ ذلك الفرنج وهم على دمياط فخافوا على بلادهم من نور الدين أن يتمكن
 منها فرحلوا عن دمياط في الخامس والعشرين من ربيع الاول بعدما غرق لهم نحو الثلثمائة
 مركب وقتل رجالهم بقتلهم وأحرقوا ما ثقل عليهم حمله من المنجنقات وغيرها
 وكان صلاح الدين يقول ما رأيت أكرم من العاضد أرسل الى مدة مقام الفرنج على دمياط
 ألف ألف دينار سوي ما أرسله الى من الثياب وغيرها * وفي سنة سبع وسبعين وخمسمائة
 رتب المقاتلة على البرجين وشدت مراكب الى السلسلة ليقاتل عليها ويدافع عن الدخول
 من بين البرجين ورمشمت سور المدينة وسدت ثلثة وأتقت السلسلة التي بين البرجين فبلغت
 النفقة على ذلك ألف ألف دينار واعتبر السور فكان قياسه أربعة آلاف وستمائة وثلاثين
 ذراعا * وفي سنة ثمان وثمانين وخمسمائة أمر السلطان بقطع أشجار بساتين دمياط وحفر
 خندقها وعمل جسر عند سلسلة البرج * وفي سنة خمس عشرة وستمائة كانت واقعة دمياط
 العظمى وكان سبب هذه الواقعة أن الفرنج في سنة أربع عشرة وستمائة تنابت أمدادهم
 من رومية الكبرى مقر البابا ومن غيرها من بلاد الفرنج وساروا الى مدينة عكا فاجتمع
 بها عدة من ملوك الفرنج وتعاقدوا على قصد القدس وأخذوا من أيدي المسلمين فصاروا
 بعكا في جمع عظيم وبلغ ذلك الملك أبا بكر بن أيوب فخرج من مصر في العساكر الى الرملة
 فبرز الفرنج من عكا في جموع عظيمة فسار العادل الى يسان فقصد الفرنج فخافهم لكثرتهم
 وقلة عسكره فاخذ على عقبه فبقى بريد دمشق وكان أهل يسان وما حولها قد اطمأنوا لنزول
 السلطان هناك فاقاموا في أماكنهم وما هو الا أن سار السلطان واذا بالفرنج قد وضعوا
 السيف في الناس ونهبوا البلاد فحازوا من أموال المسلمين ما لا يحصى كثرة وأخذوا يسان
 وبايناس وسائر القرى التي هناك وأقاموا ثلاثة أيام ثم عادوا الى مرج عكا بالغنائم والسبي

وهلك من المسلمين خلق كثير فاستراح الفرنج بالمرج أيام ثم عادوا نانيا ونهبوا صميذا
والشقيف وعادوا الى مرج عكا فأقاموا به وكان ذلك كله فيما بين النصف من شهر رمضان
وعيد الفطر والملك العادل مقيم بمرج الصفر وقد سير ابنه المعظم عيسى بعسكر الى نابلس
لمنع الفرنج من طروقها والوصول الى بيت المقدس فنازل الفرنج قلعة الطور سبعة عشر
يوماً ثم عادوا الى عكا وعزموا على قصد الديار المصرية فركبوا بمجموعهم البحر وساروا الى
دمياط في صفر فنزلوا عليها يوم الثلاثاء رابع ربيع الاول سنة خمس عشرة وستمائة الموافق
لثامن حزيران وهم نحو السبعين ألف فارس وأربعمائة ألف راجل نفيموا اتجاه دمياط في
البر الغربي وحفروا على عسكرهم خندقاً وأقاموا عليه سوراً وشرعوا في قتال برج دمياط
فانه كان برجاً منيعاً فيه سلاسل من حديد غلاظ تمد على النيل لتمنع المراكب الواصلة في
البحر الملح من الدخول الى ديار مصر في النيل وذلك أن النيل اذا انتهى الى فسطاط مصر
مر عليه في ناحية الشمال الى شطوف فاذا صار الى شطوف انقسم قسمين أحدهما يمر في
الشمال الى رشيد فيصب في البحر الملح والشر الآخر يمر من شطوف الى جوجر ثم
يتفرق من عند جوجر فرقتين فرقة تمر الى أشموم فتصب في بحيرة تينس وفرقة تمر من
جوجر الى دمياط فتصب في البحر الملح هناك وتصير هذه الفرقة من النيل فاصلة بين مدينة
دمياط والبر الغربي وهذا البر الغربي من دمياط يعرف بجزيرة دمياط يحيط بها ماء النيل
والبحر الملح وفي مدة اقامة الفرنج بهذا البر الغربي عملوا الآلات والمراسي وأقاموا أبراجاً
يزحفون بها في المراكب الى برج السلسلة ليملكوه فانه اذا ملكوه تمكنوا من العبور
في النيل الى القاهرة ومصر وكان هذا البرج مشحوناً بالقاتلة فتجبل الفرنج عابيه وعملوا
برجاً من الصواري على بسطة كبيرة وأقلعوا بها حتى أسندوها اليه وقتلوا من به حتى
أخذوه فباع نزول الفرنج على دمياط الملك الكامل وكان يخلف أباه الملك العادل على
ديار مصر فخرج بمن معه من العساكر في ثالث يوم من وقوع الطائر بجبر نزول الفرنج
لحمس خلون منه وأمر الى الغربية بجمع العربان وسار في جمع كبير وخرج الاسطول فأقام
تحت دمياط ونزل السلطان بمن معه من العساكر بمنزلة العادية قرب دمياط وامتدت
عساكره الى دمياط لتمنع الفرنج من السور والقتال مستمر والبرج ممتنع مدة أربعة أشهر
والعادل يسير العساكر من البلاد الشامية شيئاً بعد شيء حتى تكاملت عند الملك الكامل
واهتم الملك لنزول الفرنج على دمياط واشتد خوفه فرحل من مرج الصفر الى عالفين
فنزل به المرض ومات في سابع جمادى الآخرة فكنم الملك المعظم عيسى موته وحمله في
محفة وجعل عنده خادماً وطبيباً راكباً الى جانب المحفة والشراب يداير يصاح الشراب ويحمله
الى الخادم فيشربه ويوهم الناس أن السلطان شربه الى أن دخلوا به الى قاعة دمشق وصارت

اليها الخزائن واليوتوات فأعلن بموته وأسلم ابنه الملك المنظم جميع ما كان معه ودفعه بالقلمة ثم نقله الى مدرسة العادلية بدمشق وبلغ الملك الكامل موت أبيه وهو بمنزلة لعادلية قرب دمياط. فاستغل بمملكة ديار مصر واشتد الفرنج وألحوا في القتال حتى استولوا على برج السلسلة وقطعوا السلاسل المتصلة به لتجاوز مراكبهم في بحر النيل ويتمكنوا من البلاد فنصب الملك الكامل بدل السلاسل جسرا عظيما لمنع الفرنج من عبور النيل فقالت الفرنج عليه قتالا شديدا الى أن قطعوه وكان قد أنفق على البرج والجسر ما يذهب على سبعين ألف دينار وكان الكامل يركب في كل يوم عدة مرار من العادلية الى دمياط لتدبير الامور واعمال الحيلة في مكيدة الفرنج فأمر الملك الكامل أن يفرق عدة من المراكب في النيل حتى تمنع الفرنج من سلوك النيل فعمد الفرنج الى خليج هناك يعرف بالازرق كان النيل يجري فيه قديما فحفروه وعمقوا حفره وأجروا فيه الماء الى البحر الملح وأصعدوا مراكبهم فيه الى بورة علي أرض جيزة دمياط مقابل المنزلة التي بها السلطان ليقاتلوه من هناك فلما صاروا في بورة جاؤوه وقتلوه في الماء وزحفوا اليه عدة مرار فلم يظفروا منه بطائل ولم يتغير علي أهل دمياط. شيء لان الميرة والامداد متصلة اليهم والنيل يحجز بينهم وبين الفرنج وأبواب المدينة مفتحة وليس عليها من الحصر ضيق ولا ضرر والعربان تحطف الفرنج في كل ليلة بحمت امتنعوا من الرقاد خوفا من غاراتهم فلما قوى طمع العرب في الفرنج حتى صاروا يحطفونهم نهارا ويأخذون الخيم بمن فيها أكن الفرنج لهم عدة كماء وقتلوا منهم خلقا كثيرا وأدرك الناس الشتاء وهاج البحر على مخيم المسلمين وغرقهم فعظم البلاء وتزايد الغم وألح الفرنج في القتال وكانوا أن يملكو فبعث الله ريحا قطعت مراسي مرمية الفرنج وكانت من عجائب الدنيا فرت الى بر المسلمين فأخذوها فاذا هي مصفحة بالحديد لا تعمل فيها النار ومساحتها خمسمائة ذراع فكسروها فاذا فيها مسامير زنة الواحد منها خمسة وعشرون رطلا وبعث الكامل الى الآفاق سبعين رسولا يستجد أهل الاسلام لنصرة المسلمين ويخوفهم من غلبة الفرنج على مصر فساروا في شوال وأتته النجدات من حماه وحلب وبيننا الناس في ذلك اذ طمع الامير عماد الدين أحمد ابن الامير سيف الدين أبي الحسين على بن أحمد الهكاري المعروف بابن المشطوب في الملك الكامل عند ما بلغه موت الملك العادل وكان له لفيق ينقادون اليه ويطيعونه وكان أميرا كبيرا مقدما عظيما في الاكراد الهكارية وافر الحرمة عند الملوك معدودا بينهم مثل واحد منهم وكان مع ذلك عالي الهمة غزير الجود واسع الكرم شجاعا أبي النفس تهابه الملوك وله الوقائع المشهورة وهو من أمراء دولة صلاح الدين يوسف فاتفق مع جماعة من الجند والاكراد على خلع الملك الكامل واقامة أخيه الملك الفائز ابراهيم ليصير له الحكم ووافقه الامير سن الدين الحميدى والامير أسد الدين الهكاري والامير مجاهد

الدين وجماعة من الامراء فلما باع ذلك الملك الكامل دخل عليهم وهم مجتمعون والمصحف بين أيديهم ليحلفوا للفائز فلما رأوه انفضوا تخشى على نفسه فخرج فاتفق وصول صاحب صفى الدين بن سكر من آمد الى الملك الكامل فانه كان استدعاه بعد موت أبيه فلتقاه وأكرمه وذكر له ما هو فيه فضمن له تحصيل المال فلما كان في الليل ركب الملك الكامل وتوجه من العادلية في جريدة الى أشعوم طنح فزلها وأصبح العسكر بغير سلطان فركب كل منهم هواه ولم يعطف الاخ على أخيه وتركوا أثقالهم وخيامهم وأموالهم وأساحمتهم ولحقوا بالسلطان فبادر الفرنج في الصباح الى مدينة دمياط ونزلوا البر الشرقي يوم الثلاثاء سادس عشر ذي القعدة بغير منازع ولا مدافع وأخذوا سائر ما كان في عسكر المسلمين وكان شيئاً لا يحيط به الوصف وداخل السلطان وهم عظيم وكاد أن يفارق البلاد فانه تخيل من جميع من معه واشتد طمع الفرنج في أرض مصر كلها وظنوا أنهم قد ملكوها الا أن الله سبحانه وتعالى أغاث المسلمين وثبت السلطان ووافاه أخوه الملك المعظم بأشعوم طنح فاشتد به أزره وقوى جاشه وأطلعه على ما كان من ابن المشطوب فوعده بازاحة ما يكره ثم ان المعظم ركب الى خيمة ابن المشطوب واستدعاه للركوب معه ومسايرته فاستمله حتى يلبس خفيه وثياب الركوب فلم يمهله وأعجله فركب معه وسأله حتى خرج به من العسكر الكامل ثم قال له يا عماد الدين هذه البلاد لك وأنتهى أن تهبها لنا وأعطاء نفقة وسلمه الى جماعة من أصحابه يثق بهم وقال لهم أخرجوه من الرمل ولا تقارقه حتى يخرج من الشام فلم يسع ابن المشطوب الا امثال مقال المعظم لانه معه بمفرده ولا قدرة له على الممانعة فساروا به الى حماء ثم مضى منها الى المشرق ولما شيع الملك المعظم ابن المشطوب رجع الى الملك الكامل وأمر أخاه الفائز ابراهيم أن يسير الى ملوك الشام في رسالة عن أخيه الملك الكامل لاستدعائهم الى قتال الفرنج فضى الى دمشق وخرج منها الى حماء فأتى بها مسموماً على ما قيل فبنت للملك الكامل أمر الملك وسكن روعه هذا والفرنج قد أحاطوا بدمياط برا وبحرا وأحرقوا وضيقوا على أهلها ومنعوا القوت من الوصول اليهم وحفروا على عسكرهم المحيط بدمياط خندقاً وبنوا عليه سورا وأهل دمياط يقاتلونهم أشد القتال ويمنعونهم وقد غلبت عندهم الاسعار لقلة الاقوات ثم ان المعظم فارق الملك الكامل وسار الى بلاد الشام وأقام الكامل لمحاربة الفرنج وانتدب شمائل أحد الجندارية في الركاب للدخول الى دمياط فكان يسبح في الماء ويصل الى أهل دمياط فيعدهم بوصول الزجديات فخطي بذلك عند الكامل وتقرب منه حتى عمله والى القاهرة واليه تنسب خزانة شمائل بالقاهرة فلم يزل الحال على ذلك الى أن دخلت سنة ست عشرة فجهز الملك المنصور محمد بن عمرو بن شاهنشاه بن أيوب صاحب حماء ابنه المظفر تقي الدين محمودا الى مصر فجدت لخاله الملك الكامل على الفرنج

في جيش كثيف فوصل الى العسكر وتلقاه الملك الكامل وأنزله في ميمنة العسكر منزلة أبيه
وجده عند السلطان صلاح الدين يوسف فألح الفرنج في القتال وكان بدمياط نحو العشرين
ألف مقاتل فهكمتهم الامراض وغلت عندهم الاسعار حتي بلغت بيضة الدجاجة عندهم عدة
دنانير * قال الحافظ عبد العظيم المنذرى سمعت الشيخ أبا الحسن علي بن فضل يقول
كان لبعض بني خيار بقرة فذبجوها وباعوها في الحصار فجاءت ثمانمائة دينار وقال في المعجم
المترجم سمعت الامير أبا بكر بن حسن بن خسويام يقول كنت بدمياط في حصار العدو بها
فبيع السكر بها بمائة وأربعين ديناراً الرطل والدجاجة بثلاثين ديناراً قال واشترت ثلاث
دجاجات بتسعين ديناراً والراوية بأربعين درهماً والقبر يحفر بأربعين مثقالاً وأخذت أختي
جملاً فشقت جوفه وملأته دجاجاً وفاكهة وبقلاً وغير ذلك وخاطته ورمته في البحر وكتبت
اليّ تقول قد فعلت كذا فاذا رأيتم جملاً ميتاً فخذوه فوقع لنا ليلاً فأخذناه وكان فيه ما يساوي جملة
ففرقته على الناس ثم عمل بعد ذلك ثلاثة جمال على هيئته ففطن لها الفرنج فأخذوها وامتلأت
مساكنهم وطرقات البلد من الموتى وعدمت الاقوات وصار السكر كعزة الياقوت وفقدت
الاحوم فلم يقدر عليها بوجه وآلت بهم الحال الى أن لم يبق بها سوى قليل من التمر والشعير
فقط فقتسور الفرنج وأخذوا منه البسلة في يوم الثلاثاء خمس بقين من شعبان وكانت مدة
الحصار ستة عشر شهراً واثنين وعشرين يوماً ولما أخذوا البلد وضعوا السيف في الناس
فتجاوزوا الحد في القتل وأسرفوا في مقدار القتلى وبلغ ذلك السلطان فرحل بعد أخذ
دمياط بيومين ونزل قبالة طلخا على رأس بحر أشموم ورأس بحر دمياط وبنى في المنزلة
التي صار يقال لها المنصورة وحصن الفرنج أسوار دمياط وجعلوا الجامع كنيسة وبنوا
سراياهم في القرى فقتلوا ونهبوا وسير السلطان السكتب الى الآفاق ليستحث الناس على
الحضور لدفع الفرنج عن ملك مصر وشرع العسكر في بناء الدور والفسادق والحمات
والاسواق بمنزلة المنصورة وجهاز الفرنج من أسروه من المسلمين في البحر الى عكا وخرجوا
من دمياط ونزلوا السلطان تجاه المنصورة وصار بينهم وبينه بحر أشموم وبحر دمياط وكان
الفرنج في مائتي ألف راجل وعشرة آلاف فارس فقدم المسلمون شوانهم امام المنصورة
وعدها مائة قطعة واجتمع الناس من القاهرة ومصر وسائر النواحي من اسوان الى القاهرة
ووصل الامير حسام الدين يونس والفيق تقي الدين أبو الطاهر محمد بن الحسن بن عبد
الرحمن الحلي فأخرجوا الناس من القاهرة ومصر ونودى بالنفير العام وخرج الامير علاء
الدين جلدك وجمال الدين بن صيرم لجمع الناس فيما بين القاهرة الى آخر الحوف الشرق
فاجتمع عالم لا يقع عليه حصر وأنزل السلطان على ناحية شاربساح ألف فارس في آلاف
من العربان ليحولوا بين الفرنج ودمياط وسارت الشواني ومعها حراقة كبيرة على رأس

بحر المحلة وعليها الأمير بدر الدين بن حسون فانقطعت الميرة عن الفرنج من البر والبحر وسارت عساكر المسلمين من الشرق والشام الى الديار المصرية وكان قد خرج الفرنج من داخل البحر لمدد الفرنج على دمياط فقدم منهم أمم لا تحصى يريدون التوغل في أرض مصر فلما تكاملوا بدمياط خرجوا منها في حدهم وحديدهم ونزلوا تجاه الملك الكامل كما تقدم فقدمت النجيدات يقدمها الملك الأشرف موسى بن العادل وعلى ساقته الملك المعظم عيسى فتلقاهم الملك الكامل وأنزلهم عنده بالمنصورة في ثالث عشر جمادى الآخرة سنة ثمان عشرة وتتابع مجيء الملوك حتى بلغت عدة فرسان المسلمين نحو أربعين ألف فارس فحاربوا الفرنج في البر والبحر وأخذوا منهم ست شواني وجلاسة وبطسة وأسروا من الفرنج ألفين ومائتين ثم ظفر المسلمون بثلاث قطائع أخر فقتضع الفرنج لذلك وضاق بهم المقام فبعثوا يطلبون الصلح فقدم عند مجيئ رسلهم أهل الاسكندرية في ثمانية آلاف مقاتل وكان الذي طلب الفرنج القدس وعسقلان وطبرية وجبله واللاذقية وسائر ما فتحه السلطان صلاح الدين يوسف من الساحل ليرحلوا عن ديار مصر فبذل المسلمون لهم سائر ما ذكر من البلاد خلا مدينة الكرك والشوبك فامتنع الفرنج من الصلح وقالوا لا بد من أخذهم الكرك والشوبك ومبلغ ثلثمائة ألف دينار عوضا عما خربه الملك المعظم عيسى صاحب دمشق من أسوار القدس وكان المعظم لما مات أبوه العادل واستولى الفرنج على دمياط ونازلوا الملك الكامل قبالة المنصورة خاف أن يصل منهم في البحر من يأخذ القدس ويحصنوا به فأمر بتخريب أسواره وكانت أسواره وأبراجه في غاية العظمة والمنعة فأنى الهدم على جميعها ما خلا برج داود وانتقل أكثر الناس من القدس ولم يبق به الا القليل ونقل المعظم ما كان بالقدس من الأسلحة والآلات فامتنع المسلمون من أجابة الفرنج الى ذلك وقتلوهم وعبر جماعة من المسلمين في بحر المحلة الى الأرض التي عليها الفرنج وحفروا مكانا عظيما في النيل وكان في قوة الزيادة فركب الماء أكثر تلك الأرض وصار حائلا بين الفرنج ومدينة دمياط وانحصروا فلم يبق لهم سوى طريق ضيقة فأمر السلطان للوقت بنصب الجسور عند أشموم طنح فعبرت العساكر عليها وملكت الطريق التي يسلكها الفرنج الى دمياط اذا أرادوا الوصول اليها فاضطربوا وضاعت عليهم الأرض واتفق مع ذلك وصول مرمة عظيمة للفرنج في البحر حولها عدة حراقات تحميها وقد ملئت كلهم بالميرة والأسلحة فقاتلتهم شواني المسلمين وظفرها الله بهم فأخذها المسلمون وعندما علم الفرنج ذلك أيقنوا بالهلاك وصار المسلمون يرمونهم بالنشاب ويحملون على أطرافهم فهدموا حينئذ خيامهم ومجانيقهم وألقوا فيها النار وهموا بالزحف على المسلمين ومقاتلتهم ليخلصوا الى دمياط فحال بينهم وبين ذلك كثرة الوحل والمياه الراكية على الأرض وخشوا من الإقامة لقلة أقاتهم فذلوا وسألوا

امان على أن يتركوا دمياط للمسلمين فاستشار السلطان في ذلك فاختلف الناس عليه
 فمنهم من امتنع من تأمين الفرنج ورأى أن يؤخذوا عسوة ومنهم من جنىح الى اعطائهم
 الامان خوفاً ممن وراءهم من الفرنج في الجزائر وغيرها ثم اتفقوا على الامان وأن يعطي كل
 من الفريقين رهائن فقرر ذلك في تاسع شهر رجب سنة ثمان عشرة وسير لفرنج عشرين
 ملكاً رهناً عند الملك الكامل وبعث الملك الكامل بابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب وجماعة
 من الامراء الى الفرنج وجلس السلطان مجلساً عظيماً لقدم ملوك الفرنج وقدوقف اخوته
 وأهل بيته بين يديه وصار في أبهة وناموس مهاب وخرج قسوس الفرنج ورهبانهم الى
 دمياط فسلموها للمسلمين في تاسع عشرة وكان يوم تسليمها يوماً عظيماً وعندما تسلم المسلمون
 دمياط وصارت بأيديهم قدمت نجدة في البحر للفرنج فكان من جميل صنع الله تأخرها حتى
 ملكت دمياط بأيدي المسلمين فانها لو قدمت قبل ذلك لقوى بها الفرنج فان المسلمين وجدوا
 مدينة دمياط قد حصنها الفرنج وصارت بحيث لا ترام ولما تم الامر بعث الفرنج بولد السلطان
 وأمراءه اليه وسير اليهم السلطان من كان عنده من الملوك في الرهن وتقررت الهدنة بين
 الفرنج والمسلمين مدة ثمانين سنة وكان مما وقع الصلح عليه أن كلا من المسلمين والفرنج
 يطلق ما عنده من الاسرى وحلف السلطان واخوته وحلفت ملوك الفرنج وتفرق الناس الى
 بلادهم ودخل الملك الكامل الى دمياط باخوته وعساكره وكان يوم دخوله اليها من الايام
 المذكورة ورحل الفرنج الى بلادهم وعاد السلطان الى مقر ملكه وأطلقت الاسرى من
 ديار مصر وكان فيهم من له من أيام السلطان صلاح الدين يوسف وسارت ملوك الشام
 بعساكرها الى بلادها وسمعت بشارة أخذ المسلمين مدينة دمياط من الفرنج سائراً الا فاق فان التتر
 كانوا قد استولوا على ممالك المشرق فأشرف الفرنج على أخذ ديار مصر من ايدي المسلمين
 وكانت مدة نزول الفرنج على دمياط الى أن أقاموا عنها سائرين الى بلادهم ثلاث سنين
 وأربعة أشهر وتسعة عشر يوماً منها مدة استيلائهم على مدينة دمياط سنة وعشرة أشهر وأربعة
 وعشرون يوماً فلما كان في سنة ست وأربعين وسبعمائة حدث بالسلطان الملك الصالح نجم
 الدين أيوب ابن الملك الكامل محمد ورم في مأبضه تكون منه ناصور فتح وعسر برؤه فمرض
 من ذلك وانضاف اليه قرحة في الصدر فلزم الفراش الا أن علو همته اقتضى مسيره من
 ديار مصر الى الشام فسار في محفة ونزل بقلعة دمشق فورد عليه رسول الامبرطور ملك الفرنج
 الالمانية بجزيرة صقلية في هيئة تاجر وأخبره سرا بأن يواش الذي يقال له رواد فرانس عازم
 على المسير الى أرض مصر وأخذها فسار السلطان من دمشق وهو مريض في محفة ونزل
 بأشموم طنح في المحرم سنة سبع وأربعين وجمع في مدينة دمياط من الاقوات والازواد
 والاسلحة وآلات القتال شيئاً كثيراً خوفاً أن يجبرى على دمياط ما جرى في أيام أبيه فأخذت بغير

ذلك ولما نزل السلطان بأشموه كتب الى الامير حسام الدين أبي علي بن أبي علي الهادي
نائبه بديار مصر أن يجهز الاسطول من صناعة مصر فشرع في الاهتمام بذلك وشحن
الاسطول بالرجال والسلاح وسائر ما يحتاج اليه وسيره شيئاً بعد شيء وجهز السلطان الامير
نجر الدين يوسف ابن شيخ الشيوخ ومعه الامراء والعساكر فنزل بحيرة دمياط من برها
الغربي وصار النيل بينه وبينها فلما كان في الساعة الثانية من نهار الجمعة لتسع بقين من صفر
وردت مراكب الفرنج البحرين وفيها جموعهم العظيمة وقد انضم اليهم فرنج الساحل
وأرسلوا بازاء المسلمين وبعث ملكهم الى السلطان كتاباً فيه أما بعد فإنه لم يخف عليك
اني أمين الامة اليسوية كما انه لا يخفى على انك أمين الامة المحمدية وغير خاف عليك أن
عندنا أهل جزائر الاندلس وما يحملونه اليها من الاموال والهدايا ونحن نسوقهم سوق البقر
ونقتل منهم الرجال ونرمل النساء ونستأسر البنات والصبيان ونخلى منهم الديار وأنا قد أبدت
لك ما فيه الكفاية وبذلك لك النصيح الى النهاية فلو حلفت لي بكل الايمان وأدخلت على
الاقضاء والرهبان وحملت قدامى الشمع طاعة للضليان لكنت واصلاً اليك وقائلاً في أعز
البقاع اليك فاما أن تكون البلاد لي فيأهدية حصلت في يدي واما أن تكون البلاد لك
والغلبة على فيدك العليا ممتدة الى وقد عرفتك وحذرتك من عساكر حضرت في طاعتي
تملاً السهل والجبل وعددهم كعدد الحصى وهم مرسلون اليك بأسيايف القضاء فلما قرئ
الكتاب على السلطان وقد اشتد به المرض بكى واسترجع فكتب القاضي بهاء الدين زهير
ابن محمد الجواب بسم الله الرحمن الرحيم وصلواته على سيدنا محمد رسول الله وآله وصحبه
أجمعين أما بعد فإنه وصل كتابك وأنت تهدد فيه بكثرة جيوشك وعدد أبطالك فجنح أرباب
السيوف وما قتل منا فرد الا جددناه ولا بقي علينا باغ الا دمرناه ولو رأيت عينك أيها المغرور
حد سيقوفنا وعظم حروبنا وقتحتنا منكم الحصون والسواحل وتخربنا ديار الا واخر منكم
والاوائل لكان لك أن تعض على أناملك بالثمد ولا بد أن تزل بك القدم في يوم أوله لنا
وآخره عليك فهناك تسمى الظنون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون فاذا قرأت
كتابي هذا فتكون فيه على أول سورة النحل أتى أمر الله فلا تستعجلوه وتكون على آخر
سورة ص ولتعلمن نبأه بعد حين ونعود الى قول الله تعالى وهو أصدق القائلين كم من فئة
قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ولله مع الصابرين وقول الحكماء ان الباغي له صرع وبقيك
يصرعك والى البلاء يقلبك والسلام * وفي يوم السبت ورد الفرنج وضربوا خيامهم في
أكثر البلاد التي فيها عساكر المسلمين وكانت خيمة الملك رواد فرنس حمراء فناوشهم
المسلمون القتال واستشهد يومئذ الامير نجم الدين يوسف ابن شيخ الاسلام والامير صارم
الدين أربك الوزير فلما أمسى الليل رحل الامير نجر الدين يوسف ابن شيخ الشيوخ

بعساكر المسلمين جبنا وصلوا وسار بهم في بر دمياط وسار الى جهة أشعوم طناح نخاف من كان في مدينة دمياط وخرجوا منها على وجوههم في الليل لا يلتفتون الى شيء وتركوا المدينة خالية من الناس ولحقوا بالعسكر في أشعوم وهم حفاة عرايا حيارى بمن معهم من النساء والاولاد ومروا هارين الى القاهرة فأخذ منهم قطاع الطريق ما عليهم من الثياب وتركوهم عرايا فشنت القالة على الامير نحر الدين من كل أحد وعد جميع منازل بالمسلمين من البلاء بسبب هزيمته فان دمياط كانت مشحونة بالمقاتلة والازواد العظيمة والاسلحة وغيرها خوفا أن يصيبها في هذه المدة ما أدها في أيام الكامل فانه ما أتى عليها ذلك الا من قلة الاقوات بها ومع ذلك امتنعت من الفرنج أكثر من سنة حتى فنى أهلها كما تقدم ولما سكن الله يفعل ما يريد ولما أصبح الفرنج يوم الاحد لسبع بقين من صفر قصدوا دمياط فاذا أبواب المدينة مفتحة ولا أحد يدفع عنها فظنوا أن ذلك مكيدة وتمهلوا حتى ظهر لهم خلوها فدخلوا اليها من غير مانع ولا مدافع واستولوا على ما بها من الاسلحة العظيمة وآلات الحرب والاقوات الخارجة عن الحد في السكثرة والاموال والامتنعة صفوا بغير كلفة فأصيب الاسلام والمسلمون ببلاء لولا لطف الله لمحي اسم الاسلام ورسمه بالكلية وانزعج الناس في القاهرة ومصر انزعاجا عظيما لما نزل بالمسلمين مع شدة مرض السلطان وعدم حركته وأما السلطان فانه اشتد حنقه على الامير نحر الدين وقال أما قدرت أنت والعساكر أن تقفوا ساعة بين يدي الفرنج وأقام عليه القيامة لكن الوقت لم يكن يسع غير الصبر والاعضاء وغضب على الكنانيين الذين كانوا بدمياط ووبخهم فقالوا ما نعمل اذا كانت عساكر السلطان بأجمعهم وأمرأؤه هربوا وأخربوا الزردخانه كيف لانهرب نحن فأمر بشنقهم لكونهم خرجوا من دمياط بغير إذن وكانت عدة من شق من الامراء الكنانية زيادة على خمسين أميرا في ساعة واحدة ومن جثتهم أمير جسيم له ابن جميل سأل أن يشنق قبل ابنه فأمر السلطان أن يشنق ابنه قبله فشنق الابن ثم الاب ويقال ان شنق هؤلاء كان يقتوى الفقهاء نخاف جماعة من الامراء وهما بالقيام على السلطان فأشار عليهم الامير نحر الدين ابن شيخ الشيوخ بأن السلطان على خطه فان مات فقد كفيتم أمره والافهوا بين أيديكم وأخذ السلطان في اصلاح سور المنصورة وانتقل اليها لخمس بقين من صفر وجعل الستائر على السور وقدمت الشواني الى تجاه المنصورة وفيها العدد الكاملة وشرع العسكر في تجديد الابنية هناك وقدم من العربان وأهل النواحي ومن المطوعة خلق لا يحصى عددهم وأخذوا في الاغارة على الفرنج فسلأ الفرنج اسوار مدينة دمياط بالمقاتلة والآلات فلما كان أول ربيع الاول قدم الى القاهرة من أسرى الفرنج الذين تخطفهم العربان ستة وثلاثون منهم فارسان وفي خامس ربيع الآخر ورد منهم تسعة وثلاثون وفي سابعه ورد اثنان وعشرون أسيرا وفي سادس عشره ورد خمسة

وأربعون أسيرا منهم ثلاثة خيالة وفي ثامن عشر جمادى الاولى ورد خمسون أسيرا هذا
ومرض السلطان يتزايد وقواه تنقص حتى أيس الأطباء منه وفي ثالث عشر رجب قدم الى
القاهرة سبعة وأربعون أسيرا وأحد عشر فارسا وظهر المسلمون بمسطح للفرنج في البحر
فيه مقاتلة بالقرب من نسراوة فلما كانت ليلة الاحد لاربع عشرة مضت من شعبان مات الملك
الصالح بالمنصورة فلم يظهر موته وحمل في تابوت الى قلعة الروضة وقام بأمر العسكر الامير
نحر الدين ابن شيخ الشيوخ فان شجرة الدر زوجة السلطان لما مات أحضرت الامير نحر
الدين والطواشي جمال الدين محسنا واليه أمر الممالك البحرية والحاشية وأعلمتهم بموته فكثرت
ذلك خوفا من الفرنج لانهم كانوا قد أشرفوا على تلك ديار مصر فقام الامير فخر الدين
بالتدبير وسيروا الى الملك المعظم توران شاه وهو بحصن كيفا الفارس اقطاعى لاحضاره وأخذ
الامير فخر الدين في تحليف العسكر للملك الصالح وابنه الملك المعظم بولاية العهد من بعده
وللامير فخر الدين بأنا بكية العسكر والقيام بأمر الملك حتى حلفهم كلهم بالمنصورة وبالقاهرة
في دار الوزارة عند الامير حسام الدين بن أبي على في يوم الخميس لاثنتي عشرة بقية من
شعبان وكانت العلامات تخرج من الدهاليز السلطانية بالمنصورة الى القاهرة بنحط خادم يقال
له سبيل لايشك من رآها انها خط السلطان ومضى ذلك على الامير حسام الدين بالقاهرة
ولم يتفوه أحد بموت السلطان الى أن كان يوم الاثنين لثمان بقين من شعبان ورد الامر الى
القاهرة بدعاء الخطباء في الجمعة الثانية للملك المعظم بد الدعاء للسلطان وأن ينقش اسمه على
السكة فاما علم الفرنج بموت السلطان خرجوا من دمياط بفارسهم وراجلهم وشوانهم تحاذيهم
في البحر حتى نزلوا فارسكور يوم الخميس لخمس بقين من شعبان فورد في يوم الجمعة من الغد
كتاب الى القاهرة من العسكر أوله انقروا خفافا وثقالا واجاهدوا باموالكم وأنفسكم في سبيل
الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون وفيه مواعظ بليغة بالحث على الجهاد فقرئ على منبر
جامع القاهرة وقد جمع الناس لسماعه فارتجت القاهرة ومصر وظواهرها بالبكاء والمويل
وأيقن الناس باستيلاء الفرنج على البلاد خلوا الوقت من ملك يقوم بالامر لكتهم لم يهنوا
وخرجوا من القاهرة ومصر وسائر الاعمال فاجتمع علم عظيم فلما كان يوم الثلاثاء أول
شهر رمضان اقتتل المسلمون والفرنج فاستشهد العساقى أمير مجلس وجماعة ونزل الفرنج
شار مساح وفي يوم الاثنين سابعه نزلوا البرمون فاضطرب الناس وزلزلوا زلزالا شديدا
اقربهم من العسكر وفي يوم الاحد ثالث عشره وصلوا تجاه المنصورة وصار بينهم وبين المسلمين
بحر أشموم وخندقوا عليهم وأداروا على خندقهم سورا ستروه بكثير من السائر ونصبوا
المجانيق ليرموا بها على المسلمين وصارت شوانهم بازائمهم في بحر النيل وشوانى المسلمين
بازاء المنصورة والتجهم القتال برا وبحرا وفي سادس عشره نفر الى المسلمين ستة خيالة

أخبروا بمضايقة الفرنج وفي يوم عيد الفطر أسروا من الفرنج كند من أقارب الملك وأبلى عوام المسلمين في قتال الفرنج بلاء كبيرا وأنكروهم نكابة عظيمة وصاروا يقتلون منهم في كل وقت ويأسرون ويلتقون أنفسهم في الماء ويمرون فيه الى الجانب الذي فيه الفرنج ويحيلون في اختطاف الفرنج بكل حيلة ولا يهابون الموت حتى ان انسانا قور بطيخة وحملها على رأسه وغطس في الماء حتى حاذى الفرنج فظنه بعضهم بطيخة ونزل حتي يأخذها نخطفه وأتى به الى المسلمين وفي يوم الاربعاء سابع شوال أخذ المسلمون شونة للفرنج فيها كند ومائتا رجل وفي يوم الخميس النصف منه ركب الفرنج الى بر المسلمين واقتلوا قتل منهم أربعون فارسا وسير في عدة الى القاهرة سبعة وستين أسيرا منهم ثلاثة من أكابر الدوايرية وفي يوم الخميس ثاني عشره أحرقت للفرنج مرمة عظيمة في البحر واستظهر المسلمون عليهم وكان بحر أشموم فيه مخاض فدل بعض من لا دين له ممن يظهر الاسلام الفرنج عليها فركبوا سحر يوم الثلاثاء خامس ذي القعدة أورابعه ولم يشعر المسلمون بهم الا وقد هجموا على العسكر وكان الأمير نحر الدين قد عبر الى الحمام فأناه الصريح بأن الفرنج قد هجموا على العسكر فركب دهشا غير معتد ولا متحفظ وساق ليأمر الأمراء والاجناد بالركوب في طائفة من مماليكه فلقبه عدة من الفرنج الدوايرية وحملوا عليه ففر أصحابه وأتته طعنة في جنبه وأخذته السيوف من كل جانب حتى لحق بالله عز وجل وفي الحال غسدت مماليكه في طائفة الى داره وكسروا صناديقه وخزائنه ونهبوا أمواله وخيوله وساق الفرنج عند مقتل الأمير نحر الدين الى المنصورة فقر المسلمون خوفا منهم وتفرقوا يمتن ويسرة وكادت الكسرة أن تكون وتمحو الفرنج كلمة الاسلام من أرض مصر ووصل الملك روادفرنس الى باب قصر السلطان ولم يبق الا أن يملكه فأذن الله تعالى أن طائفة المماليك من البحرية والجدارية الذين استجدهم الملك الصالح ومن حملتهم بيبرس البندقدارى حملوا على الفرنج حملة صدقوا فيها اللقاء حتى أزاحوهم عن مواقعهم وأبلوا في مكائفتهم بالسيوف والداييس فانهزموا وبلغت عدة من قتل من فرسان الفرنج الحيلة في هذه الثورة ألفا وخمسمائة فارس وأما الرجال فانها كانت وصلت الى الجسر لتعدى فلو تراخى الامر حتى صاروامع المسلمين لاعضل الداء على أن هذه الواقعة كانت بين الازقة والدروب ولولا ضيق المجال لما أفلت من الفرنج أحد فديجا من بقي منهم وضربوا عليهم سورا وحفروا خندقا وصارت طائفة منهم في البر الشرقي ومعظمهم في الجزيرة المتصلة بدمياط وكانت البطاقة عند الكعبة سرحت على جناح الطائر الى القاهرة فانزعج الناس انزعاجا عظيما ووردت السوق وبعض العسكر ولم تغلق أبواب القاهرة ليلة الاربعاء وفي يوم الاربعاء سقط الطائر بالباشارة بهزيمة الفرنج وعدة من قتل منهم فزينت القاهرة وضربت البشار بقلعة الجبل وسار المعظم توران

شاه الى دمشق فدخلها يوم السبت آخر شهر رمضان واستولى على من بها ولاربعة مضي
من شوال سقط الطائر بوصوله الى دمشق فضربت البشار في العسكر بالنصورة. وفي قلعة
لجبل وسار من دمشق لثلاث بقين منه فتواترت الاخبار بقدومه وخرج الامير حسام
الدين بن أبي علي الى لقائه فوافاه بالصالحية لاربعة عشرة بقيت من ذي القعدة ومن يومئذ
أعلن بموت الملك الصالح بعد ما كان قبل ذلك لا ينطق أحد بموته البتة بل الامور على
حالتها والدهايز السلطاني بحاله والسياط على العادة وشجرة الدر أم خليل زوجة السلطان
تدير الامور وتقول السلطان مريض ما اليه وصول ثم سار من الصالحية فلقاه الامراء
والماليك واستقر بقصر السلطنة من المنصورة يوم الثلاثاء تاسع عشر ذي القعدة وفي أثناء
هذه المدة عمل المسلمون مراكب وحملوها على الجمال الى بحر الحلة وألقوها فيه وشحنوها
بالمقاتلة فعند ما حاذت مراكب الفرنج بحر الحلة وتلك المراكب فيه مكمنة خرجت عليهم
ووقع الحرب بينهما وقدم الاسطول الاسلامي من جهة المنصورة وأحاط بالفرنج فظفر
بأثنين وخمسين مركبا للفرنج وقتل وأسر منهم نحو ألف رجل فانقطعت الميرة عن الفرنج
واشتد عندهم الغلاء وصاروا محصورين فلما كان أول يوم من ذي الحجة أخذ الفرنج من
المراكب التي في بحر الحلة سبع حرايق وفر من كان فيها من المسلمين وفي يوم عرفة
برزت الشواني الاسلامية الى مراكب قدمت للفرنج فيها ميرة فأخذت منها اثنين وثلاثين
مركبا منها تسع شواني فوهنت قوة الفرنج وزايد الغلاء عندهم وشرعوا في طلب الهدنة
من المسلمين على أن يساموا دمياط ويأخذوا بدلا منها القدس وبعض بلاد الساحل فلم
يجابوا الى ذلك فلما كان اليوم السابع والعشرون من ذي الحجة أحرق الفرنج أخشابهم
كلها وأنافوا مراكبهم يريدون التحصن بدمياط ورحلوا في ليلة الاربعاء لثلاث مضي من
الحرم سنة ثمان وأربعين وستائة الى دمياط وأخذت مراكبهم في الانحدار قبالتهم فركب
المسلمون أقفيتهم بعد ما عدوا الى برهم وطلع الفجر من يوم الاربعاء وقد أحاط المسلمون
بالفرنج وقتلوا وأسروا منهم كثيرا حتي قيل ان عدد من قتل من الفرسان على فارسكور
يزيد على عشرة آلاف وأسروا من الخيالة والرحالة والصناع والسوقة ما يناهز مائة ألف
ونهب من المال والذخائر والخيول والبغال مالا يحصى وأنحاز الملك روادفرنس وأكابر
الفرنج الى تل ووقفوا مستسلمين وسألوا الامان فأمنهم الطواشي جمال الدين محسن الصالح
ونزلوا على أمانه وأحيط بهم وسيقوا الى المنصورة فقيد روادفرنس واعتقل في الدار التي
كان ينزل فيها القاضي نحر الدين ابراهيم ابن لقمان كاتب الانشاء وكل به الطواشي صبيح
المعظم واعتقل معه أخوه ورتب له راتب يحمل اليه في كل يوم ورسم الملك المعظم لسيف
الدين يوسف بن الطوري أحد من وصل صحبته من الشرق أن يتولى قتل الاسرى فكان

يخرج منهم كل ليلة ثلثائة رجل ويقتلهم ويلقيهم في البحر حتى فنوا * ولما قبض على الملك روادفرنس رحل الملك المعظم من المنصورة ونزل بالدهليز السلطاني على فارسكور وعمل له برجا من خشب وتراخي في قصد دمياط وكتب بخطه الى الامير جمال الدين بن يغمور نائبه بدمشق وولده توران شاه الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن وما النصر الا من عند الله ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله وأما بنعمة ربك فحدث وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها نبشر المجلس السامى الجمالى بل نبشر المسلمين كافة بما من الله به على المسلمين من الظفر بعدو الدين فانه كان قد استكمل أمره واستحكم شره ويئس العباد من البلاد والاهل والاولاد ففودوا لا تياسوا من روح الله ولما كان يوم الاثنين مستهل السنة المباركة وهى سنة ثمان وأربعين وسمائة تمم الله على الاسلام بركتها فتحتنا الخزائن وبذلنا الاموال وفرقنا السلاح وجمنا العربان والمطوعة وخلقا لا يمانهم الا الله جاؤا من كل فج عميق ومكان سحيق فلما رأى العدو ذلك أرسل يطالب الصلح على ما وقع الاتفاق بينهم وبين الملك الكامل فأبينا ولما كانت ليلة الاربعاء تركوا خيامهم وأموالهم وأثقالهم وقصدوا دمياط هاربين فسرنا فى آثارهم طاليلين وما زال السيف يعمل في أديبارهم عامة الليل وقد حل بهم الحزى والويل فلما أصبحنا يوم الاربعاء قتلنا منهم ثلاثين ألفا غير من ألقى نفسه في اللجج وأما الاسرى فحدث عن البحر ولا حرج والتجأ الفرنسيس الى المينة وطلب الامان فأمناه وأخذناه وأكرمناه وسلمناه دمياط بمون الله تعالى وقوته وجلاله وعظمته وبعث مع الكتاب غفارة الملك فرنسيس فلبسها الامير جمال الدين بن يغمور وهى أشكر لا طأ أحر بفروسنجاب فقال الشيخ نجم الدين بن اسرائيل

ان غفارة الفرنسيس جاءت * فهى حقاً لسيد الامراء

كياض القرطاس لونا ولكن * صبغتها سيوفنا بالدماء

وقال آخر

أسيد أملاك الزمان بأسرهم * تنجزت من نصر الاله وعوده

فلا زال مولانا يبيح حي العدى * ويلبس أبواب الملوك عبيده

وأخذ الملك المعظم يهدد زوجة أبيه شجرة الدر ويطلبها بمال أبيه فخافته وكاتب ممالك الملك الصالح تحريضهم عليه وكان المعظم لما وصل اليه الفارس أقطاي الى حصن كيفا وعده أن يعطيه امرأة فلم يف له بها وأعرض مع ذلك عن ممالك أبيه وأطرح أمراءه وصرف الامير حسام الدين بن أبي على عن نيابة السلطنة وأحضره الى العسكر ولم يعأ به وأبعد غلمان أبيه واختص بمن وصل معه من المشرق وجعلهم فى الوظائف السلطانية فجعل الطواشي مسرورا خادمه استادارا وعمل صبيحا وكان عبدا حبشيا فخلا خازن داره وأمرأن

تكون له عصا من ذهب وأعطاه مالا جزيلا واقطاعات جلييلة وكان اذا سكر جمع الشمع وضرب رؤسها بالسيف حتي تنقطع ويقول هكذا أفعل بالبحرية فانه كان فيه هرج وخفة واحتجب على المكوف بملاذه فنفرت منه النفوس وبقي كذلك الى يوم الاثنين تاسع عشرين المحرم وقد جلس على السهات فتقدم اليه أحد الممالك البحرية وضربه بسيف قطع أصابع يديه ففر الى البرج فاجتمعوا عليه وسيوفهم مصلته فصعد أعلى البرج الخشب فرموه بالنشاب وأطلقوا النار في البرج فألقى نفسه ومرا الى البحر وهو يقول ما أريد ملككم دعوني أرجع الى الحصن يا مسلمين ما فيكم من يصطنعني ويحيرني وسائر العساكر بالسيوف واقفة فلم يجبه أحد والنشاب يأخذهم من كل ناحية وأدركوه فقطع بالسيوف ومات حريقا غريقا قتيلا في يوم الاثنين المذكور وترك على الشط ثلاثة أيام ثم دفن ولما قتل الملك المعظم اتفق هل الدولة على اقامة شجرة الدر والدة خليل في مملكة مصر وأن يكون مقدم العسكر الامير عز الدين أيبك التركاني الصالح وحلف الكل على ذلك وسيروا اليها عز الدين الرومي فقدم عليها في قاعة الجبل وأعلمها بما اتفق فرضيت به وكتبت على التواقيع علامتها وهي والدة خليل وخطب لها على المنابر بمصر والقاهرة وجرى الحديث مع الملك رواد فرنس في تسليم دمياط وتولى مفاوضته في ذلك الامير حشام الدين بن أبي علي الهدياني فأجاب الى تسليمها وأن يخلى عنه بعد محاورات وسير الى الفرنج بدمياط يأمرهم بتسليمها الى المسلمين فسلموها بعد جهد جهيد من كثرة المراجعات في يوم الجمعة ثالث صفر ورفع العلم السلطاني على سورها وأعلن فيها بكلمة الاسلام وشهادة الحق بعدما أقامت بيد الفرنج أحد عشر شهرا وسبعة أيام وأفرج عن الملك رواد فرنس وعن أخيه وزوجته ومن بقي من أصحابه الى البر الغربي وركبوا البحر من الغد وهو يوم السبت رابع صفر وأقلعوا الى عكا * وفي هذه النوبة يقول الوزير جمال الدين يحيى بن مطروح

قل للفـرنجيس اذا جئته * مقال نصح عن قؤول نصيح
 آجرك الله على ماجرى * من قبل عباد يسوع المسيح
 أتيت مصر تبتقي ملكها * تحسب أن الزمر ياطيل ربيع
 فساقت الحين الى أدهم * ضاق به عن ناظريك الفسيح
 وكل أصحابك أودعهم * بحسن تدبيرك بطن الضريح
 خمسون ألفا لا يرى منهم * الا قتيل أو أسير جريح
 وفقك الله لامثالها * لعل عيسى منكم يستريح
 ان كان باباكم بذرا راضيا * قرب غش قد أتى من نصيح
 قل لهم أن أضرموا عودة * لأخذ نار أول لقد صحيح

دار ابن لقمان على حالها * والقيدياق والطواشى صبيح
وقدر الله أن الفرنسيس هذا بعد خلاصه من هذه الواقعة جمع عدة جموع وقصد تونس
فقال شاب من أهلها يقال له أحمد بن اسمعيل الزيات
يافرنسيس هذه أخت مصر * فتأهب لها اليه تصير
لك فيها دار ابن لقمان قبر * وطواشيك منكرو ونكير

فكان هذا فالاحسنأ فانه مات وهو على محاصرة تونس ولما تسلم الامراء دمياط وردت
البشري الى القاهرة فضربت البشائر وزينت القاهرة ومصر فقدمت العساكر من دمياط
يوم الخميس تاسع صفر فلما كان في سلطنة الاشرف موسى ابن الملك المسعود أقيس ابن الملك
الكامل والملك المعز عز الدين التركاني وكثر الاختلاف بمصر واستولى الملك الناصر يوسف
ابن العزيز على دمشق اتفق ارباب الدولة بمصر وهم المماليك البحرية على تخريب مدينة دمياط
خوفا من مسير الفرنج اليها مرة أخرى فسيروا اليها الحجارين والفعلة فوقع الهدم في أسوارها
يوم الاثنين الثامن عشر من شعبان سنة ثمان وأربعين وسثمائة حتى خربت كلها ومحيث آثارها
ولم يبق منها سوى الجامع وصار في قلبها أخصاص على النيل سكنها الناس الضعفاء وسموها
المنشية وهذا السور هو الذي بناه أمير المؤمنين المتوكل على الله كما تقدم ذكره فلما استبد
الملك الظاهر بيبرس البندقداري الصالح بمملكة مصر بعد قتل الملك المظفر قطز اخرج
من مصر عدة من الحجارين في سنة تسع وخمسين وسثمائة لردم فم ببحر دمياط فقصوا وقطعوا
كثيرا من القراييص وألقوها في بحر النيل الذي ينصب من شمال دمياط في البحر الملح
حتى ضاقت وتعذر دخول المراكب منه الى دمياط وهو الى اليوم على ذلك لا تقدر مراكب
البحر الكبار أن تدخل منه وانما ينقل ما فيها من البضائع في مراكب نيلية تعرف عند أهل
دمياط بالجروم واحدها جرم وتصير مراكب بحر الملح واقفة بأخر البحر قريبا من ملتقى
البحرين ويزعّم أهل دمياط الآن أن سبب امتناع دخول مراكب البحر جبل في فم البحر
أو رمل يتربى هناك وهذا قول باطل حملهم عليه ما يجدونه من تلاف المراكب اذا هجمت
على هذا المكان وجهلهم باحوال الوجود وما مر من الوقائع والى يومنا هذا يخاف على
المراكب عند ورودها فم البحر وكثيرا ماتلف فيه * وقد سرت اليه حتى شاهده ورأته
من أعجب ما يراه الانسان * وأما دمياط الآن فانها حدثت بعد تخريب مدينة دمياط وعمل
هناك أخصاص وما برحت تزداد الى أن صارت بلدة كبيرة ذات أسواق وحمامات وجوامع
ومدارس ومساجد ودورها تشرف على النيل الاعظم ومن ورائها البساتين وهي أحسن
بلاد الله منظرا * وقد أخبرني الامير الوزير المشير الاستادار بلبغا السالمي رحمه الله أنه لم
يرفي البلاد التي سلكها من سمرقند الى مصر أحسن من دمياط هذه فظننت أنه يغلو في

مدحها الى أن شاهدها فإذا هي أحسن بلد وأنزهه * وفيها أقول

سقى عهد دمياط وحياء من عهد * فقد زادت ذكرا ووجدت على وجد
ولا زالت الانواء تسقى سحابها * ديارا حكمت من حشنها جنة الخلد
فيا حسن هاتيك الديار وطيبها * فكم قد حوت حشنا مجل عن العد
فله أنهار تحف بروضها لككا * لم رهف المصقول أو صفحة الخلد
وبشنيها الريان يحكي متبا * تبدل من وصل الاحبة بالصد
فقام على رجليه في الدمع غارقا * يراعي نجوم الليل من وحشة الفقد
وظل على الاقدام تحسب انه * لطلو انتظار من حبيب على وعد
ولا سيما تلك النواوير انها * تجدد حزن الواله المدتف الفرد
اطارحها شجوى وصارت كأنما * تطارح شكواها بمثل الذي أبدى
فقد خلتها الافلاك فيها نجومها * تدور بمحض النفع منها وبالسعد
وفي البرك الغراء يا حسن توفر * حلا وغدا بالزهو يسطو على الورد
سما من البلور فيها كواكب * عجيبه صبغ اللون بحكمة التضد
وفي شاطئ النيل المقدس نزهة * تعيد شباب الشيب في عيشه الرغد
وتنشئ رياحا تطرد الهم والاسى * وتنشئ ليالي الوصل من طيبها عندي
وفي مرج البحرين جم عجائب * تلوح وتبدو من قريب ومن بعد
كان التقاء النيل بالبحر اذ غدا * مليكان سارا في الحجاجل من جند
وقد نزلا للحرب واحتدم اللقا * ولا طعن الا بالثقفة الملد
فضلا كما باتا وما برحا كما * هامن جليل الخطب في اعظم الجهد
فكم قد مضى لي من افاين لذة * بشاطئها العذب الشهي لذي الورد
وكم قد نعمنا في البساتين برهة * بعيش هني في أمان وفي سعد
وفي البرزخ المائوس كم لي خلوة * وعند شطا عن أيمن العلم الفرد
هناك ترى عين البصيرة ما ترى * من الفضل والافصال والخير والمجد
فيارب هي لي بفضلك عودة * ومن بها في غير بلوى ولا جهد

وبدمياط حيث كانت المدينة التي هدمت جامع من أجل مساحد المسلمين تسميه العامة
مسجد فتح وهو المسجد الذي أسسه المسلمون عند فتح دمياط أول ما فتح الله أرض مصر
علي يد عمرو بن العاص وعلي بابة مكتوب بالقلم الكوفي انه عمر بعد سنة خمسمائة من
الهجرة وفيه عدة من عمد الرخام منها ما يعز وجود مثله وانما عرف بجامع فتح لنزول
شخص يقال له فاتح به فقالت العامة جامع فتح وانما هو فاتح بن عثمان الاسمر الشكروري

قدم من مرأى كش الى دمياط على قدم التجريد وسقى بها الماء في الاسواق احتساباً من غير أن يتناول من أحد شيئاً ونزل في ظاهر الثغر ولزم العلاة مع الجماعة وترك الناس جميعاً ثم أقام بناحية تونة من بحيرة تنيس وهى خراب نحو سبع سنين ورم مسجدها ثم انتقل من تونة الى جامع دمياط وأقام فى وكر بأسفل المنارة من غير أن يخاطب أحداً الا اذا أقيمت الصلاة خرج وصلى فاذا سلم الامام عاد الى وكره فان عارضه أحد بحديث كله وهو قائم بعد انصرافه من الصلاة وكانت حاله أبداً اتصالاً في انفصال وقرباً في امتداد وأنساً فى نفار وحج فكان يفارق أصحابه عند الرحيل فلا يروونه الا وقت المنزول ويكون سيره منفرداً عنهم لا يكلم أحداً الى أن عاد الى دمياط فأخذ في ترميم الجامع وتنظيفه بنفسه حتى نقى ما كان فيه من الوطواط بسقوفه وساق الماء الى صهاريجيه وبلط صحنه وسبك سطحه بالجبس وأقام فيه وكان قبل ذلك من حين خربت دمياط لا يفتح الا فى يوم الجمعة فقط فرتب فيه اماماً راتباً يصلى الخمس وسكن فى بيت الخطابة وواظب على اقامة الاوراد به وجعل فيه قراء يتلون القرآن بكرة وأصيلاً وقرر فيه رجلاً يقرأ ميعاداً يذكر الناس ويعلمهم وكان يقول لو علمت بدمياط مكاناً أفضل من الجامع لاقت به ولو علمت فى الارض بلداً يكون فيه الفقير أخمل من دمياط لرحلت اليه وأقت به وكان اذا ورد عليه أحد من الفقراء ولا يجد ما يطعمه باع من لباسه ما يضيفه به وكان يبيت ويصيح وليس له معلوم ولا ما يقع عليه العين أو تسمعه الاذن وكان يؤثر فى السر الفقراء والارامل ولا يسأل أحداً شيئاً ولا يقبل غالباً واذا قبل ما يفتح الله عليه أثر به وكان يبذل جهده فى كتم حاله والله تعالى يظهر خيره وبركته من غير قصد منه لذلك وعرفت له عدة كرامات وكان سلوكه على طريق السلف من التمسك بالكتاب والسنة والثغور عن الفتنة وترك الدعاوى واطراحها وستر حاله والتحفظ فى أقواله وأفعاله وكان لا يرافق أحداً فى الليل ولا يعلم أحد يوم صومه من يوم فطره ويجعل دائماً قول ان شاء الله تعالى مكان قول غيره والله ثم إن الشيخ عبد العزيز الدميرى أشار عليه بالنكاح وقال له النكاح من السنة فتزوج فى آخر عمره بامرأتين لم يدخل على واحدة منهما نهراً البتة ولا أكل عندهما ولا شرب قط وكان ليله ظرفاً للعبادة لسكنه يأتي اليهما أحياناً وينقطع أحياناً لاستغراق زمنه كله فى القيام بوظائف العبادات وإيتار الخلوة وكان خواص خدمه لا يعملون بصومه من فطره وانما يحمل اليه ماياً كل ويوضع عنده بالخلوة فلا يرى قط آكلاً وصكان يحب الفقر ويؤثر حال المسكنة ويتطرح على الحمول والجفا ويتواضع مع الفقراء ويتعاطف على العظماء والاغنياء وكان يقرأ فى المصحف ويطالع الكتب ولم يره أحد يخط بيده شيئاً وكانت تلاوته للقرآن يخشوع وتدبر ولم يعمل له سجادة قط ولا أخذ على أحد عهداً ولا لبس طاقية ولا

قال أنا شيخ وأنا فقير ومضى قال في كلامه أنا تفطن لما وقع منه واستعاذ بالله من قول أنا ولا حضر قط سماعاً ولا أنكر على من يحضره وكان سلوكه صلاحاً من غير إصلاح ويبالغ في الترفع على أبناء الدنيا ويتراحمي على الفقراء ويقدم لهم الأكل ولم يقدم الغني أكل البتة وإذا اجتمع عنده الناس قدم الفقير على الغني وإذا مضى الفقير من عنده سار معه وشيعه عدة خطوات وهو حاف بفقر نعل ووقف على قدميه بنظره حتى يتوارى عنه ومن كان من الفقراء يشار إليه بمشيخة جالس بين يديه بأدب مع امامته وتقدمه في الطريق ويقول ما أقول لاحد اقبل أولاً تفعل من أراد السلوك يكفيه أن ينظر الى أفعاله فإن من لم يتسلط بنظره لا يتسلط بسمعه وقال له شخص من خواصه ياسيدي ادع الله لنا أن يفتح علينا ففتح فقراء فقال ان أردتم فتح الله فلا تبقوا في البيت شيئاً ثم اطلبوا فتح الله بعد ذلك فقد جاء لا تسأل الله ولك خاتم من حديد ومن كلامه الفقير بحال البكر اذا سأل زالت بكارته وسأله بعد خواصه أن يدعو له بسعة وشكاه الضيق فقال أنا ما أدعوك بسعة بل أطلب لك الأفضل والأكمل وكان مع اشتغاله بالعبادة واستغراق أوقاته فيها لا يفقل عن صاحبه ولا ينسى حاجته حتى يقضيها ويلتزم الوفاء لأصحابه ويحسن معاشرتهم ويعرف احوال الناس على طبقاتهم ويعظم العلم ويكرم الايتام ويشفق على الضعفاء والارامل ويبدل شفاعته في قضاء حوائج الخاص والعام من غير أن يمل ولا يتبرم بكثرة ذلك ويكثر من الاثارة في السر ولا يسك لنفسه شيئاً ويستقل مامنه مع كثرة احسانه ويستكثر ما يدفع اليه وان كان يسيراً ويكافئ عليه باحسن منه ولم يصحب قط أميراً ولا وزيراً بل كان في سلوكه وطريقه يرفع في تواضع ويمرر مع مسكنة وقرب في ابتعاد واتصال في انفصال وزهد في الدنيا وأهلها وكان أكبر من خبره ومن دعائه لنفسه ولمن يسأل له الدعاء اللهم بعدنا عن الدنيا وأهلها وبعدها عنا وما زال على ذلك الى أن مات آخر ليلة أسفروا صباحها عن الثامن من شهر ربيع الآخر سنة خمس وتسعين وستمائة وترك ولدين ليس لهما قوت ليلة وعليه مبلغ ألفي درهم ديناً ودفن بجوار الجامع وقبره يزار الى يومنا هذا

ذكر شطا

شطا مدينة عند تنيس ودمياط واليهما تنسب الثياب الشطوية ويقال انها عرفت بشطا بن الهاموك وكان أبوه خال المقوقس وكان على دمياط فلما فتح الله الحصن على يد عمرو بن العاص واستولى على أرض مصر جهز بمثل فتح دمياط فنازلوها الى أن ملكوا سور المدينة فخرج شطا في ألفين من اصحابه ولحق بالمسلمين وقد كان قبل ذلك يحب الخير ويميل الى ما يسمعه من سيرة أهل الاسلام ولما ملك المسلمون دمياط امتنع عليهم صاحب تنيس فخرج شطا الى البرلس والدميرة وأشعوم طنح يستنجد فجمع الناس لقتال أهل تنيس وسار بهم مع

من كان بدمياط من المسلمين ومن قدم مددا من عند عمرو بن العاص الى قتال أهل تنيس فالتقى الفريقان وأبلى شطا منهم بلاء حسنا وقتل من أبطال تنيس اثني عشر رجلا واستشهد في ليلة الجمعة النصف من شعبان سنة احدى وعشرين من الهجرة فقبر حيث هو الآن خارج دمياط وبني على قبره وضار الناس يجتمعون هناك في ليلة النصف من شعبان كل عام ويقدون للحضور من القرى وهم على ذلك الى يومنا هذا وكانت تعمل كسوة الكعبة بشطا قال الفاكهى ورأيت فيها كسوة من كسا أمير المؤمنين هرون الرشيد من قباطى مصر مكتوبا عليها بسم الله بركة من الله لعبد الله هرون أمير المؤمنين أطال الله بقاءه مما أمر الفضل بن الربيع مولى أمير المؤمنين بصنعه في طراز شطا كسوة الكعبة سنة احدى وتسعين ومائة* ومن المواضع المشهورة بدمياط* (البرزخ)* وهو مسجد بحيرة دمياط تسميه العامة البرزخ ولا أعرف مستخدمهم في ذلك وشاهدت فيه عجبا وهو أن به منارة كبيرة مبنية من الآجر اذا هزها أحد اهتزت فلما صعدت أعلاها حيث يقف المؤذنون وحركتها رأيت ظلها قد تحرك تحريكها ويوجد حول هذا المسجد روم أموات يشبه أن تكون ممن استشهد في وقائع الفرنج والله يعلم وأنتم لا تعلمون* (ديبق)* قرية من قرى دمياط ينسب اليها الثياب المثقلة والعمائم الشرب الملونة والديبقي العلم المذهب وكانت العمائم الشرب المذهبة تعمل بها ويكون طول كل عمامة منها مائة ذراع وفيها رقات منسوجة بالذهب فتبلغ العمامة من الذهب خمسمائة دينار سوى الحرير والغزل وحدثت هذه العمائم وغيرها في أيام العزيز بالله بن المعز سنة خمس وستين وثلثمائة الى أن مات في شعبان سنة ست وثمانين وثلثمائة* (التحريرية)* قرية من الاعمال الغربية أسس حكرها الامير شمس الدين سنقر السعدى ثقيب الحيش في أيام الناصر محمد بن قلاوون وبلغ في عمارتها قبلت في أيامه عشرة آلاف درهم فضة ثم خرج عنها فعمرت للسلطان واتسع أمرها حتى أنشئ فيها زيادة على ثلاثين بستانا ووصل حكرها لكثرة سكانها الى ألف درهم فضة لكل فدان وصارت بلدا كبيرا العمل يبلغ في السنة ما بين خراجي وهلالى ثلثمائة ألف درهم فضة عنها خمسة عشر ألف دينار ذهباً ومات سنقر هذا في سنة ثمان وعشرين وسبعمائة واليه تنسب المدرسة السعدية بخط حدره البقر خارج باب زويلة* (جزيرة بني نصر)* منسوبة الى بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن وذلك أن بني حماس بن ظالم بن جميل بن عمرو بن درهمان بن نصير بن معاوية بن بكر بن هوازن كانت لهم شوكة شديدة بأرض مصر وكثروا حتى ملأوا أسفل الأرض وغلبوا عليها حتى قويت عليهم قبيلة من البربر تعرف بلوالة ولوالة تزعم انها من قيس فأجلت بني نصر وأسكنتها الجدار فصاروا أهل قرى في مكان عرف بهم وسط النيل وهى جزيرة بني نصر هذه

ذكر الطريق فيما بين مدينة مصر ودمشق

اعلم أن البريد أول من رتب دوابه الملك دارا بن بهمن بن كيشناسف بن كيهراسف أحد ملوك الفرس وأما في الاسلام فأول من أقام البريد أمير المؤمنين المهدي محمد بن أبي جعفر المنصور أقامه فيما بين مكة والمدينة واليمن وجعله بغالا وابلا وذلك في سنة ست وستين ومائة وأصل الكلمة بريد ذنب فان دارا أقام في سكك البريد دواب محذوفة الاذنان سميت بريد ذنب ثم عربت وحذف منها نصفها الاخير فقليل بريد وهذا الدرب الذي الذي يسلكه العساكر والتجار وغيرهم من القاهرة على الرمل الى مدينة غزة ليس هو الدرب الذي يسلك في القديم من مصر الى الشام ولم يحدث هذا الدرب الذي يسلك فيه من الرمل الآن الا بعد الحسمانة من سني الهجرة عندما انقرضت الدولة الفاطمية وكان الدرب أولا قبل استيلاء الفرنج على سواحل البلاد الشامية غير هذا قال أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خردادويه في كتاب المسالك والممالك وصفة الارض والطريق من دمشق الى الكسوة اثنا عشر ميلا ثم الى جاسم أربعة وعشرون ميلا ثم الى فيق أربعة وعشرون ميلا ثم الى طبرية مدينة الاردن ستة أميال ومن طبرية الى اللجون عشرون ميلا ثم الى القلنسوة عشرون ميلا ثم الى الرملة مدينة فلسطين أربعة وعشرون ميلا والطريق من الرملة الى ازدود اثنا عشر ميلا ثم الى غزة عشرون ميلا ثم الى العريش أربعة وعشرون ميلا في رمل ثم الى الورداء ثمانية عشر ميلا ثم الى أم العرب عشرون ميلا ثم الى الفرما أربعة وعشرون ميلا ثم الى جرير ثلاثون ميلا ثم الى القاصرة أربعة وعشرون ميلا ثم الى مسجد قضاة ثمانية عشر ميلا ثم الى بليس أحد وعشرون ميلا ثم الى القسقاط مدينة مصر أربعة وعشرون ميلا فهذا كما ترى انما كان الدرب السلوك من مصر الى دمشق على غير ما هو الآن فيسلك من بليس الى الفرما في البلاد التي تعرف اليوم ببلاد السباخ من الحوف ويسلك من الفرما وهي بالقرب من قطية الى أم العرب وهي بلاد خراب على البحر فيما بين قطية والورداء ويقصدها قوم من الناس ويحفرون في كيانها فيجدون دراهم من فضة خالصة ثقيلة الوزن كبيرة المقدار ويسلك من أم العرب الى الورداء وكانت بلدة في غير موضعها الآن قد ذكرت في هذا الكتاب فلما خرج الفرنج من بحر القسطنطينية في سنة تسعين وأربعمائة لاخذ البلاد من أيدي المسلمين وأخذ بغداد والشوبك وعمره في سنة تسع وخمسمائة وكان قد خرب من تقادم السنين وأغار على العريش وهو يومئذ عامر بطل السفر حينئذ من مصر الى الشام وصار يسلك على طريق البر مع العرب مخافة الفرنج الى أن استنقذ السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بيت المقدس من أيدي الفرنج في سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة وأكثر من الايقاع بالفرنج واقتتح منهم عدة بلاد بالساحل

وصار يسلك هذا الدرب على الرمل فسلكه المسافرون من حيثئذ الى أن ولى ملك مصر الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب فأنشأ بأرض السباخ على طرف الرمل بلدة عرفت الى اليوم بالصالحية وذلك في سنة أربع وأربعين وستمائة وصار ينزل بها ويقيم فيها ونزل بها من بعده الملوك فلما ملك مصر الملك الظاهر بيبرس البندقدارى رتب البريد في سائر الطرقات حتي صار الخبر يصل من قلعة الجبل الى دمشق في أربعة أيام ويعود في مثلها فصارت أخبار الممالك ترد اليه في كل جمعة مرتين ويتحكم في سائر ممالكه بالعزل والولاية وهو مقيم بالقلعة وأنفق في ذلك مالا عظيما حتي تم تربيته وكان ذلك في سنة تسع وخمسين وستمائة وما زال أمر البريد مستمرا فيما بين القاهرة ودمشق يوجد بكل مركز من مرا كزه عدة من الخيول المعدة للركوب وتعرف بخيل البريد وعندها عدة سواس ولاخيل رجال يعرفون بالسواقين وأحدهم سواق يركب مع من رسم بركوبه خيل البريد ليسوقه لفرسه ويخذه مدة مسيره ولا يركب أحد خيل البريد الا بمرسوم سلطاني فتارة يمنع الناس من ركوبه الا من انتدبه السلطان لمهامه وتارة يركبه من يريد السفر من الاعيان بمرسوم سلطاني وكانت طرق الشام عامرة يوجد بها عند كل بريد ما يحتاج اليه المسافر من زاد وعلف وغيره ولكثرة ما كان فيه من الامن أدركنا المرأة تسافر من القاهرة الي الشام بمفردها را كبة أو ماشية لا تحمل زاداً ولا ماء فلما أخذ تيمورلنك دمشق وسبي أهلها وحرقها في سنة ثلاث وثمانمائة خربت مرا كز البريد واشتغل أهل الدولة بما نزل بالبلاد من الحن وما دهبوا به من كثرة الفتن عن اقامة البريد فاختلف بانقطاعه طريق الشام خلافا فاحشاً والامر على ذلك الي وقتنا هذا وهو سنة ثمان عشرة وثمانمائة

ذكر مدينة حطين

هذه المدينة آثارها الي اليوم باقية فيما بين حبة والعاقولة بأرض الماقولة فيما بين قطيه والعريش تجاهها بميل ماء عذب تسميه العرب أبا العروق وهو شرقيها وهذه المدينة تنسب الى حطين ويقال حطى بن الملك أبي جاد المدني وأهل قطية اليوم يسمون تلك الارض ببلاد حطين والجفر وملك حطين هذا أرض مصر بعد موت أبيه وكان صاحب حرب ويطش وكان ينزل بقلعة في جبال الاردن قريباً من طبرية واليه تنسب قرية حطين التي بها الآن قبر شعيب بالقرب من صفد

ذكر مدينة الرقة

هذه المدينة من جملة مدائن مدين فيما بين بحر القلزم وجبل الطور كان بها عندما خرج موسى عليه السلام بنبي اسرائيل من مصر قوم من لحم آل فرعون يعبدون البقر واياهم

عني الله بقوله تعالى وجاوزنا بني اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم
الآية قال قتادة أولئك القوم من لحم وكانوا نزولا بالركة وقيل كانت أصنامهم تماثيل البقر
ولهذا أخرج لهم السامري مجلا وآثار هذه المدينة باقية الى اليوم فيما بقي من مدينة فاران
والقلمز ومدين وأيلة تمر بها الاعراب

ذكر عين شمس

وكان يقال لها في القديم رعمساس وكانت عين شمس هيكلًا يحج الناس اليه ويقصدونه
من أقطار الارض في جملة ما كان يحج اليه من الهياكل التي كانت في قديم الدهر ويقال ان
الصابئة أخذت هذه الهياكل عن عاد ونموذ ويزعمون أنه عن شيث بن آدم وعن هرمس
الاول وهو ادريس وان ادريس هو أول من تكلم في الجواهر العلوية والحركات النجومية
وبني الهياكل ومجد الله فيها ويقال ان الهياكل كانت عدتها في الزمن الغابر اثني عشر هيكلًا
وهي هيكل العلة الاولى وهيكل العقل وهيكل السياسة وهيكل الصورة وهيكل النفس وكانت
هذه الهياكل الخمسة مستديرات والهيكل السادس هيكل زحل وهو مسدس وبعده هيكل
المشتري وهو مثلث ثم هيكل المريخ وهو مربع وهيكل الشمس وهو أيضاً مربع وهيكل
الزهرة وهو مثلث مستطيل وهيكل عطارد مثلث في جوف مربع مستطيل وهيكل القمر
مثنى وعللوا عبادتهم للهياكل بأن قالوا لما كان صانع العالم مقدساً عن صفات الحدوث وجب
العجز عن ادراك جلاله وتعين أن يتقرب اليه عباده بالمقربين لديه وهم الروحانيون ليشفعوا
لهم ويكونوا وسائط لهم عنده وعنوا بالروحانيين الملائكة وزعموا أنها المدبرات للكوناكب
السبعة السيارة في أفلاكها وهي هياكلها وأنه لا بد لكل روحاني من هيكل ولا بد لكل
هيكل من فلك وأن نسبة الروحاني الى الهيكل كنسبة الروح الى الجسد وزعموا أنه لا بد
من رؤية المتوسط بين العباد وبين بارئهم حتى يتوجه اليه العبد بنفسه ويستفيد منه ففزعوا
الى الهياكل التي هي السيارات ففزعوا بيوتها من الفلك وعرفوا مطالعها ومقاربها واتصالاتها
وما لها من الايام والليالي والساعات والاشخاص والصور والاقليم وغير ذلك مما هو معروف
في موضعه من العلم الرياضي وسموا هذه السبعة السيارة أرباباً وألهة وسموا الشمس اله
الآلهة ورب الارباب وزعموا أنها المقيضة على السنة أنوارها والمظهرة فيها أنوارها فكانوا
يتقربون الى الهياكل تقرباً الى الروحانيين لتقربهم الى الباري لزعيمهم أن الهياكل أبدان
الروحانيين وكل من تقرب الى شخص فقد تقرب الى روحه وكانوا يصلون لكل كوكب
يوماً يزعمون أنه رب ذلك اليوم وكانت صلاتهم في ثلاثة أوقات الاولى عند طلوع الشمس
والثانية عند استوائها في الفلك والثالثة عند غروبها فيصلون لزحل يوم السبت وللمشتري
يوم الاحد وللمريخ يوم الاثنين وللشمس يوم الثلاثاء وللزهرة يوم الاربعاء ولعطارد يوم

الخميس وللقمر يوم الجمعة ويقال انه كان ببلخ هيكل بناء بنو حمير على اسم القمر اتعارض به الكعبة فكانت الفرس تحجه وتكسوه الحرير وكان اسمه نوهر فلما تمجست الفرس عملته بيت نار وقيل للموكل بسدانه برك يعني والى مكة وانتهت البركة الى جد خلد جد جعفر بن يحيى بن خالد فأسلم على يد هشام بن عبد الملك وسماه عبد الله وخرب هذا الهيكل قيس بن الهيثم في أول خلافة معاوية سنة احدى وأربعين وكان بناء عظيما حوله أروقة وثلاثمائة وستون مقصورة لسكن خدامه وكان بصنعاء قصر غمدان من بناء الضحاك وكان هيكل الزهرة وهدم في خلافة عثمان بن عفان وكان بالاندلس في الجبل الفارق بين جزيرة الاندلس والارض السكيره هيكل المشتري من بناء كلوبطرة بنت بطليموس وكان بفرغانة بيت يقال له كلوسان هيكل للشمس بناء بعض ملوك فارس الأول خربه المعتصم وقد اختلف فيمن بني هيكل عين شمس وساقص من أخباره ما لم أره مجموعا في كتاب * قال ابن وصيف شاء وقد كان الملك منقاوس اذا ركب عملوا بين يديه التخايل العجيبة فيجتمع الناس ويعجبون من أعمالهم وأمر أن يبنى له هيكل للعبادة يكون له خصوصا ويجعل فيه قبة فيها صورة الشمس والكواكب وجعل حولها أصناما وعجائب فكان الملك يركب اليه ويقم فيه سبعة أيام وجعل فيه عمودين زبر عليهما تاريخ الوقت الذي عمله فيه وها باقمان الى اليوم وهو الموضع الذي يقال له عين شمس ونقل الى عين شمس كنوزا وجواهر وطلسمات وعقاقير وعجائب ودفعها بها وبنواحيها وأقام منكا احدى وتسعين سنة ومات من الطاعون وقيل من سم وعمل له نائوس في صحراء الغرب وقيل في عربي قوص ودفن معه مصاحف الحكمة والصنعة وتماثيل الذهب والجواهر ومن الذهب المضروب شئ كثير ودفن معه تمثال روحاني الشمس من ذهب يلمع وله جناحان من زبرجد وصنم على صورة امرأته وكان يحبها فلما ماتت أمر أن تعمل صورتها في الهياكل كلها وعمل صورتها من ذهب بذؤابتين سوداوين وعليها حلة من جواهر منظومة وهي جالسة على كرسي وكان يجلسها بين يديه في كل موضع يجلس فيه يتسلى بذلك عنها فدقت هذه الصورة معه تحت رجليه كأنها تخاطبه * وقال الحكيم الفاضل أحمد بن خليفة في كتاب عيون الانباء في طبقات الاطباء واشتاق فياغورس الى الاجتماع بالسكينة الذين كانوا بمصر فورد على أهل مدينة الشمس المعروفة في زماننا بعين شمس فقبلوه قبولا كريها وامتحنوه زمانا فلم يجدوا عليه نقصا ولا تقصيرا فوجهوا به الى كهنة منف كي يبالغوا في امتحانه فقبلوه على كراهة واستقصوا امتحانه فلم يجدوا عليه مميا ولا أصابوا له عثرة فبعثوا به الى أهل ديبوسوس ليمتحنوه فلم يجدوا عليه طريقا ولا الى ادحاضه سبيلا ففرضوا عليه قرائض صعبة كيما يتمتع من قبولها فيدحضوه ويحرموه طلبته مخالفة لقرائض اليونانيين فقبل ذلك وقام به فاشتهد

اعجابهم به وفشا بمصر ورعه حتى بلغ ذكره الى أماسيس ملك مصر فأعطاه سلطانا على ضحايا
 الرب وعلى سائر قراينهم ولم يعط ذلك لغريب قط ويقال انه كان للكوكب السبعة السيارة
 هياكل تخرج الناس اليها من سائر أقطار الدنيا وضعها القدماء فجعلوا على اسم كل كوكب هيكلا
 في ناحية من نواحي الارض وزعموا أن البيت الاول هو السكبة وانه مما أوصى ادريس الذي
 يسمونه هرمس الاول المثلث أن يخرج اليه وزعموا أنه منسوب لزحل والبيت الثاني بيت
 المريخ وكان بمدينة صور من الساحل الشامي والبيت الثالث للمشتري وكان بدمشق بناء
 جيرون بن سعد بن عاد وموضعه الآن جامع بني أمية والبيت الرابع بيت الشمس بمصر ويقال
 انه من بناء هرشيك أحد ملوك الطبقة الاولى من ملوك الفرس وهو المسمى بعين شمس
 والبيت الخامس بيت الزهرة وكان بمتيح والبيت السادس بيت عطارد وهو بصيدامن ساحل
 البحر الشامي والبيت السابع بيت القمر وكان بحران ويقال انه قلعها ويسمى المدور ولم يزل
 عامرا الى أن خربه التتر ويقال انه كان هو هيكل الصابئة الاعظم * وقال شافع بن علي في
 كتاب عجائب البلدان وعين شمس مدينة صغيرة تشاهد سورها محذبا مهودما ويظهر من
 أمرها انها كانت بيت عبادة وفيها من الاصنام الهائلة العظيمة الشكل من نحت الحجارة
 ما يكون طول الصنم بقدر ثلاثين ذراعا واعضاؤه على تلك النسبة من العظم وكل هذه الاصنام
 قائمة على قواعد وبعضها قاعد على نصبات عجبية واتقانات محكمة وباب المدينة موجود الى
 الآن وعلى معظم تلك الحجارة تصاوير على شكل الانسان وغيره من الحيوان وكتابة كثيرة
 بالقلم المجهول وقلما ترى حجرا خلا عن كتابة أو نقش أو صورة وفي هذه المدينة السلطان
 المشهورتان وتسميان مسلي فرعون وصفة المسلة قاعدة مربعة طولها عشرة أذرع في مثلها
 عرضا في نحوها سمكا قد وضعت على أساس ثابت في الارض ثم أقيم عليها عمود مثلث
 مخروط يذيف طوله على مائة ذراع يتدنى من القاعدة ببسطة قطرها خمسة أذرع وينتهي الى
 نقطة وقد لبس رأسها بقلنسوة نحاس الى نحو ثلاثة أذرع منها كالقمع وقد ترنجر بالمطر وطول
 المدة واخضر وسال من خضرته على بسيط المسلة وكلها عليها كتابات بذلك القلم وكانت
 السلطان قائمتين ثم خربت احدها وانصدعت من نصفها لعظم الثقل وأخذ النحاس من رأسها
 ثم ان حولها من الاصنام شيئا كثيرا لا يحصى عدده على نصف تلك العظمى أو يلبها وقلما
 يوجد في هذه المسال الصغار ما هو قطعة واحدة بل فصوصها بعضها على بعض وقد تهدم
 أكثرها وانما بقيت قواعدها * وقال محمد بن ابراهيم الجزري في تاريخه وفي رابع شهر
 رمضان يعني من سنة ست وخسين وستائة وقعت احدى مسلي فرعون التي بأراضي المطرية
 من ضواحي القاهرة فوجدوا داخلها مائتي قطار من نحاس وأخذ من رأسها عشرة آلاف
 دينار * ويقال ان عين شمس بناها الوليد بن دوع من الملوك العماليق وقيل بناها الريان بن الوليد

وكانت سرير ملكه والفرس تزعم أن هرشيك بناها * ويقال طول العمودين مائة ذراع وقيل أربعة وثمانون ذراعا وقيل خمسون ذراعا ويقال أن نحت نصر هو الذي خرب عين شمس لما دخل إلى مصر وقال القضاعي وعين شمس وهي هيكل الشمس بها العمودان اللذان لم ير أعجب منهما ولا من شأنهما طولهما في السماء نحو من خمسين ذراعا وهما محمولان على وجه الأرض وبينهما صورة إنسان على دابة وعلى رأسهما شبه الصومعتين من نحاس فإذا جاء النيل قطر من رأسيهما ما تستينيه وتراه منهما واضحا ينبع حتى يجري من أسفلهما فينبت في أصلهما العوسج وغيره وإذا دخلت الشمس دقيقة من الجدى وهو أقصر يوم في السنة انتهت إلى الجنوبي منها فطلعت عليه على قمة رأسه ثم إذا دخلت دقيقة من السرطان وهو أطول يوم في السنة انتهت إلى الشمالي منها فطلعت على قمة رأسه وهما منتهى الميلىن وخض الاستواء في الواسطة منهما ثم خطرت بينهما ذاهبة وجاثية سائر السنة كذا يقول أهل العلم بذلك * وقال ابن سعيد في كتاب المغرب وكانت عين شمس في قديم الزمان عظمة الطول والعرض متصلة البناء بمصر القديمة حيث مدينة الفسطاط الآن ولما قدم عمرو بن العاص نازل عين شمس وكان جمع القوم حتى فتحها * وقال جامع السيرة الطولية كان بعين شمس صنم بمقدار الرجل المعتدل الخلق من كدان أبيض محكم الصنعة يخيل من استعرضه أنه ناطق فوصف لاحد بن طولون فاشتاق إلى تأمله فهاه ندوسة عنه وقال مارآه والقط الاعزل فركب إليه وكان هذا في سنة ثمان وخمسين ومائتين وتأمله ثم دعا بالقطاعين وأمرهم باجتماعه من الأرض ولم يترك منه شيئاً ثم قال لندوسة خازنه ياندوسة من صرف منا صاحبه فقال أنت أيها الأمير وعاش بعدها أحمد ثاني عشرة سنة أميرا * وبني العزيز بالله نزار بن المعز قصورا بعين شمس * وقال أبو عبيد البكري عين شمس بفتح الشين واسكان ثانيه بعده سين مهملة عين ماء معروفة قال محمد بن حبيب عين شمس حيث بني فرعون الصرح وزعم قوم أن عين شمس إلى هذا الماء اضيف وأول من سمى هذا الاسم سبا بن يشجب وذكر الكلبي أن شمسا الذي تسموا به صنم قديم وقال ابن خردادبه واسطوانتين بعين شمس من أرض مصر ومن بقايا أساطين كانت هناك في رأس كل اسطوانة طوق من نحاس يقطر من أحدها ماء من تحت الطوق إلى نصف الاسطوانة لا يجاوزه ولا ينقطع قطره ليلا ولا نهارا فموضعه من الاسطوانة أخضر رطب ولا يصل الماء إلى الأرض وهو من بناء أوسهك * وذكر محمد بن عبد الرحيم في كتاب تحفة الالباب أن هذا المنار مربع علوه مائة ذراع قطعة واحدة محمد الرأس على قاعدة من حجر وعلى رأس المنار غشاء من صفر كالذهب فيه صورة إنسان على كرسي قد استقبل المشرق ويخرج من تحت ذلك الغشاء الصفر ماء يسيل مقدار عشرة أذرع وقد نبت منه شيء كالطلح فلا يبرح لمعان الماء على تلك الخضرة أبدا

صيفا وشتاء لا ينقطع ولا يصل الى الارض منه شيء وبعين شمس نبت يزرع كالفقضان يسمى
 البلسم يتخذ منه دهن البلسان لا يعرف بمكان من الارض الا هناك وتؤكل لحى هذه القضان
 فيكون له طعم وفيه حرارة وحراقة لذينة وبناحية المطرية من حاضرة عين شمس البلسان
 وهو شجر قصار يسقى من ماء بئر هناك وهذه البئر تعظمها النصارى وتقصدوها وتقتسل
 بمائها وتستشفى به ويخرج لاعتصار البلسان أو ان ادراكه من قبل السلطان من يتولى
 ذلك ويحفظه ويحمل الى الخزانة السلطانية ثم ينقل منه الى قلاع الشام والمساكنات
 لمعالجة المبرودين ولا يؤخذ منه شيء الا من خزانة السلطان بعد أخذ مرسوم بذلك وملوك
 النصارى من الحبشة والروم والفرنج فيه غلو عظيم وهم يتهدونه من صاحب مصر ويرون
 أنهم لا يصح عندهم لاحد أن يتصر الى أن ينغمس في ماء المعمودية ويعتقدون انه لا بد
 أن يكون في ماء المعمودية شيء من دهن البلسان ويسمونه الميرون وكان في القديم اذا وصل
 من الشام خبر انتهى الى صاحب عين شمس ثم يرد من عين شمس الى الحصن الذي
 عرف بقصر الشمع حيث الآن مدينة مصر ثم يرد من الحصن الى مدينة منف حيث كانت
 منف تحت الملك وسبب تعظيم النصارى لدهن البلسان ما ذكره في كتاب التنكسار وهو
 يشتمل على أخبار النصارى أن المسيح لما خرجت به أمه ومعهما يوسف التجار من بيت
 المقدس فرارا من هيرودس ملك اليهود نزلت به أول موضع من أرض مصر مدينة بسطة
 في رابع عشري بشنس فلم يقبلهم أهلها فنزلوا بظاهرها وأقاموا أياما ثم ساروا الى مدينة
 سمود وعدوا النيل الى الغربية ومشوا الى مدينة الاشموين وكان بأعلاها اذ ذاك شكل
 فرس من نحاس قائم على أربعة أعمدة فاذا قدم اليها غريب سهل فخاؤا ونظروا في أمر
 القادم فعند ما وصلت مريم بالمسيح عليه السلام الى المدينة سقط الفرس المذكور وتكسر
 فدخلت به أمه وظهرت له عليه السلام في الاشموين آية وهو أن خمسة جمال محملة زاحتهم
 في مرورهم فصرخ فيها المسيح في الاشموين فصارت حجارة ثم انهم ساروا من الاشموين
 وأقاموا بقرية تسمى فيلس مدة أيام ثم مضوا الى مدينة تسمى قس وقام وهي التي يقال لها
 اليوم القوصية فنطق الشيطان من أجواف الاصنام التي بها وقال ان امرأة أتت ومعها ولدها
 يريدون أن ينجروا بيوت معابكم فخرج اليهم مائة رجل بسلاحهم وطردهم عن المدينة
 فمضوا الى ناحية ميرة في غربي القوصية ونزلوا في الموضع الذي يعرف اليوم بدير المحرق
 وأقاموا به ستة أشهر وأياما فرأى يوسف التجار في منامه قائلا يخبره بموت هيرودس وبأمره
 أن يرجع بالمسيح الى القدس فعادوا من ميرة حتى نزلوا حيث الموضع الذي يعرف اليوم
 في مدينة مصر بقصر الشمع وأقاموا بمغارة تعرف اليوم بكنيسة بوسرجة ثم خرجوا منها
 الى عين شمس فاستراحوا هناك بجوار ماء فغسلت مريم من ذلك الماء ثياب المسيح وقد

انسخت وصبت غسالتها بتلك الاراضي فأثبت الله هنالك اللسان وكان اذ ذاك بالاردن فانقطع من هناك وبقي بهذه الارض وغمرت هذه البئر التي هي الآن موجودة هناك على ذلك الماء الذي غسلت منه مريم وبلغني أنها الى الآن اذا اعتبرت يوجد ماؤها عيناً جارية في أسفلها فهذا سبب تعظيم النصارى لهذه البئر واللسان فانه انما سقى منها والله أعلم

المنصورة

هذه البلدة على رأس بحر أشعوم تجاه ناحية طابخايناها السلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب في سنة ست عشرة وسبعمائة عند ما ملك الفرنج مدينة دمياط فنزل في موضع هذه البلدة وخيم به وبني قصرا لسكناء وأمر من معه من الامراء والعساكر بالبناء فبنى هناك عدة دور ونصبت الاسواق وأدار عليها سورا مما يلي البحر وستره بالآلات الحربية والستائر وتسمى هذه المنزلة المدينة المنصورة ولم يزل بها حتى استرجع مدينة دمياط كما تقدم ذكره عند ذكر مدينة دمياط من كتابنا هذا فصارت مدينة كبيرة بها الحمامات والفنادق والاسواق ولما استنقذ الملك الكامل دمياط من الفرنج ورحل الفرنج الى بلادهم جلس بقصره في المنصورة وبين يديه اخوته الملك المعظم عيسى صاحب دمشق والملك الاشرف موسى صاحب بلاد الشرق وغيرها من أهله وخواصه فأمر الملك الاشرف جاريته ففتت على عودها

ولما طوى فرعون عكا وقومه * وجاء الى مصر ليفسد في الارض
أني نحوهم موسى وفي يده العصا * فأغرقهم في اليم بعضاً على بعض
فطرب الاشرف وقال لها بالله كررى فشق ذلك على الملك الكامل وأسكتها وقال
لجاريته غني أنت فأخذت العود وغنت

أيها أهل دين الكفر قوموا لتظنوا * لما قد جرى في وقتنا وتجددا
أعباد عيسى ان عيسى وحزبه * وموسي جميعاً ينصران محمدا
وهذا الليث من قصيدة لشرف الدين بن حبارة أولها (أبي الوجد الا أن آيت مسهدا)
فأعجب ذلك الملك الكامل وأمر لكل من الجاريتين بمائة دينار فمض القاضى الصدر
الاجل الرئيس هبة الله بن محاسن قاضى غزة وكان من جملة الجلساء على قدميه وأنشديقول
هنيئاً فان السعد جاء مخلصا * وقد أنجز الرحمن بالنصر موعدا
حيانا اله الخلق فتحا لنا بدا * مينا وانعاما وعزا مؤبدا
تهلل وجه الارض بعد قطوبه * وأصبح وجه الشوك بالظلم أسودا
ولما طفي البحر انخفض بأهله الـ * طغاة وأضحى بالمراكب مزبدا
أقام لهذا الدين من سل عزمه * صقيلا كما سل الحسام المهندا

فلم ينج الا كل شبلو مجدل * ثوى منهم أو من تراه مقيدا
ونادى لسان الكون في الارض رافما * عقيرته في الحافقين ومنشدا
أعباد عيسى ان عيسى وحزبه * وموسى جميعاً ينصران محمدا
فكانت هذه الليلة بالمتصورة من أحسن ليلة مرت للملك من الملوك وكان عند انشاده
يشير اذا قال عيسى الى عيسى المعظم واذا قال موسى الى موسى الاشرف واذا قال محمدا
الى السلطان الملك الكامل وقديق ان الذي أنشد هذه الابيات انما هو راجح المحلى الشاعر
(العباسة)

هذه القرية فيما بين بليس والصالحية من أرض السدير لم يزل منتزها لملوك مصر
وبها ولد العباس بن أحمد بن طولون فسماه لذلك أبوه العباس وولد بها أيضاً الملك الاجمد تقي
الدين عباس بن العادل أبي بكر بن أيوب وكان الملك الكامل محمد بن العادل يقيم بها كثيراً
ويقول هذه تعلقو مصر اذا أقت بها أصطاد الطير من السماء والسمك من الماء والوحش من
الفضاء ويصل الخبز من قلعة الجبل اليها في قلعتي وهو سخن وبني بها آدرا ومناظر وبساتين
وبنى أمراؤه بها أيضاً عدة مساكن في البساتين ولم تزل العباسة على ذلك حتى أنشأ الملك
الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل المنزلة الصالحية فلأثنى حينئذ أمر العباسة وخربت
المناظر في سلطنة الملك المعز أيبك فلما كانت سلطنة الملك الظاهر ركن الدين بيبرس
مر على السدير وهو فم الوادي فأعجب به وبني في موضع اختاره منه قرية سماها الظاهرية
وأنشأ بها جامعاً وذلك في سنة ست وستين وستمائة * وسميت بالعباسة بنت أحمد بن طولون
فأنها خرجت الى هذا الموضع مودعة لبنت أخيها قطر الندى بنت خمارويه بن أحمد بن
طولون لما حانت الى المعتضد وضربت هناك فساء عليها ثم بنت قرية فسميت باسمها
(ذكر مدينة قفط بصعيد مصر)

هذه المدينة عرفت بقفطريم بن قبطيم بن مصرام بن بيسر بن حام بن نوح عليه السلام
وكانت في الدهر الاول مدينة الاقليم وانما بدا خرابها بعد الاربعمائة من تاريخ الهجرة
النبوية وآخر ما كان فيها بعد السبعمائة من سني الهجرة أربعون مسبكاً للسكر وست معاصر
للقصب ويقال كان فيها قباب بأعالي دورها وكانت اشارة من ملك من أهلها عشرة
آلاف دينار أن يجعل في داره قبة ويقرب منها معدن الزمرد ولم يبطل الا من قريب فان
قفطريم ولى الملك بعد أبيه قبطيم قال ابن وصيف شاه كان أكبر ولد أبيه وكان جباراً
عظيم الخلق وهو الذى وضع أساسات الاهرام الدهشورية وغيرها وهو الذى بني مدينة
دندرة ومدينة الاصنام وهالكت عاد بالريح في آخر أيامه وأثار من المعادن ما لم يثره غيره
وكان يتخذ من الذهب مثل حجر الرحي ومن الزبرجد مثل الاسطوانة ومن الاسبادهش

في صحراء الغرب كالكفة وعمل من العجائب شيئاً كثيراً وبني منارا عاليا على جبل قفطيرى
منه البحر الشرقى ووجد هناك معدن زشق فعمل منه تمثالا كالعمود لا ينحل ولا يذوب
وعمل البركة التى سماها صيادة الطير اذا مر عليها طائر سقط فيها ولم يقدر على الحركة حتى
يؤخذ وهذه البركة يقال انها هناك الى الآن وأما النار فسقط وعمل عجائب كثيرة وفي أيامه
أنار عبادة الاصنام التى كان الطوفان غرقها وزين الشيطان أمرها وعبادتها ويقال انه بنى
المدائن الداخلة وعمل فيها عجائب وبني غربي النيل وخلف الواحات الداخلة مدنا عمل فيها
عجائب كثيرة ووكّل بها الروحانيين الذين يئمنون منها فما يستطيع أحد أن يدنو اليها ولا
يدخلها الا أن يعمل قرابين لأولئك الروحانيين وأقام قفطريم ملكا أربع مائة وثمانين سنة
وأكثر العجائب عملت في وقته ووقت ابنه البودسير ولذلك كان الصعيد أكثر عجائب من
أسفل لان حيز قفطريم فيه ولما حضر قفطريم الوفاة عمل ناوسا في الجبيل الغربي قرب
مدينة السكمان في سرب تحت الارض معقود على أزاج الى الارض وتقر تحت الجبل دارا
واسعة وجعل دورها خزائن منقورة وفي سقفها مسارب للرياح وبلط السرب وجميع الدار
بالممر وجعل في وسط الدار مجلسا على ثمانية أركان مصفحا بزجاج الملون المسبوك وجعل
في سقفه جواهر تسرج وجعل في كل ركن من أركان المجلس تمثالا من الذهب بيده كالبرق
الذى يبوق به وتحت القبة دكة مصفحة بذهب ولها حواف من زبرجد وفوق الدكة فرش
من حرير وجعل عليها جسد بعد أن اطخ بالادوية المجففة ووضع في جانبه آلات كافور
وسدلت عليه ثياب منسوجة بالذهب ووجهه مكشوف وعلى رأسه تاج مكل وعن جوانب
الدكة أربعة تماثيل مجوفات من زجاج مسبوك في صور النساء بأيديهن مراوح من ذهب وعلى
صدره من فوق الثياب سيف فاخر قائمته من زبرجد وجعل في تلك الخزائن من الذخائر
وسبائك الذهب والنيحان والجوهر وبرابي الحكم وأصناف العقاقير والطلسمات ومصاحف
العلوم مالا يحصى كثرة وجعل على باب المجلس ديكا من ذهب على قاعدة من زجاج أخضر منشور
الجنّاحين مزبورا عليه آيات مانعة وجعل على كل مدخل أزج صورتين من نحاس بأيديهما
سيفان وقدامهما بلاطة تحتها لوالب من وطئها ضربه بالسيف فقتلاه وفي سقف كل أزج كرة
وعليها اطوخ مدبر يسرج فيقد طول الزمان وسد باب الازج بالاساطين المرصعة ورسوا
على سقفه البلاط العظام وردموا فوقها الرمال وزبروا على باب الازج هذا المدخل الى جسد
الملك المعظم المهيب الكريم الشديد قفطريم ذي الايد والفخر والغلبة والقهر أفل نجمه وبقي
ذكره وعلمه فلا يصل أحد اليه ولا يقدر بحيلة عليه وذلك بعد سبع مائة وسبعين ودورات
مضت من السنين وقال المسعودي ومعدن الزمرد في عمل الصعيد الاعلى من مدينة قفطومها
ينخرج الى هذا المعدن والموضع الذى هو فيه يعرف بالخرية وهي مفازة وجبال والبحج تحمي

هذا المكان المعروف بالخربة واليهما يؤدي الخفارات من يرد الى حفر الزمرذ ووجدت جماعة من صعيد مصر من ذوى الدراية ممن اتصلت معرفته بهذا المعدن وعرف هذا النوع من الجوهر يخبرون أنه يكثر ويقل في فصول السنة فيكثر في قوة مواد الهواء وهبوب نوع من الرياح الاربع وتقوى الحضرة فيه والشعاع النورى في أوائل الشهر والزيادة في نور القمر وبين الموضع المعروف بالخربة الذى فيه معدن الزمرذ وبين ما اتصل من العمارة وقرب منه من الديار مسيرة سبعة أيام وهي قفط وقوص وغيرها من صعيد مصر وقوص راصبة النيل وبين النيل وقفط نحو من ميلين * ولمدينتي قفط وقوص أخبار عجيبة في بدء عمارتهما وما كان في أيام القبط من أخبارها الآن مدينة قفط في هذا الوقت متداعية للخراب وقوص أعمر والناس فيها أكثر وكان بقفط برابا موكل بها روحاني في صورة جارية سوداء تحمل صديا أسود صغيرا حكى أنها رؤيت بها مرارا ومعدن الزمرذ في البر المتصل بأسوان وكان له ديوان فيه شهود وكتاب وينفق على العمال به وتنال لهم المؤن لحفره واستخراج الزمرذ منه وهو في جبال مرملة يحفر فيه وربما سقط على الجماعة به فماتوا وكان يجمع ما يخرج منه ويحمل الى الفسطاط ومنه يحمل الى البلاد وقد كان الناس يسرون من قوص الى معدن الزمرذ في ثمانية أيام بالسير المعتدل وكانت البجاء تنزل حوله وقريبا منه لاجل القيام بحفره وحفظه وهذا المعدن في الجبل الآخذ على شرقي النيل في بحرى قطعة عظيمة من هذا الجبل تسمى اقرشدة وليس هنالك من الجبال أعلى منها وهو في منقطع من البر لاعماره عنده ولا حوله ولا قريبا منه والماء عنه مسيرة نصف يوم أو أزيد وهو ما يتحصل من المطر ويعرف بتقديره عين يكثر بكثر المطر ويقل بقلته وهذا المعدن في صدر مفازة طويلة في حجر أبيض يستخرج منه الزمرذ وهذا الحجر الأبيض ثلاثة أنواع أحدها يقال له طلق كافورى والثاني يقال له طلق فضى والثالث يقال له حجر جروى ويضرب في هذه الحجارة حتى يخرج الزمرذ وهو كالتفريق فيه وأنواعه الرياني وهو أقل من القليل لا يخرج الا في النادر واذا استخرج ألقى في الزيت الحار ثم يحط في قطن ويصر ذلك القطن في خرق خام أو نحوها وكان الاحتراز على هذا المعدن كثيرا جدا ويفتش الفعلة عند الخروج منه كل يوم حتى تفتش عوراتهم ومع ذلك فيختلسون منه بصناعات لهم في ذلك ولم يزل هذا المعدن يستخرج منه الزمرذ الى أن ابطال العمل منه الوزير صاحب علم الدين عبد الله بن زنبور في أيام الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاون في سنة بضع وستين وسبعائة * وفي سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة كانت فتنة كبيرة بمدينة قفط سببها أن داعيا من بني عبد القوى ادعى أنه داود بن العاضد فاجتمع الناس عليه فبعث السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أخاه الملك العادل أبابكر بن أيوب على جيش فقتل من أهل قفط نحو ثلاثة آلاف واصلهم على شجرها

ظاهر فقط بعمائمهم وطيا السهم

ذكر مدينة دندرة

هي إحدى مدن الصعيد الأعلى القديمة بناها قفطريم بن مصرام بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام وكان فيها ربا عظيمة فيها مائة وثمانون كوة تدخل الشمس في كل يوم من كوة حتى تأتي على آخرها ثم تكرر راجعة الى حيث بدأت وكانت روحانياتها الموكلة بها تظهر في هيئة انسان له رأس أسد بقرنين وكان بها أيضا شجرة تعرف بشجرة العباس متوسطة وأوراقها خضر مستديرة اذا قال الانسان عندها يا شجرة العباس جاءك الفاس تجتمع أوراقها وتحزن لوقتها ثم تعود كما كانت وبين دندرة وبين قوص بريد واحد وكانت بربا دندرة أعظم من بربا اخميم

(ذكر الواحات الداخلة) *

الواحات منقطة وراء الوجه القبلي في مغاربه ولا تعد في الولايات ولا في الاعمال ولا يحكم عليها من قبل الساطل وال وانما يحكم عليها من قبل مقاطعها * وبلاد الواحات بين مصر والاسكندرية والصعيد والنوبة والحبشة بعضها داخل ببعض وهو بلد قائم بنفسه غير متصل بغيره ولا يفتقر الى سواه وأرضها شبة وزاجية وعيون حامضة الطعم تستعمل كاستعمال الحلى وعيون مختلفة الطعم من الحامض والقابض والمالح ولكل نوع منها خاصية ومنفعة وهي على قسمين واحات داخلة وواحات خارجة جهاتها أربع واحات ويقال ان الواحات ولدو حواليلا بن كوش بن كنعان بن حام بن نوح وان آخر سببا بن كوش أبو الحبش وأبو شذا بن كوش أبو زغاوة وأبو شفعيا بن كوش أبو الحبش الرمرم * قال ابن وصيف شاه ويقال ان قفطريم بني المدائن الداخلة وعمل فيها عجائب منها الماء القائم كالعمود لا يخل ولا يذوب والبركة التي تسمى فلسطين أى صيادة الطير اذا مر عليها الطير سقط فيها ولم يمكنه الخروج منها حتى يؤخذ وعمل أيضا عمودا من نحاس عليه صورة طائر اذا قرب الاسد أو الحيات أو غيرها من الاشياء المضرة من تلك المدينة صفر تصفيرا عاليا فترجع تلك الدواب هاربة وعمل على أربعة أبواب هذه المدينة أربعة أسنام من نحاس لا يقرب منها غريب الا ألقى عليه التوم والسبات فينام عندها ولا يبرح حتى يأتيه أهل المدينة وينفخون في وجهه ليقوم وان لم يفعلوا ذلك لا يزال نائما عند الاصنام حتى يهلك وعمل منارا لطيفا من زجاج ملون على قاعدة من نحاس وعمل على رأس المنار صورة صنم من أخلاط كثيرة وفي يده كالكوس كأنه يرمي عنها فان عاينه غريب وقف في موضعه ولم يبرح حتى ينجيها أهل المدينة وكان ذلك الصنم يتوجه الى مهب الرياح الأربع من نفسه وقيل ان هذا الصنم على حاله الى الآن وان الناس تحاموا تلك المدينة على كثرة ما فيها من السكنوز والعجائب الظاهرة خوفا

(م ٤٨ - خطط ل)

من ذلك الصنم أن تقع عين انسان عليه فلا يزال قائماً حتى يتلف وكان بعض الملوك عمل على قلعه فما أمكنه وهلك لذلك خلق كثير ويقال انه عمل في بعض المدائن الداخلة مرآة يري فيها جميع ما يسأل الانسان عنه وبني غربي النيل وخلف الواحات الداخلة مدناً عمل فيها عجائب كثيرة ووكّل الروحانيين بها الذين يمنعون منها فما يستطيع أحد أن يدنو اليها ولا يدخلها أو يعمل قرايين أولئك الروحانيين فيوصل اليها حينئذ يأخذ من كنوزها ما أحب من غير مشقة ولا ضرر وبني الملك صا بن الساد وقيل صا بن مرقونس بداخل الواحات مدينة وغرس حولها نخلاً كثيراً وكان يسكن منف وملك الاحياز كلها وعمل عجائب وطلسمات ورد السكينة الى مراتهم وبني الملهميين وأهل الشر بمن كان يصحب الساد بن مرقونس وجعل على أطراف مصر أصحاب أخبار يرفعون اليه ما يجري في حدودهم وعمل على غربي النيل منائر يوقد عليها اذا حزم امر أو قصدهم قاصد وكان لما ملك البلد بأسره جمع الحكماء اليه ونظر في نجومه وكان بها حاذقا فرأى أن بلده لا بد أن تفرق بالطوفان من نيلها ورأى أنها تخرب على يد رجل يأتي من ناحية الشام فجمع كل فاعل بمصر وبني في الواح الاقصى مدينة جعل طول حصنها في الارتفاع خمسين ذراعاً وأودعها جميع الحكم والاموال وهي المدينة التي وقع عليها موسى بن نصير في زمن بني أمية لما قدم من المغرب فلما دخل مصر أخذ على الواح الاقصى وكان عنده علم منها فأقام سبعة أيام يسير في رمال بين الغرب والجنوب فظهرت له مدينة عليها حصن وأبواب من حديد فلم يمكنه فتح الابواب وكان اذا صعد اليها الرجال وعلموا الحصن وأشرفوا على المدينة ألقوا أنفسهم فيها فلما أعياه أمرها مضى وهلك من أصحابه عدة قال وفي تلك الصحارى كانت منزهات القوم ومدنهم العجيبة وكنوزهم الا أن الرمال غلبت عليها ولم يبق يملك ملك الا وقد عمل للارمل طلسماً لدفعه ففسدت طلسماتها لقدّم الزمان قال ولا ينبغي لاحد أن ينكر كثرة بنيانهم ولا مدائنهم ولا مانصبوه من الاعلام العظام فقد كان للقوم بطش لم يكن لغيرهم وان آثارهم لبينة مثل الاهرام والاعلام والاسكندرية وما في صحارى الشرق والجبال المنحوتة التي جعلوا كنوزهم فيها والادوية المنحوتة ومثل ما بالصعيد من البرابي وما نقشوه عليها من حكماتهم فلو تعاطي جميع ملوك الارض أن ينوا مثل الهرمين ماتياً لهم وكذلك أن ينقشوا ربا لطال بهم الامد ولم يمكنهم * وحكى عن قوم من البنائين في ضياع الغرب أن عاملاً عندهم عنف بهم ففروا في صحراء الغرب ومعهم زاد الى أن تصلح أحوالهم ويرجعوا فلما كانوا على مسيرة يوم وبعض آخر قدموا الى سفح جبل فوجدوا عيراً أهلياً قد خرج من بعض الشباب فتبعه بعضهم فانتهى الى مساكن وأشجار ونخل ومياه تطرد وقوم هناك يرعون ولهم مساكن وكلهم وأعجب بهم فجاء الى أصحابه وقدم بهم على أولئك القوم فسألوهم

عن حالهم فأخبروهم وأقاموا عندهم حتى صاحت أحوالهم وخرجوا ليأتوا بأهلهم ومواشيهم
ويقيموا عندهم فساروا مدة وهم لا يعرفون الطريق ولا يتأقن لهم العود فأسفوا على
ما فاتهم * وضل آخرون عن الطريق في الغرب فوقعوا على مدينة عامرة كثيرة الناس
والمواشى والنخل والشجر فأضافوهم وأطعموهم وسقوهم وباتوا في طاحونة فسكروا من
الشراب وناموا فلم ينتبهوا الا من حر الشمس فاذا هم في مدينة خراب ليس فيها أحد فخافوا
وخرجوا وظلوا يومهم سائرين الى المساء فظهرت لهم مدينة أكبر من الاولى وأعمروا أكثر
أهلا وشجرا ومواشى فأنسوا بهم وأخبروهم بخبر المدينة الاولى فجعلوا يعجبون منهم
ويضحكون وانطلقوا بهم الى ولية لبعض أهل المدينة فأكلوا وشربوا وغنوا بهم حتى
سكروا فلما كان من الغد انتبهوا فاذا هم في مدينة عظيمة ليس فيها أحد وحوها نخل قد
تساقط ثمره وتكسد نخرجوا وهم يحمدون ربح الشراب ومبادي الخمار فساروا يوما الى
المساء واذا راع يرعى غنما فسألوه عن الطريق فدلهم فساروا بعض يوم من الغد فوصلوا
مدينة الاشمونين بالصعيد قال وهذه مدائن القوم الداخلة القديمة قد غلب عليها الجبان
ومنها ما سترته عن العميون فلا ينظر اليها أحد وقال ان البودسرين قفطريم بن قبطيم بن بصير بن
حام بن نوح عليه السلام في أيامه بنيت بصحراء الغرب منابر ومنتهات وحول اليها جماعة من
أهل يته فعمروا تلك التواحي وبنوا فيها حتى صارت أرض الغرب عارة كلها وأقامت على
ذلك مدة كثيرة فخالطهم البربر ونكحوا منهم ثم تحاسدوا فكانت بينهم حروب خربت فيها
تلك الجهات وبادت الابقية منازل تسمى الواحات

* (ذكر مدينة سنترية) *

ومدينة سنترية من جملة الواحات بناها مناقوش بنى مدينة اخيم كان أحد ملوك
القط القدماء قال ابن وصيف شاه وكان في حزم أبيه وحنكته تعظم في أعين أهل مصر
وهو أول من عمل الميدان وأمر أصحابه برياضة أنفسهم فيه وأول من عمل المازستان لعلاج
المرضى والزمنى وأودعه العقاقير ورتب فيه الاطباء وأجري عليهم ما يسعهم وأقام الامناء على
ذلك وضع لنفسه عيداً فكان الناس يجتمعون اليه فيه وسماه عيد الملك في يوم من السنة
فيأكلون ويشربون سبعة أيام وهو مشرف عليهم من مجلس على عمد قد طوقت بالذهب
وألست فاخر الثياب المنسوجة بالذهب وعليه قبة مصفحة من داخل بالرخام والزجاج
والذهب وفي أيامه بنيت سنترية في صحراء الواحات عملها من حجر أبيض مربعة وفي كل
حائط باب في وسطه شارع الى حائط محاذ له وجعل في كل شارع بمنى ويسرة أبوابا تنتهي
طرقاتها الى داخل المدينة وفي وسط المدينة ملعب يدور به من كل ناحية سبع درج وعليه قبة
من خشب مدهون على عمد عظيمة من رخام وفي وسطه منار من رخام عاليه ضم من

صوان أسود يدور مع الشمس بدوراتها وبسائر نواحي القبة صور معلقة تصغر وتصيح بلغات مختلفة فكان الملك يجلس على الدرجة العالية من الماعب وحوله بنوه وأقاربه وأبناء الملوك وعلى الدرجة الثانية رؤساء الكهنة والوزراء وعلى الثالثة رؤساء الجيش وعلى الرابعة الفلاسفة والمنجمون والأطباء وأرباب العلوم وعلى الخامسة أصحاب العمارات وعلى السادسة أصحاب المهن وعلى السابعة العامة فيقال لكل صنف منهم أنظروا إلى من دونكم ولا تنظروا إلى من فوقكم لا تملحونهم وهذا ضرب من التأديب وقتاته أمر أنه بسكين قات وكان ملكه ستين سنة وسترية الآن بلد صغير يسكنه نحو ستائة رجل من البر يعرفون بسيوة ولغتهم تعرف بالسيوية تقرب من لغة زناتة وبها حدائق نخل وأشجار من زيتون وتين وغير ذلك وكرم كثير وبها الآن نحو العشرين عيناً تسيح بماء عذب ومساقها من الاسكندرية أحد عشر يوماً ومن جزيرة مصر أربعة عشر يوماً وهي قرية يصيب أهلها الحمي كثيراً وثمرها غاية في الجودة وتعبث الجن بأهلها كثيراً وتختطف من انفرد منهم وتسمع الناس بها عنيف الجن

(* ذكر الواحات الخارجة *)

بناها أحد ملوك القبط الأول ويقال له البودسير بن قبطيم بن قبطيم بن مصرام بن يعصر بن حام بن نوح عليه السلام قال ابن وصيف شاه وأراد البودسير أن يسير مغرباً لينظر إلى ما هنالك فوق على أرض واسعة متخرقة بالمياه والعيون كثيرة العشب فبني فيها منائر ومنزهات وأقام فيها جماعة من أهل بيته فعمروا تلك النواحي وبنوا فيها حتى صارت أرض الغرب عمارة كلها وأقامت كذلك مدة كثيرة وخالطهم البربر فكبح بعضهم من بعض ثم انهم تحاسدوا وبغى بعضهم على بعض فكانت بينهم حروب فغرب ذلك البلد وباد أهلها الأبقية منازل تسمى الواحات * وقال المسعودي وأما بلاد الواحات فهي بين بلاد مصر والاسكندرية وصعيد مصر والغرب وأرض الاحابش من الثوبة وغيرهم وبها أرض شبيهة وزاجية وعيون حامضة وغير ذلك من الطعوم وصاحب الواحات في وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة عبد الملك بن مروان وهو رجل من لواتة الا أنه مرواني المذهب ويركب في آلاف من الناس خيلاً ونجياً وبينه وبين الاحابش نحو من ستة أيام وكذلك بينه وبين سائر ما ذكرنا من العماثر هذا المقدار من المسافة وفي أرضه خواص وعجائب وهو بلد قائم بنفسه غير متصل بغيره ولا يفتقر اليه ويحمل من أرضه التمر والزبيب والعناب * وحدثني وكيل أبي الشيخ المنز حسام الدين عمرو بن محمد بن زنيكي الشهرزوري أنه سمع ببلاد الواحات أن فيها شجرة نارنج يقطف منها في سنة واحدة أربعة عشر ألف حبة نارنج صفراء سوى ما يتناثر وسوى ما هو أخضر فلم أصدق ذلك لغرابته وقت حتى شاهدت الشجرة المذكورة

فاذا هي كأعظم ما يكون من شجر الجوز مصر وأكبر وسألت مستوفي البلد عنها فأحضر
الى جرائد حساباته وتصفحتها حتى أوقفني على أن منها في سنة كذا قطف من النارجية
الفلانية أربعة عشر ألف حبة نارنج مستوية صفراء سوي ما بقي عليها من الاخضر وسوى
ما تناثر منها وهو صغير * وبالواحات الشب الابيض بواد تجاه مدينة ادفو كان في زمن الملك
الكامل محمد بن العادل أبي بكر وفي زمن ابنه الصالح نجم الدين أيوب على مقطعي الواحات
حمل ألف قطار شب أبيض في كل سنة الى القاهرة ويطاق لهم في نظير ذلك جوالي الواحات
ثم أهمل هذا فبطل * وفي سنة تسع وثلاثين وثلثمائة سار ملك النوبة في جيش عظيم الى
الواحات فأوقع بأهلها وقتل منها وأسرك كثيرا

(* ذكر مدينة قوص *)

اعلم أن قوص أعظم مدائن الصعيد وهي على النيل بنيت بعد قفط في أيام ملك من
ملوك القبط الاول يقال له سدان بن عديم بن البودير بن قفطريم قيل سميت باسم قوص
ابن قفط بن أخميم بن سيف بن أشمون بن مصر قال ابن وصيف شاه سدان بن عديم
هو الذي بنى الاهرام الشهيرة من الحجارة التي قطعت في زمن أبيه وعمل مصاحف
السمرجات وهيكل أرمنت وعمل في المدائن الداخلة من أنصا هيكل وأقام فيه في أريب
وهيكل في شرق الاسكندرية وبنى في الجانب الشرقي مدائن وفي أيامه بنيت قوص العالية
وأسكن فيها قوما من أهل الحكمة وأهل الصناعات وكانت الحبش والسودان قد عاثوا في
بلده فأخرج لهم ابنه منقاوش في جيش عظيم فقتل منهم وسبي واستعبد الذين سباهم وصار
ذلك سنة لهم واقتطع معدن الذهب من أرضهم وأقام ذلك السبي يعملون فيه ويحملون الذهب
اليه وهو أول من أحب الصيد واتخذ الجوارح وولد الكلاب السلوقية من الذئاب
والكلاب الالهية وتمل من العجائب والظلمات لسكل فن ما لا يحصى كثرة * وقال
الادفوى في تاريخ الصعيد وقوص بجانب قفط حكي بعض المؤرخين انها شرعت في العمارة
وشرعت قفط في الحراب من سنة أربعمائة قيل انه حضر مرة قاضي قوص فخرج من
أسوان أربعمائة راكب بغلة الى لقائه * وفي شهر رمضان سنة ثنتين وستين وستمائة أحضر الى
الملك الظاهر بيبرس فلوس وجدت مدفونة بقوص فأخذ منها فلس فاذا على أحد وجهيه
صورة ملك واقف وفي يده المني ميزان وفي اليسري سيف وعلى الوجه الآخر رأس
فيه اذن كبيرة وعين مفتوحة وبدائر الفلاس كتابة فقرأها راهب يوناني فكان تاريخه الى
وقت قراءته ألفين وثلثمائة سنة وفيه أنا غليات الملك ميزان العدل والكرم في يميني لمن أطاع
والسيف في يساري لمن عصي وفي الوجه الآخر أنا غليات الملك أذن مفتوحة لسماع المظلوم
وعيني مفتوحة أنظر بها مصالح ملكي وقوص كثيرة العقارب والنام أبرص وبها صنف من

المقارب القتالات حتى انه كان يقال بها أكلة المقرب لانه كان لا يرجي لمن لسمته حياة واجتمع بها مرة في يوم صائف على حائط الجامع سبعون سام أبرص صفا واحدا وكان الواحد من أهلها اذا مشى في الصيف ليلا خارج داره يأخذ بأحدى يديه مسرحة تضيء له وبالأخرى مشك من حديد يشك به المقارب ثم انها تلاشت بعد سنة ثمانمائة فلما كانت الحوادث والحن مات بها سبعة عشر ألف انسان في سنة ست وثمانمائة وكانت من العمارة بحيث انه تعطل منها في شراقي البلاد سنة ست وسبعين وسبعمائة مائة وخمسون مغلقا والمغلق عندهم بستان من عشرين فدانا فصاعدا وله ساقية بأربعة وجوه وذلك سوى ما تعطل مما هو دون ذلك وهو كثير جداً

* (ذكر مدينة أسنا) *

قال الادفوي وذكر أن أسنا في سنة حصل منها أربعون ألف أردب تمر واثنان عشر ألف أردب زبيب وأسنا تشتمل على ما يقارب ثلاثة عشر ألف منزل وقيل انه كان بها في وقت سبعون شاعرا

* (ذكر مدينة ادفو) *

ومدينة ادفو يقال بالبدال المهمة ويقال أيضا بالتاء المثناة من فوق قال الادفوي أخبرني الخطيب العدل أبو بكر خطيب ادفو أن حمارة طرحت ثلاثة شمرايح في كل شمروخ ثمرة واحدة وأنه قلع الحمارة بأصلها ووزنها فجاءت خمسة وعشرين درهما كلها بجريدها وخشبها وذلك بأدفو ولما كان بعد سنة سبعمائة حفر صناع الطوب فظهرت صورة شخص من حجر شكل امرأة متربعة على كرسي وعليها مثال شبكة وفي ظهرها لوح مكتوب بالقلم اليوناني رأيتها على هذه الحالة في مدينة ادفو

* (اهناس) *

هي كورة من كور الصعيد يقال ان عيسى بن مريم عليه السلام ولد بها وان نخلة مريم عليها السلام التي ذكرت في قوله تعالى وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا لم تزل بها الى آخر أيام بنى أمية والذي عليه الجماهرة أن عيسى عليه السلام انما ولد بقرية بيت لحم من مدينة بيت المقدس وياهناس شجر البنج

❦ ذكر مدينة البهنسا ❦

هذه المدينة في جهة الغرب من النيل بها تعمل الستور البهنسية وينسج المطرز والمقاطع السلطانية والمضارب الكبار والثياب المحبرة وكان يعمل بها من الستور ما يبلغ طول الستر الواحد ثلاثين ذراعا وقيمة الزوج مائتا مثقال ذهب واذا صنع بها شيء من الستور والاكسية والثياب من الصوف أو القطن فلا بد أن يكون فيها اسم المتخذ له مكتوبا على ذلك مضوا

جيلا بعد جيل * وقبط مصر مجمعون على أن المسيح وأمه مريم كانا باليهنسا ثم انتقلا عنها الى القدس * وقال بعض المفسرين في قوله تعالى عن المسيح وأمه وآييناها الى ربوة ذات قرار ومعين الربوة اليهنسا وهذه المدينة بناها ملك من القبط يقال له مناوش بن منقاش * قال ابن وصيف شاه واستخلف مناوش الملك فطلب الحكمة مثل أبيه واستخرج كتبها واكرم أهلها وبذل فيهم الجوائز وطلب الاغراب في عمل المعجائب وكان كل من ملوكهم يجهد جهده في أن يعمل له غريبة من الاعمال لم تعمل لمن كان قبله وثبت في كتبهم وزير على الحجارة في تواريتهم وهو أول من عبد البقر من أهل مصر وكان السبب في ذلك أنه اعتل علة يئس منه فيها فرأى في منامه صورة روحاني عظيم يقول له انه لا يخرجك من علتك الا عبادتك البقر لان الطالع كان وقت حلولها بك صورة نور بقرنين ففعل ذلك وأمر بأخذ ثور أباق حسن الصورة وعمل له مجلسا في قصره وسقفه بقبة مذهبة فكان يجره ويطيّب موضعه ووكل به سائسا يقوم به ويكنس تحته ويعبده سرا من أهل مملكته فبدأ من علتة وهو أول من عمل المعجل في علتة فكان يركب عليها السيوت من فوقها قباب الخشب وعمل ذلك من أحب من نسائه وخدمه الى المواضع والمنزهات وكان البقر يجره فاذا مر بمكان نزهة أقام فيه واذا مر بمكان خراب أمر بعمارة فيقال انه نظر الى ثور من البقر الذي يجرح عجائته أبلق حسن الشية فأمر بترفيهه وسوقه بين يديه اعجابا به وجعل عليه جلامن ديباج فلما كان في يوم وقد خلا في موضع صار اليه وقد انفرد عن عبيده وخدمه والثور قائم اذ خاطبه الثور وقال له لورفعني الملك عن السير معه وجعلني في هيكل وعبدني وأمر أهل مملكته بعبادتي كعبته جميع ما يريد وعاونته على أمره وقويته في مملكته وأزلت عنه جميع علة فارناع لذلك وأمر بالثور ففصل وطيب وأدخل في هيكل وأمر بعبادته فأقام ذلك الثور يعبد مدة وصار فيه آية وهو أنه لا يبول ولا يروث ولا يأكل الا اطراف ورق القصب الاخضر في كل شهر مرة فاقتن الناس به وصار ذلك أصلا لعبادة البقر وبني مواضع كنز فيها كنوزا وأقام عليها أعلاما وبني في صحراء الغرب مدينة يقال لها ديماس وأقام فيها منارا ودفن حولها كنوزا ويقال ان هذه المدينة قائمة وان قوما جازوا بها من نواحي الغرب وقد ضلوا الطريق فسمعوا بها عريف الجن ورأوا ضوءا يترأى بها وفي بعض كتبهم أن ذلك الثور بعد مدة من عبادتهم له أمرهم أن يعملوا صورته من ذهب أجوف ويؤخذ من رأسه شعرات ومن ذنبه ومن نحاة قرونيه وأظلافه ويجعل في التمثال المذكور وعرفهم أنه يلحق بعالمه وأمرهم أن يجعلوا جسده في جرن من حجر أحمر ويدفن في الهيكل وينصب تمثاله عليه وزحل في شرفه والشمس تنظر اليه من تثليث القمر زائد النور وينقش على التمثال علامات الكواكب السبعة ففعلوا ذلك وكلوه بجميع الاصناف من الجواهر وجعلوا عينيه جزعتين

وغرسوا في الهيكل عليه شجرة بعد مادنوه في الجرن الاحمر وبنوا منارا طوله ثمانون ذراعا على رأسه قبة تتلون كل يوم لونا حتى تمضى سبعة أيام ثم تعود الى اللون الاول وكسوا الهيكل ألوان الثياب وشقوا نهرا من النيل الى الهيكل وجعل حوله طلمحات رؤسها رؤس القروء على أبدان الناس كل واحد منها لدفع مضرة وجلب منفعة وأقام عند الهيكل أربعة اصنام على أربعة أبواب ودفن تحت كل صنم صنفا من الكنوز وكتب عليها قربانها ونجورها واسكنها الشجرة فكانت تعرف بمدينة الشجرة ومنها كانت اصناف الشجر تخرج وهو أول من عمل النيروز بمصر وفي زمانه بنيت البهنسا وأقام بها اسطوانات وجعل فيما فوقها مجلسا من زجاج أصفر عليه قبة مذهبة اذا طلعت الشمس القت شعاعها على المدينة ويقال انه ملكهم ثمانمائة وثلاثين سنة ودفن في أحد الاهرام الصغار القبلية وقيل في غربي الاشمونين ودفن معه من المال والجواهر والعجائب شيء كثير وأصناف الكواكب (٣) السبعة التي يرى الدفين والحياة وألف سرج ذهباً وفضة وعشرة آلاف جام وغضار من ذهب وفضة وزجاج وألف عقاقير لفنون الاعمال وزبروا عليه اسمه ومدة ملكه ووقت موته * وفي سنة أربع وثلاثين وسبعمائة ظهر بالاشمونين في واد بين جبلين فساقى مربعة مملوءة ماء عذبا صافيا فمشى شخص على حافتها طول يوم وليلة فلم يبلغ آخرها ويقال انها من عمل سوريد باني الاهرام لتكون عدة لما كانوا قد توقعوه من حدوث طوفان ناري فردم هذا الوادي بعد ذلك خوفا من تلاف الناس * يقول الشيخ الامام محمد بن أحمد الغرياني حدثني علي بن حسن بن خالد الشعري ثلاث مرات لم يختلف قوله على فيها قال حدثني رجل من فزارة الساكنين بكورة البهنسا قال خرجت أنا ورجل رفيق لي زتاد البلاد ونطلب الرزق في الارض وذلك بعد سنة عشر وثمانمائة فقطعنا الجبل الغربي من ناحية البهنسا وسرنا متوكلين على الله تعالى فأقنا أياما ونحن نمشي ما بين الغرب والجنوب فوقنا في واد كثير الشجر والنبات والماء والكلاليس فيه أنيس وهو واد واسع في الطول والعرض نحو يوم في الطول ويوم في العرض كله أعين وبساتين نخل وزيتون كثير الابل والمعز والذئب والضبع به كثير والابل به متوحشة وكذلك المعز قد صارت به وحشية بعد أن كانت آتية به وليس بالوادي لارائح ولا غاد من الناس قال فأخبرني أنهم أقاما بالوادي نحو من شهرين أو ثلاثة وانهما رأيا في وسط الوادي مدينة حصينة منيعة عالية السور شامخة القصور فاذا تقربا من سورها سمعا ضجيجا عظيما وأصواتا مهولة مخوفة ورأيا دخانا يرتفع الى جو السماء حتى يغطي سور المدينة وجميع ما فيها وان تلك الابل الوحشية عدت على رواحلها الانسية فأذتها وقتلتها فتحميل عند ذلك الرجلان الفزاريان بحيل وقتلا حبالا وأشراكا شباكا من ليف النخل وقيدا تلك الابل الوحشية وقتلا خوصا وضفرا قفاقا من الخوص لزادها وملاها تمرا وزلالا من تلك الابل الوحشية

مكان رواحلها عوضا عنها وركبها متوجهين نحو الشرق وحمل معهم من الجريد أعنى جريد النخل ما يعرفان به الطريق التي بينهما وبينها ويجملان ذلك أمارات لمرورها اليها فكانا كلما مرا على شرف جملا عليه جريدتين عالما حتى وصلا الى الجبل الغربي من مصر فزلا الى البهنا فمرفا قومهما وتحملا بأهاليهما فلما علوا سطح الجبل الغربي وجدا كل ما فرقه من جريد النخل على رؤس الآكام مجتمعا في مكان واحد في أعلى الجبل فرجما عند ذلك لاهاليهما ومن معهم الى أرض البهنا وهذا ما حدثني به والله أعلم

❦ ذكر مدينة الاشمونين ❦

كانت من أعظم مدن الصعيد يقال انها من بناء أشمون بن مصر بن بيسر بن حام ابن نوح عليه السلام * وقال ابن وصيف شاه كان أشمون أعدل ولد أبيه وأرغبهم في صنعة تبقي ويبقى ذكرها وهو الذي بني المجالس المصفحة بالزجاج الملون وسط النيل وتقول القبط انه بني سربا تحت الأرض من الاشمونين الى أنصنا تحت النيل وقيل انه حفره وعمله لبناته لانهم كن يعضين الي هيكل الشمس وكان هذا السرب مبلط الأرض والحيطان والسقف بالزجاج التخين الملون وقيل ان أشمون كان أطول اخوته ملكا وقال أهل الأثر انه ملك ثمانمائة سنة وان قوم عاد انتزعوا منه الملك بعد ستمائة من ملكه وأقاموا تسعين سنة واستولوا على البلد فانتقلوا الى الدثينة من طريق الحجاز الى وادي القرى فعمروها واتخذوا بها المنازل والمصانع وملك الله عليهم الذر فأهلكهم وعاد ملك مصر الى أشمون ويقال انه عمل على باب الاشمونين اوزة من نحاس فكان الغريب اذا جاء ليدخل المدينة صاحت الاوزة وصفقت بجناحيها فيعلم به فان أحبوا منعوه وان أحبوا تركوه وكثرت الحيات في وقته فكانوا يصيدونها ويعملون من لحومها أدوية وترياقات ثم ساقوها بسحرهم الي وادي الحيات في جبال لوبية ومراقية فسجنوها هناك * وقال في كتاب هرويش ان أشمون ابن قبط أول ملوك المصريين وانه كان في زمان شاروخ بن راغو بن فالغ بن عابر بن شالخ ابن أرغشدد بن سام بن نوح وان سفي الدنيا صارت الى زمان شاروخ ألفين وتسعمائة وخمس سنين يكون ذلك بعد الطوفان بستمائة وثلاث وستين سنة وبها كانت فرهة الخيل والبغال والحير وكان يعمل بها فرس القرمز الذي يشبه الارمني وكان ينزل بأرض الاشمونين عدة بطون من بني جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه وكانوا بادية أصحاب شوكة وكان معهم بنو مسامة بن عبد الملك بن مروان حلفاء لهم ومعهم بطن آخر يقال لهم بنو عسكر يقال ان أباهم كان مولى لعبد الملك بن مروان ويزعمون أنهم من بني أمية صلبية وكان معهم أيضا حلفاء لهم بنو خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ينزلون أرض دلجة عند أشمون

(م ٤٩ - خطط ل)

❦ ذكر مدينة اخيم ❦

ضبطها البكري بكسر الهضرة واسكان الخاء ثم ميم وياه وميم على بناء افعيل وهي في الجانب الشرقي من النيل والذي بناها مناقوش أحد ملوك القبط الاول * قال ابن وصيف شاه كان جلدا محتكما فاستأنف العمارة وبني القرى ونصب الاعلام وجمع الحكم ومصاحف الملوك والحكماء وعمل المعائب وبني لنفسه مدينة انفراد بها وعمل عليها حصنا ونصب عليه أربعة اعلام في كل ركن من أركانه علم وبين تلك الاعلام ثمانون صنما من نحاس واختلاط في أيديها السلاح وزبر على صدرها آياتها وكان بمنف رجل من أولاد الكهنة من أعلم الناس بالسحر وأبصرهم بأخذ التماسيح والسباع وكان يعلم الغلمان السحر فاذا حذقوا علم غيرهم فأمر الملك أن يبني له مدينة ويحول اليها وهي اخيم فلحكم مناقوش نيفا وأربعين سنة ومات فدفن في الهرم المحاذي لاطفيح ومعه شئ كثير من المال والجوهر والآنية والتمائيل وزبر عليه اسمه والوقت الذي هلك فيه قال وذكر أهل اخيم أن رجلا أتى من الشرق وكان يلزم البربا ويأتي اليه كل يوم بخور وخلوق فيسخر ويطيب صورة في عضادة الباب فيجد تحتها دينارا فيأخذه وينصرف ففعل ذلك مدة حتى وشى به غلام له الى عامل البلد فقبض عليه فبذل مالا وخرج عن البلد * وكانت بربا اخيم من أعجب البرابي وأعظمها قد بنيت لحزن برهم فانهم قضوا على أهل مصر بالطوفان قبل وقته بقراثن لكنهم اختلفوا فيه فقال بعضهم تكون نار فتحرق ما على جميع وجه الارض وقال آخرون بل يكون ماء فعملوا هذه البرابي قبل الطوفان وكان في هذه البربا صور الملوك الذين يملكون مصر وكانت مبنية بحجر المرمر وطول كل حجر منها خمسة أذرع في سمك ذراعين وهي سبعة دهايز سقوفها حجارة طول الحجر منها ثمانية عشر ذراعا في عرض خمسة أذرع مدهونة باللازورد وغيره من الاصباغ التي يحسبها الناظر كأنما فرغ الدهان منها الآن لجدها وكان كل دهلز منها على اسم كوكب من الكواكب السبعة السيارة وجدران هذه الدهاليز منقوشة بصور مختلفة الهيات والمقادير فيها رموز علوم القبط من الكيمياء والسيماء والطلسيات والطب والنجوم والهندسة وغير ذلك أودعها تلك الصور * وذكر ابن جبير في رحلته أن طول هذه البربا مائتان وعشرون ذراعا وسعتها مائة وسبعون ذراعا وأنها قائمة على أربعين سارية سوى المحيطان دور كل سارية خمسون شبرا وبين كل ساريتين ثلاثون شبرا ورؤسها في نهاية العظم كلها منقشة من أسفلها الى أعلاها ومن رأس كل سارية الى الاخرى لوح عظيم من الحجر المنحوت فيها مائة وستة وخمسون شبرا طولا في عرض عشرة أشبار وارتفاع ثمانية أشبار ووسطها من ألواح الحجارة كأنها فرش واحد فيه التصاوير البديعة والاصبغة الغريبة كثيثة الطيور والآدميين وغير ذلك داخلها وخارجها وعرش حائط البربا ثمانية عشر شبرا من حجارة مرصوة كذا قاسها ابن جبير في سنة ثمان

وسبعين وخمسمائة ويقال ان ذا النون عرف منها علم الكيمياء وما زالت هذه البربا قائمة الي
سنة ثمانين وسبعمائة فخر بها رجل من أهل اخميم يعرف بالخطيب كمال الدين بن بكر الخطيب
علم الدين على ونال منها مالا فلم تطل حياته ومات ومن حينئذ تلاشى أمر اخميم الى أن خربت
وقد ذكر جماعة أن بربا اخميم كانت في هيئة غلام أمرد عريان وأن قوما دخلوها مرة فبهمهم
وأخذ يضربهم ضربا وجميعا حتى خرجوا هاربين وحكي مثل ذلك عن دخل الاهرام أيضا*
وقد حكى أن رجلا ألصق على صورة من بربا اخميم شمعة فكان اذا تركها في موضع
التجأت العقارب اليها واذا وضع الشمعة في تابوت اجتمعت العقارب حوله ويقال انه كان في
بربا اخميم شيطان قائم على رجل واحدة وله يد واحدة وقد رفعها الي الهواء وفي جبهته
وحواليه كتابة وله احليل ظاهر ملتصق بالحائط وكان يذكر أن من احتال حتى يتقب على
ذلك الاحليل حتى يخرج من غير أن ينكسر ويلصقه على وسطه فانه لا يزال منهظا الي أن
ينزعه ويجامع مأحبا ولا يفتر مادام معلقا عليه وأن بعض من ولي اخميم اقلعه فوجد منه
شيئا عجبا من ذلك وكانت الانطاع تجلب من اخميم وبها تعمل ويقال انه كان بها اثنا عشر
ألف عريف على السحرة. وكان بها شجر البنج ويقال ان الذي نبي بربا اخميم اسمه دومريا
وانه جعل هذه البربا مثالا للامم الآتية بعده وكتب فيها تاريخ الامم والاجيال ومفاخرهم
التي يقتخرون بها وصور فيها الانبياء والحكماء وكتب فيها من يأتي من الملوك الى آخر الدهر
وكان بناؤه اياها والنسر برأس الحمل والنسر يقيم عندهم في كل برج ثلاثة آلاف سنة قات
والنسر في زماننا بآخر باب برج الجدى فيكون على ذلك لهذه البربا منذ بنيت نحو الثلاثين
الف سنة * وذكر أبو عبد الله محمد بن عبد الرحيم القيسي في كتاب تحفة الالاب أن هذه
البربا مربعة من حجارة منحوتة ولها أربعة أبواب يفضى كل باب الى هيئة له أربعة أبواب
كلها مظلمة ويصعد منها الي بيوت كالغرف على قدرها

ذكر مدينة العقاب

قال المسعودي مدينة العقاب غربي اهرام أبو صير بالجيزة على مسيرة خمسة أيام بلياليها
لراكب المجد وقد عور طريقها وعمى المسلك اليها والسمت الذي يؤدي نحوها وفيها عجائب
البنيان والجواهر والاموال * وقال ابن وصيف شاه وكان الوليد بن دوع العملي قد
خرج في جيش كثيف يتنقل في البلدان ويقهر ملوكها فلما صار بالشام وجه غلاما له يقال
له عون فسار الى مصر وفتحها ثم سار فتلقاه عون ودخل مصر فاستباح أهلها ثم سرح له
أن يقف على مصب النيل فخرج في جيش كثيف واستخاف عوناً على مصر وأقام في
غيبته أربعين سنة وان عوناً بعد سبع سنين من مسيره تجبر وادعى أنه الملك وأدكر أن
يكون غلام الوليد وانما هو أخوه وغاب بالسحر وسبى الحرائر فدل الناس اليه ولم يدع

امرأة من بنات ملوك مصر الا نكحها ولا مالا الا اخذه وقتل صاحبه وهو مع ذلك يكرم
السكينة ويعظم الهياكل فاتفق انه رأى الوليد في منامه وهو يقول له من أمرك أن تسمى
باسم الملك وقد علمت أنه من فعل ذلك استحق القتل ونكحت بنات الملوك وأخذت
الاموال بغير واجب ثم أمر بقدر ملكت زيتاً وأحميت حتى غلت ونزع ثيابه لياقيه فيها
فأثام عقاب فاختطفه وحاق به في الجو وجعله في هوة على رأس جبل فسقط الى واد فيه
حماة مندة فالتبته مرعوباً وقص ذلك على كهنته فقالوا نحن نخلصك منه بأن تعمل عقاباً
وتعبده فانه الذي خلصك في نومك فقال أشهد لقد قال لي اعرف لي هذا المقام ولا تنسه
فعمل عقاباً من ذهب وجميل عينيه جوهرتين ووشحه بالجواهر وعمل له هيكلًا لطيفاً
وأرخص عليه ستور الحرير وأقبلوا على تجثيره وقربانه حتى نطق لهم فأقبل عون على عبادته
ودعا الناس الى ذلك فأجابوه ثم أمر فجمع له كل صانع بمصر وأخرج أصحابه الى صحراء
الغرب لطلب أرض سهلة حسنة الاستواء يدخل اليها من مواضع صعبة وجبال وعرة بحيث
يقرب من مقيض الماء التي هي اليوم الفيوم وكانت مقيضاً لماء النيل حتى أصلحها يوسف عليه
السلام ليجري الماء منها الى المدينة فخرجوا وأقاموا شهراً يطوفون حتى وجدوا بقيته فلم
يبق بمصر فاعل ولا مهندس ولا أحد له بصير بالبناء وقطع الصخور ونحتها الا وجه اليها
وأنفذ الف رجل من الجيش وسبعمائة ساحر لمعاونتهم وأنفذ معهم الآلات والازواد
على العجل وطريق هذه العجل الى الفيوم في صحراء الغرب واضحة من خلف الاهرام
فالما تكامل له ما أراد من تحت الحجارة خطوا المدينة فرسخين في مثلها وحفروا في
الوسط بئراً جعلوا فيها تمثال خنزير من نحاس بأخلاق ونصبوه على قاعدة نحاس ووجهه الى
الشرق وذلك بطالع بيت زحل واستقامته وسلامته وكان في شرفه وذبحوا خنزيراً ولطخوا
التمثال بدمه في وجهه وبخروه بشئ من شعره وحشوا جوفه بدمه وشعره وعظامه ولحمه
ومراته وجعلوا في اذنيه من مرارته وحرقوا بقية الخنزير وجعلوا رماده في قلة من نحاس
بين يدي التمثال ونقشوه بآيات زحل ثم شقوا في البئر من الجهات الأربع في كل جهة سرباً
الى حيطان المدينة وعملوا على أفواها منافس تجذب الهواء وسدوا البئر وعقدوا فيها قبة
على عمد مرتفعة على حيطان المدينة وجعلوا فيها شوارع يتصل كل شارع بباب من أبواب
المدينة وفصلوها بالطرقات والمنازل وجعلوا حول القبة تماثيل فرسان من نحاس بأيديها حراب
ووجوهها تجاه الابواب وجعلوا أساس المدينة من حجر أسود فوكه حجر أحمر عليه حجر
أصفر من فوقه حجر أخضر وفوق الجميع حجر أبيض يشف وكلها مبنية بالرمال المصبوب
بين الحجارة وفي قلوبها أعمدة من حديد على بناء الاهرام وجعلوا طول حصنها ستين ذراعاً
في عرض عشرين وعلى رأس كل باب حصن بأعلاه عقاب كبير من صفر وأخلاق قد نشر

جناحيه وهو أجوف وعلى كل ركن فارس بيده حربة ووجهه الى خارج المدينة وساق الماء الى الباب الشرقي يحد في صبه الى الباب الغربي ويخرج الى صهاريج وكذلك من الباب الجنوبي الى الشمالي وقرب للعقاب عقباناً ذكوراً واجناب الرياح الى أفواه التماثيل فصار يسمع لها اصوات هائلة ووكل بها ارواح تمنع للدخل اليها الا أن يكون من أهلها ونصب العقاب الذي يتعبد له تحت القبة في وسط المدينة على قاعدة بأربعة اركان على كل ركن وجه شيطان وجعلها على عمود يديرها فكان العقاب يدور الى الجهات فيقيم في كل جهة ربع السنة فلما تم ذلك نقل الى المدينة الاموال والجواهر التي بمصر من عهد الملوك والتماثيل والحكم وتراب الفضة والعقاير والسلاح وحول اليها كبار السحرة والكهنة وأصحاب الصنائع والتجار وقسم المساكن بينهم فلا يختلط أهل صناعة بسواهم وعمل بهار بضاً لأصحاب المهن والزراعة وعقد على تلك الانهار قناطر يمشی عليها الداخل الى المدينة وجعل الماء يدور حول الربض ونصب عليها أعلاماً وحرساً ثم غرس وراء ذلك مما يتصل بالبرية التخل والسكرم وجميع اصناف الشجر على أقسام مقسومة ومن وراء ذلك كله مزارع الغلات من كل جهة كل ذلك خوفاً من الوليد * قال وبين هذه المدينة وبين منف ثلاثة أيام وكان يقيم فيها ويخرج اليها ثم يعود الى منف وكان لها أربعة أعياد في السنة وهي الاوقات التي يتحول العقاب فيها فلما تم لعون ذلك اطمأن قلبه الى أن وافى اليه كتاب الوليد من النسوبة يأمره بحمل الازواد ونصب الاسواق فوجه اليه في البر والبحر بما أراد وحول أهله ومن اصطفاه من بنات الملوك والكبراء الى المدينة فلما قرب الوليد خرج اليها وتحصن فيها واستخلف على منف فقدم الوليد وقد سمع ما فعله عون فغضب وهم أن يبعث اليه جيشاً فمرف بخبر المدينة ومنعتها وخبر السحرة فكتب اليه أن يقدم عليه ويجذره عاقبة التخلف فأجابته ماعلى الملك مني مؤنة ولا تعرض ولا عيب في بلده لاني عبده وأنا له ردة في هذا المكان من كل عدو يأتيه من الغرب ولا أقدر على المسير اليه لخوفي منه فليقرني الملك بحالي كأحد عماله وأوجه اليه ما يلزم من خراجة وهداياه وبعث اليه بأموال جليلة وجواهر نفيس فكف عنه وأقام الوليد بمصر حتى مات

ذكر مدينة الفيوم

اعلم أن موضع الفيوم كان مغيض ماء النيل فلما ولي السيد يوسف الصديق عليه السلام تدبير أمور مصر عمرها * قال ابن وصيف شاه ثم ملك الريان بن الوليد وهو فرعون يوسف والقبط تسميه نهراوش فجلس على سرير الملك وكان عظيم الخلق جميل الوجه عاقلاً متمكناً فوعده بالجميل وأسقط عن الناس خراج ثلاث سنين وفرق المال في الخاص والعام وملك على البلد رجلاً من أهل بيته يقال له أطفين وهو الذي يسميه أهل الاثر العزيز فأمر أن ينصب

له في قصر الملك سرير من فضة بجاس عليه ويقعد فيه وروح الى باب الملك ويخرج العمال والكتاب بين يديه فكفى نهراوش ماخلف ستره وقام بجميع أموره وخلاه للذته فانغمس نهراوش في لهوه ولم ينظر في عمل ولا ظهر للناس حينما والبلد عامر وهو لا يسأل عن شيء وعمل له مجالس من زجاج ملون وجو لها ماء فيه أسماك مفرطة وبلور ملون فكان اذا وقعت عليه الشمس ظهر له شعاع عجيب وعمات له عدة منزهات على عدد أيام السنة فكان كل يوم في موضع منها وعمل له في كل موضع من الآنية والفرش ما ليس لغيره فاتصل بملوك النواحي تشاغله بلذته وتدير أطفين فصار ملك من العمالقي يقال له أبو قابوس عاكس بن يخوم الى مصر وزل على حدودها فجهز اليه العزيز جيشا عليه قائد يقال له بريانس فأقام يحاربه ثلاث سنين فظفر به العمليقي وقتله وهدم الاعلام والمصانع وقوى طمعه في البلد فاجتمع الناس الى قصر الملك واستقنوا فخرج اليهم وعرض حيوشه وخرج في ستمائه ألف مقاتل سوي الاتباع فالتقوا من وراء الخوف وكان بينهما قتال شديد فانهمز العمالقي وتبعه نهراوش الى حد الشام وقتل خلقا من أصحابه وأفسد زروعهم وأشجارهم وحرق وصاب ونصب أعلاما على الاماكن التي وصاها وزبر عليها اني لمن يتجاوز هذا المكان بالمرصاد وقيل انه بلغ الموصل وضرب على أهل الشام خراجا وبني عند العريش مدينة لطيفة وشحنها بالرجال ورجع الى مصر فحشد من جميع الاعمال جنودا واستعد لغزو ملك الغرب وخرج في سبعمائة ألف فر بأرض البربر وأحلي كثيرا منهم وجهز قائدا في السفن من ناحية رقودة الى جزائر بني يافث فمات فيها وخرج من ناحية أرض البربر فقتل وصالح بعضهم على مال حملوه اليه وهضى الى أفريقية وقرطاجنة فصالحوه على مال ومر حتى بلغ مصب البحر الاخضر الى بحر الروم وهو موضع أصنام النحاس فأقام هناك صنما زبر عليه اسمه وتاريخ خروجه وضرب على أهل تلك النواحي الخراج وعدى الى الأرض الكبيرة وسار الى الاندلس فحاربه ملكها اياما ثم صالحه على مال وأن يمنع من يغزو مصر من ناحيته وانصرف على غير البحر مشرقا في بلاد البربر فلم يمر بأمة الا ودخلت في طاعته ومر في الجنوب فقتل خلقا وبعث قائدا الى مدينة على البحر الاسود فخرج اليه ملكها وذكر له حال الريان ومصالحة الملوك له فقال ما بانغا أحد قط وسأله القائد عن البحر هل ركبته أحد قط فقال ما يقدر أحد على ركوبه وربما ظله غمام فلا يرى اياما وقدم الريان فحملوا الهدايا اليه وفاكهة أكثرها الموز وحجارة سوداء اذا جعلت في الماء صارت بيضاء ثم سار الملك على أمم السودان الى مملكة الدمدم الذين ياكلون الناس فخرجوا اليه عراة فنهزمهم وظفر بهم ومر على البحر المظلم ففشيهم منه غمام فترجع شمالا حتى انتهى الى تمال من حجر أحمر يومئ بيده ارجعوا وعلى صدره مزبور ماورائي أحد فصار الى مدينة النحاس فلم يصل اليها وهضى الى الوادي

المظلم فكانوا يسمعون منه جلبة عظيمة ولا يرون أحداً لشدة ظلمته وسار الى وادى الرمل
فرأى على معبره أصناما عليها أسماء الملوك فأقام عليه صنماً زبر عليه اسمه فلما أثبت الرمل جاز
عليه الى الخراب المتصل بالبحر الاسود فرأى سباعاً يزُر بعضها على بعض فحكم أنه لامذهب
له من ورائها فرجع وعدى وادى الرمل ومر بأرض العقارب فهلك بعض أصحابه ودفنوا عن
أنفسهم أذاها بالرق وجازها الى مدينة الحكماء وتعرف بمدينة الكند ففروا منه الى جبل
فأقام عليه أياماً حتى كاد يهلك جيشه عطشاً فنزل اليه من الجبل رجل من أفاضل الحكماء
وقد لبس شعره جسده فقال للملك أين تريد أيها المغرور الممدود له في الاجل المرزوق
فوق الكفاية أتبت نفسك وجيشك ألا اجتأت بما تملكه واتكلت على خالقك وربحت
الراحة وتركت الفناء والفرر بهذا الخلق فعجب من قوله وسأله عن الماء فدلّه عليه وسأله
عن موضعهم فقال موضع لا يصل اليه أحد ولا بلغه قلبك أحد فقال ما عيشك قال من أصول
النبات تنقع به ويكفينا السير قال فمن أين تشربون قال من الامطار والثلوج قال فلم هربتم منا
قال زهادة في مخالطكم والا فليس لنا من مخافكم عليه قال فكيف بكم اذا حمت الشمس قال
نأوى الى غيران تحت هذا الجبل قال فهل لكم في مال اخلفه لكم قال انما يريد المال أهل
الترف ونحن لانسعمل منه شيئاً استغنينا عنه بما قد اكتفينا به وعندنا منه مالو رأيته
لاحتقرت ما عندك قال فأرنيه فانطلق بنفر من أصحابه الى أرض في سنج حياهم فيها قضبان
ذهب نائمة وأراهم وادياهم في حافتيه حجارة زبرجد وفيروز فأمر نهرأوش أصحابه أن
يحملوا من كبار تلك الحجارة ففعلوا ورأى الحكيم جماعة الملك يصلون الى صنم يحملونه معهم
فسأل الملك أن لا يقيم بأرضهم وخوفه من عبادة الاصنام فودعه وسار فلم يمر بأمة الا أثر
فيها حتى بلغ النوبة فصالحهم على مال وأقام على دققة صنماً وزبر عليه اسمه ومسيره وسار
يريد مدينة منف فكان أهل كل مدينة من مدائن مصر يتلقونه بالفرح والسرور والرياحين
والطيب الى أن بلغ منف فخرج أهلها اليه مع العزيز بأصناف الرياحين والطيب وكان العزيز
قد بني له مجلساً من زجاج ملون وفرشه بأحسن فرش وغرس حوله الاشجار والرياحين
وجعل فيه بحيرة من زجاج سماوى وفي أرضه شبه السمك من زجاج أبيض فنزل الملك
فيه وأقام الناس يأكلون ويشربون أياماً كثيرة وتنفذ جيشه ففقد منهم سبعين ألفاً ووجد
فيهم ممن أسره نيفا وخمسين ألفاً فكانت مدة غيبته عن مصر في مسيره هذا احدى عشرة
سنة فلما بلغ الملوك قدمه هابوه واشتد بأسه ونجبر وبني في الجانب الشرقي قصوراً من رخام
ونصب عليها أعلاماً وأمر بالعمارة واصلاح الجسور واستنباط الاراضى حتى زاد الخراج
على مائة ألف دينار ودخل الى البلد في أيامه غلام من أهل الشام احتال عليه اخوته
وباعوه وكانت قوافل الشام تمرس بناحية الموقف اليوم فوقف الغلام ونودى عليه وهو *

يوسف الصديق ابن يعقوب بن ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليهم وسلامه فاشتره
اطفين ليهديه الى الملك فلما أتى به قصره رآته امرأته زليخا وهى ابنة عمه فقالت اتركه
لنا نريه لينفعا وكان من أمرها ما قصه الله تعالى فى القرآن فكانت تكتم حبه حتى غلبت
نخلت به وتزينت له وعرفته أنها تحبه وانه ان واتاها على ما تريده منه حبه بمال عظيم فامتنع
من ذلك ورأت أن تغلبه فما زالت تعاركه وهو ممتنع منها الى أن وافى زوجها وراه وهو
هاب منها وكان العزيز غيبنا لا يأتي النساء فجعل يوسف يعتذر اليه وقالت انى كنت نائمة
فأثنى يرادنى عن نفسي وتبين من شاهد أهلها أن الامر من قبل امرأته فقال ليوسف
أعرض عن هذا أى عن اعتذارك وقال لها استغفرى لذنبك وقد كان خبر أطفين والغلام
بلغ الملك وكان نهراوش عاود العكوف على اللهو والاحتجاب عن الناس واتصل خبر زليخا
ويوسف بنساء الخاصة فغيرتها بذلك فدعت جماعة منهن وصنعت لهن طعاما وشرابا وعمات
مجلسين مذهيين وفرشتها بديباج أصفر مذهب وأرخت عليهما ستور الديباج وأمرت
المواشظ بتزيين يوسف واخراجه من المجلس الذى يحاذى المجلس الذى كانت مع النسوة
فيه وكان المجلس محاذيا للشمس فأخذته المواشظ ونظمن شعره بأصناف الجواهر وألبسناه
ثوب ديباج أصفر قد نسج بدارات حر مذهب فيها اطياف صفار خضر مبطن ببطانة خضراء
ومن تحته غلالة حمراء وعلى رأسه تاج قد نظم بالدر والجوهر وأخرجن من تحت التاج
أطراف شعره على جبهته ورددن ذوائبه على صدره وجملن جبهته مكشوفة والتاج يحيط بها
وفي اذنيه قرطى جوهر ومن خلف طوق القباء شعر مسبل بين كتفيه منظوم مشبك بالذهب
والجوهر وفي عنقه طوق منظوم بذهب مشدد بجوهر أحمر ودر فاخر وفي وسطه منطقة
ذهب فيها الوالب جو هو ملون ولها معاليق منظومة وألبسناه خفين أبيضين منقوشين بأخضر
على نقوش ذهب وجملن للقباء الذى عليه وشاحين وافرور يحيط بأسفله وكميه من جوهر
أخضر وعقر بن صدغيه على خديه وكحلن عينيه ودفعن اليه مذبة شعرها أخضر فلما فرغ
النساء من طعامهن وشربن أقداحا قدمت اليهن سكاكين قبضن من جوهر ليقطن بها
الفاكهة فيقال انهن اخذن أترجاوهن يقطعنه اذ قالت لهن قد بلغني حديثكن فى أمرى مع
عبدى فقلن لها الامر كما بلغك لانك أعلى قدرا من هذا ومثلك يرتفع عن أولاد الملوك
لحسنك وشرفك فكيف ترضين بفلامك فقالت لم يبلعنك الصدق ولا هو عندى بهذا وأومأت
الى المواشظ أن يخرجن يوسف فرفعن الستور عن المجلس الذى يحاذى مجلسها وبرز منه
يوسف محاذيا بوجهه الشمس فأشرق المجلس وما فيه من وجه يوسف وأقبل بالمذبة وهن
برمقته فوقف على رأس زليخا يذب عنها فاشتغل النساء برؤيته وجعلن يقططن أيديهن موضع
الفاكهة التي كانت معهن ولا يمين الكلام ذهولا منهن بما رأين من حسن يوسف فقالت

له زليخا ما لـكن قد اشتغلتن عن خطائي بالنظر الى عبدى فقلن معاذ الله ما هذا عبدك
 ان هذا الاملك كريم ولم سبق منهن امرأة الا حاضت وأزلت شهوة من محبته فقالت زليخا
 عند ذلك فهذا الذى لمتني فيه فقلن ما ينبغي لاحد أن يلومك في هذا ومن لامك فقد ظلمك
 فدونكه قالت قد فعلت فأبى على نفاطبه لي فكانت كل واحدة منهن تخاطبه وتدعوه سرا
 الى نفسها وتبتذل له وهو يمتنع عليها فاذا يئست منه أن يجيبها لنفسها خاطبته من جهة زليخا
 وقالت مولاتك تحبك وأنت تكرهها ما ينبغي أن تخالفها فقال مالي بذلك حاجة فلما رأى ذلك
 اجتمع على أخذه غصبا فقالت زليخا لا يجوز هذا لكنه ان لم يفعل لامنعه اللذات ولأسجنته
 وأتزع جميع ما أعطيته فقال يوسف رب السجن أحب الى مما يدعونني اليه فأقسمت
 بالله وكان صما من زرجد أخضر باسم عطارد انه ان لم يفعل لتعجان له ذلك ثم أمرت بنزع
 ثيابه وألبسته الصوف وسألت العزيز حبسه ليزول ما قدفها به فأمر به فحبس ورأى الملك
 فى منامه كان آتيا فقال له ان فلانا وفلانا قد عزمنا على قتلك يريد صاحبى طعامه وشرابه
 فلما أصبح قررهما فاعترفاه وقيل اعترف أحدهما وأنكر الآخر فأمر بحبسهما وكان اسم
 صاحب الطعام راسان واسم صاحب الشراب مرطس وكان يوسف عليه السلام وهو فى
 السجن رؤفا بمن فيه وبعدهم الفرج فأخبره صاحبا طعام الملك وشرابه برؤييهما التى قصها
 الله فى كتابه فوقع كما قصه يوسف ورأى الملك البقرات والسنابل فعرفه الساقى خبر يوسف
 فضى اليه وقصها عليه فلما عاد الى الملك قال حيؤني به فقال يوسف ما أخرج أو يكشف
 أمر النسوة الا ترى من أجلهن حبست فكشف عن ذلك فاعترفت زليخا بالقصة ووجه اليه
 فأخرج وغسل من درن السجن وألبس ما يابق بالدخول على الملوك فلما رآه امتلأ قلبه من
 حبه واكباره وسأله عن الرؤيا ففسرها كما قال الله تعالى فقال الملك ومن يقوم لي بذلك
 قال أنا نافع عليه خلع الملوك وألبسه تاجا وأمر أن يطاف به وركب الجيش معه وتردد الى
 مصر الملك وجلس على سرير العزيز واستخافه الملك على ملكه مكانه * ويقال ان العزيز
 أطفين كان قدماء فزوجه امرأته وقال لها يوسف هذا أصالح مما أردت فقالت اعذرني ان
 زوجي كان عينا ولم ترك امرأة الا صبا قلبها اليك من حسنك وجاءت سنو خصب في مصر
 فجمع يوسف الغلال وخزنها وأكثر منها فلما جاءت سنو الجذب بدأ النيل في النقصان وكان
 ينقص كل سنة أكثر من التي قبلها فقحط البلد حتى يبيع القمح بالمال والجوهر والدواب
 واثياب والآنية والعقار وكاد أهل مصر يرحلون عنها لولا تدبير يوسف وقط الشام أيضاً
 وكان من مجيئ اخوة يوسف ما قصه الله تعالى ووجه الى أبيه فحمل الى مصر وجميع أهله
 وخرج في وجود أهل مصر فنلقاه وأدخله على الملك وكان يعقوب مهابا فأعظمه الملك وسأله
 عن سنه وصناعته وعبادته فقال سنى عشرون ومائة سنة وأما صناعتي فلنا غم ترعى نتفح بها

وأعبد رب العالمين الذي خلقك وخلقني وهو اله أبائي واله كل شيء وكان في مجلس الملك كاهن جليل القدر فقال للملك اني أخاف أن يكون خراب مصر على يد ولد هذا فقال له الملك فأتني لنا خبره فقال الكاهن ليعقوب أرني الهك أيها الشيخ قال الهى أعظم من أن يرى قال فانا نرى آلهتنا قال ان آلهتنا من ذهب وفضة وحجارة وجوهرو نحاس وخشب مما يعمله بنو آدم وهم عبيد الهى لا اله الا هو العزيز الحكيم قال الكاهل ان كل شيء لا تراه العيون ليس بشيء فغضب يعقوب وكذبه وقال ان الله شيء لا كالاشياء وهو خالق كل شيء لا اله الا هو قال فصفه لنا قال انما يوصف المخلوق لكنه خالق واحد قديم مدبر أزلي يرى ولا يرى وقام يعقوب مغضبا فأجاسه الملك وأمر الكاهن فكشف عنه فقال الكاهن انا نحمد في كتبنا أن خراب مصر يجري على ايدي هؤلاء فقال الملك هذا يكون في أيامنا قال لا ولا الى مدة كثيرة والصواب أن يقتله الملك ولا يبقى من ذريته أحدا فقال الملك ان كان الامر كما تقول فلا يمكننا أن ندفعه ولا نقدر على قتل هؤلاء وأنزل يعقوب ومن معه بوادي السدير الى أن مات فحمل الى قرية ابراهيم عليه السلام ودفن عنده ويقال ان نهراوش الملك آمن وكنتم ايمانه خوفا من فساد أمره وأقام ملكا مائة وعشرين سنة وفي وقته عمل يوسف النجوم فان أهل مصر كانوا وشوابه الى الملك وقالوا قد كبر ونقص نفقه فاخبره فقال له اني وهبت هذه الناحية لابنتي وكانت مغايب للماء فديرها لها فعملها يوسف واحتال بمياه حتى أخرجها وقلع او حاطها وساق المنهى وبنى اللاهون وجعل الماء فيها مقسوما موزونا وفرغ منها في شهرور أربعة فعجبوا من حكمته * ويقال انه أول من هندس بمصر ومات نهراوش خلف ابنه درمحوش وسمته أهل الاثر دارم بن الريان وهو الفرعون الرابع عندهم تخالف سنة أبيه وكان يوسف خليفته فقبل منه بعضا وخالفه في البعض فمات يوسف في أيامه وله مائة وعشرون سنة فكفن وجعل في تابوت من رخام ودفن في الجانب الغربي فأخضب ونقص الشرق فحول اليه فأخضب ونقص الغربي فانفقوا على أن يجعلوه في الشرق عاما وفي الغربي عاما ثم حدث لهم من الرأى أن يجعلوا له حلما وثاقا ويشدوا التابوت في وسط النيل فأخضب الجانبان كلاهما . وقال ابن عبد الحكم فملكهم الريان بن الوليد بن دومع وهو صاحب يوسف النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأى الملك رؤياه التي رأى وعبرها يوسف أرسل اليه الملك فأخرجه من السجن قال ابن عباس رضي الله عنهما فأتاه الرسول فقال ألقى عنك ثياب السجن والبس ثيابا جديدا وقم الى الملك فدعاه أهل السجن وهو يومئذ ابن ثلاثين سنة فلما أتاه رأى غلاما حدثا فقال أعلم هذا رؤياي ولا تعامها السحرة والكهنة وأقعد قدماه وقال له لا تخف قال فلما استنطقه وسأله عظم في عينيه وجعل اليه أمره فدفع اليه خاتمه وولاه ما خلف بابه وألبسه طوقا من ذهب وثياب حرير وأعطاه دابة مسرجة مزينة كدابة الملك وضرب بالبطيل

بمصر ان يوسف خليفة الملك * وعن عكرمة أن فرعون قال ليوسف قد سلطنتك على مصر غير أنني أريد أن أجعل كرسي أطول من كرسيك بأربع أصابع قال يوسف نعم وأجلسه على السرير ودخل الملك بيته مع نسائه وفوض أمر مصر كلها اليه فبسبب عبارة رؤيا الملك ملك يوسف مصر * وعن الليث بن سعد قال حدثني مشيخة لنا قالوا اشد الجوع على أهل مصر فاشترى الطعام بالذهب حتى لم يجدوا ذهباً فاشترى بالفضة حتى لم يجدوا فضة فاشترى بأغنامهم حتى لم يجدوا غنماً فلم يزل يبيعهم الطعام حتى لم يبق لهم فضة ولا ذهب ولا شاة ولا بقرة في تلك السنين فأتوه في الثالثة فقالوا لم يبق لنا الا أنفسنا وأهلونا وأرضونا فاشترى يوسف أرضهم كلها لفرعون ثم أعطاهم يوسف طعاماً يزرعونه على أن لفرعون الخمس ويقال في خبر بناء يوسف عليه السلام مدينة الفيوم أنه لما وزر لفرعون ثلاثين سنة عزله فقال لم عزلتني فقال لم أعزلك لريبة ولا أنسى ريكنتك ولكن آبائي عهدوا الى أن لا يتولى لنا وزيراً أكثر من ثلاثين سنة وأنا نخشى أن يتأصل الوزير حتى يدبر على الملك فقال له يوسف قد علمت نصحي لك حتى صيرت ديار مصر كلها ملكاً لك فأقطعني أرضاً تسكون لقوتي وقوت أهلي وعشيرتي فقال له فرعون اختر حيث شئت فشى يوسف في قفار الارض حتى رأى أرض الفيوم وفيها جبل حائل بين النيل وبينها فوزن ماء النيل حتى رأى أن قاعها يركبه النيل فخرق خرقة في ذلك الجبل وساق الماء فيه الى الفيوم فسقى الارض وعمل في جوانب الماء ثلثمائة وستين قرية على عدد أيام السنة وشجها بالغلال والاقوات التي ازدرعها فكان اذا نقص النيل ووقع الجوع بأرض مصر باع كل يوم ما جمعه في قرية من قرى الفيوم حتى ملك مصر لنفسه كما جمعها للملك فعظم شأن يوسف وكثر ماله فردده الملك بعد مدته الى وزارته وتوفي وهو وزير فأوصى بمخرج جثته الى الارض المقدسة فخرج بها هارون بن افراهيم بن يوسف في مائة ألف من بنى اسرائيل فهزمته الجيابة فيها بين مصر والشام وهلك أكثر من معه وعاد بمن بقي معه الى مصر فأقاموا بها حتى بعث الله موسى بن عمران عليه السلام الى فرعون رسولا فخرج بنى اسرائيل من مصر ومعه جثة يوسف عليه السلام وفي ذلك الزمان استنبطت الفيوم وقيل كان سبب ذلك أن يوسف عليه السلام لما ملك مصر وعظمت منزلته من فرعون وجاوز سنه مائة سنة قال وزراء الملك له ان يوسف قل عامه وتخبر عقله ونفذت حكمته ففقههم فرعون ورد عليهم مقالهم وأساء الالفاظ لهم فكفوا ثم عاودوه بذلك القول بعد سنين فقال لهم هلموا ماشتم من أى شئ أختبره به وكان بلد الفيوم يومئذ يدعى الجوبة وانما كانت لمصالة ماء الصعيد وفضوله فاجتمع رأيهم على أن تكون هي الحنة التي يمتحنون بها يوسف فقالوا لفرعون سل يوسف أن يصرف ماء الجوبة عنها ويخرجه منها فترداد بلدا الى بلدك وخراجا الى خراجك فدعا يوسف فقال تعلم مكان

ابنتي فلانة مني وقد رأيت اذا بلغت أن أطلب لها بلدا واني لم أصب لها الا الجوبة وذلك أنه بلد بعيد قريب لا يرى بوجه من الوجوه الا من غابة أو صحراء وكذلك ليست هي تؤتى من ناحية من النواحي من مصر الا من مفازة وصحراء فالفيوم وبسط مصر كمثل مصر في وسط البلاد لان مصر لا تؤتى من ناحية من النواحي الا من صحراء أو مفازة قال وقد اقتطعتها اياها فلا تترك وجهها ولا نظرا الا بلغته فقال يوسف نعم أيها الملك متى أردت ذلك فابعث الى فاني ان شاء الله فاعل ذلك قال ان أخبره الى وأرفعه أعجله فأوحى الي يوسف أن يحفر ثلاثة خناج خليجا من أعلى الصعيد من موضع كذا الى موضع كذا وخليجا شرقيا من موضع كذا الى موضع كذا وخليجا غربيا من موضع كذا الى موضع كذا فوضع يوسف العمال يحفر خليج المنهى من أعلى أشمون الى اللاهون وأمر البنائين أن يحفروا اللاهون وحفر خليج الفيوم وهو الخليج الشرقى وحفر خليجا بقرية يقال لها بنهت من قرى الفيوم وهو الخليج الغربى فخرج ماءؤها من الخليج الشرقى فصب في النيل وخرج من الخليج الغربى فصب في صحراء بنهت الى الغرب فلم يبق في الجوبة ماء ثم أدخلها الفعلة فقطع ما كان فيها من القصب والطرفاء وأخرجه منها وكان ذلك ابتداء جرى النيل وقد صارت أرض الجوبة نقيّة بركة وارتفع ماء النيل فدخل في رأس المنهى فجرى فيه حتى انتهى الى اللاهون فقطعه الى الفيوم فدخل خليجها فسقاها فصارت لجة من النيل وخرج اليها الملك ووزرائه وكان هذا كله في سبعين يوما فلما نظر اليها الملك قال لوزرائه أولئك هذا عمل ألف يوم فسميت الفيوم وأقامت تزرع كما تزرع غوايط مصر قال وقد سمعت في استخراج الفيوم غير هذا أن يوسف عليه السلام ملك مصر وهو ابن ثلاثين فأقام يديرها أربعين سنة فقال أهل مصر قد كبر يوسف واختلف رأيه فعزلوه وقالوا اختر لنفسك من الموات أرضا تقطعها لنفسك وتصلحها وتعمل رأيك فيها فان رأينا من رأيك وحسن تدبيرك ما نعلم انك في زيادة من عقلك رددناك الى ملكك فاعترض البرية في نواحي مصر فاختر موضع الفيوم فاعطوها فشقق اليها خليج المنهى من النيل حتى أدخله الفيوم كلها وفرغ من حفر ذلك كله في سنة * قال يزيد بن أبى حبيب وبلغنا أنه انما عمل ذلك بالوحي وقوى على ذلك بكثرة الفعلة والاعوان فنظروا فاذا الذى أحياء يوسف من الفيوم لا يعلمون له بمصر كلها مثلا ولا نظيرا فقالوا ما كان يوسف قط أفضل عقلا ولا رأيا ولا تدبرا منه اليوم فردوا اليه الملك فأقام ستين سنة أخرى تمام مائة سنة حتى مات وهو ابن ثلاثين ومائة سنة قال ثم بلغ يوسف قول وزراء الملك وانه انما كان ذلك على المحنة منهم له فقال للملك عندي من الحكمة والتدبير غير ما رأيت فقال له الملك وما ذاك قال أنزل الفيوم من كل كورة من كور مصر أهل بيت وأمر أهل كل بيت أن يبنوا لانفسهم قرية وكانت قرى الفيوم على

عدد كور مصر فاذا فرغوا من بناء قراهم صيرت لكل قرية من الماء بقدر ما أصير لها من الارض لا يكون في ذلك زيادة ولا نقص وأصير لكل قرية شربا في زمان لا يتألم الماء الا فيه وأصير مطاطئا للمرتفع ومرتعا للمطاطئ بأوقات من الساعات في الليل والنهار وأصير لها قبضات فلا يقصر باحد دون حقه ولا يزداد فوق قدره فقال له فرعون هذا من ملكوت السماء قال نعم فبدأ يوسف فأمر ببنيان القرى وحدد لها حدودا وكانت أول قرية عمرت بالفيوم قرية يقال لها سانه وهى القرية التي كانت تسفلها بنت فرعون ثم امر بحفر الخليج وبنيان القناطر فلما فرغوا من ذلك استقبل وزن الارض ووزن الماء ومن يومئذ حدثت الهندسة ولم يكن الناس يعرفونها قبل ذلك وكان أول من قاس النيل بمصر يوسف ووضع مقياسا بعنف* قال جامعه وفي التوراة ان فرعون ألزم بني اسرائيل البناء وضرب الابن فبنوا له عدة مدن محصنة منها فيثوم وعمرسيس قال الشارح هى الفيوم وحوف رمسيس وفي زمان الريان بن الوليد دخل يعقوب عليه السلام وولده مصر وهم ثلاثة وسبعون نفسا ما بين رجل وامرأة فأنزلهم يوسف ما بين عين شمس الى الفرما وهى أرض ريفية برية وكان يعقوب لما دنا من مصر أرسل يهودا الى يوسف فخرج اليه يوسف فآخذه فالتزمه وبكى فلما دخل يعقوب على فرعون كله وكان يعقوب شيخا كبيرا حائما حسن الوجه والاحية جهير الصوت فقال له فرعون أيها الشيخ كم أنى عايذك قال عشرون ومائة وكان بهمن ساحر فرعون قد وصف صفة يعقوب ويوسف وموسى صلوات الله عليهم في كتبه وأخبر أن خراب مصر وهلاك أهلها يكون على أيديهم ووضع البرايات وصفات من تخرب مصر على يديه فلما رأى يعقوب قام الى مجلسه فكان أول ما سأله عنه أن قال من تعبد أيها الشيخ قال له يعقوب أعبد الله اله كل شيء يقال فكيف تعبد من لا ترى قال يعقوب انه أعظم وأجل من أن يراه أحد قال فنحن نرى آلهتنا قال يعقوب ان آلهتكم من عمل أيدي بنى آدم من يموت ويبلى وان الهى لأعظم وأرفع وهو أقرب إلينا من جبل الوريد فنظر بهمن الى فرعون فقال هذا الذى يكون هلاك بلادنا على يديه قال فرعون أنى أيامنا أوفى أيام غيرنا قال ليس في أيامك ولا أيام بنذك قال الملك فهل تجد هذا فيما قضى به الهكم قال نعم قال فكيف تقدر أن تقبل من يريد الهه هلاك قومه على يديه فلا يعبا بهذا الكلام* وعن كعب أن يعقوب عاش في أرض مصر ست عشرة سنة فلما حضرته الوفاة قال ايوسف لا تدفنى بمصر فاذا مت فاحملونى فادفونى في مغارة جبل جبرون وجيرون مسجد ابراهيم الخليل عليه السلام وبينه بيت المقدس ثمانية عشر ميلا قال فلما مات لطحوه بحر وصبر وجعلوه في تابوت من ساج فكانوا يفعلون به ذلك أربعين يوما حتى كمل يوسف فرعون فأعماه أن أباه قد مات وانه سأله أن يقبره في أرض كنعان فأذن له وخرج معه أشراف أهل مصر

حتى دفنه وانصرف وقيل قبر يعقوب بمصر فأقام بها نحواً من ثلاث سنين ثم حمل الى بيت المقدس وأوصاهم بذلك عند موته قال ثم مات الريان بن الوليد فلكنهم من بعده ابنه دارم بن الريان وفي زمانه توفي يوسف عليه السلام فلما حضرته الوفاة قال انكم ستخرجون من أرض مصر الى أرض آبائكم فاحملوا عظامي معكم فمات فحمله في تابوت ودفنوه في أحد جانبي النيل فأخضب الجانب الذي كان فيه وأجذب الجانب الآخر فحمله الى الجانب الآخر فأخضب الجانب الذي حمله الى وأجذب اليه وأجذب الآخر فلما رأوا ذلك جمعوا عظامه فحملوها في صندوق من حديد وجعلوا فيه سلسلة وأقاموا عموداً على شاطئ النيل وجعلوا في أصله سكة من حديد وجعلوا السلسلة في السكة وألقوا الصندوق في وسط النيل فأخضب الجانبان جميعاً* وكان سبب حمل عظام يوسف من مصر الى الشام أن سارة ابنة أسر بن يعقوب غمرت حتى صارت عجوزاً كبيرة ذاهبة البصر فلما سرى موسى عليه السلام بنى إسرائيل غشيتهم ضباباً حالت بينهم وبين الطريق أن يبصروه وقيل لموسي لن تعبر الا ومعك عظام يوسف قال ومن يدري أين موضعها قالوا عجوز كبيرة ذاهبة البصر تركناها في الديار فرجع موسى فلما سمعت حسه قالت ما ردك قال أمرت أن أحمل عظام يوسف قالت ما كنتم لتعبروا الا وأنا معكم قال دليني على عظام يوسف فدلته عليها فأخذ عظام يوسف معه الى التيه* (يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم)* خليل الرحمن صلوات الله عليهم أحد الاسباط الاثني عشر ولد بارض كنعان من بلاد الشام ورأى الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر له ساجدين وعمره سبع عشرة سنة وكاد اخوته على ذلك وباعوه من قوم مدينيين فساووا به الى مصر وباعوه لقائد فرعون فأقام في منزله اثني عشر شهراً ثم راودته امرأة العزيز عن نفسه فاعتصم وكذبت عليه الى أن حبس ومكث في السجن عشر سنين وقيل غير ذلك فلم يزل في السجن الى أن رأى الساقى والحجاز ذينك المنامين وفسر لهما يوسف وخرجا فأنسى الساقى يوسف ستين الى أن رأى الملك البقر والسنابل فذكره وأناه فقص عليه الرؤيا وعبرها فأخرج من السجن وله حينئذ ثلاثون سنة فانتوزره الملك ومن ذلك الوقت الى أن صار يعقوب الى مصر تسع سنين منها سبع سنين من سني الشبع وستين من سني الجوع وكان ليعقوب في السنة التي صار فيها الى مصر مائة سنة وثلاثون سنة وكان أهل بيته حينئذ سبعين نفساً ومنذ سار الى مصر الى أن ولد موسى عليه السلام مائة وثلاثون سنة أخرى فلما مضى له بمصر سبع عشرة سنة توفي وعمره مائة وسبع وأربعون سنة تخاف الاسباط حينئذ مقابلة يوسف اياهم فقالوا ان أباك أوصى أن تغفر ذنب اخوتك فانك وهم عبيد الله أبوك فبكى يوسف وقال لهم لا تختاجون الي ذلك ووعدهم بخير تمه لهم ومات يوسف وله مائة سنة وعشر سنين والله أعلم

ذكر ما قيل في الفيوم وخلقها وضياعها

قال اليعقوبي كان يقال في متقدم الايام مصر والفيوم لجلالة الفيوم وكثرة عمارتها وبها القمع الموصوف وبها يعمل الخيش * وحكى المسعودي أن معنى الفيوم ألف يوم * قال القاضي الفيوم وهي مدينة دبرها يوسف النبي عليه السلام بالوحي وكانت ثلثمائة وستين ضيعة تدير كل ضيعة منها مصر يوما واحدا فكانت تدير مصر السنة وكانت تروى من ثني عشر ذراعا ولا يستبحر ما زاد على ذلك فان يوسف عليه السلام اتخذ لهم مجرى ورتبه ليدوم لهم دخول الماء فيه وقومه بالحجارة المنضدة وبنى به اللاهون * وقال ابن رضوان الفيوم مخزن فيه ماء النيل ويزرع عليه مرات في السنة حتى انك ترى هذا الماء اذا خلى يغير لون النيل وطعمه وأكثر ما تحسن هذه الحالة في البحيرة التي تكون في أيام القبط سفت ونهيا وصاعدا الى ما بين الفيوم وهذه حالة تزيد في رداءة أهل المدينة يعني مصر ولا سيما اذا هبت ريح الجنوب فان الفيوم في جنوب مدينة مصر على مسافة بعيدة من أرضها وقال القاضي السعيد أبو الحسن علي بن القاضي المؤتمن بقية الدولة أبي عمرو عثمان بن يوسف القرشي الخزومي في كتاب المنهاج في علم الخراج وهذه الاعمال من أحسن الاشياء تديرا وأوسعها أرضاً وأجودها قطرا وانما غلب على بعضها الخراب لخلوها من أهلها واستيلاء الرمل على كثير من أرضها وقد وقفت على دستور عمله أبو اسحاق ابراهيم بن جعفر بن الحسن بن اسحاق لذكر خلجان الاعمال المدثورة وما عليها من الضياع وقد أوردته ههنا وان كان منه ما قد دثر ومنه ما تغيرت أسماؤه ومنه ما جهات مواضعه بالدثور ولكن أوردته ليعلم منه حال العاصر الآن ويستقصى به من له رغبة في عمارة ما يقدر عليه من الغاصر وفي ايراده مصلحة ليعلم شرب كل موضع ونسخته * (دستور) * على ما أوضحه الكشف من حال الخليج الامهات بمدينة الفيوم وما لها من المواضع وشرب كل ضيعة منها ورسمها في السد والفتح والتعديل والتحرير وزمان ذلك عمل في جمادى الآخرة سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة بتدبير بعون الله وحسن توفيقه بذكر حال البحر الاعظم الذي منه هذه الخليج فنذكر مادته التي صلاحه بصلاحها * (خليج الفيوم الاعظم) * يصل الماء الى هذا الخليج من البحر الصغير المعروف بالمنهى ذي الحجر اليوسفي وفوقه هذا البحر عند الجبل المعروف بكرسى الساحرة من أعمال الاشمونين ومنه شرب بعض الضياع الاشمونية والقيسية والاهناسية وعلى جانبيه ضياع كثيرة شرها منه وشرب كروم ماله كروم منها قال * (الحجر اليوسفي) * والحجر اليوسفي جدار مبني بالطوب والجير المعروف عند المتقدمين بالصاروج وهو الجير والزيت وبنائه من جهة الشمال الى الجنوب ويتصل من نهايته من الجنوب بجدار بناؤه مثل بناءة على استقامة من الغرب الى الشرق ويحصره ميلان منه في نهايته وطوله مائتا

ذراع بذراع العمل ويتصل بهذا الجدار على طول ثمانين ذراعا منه من جهة الغرب نهاية الجدار الاعظم من الجنوب وقائدة بناء الجدار الاعظم رد الماء اذا انتهى الى حدود اثنتي عشرة ذراعا الى مدينة الفيوم وطول مايتصل منه الجدار الذي من جهة الغرب الى الشرق ثم يتصل بليل ثم ينخفض من حدود هذا النيل الى ميل مثله يقابله من جهة الشمال خمسون ذراعا وبعد ماين هذين الميلين وهو المنخفض مائة ذراع وعشرة أذرع ومقدار المنخفض منه أربعة أذرع وهذا المنخفض هو الذي يسد بحجر من حشيش يسمى ابشا وعرض ما يجري عليه الماء وهو موضع اللبس وما قابله الى جهة الشرق أربعون ذراعا وعليه مسك اللبس الثاني ويتصل بهذا النيل الى جهة الشمال ماطوله ثلثمائة واثان وسبعون ذراعا ثم يتصل به على نهاية هذا الطول جدار يمر على استقامته الى الحجر مبنى بالحجر طوله على استقامته الى جهة الشرق مائة ذراع ثم ينخفض أيضا من حيث يتصل بهذا الجدار ما طوله عشرون ذراعا وقدر المنخفض منه ذراعان وهذا المنخفض أيضا يسد بحجر حشيش يسمى الماكبد وطول بقية الجدار الى نهايته من جهة الشمال مائة وستة وثلاثون ذراعا وقبالة هذا بطوله منه مباح وفيه قنطرة مبنية بالحجر كانت قديما ترد الماء الى الفيوم من الخليج القديم الذي عنده السدود اليوم وكان عليها أبواب وعدتها عشر قنطرة قديمة فيكون جميع ذرع الجدار الاعظم من نهايته سبعمائة وأثنى وسبعين ذراعا بذراع العمل دون الجدار المعترض من الغرب الى الشرق ويمر هذا الجدار الاعظم من كلتا جهتيه جميعا حتى يتصل بالجبل فتوجد آثاره في القيظ مرورا على غير استقامة وعرضه مختلف وكلما انتهى الى سطحه قل عرضه وعرض أعلاه مع الظاهر من أسفل جميعا ستة عشر ذراعا وفيه منافس يخرج منها الماء وهي براخ زجاج ملونة بشبه المينا وأزرق وسليمانى وهو من المعجائب الحسنة في عظم البناء واتقانه لانه من الابنية اللاحقة بمئارة الاسكندرية وبناء الاهرام فمن معجزته أن النيل يمر عليه من عهد يوسف عليه السلام الى هذه اناية وما تغير عن مستقره ويدخل الماء من هذا البحر في هذا الزمان الى مدينة الفيوم من خليجها الاعظم ما بين أرض الضيعتين المعروفتين بدمونة واللاهون ومنه شرب هتين الضيعتين وغيرهما سيحا ومنه شرب كرومها بالدواليب على أعناق البقر وان قصر النيل عن الصعود الى سواها سقيت منه على أعناق البقر وزرعت وينتهى في الخليج الاعظم الى خليج يعرف بخليج الاواسي وليس عليه رسم في سدولا فنج ولا تعديل وينتهى الى الضيعة المعروفة بياض فيملا بركاها وغيرهما من البرك والبرك مقاسم يصل الى كل مقسم منها لغايته ومقدار شرب ما عليه وينتهي الى الضيعة المعروفة بالاوسية الكبرى فمنه شربها من مقسمين لها وبرسمها باب ومنه يشرب نخاعها وشجرها وعلى هذا الحدطاحونة تعمل بالماء ثم ينتهى الى ثلاثة مقاسم آخرها الضيعة المعروفة بحرطينة منها مقسم لها ومقسم

لقبالات عدة والمقسم الثالث يسقى أحد أحياء النخل وبهذا الحى سواق وبساتين قد خربت
وجيز دائره وكان بها بيوت فى أقيّة النخل ثم ينتهى الى حى ثان على صفة الاول ثم ينتهى
الى الضيعة المعروفة بالجوبة فيملا بركها وينتهى الى ثلاثة مقاسم فى صف وفوقها خليج
معطل ويشرب من هذه المقاسم عدة ضياع ثم ينتهى الماء من هذا الخليج الى البطس وهو
نهایته وعلى الخليج الاعظم بعد هذا أباليز شربها منه من أفواه لها سيحجا فاذا نصب ماء
النیل نصب على أفواها برسم صيد السمك شبكاً ثم ينتهى الخليج الاعظم على يمنة من
يريد الفيوم الى خليج يعرف * (بخليج سمسطوس) * منه شرب سمسطوس وغيرها
وأباليز كثيرة تجاوز الصحراء من المشرق منه ومن قبله وهي ما بين هذا الخليج وخليج
الاواسى ثم ينتهى الخليج الاعظم أيضاً الى * (خليج ذهالة) * ومنه شرب عدة ضياع
وعليه يزرع الارز وغيره ثم ينتهى الخليج الاعظم الى ثلاث خاج ثم ينتهى الى * (خليج
ينطاوة) * وبهذا الخليج ثلاثة ابواب قديمة يوسفية سعة كل باب منها ذراعان بذراع
العمل ويمر فيه الماء وينتهى أيضاً الى باين يوسفين ورسم هذا الخليج أن يسد هو وسائر
المطاطية على استقبال عشر تخلو من هاتور الى سلخه ويفتح على استقبال كيهك الى عشر تبقى منه
ثم يسد الى عشر تخلو من طوبة ثم يفتح ليلة الغيطاس الى سلخ طوبة ثم يسد على استقبال أمشير
الى عشرة تبقى منه ثم يفتح لعشر تبقى منه الى عشر تخلو من برمهات ثم يفتح الى عشر تخلو من
برمودة ثم يعدل فى موضعه وقد خرب ما على بحريه من الضياع ويشرب منه عدة ضياع ولهذا الخليج
مفيض معمول تحت الجبل بقبو يخرج منه الماء فى زمان تكثره ثم ينتهى الخليج الاعظم الى * (خليج
دله) * وهو من المطاطية وحكمه فى السد والفتح والتعديل والتحسين كما تقدم وهو على
يسرة من يريد المدينة وله بابان يوسفیان مبنيان بالحجر سعة كل منهما ذراعان ورع ومنه
شرب عدة ضياع أمهات وغيرها وفى وسطه مفيض لزمان الاستبحار يفتح فيفيض الماء الى
البركة العظمى وفى أقصى هذه البركة أيضاً مفيض له أبواب يقال انها كانت من حديد فاذا
زادت فتحت الابواب فيمضى الماء الى الغرب وقيل انه يمر الى سترية وكان على هذين
الخليجين بساتين وكروم كثيرة تشرب على أعناق البقر وينتهى الخليج الاعظم الى * (خليج
الجنونة) * سعى بذلك لعظم ما يصير اليه من الماء وحكمه فى السد وغيره على ما ذكر ومنه
شرب ضياع كثيرة وبه تدار طواحين واليه تصير مصالات مياه الضياع القبلية والى بركة فى أقصى
مدينة الفيوم تجاور الجبل المعروف بأبني قطران ويلقى ما ينصب من مصالات الضياع البحرية
فيها وهي البركة العظمى ثم ينتهى الخليج الاعظم الى * (خليج تلاله) * وله بابان يوسفیان
متينان مبنيان بالحجر سعة كل منهما ذراعان وثلاث ذراع وليس فيه رسم سد ولا فتح ولا
تعديل ولا تحيز الا فى تقصير النيل فانه يحجز بحشيش ومنه شرب طوائف المدينة وعدة

(م ٥١ - خط ل)

أراض وضياح وفيه فوهة خليج البطش الذي اليه مفاضل المياه وفيه أبواب تسد حتى يصعد الماء الى أراض مرتفعة بقدر معلوم وإذا حدث بالسد حدث يفسده كانت النفقة عايبه من الضياح التي تشرب منه بقدر استحقاقها ثم ينتهي الخليج الاعظم الى خلجان من جانبيه في قبليه وبحريه ثم ينتهي الى * (خليج سموه) * وهو على يمنة من يريد مدينة الفيوم وهو من المطاطة وله بابان يوسفان سعة كل منهما ذراعان ونصف وحكمه حكم ما تقدم ومنه شرب طوائف كثيرة وعدة ضياح وينتهي الى أربعة مقاسم بأبواب والى خلجان تسقى ضياحا كثيرة منها * (خليج تددود) * فيه عين حلوة فإذا سد هذا الخليج سقى منها أراضى ما جاورها وظهرت هذه العين لما عدم الماء وحفر هذا الموضع ليعمل بئرا فظهرت منه هذه العين فاكتفى بها ثم ينتهي الخليج الاعظم الى خلجان بها شاذروانات ومقاسم قديمة يوسفية وبها أبواب يوسفية بها رسوم في السد والفتح يشرب منها ضياح كثيرة ورسم الترع أن يسد جميعها على استقبال عشرة أيام تخلو من هاتور الى ساعه وتفتح على استقبال كهيك مدة عشرين يوما وتسد لعشر تبقى منه الى القطاس وتفتح يوم القطاس الى ساعه طوبة وتسد على استقبال أمشير عشرين يوما ثم تفتح لعشر تبقى منه الى عشرين من برمها وتفتح عشرة أيام تخلو من برمودة ثم تعدل فيتم بممارتها ولهم في التعديل قسم تعطي منه كل ناحية شربها بالعدل بقوانين معروفة عندهم وقد اختصرت أسماء الضياح التي ذكرها لخرب أكثرها الآن والله أعلم

ذكر فتح الفيوم ومبلغ خراجها وما فيها من المرافق

قال ابن عبد الحكم فلما تم الفتح للمسلمين بعث عمرو بن العاص جرائد الخيل الى القرى التي حولها فأقامت الفيوم سنة لا يعلم المسلمون بمكانها حتى أتاهم رجل فذكرها لهم فأرسل عمرو معه ربيعة بن حيش بن عرفة الصديقي فلما سلخوا في الحجابة لم يروا شيئا فهموا بالانصراف فقالوا لا تمجلوا سيروا فان كان قد كذب فما أقدركم على ما أردتم فلم يسيروا الا قليلا حتى طلع لهم سواد الفيوم فهجموا عليها فلم يكن عندهم قتال وألقوا بأيديهم قال ويقال بل خرج مالك بن ناعمة الصديقي وهو صاحب الاشقر على فرسه ينفذ الحجابة ولا علم له بما خلفها من الفيوم فلما رأى سوادها رجع الى عمرو فأخبره بذلك قال ويقال بل بعث عمرو بن العاص قيس بن الحارث الى الصعيد فسار حتى أتى القيس فنزل بها وبه سميت القيس فرائ على عمرو خبره فقال ربيعة بن حيش كفيت فركب فرسه فأجاز عليه البحر وكانت أنثى فأناها بالخبر ويقال انه أجاز من ناحية الشرقية حتى انتهى الى الفيوم وكان يقال لفرسه الاعشى والله أعلم * وقال ابن الكندي في كتاب فضائل مصر ومنها كورة الفيوم وهي ثلثمائة وستون قرية دبرت على عدد أيام السنة لا تنقص عن الري فان قصر النيل في سنة

من السنين مار بلد مصر كل يوم قرية وليس في الدنيا ما يفي بالوحي غير هذه السكورة ولا بالدنيا بلد أنفس منه ولا أخصب ولا أكثر خيرا ولا أغزر أنهارا ولو قايسنا بأنهار الفيوم أنهار البصرة ودمشق لكان لنا بذلك الفضل ولقد عد جماعة من أهل العقل والمعرفة مرافق الفيوم وخيرها فإذا هي لا تحصى فتركوا ذلك وعدوا ما فيها من المباح مما ليس عليه ملك لأحد من مسلم ولا معاهد يستعين به القوي والضعيف فإذا هو فوق السبعين صنفا * وقال ابن زولاق في كتاب الدلائل على امراء مصر للكندي وعقدت لكافور الاخشيدي الفيوم في هذه السنة يعني سنة ست وخسين وثلثمائة ستمائة ألف دينار ونيفا وعشرين ألف دينار * وقال القاضي الفاضل في كتاب متجددات الحوادث ومن خطه نقلت ان الفيوم بلغت في سنة خمس وثمانين وخمسمائة مبلغ مائة ألف واثنين وخمسين ألف دينار وسبعمائة وثلثمائة دنانير وقال البكري والفيوم معروف هنالك يغل في كل يوم ألفي مثقال ذهبا

مدينة التحريرية

كانت أرضا مقطعة لعشيرة من أجناد الحلقة من جملتهم شمس الدين سنقر السعدي فأخذ قطعة من أراضي زراعتها وجعلها اصطبلا لدوابه وخيله فشكاه شركاؤه الى السلطان الملك المنصور قلاوون فسأله عن ذلك فقال أريد أن أجعله جامعا تقام فيه الخطبة فأذن له السلطان في ذلك فابتدأ عمارته في اخريات سنة ثلاث وثمانين وستمائة حتي كمل في سنة خمس وثمانين فعمل له السلطان منبرا وأقيمت به الجمعة واستمرت الى يومنا هذا وأنشأ السعدي حوانيت حول الجامع فلم تزل بيده حتى مات وورثها ابنه عز الدين خليل وركن الدين عمر فباعها باعده مدة للامير شيخوخة العمري فجعلها مما وقفه على الخانكاه والجامع اللذين انشأها بخط صليبة جامع ابن طولون خارج القاهرة فعمرت هذه الارض بعمارة الجامع وسكنها الناس فصارت مدينة من مدائن أراضي مصر بحيث بلغت احوال القرازين فيها (٣) وترقي سنقر السعدي في الخدم حتى صار من الامراء وولي نقيب الممالك السلطانية وأنشأ المدرسة السعدية خارج القاهرة قريبا من حدرة البقر فيما بين قلعة الجبل وبركة الفيل في سنة خمس عشرة وسبعمائة وبني أيضا رباطا للنساء وكان شديد الرغبة في العمائر محبا للزراعة كثير المال ظاهر التقى ثم انه أخرج الي طرابلس وبها مات سنة ثمان وعشرين وسبعمائة

(تم الجزء الأول من الخطط المقرزية ويلي الجزء الثاني وأوله ذكر تاريخ الخليفة)

COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



0055241956

AUG 20 1974

